

دير القديس أنبا مقار
برية شهيد بيت

بُسْتَانُ الْرَّهْبَانِ

Πίθων ΝΤΕ ΝΙΚΟΝΑΧΟΣ

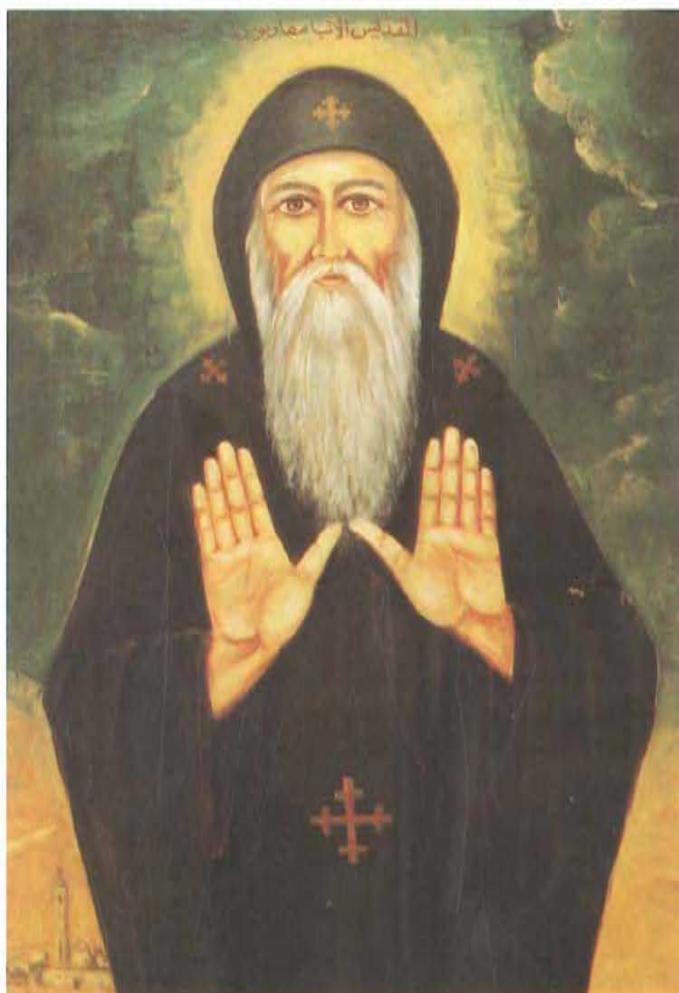


إعداد نيافة الأنبا إيمقانيوس

اسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار
برية شهيد بيت



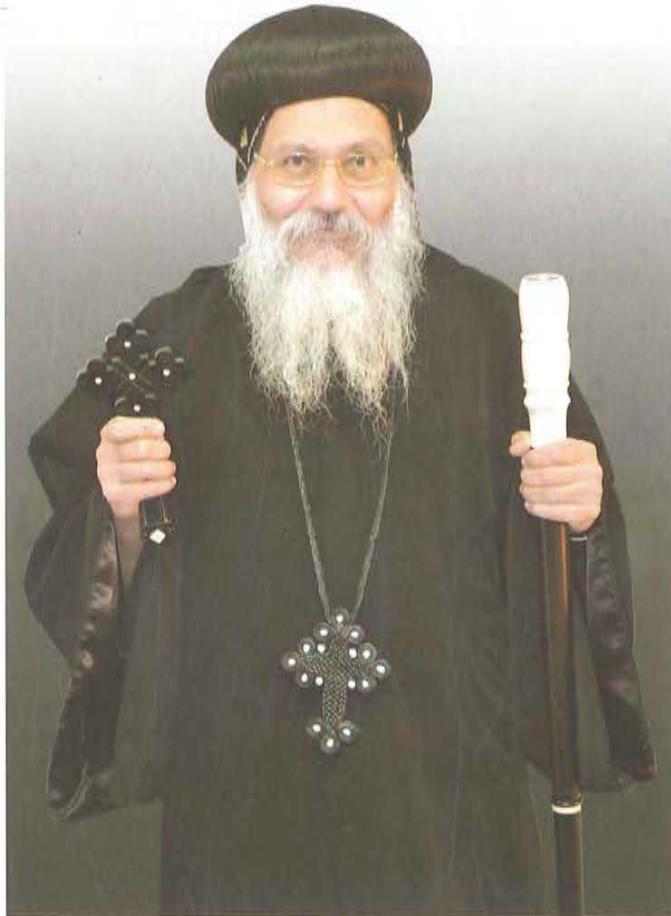
القديس الأنبا أنطونيوس الكبير
أب الرهبنة



القدس أَنْبَأُ مَقَارُ الْكَبِيرُ
أَبُ بَرِيَّةٍ شِيهِيتٍ
(إِسْقِيَطْ مَقَارِيُوسْ)



قداسة البابا تواضروس الثاني
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الأنبا إيفانيوس
أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار - بربلة شيهيت

دير القديس أنبا مقار
برية شيربيت

بُسْتَانُ الرَّهْبَانِ

Πρωτε Μημοναχος

إعداد
نيافة الأنبا إيفانيوس

كتاب: بستان الرهبان
إعداد: نيافة الأنبا إيفانيوس
أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار - بربة شهيت
مراجعة: الراهب وديد المقاري
الطبعة الأولى: ٢٠١٣ م
الطبعة الثانية: ٢٠١٤ م
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون
الناشر: دار مجلة مرقس
ص ٢٧٨٠ - القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٤٩٥٠/٢٠١٣
رقم الإيداع الدولي: ٩٧٨ - ٧٨ - ٥٥٤٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨
جميع الحقوق محفوظة للناشر.

المقاري، إيفانيوس
بستان الرهبان / إعداد إيفانيوس المقاري - ط ١ -
وادي النطرون. دير القديس أنبا مقار بربة شهيت، ٢٠١٣
ص ٢٠٥٤٠
٩٧٨ ٩٧٧ ٥٥٤٥ ٧٨ ٧ تدمك
١ - الرهبة
أ. العنوان
٢٧٨، ٦ رقم الإيداع: ٤٩٥٠ تاريخ: ٢٠١٣/٢/٢٥

يُطلب من:
دار مجلة مرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٦١٤ ٢٥٧٧٠
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من مكتبة الدير - وادي النطرون
أو من خلال موقع الدير:
www.stmacariusmonastery.org

الفهرس العام

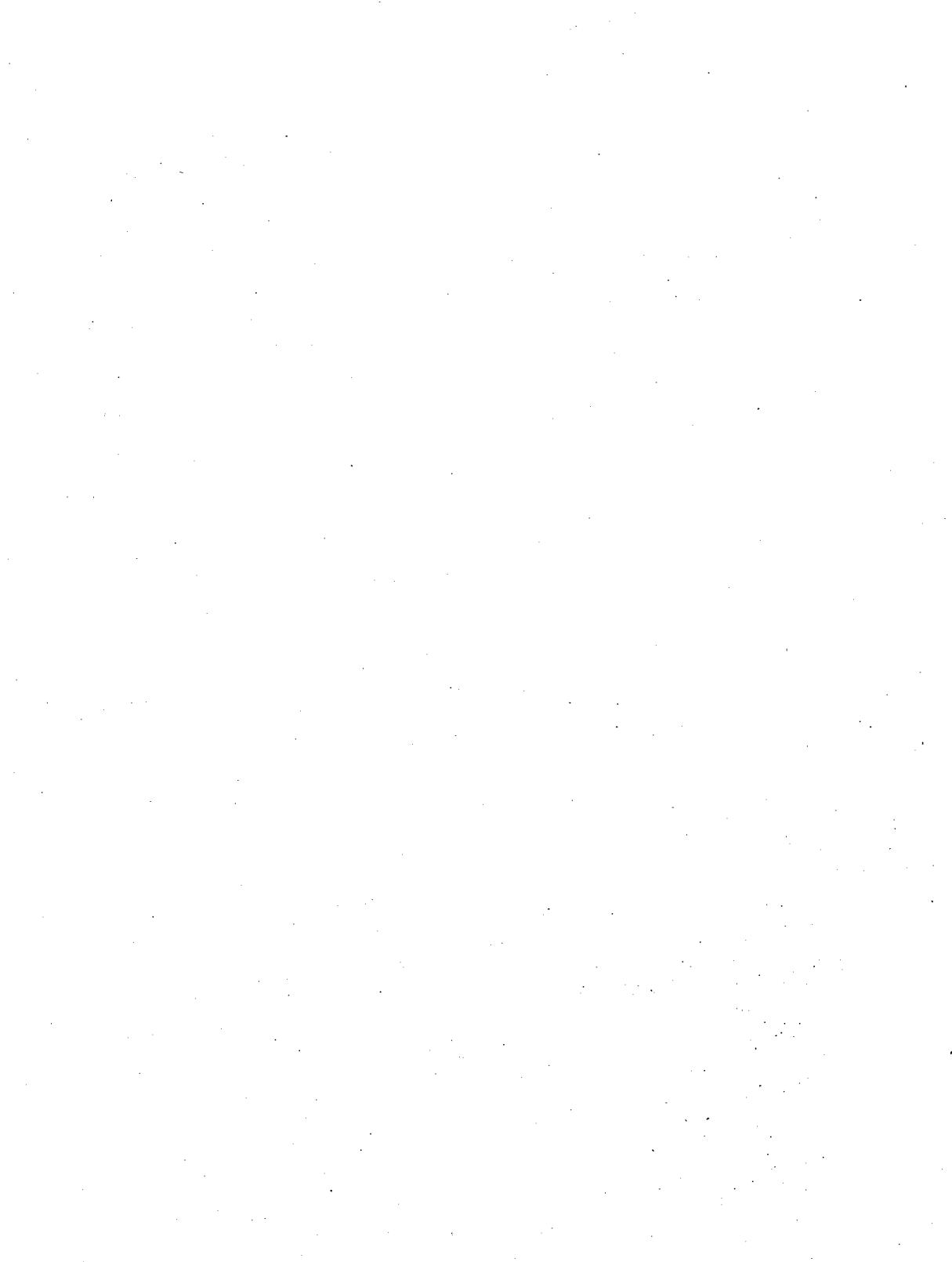
٩	جدول المراجع والاختصارات.....
١٥	تقديم
٢١	القديس أنطونيوس الكبير.....
٢٣	من تعاليم القديس أنطونيوس.....
٣٤	القديس مقاريوس الكبير (١).....
٤٧	وصية أبا مقار.....
٥١	دَوَام ذِكْر الاسم القدوس.....
٥٦	القديس باخوميوس.....
٦٦	القديس يوحنا الدرجي (كليما كوس).....
٦٩	مار إسحق السرياني (١).....
٧٠	القديس أرسانيوس
٨٥	مار إسحق السرياني (٢).....
٩٠	القديس أغاثون
٩٥	القديس إيسيدوروس القس (١).....
٩٧	القديس إيسيدوروس البيلوزي.....
٩٧	القديس إيسيدوروس القس (٢).....
٩٨	القديس موسى الأسود
١٠٩	القديس زكريا (١).....
١١٠	القديس زكريا (٢).....
١١١	من أقوال القديس مقاريوس (٢).....
١١٦	أبا إشعيا الإسقيطي (١)
١٣٢	القديس يوحنا القصير
١٤٢	القديس سرابيون الكبير
١٤٨	أبا أنوب وأبا بيمين وإخوهما
١٤٩	من أقوال أبا برصوفيوس (١).....

١٥٤	القديس أمونيوس الأسقف
١٥٥	القديس أخيلاس
١٥٧	القديس سلوانس
١٥٧	الراهب وعمل اليدين
١٦٤	الراهب والصلة
١٦٩	الراهب والابتعاد عن العالم
١٧٤	الصلة والدموع
١٧٨	التلميذ والشيخ
١٨١	الراهب ومعرفة الرؤساء
١٨٢	الراهب والقنية
١٨٥	الراهب والصدقة
١٨٦	ثوب الراهب
١٨٨	الراهب والأقرباء
١٩١	الراهب وحياة الشركة
١٩٣	الراهب والغضب الباطل
١٩٤	الراهب والدينونة (١)
١٩٩	تدرس الراهاوي
٢٠٠	الراهب والدينونة (٢)
٢٠٣	التوبة والمغفرة
٢٠٦	الأب جلاسيوس
٢٠٨	الأب دانيال
٢٠٩	الأب ديسقورس الثناسي
٢١٠	القديس إيفانيوس
٢١١	القديس أفرآم السرياني (١)
٢١١	الأب ألوجيوس
٢١٣	الأب أورانيوس
٢١٣	الأب إفاجريوس (أوغريس) (١)
٢١٥	الأب زيتون

٢١٦	أبا إشعيا الإسقطي (٢)
٢١٦	الأب إيليا
٢١٧	القديس تادرس الفرمي
٢٢٠	البابا ثاؤفليس
٢٢١	الأم تاؤدورة
٢٢٥	الأب إسحق القس
٢٢٦	الأب يوحنا السرياني
٢٢٧	الراهب والطاعة
٢٢٩	الراهب والإرشاد الروحي
٢٣٤	الأب ماطويس
٢٣٥	القديس مرقص تلميذ أبا سلوانس
٢٣٨	الراهب والمغفرة
٢٤٠	لساناً كفأة من أنفسنا
٢٤٤	الضحك والمزاح
٢٥٦	القديس بفنوتيوس
٢٦١	من أقوال أبا برصوفيوس (٢)
٢٦٨	القديس باسيليوس (١)
٢٧٣	التمييز والإفراز
٢٧٧	القديس سمعان العمودي
٢٨٥	أبا تودري
٢٩١	الراهب وقتل الزنى
٣٠٠	الراهب والصمت
٣٠١	الاتضاع والمسكنة
٣٠٣	من أقوال الآباء عن الخيالات
٣٢٠	الراهب واجترار الآيات
٣٢٦	نزع الموت
٣٢٩	من أقوال أبا برصوفيوس (٣)
٣٣٨	القديس بولس البسيط

٣٤١	الأب صيصوي.....
٣٤٥	الأب سلوانس.....
٣٤٦	الأب سيمون.....
٣٤٧	الأم سارة.....
٣٤٨	الأم سفرنيكي.....
٣٥١	الأب ابيريخيوس.....
٣٥٤	الأب أور.....
٣٥٦	القديس مقاريوس (٣).....
٣٥٩	الأب يوحنا كاسيان.....
٣٧١	من أقوال أثبا برصنوفيوس (٤).....
٣٧٣	من أقوال أثبا باخوميوس
٣٧٥	من أقوال مار إسحق السرياني (٣).....
٣٨٣	القديس نيلوس.....
٣٨٥	الشيخ الروحاني (١).....
٣٩٤	الراهب والنصرة في القتال.....
٤٠٣	الأب يوحنا الدلياتي (٢)
٤٠٦	محافة الله.....
٤٠٧	مار إسحق السرياني (٤).....
٤١٣	من أقوال مار إسحق (٥).....
٤١٧	من أقوال القديس برصنوفيوس (٥).....
٤١٩	من أقوال مار إسحق (٦).....
٤٣١	مار أفرآم (٢)
٤٣٣	من أقوال مار إسحق (٧).....
٤٣٧	القديس برصنوفيوس (٦).....
٤٣٨	الأب أوغريس (٢)
٤٣٩	الأب يحنّس
٤٤٠	العذاري العفيفات
٤٤٧	من تعاليم أثبا إشعيا (٣).....

من كلام الشيخ الروحاني عن التوبة (٣)	٤٥٥
مقارنة الكاتب	٤٦٣
من سيرة القديسين الحكماء	٤٧٢
القديس باسيليوس (٢)	٤٧٥
أبا يوساب وملك إنطاكيه	٤٧٧
الجواهري الحكيم	٤٨١
قوة إشارة الصليب	٤٨٢
البستاني الرحوم	٤٨٣
أبا لونجيوس	٤٨٤
القديس أبا دانياel والمبيلة	٤٨٧
القديس أبا دانياel وللص التائب	٤٨٩
فهرس الأشخاص	٤٩٣
فهرس الأماكن	٤٩٧
فهرس الكلمات اليونانية	٤٩٩
فهرس الكلمات القبطية	٤٩٩
مقابلة أقوال الآباء في النص العربي مع النصوص والترجمات القديمة	٥٠٠
فهرس مقابلة بين كتابات مار إسحق في اللغات المختلفة	٥٣٤



جدول المراجع والاختصارات

مخطوطات بستان الرهبان بمكتبة دير القديس أنبا مقار وادي النطرون:

س ٢: مخطوط رقم ٣٦٨ (سير ٢)، تاريخ النساخة من القرن التاسع عشر (الترقيم في هذا المخطوط بالصفحة وليس بالورقة).

س ٣: مخطوط رقم ٣٦٩ (سير ٣)، تاريخ النساخة من القرن التاسع عشر.

س ٤: مخطوط رقم ٣٧٠ (سير ٤)، تاريخ النساخة عام ١٩١٦ م.

س ٥: مخطوط رقم ٣٧١ (سير ٥)، تاريخ النساخة ١٩٠٠ م.

س ٦: مخطوط رقم ٣٧٢ (سير ٦)، تاريخ النساخة ١٨٩١ م.

س ٧: مخطوط رقم ٣٧٣ (سير ٧) من القرن الثامن عشر.

ويذكر بجوار اسم المخطوط رقم الورقة ثم وجه (ج) أو ظهر (ظ). والأقوال القليلة التي لا يتبعها شاهد من هذه المخطوطات هي الموجودة في طبعات بستان الرهبان العربي ولم نجد لها في مخطوطات بستان الرهبان التي ثمت المراجعة عليها.

Abc. *Apophthegmata Patrum, Greek Alphabetical Series: PG, LXV. 72 – 440.*

Les Apophthegmes des Pères du désert, série alphabétique, traduction française par Jean-Claude Guy, s.j. 1966.

Add. *Apophthegmata Patrum, Greek Alphabetical Series, additional material ed. J. C. Guy, Recherches sur la tradition grecque des Apophthegmata Patrum (Subsidia Hagiographica 36; Brussels, 1962, reprinted with additional comments, 1984, 19-36.*

Am *Amélineau, Histoire des Monastères de la Basse-Egypte; Texte copte et traduction française, 1894.*

و فيه النص القبطي الأصلي لكتاب فضائل القديس أنبا مقار و سير قدسي الرهبنة.

- Amélineau E. Amélineau, *La géographie de l'Égypte à l'époque copte*, 1973.
- An. Apophthegmata (collectio anonyma):
- L. Regnault, *Les Sentences des Pères du désert*: Série des anonymes. Solesmes, 1985.
 - Sister Benedicta Ward SLG, *The Wisdom of the Desert Fathers*, SLG Press, 1981
 - F. Nau, *Histoire des solitaires égyptiens*, (Apophthegmes du manuscrit Coislin 126) Revue de l'Orient Chrétien 12-14 (1907-1909), 17-18 (1912-1913),
- Arm. *Apophthegmes des Pères, collection arménienne systématique, Vies des saints Pères*, Venise, 1855, t. 1, p. 413-772; t. 2, p. 1-504.
أقوال الآباء المحفوظة في الترجمة الأرمنية.
- Bar. Let. *Barsanuphius and John, Letters*, translated by John Chryssavgis, Volume 1 (letters 1-348), Volume 2 (letters 349-848), The Fathers of the Church 113 (2006), 114 (2007).
رسائل القديس برسانوفيوس والقديس يوحنا الغزاوي.
- Bu. The Syriac Version of the Apophthegmata Patrum by: Ânân Îsho, in: Sir. E. A. Wallis Budge, *The Paradise of the Holy Fathers*, 1907, reprint, 1984, Seattle, Washington.
- Cass. Conf. *The Conferences of John Cassian*, NPNF 2nd Series, Vol. XI.
- Chaîne *Le Manuscrit de la version copte en dialecte sahidique des Apophthegmata Partum*, par M. Chaîne, 1960.
سير وأقوال الآباء حسب النص القبطي الصعيدي.
- CPG *Clavis Patrum Graecorum, supplementum*, 1998
- CSP *Commonitiones Sanctorum Patrum*, éd. Freire, Coimbra, 1974.
- Dal. *La Collection des Lettres de Jean de Dalyatha*, édition critique du texte syriaque inédit, traduction française, introduction et notes, par Robert Beulay, Patrologia Orientalis tome XXXIX, Fasc. 3, n° 180.
رسائل الشيخ الروحاني، يوحنا الدلياني.
- Dor. *Dorotheos of Gaza, Discourses and Sayings*, Translated by Eric P. Wheeler, Cistercian Studies series number 33, 1977.
- Eth. coll *Collectio Monastica, texte éthiopien et traduction latine de V. Arras*, CSCO 238-239, Louvain, 1963.

- Eth. Pat. *Patericon éthiopien, texte éthiopien et traduction latine de V. Arras, CSCO 277-278, Louvain, 1967.*
- Evag. Prat. *Évagre le Pontique, Traité pratique ou Le Moine, SC 171, 1971.*
- Guy *Les Apophthegmes des Pères du désert, série alphabétique, traduction française par Jean-Claude Guy, s.j. 1966.p. 409-427*
- Hist. gr. *Historia Monachorum in Aegypto, édition critique du texte grec, par A. J. Festugière, 1961.*
- Hist. lat. *Historia Monachorum in Aegypto. The Additions of Rufinus (Latin translation) in: The Lives of the Desert Fathers, introduction by Benedicta Ward SLG, translation by Norman Russell (1980) p.139-161.*
- Isaac *The Ascetical Homilies of Saint Isaac the Syrian, Translated by the Holy Transfiguration Monastery, Boston, Massachusetts, 1984.*
- Isaac Ar. كتابات مار إسحق السرياني، النسخة العربية، أربعة أجزاء.
- Isaiah *ABBÉ ISAÏE Recueil ascétique, Introduction et traduction française par les moines de Solesmes, Spiritualité Orientale, n° 7, 1970.*
- J Manuscrit Sinaï 448
- Lad *St. John Climacus, The Ladder of Divine Ascent, Translated by Archimandrite Lazarus Moore, Faber and Faber, London, 1959.*
سلم الدرجى أو سلم السماء ليوحنا الدرجى
- K. Manuscrit Coislin 283
- PA Paschase de Dumio, éd. Critique de J. G. Freire, Coimbra, 1971.
- Pa Paschase de Dumio, recension brève éditée par Rosweyde, PL 73, 1025-1062
- Pach. boh *Pachomian Koinonia, Volume One, The Life of Saint Pachomius and his Disciples, Cistercian Studies series: 45, 1980. (Pach. boh = The Bohairic life)*
- Pach. para *Pachomian Koinonia, Volume Two, Pachomius Chronicles and Rules, Cistercian Studies series: 46, 1981 (Pach. para = Paralipomena)*
- Pach. inst *Pachomian Koinonia, Volume Three, Instructions, Letters, and Other Writings of Saint Pachomius and His Disciples, Cistercian Studies series: 47, 1982 (Pach. inst = Instructions), (Pach. frag = fragments)*
- Pach. frag

- Pal. Cuthbert Buttler, *The Lausiac History of Palladius I/II*, 1898, reprint 1967.
- Palladius, *The Lausiac History*, translated and annotated by Robert T. Meyer, 1965. التاريخ اللوزيacky لبلاديوس.
- Patr. B. Evetts, *History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria, vol. III, Agathon to Michael I.*
- PE Paul Evergetinos, *Recueil de paroles et d'enseignements des Pères*, Athènes 1957-1966.
- PJ Pelage et Jean, VP V-VI, PL 855-1022.
J. Dion, G. Oury, *Les Sentences des Pères du désert*, Solesmes, 1966
- QRT Manuscrits, Q = Paris gr. 917, R = Paris gr. 914, T = Athènes B.N. 500
- Sys. Jean-Claude Guy, s.j., *Les Apophthegmes des Pères, collection systématique*, Tome 1 (SC 387) 1993, tome 2 (SC 474) 2003, tome 3 (SC 498) 2005.
- Vie Ant. Athanase d'Alexandrie, *Vie d'Antoine*, (SC 400) 1994
- Vie Mac. Satoshi Toda, *Vie de S. Macaire L'égyptien, Edition et traduction des textes copte et syriaque*, Gorgias Press 2011
سيرة القديس أنبا مقار عن النص القبطي والسرياني واليوناني.
- VP *Vitae Patrum*, éd. Rosweyde, PL 73-74

أقوال مار اسحق السرياني تم تحقيقها على النص المنشور باللغة الإنجليزية لدير التحلّي، كما هو مذكور في الجدول السابق، وقد أضفنا بجوار هذا المرجع ما يقابلها في النسخة العربية المنقحة المنشورة داخل دير القديس أنبا مقار، لاحتواها على ترقيم داخلي يسهل الرجوع لأي قول. هذه النسخة مطابقة في ترتيبها للمخطوط M ٣٦ بمكتبة الدير، كما أنها قامت بتبويب ميامِر الجزء الثاني بترتيب المخطوط المذكور، ابتداءً من الميَّمِر الأول حتى الميَّمِر الثاني والأربعين لسهولة البحث أيضاً. ونستشهد بها بإعطاء أرقامها في النسخة

الإنجليزية ثم في النسخة العربية، انظر مثلاً قول رقم ١٣١ : (Isaac. 1,42, Ar II,1,42) وهي تعني المير الأول فقرة ٤٢ في النص الإنجليزي ويقابلها الجزء الثاني المير الأول فقرة ٤٢ في النص العربي. وقد أضفنا جدولًا في نهاية الكتاب به مقابلات بين أقوال مار إسحق في المصادر المختلفة سواء المخطوطة أو المطبوعة، اليونانية والسريانية الشرقية والغربية والإنجليزية، والمخطوطات العربية الشائعة في مصر والخارج.



تقديم

في عام ١٩٧٨ م زار الأب العالم Regnault دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقضى فيه عدة شهور، وهو من أشهر العلماء المعاصرين الذين قاموا بنشر ومقارنة نصوص الآباء الرهبان بكل اللغات القديمة، وقد حاول أن يتعلم اللغة العربية للدراسة نصوص آباء البرية التي وصلت إلينا في هذه اللغة، والتي لا توجد في اللغات الأخرى، ولكنه انتقل إلى السماء قبل أن يحقق رغبته. وكان يأمل في نشر كتاب بستان الرهبان العربي، وذلك بعد مراجعته على المخطوطات، وعمل ترقيم للأقوال لسهولة المقارنة مع النصوص الأخرى، وهذا ما حاولنا القيام به.

فقد تم عمل ترقيم لأقوال الآباء، لتسهيل عملية النقل والاقتباس والمقارنة مع نصوص الأقوال في اللغات الأخرى، كما تم مراجعة هذه الأقوال على مخطوطات بستان الرهبان المتاحة في دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون. وتم وضع شاهد في نهاية كل نص يشير إلى موضع هذا القول في المخطوطات، واعتبرنا مخطوط س ٥ هو المصدر الأساسي لهذه الشواهد، والأقوال التي لم نجد لها في هذا المخطوط وضعنا شاهداً لها من المخطوطات الأخرى. وتم وضع بعض العناوين الجانبية، وعمل فهرس بهذه العناوين في بداية الكتاب، كما أضفنا بعض الحواشى التوضيحية لتفسير الكلمات الغريبة ولا سيما التي ترجع إلى أصول قبطية أو يونانية.

كما حاولنا أن نقارن كافة الأقوال مع نظائرها باللغات القديمة الأخرى، وقد أضفنا شاهداً في نهاية الأقوال التي تم مقابلتها بغيرها يوضح المصدر الذي يقابل أيّاً من هذه الأقوال. مع ملاحظة أننا اكتفينا بمصدر واحد فقط في أغلب الحالات، يمكن بواسطته

الرجوع لباقي المصادر حسب الجدول المنشور في نهاية هذا الكتاب.

وقد الترمنا في النشرة الحالية بالنص التقليدي لبستان الرهبان القبطي الذي يقرأ في أديرتنا منذ مئات السنين، أثناء العجین وعلى مائدة الرهبان، والذي حافظ على تقليدنا الرهابي على مدى الأجيال، وهو الذي يعتبر حتى الآن الأساس في تلقين الرهبنة للرهبان الجدد. وقد اعتمدنا على ترتيب السير والأقوال كما وردت في مخطوط س ٤ بمكتبة دير القديس أنبا مقار، وهي مشابهة لدرجة كبيرة لكتاب «بستان الرهبان عن آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسيّة» الذي نشرته دار النسخ والتحrir القبطية الأرثوذكسيّة، والذي نُمِّت طباعته في ثلاثة أجزاء أعوام ١٩٥١، ١٩٥٢، و١٩٥٣، وذلك نقلًا عن نسخة سابقة عليه مخطوطة باليد ومطبوعة بطريقة التصوير المتاحة في ذلك الوقت، وكانت منقولة عن مخطوطات الأديرة.

إن حياة الرهبان الأوائل في صحراء مصر كانت قد اجذبت الكثير من الآباء والرهبان الأجانب، للتلمس على أيديهم والاقتداء بسيرتهم. ومنهم من قضى بقية حياته في وسطهم ولم يعد مرة أخرى إلى بلده، مثل القديس أرسانيوس، ومنهم من عاد إلى بلده وكان سببًا في تأسيس حياة رهابية على غرار ما عاشه في إسقاط مصر، أمثال القديسين إيلاريون وباسيليوس وإيفانيوس وكاسيان. كما وقد أيضًا عليهم بعض الرحالة الذين عاشوا وتلمسوا على أيديهم، ثم كتبوا ما رأوه وسمعوا منهم، من أمثال بالاديوس وروفيروس وجروم وجيرمانوس، ولهؤلاء يعود الفضل الأول في حفظ التاريخ لسير وأقوال هؤلاء القديسين.

وقد سُجلت سير قديسي الرهبنة الأوائل وأقوالهم في نصوص باللغات القبطية واليونانية واللاتينية، وصل إلينا الكثير منها في لغته الأصلية، ولكن بعضها لم يصل إلينا إلا

في ترجمات يونانية ولاتينية وسريانية وعربية وأثيوبية وأرمينية وجورجية وسلامفونية. كما وصل إلينا الكثير من كتابات الآباء السريان في نصوص سريانية. وعن هذه النصوص جمِيعاً تمت الترجمة إلى الكثير من اللغات الحديثة. ومحاولتنا في هذا الكتاب مقارنة النص العربي الذي بين أيدينا بهذه النصوص القديمة جمِيعاً.

إن تحقيق النص على مخطوطات الأديرة يرجع بالنص لبعض مئات من السنين وقت نسخة هذه المخطوطات، أما تحقيق النص على النصوص القبطية واليونانية واللاتينية والسريانية فيعود بالنص لما يقرب من ألف وخمسمائة سنة، وقت تحرير معظم أقوال آباء الرهبنة أو ترجمتها إلى هذه اللغات. وهذا هو الهدف الرئيسي من هذا العمل.

وتشمل النصوص القديمة الجمومعات الآتية (انظر جدول المراجع في أول الكتاب):

أولاً: النصوص باللغة اليونانية:

وتنقسم إلى خمس جمومعات: المجموعة المنسقة أبجدية، والمجموعة مجهمولة النسب، والمجموعة المنسقة موضوعياً، وأقوال خاصة بأحد القديسين، ثم كتب تاريخ رهبان مصر:
 (١) المجموعة الأبجدية، وتبدأ بالقديس أنطونيوس (حرف الألف)، وتنتهي بالقديس أور (حرف الأويمجا). وقد وضعنا في نهاية كل قول إسم صاحب القول مسبوقاً بالحروف الثلاثة الأبجدية الأولى *abc*.

(٢) المجموعة مجهمولة النسب، وهي أقوال البستان التي غالباً ما تبدأ بعبارة: سأل أخ شيخاً، أو: قال أحد الشيوخ، دون تحديد اسم الراهب أو القديس صاحب القول، وقد ميزناها بحرف *An* اختصاراً لكلمة *Anonymous* (بدون اسم أو بدون توقيع).

(٣) المجموعة المنسقة موضوعياً، وتم تجميع الأقوال المشابهة معًا، تحت عناوين مثل

التواضع والطاعة والعرفة والتمييز، وما إلى ذلك. وقد ميزناها إما بالأحرف Sys اختصاراً لكلمة *Systematic* (أي موضوعية أو منهجية)، أو بحري PE اختصاراً لاسم *Paul Evergetinos* وهو راهب عاش في القرن الحادي عشر، وكان قد قام بنشر هذا التجميع باللغة اليونانية، ثم ترجم في العصر الحديث لعدة لغات، منها اللغة العربية بواسطة الأب الراهب اسحق عطالله الآشوري، تحت عنوان: *كيف نحيا مع الله، مختارات إفريتنيوس*.

(٤) والمجموعة الرابعة هي سيرة وأقوال بعض القديسين، مثل سيرة القديس أنطونيوس *Vit. Ant.* وآبنا مقار *Vit. Mac.*، وسيرة القديس باخوميوس في كتاب الشركة الباخومية *Pach.*، أو أقوال القديس مار إشعيا الإسقطيبي *Isaiah*، أو أقوال مار إسحق السرياني في الميامر المعروفة باسمه (ترجمة إلى اليونانية) *Isaac*، أو القديس دوروثيؤس الغزاوي *Dor*، أو رسائل القديس برصنوفيوس *Bar*، أو كتاب سلم الدرجى *Lad.*

(٥) كتب تاريخ رهبان مصر، وأشهرها التاريخ اللوزياكي لبلاديوس (أوائل القرن الخامس)، ووضعنا له الرمز *Pal* والأصل اليوناني لتاريخ الرهبان المصريين الذي ترجمه روفينوس لللاتينية (القرن الخامس) ورمزه *gr Hist. gr*

(٦) مجموعة قصص وأقوال للرهبان الأوائل جمعها إفاجريوس البنطى (أوغريس) ورمزها *Evag. Prat.*

ثانياً: النصوص باللغة القبطية:

(١) النصوص التي تم نشرها باللهجة البحيرية وقد وضعنا لها اختصاراً الحرفين *Am* اختصاراً لاسم العالم *Amélineau* الذي قام بنشر هذا

العمل، ويحتوي كتابه هذا على سيرة القديس بولا أول السواح، وأقوال القديس أنطونيوس، وسيرة القديس أثينا مقار، وكتاب فضائل أثينا مقار، وأقواله، وسيرة أثينا مقار الإسكندرى، وسيرة القديسين مكسيموس ودوماديوس، وحياة القديس يوحنا القصير.

(٢) النصوص التي نشرت في اللهجة الصعيدية، واختصارها *Chaine* نسبة للعام *Chaine* الذي نشر هذه الأقوال، وهي تجمیع لمجموعة من قصاصات المخطوطات المنتشرة في مكتبات العالم.

(٣) كتب سير قديسي الرهبنة القبطية، مثل كتاب الشركة الباخومية الذي له أصل قبطي بحيري، بالإضافة إلى أصول يونانية. وسيرة القديس أثينا مقار وله أصول قبطية ويونانية وسريانية.

ثالثاً: النصوص باللغة اللاتينية:

(١) أقوال الآباء الرهبان في نصوص أو ترجمات لاتينية، ورمزنا لها بالحرفين PA نسبة للراهب اللاتيني *Paschase* الذي قام بتجمیع هذه الأقوال في القرن السادس الميلادي، وهذه المجموعة نشرة مختصرة رمزنا لها بالحرفين *Pa*.

(٢) الترجمة اللاتينية لتاريخ الرهبان المصريين التي قام بها روفينوس (القرن الخامس)، واختصاراً *Hist. Lat*.

(٣) مناظرات القديس يوحنا كاسيان مع رهبان إسقسط مصر، واختصارها *Cass. Conf.*.

رابعاً: النصوص باللغة السريانية:

(١) وأشهرها ميامر مار إسحق المسرحيان *Isaac*، ورسائل يوحنا الدليانى

المعروف باسم الشيخ الروحاني *Dal*.

(٢) أقوال آباء الرهبنة المعروفة باسم فردوس الآباء، والتي ترجمها حنان عيشو في القرن السابع للسريانية، ورمنا لها بالحرفين *Bu* نسبة للعالم *Budge* الذي قام بنشرها.

خامساً: ترجمات قديمة:

هناك ترجمات قديمة لا تقل أهمية عن النصوص الأصلية، وذلك بسبب ترجمتها في عصور قديمة، كما أنها احتفظت لنا، مثلها مثل اللغة العربية، بنصوص قديمة لم تعد موجودة باللغات الأصلية التي كتبت بها، وهي الترجمة للغة الأرمنية، وجعلنا لها الرمز *Eth* واللغة الإثيوبية ووضعنا لها الرمز *Arm*.

نطلب من الرب يسوع المسيح أن يجعل من سيرة وأقوال قدسي الرهبنة هادياً للطريق، ومرشداً لحيي حياة الفضيلة، وخاصة الرهبان الجدد الذين يتلمسون الطريق لرهبنة الآباء الأصلية، بصلوات جميع هؤلاء القديسين، وبشفاعة أمنا السيدة العذراء القدسية مريم.

بِسْمِ الَّأَبِ وَالْابْنِ وَالرُّوحِ الْقَدِيسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ أَمِينٌ

القديس أنطونيوس الكبير

- ١ - قال القديس أنطونيوس: «رأس الحكمة خاففة الله». وقال أيضًا: «كما أنّ الضوء إذا دخل إلى بيت مُظلم طرد ظلمته وأناره، هكذا خوف الله إذا دخل قلب الإنسان طرد عنه الجهل وعلمه كلّ الفضائل والحكمة». (س: ٥ ظ) (Sys. III, 17)
- ٢ - قيل عن القديس أنطونيوس: أنه كان من أهل صعيد مصر من جنس الأقباط، وسيرته عجيبة طويلة إذا استوفيناها شرحاً... وإنما نذكرُ اليسير من فضائله: إنه لما ثُوفي والده دخل إليه وتأمل، وبعد تفكير عميق قال: «تبارك اسم الله، أليست هذه الجثة كاملة ولم يتغير منها شيءٌ البتة سوى توقف هذا النّفسُ الضعيف. فأين هي هُستك وعزمك وأمرك وسلطتك العظيمة وجامعك للمال. إنني أرى الجميع قد بطلَ وتركْته... فيا لهذه الحسرة العظيمة والخسارة الجسيمة». ثم نظر إلى والده وقال: «إن كنت قد خرحتَ أنت بغير اختيارك فلا أَعْجَبَنَّ من ذلك، بل أَعْجَبُ أنا من نفسي إنْ عملتَ كعملك». ثم أنه بهذه الفكرة الواحدة الصغيرة ترك والده بغير دفن. كما ترك كلّ ما خلفه له من مال وأملاك وحشمت، وخرج هائماً على وجهه قائلاً: «ها أنا أخرج من الدنيا طائعاً كي لا يخرجوني مثل أبي كارهاً». ولم يزل سائراً حتى وصل إلى شاطئ النهر حيث وجد هناك حُمِيزة كبيرة وعندها بربا^(١)، فسكن هناك ولازم النسل العظيم والصوم الطويل.

^(١) بربا من الكلمة القبطية الصعيدية περπη ومعناها هيكل أو معبد، وتأتي بالقبطي البحري πιερφει.

وكان بالقرب من هذا الموضع قومٌ من العربِ، فاتفق في يومٍ من الأيام أنْ امرأةً جميلةً الصورة من العربِ نزلتْ مع جواريها النهرَ لتغسلَ رجليها، ورفعتْ ثيابها وجواريها كذلك. فلما رأى القديسُ أنطونيوس ذلك حولَ نظره عنهنَّ وقتاً ما ظناً منه أنهنَّ يمضينَ. ولكنَّهنَّ بدأنَّ في الاستحمامِ في النهرِ. فما كانَ من القديسِ إلا أنه قالَ لها: «يا امرأةً أما تستحينَ مِنِي وأنا رَاهبٌ؟ أمَّا هي فأجابته قائلةً له: «اصمُّتْ يا إنسان. من أين لك أن تدعوني نفسكَ راهباً؟ لو كنتَ راهباً لسكنَتَ البريةِ الداخليةَ، لأنَّ هذا المكانَ لا يصلُحُ لسكنِي الرهبانَ».

فلما سمعَ أنطونيوس هذا الكلامَ لم يرُدْ عليها جواباً، وكثُرَ تعجبه لأنَّه لم يكن في ذلك الوقت قد شهدَ راهباً ولا عَرَفَ اسمَه. فقالَ في نفسه: «هذا الكلامُ ليس من هذه المرأةِ، لكنَّه صوتُ ملاكِ الربِ يوبيخُني». وللوقتِ تركَ الموضعَ وهرَب إلى البريةِ الداخليةِ وأقامَ بها متوحداً. لأنَّه ما كانَ في هذا الموضعِ أحدٌ غَيْرُه في ذلك الوقتِ، وكانت سُكناه في قريةٍ قديمةٍ كائنةٍ في جبلِ العربيةِ. صلاةُه تكونُ معناً آمين. (س: ٥ ظ)

٣ - وكان يوماً جالساً في قلاليته^(٢) فأتى عليه بعثةٌ روحٌ صغيرٌ نفسٌ ومللٌ وحيرةٌ عظيمةٌ، وضاقَ صدرُه، فبدأ يشكُرُ إلى اللهِ ويقولُ: «يا ربُّ إني أحبُّ أنْ أخلصَ لكنَّ الأفكارَ لا تتركُني، فماذا أصنعُ؟» وقامَ من موضعِه وانتقلَ إلى مكانٍ آخرَ وجلسَ. وإذا برجلٍ جالسٍ أمامِه وعليه اسطوانةً ومتواشحٌ بزئارٍ صليبٍ مثل الإسكيمِ، وعلى رأسِه كوكلس^(٣) شبهُ الخُوذةِ، وكانَ جالساً يُضفرُ الخوضَ^(٤). وإذا بذلك الرجلَ يتوقفُ عن

^(١) قلالية من الكلمة اليونانية κελλίον، ومعناها حجرة أو غرفة.

^(٢) من الكلمة اليونانية κουκούλιον المشتقة عن اللاتينية cucullus ومعناها غطاء للرأس.

^(٣) يأتي هذا الوصفُ في النصِ العربي، أما النصُ اليوناني فيكتفي بالقول: [رأى رجلاً يشبهه جالساً يعمل]، دون أن يذكر شكلَ ملابسه.

عملهٗ ويقفُ ليصلي. وبعد ذلك جلس يُضفرُ الخوصَ ثم قام مرةً ثانيةً ليصلي، ثم جلس ليشتعلَ في ضفرِ الخوصِ، وهكذا... أما ذلك الرجل فقد كان ملاكَ اللهُ أَرْسِلَ لعزاءِ القديسِ وتقويمِهِ، إذ قال لأنطونيوس: «اعملْ هكذا وأنت تستريح»، ومن ذلك الوقتِ آتَىَّ خدُّ أنطونيوس لنفسِهِ ذلك الزيَّ الذي هو شكلُ الرهبنةِ، وصار يُصلي ثم يشتعلُ في ضفرِ الخوصِ؛ وبذلك لم يَعُدْ المللُ يضايقه بشدةٍ. فاستراح بقوةِ الربِ يسوعَ له المجد.

(س: ٥) (ج) (١) (Abc. Anthony)

من تعاليم القديس أنطونيوس:

٤ - قال: «إنَّ أَوَّلَ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ أَنْ تَصْلِيَ بِلَا مَلِلٍ، وَاشْكُرْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْكَ. وَإِذَا قُمْتَ بِاَكْرَأْ كُلَّ يَوْمٍ اسْأَلْ عَنِ الْمَرْضِيِّ الَّذِينَ عَنْدَكَ. لَا تَتَحَدَّثُ مَعَ صَيّْرٍ وَلَا تَعَاشِرُهُ بِالْجَمْلَةِ وَلَا تَرْهِبِنَّهُ بِسُرْعَةٍ، وَلَا تَرْقُدْ عَلَى حَصِيرَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْكَ، وَلَا تَخَالطُ عَلَمَانِيَا بِالْجَمْلَةِ، وَلَا تَقْتَرَبُ إِلَيْكَ امْرَأَةٌ وَلَا تَدْعُهَا تَدْخُلُ عَنْدَكَ، فَالْعَظَبُ يَمْشِي خَلْفَهَا، وَلَا تَعْدُ تَفْتَقِدُ أَهْلَكَ الْجَسْدَانِيِّينَ. وَلَا تُعْطِ لَهُمْ وَجْهَكَ لِيَنْظُرُوكَ. لَا تُبِقِّ لَكَ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِكَ، وَلَا تَدْفَعْ أَكْثَرَ مِنْ طَاقَتِكَ، وَصَدَقَكَ أَعْطَهَا لِفَقَرَاءِ دِيرِكَ. وَإِذَا حَدَّثَتْ عَثَرَةً بِسَبِّبِ شَابٍ لَمْ يَلْبِسِ الإِسْكِيمَ^(٥) فَلَا تُرْهِبْهُ بِلَأَخْرَجَهُ مِنِ الدِّيرِ بِسُرْعَةٍ».

(س: ٥) (ظ) (٦)

٥ - حدث أنه لَمَّا دَخَلَ القديسُ الْبَرِّيَّةَ الدَّاخِلِيَّةَ، أَنَّ الشَّيَاطِينَ نَظَرُتْ إِلَيْهِ مُتَرْعِجَةً. فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ: «يَا صَيّْرَ الْعُمَرِ وَالْعُقْلِ، كَيْفَ تَحَاسِرَ وَدَخُلَتَ بِلَادَنَا، لَأَنَّا مَا رَأَيْنَا بَشَرًا آدَمِيًّا سُواَكَ». وَابْتَدَأُوا يَجَاهِدُونَهُ كُلُّهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَقْوَيَا، مَاذَا تَرِيدُونَ مِنِّي أَنَا الْضَّعِيفُ الْمُسْكِينُ؟ وَمَا هُوَ مَقْدَارِي حَتَّى تَجْمَعُوكُمْ كُلُّكُمْ عَلَيَّ. أَلَا

^(٥) الإِسْكِيمُ مِنَ الْكَلْمَةِ الْيُونَانِيَّةِ *αἰσχύλος*، وَمِنْهَا الشَّكْلُ أَوِ الْهَيْثَةُ، وَمِنْهَا الْكَلْمَةُ الْقَبْطِيَّةُ *ءَاشِعَل*.

تعلمونَ أني ترابٌ ووسخٌ وكلا شيءٍ، وضعيفٌ عن قتال أحدِ أصاغِركم». وكان يُلقي بذاته على الأرض ويصرخُ ويقول: «يا ربُّ أعني وقوًّا ضعفي. ارحمني يا ربُّ فإلي التحاتِ إليك. يا ربُ لا تحملْ عني ولا يقوَّ عليَّ هؤلاء الذين يحسبونَ أني شيءٌ. يا ربُ أنتَ تعلمُ أني ضعيفٌ عن مقاومة أحدِ أصاغرِ هؤلاء». فكانت الشياطينُ إذا سمعتْ هذه الصلاةَ المملوءةَ حيَاً واتضاعاً تهربُ منه ولا تقدرُ على الدنوِّ منه. (س:٥ ج:١٧)

٦ - وحدَثَ أَنْ جَمَعَ الْأَرْكُونُ^(٤) (أي رئيسُ الشياطينِ) كُلُّ آلاتِ اللَّهِ وَالظُّرُبِ وَاللَّذَاتِ وَالنَّعِيمِ وَالنَّسَاءِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الرَّبِّيَّ وَاللَّذَاتِ. أَمَّا هُوَ فَكَانَ يُغَمِّضُ عَيْنِيهِ وَيَقُولُ: «عَجَباً مِنْكُمْ. كَيْفَ يَجْعَلُونَ لِي مَقْدَاراً وَتَحْتَالُونَ فِي سُقُوطِي، مَعَ إِنِّي ضَعِيفٌ عَنْ مَقَاوِمَةِ أَحَدِ أَصَاغِرِكُمْ. ابْعَدُوهُ عَيْنِي وَعَنْ ضَعْفِي أَنَا الْمُسْكِنُ الْتَّرَابُ وَالرَّمَادُ». وَبِذَلِكَ كَانَتِ الْأَفْكَارُ تَسْقُطُ عَنْهُ بِمَعْنَوْنَةِ اللَّهِ، وَالشَّيَاطِينُ كَانَتْ تَحْرُقُ لَكْثَرَةِ اتَّضَاعِهِ. وَفِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تُحْضِرُ لَهُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ التَّخْوِيفِ وَالْإِزْعَاجِ وَالتَّهْوِيلِ وَالْعَذَابِ. وَهُوَ يَصْرَخُ إِلَى اللَّهِ بِاتَّضَاعِ وَيَقُولُ: «إِنْجَدْنِي يَا ربُّ بِمَعْنَوْنِكِ وَلَا تَبْعُدْ عَنْ ضَعْفِي». وَلَلْوَقْتِ كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَهُبُّ عَنْهُ. وَمَرَّاً كَثِيرَةً أَيْضًا كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَهُجُّ عَلَيْهِ وَتَضْرِبُهُ ضَرَّاً مَوْلَىً. وَهَكُذا أَقَامَ الْقَدِيسُ أَنْطَوْنِيوسُ ثَلَاثِينَ عَامًا إِلَى أَنْ نَظَرَ الْرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ إِلَى كَثَرَةِ اتَّضَاعِهِ وَصَبَرَهُ وَاحْتَمَالَهُ وَكَسَرَ عَنْهُ شِدَّةَ الْأَعْدَاءِ. صَلَاتُهُ تَكُونُ مَعْنَا آمِينَ. (س:٥ ج:١٧)

٧ - قال القديس أنطونيوس: «أدبٌ بخوفِ الله ولا تُشفقُ. لا تأخذْ بوجهِ كبيرٍ ولا صغيرٍ، بل اقطعْ بكلامِ الحقِّ باستقامةٍ. احرُسْ ثيابَكِ لثلا تمسيَّ عُرياناً في يومِ الحُكْمِ ففتقَضَحْ. كُلُّ خبزَكِ بسَكينةٍ وهدوءٍ وإمساكٍ. وجلوسُكِ يكونُ بآدَبٍ. ولا تتبعُ جميعَ

^(٤) الأركون من الكلمة اليونانية ἀρχόντες، ومعناها رئيس أو حاكم.

أفكارك. إذا ضربَ الناقوسُ لا تتوانَ عن الحضورِ إلى الكنيسةِ، ولا تتقمقُ في عملِ ما. لا تُعيّر أحداً مهما كانت الأسبابُ. إذا مضيَتْ إلى آخرٍ فلا تُطبعَ في قلاليته. لا تتحدثُ في الكنيسةِ ولا تجلسُ في أرقةِ الدّيرِ. لا تحلفُ البتةَ لا بشكٍ ولا بحقٍ. لا تمضِ إلى كنيسةٍ يجتمعُ فيها الناسُ ولا تُلْبِّ دعوةَ وليمةٍ. لا تَقْعُ بعملٍ من الأعمالِ إلا بعد استشارةِ أبِ الدّيرِ. لا تُظهرْ صوتكَ إلا في صلاةِ الفرائضِ. والزَّمِّ الحزنَ على خطاياكِ كمثلِ من عنده ميتٌ. أو قدْ سراجَكِ بدموغِ عينيكِ. لا تتحدثُ بأفكارِكِ لجميعِ الناسِ إلا الذين لهم قوّةٌ على خلاصِ نفسِكِ. واشتغلْ بكلِّ قوتِكِ ليتمحَّدْ أبوكِ الذي في السماواتِ. أدبُ ابنكِ بلا شفقةٍ فديونته عليكِ. لا تأكلْ حتى تشبعَ ولا تَنْمِ إلا يسيراً بقدرِ. لا تكنْ مُقاتلاً باللسانِ. اجعلْ كلَّ أحدٍ ييارُكُكِ، والرَّبُّ يسوعُ المسيحُ يُعينُكِ على العملِ بِعِرضاتهِ». له المجد إلى الأبدِ آمين. (س: ٥١٧ ظ)

٨ - وقال أيضاً: «كما أنَّ السمكَ إذا خرجَ من الماءِ يموتُ، كذلك الراهبُ إذا خرجَ من قلاليته يموتُ خوفُ اللهِ من قلبهِ». (س: ٥١٨ ج) (Abc. Anthony 10)

٩ - قيل: إنَّ بعضَ الإخوةِ في الإسقاطِ انفعوا على زيارةِ القديسِ أنطونيوسَ، فلما ركبوا المركبَ وجدوا فيها شيخاً من الآباءِ يُريدُ المُضيَّ إليهَ كذلكَ، ولم يُكنِ الإخوةُ يعرفونه. ثمَّ أنَّ الإخوةَ اندفعوا يتقدّمونَ حديثَ الآباءِ وبما جاءَ في الكتبِ ويذكرونَ أيضاً صناعةَ أيديهم. والشيخُ جالسٌ يسمعُ صامتاً. فلما صعدوا من المركبِ علِّمُوا أنَّ الشيخَ ماضٍ معهم إلى القديسِ أنطونيوسَ. فلما وصلوا إليه نظرُ إليهم القديسُ وقال للإخوةِ: «نعمَ الرفيقُ وجدتُموهُ، أعنيَ الشيخَ». ثمَّ قال للشيخِ: «نعمَ الرفقَةَ وجدتُمَّ أَيَّها الأَبُ». فقالَ لهُ الشيخُ: «أمَّا هُمْ فجيادٌ، ولكنَّ دارَّهُمْ ليسَ عليها بابٌ، فإذا أرادَ أحدُ الدخولِ إلى الإسطبلِ ليحُلُّ الحِمارَ ويأخذُهُ، ما كانَ لهُ مانعٌ. أعنيَّ أَنَّهُمْ يتكلّمونَ بكلِّ ما يبحري

على ألسنتهم». (س:٥ ١٨ ج) (Abc. Anthony 18)

١٠ - قيل: أتى إخوة إلى الأنبا أنطونيوس وقالوا له: «يا أبانا، قُل لنا كيف نخلص؟» فقال لهم: «هل سمعتم ما يقوله الرب؟» فقالوا: «من فمك أيها الأب». فأجابهم قائلاً: «من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر». فقالوا له: «ما نطيق ذلك». قال لهم: «إن لم تطقو ذلك فاصبروا على اللطمة الواحدة». فقالوا له: «ولا هذه نستطيع». فقال لهم: «إن لم تستطعوا فلا تخذروا من يظلمكم». فقالوا له: «ولا هذا نستطيع». فما كان من القديس إلا أن دعا تلميذه وقال له: «أصلح مائدة واصرفهم لأئم مرضى. إن هذا لا يطقوه، وذلك لا يستطيعون، ووصايا الرب لا يريدون، فماذا أصنع لهم»؟!. (س:٥ ١٨ ج) (Abc. Anthony 19)

١١ - قال الأنبا أنطونيوس: «إن للجسد ثلات حركات: الأولى من الطبيعة تتحرك فيء، ولكنها ليست عاملة ما لم توافقها النية. والحركة الثانية تتولى من الراحة وترفيه البدن وتعييه بالطعام والشراب. فيسخن الجسد ويهيج الدم ويحرّك إلى الفعل. ولذلك قال رب: انظروا لثلا ثقل قلوبكم بالشبع والسكر. والرسول يقول: لا تسکروا بالخمر الذي منه الخلاعة. أما الحركة الثالثة فإنما تهيج على المحاهدين من حشد الشياطين. وعلى ذلك فالحركة الأولى طبيعية والاشتتان الآخران عرضيتان، وفي استطاعتنا أن تقبلهما أو ترْفَضَهما إذا شئنا». (س:٥ ١٨ ظ) (Abc. Anthony 22)

١٢ - وقال أيضاً: «الذي يطرق سبكة من الحديد يسبق أولاً فيتمثل في فكره ما هو عتيّد أن يفعله، إما منحلاً أو سكيناً أو فأساً وهكذا. فسيلنا. نحن أيضاً أن نفكّر في كل شيء نبدأ في العمل فيه لثلا يكون عملنا باطلًا». (س:٥ ١٨ ظ) (Abc. Anthony 35)

١٣ - وقال أيضاً: «إن الطاعة والتمسك يُخضعان لنا الوحوش». (س:٥ ١٨ ظ)

١٤ - وقال أيضاً: «ليكن خوفُ اللهِ بينَ أعينِكم دائمًا، واذكروا من يُميتُ ويُحيي، وأبغضوا العالمَ وكلَّ ما فيه من نياحِ الجسدِ، ولا تهتموا بهذه الحياة الفانية لتحيوا باللهِ. واذكروا ما وعدتم به اللهُ فإنه سوف يطالبُكم به في يومِ الدينونةِ. جوعوا. اعطشوا. اسهروا. تعرّوا. نوحوا. ابكونا. تنهدوا واحزنوا في قلوبِكم، هل أنتم مستحقون للهِ؟ هماونوا بالجسدِ لتحيا أنفسُكم». (س: ٥ ظ) (Abc. Anthony 33)

١٥ - سُئل القديس أنطونيوس^(٧): «ما هو العملُ الجيدُ؟» فأجاب وقال: «إنَّ الأفعالَ الحديدة كثيرةٌ، لأنَّ الكتابَ يقول: إنَّ إبراهيمَ كان مُضيِّفًا للغرباءِ وَكان اللهُ معه، وإيليا كان يُؤثِّرُ سُكُنَ البريةِ والوحدةَ وَكان اللهُ معه، وداود كان متَّضِعًا وَوَدِيعًا وَكان اللهُ معه، ويُوسفَ كان حليماً عفيفاً وَكان اللهُ معه. فالذى يُحبُّ قلبَك من كلِّ هذا اعمَّله من أجلِ اللهِ واحفظْ قلبَك. وإذا قاتلتُكَ أفكارٌ كثيرةٌ فقاتلْ أنتَ رأسَها، فإنْ هزمَتَه الْهُزُمَ باقيها». (س: ٩ ج) (Abc. Nisteros 2)

١٦ - وقال أيضاً: «ينبغي لمن يُشَتَّمُ أن يعتقدَ في نفسه أنه هو السببُ في شتمِه لسوءِ فعله. فيُصبحُ الشاتمُ مذللاً له من الخارجِ، في الوقتِ الذي يُصبحُ هو مذللاً لنفسِه من الداخلِ. مثله في ذلك مثل داود النبيُّ الذي منعَ أصحابَه من قتلِ شاتمه إذ قال لهم: دَعُوهُ فإنَّ الرَّبَّ جَعَلَهُ يَشْتَمُّ. دَعُوهُ حتَّى يَنْظَرَ الرَّبُّ ذُلْيَ وَيرْحَمَيَّ. وأنَّ يتشبهَ (المشتومُ) بالسيدِ المسيحِ، لأنَّه لَمَّا شُتِّمَ لم يَشْتَمِّ. وأنَّ تَفْتَكِرَ في شاتمِكَ أَنَّه قد عَتَقَكَ من السُّبُّح الباطلِ إن احتملَته بِمَعْرِفَةٍ. وأنَّه قد أَرْسَلَ لكَ على لسانِه الدُّوَاءَ النافعَ. أَقْسِرْ ذَاكَ

^٧ في النص اليونياني يأتي هذا القول على هيئة سؤال لأحد الآباء الذي ذكر أن الأب نستروس حصل على هذه الإجابة من القديس أنطونيوس.

وتعود قطعَ مشيتكِ، وبنعمَةِ المسيح تبلغُ إلى ممارسةِ كلّ أمورِك بدونِ قَسْرٍ ولا حزنٍ. أحسنَ إلى كلّ أحدٍ، وإنْ لم تقدرْ فأحِبَّ كلّ أحدٍ. وإنْ لم تستطعْ فلا أقلَّ من أن لا يبغضَ أحداً. ولن يتيسَّر لك شيءٌ من ذلك ما دُمْتَ ثُحبُ العالميات». (س: ٥ ج: ١٩)

١٧ - وقال أيضاً: «إنْ حدَثَكَ أحَدٌ بأفكارِه فاحذِرْ أن تُظاهِرَها لأحدٍ، بل صلّ عنِه وعنِكَ كي تخلصَا معاً. إنْ أمرتَ بشيءٍ يوافقُ مشيئةَ الله فاحفظْهُ. وإنْ أمرتَ بما يخالفُ الوصايا فقل إِن الطاعةُ لله أَوْلى من الطاعةِ للناسِ. واذْكُر قولَ الربِّ: إنَّ غَنَمي تعرفُ صوتي وتتبعُني وما تتبعُ الغريبَ». (س: ٥ ج: ١٩)

١٨ - قالوا له: «هل جيدٌ للراهبِ أن يكتفيَ بذاتهِ ولا يأخذَ من الإخوةِ ولا يعطيهم؟» قال: «إنَّ تصرُّفَ الراهبِ هكذا فهو يعيشُ بلا اتصاصٍ ولا رحمةٍ، ويَعِدُ بذلك من الخيراتِ المعدَّةَ للمتضعين والرحماءِ». (س: ٥ ظ: ١٩)

١٩ - وسألوه أيضًا: «إنْ كان جيدٌ أن يكتفيَ الراهبُ بنفسِه. إذاً فلا هو يخدمُ أحداً ولا يدعُ أحداً يخدمُه كذلك؟» قال: «إنَّ الربَ علِمنَا أن نَخدمَ إِخوتَنا كما يخدمُ العبيدُ سادَتَهم. وكما شدَّ هو وَسَطَه وغَسلَ أرجلَ التلاميذِ. ولا نمتنعُ من أن نُخدِّمَ لأنَّ بطرسَ لما امتنعَ من غَسلِ رجليهِ، قال له المسيحُ: إنْ لم أغسلكَ فلن يكونَ لكَ نصيبٌ معِي». (س: ٥ ظ: ١٩)

٢٠ - قالوا له: «ما معنى قولُ الرسولِ: افْرَحُوا بالربِّ؟» قال: «إذا فَرِحْنَا بإتمامِ الوصايا فهذا هو الفرحُ بالربِّ. فلنفرحُ بتكميلِ وصايا الربِّ وبنجاحِ إِخوتَنا. ولنحفظَ أنفسَنا من فَرَحِ العالمِ والضَّحْكِ إن أردنا أن نكونَ من خواصِ ربِّنا. لأنه قال: إنَّ العالمَ يفرحُ وأنتم تبكون. كما قال أيضًا: الويلُ للضاحكينِ والطوبى للباكيين. ولم يُكتبْ عنه قط أنه ضَحِكَ بل كُتبَ عنه أنه حَزِنَ ودَمَعَتْ عيناهُ». (س: ٥ ظ: ١٩)

٢١ - سُلَّمَ أَخُو الْأَنْبِيَا نَطْرُونِيُوسْ قَائِلًا: «مَاذَا أَعْمَلُ لَكِ أَجَدَ رَحْمَةَ اللَّهِ؟»؟ أَجَابَهُ الْقَدِيسُ قَائِلًا: «كُلُّ مَوْضِعٍ تَمْضِي إِلَيْهِ اجْعَلَ اللَّهَ بَيْنَ عَيْنِيكَ، وَكُلُّ عَمَلٍ تَعْمَلُهُ يَكُونُ لَكَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ الْكِتَبِ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ تَسْكُنُهُ لَا تَنْتَقِلُ مِنْهُ بِسْرُعَةٍ». احْفَظْ هَذِهِ التَّلَاثَةَ تَجْدُ رَحْمَةً». (س:٥ ظ:٣) (Abc. Anthony 3)

٢٢ - سُلَّمَ الْأَنْبِيَا بِمَوْا الْقَدِيسَ نَطْرُونِيُوسَ عَمَّا يَصْنَعُ لَخْلَاصِهِ، فَقَالَ لَهُ: «لَا تَتَكَلَّ عَلَى بَرْكَ وَلَا تَصْنَعُ شَيْئًا تَنْدَمُ عَلَيْهِ. وَأَمْسِكْ لِسَانَكَ وَبَطْنَكَ وَقَلْبَكِ». (س:٥ ظ:١٩) (Anthony 6)

٢٣ - قَالَ الْأَنْبِيَا نَطْرُونِيُوسْ لِتَلَامِيذهِ: «أَنَا لَا أَخَافُ اللَّهَ». فَقَالُوا لَهُ: «مَا هَذَا الْكَلَامُ الصَّعِبُ يَا أَبَانَا؟». قَالَ: ««نَعَمْ يَا أَوْلَادِي، لَأَنِّي أُحِبُّهُ، وَالْحُبُّ يَطْرُدُ الْخُوفَ»». (س:٥ ج:٣٢) (Abc. Anthony 32)

٢٤ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِنْ شِئْتَ أَنْ تَخْلُصَ فَلَا تَدْخُلْ بَيْتَكَ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ. وَلَا تَسْكُنْ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي أَخْطَأْتَ فِيهَا. وَلَا تُبْصِرْ أَبُوكَ وَلَا أَقْرَبَاءَكَ الْجَسَدَانِيَّينَ، وَإِلَّا فَأَنْتَ تَقْيِيمُ زَمَانَكَ كُلُّهُ بِغَيْرِ ثَمَرَةٍ. لَا تَأْكُلُ مَعَ امْرَأَةٍ. وَلَا تَصَادِقْ صَبِيًّا الْبَتَّةَ. لَا يَرُقُّدْ اثْنَانٌ مِنْكُمْ عَلَى حَصِيرَةٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذَا نِمْتَ لَا تُدْخُلْ يَدَكَ دَاخِلَكَ لَثَلَا تَخْطِيَ بِغَيْرِ هُوَاكَ. لَا تَحُلْ مِنْطَقَتِكَ وَأَنْتَ قَوِيٌّ. وَإِذَا تَعَرَّيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ جَسَدَكَ، وَلَا تَمْسِكْ خَدَّا قَرِيبَكَ وَلَا يَدَهُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا. لَا تَعْدِ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي أَخْطَأْتَ اللَّهَ فِيهَا دَفْعَةً أُخْرَى لَعْلًا تَقْعَ فِي فَخْ وَعَشْرَةَ». أَتَعْبُ نَفْسَكَ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ فَهِيَ تَخْلُصُكَ مِنَ النَّعْجَاسَةِ. إِنْ جَلَسْتَ فِي حِزَارَاتِكَ قُمْ بِعَمَلِ يَدِيْكَ. وَلَا تُخْلِنْ اسْمَ الرَّبِّ يَسُوعَ، بِلْ أَمْسِكْهُ بِعَقْلِكَ وَرِئَلْ بِهِ بِلْسَانِكَ وَفِي قَلْبِكَ. وَقُلْ: يَا رَبِّي يَسُوعَ الْمَسِيحُ ارْحَمْنِي. يَا رَبِّي يَسُوعَ الْمَسِيحُ أَعْنِي. وَقُلْ أَيْضًا: أَنَا أَسْبَحُكَ يَا رَبِّي يَسُوعَ الْمَسِيحَ. اخْتَرِ التَّعْبَ فَهُوَ يُخْلِصُكَ مِنْ جَمِيعِ الْفَوَاحِشِ مَعَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّهْرِ. لَأَنْ تَعْبَ الْجَسَدِ يَجْلِبُ الطَّهَارَةَ لِلْقَلْبِ، وَطَهَارَةُ الْقَلْبِ تَجْعَلُ

النفس ثُمِرُ. لا تجعل نفسك معدوداً بالجملة وأنت تتفرغ لتبكي على خطيئتك. إياك والكذب فهو يطرد خوف الله من الإنسان. لا تتحدى بأفكارك لكل أحد لثلا تكون عشرة. لتكن متابعاً في شغل يديك فتأتيك خوف الله. أحب الاتضاع فهو يعطي جميع الخطايا. لا تكون قليلاً السمع لثلا تكون وعاء لجميع الشرور. ضع في قلبك أن تسمع لأيك فتحل بركة الله عليك». (س: ٥ ج) (Sys. 7 53)

٢٥ - ادعوا مرة على أخي في ديره بأنه زئي. فخرج من ديره وجاء إلى موضع أنطونيوس. فجاء إخوه ديره ليروعوه وبدعوا يوبخونه بأنه فعل كذا وكذا. أمّا هو فأجاب بأنه لم يفعل شيئاً من هذا. واتفق أن أبا بفنوتيوس كان هناك. فقال لهم مثلاً: «رأيت رجلاً على شاطئ النهر وقد رمأه في الطين إلى ركبتيه. فجاءه قوم ليساعدوه فخطسوه إلى كتفيه». فلما أنبي أبا بفنوتيوس بكلام بفنوتيوس قال: «إن هذا الرجل قادر أن يشفى ويخلص النفوس». فلما سمع الإخوة ندموا على الكلام الذي قالوه وضرروا المطانية^(٨) للأخ وحملوه إلى ديره. (س: ٥ ظ) (Abc. Anthony 29)

٢٦ - قال الأنبا أنطونيوس: «لا تفتر على أخيك ولو رأيته عاجزاً عن إتمام جميع الفرائض لثلا تقع في أيدي أعدائك. الخطايا القديمة التي فعلتها لا تفكّر فيها لثلا تتحدد عليك. لا تتوهم أنك عالم وحكيّم لثلا يذهب تعبك سدى وتمر سفيتك فارغة. عود لسائلك القول في كل شيء وفي كل وقت ولكل أخي والله تعالى: اغفر لي، فتأتيك الاتضاع. لا تذكر لهوك ولذاتك في زمان كسلك، ولا تتحدى عنها لثلا يصبح ذكرها لك عشرة. إذا جلست في قلابتك فلا تفارق هذه الأشياء: القراءة في الكتب، التصرّع إلى الله، شغل اليد. أطلب التوبة في كل لحظة. ولا تدع نفسك للكسل لحظة واحدة. تفكّر

^٨ مطانية أي سجدة، وهي من الكلمة اليونانية *μετάνοια*، و معناها تغيير الذهن أو العقل، أي التوبة.

في كل يوم أنه آخر ما بقي لك في العالم، فإن ذلك ينذرك من الخطية. واعلم أن الاتضاع هو أن تُعد جميع البشر أفضل منك، متأكدًا من كل قلبك أئك أكثر منهم خطيئةً. ويكون رأسك منكساً ولسانك يقول لكل أحد: اغفر لي. لا تتكلم قط في هموم الدنيا بشيء. احذر من أن تحب بلوغ شهواتك وأغراضك. بعض الجسد وارفض لذاته فإنها متعلقة شروراً. ارفض الكبرياء واعتبر جميع الناس أبئ منك. لا تكتم خطيبك التي صنعتها. ارفض الرد على من يغضبك ولا تفكّر في قلبك بشر. لا تقاتل أحدا وإن استفزك باطلاً فلا تعصب. احذر أن تتكلم بكلام فارغ ولا تسمعه من غيرك أو تفكّر فيه. ول يكن كلامك في ذكر الله واستغفاره». (س: ٥ ظ)

٢٧ - وقال أيضاً: «إن قوماً عذبوا أجسادهم في النسك ولم يجدوا الإفراز^(٩).

صاروا بعيدين عن طريق الله». (س: ٥ ج) (Abc. Anthony 8)

٢٨ - حدث أن أحد الإخوة لحقته تجربة من ديره فطردوه من هناك. فمضى إلى أنطونيوس إلى الجبل وسكن عنده مدةً. وبعد ذلك أرسله إلى ديره فلم يقبلوه وطردوه مرة أخرى. فرجع إلى الأنبا أنطونيوس وقال له: «إنهم لم يرضوا أن يقبلوني يا أبي». فأرسل إليهم يقول: «مركب غرق في اللجة وتلفت حمولته. ويتعب كثير سلم المركب وجاء إلى البر. فالذي نجا أتريدون أن تغقوه مرة ثانية؟ أما هم فحالما رأوا كتاب الأب قبلوه بفرح». (س: ٥ ج) (Abc. Anthony 21)

٢٩ - ثلاثة شيوخ كانت لهم عادة في كل سنة أن يمضوا إلى الأنبا أنطونيوس. فكان اثنان منهم يسألانه عن الأفكار وعن خلاص نفسيهما. أما الثالث فلم يسأل زمامه كلّه عن شيء البتة. وبعد زمان طويل قال له الطوباني: «هذا الزمان كله تجيء عندي وما

^(٩) الإفراز يعني التمييز أو البصيرة أو الفطنة.

سألتني عن شيءٍ». أما هو فقال له: «يكفيوني نظري إليك يا أبي». (س: ٥ ج: ٢١) (Abc. Anthony 27)

٣٠ - قال الأنبا أنطونيوس: «إِيَّاكَ وَالشَّرَّهُ فَإِنَّهُ يَطْرُدُ خَوْفَ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ وَالْحَيَاةِ مِنَ الْوَجْهِ، وَيَجْعَلُ صَاحِبَهُ مَأْسُورًا مِنَ الشَّهْوَاتِ، وَيُضْلِلُ الْعُقْلَ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ. اجْعَلْ لِكَ دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي النَّهَارِ لِلْقِيَامِ بِحَاجَةِ الْجَسْدِ لَا لِلشَّهْوَةِ. لَا تَكُنْ كَسْلَانًا فَتَمُوتَ بِأَشْرِ حَالٍ. أَضْعِفْ جَسْدَكَ كَمُثْلٍ مِنْ هُوَ مُلْقَىٰ عَلَى سَرِيرٍ فَتَهُرُبَ الْأَوْجَاعُ عَنْكَ. اجْعَلْ فَكْرَكَ فِي الْوَصَايَا كُلَّ حِينٍ وَدَوْمٍ عَلَى فِعْلِهَا. إِيَّاكَ أَنْ تَعِيبَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ لَهُلَا يُغْضَبَ اللَّهُ صَلَاتُكَ. إِيَّاكَ وَاللَّعْبِ فَإِنَّهُ يَطْرُدُ خَوْفَ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ وَيَجْعَلُهُ مَسْكَنًا لِجَمِيعِ الْفَوَاحِشِ. أَتَعِبُ نَفْسَكَ فِي قِرَاءَةِ الْكِتَبِ وَاتِّبَاعِ الْوَصَايَا فَتَأْتِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ سَرِيعًا. إِنَّ الرَّاهِبَ الَّذِي يَكُونُ فِي خِزَانَتِهِ غَيْرَ ذَاكِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا قَارِئًا فِي الْكِتَبِ، فَهُوَ يَكُونُ كَالْبَيْتِ الْخَرْبِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ الَّذِي لَا تُفَارِقُهُ الْجَيْفُ التَّنَتَّةِ. وَكُلُّ مَنْ احْتَاجَ إِلَى تَنْظِيفِ بَيْتِهِ مِنْ جِفَةِ رِمَاهَا فِيهِ. صَلِّ أَبْدًا صَلَاةً فِي قَلَائِيلِكَ أُولَأَ قَبْلَ صَلَاتِكَ مَعَ الإِخْرَوِيَّةِ. الرِّمَ الْبَكَاءُ فَيَتَرَحَّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ. أَبْغُضُ كُلَّ أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَارْفُضُهَا، فَإِنَّهَا تُبَعِّدُ إِلَيْنَا عَنِ اللَّهِ. احْذَرْ مَنْ أَنْ تَكُونَ صَغِيرَ النَّفْسِ لَأَنَّ صِغَرَ النَّفْسِ يَجْلِبُ الْأَحْزَانَ. أَحِبَّ التَّعَبَ وَالظُّلْمَ نَفْسَكَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فَتَمِيلُكَ الْاِتْضَاعَ. وَالْاِتْضَاعُ يَغْفِرُ الْخَطايَا كُلُّهَا». (س: ٥ ظ: ٢١)

٣١ - وقال أيضاً: «ينبغي للراهب الشاب أن يستشير الشيخ قبل كل خطوة يخطوها في قلائمه وقبل كل نقطة ماء يشربها (Abc. Anthony 38)، لأنني رأيت رهباناً كثيرين بعد أن تبعوا كثيراً وقعوا في دهشة عقل لأنهم توكلوا على معرفتهم فقط. (س: ٥ ج: ٢٢)، إذ لم يصغوا إلى الوصية القائلة: اسأل أباك فيحررك ومشايخك فيقولون لك». (س: ٤ ج: ١١) (Abc. Anthony 37)

٣٢ - قيل: اجتمع جماعة من الآباء عند الأنبا أنطونيوس، وتباحثوا في أي الفضائل

أَكْمَلَ وَأَقْدَرَ عَلَى حِفْظِ الرَّاهِبِ مِنْ جُمِيعِ مَصَايِدِ الْعُدُوِّ. فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ الصِّيَامَ
وَالسَّهْرَ فِي الصَّلَاةِ يُقَوِّمُانِ الْفَكْرَ وَيُلَطِّفُانِ الْعُقْلَ، وَيُسْهِلُانِ لِلنَّاسِ سَبِيلَ التَّقْرُبِ إِلَى
اللَّهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ بِالْمَسْكَنَةِ وَالْزُّهْدِ فِي الْأَمْرِ الْأَرْضِيِّ يُمْكِنُ لِلْعُقْلِ أَنْ يَكُونَ هَادِئاً
صَافِياً خَالصَاً مِنْ هُمُومِ الْعَالَمِ، فَيُتِيسِّرَ لَهُ التَّقْرُبُ مِنَ اللَّهِ. وَآخَرُونَ قَالُوا إِنَّ فَضْيَلَةَ الرَّحْمَةِ
أَشْرَفَ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ، لَأَنَّ الرَّبَّ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ كَمَا وَعَدَ: تَعَالَوْا يَا مَبَارِكِي أَبِي رَثَوَا
الْمُلْكَ الْمَعْدَ لَكُمْ مِنْ قَبْلٍ كَوْنِ الْعَالَمِ. فَمِنْ بَعْدِ اِنْتَهَائِهِمْ مِنَ الْمَبَاحَثَةِ وَالْكَلَامِ، قَالَ الْأَنْبِيَا
أَنْطَوْنِيوسُ: «حَقًا إِنْ كُلَّ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الَّتِي ذَكَرْتُمُوهَا نَافِعَةٌ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ الَّذِينَ
يَطْلُبُونَ اللَّهَ، وَيَرِيدُونَ التَّقْرُبَ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَا قَدْ رَأَيْنَا كَثِيرَيْنِ يُهَلِّكُونَ أَجْسَادَهُمْ بِكَثْرَةِ
الصَّوْمِ وَالسَّهْرِ وَالْإِنْفَرَادِ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْزُّهْدِ، حَتَّى أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتَفُونَ بِحَاجَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ
وَيَتَصَدَّقُونَ بِكُلِّ مَا يَمْتَلِكُونَ، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ رَأَيْنَاهُمْ وَقَدْ حَادُوا عَنِ الْمُسْلِكِ الْقَوِيمِ،
وَسَقَطُوا وَعَدِمُوا جَمِيعَ تَلْكَ الْفَضَائِلِ وَصَارُوا مَرْذُولِينَ. وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا
الْإِفْرَازَ. إِنَّ الْإِفْرَازَ هُوَ الَّذِي يُعْلَمُ الْإِنْسَانُ كَيْفَ يَسِيرُ فِي الْطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَلُوكِيِّ،
وَكَيْفَ يَحْيِدُ عَنِ الْطَّرِيقِ الْوَعْرَةِ. إِنَّ الْإِفْرَازَ يُعْلَمُ الْإِنْسَانُ كَيْفَ لَا يُسْرَقُ مِنَ الضَّرَبَةِ
الْيَمِينِيَّةِ بِالْإِمْسَاكِ الْجَائِرِ الْمَقْدَارِ، وَكَيْفَ لَا يُسْرَقُ أَيْضًا مِنَ الضَّرَبَةِ الشَّمَالِيَّةِ بِالْتَّهَاوِنِ
وَالْإِسْتِرْخَاءِ. إِنَّ الْإِفْرَازَ هُوَ عَيْنُ النَّفْسِ وَسَرَاجُهَا، كَمَا أَنَّ الْعَيْنَ سَرَاجُ الْجَسَدِ.
وَبِخَصْوصِ الْإِفْرَازِ يُحَذِّرُ الرَّبُّ قَائِلًا: احْذَرْ لَثَلَا يَكُونَ النُّورُ الَّذِي فِيهِ ظَلَامًا. فَبِالْإِفْرَازِ
يَفْحَصُ الْإِنْسَانُ مَشِيَّاتَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَعْمَالَهُ، وَبِالْإِفْرَازِ أَيْضًا يَفْهَمُ الْإِنْسَانُ الْأَمْرَ وَيُمْيِّزُ
جِيدَهَا مِنْ رَدِيَّهَا، وَنَأَكِدُ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَبِ الْمَقْدَسَةِ. فَشَأْوَلَ الْمَلَكُ لَمَّا لَمْ يَمْتَلِكِ الْإِفْرَازَ
أَظْلَمَ عَقْلَهُ فَلَمْ يَفْطُنْ إِلَى أَهْمَيَّةِ مَا قَالَهُ اللَّهُ لَهُ بِلِسَانِ صَمْوَئِيلِ النَّبِيِّ. فَأَغْضَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ
الْتَّصْرِفِ الَّذِي بِهِ كَانَ يَظْنُ أَنَّهُ يَرْضِيَ اللَّهَ، وَتَسِّيَ أَنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ أَفْضَلُ مِنْ تَقْرِيبِ
الْذِبَاحِ. وَالرَّبُّ يُسَمِّي الْإِفْرَازَ رَبَّانِاً وَمَدِيرًا لِسَفِينَةِ حَيَاتِنَا. وَالْكِتَابُ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ لَيْسُ

لهم مدبرٌ يسقطون مثلَ الورقِ من الشجرِ. وأيضاً يقولُ الكتابُ: كَمِثْلِ مَدِينَةٍ غَيْرِ مَحْصَنَةٍ وَكُلُّ مَنْ أَرَادَ دَخْلَهَا وَأَخْذَ كُنوزَهَا، كَذَلِكَ إِلَّا نَسَانُ الَّذِي يَعْمَلُ أَمْوَارَهُ بِغَيْرِ مَشُورَةٍ».

(س: ٥ ظ) (J. Cassian, Conf. II, ch. 2)

٦٦٥

القديس مقاريوس الكبير (١)

٣٣ - جاء عن القديس مقاريوس المصري الكبير أنه قال: إني في حالٍ شبابي كنتُ جالساً في قليةٍ في مصر، فأمسكوني وجعلوني قسماً لضيعة، وإذا لم أثر أن أتقلّد هذه الرتبة هربت إلى مكان آخر. حيث كان يأتي رجلٌ علمانيٌّ تقيٌّ وكان يخدموني ويبيع عملَ يديَّ. وفي يومٍ من الأيام حدثَ أنْ بتولاً في ذلك المكان سقطَتْ في زينَ وحملتْ في بطنهما. فلما أُشتهرَتْ سُلتْ عَمَّنْ فعل معها هذا الفعل، فقالت: «المتوحد»! وسرعان ما خرجوا علىَ وأخذوني باستهزاءٍ مريعٍ إلى الضيعة وعلقوا في عنقي قدراً قدرةً جدًا وآذانَ جرارٍ مكسورةً. وشهروا بي في كلِّ شارعٍ من شوارعِ الضيعةِ وهم يضربيوني قائلين: «إنَّ هذا الراهب أفسدَ عفة ابنتنا البتول، أخزووه». وهكذا ضربوني ضرباً مُبرِّحاً قربتُ بسيبه إلى الموت، إلى أن جاءني أحدُ الشيوخِ فقال لهم: «إلى متى هذه الإهانة. أما يكفيه كلُّ ذلك خجلاً»، فكانوا يشتمونه قائلين: «ها هو المتوحدُ الذي شهدتَ له بالفضلِ، انظر ماذا فعل». وأخيراً قال والدها: «لنُطلِّقه حتى يأتينا بضامنٍ بأنه يتبعه بالقيامِ بإطعامِها». فقال الشيخُ لخادمي: «اضمنه»، فضمني ومضيتُ إلى قلاليٍ ودفعتُ إليه زنابيل^(١) التي كانت عندي قائلًا: «بعها وادفع ثمنها لامرأتي لتأكلَ بما». وخطبتُ نفسي قائلًا: «كِدَّ يا مقارة، ها قد صارت لك امرأة». فكنتُ أشتغلُ ليلاً ونهاراً وأتعبُ

^(١) تأتي في اليونانية ζαρπίδια ومعناها قفة أو سلة. والزنابيل وجمعها زنابيل هي القفة الكبيرة (المعجم العربي

الأساسي).

لأقوم بإطعامها. فلما حان وقت ولادة الشقيقة مكثت أياماً كثيرةً وهي معدبةٌ وما استطاعت أن تلد. فقالوا لها: «ما هو هذا؟» فقالت: «إن كلّ ما أصابني كان بسببِ أني قد ظلمتُ المتوحدَ وأهتمته وهو بريءٌ لأنّه ما فعل بي شيئاً فقط. لكنَّ فلاناً الشاب هو الذي فعل بي هذا». فجاء إلى خادمي مسروراً وقال لي: «إن تلك البتوأ ما استطاعت أن تلد حتى اعترفتْ قائلة: إن المتوحد لا ذنب له في هذا الأمر مطلقاً، وقد كنتُ كاذبةً في إهامي له. وها هم أهل القرية كلُّهم عازمون على الحضور إليك يريدون أن يتوبوا إليك ويسألونك الصفح والعفران». فلما سمعتُ أنا هذا الكلام من خادمي أسرعتُ هارباً إلى الإسقيط⁽¹¹⁾. هذا هو السببُ الذي لأجله جئتُ إلى جبل النطرون. (س: ٥ ج؛ ٢٢ ظ) (Abc. Macarius 1)

٣٤ - قيل عن الأنبا مقاريوس إنه بنى لنفسه قلايةَ غربيَ الملاحات وسكن فيها. وصار يُضَفِّرُ الخوصَ ويعيشُ من عملِ يديه ويعبدُ الله كنحو قوله (Vit Mac XIX 3-4). فلما سمع به أناسٌ حضروا إليه وسكنوا معه. فكان لهم أباً مرشدًا. ولما سمع بسيرةِ الأنبا أنطونيوس وبأعماله الفاضلة، مضى إليه فقبله وعزاه وأرشده إلى طريق الرهبنة، وألبسه الزي ثم عاد إلى موضعه (Vit Mac XX 1-13). وكثيرُ الذين يحضرُون إليه فكان يلبسهم الزي ويرشدهم إلى طريق العبادة (Vit Mac XXV 1). فلما كبرَ عدُّهم بنوا لهم كنيسةً (Vit Mac XXVII) هي الآن موضع البراموس، فلما ضاق لهم المكانُ ولم تعد الكنيسة تسعُهم، تحولَ الأبُ من ذلك المكان وبنى كنيسةً أخرى. (س: ٥ ظ)

٣٥ - قال الأب مقاريوس: صحررتُ وقتاً وأنا في القلاية. فخرجتُ إلى البرية

¹¹ الإسقيط من الكلمة اليونانية οἰστεπάτης وهي مشتقة من الكلمة οἰστερός أي ممارسة النسك، فيكون معناها مكان ممارسة النسك، وقد أطلقت خاصة على منطقة وادي النطرون حيث أسس القديس مقاريوس الرهبنة.

واعزرتُ على أن أسألَ أيَّ شخصٍ أقبلُه من أجلِ المنفعةِ. وإذا بي أقبلُ صبيًّا يرعى بقراً.
 فقلت له: «ماذا أفعلُ أيها الولدُ فإني جائعٌ؟» فقال لي: «كُلْ». فقلت: «أكلتُ، ولكنِ
 جائعٌ أيضًا». فقال لي: «كُلْ دفعةً ثانيةً». فقلت له: «إني أكلتُ دفعاتٍ كثيرةً ولا زلتُ
 جائعاً». فقال الصبيُّ: «لستُ أشكُ في أنك حمارٌ يا راهب، لأنك تحبُ أن تأكلَ دائمًا». فانصرفتُ ولم أردَ له جواباً. (س: ٥٧٧) (Add. Macaire S 1)

٣٦ - سُئلَ القديس مقاريوس: «أيُّ الفضائلِ أعظمُ؟» فأجاب وقال: «إنَّ كانَ
 التكبرُ يعتبرُ أشرَ الرذائلِ كُلُّها حتى أنه طرح طائفَةً من الملائكةَ من علوِ السماءِ، فبلا شكٍ
 يكونَ التواضعُ أكبرَ الفضائلِ كُلُّها لأنه قادرٌ أن يرفعَ المتمسكَ به من الأعماقِ حتى ولو
 كانَ خاطئاً. من أجلِ ذلك أعطى ربُ الطوبى للمساكين بالروح». (س: ٥٧٧) (ظ)

٣٧ - أتى الأب مقاريوس يوماً من الإسقاط إلى نيرس^(١٢)، فقال له الشيوخ: «قل
 كلمةً للإخوةِ أيها الأب». فأجابهم قائلاً: أنا لم أصر راهباً، لكنِ رأيتُ رهباناً. فقد
 كنتُ يوماً جالساً في الإسقاط في القلاية، وإذا أفكارٌ تأتيني قائلةً: اذهب إلى البريةِ
 الداخليةِ وتأملَ فيما تراه هناك. ومحشتُ مقاتلاً لهذا الفكرِ خمسَ سنواتَ ظانًا أنه من
 الشيطانِ. لكنِ لما وجدتُ الفكرَ ثابتاً مضيئتُ إلى البريةِ فصادفتُ هناك بحيرةً ماءٍ وفي
 وسطِها جزيرةً، وقد وافت وحوشُ البريةِ لتشربَ. وشاهدتُ بينها رجُلَينِ مجردينِ (أي
 عاريين)، فحزِّرْتُهُما لأنِي ظنتُهُما روحان. لكنهما لما رأياني خائفاً جزاً
 خاطباني قائلين: «لا تخزع إلينا بشريان مثلك». فقلتُ لهما: «من أنتما؟ وكيف حثتما

^(١٢) تأتي في اليونانية: إلى جبل نتريا.

إلى هذه البرية؟ فقالا لي: «كنا في كنوبيون^(١٣) وقد اتفقنا على ترك العالم فخرجنا إلى هنا. ولنا منذ ذلك الوقت أربعون سنةً. وقد كان أحدهما مصرياً والآخر نوبياً. فسألتهم كيف أصيّر راهباً. فقالا لي: «إن لم يزهد الإنسان في كل أمور العالم فلن يستطيع أن يصيّر راهباً». فقلت لهم: «إن ضعيفٌ مما أستطيع أن أكون مثلكم». فقالا لي: «إن لم تستطع أن تكون مثلك فاجلس في قلائك وابك على خطايَاك». فسألتهم: «هل ما تبردان إن صار شتاءً. وإذا صار حرّاً ما يحترق جسداً كمَا؟ فأجاباني بأن الله قد دبَّر لنا ألا نجد في الشتاء بردًا ولا يضرُّنا في زمن الحصاد حرّ. وأخيراً قال القديس للإخوة: «لذلك قلت لكم إن لم أصِرْ بعد راهباً، بل رأيت رهاناً. فاغفروا لي».

(Abc. Macarius 2) ظ ٢٣

٣٨ - وحدث مرّةً أن مضى الأنبا مقاريوس إلى القديس أنطونيوس في الجبل وقرع بابه. فقال الأنبا أنطونيوس: «من يقرع الباب؟»؟ فقال: «أنا مقاريوس أخيها الأب». فتركه الأنبا أنطونيوس ودخل ولم يفتح له الباب. لكنه لما رأى صيره فتح له أخيراً وفرح معه وقال له: «منذ زمان وأنا مشتاقٌ أن أراك». وأراحه لأنه كان مجهداً من أثر تعبٍ شديد. فلما حان المساء بلّ أنطونيوس قليلاً من الخوص لنفسه. فقال له مقاريوس: «أتسمح أن أبلّ لنفسي أنا أيضاً قليلاً من الخوص؟»؟ فقال له: «بلّ». فأصلح حُزمه كبيرةً وبلّها وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس. وكانت الضفيرة تحدّر من الطاقة. فرأى أنبا أنطونيوس باكراً أن مقاريوس قد ضمَّر كثيراً فقال: «إن قوّةً كبيرةً تخرج من هاتين اليدين».

(Abc. Macarius 4) ج ٤ (س: ٥)

^{١٣} أي دير يعيش رهبانه عيشة مشتركة، من الكلمة اليونانية κΟΙΝΩΒΙΟV، κΟΙΝΩC، بمعنى مشترك، بـC أي حياة، أي حياة مشتركة).

٣٩ - ومرة نزل الأب مقاريوس من الإسقاط إلى الحصاد وصَحِبَه سبعة إخوة.
وكانَت امرأة تلتقط خلفَ الحصادين وهي لا تكُف عن البكاء. فاستفهم الأب من رئيسِ
الحصادين عن أمر هذه العجوز وعن سبب بكائها دائمًا. فأجابه: «إن رجلها عنده وديعة
لإنسانٍ مقتدرٍ. وقد مات فجأةً ولا تعلم المرأةُ موضع هذه الوديعة. وقد عَزَم صاحبها
على أخذ أولادها عبيداً». فلما استراح الحصادون من الحرّ، دعا الشيخُ المرأة وقال لها:
«هلمي أربين قير زوجك». فلما وصل إليه صلى مع الإخوة. ثم نادي الميت قائلًا: «يا
فلان، أين تركت الوديعة؟» فأجابه: «إنما في بيتي تحت رجل السرير». فقال له القديس:
«كُن أيضًا». فلما عاين الإخوة ذلك تعجبوا. فقال لهم القديس: «ليس من أحلي كان
هذا الأمر لأني لست شيئاً. بل إنما صنع الله هذا من أجل الأرملة واليتمى». ولما سمعت
المرأة بموضع الوديعة، انطلقت وأخذتها وأعطتها لصاحبها. وكلُّ الذين سمعوا هذا سُبُّحوا
الله. (س٥: ٢٤ ج) (Abc. Macarius 7)

٤٠ - قيل عن الأب مقاريوس: إنه كان قد جعل لنفسه قانوناً وهو أنه إذا قدم له
الإخوة نبيداً كان لا يمتنع من شربه، لكنه عوض كلّ قدح نبيداً يشربه، كان يصوم عن
شرب الماء يوماً. فأما الإخوة فلكي ما يكرّموه كانوا يعطونه، وهو لم يمتنع بدوره إمعاناً
في تعذيب ذاته. أما تلميذه فلم يرتفع بأمر معلميه، طلب من الإخوة من أجلِ الربِّ إلا
يعطوا الشيخَ نبيداً لأنَّه يعذب ذاته بالعطش. فلما علموا الأمرَ امتنعوا عن إعطائه نبيداً
منذ ذلك الوقت. (س٥: ٢٤ ظ) (Abc. Macarius 10)

٤١ - صعدَ الأب مقاريوس مرّةً من الإسقاط إلى البرية^(١٤). فأتى إلى ناووس^(١٥)

^(١٤) تأتي في النص اليوناني Ερευθία (ترنوت) ومكانتها قرية الطرانة الحالية على فرع النيل الغربي (محافظة

البحيرة) (Amélineau p. 493-494).

حيث كانت هناك حثٌ يونانية قديمة. فأخذ القديس جمجمةً ووضعها تحت رأسه. فلما رأى الشياطينُ جسارَه حسدوه وأرادوا أن يُرعنوه. فنادوا بصوتٍ عالٍ باسمِ مستعارٍ لامرأةٍ قائلين: «يا فلانة، قد أخذنا الصابونَ والأشنانَ وأدواتِ الحمامِ،وها نحن في انتظارك لتكوني معنا». فخرج صوتٌ من الجمجمة من تحتِ رأسِه قائلاً: «إن عندي ضيفاً وهو رجلٌ غريبٌ متوسدٌ علىَ فلا يمكنني إبعادِه، امضوا أنتم». أما القديس فإنه لم يتزعج ولكنه رفع رأسه عنها وحرّكها بيدهِ قائلاً: «ها إنذا قمتُ عنكِ، فإن استطعتِ الذهابَ فانطلقي معهم إلى الظلمة». ثم عاد ووضع رأسه عليها. فلما رأى الشياطينُ ذلك منه ترکوه بخزيٍ عظيمٍ وصرخوا قائلين: «امضِ عنا يا مقاريوس»، وهربوا. (س: ٥)

(Abc. Macarius 13) (٢٤)

٤٢ - انطلق الأب مقاريوس مرةً من الإسقاط حاملاً زنايلَ فأعيا من شدة التعبِ، ووضع الزنايلَ على الأرضِ وصلَّى قائلاً: «يا ربُّ، أنت تعلمُ أنه ما بقي في قوَّةٍ»، وإذا به يجدُ نفسه على شاطئ النهرِ. (س: ٥ ج) (Abc. Macarius 14) (٢٥)

٤٣ - أتى أخٌ إلى الأب مقاريوس وقال له: «يا معلمِ قل لي كلمةً تتفعُّنِي». فقال له القديس: «امضِ إلى المقابرِ واشتمن الموتى». فمضى الأخُ وشمّهم ورجمهم وعاد وأنحرَ الشيخَ بما عمِله. فقال له الشيخُ: «أما خاطبُوك بشيءٍ؟»؟ فقال: «لا». فقال له الشيخُ: «امضِ غداً وامدحهم». فمضى الأخُ ومدحهم قائلاً: «يا قدسيينَ، يا أبرارَ، يا صديقينَ». وعاد وأنحرَ الشيخَ بما صنعه. فقال له: «أما أجابُوك بشيءٍ؟»؟ قال: «لا». قال الشيخُ: «إن كنتَ حقاً قد مُتَّ مع المسيحِ ودُفنتَ معه فاصنِع هكذا مثلَ أولئك الأمواتِ، لأن الميتَ لا يحسُّ بكرامةٍ ولا بإهانةٍ. وبذلك تستطيعُ أن تخلصَ». فانتفع الأخُ

^{١٥} ناووس من الكلمة اليونانية ναός ومعناها هيكل أو معبد أو ضريح.

٤٤ - قال الأب مقاريوس: حدث يوماً وأنا جالسُ بالإسقسط أن أتاني شابان غرييان. أحدهما متكاملُ اللحيةِ، والآخر قد بدأتُ لحيته. فقالا لي: «أين قلايةُ الأب مقاريوس؟» فقلتُ لهم: «وماذا تريidan منه؟»؟ أجاباني: «نريدُ مشاهدته». فقلتُ لهم: «أنا هو». فصنعا مطانيةً وقالا: «يا معلم نشاءُ أن نقيمَ عندك». فلما وجدتُ أنهما في حالةِ ترفٍ ومن أبناءِ نعمةِ وغنى، أجبتُهم: «لكنكم لا تحتملان السكنى ها هنا». فأجابني الأكابرُ قالا: «إن لم تحتمل السكنى ها هنا فإننا نمضي إلى موضعٍ آخر». فقلتُ في نفسي: «لماذا أنا أطردهما وشيطانُ التعب يشكّلُهما فيما عزما عليه؟»؟ فقلتُ لهم: «هلما فاصنعا لكم قلايةً إن قدرتما». فقالا: «أرنا موضعًا يصلح». فأعطيتهم فأساً وقفَةً وكذلك قليلاً من الخبزِ والملحِ وأریتهم صخرةً صلبةً، وقلتُ لهم اختها هنا، وأحضرنا لكم خصاً من الغابةِ وسقفاً واجلسنا. وتوهمتُ أنهما سوف ينصرفان من شدةِ التعبِ. فقالا لي: «وماذا تصنعون ها هنا؟»؟ فقلتُ لهم: «إننا نشتغلُ بضيَرِ الخوصِ». وأخذتُ سعفًا وأریthem بدءَ الضفيرةِ وكيف تُخاطِ، وقلتُ لهم: «اعملوا زنايل وادفعها إلى الخفراء ليأتوكما بخنزير»، وعرفْتهما ما يحتاجان من معرفةٍ ثم انصرفتُ عنهمَا. أما هما فأقاما ثلاثةَ سنواتٍ ولم يأتياي. فبقيتُ مقاتلاً للأفكارَ من أجلِهمَا، إذ لم يأتيا إليّ ولا سألاني في شيءٍ. ولم يحاولا الكلام مع أحدٍ قط. ولم يُمارِحا مكانَهُمَا إلا كلَّ يومٍ أحدٌ فقط، حيث كانوا يمضيان إلى الكنيسةِ لتناول القربان وهما صامتان. فصلَّيتُ صائماً أسبوعاً كاملاً إلى الله ليعلن لي أمرَهُمَا. وبعد الأسبوع مضيَتْ إليهمَا لأفتقدَهُمَا وأعرفُ كيف حاهمَا. فلما قرعتُ البابَ عرفاني وفتحا لي وقبلانِي صامتُين فصلَّيتُ وجلستُ. وأوْمأَ الأكابرُ إلى الأصغرِ بأن يخرجَ. أما الأكابرُ فجلسُ يُضيَّرُ في الضفيرةِ ولم يتكلَّمْ قط. فلما حانتُ الساعةُ التاسعةُ أوْمأَ إلى الشابِ فأتاه وأصلحَا مائدةً وجعلَا عليها ثلاثةَ

بحسباتِ بقسطاطاتٍ وداما صامتينْ. فقلتُ لهم: «هيا بنا نأكلُ». فنهضنا وأكلنا وأحضرنا
 كورَ ماءً فشربنا. وما حان المساءُ قالا لي: «أنتصرف؟» قلتُ لهم: «لن أصرف. لكنني
 سوفُ أبَيْتُ ها هنا الليلة». فبسطَا حصيرةً في ناحيةٍ وبسطَا أخرىٍ لهم في ناحيةٍ أخرى.
 وحلا إسكييميهما ومنطقتيهما ورقدا قدامي على الحصيرة. فصليتُ إلى اللهِ أن يعلَنَ لي
 ماذا يعملان. وإذا كنتُ راقداً ظهرَ فجأةً في القلابيةِ ضوءٌ كضوءِ النهارِ قدامي، وكانا
 يشاهدانه، فلما ظنَّا أني نائمٌ، تَخَسَّ الأكْبَرُ الأصغرَ وأقامه. وتنطقا وبسطَا أيديهما إلى
 السماءِ. و كنتُ أراهما وهم لا يبصريني. وإذا بي أرى الشياطينَ مقبلينَ نحو الأصغرِ
 كالذبابِ. فمنهم من كان يريدُ الجلوسَ على فمهِ، ومنهم من كان يريدُ أن يجلسَ على
 عينيهِ. فرأيتَ ملاكَ الربِّ حاملاً سيفاً نارياً وهو يحيطُ بهما ويطردُ الشياطينَ عنهمَا. أما
 الأكْبَرُ فلم يقدروا على الاقترابِ منه. فما أن حان الفجرُ حتى وجدتهما وقد طرحا
 نفسيهما على الأرضِ وناما. فظاهرتُ كأني استيقظتُ وهمَا كذلك. فقال لي الأكْبَرُ هذه
 الكلمةَ فقط: «أتشاءُ أن تقولَ الآثني عشرَ مزموراً». فقلتُ: «نعم». فقرأ الصغيرُ خمسةَ
 مزموريَّ وفي نهايةِ كلِّ ستةِ استيختوناتٍ^(١٦) الليلويَا واحدةً، ومع كلِّ كلمةٍ كان يقولها كان
 يبرُّ من فمهِ شهابُ نارٍ يصعدُ إلى السماءِ. كذلك الكبيرُ إذ كان يفتحُ فمهَ ويقرأُ كان
 مثلُ حبلٍ نارٍ خارجاً وصاعداً إلى السماءِ. فلما انقضتِ الصلاةُ انصرفتُ قائلاً: «صليلًا
 من أجلي». فصنعا لي مطانيةً وهما صامتان. وبعد أيامٍ قليلةٍ تبع الأكْبَرُ وفي ثالثِه تبع
 الصغيرُ كذلك. ولما كان الآباءُ يجتمعون بالأب مقاريوسَ كان يأخذهم إلى قلاليتهما
 ويقولُ: «هلموا بنا نعain شهادةَ الغرباءِ الصغار». (س٥: ٢٥ ج) (Abc. Macarius 33)

٤٥ - كان الأب مقاريوس يقولُ للإخوةِ: «إذا سُرّحتَ الكنيسةُ فرُوا يا إخوةُ

^{١٦} استيختون من الكلمة اليونانية στοιχός ومعناها جملة أو سطر أو مقطع، ومنها الكلمة القبطية سـ٣٧٣خـ٥٠.

فروأ». فقال أحد الآباء: «أيها الأب، إلى أين نفر أكثر من هذه البرية؟» فضرب بيده على فمه وقال: «من هذا فروا». وكان إذا دخل القلاية أغلق الباب في وجهه وجلس.

(س: ٥ ظ) (Abc. Macarius 16)

٤٦ - أتى إلى القديس مقاريوس يوماً أحد كهنة الأصنام ساجداً له قائلاً: «من أجل محبة المسيح عمّي ورهايني». فتعجب الأب من ذلك وقال له: «أخبرني كيف جئت إلى المسيح بدون وعظ». فقال له: كان لنا عيد عظيم وقد قمنا بكل ما يلزمنا. وما زلنا نصلّى إلى منتصف الليل حتى نام الناس. وفجأة رأيت داخل أحد هياكل الأصنام ملكاً عظيماً جالساً وعلى رأسه تاج حليل وحوله أعوانه الكثiron. فأقبل إليه واحد من غلمانه فقال له الملك: «من أين جئت؟» فأجاب: «من المدينة الفلانية». قال: «وأي شيء عملت؟» قال: «أقيمت في قلب امرأة كلمة صغيرة تكلمت بها إلى امرأة أخرى لم تستطع احتمالها، فأدى ذلك إلى قيام مشاجرة كبيرة بين الرجال، تسبّب عنها قتل كثرين في يوم واحد». فقال الملك: «أبعدوه عنّي لأنّه لم يعمل شيئاً». فقدموه له واحداً آخر فقال له: «من أين أقبلت؟» قال: «من بلاد الهند». قال: «وماذا عملت؟» أجاب وقال: «دخلت داراً فوجدت ناراً قد وقعت من يد صبي فأحرقت النار الدار، فوضعت في قلب شخص أن يتهم شخصاً آخر، وشهد عليه كثيرون زوراً بأنه هو الذي أحرقها». قال: «في أي وقت فعلت ذلك؟» قال: «في نصف الليل». فقال الملك: «أبعدوه عنّي خارجاً». ثم قدموا إليه ثالثاً، فقال له: «من أين جئت؟» أجاب وقال: «كنت في البحر وأقمت حرباً بين بعض الناس. فغرقت سفن وتطورت إلى حرب عظيمة، ثم جئت لأخبرك». فقال الملك: «أبعدوه عنّي». وقدموه له رابعاً وخامساً، وهكذا أمر بإبعادهم جميعاً بعد أن يصف كلّ منهم أنواع الشرور التي قام بها حتى آخر لحظة. إلى أن أقبل إليه أخيراً واحداً منهم فقال له: «من أين جئت؟» قال: «من الإسقاط». قال له: «وماذا

كنتَ تعملُ هناك؟»؟ قال: «لقد كنتُ أقاتلُ راهباً واحداً، ولي اليوم أربعونَ سنةً وقد صرعته في هذه اللحظةِ وأسقطته في الزنا وجئتُ لأنبئك». فلما سمع الملكُ ذلك قام متصبراً وقبّله ونزع التاجَ من على رأسِه وألبسَ إياه، وأجلسه مكانَه ووقفَ بين يديه وقال: «حقاً لقد قمتَ بعملٍ عظيمٍ». فلما رأيتُ أنا كلَّ ذلك وقد كنتُ مختبئاً في الهيكل قلتُ في نفسي: «مادام الأمرُ كذلك فلا يوجد شيءٌ أعظمَ من الرهبة». وللوقت خرجتُ وجئتُ بين يديك. فلما سمع الأبُ منه هذا الكلامَ عمَّده ورهبته. وكان في كلِّ حينٍ يَقصُّ على الإخوةِ أمرَ هذا الرجلِ الذي أصبحَ بعد ذلك راهباً جليلًا. (س: ٥٦ ظ) (Bu. I, 632)

٤٧ - جاء عن القديس مقاريوس أنه كان في وقت ما سائراً في أقصى البرية. فأبصر شخصاً هرماً حاملاً حملًا ثقيلاً يحيطُ بسائرِ جسمه، وكان ذلك الحملُ عبارةً عن أوعيةٍ كثيرةٍ في كلِّ منها ريشة، وكان لابساً إياها بدلاً من الشياطِ. فوقف مقابلةً وجهه لوجهٍ يتأمله. وكان يتظاهر بالخجلِ تظاهرَ اللصوصِ المحتالين. فقال للبارّ: «ماذا تعملُ في هذه البريةِ تائهاً وهائماً على وجهك؟» فأجابه الأبُ قائلاً: «أنا تائهٌ طالبٌ رحمةَ السيدِ المسيح. ولكني أسألك أيها الشيخُ باسمِ ربِّي أنْ تعرّفني من أنت؟ لأنِّي أرى منظرَك غريباً عن أهلِ هذا العالمِ، كما تُعرفني أيضاً ما هي هذه الأوعيةُ الحبيطةُ بك؟ وما هو هذا الريشُ أيضاً؟ وقد كان الثوبُ الذي عليه متقدّماً كله، وفي كلِّ ثقبٍ قارورةً. فأقرَّ العدوُّ بغير اختيارِه وقال: «يا مقاريوس، أنا هو الذي يقولون عنه شيطانٌ محتالٌ. أما هذه الأوعيةُ فهو سلطتها أجدبُ الناسَ إلى الخطيةِ، وأقدمُ لكلِّ عضوٍ من أعضائهم ما يوافقه من أنواعِ الخديعةِ. وبريشِ الشهواتِ أكحّل من يُطيعُني ويتبعُني. وأسرُّ بسقوطِ الذين أغلبهم. فإذا أردتُ أنْ أُضلُّ من يقرأ نواميسَ اللهِ وشرائعَه، فما عليَّ إلا أنْ أدهنه من الوعاءِ الذي على رأسي. ومن أراد أنْ يسهرَ في الصلواتِ والتسابيحِ فإني آخذُ من الوعاءِ

الذى على حاجي وألطف عينيه بالريشة وأجلب عليه تعاشاً كثيراً وأجذبه إلى النوم. والأوعية الموجودة على مسامعي فهي معدة لعصيان الأوامر وبها أجعل من يسمع إلى لا يُدْعَنَ لمن يشير عليه. والتي عند أنفي بها أحذب الشاب إلى اللذة. أما الأوعية الموضوعة عند فمي فهو سلطتها أحذب النساء إلى الأطعمة، وبها أحذب الرهبان إلى الواقعه والكلام القبيح. وبدوره أعمالي كلها أوزعها على من كان عاشقاً، ليعطي أثماراً لائقه بي. فأبدل بذور الكيرباء، وأغل من كان على ذاته متتكلاً، بالأسلحة التي في عنقي. والتي عند صدري فهي مخازن أفكارى ومنها أستقي القلوب بما يؤدي إلى سكر الفكر، وأشتت وأبعد الأفكار الصالحة من أذهان أولئك الذين يريدون أن يذكروا مستقبل حياتهم الأبدية. أما الأوعية الموجودة في حوفي فهي مملوءة من عدم الحسّ وبها أجعل الجھال لا يحسون، وأحسن لهم المعيشة على نهج الوحوش والبهائم. أما التي تحت بطني من شأنها أن تسوق إلى فعل سائر أنواع ضروب الرزى والعشق واللذات القبيحة. والتي على يدي فهي معدة لضروب الحسد والقتل. والمعلقة وراء ظهري ومنكبي وهي مملوءة من أنواع المحن المختصة بي وبها أقارع الذين يرثمون محاربتي، فأنصب خلفهم فخاخاً. وأذل من كان على قوته متتكلاً. والتي على قدمي وهي مملوءة عثراتٍ أعرقل بها طرق المستقيمين. ومن شأنى أن أخلط في بذور فلاحتى صنوفاً من الحسلك والشوك. والذين يحصلون منها يُساقون إلى أن ينكروا طريق الحق». وبعد أن قال هذا صار دخاناً واحتفى. وأن القديس ألقى بنفسه على الأرض وابتهل إلى الله يدموع لكي يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم. (ص ٢٧ ج) (Abc. Macarius 3a)

٤٨ - قيل عن القديس مقاريوس إنه كان يوصي تلاميذه قائلاً: «اهرموا من كلام النساء المؤدي إلى الملاك». وكان يقول: «احذروا ألا تكون بينكم وبين صبي دالة، لأن الصبي إذا رأيته صاعداً إلى السماء فهو سريع السقوط. مما عليكم إلا أن تطلبوا من

٤٩ - بلغ الأب مقاريوس عن راهب متوحد داخل البرية منذ خمسين عاماً لم يأكل حبراً قط. وقد كان يقول عن نفسه إنه قتل ثلاثة أعداء: الزنى وحب المال والسبع الباطل. فمضى الأب مقاريوس إليه، فلما رأه المتوحد فرح كثيراً وكان رجلاً ساذجاً. فسألته الشيخ عن عزائه وعن أحواله وعن جهاده، فقال له: «إنه استراح من قتال الزنى وحب المال والسبع الباطل». قال له الأب: «لي بعض أسئلة أريد أن أوجهها إليك فأجبني عنها، وهي: إذا اتفق لك أن عثرت على ذهب ملقى وسط حجارة فهل يمكنك أن تميز الذهب من الحجارة؟» قال: «نعم، ولكنني أغلب على فكري فلا يميل إلى أخذ شيء منه». قال: «حسناً. وإذا رأيت امرأة جميلة لا يمكنك ألا تفكر فيها أنها امرأة؟» قال: «لا، ولكن أمسك فكري ألا يشتهيها». قال: «مبارك». وإن سمعت أن أحداً يحبك ويجدوك، وعن آخر يبغضك ويشتمنك، واتفق أن حضر إليك الاثنين، أيكونا أمامك في متلة واحدة؟» قال: «لا. ولكن أمسك أفكاري فلا أكافئه حسب أعماله وأحواله وشيمته، بل أظهر له الحبة». أخيراً قال له الأب مقاريوس: «اغفر لي يا أبي فإنك حسناً جاهدت وقاتلت وصبرت من أجل المسيح، لكن أوجاعك ما ماتت بعد، بل ما زالت حية لكها مربوطة. فتب واستغفر الله، ولا تعود إلى ما كنت تصف به نفسك لثلا ثور عليك الأوجاع بالأكثر». فلما سمع المتوحد ذلك الكلام انتبه من غفلته وسجد بين يدي الشيخ قائلاً: «اغفر لي يا أبي، فلقد داويت جراح جهلي بعراهم وعظلك الصالح». (س٥:

(Abc. Abraham 1) (ج ٢٨)

٥٠ - قيل عن الأب مقاريوس مرة إنه مضى إلى البهلوس^(١٧) ليقطع خوصاً، فأتاه

^(١٧) البهلوس باللغة اليونانية πόλεις و معناها الوادي أو المستنقع أو بركة المياه، ومنها الكلمة القبطية πόλη.

الشيطانُ وأخذ منه المنجلَ وهمَ ليضر به. أما هو فلم يفزع بل قال له: «إن كان السيدُ المسيح قد أعطاك سلطاناً علىَّ فها أنا مستعدٌ لأنْ تقتلني»؛ فانهزم الشيطانُ وانصرف عنه هارباً. (س: ٥ ظ) (Abc. Macarius 35)

٥١ - قيل عن الأب مقاريوس إنه كان يوصي تلاميذه بأن لا يقتنوا مقتنيات البتة. فقد كان يخاطبهم بقوله: «رَاهِبٌ لَه جَهَّةٌ لَا يُسَاوِي جَهَّةً» (س: ٣ ظ). وكان يقول أيضاً: «إِنْ حَمَيَ الْمَسِيحُ الَّذِينَ أَرَادُوهُ قَدْ تَرَكُوا نِعِيمَ الدُّنْيَا وَلَذَّاهَا. وَصَارَتْ مُتَرَلَّةً الْعَالَمُ عَنْهُمْ كَمُتَرَلَّةِ الْعُوَيْدِ الصَّغِيرِ، فَلَمْ يَتَأْلُمُوا عَلَى فَقْدِ شَيْءٍ مِنْهُ. إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَأْسُفُ عَلَى فَقْدَانِ شَيْءٍ مِنْهُ فَلَيُسِّبِّ بِكَامِلٍ بَعْدِهِ. إِنَّ كَمَا قَدْ أُمْرَنَا أَنْ نَرْفَضَ أَنفُسَنَا وَأَجْسَادَنَا فَكَمْ بِالْحَرَقِ الْمَقْتَنِيَاتِ. إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحْرُقُ بِهَذِهِ الْفَضْيَلَةِ وَأَمْثَالُهَا عِنْدَمَا يَرَوْنَ إِنْسَانًا عَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى الْأَشْيَاءِ وَلَيْسَ بِمُتَأْسِفٍ عَلَيْهَا إِذَا فَقَدَهَا، لَا سِيمَا إِذَا عَلِمُوا أَنَّهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ بِغَيْرِ هُوَ أَرْضِي. إِنَّ نِيَّاتِ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ حَتَّى أَنَّهُ يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ بِنِيَّةٍ نَشِطَةٍ وَحَارَةً أَنْ يَتَقدَّمَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يُمْكِنُ لِغَيْرِهِ أَنْ يَتَقدَّمَ فِي خَمْسِينَ سَنَةً إِذَا كَانَتْ نِيَّةُ مَتَوَانِيَّةً. وَالشَّيَاطِينُ إِذَا رَأَوْا إِنْسَانًا قَدْ شُتِّمَ أَوْ أُهْبِيَّنَ أَوْ خَسِرَ شَيْئًا وَلَمْ يَغْتَمُ، بَلْ احْتَمَلَ بَصِيرٍ وَجَلَدٍ إِلَيْهَا تَرَاعَ مِنْهُ، لَأَنَّهَا تَعْتَقِدُ وَتَعْلَمُ بِأَنَّهُ قَدْ سَلَكَ فِي طَرِيقِ اللَّهِ». (س: ٥ ظ)

٥٢ - وَحَدَثَ مَرَّةً أَنْ أَرْسَلَ شَيْوُخُ الْجَبَلِ إِلَى الْأَبِيَّ مَقَارِيُوسَ يَقُولُونَ لَهُ: «سِرْ إِلَيْنَا لِنُشَاهِدَكَ قَبْلَ أَنْ تَنْصُرَ فَإِلَى الرَّبِّ وَلَا تَضْطَرَّ الشَّعْبَ إِلَى الْجَحِيَّةِ إِلَيْكَ». فَلَمَّا سَارَ إِلَى الْجَبَلِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الشَّعْبُ كُلُّهُ. وَطَلَبَ إِلَيْهِ الشَّيْوُخُ قَائِلِينَ: «قُلْ لِلشَّعْبِ كَلْمَةً أَيْهَا الْأَبِ». فَقَالَ: «لِنَبِكِ أَيْهَا الإِخْرَوَةُ وَلِتَسْلِي دَمَوْعَنَا مِنْ أَعْيَنَا قَبْلَ أَنْ نَضِيَ إِلَى حِيثَ تَحْرِقُ دَمَوْعَنَا أَجْسَادَنَا بِدُونِ نَفْعٍ». فَلَمَّا قَالَ هَذَا بَكَى وَبَكَى الْكُلُّ مَعَهُ، وَخَرَوْا عَلَى وَجْهِهِمْ قَائِلِينَ: «أَيْهَا الْأَبِ صَلَّ مِنْ أَجْلِنَا». (س: ٥ ج) (Abc. Macarius 34)

٥٣ - سأله الشيوخُ مِرْةً: «كيف نصلِّي؟»؟ فقال: «نبسطُ أيدينا إلى الله ونقول: يا الله أهداَنَا كَمَا تَحِبُّ وَكَمَا تَرِيدُ، وإن أصابَتْنَا ضِيقَةً قلَّنا: يَا رَبُّ أَعْنَا، فَهُوَ يَعْرُفُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَنَا وَيَصْنَعُ مَعْنَا كَرْحَمَتِهِ وَمَحْبَتِهِ لِلْبَشَرِ». (رس ٥: ٢٩ ج) (Abc. Macarius 19)

٦٥ +

وصية أبا مقار

٥٤ - وقال أيضًا: «يا أولادي الأحباء، عظيم هو مدُّ القديسين، فينبغي أن نفحصَ عن تدبيرِهم الذي نالوا بواسطتهِ هذا المجد، وبأي عملٍ وفي أي طريقٍ وصلوا إليه. وقد علمنا أنهم لم يشتروا بغيرِ هذا العالم ولا حصلُّوه بصناعةٍ ما أو بتجارةٍ ما. ولا اقتنوه بشيءٍ مما يملكون، إذ أنهم تمسكُوا وتغربُوا عن هذا العالم، وحالوا جياعًاً فقراءً، فعلى ما أراه أجدُ أنهم نالوا ذلك المجد العظيم بتسليمهم ذواتِهم وتدبيرِ أمورِهم ونيّاتهم لله، فأخذُوا إكليلَ المجد السماوي، فما الذي كان لهم وليس هو لنا سوى أنهم تركوا أهويتهم كلُّها من أجلِ ربِّ وتبغُه حاملين الصليب؛ ولم يفصلُهم حبُّ شيءٍ آخر عن محبتِه تعالى. لأنهم لم يحبُوه أكثرَ من الأولاد فقط مثل إبراهيم، بل وأكثرَ من ذواتِهم أيضًا، كما يقول بولس الرسول لا شيءٍ يستطيعُ أن يفصلَه عن حبِّ الله.

فالآن يا أولادي الأحباء جاهدوا واصبروا إلى الموتِ كالقديسين لتصيروا مسكنًا لله. إن أحبيتم بعضاً فإن الله يسكنُ فيكم. وإن كان في قلوبِكم شرٌ فلن يسكنَ الله فيكم. احذروا الوقعَة لغلا تصيروا كالحية أوابي للشيطان. احفظوا أسماءَكم من كلامِ النميمة فتكونُ قلوبُكم نقيةً. واهربوا من كلِّ ما ينحِّسُ القلب. أكرموا بعضَكم بعضاً ليكونَ السلامُ والمحبةُ بينكم. إنْ غَضِبَ أحدٌ على أخيه وأحزنه فلا يستريح له بال قبلَ أن يصلحَه بحلوةِ المحبة. فقد كتب: لا تَغِبِّ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ. قبلوا بعضَكم بعضاً بقبلةِ

السلام، وذلك ليَخْزَى عدوُّ السلامِ ويُفرَحَ إِلَهُ السلامِ، وتكونوا لَهُ بَنِينَ، لأنَّهُ قالَ: إنَّ فاعليَّ السلامِ يُدعُونَ أَبْنَاءَ اللَّهِ، صَلُوْا بِالرُّوحِ دائِمًا كَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ. اتَّصَعُوا لِإِخْوَتِكُمْ وَأَخْدُمُوهُمْ حَسْبَ قَوْتِكُمْ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ لِتَنْتَالُوا مِنْهُ الْجَزَاءَ، فَقَدْ قَالَ لَهُ الْمَحْدُ: مَا تَصْنَعُونَ بِهِمْ فِي تَصْنَعُونَهُ، إِنَّ كُلَّ أَعْمَالِنَا بِنَحْدِهَا سَاعَةً مَفَارِقَةً أَنفُسُنَا لِأَجْسَادِنَا، فَقَدْ كَتَبَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَوَدَّكُمُ الَّذِي أَظْهَرْتُمُوهُ بِاسْمِهِ إِذْ خَدَمْتُمُ الْأَطْهَارَ وَتَخْدِمُوهُمْ أَيْضًا، لِيَكُنْ تَعْبُّ أَجْسَادَكُمْ هَوَاكُمْ وَمُشْتَهَاكُمْ وَمُحِبُوبًا لِدِيْكُمْ، وَلَا تَسْتَسِلُّمُوا لِلْأَنْحَالِ وَالْكَسْلِ فَتَنْدِمُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْنَمَا يَلْبِسُ أَكَالِيلَ الْمَحْدُ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَدْ أَتَعْبُوا أَجْسَادَهُمْ، وَتَوْجِدُونَ أَنْتُمْ عَرَاهُ بِجَزْرِيِّ أَمَامِ مَنْتِرِ الْمَسِيحِ، مَحْضُرُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ جَمِيعًا، لَا تَنْعَمُوا أَجْسَادَكُمْ فِي هَذَا الزَّمْنِ الْيَسِيرِ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّوْمِ لَنْلَا تَعْدُمُوا الْخَيْرَاتِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَوْصُفُ، فَمَنْ ذَا الَّذِي تَكَلَّلَ قَطُّ بِدُونِ جَهَادٍ؟ وَمَنْ اسْتَغْنَى بِدُونِ عَمَلٍ؟ وَمَنْ رَبِحَ وَلَمْ يَتَعْبُ أَوْلًَا؟ أَيُّ بَطَالٌ جَمْعُ مَالًا؟ أَوْ أَيُّ عَاطِلٌ لَا تَنْفَدُ ثُروَتُهُ؟ هَذَا كَتَبَ: إِنَّهُ بِأَحْزَانِ كَثِيرَةٍ نَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، فَلِيَحْرُصَ كُلُّ مَنْكُمْ عَلَى قَبُولِ الْأَتَاعَابِ بِفَرَحٍ عَالِمٍ أَنَّ مِنْ وَرَائِهَا كُلُّ غُنْيٍ وَكُلُّ رَاحَةٍ، أَمَا الَّذِي لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَحْتَمِلَ الْأَتَاعَابَ لِضَعْفٍ أَوْ أَمْرَاضٍ، فَلِيَمْحَدُّ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَعَبُونَ وَيَعْبَطُهُمْ كَمَا يَفْرَحُ مَعَهُمْ فِي خَيْرِهِمْ.

لا تَقْبِلُوا فِي فَكْرِكُمْ وَلَا تَصْفِفُوا فِي كَلَامِكُمْ أَيَّ إِنْسَانٍ بِأَنَّهُ شَرِيرٌ، لَأَنَّ بَطْرُسَ الرَّسُولَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَرَانِي وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَقُولَّ عَنِ إِنْسَانٍ إِنَّهُ نَجِسٌ أَوْ رَجِسٌ، فَالْقَلْبُ النَّقِيُّ يَنْظُرُ كُلَّ النَّاسِ أَنْقِيَاءً، فَقَدْ كَتَبَ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلْأَطْهَارِ وَالْقَلْبُ النَّجِسُ يَنْجِسُ كُلَّ أَحَدٍ، لَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لِلْأَعْمَى ظَلَامٌ، هُوَ ذَا الرَّبُّ قَدْ حَلَّنَا مِنْ عَبُودِيَّةِ الشَّيْطَانِ فَلَا نَعْدُ نَرْبِطُ أَنفُسَنَا أَوْ نَسْتَعْبِدُهَا بِسُوءِ رَأِينَا.

احفظوا ما كلمتكم به ليكون لأنفسكم منه دواءً وصحّة، ولا يجعلوه شاهداً عليكم، لأنّه سيأتي وقتٍ فيه يُطالبون بالجواب عن كلامي هذا. تمسكوا بالتوبّة واحذروا لئلا تصطادوا بفتح الغفلة. لا تتهاونوا لئلا تكون الطلبة من أحلكم باطلة. داوموا على التوبّة ما دام يوجد وقتٌ. فإنكم لا تعرفون وقت خروجكم من هذا العالم. لنعمل ما دام لنا زمان لنجد عزاءً في وقت الشدة. فمن لم يعمل ويتعجب في حقله في أوان الشتاء لن يجد في الصيف غلَّة يملأ بها مخازنه ليقتات بها. فليحرص كلُّ واحد على قدر طاقته، فإن لم يمكنه أن يربح خمسَ وزناتٍ فليجاهد كي يربح اثنين. أما العبدُ الكسلانُ الذي لا يعمل ولا يربح فمصيره العذاب. طوي لم يجاهد بكل قوّته فإن ساعةً واحدةً في نياحة تنسيه جميع أتعابه. فويلٌ وويلٌ لمن تغافل وكسل لأنّه سيندم حيث لا ينفع الندم. لا تكمّلوا شهوة الجسد لئلا تحرموا من خيرات الروح. فإن الرسول قد كتب: إن اهتمام الجسد هو موتٌ، واهتمام الروح هو حياة. افرحوا بكمال إنجوتكم وضعوا نفوسكم لهم وتشبّهوا بهم واحزنوا على نقصكم. اصبروا للتجارب التي تأتي عليكم من العدو واثبتوها في قتاله ومقاومته، فإن الله يعینكم ويهبكم أكاليل النصرة، فقد كتب: طوي للرجل الذي يصبر للبلايا ويصبح مجرباً فإنه ينال إكليل الحياة. لا غلبة بدون قتال ولا إكليل بدون غلبة. اصبروا إذاً فقد سمعتم قولَ ربِّ الأحبائي: أما أنتم الذين صبرتم معِي في تجاري، هنا أنا أعدُ لكم الملوكَ كما وعدني أبي. قوله أيضاً: إن الذي يصبر إلى المتهى فهذا يخلصُ. وقد قدم لنا نفسه مثلاً كيف نصبر إلى المتهى. ففي الوقت الذي كان فيه يُسبَّ ويُعير ويُهان من اليهود نراه يتزاءف عليهم ويحسن إليهم، فكان يشفى أمراضهم ويعلّمهم. وقبل الآلام يجسده وصبر حتى الصليب والموت. ثم قام بالجحد وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله.

اشكروا ربَّ في تعبكم من أجلِ الرجاءِ الموضوع أمامكم. اصبروا في البلايا لتناولوا

أكاليلَ المجاهدين. اغفروا لبعضكم بعضاً لتناولوا الغفرانَ. فقد قال ربُّ: اغفروا يُغفر لكم. داوموا على حفظ هذه الوصية فإن ربحها عظيمٌ ولا تعب فيها. كونوا أبناءَ السلامِ ليَحْلِ سلامُ الربِّ عليكم. كونوا أبناءَ الحبةِ لترضوا مُحَبَّ البشر. كونوا بني الطاعةِ لتنجوا من المحتالِ. إن أولَ العصيانِ كان من آدم أينا في الفردوس لسببِ شهوةِ الطعامِ وأولُ الجهادِ من سيدنا المسيح كان في البريةِ في الصيامِ. وتعلمنا من التجربةِ أن الراحةَ والطعامَ هما أسبابُ الضلالِ. والصومُ هو سببُ الغلبةِ والنصرةِ. فصوموا مع المخلصِ لتمجيدوا معه وتعلبوا الشيطانَ. والصيامُ بدونِ صلاةٍ واتضاعٍ يُشبه نسراً مكسوراً الجناحينِ. احتفظوا بحرصِكم ولا تهربوا من أتعابِكم. فإن الطوبى لمن لازم التوبةَ حتى يمضي إلى الربِّ. لازموا السهرَ وقراءةَ الكتبِ وثابروا على الصلاةِ وأسرعوا إلى الكنيسةِ، ونُقُوا قلوبِكم من كلِّ دنسٍ لتستحقوا التناولَ من جسدِ السيدِ المسيحِ ودمِهِ الأقدسِينِ فيثبتَ الربُّ فيكم. وبهذا السرُّ العظيمِ تحفظون من الأعداءِ. فمن يتهاون بهذا السرِّ فإنَّ قواتِ الظلمةِ تقوى عليه فيبتعدُ عن الحياةِ بهواه. فلتتقدم إلى الأسرارِ المقدسةِ بخوفٍ وشوقٍ وإيمانٍ تامٍ، ليُبعَدَ عنا خوفُ الأعداءِ بقوَّةِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ، الذي له المجد إلى الأبدِ آمين». (س٥: ٢٩ ج) (CPG. Suppl. Gregorian version, 2423)

٥٥ — وقال أيضاً: «من يريدُ أن يأتي إلى اللهِ ليستحقَ الحياةَ الدائمة، ولن يكونَ مسكوناً للسيدِ المسيح، ويكتفى من الروح القدس، ينبغي له أولاً أن يكون له إيمانٌ ثابتٌ باللهِ، وأن يتفرغَ لعملِ وصاياغِه، ويرفض العالمَ بالكمالِ. فإذا كان عقلُه مشغولاً بشيءٍ مما يُرى فحينئذ عليه أن يلازمَ الصلاةَ، ويكلّف نفسه بالقيامِ بكلِّ عملٍ صالحٍ. وإن كان قلبه لا يريدُ، إما بسببِ قتالٍ أو لتأصلُ عادةً رديةً أو لعجزٍ وقلةً صبرٍ، فلي Jihadَ ليختطفَ ملوكَ السمواتِ، لأنَّ الغاصبينَ يختطفونَه. وليرحص أن يدخلَ من البابِ الضيقِ ويسيرَ في الطريقِ الكريبيَّةِ الموصلةَ إلى الحياةِ الأبديةِ، ويجعل اللهَ بين عينيه دائمًا أبداً، مداومًا على

عملٍ ما يرضيه وحده. فإذا دربَ الإنسانُ نفسه على أن تتعودَ على ذلك، ذاكراً ربَّه دواماً مترجحاً إياه بشوقٍ كثيرٍ، فحينئذ يخلصه ربُّ من الأعداءِ ومن الخطيئةِ الساكنةِ فيه، ويملأهُ من نعمةِ الروح القدس. وهكذا يستطيعُ أن يعملَ الفضائلَ بالحقيقةِ بدون تعبٍ ولا تكُلُّ لأنَّ ربَّ يعيشه». (س:٥ ظ٣١)

٥٦ - وقال أيضاً: إنَّ الذي يلزِمُ الصلاةَ يقتني أفضَلَ الأعمالِ، إذ هو محتاجٌ إلى جهادٍ أكثر من سائرِ الأعمالِ. لذلك ينبغي له الحرصُ الدائمُ والصبرُ والتعبُ دائماً، لأنَّ الشريرَ يناصبه العداءَ، ويجلبُ عليه نعasaً وكسلًا وثقلًا جسدًا، والخاللاً وضحراً وأفكاراً مختلفةً، وطياشةً عقلٍ وحيلاً كثيرةً محاولاً إبطال الصلاة. لذلك يلزمُه الجهادُ إلى الدمِ مقابل أولئك الذين يطلبون إبعادَ النفسِ عن اللهِ. ولتيقظ مراقباً ذهنه. مطارداً الأفكارَ المضادةَ بشدةً. وطالباً من اللهِ عوناً وفهمـاً». (س:٥ ظ٣١)

٥٧ - وقال أيضاً: «إنَّ أردتَ أن يقبلَ اللهُ دعاءَك فاحفظْ وصاياه. أنت عبدُ اللهِ فلا تعمل لغيره، ولا تتكل على غيره، ولا تدعُ غيره. وإذا قد علمتَ أنك ستأنى للدينونةِ فاسْعَ فيما يخلص نفسَك منها. اذكر الموتَ وتأهب لموافاته. الوحـدة هي حفظُ العينين والأذنين واللسان والاشتعالُ بالقراءةِ والصلـاة. الوحـدة هي مرآةُ تُبَيَّنُ للإنسانِ عيوبـه. كما أنَّ عصا هرونَ أزهـرت وأثـمرت في ليلةٍ واحدة، كذلك الراهـب إذا حلَّ فيه ربُّ فإنَّ نفسه تُزهـرُ وتشـمرُ أثـمارَ الروح القدس بمعونةِ خالقها السيد المسيح له المجد». (س:٥ ج٣٢)

مختصر

دائم ذِكر الاسم القدس

٥٨ - وقال أيضاً: «دائم ذِكر الاسم القدس، اسم ربنا يسوع المسيح، فهذه هي

الجوهرةُ التي من أجلها باع التجارُ الحكيمُ كلَّ أهويةِ قلبهِ واحتراها، وأخذها إلى داخل بيتهِ فوجدها أحلى من العسلِ والشهدِ في فمه. فطوبى لذلك الإنسان الذي يحفظُ هذه الجوهرةَ في قلبهِ فإنها تعطيه مكافأةً عظيمةً في مجدِ ربِّنا يسوعَ المسيح». (س:٥ ج:٣٢)

٥٩ - قال له أخُوهُ: «إني جبانٌ بسببِ خطايائي فماذا أعمل يا أبي؟» قال له الشيخُ: «تفوّقْ وتمسك برجاءِ الحياةِ والرحمةِ التي لا حدَّ لها، الذي هو اسمُ ربنا يسوعَ المسيح». (س:٥ ج:٣٢)

٦٠ - حدث أنْ زار الأنبا بيمين الأنبا مقاريوس، فقال الأنبا بيمين: «يا أبي ماذا يعملُ الإنسانُ كي يقتني الحياةً». فقال الأنبا مقاريوس: «إن داومتَ كُلَّ حينٍ على طعامِ الحياةِ الذي للاسمِ القدس، اسم ربنا يسوعَ المسيح، بغير فتور، فهو حلُّ في فمكِ وحلقِكِ، وبترديكِ إيهَا تَدْسُمُ نفسُكِ. وبذلكِ يمكنكُ أن تقتني الحياةً» (س:٥ ج:٣٢)

٦١ - قال شيخُ: «إنْ كان كُلُّ ملءِ الlahوت قد حلَّ في السيدِ المسيح جسدياً كقولِ الرسول، فلا نقبلُ زرعَ الشياطينِ الأنجاسِ عندما يقولون لنا: إنكم إذا صرحتُم باسمِ يسوع فلستم تدعونَ الآبَ والروحَ القدس. لأنهم يفعلون ذلك مكرًا منهم لكي يمنعونا من الدعاءِ بالاسمِ الحلوِ الذي لربنا يسوعَ المسيح، لعلهم أنه بدونِ هذا الاسم لا ولن يوجد خلاصُ البتة، كقولِ الرسول بطرس: إنه ليس اسمُ آخر تحت السماءِ أُعطي للإنسانِ به ينبغي أن نخلصَ، ونحن نؤمنُ بإيماناً كاملاً بأننا إذا دعوْنا باسمِ ربنا يسوعَ إنما ندعو الآبَ والابنَ والروحَ القدس، لأننا لا نقبلُ البتة فرقاً ولا انقساماً في الlahوت، ونؤمن أيضاً أن ربَّنا يسوعَ المسيح هو الواسطةُ الذي به يحصلُ الناسُ على الدنو من الله والحديثِ معه، كقولِ الرسول: وفي هذه الأيامِ كُلُّمنا في ابنهِ». (س:٥ ج:٣٢)

٦٢ - قال شيخُ مثلاً: «كان لإنسانٍ في قريةٍ أختٌ جميلةٌ. ولما كان يومُ عيدِ تلك

القرية، سأله أخْتُهُ أَن يأخذها إِلَى مَوْضِعِ ذَلِكَ الْعِيدِ. وَإِذْ كَانَ أَخُوهَا يَخَافُ أَن يَرْسِلَهَا وَحْدَهَا لِثَلَاثَةِ لَقَوْمٍ عَثَرَةً بِسَبَبِ شَبَابِهَا، فَقَامَ وَمَضَى بِهَا إِلَى مَكَانِ عِيدِ الْقَرْيَةِ وَهُوَ مُسْكُنٌ بِيَدِهَا. وَكَانَ يَنْتَقِلُ بِهَا مِنْ مَكَانٍ لِآخَرٍ وَهُوَ مُسْكُنٌ بِيَدِهَا، لَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ هِيَ مَالٌ إِلَى فَعْلِ حَمَالَةٍ فَإِنَّهَا لَنْ تَسْتَطِعَ لِأَنِّي مُسْكُنٌ بِيَدِهَا^(١٨). وَهَكُذا فَقَدْ كَانَ الْكَثِيرُونَ يَنْظَرُونَ إِلَى الصَّبَيَّةِ وَيَشْتَهِوْهُمَا مِنْ أَجْلِ جَمِيلِهِمَا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِعُوْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِهَا شَيْئًا لَأَنَّ أَخَاهَا كَانَ مُسْكُنًا بِيَدِهَا. وَهِيَ كَذَلِكَ كَانَتْ تَنْظَرُ إِلَى الصَّبَيَّانِ الَّذِينَ يَشْتَهِوْهُمَا وَتَمِيلُ بِضَمِيرِهَا لِلَّذِنَّةِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إِكْمَالِ شَهْوَتِهَا لَأَنَّ أَخَاهَا كَانَ مُسْكُنًا بِيَدِهَا. ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الَّذِي ذَكَرَ هَذَا الْمَثَلَ: مَا دَامَتِ النَّفْسُ ذَاكِرَةً اسْمَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي صَارَ لَنَا أَحَادِيثَ بِالْتَّدْبِيرِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُسْكُنًا بِيَدِهَا. وَإِنَّ أَرَادَ الْأَعْدَاءُ غَيْرَ الْمَنْظُورِينَ خَدَاعَهَا فَلَا يَسْتَطِعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا بِهَا شَيْئًا لَأَنَّ أَخَاهَا مُسْكُنٌ بِيَدِهَا. وَإِنَّهُ يَخْضُعُ لِلْأَفْكَارِ وَمَالَتْ لِلَّذَّاتِ الْعَالَمِ، فَلَنْ تَسْتَطِعَ إِكْمَالَ الْخَطِيَّةِ لَأَنَّ أَخَاهَا مُسْكُنٌ بِيَدِهَا إِنْ هِيَ تَمْسَكَتْ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالْاَسْمِ الْمَخْلُصِ الَّذِي لَرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَلَمْ تُرْخِهِ. أَرَأَيْتَ يَا حَبِيبَ كَيْفَ أَنْ التَّمْسَكَ بِهَذَا الذِّكْرِ الصَّالِحِ الَّذِي لَاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ خَلاصٌ عَظِيمٌ وَحَصْنٌ مُنِيعٌ وَسَلَاحٌ لَا يُقْهَرُ وَخَاتَمُ خَلاصِ النَّفْسِ؟ فَلَا تَتَوَانَّ عَنْ أَنْ تَقْتِنِ لِنَفْسِكَ هَذَا الْكَتَرَ الَّذِي لَا يُسْرِقُ، وَهَذِهِ الْجَوْهَرَةُ الْكَثِيرَةُ الْثَّمَنُ الَّتِي هِيَ اسْمُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، ذَلِكَ الْاَسْمُ الْمَخْلُصُ. فَإِنْ سَأَلْتَنِي قَائِلًا: وَكَيْفَ أَقْتِنِ هَذَا الْكَتَرَ الْعَظِيمِ؟ أَجْتَبُكَ قَائِلًا: بِالْعَزْلَةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَدُمُّ الْاَهْتِمَامِ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ. وَإِتَاعَبَ الْجَسَدِ بِقَدْرِهِ، وَالصَّوْمُ بِمَدَاءِمَةِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا تَلْذُذُ الْاِتْضَاعِ وَالدَّمْوَعِ الصَّادِقةِ. وَتَجْعَلُكَ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ كُلِّ الْخَلِيقَةِ. فَإِذَا مَا حَصَلْتَ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ صَرَّتْ أَبْنَانَ اللَّهِ وَأَنْتَ عَلَى الْأَرْضِ. وَتَنْتَقِلُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى

^(١٨) انظر: «وَإِذَا سَقَطَ لَا يَضُطُّرُ، لَأَنَّ الرَّبَّ يَسْتَدِيدُ يَدَهُ» (مز ٣٦: ٢١ سبع).

فوق السماءِ وأنت كائنٌ في الجسدِ. كلُّ نعمةٍ هي منك ولنك يا ربُّ. إنك تصنعُ الرحمةَ مع ضعفِنا حتى تنقلنا إلى ملوكِتك». (س: ٥ ظ: ٣٢)

٦٣ - قال شيخُ: «الأنبياءُ والرسُّلُ دوَّنوا ما في الكتبِ، فَعَمِلَ بها آباءُنا ومنْ أتى بعدهم. فلما جاءت هذه القبيلةُ وهذا الجيلُ، كتبوها ووضعوها في الْكُورَي بغيرِ فائدةٍ». (س: ٥ ظ: ٣٣) (An. 228)

٦٤ - سأله شيخاً قائلاً: «يا أبي، ماذا أعملُ بهذه الحروب الكائنةِ معِي؟»؟ فقال له الشیخُ: «إن مداومةَ اسمِ الربِ يسوعَ تقطعُ كلَّ أكْلَةٍ». (س: ٥ ظ: ٣٣)

٦٥ - قال شيخُ: «ليس هناك فضيلةٌ من الفضائلِ تشبه فضيلةَ مداومةِ الصلاةِ والتضرع باسمِ ربنا يسوعَ المسيحِ في كلِّ وقتٍ، إما في العزلةِ بالشفتينِ، وإما بالقلبِ بغيرِ تترهِ». (س: ٥ ظ: ٣٣)

٦٦ - قال شيخُ: «إذا ما رفض الذهنُ أوامرَ الروحِ القدسِ تَبَعُّدَ القوةُ ذاتها، وثورُ أوجاعُ القلبِ. فإذا ما رجع القلبُ إلى اللهِ وحفظَ أوامرَ الروحِ القدسِ كان عليه سِرِّه، وحينئذ يعلمُ الإنسانُ أن مداومةَ ذكرِ اسمِ القدسِ ربنا يسوعَ المسيح هو الذي يحرسه تحت سِرِّ رحمتهِ». (س: ٥ ظ: ٣٣)

٦٧ - سألهُمْ شيخاً قائلاً: «يا أبي عرّفني كيفيةَ الجلوسِ في القلايةِ». فقال له الشیخُ: «هذا هو ما يُعَمَّلُ في القلاية: كُلُّ مرَّةً واحدةً كُلُّ يومٍ مع عملِ البدينِ وكمالِ الصلواتِ الفرضية (Bu. I, 546a). وأفضلُ الجميعِ أن تكونَ مداوماً ذكرَ اسمِ ربنا يسوعَ المسيح بغيرِ فتور. وفي كُلِّ لحظةٍ ارفعْ عينيكَ إلى فوقِ وقل: يا ربِ يسوعَ تحننْ علىَ، أنا أسبحُك يا ربِ يسوعَ المسيح». (س: ٥ ظ: ٣٣)

٦٨ - قال شيخُ: «إذا كنتَ حالسًا في القلايةِ نشطِ نفسك. لتكن خدمةُ القلبِ

عندك أفضلاً من خدمة الجسد، لأن الله يريد القلب أن يكون ملازماً اسمه القدس كل حين مثل عبد ملازم سيده وحائف منه». (س: ٥ ظ ٣٣)

٦٩ - سُلَّمَ أخُ شِيخًا: «كيف أجدَ اسْمَ رَبِّ يسوعَ الْمَسِيحِ؟» قال له الشِّيخُ: «إذا لم تحبَ الاتِّعابَ أولاً لا تستطِيعُ أن تجده». (س: ٥ ظ ٣٣)

٧٠ - وسأله أخُ آخرَ قائلاً: «كيف تقتني النَّفْسُ خوفَ اللهِ؟» أجابه: «إذا لم تنظرِ النَّفْسُ اللهَ لا تخافه». قال له: «وَمَاذا يظْهِرُ اللهُ لِلنَّفْسِ؟» أجابه: «بِالْعَزْلَةِ والضِيَقَةِ والصِّراخِ كُلَّ حِينٍ بِشُوقٍ، وَلَا يَفْتَرُ عَنْ أَنْ يَنْادِي قائلاً: يا رَبِّ يسوعَ الْمَسِيحِ. فَإِذَا مَا كَانَ ذِكْرُهُ دَائِمًا فِي قَلْبِكَ كُلَّ حِينٍ فَإِنَّهُ يَبْحِيُ وَيَسْكُنُ فِيكَ، وَيَعْلَمُكَ كُلَّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةَ». (س: ٥ ج ٣٤)

٧١ - وأيضاً سُلَّمَ أخُ شِيخًا قائلاً: «أَتَرِيدُنِي أَنْ أَتْرَكَ قَلْبِي عِنْدَ خَطَايَايِّ؟» قال: «لا». قال: «فَهَلْ أَتْرَكُهُ عِنْدَ جَهَنَّمَ؟» قال: «لا. بل اتَّرَكْهُ عِنْدَ يسوعَ الْمَسِيحِ فَقَطُّ، وَالصِّيقُ عَقْلُكَ بِهِ لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَأْخُذُوكَ ضَمِيرَكَ إِلَى حِيثُ يُعَذِّبُونَكَ عَنِ الرَّبِّ يسوعَ الْمَسِيحِ». فَسَأَلَهُ: «وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَلْتَصِقُ الضَّمِيرُ بِالرَّبِّ يسوعَ الْمَسِيحِ؟» قال له: «بِالْعَزْلَةِ وَعَدَمِ الْهَمِّ، وَالتَّعَبِ الْجَسْدَانِي بِقَدْرِهِ». (س: ٥ ج ٣٤)

٧٢ - قال أَنْبَى يعقوب: إِنِّي زُرْتُ أَنْبَى إِيْسِيُّدُورُوسَ دُفْعَةً، فَوَجَدْتُهُ يَنْسَخُ، وَإِنِّي جَلَسْتُ عَنْهُ فَرَأَيْتُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ قَلِيلٍ يَرْفَعُ عَيْنِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَتَحْرُكُ شَفَتَاهُ، وَلَا أَسْمَعُ لَهُ صوتاً الْبَتَّة. فَقَلَتُ لَهُ: «لِمَاذَا تَعْمَلُ هَكَذَا يَا أَبِي؟» قال لي: «إِنْ لَمْ تَفْعَلْ أَنْتَ هَكَذَا، فَمَا صَرَّتَ بَعْدُ رَاهِبًا وَلَا لِيَوْمٌ وَاحِدٌ». وَهَذَا هُوَ مَا كَانَ يَقُولُهُ: «يَا رَبِّ يسوعَ الْمَسِيحِ أَعْنِي، يَا رَبِّ يسوعَ الْمَسِيحِ ارْحَمْنِي، أَنَا أَسْبَحُكَ يَا رَبِّ يسوعَ الْمَسِيحِ». (س: ٥ ج ٣٤) (Eth. Coll.) (13,43)

٧٣ - سأله أحد شيخاً: «عَرَّفْنِي يَا أَبِي كَيْفَ أَتَسْكُنُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمِسِّحَ بِقَلْبِي وَلِسَانِي؟» أَجَابَهُ الشَّيْخُ: «مَكْتُوبٌ أَنَّ الْقَلْبَ يَؤْمِنُ بِهِ لِلْبَرِّ، وَالْفَمُ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاصِ». إِذَا هَذَا قَلْبُكَ فَإِنَّهُ يَرْتَلُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ دَائِمًا. أَمَّا إِنْ أَصَابَهُ عَدْمُ هَدْوَى وَطِيشَةً، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَلَوَّ بِاللِّسَانِ حَتَّى يَتَوَدَّعَ الْعَقْلُ. إِذَا نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ أَرْسَلَ لَكَ مَعْوِنَةً عِنْدَمَا يَرَى شَوْقَ قَلْبِكَ. فَيُبَدِّلُ ظَلْمَةَ الْأَفْكَارِ الْمُضَادَّةِ لِلنَّفْسِ». (س:٥ ج:٣٤)

٦٩

القديس باخوميوس

٧٤ - جاء عن القديس باخوميوس: كان والده من الصعيدين الأعلى عابداً للأصنام. ففي ذات يوم تجند باخوميوس ضمن جنود الملك. فحدث بينما كانوا مسافرين وهو بحال سيئة للغاية، أن أتاهم قوم مسيحيون من إسنا بطعام وشراب في المعسكر. فسأل باخوميوس: «كيف أمكن لهؤلاء الناس أن يتذمّروا علينا وهم لا يعرفوننا فقط»؟ فقيل له: «إنهم مسيحيون، وإنهم يفعلون ذلك من أجل إله السماء». فلما سمع باخوميوس هذا الكلام قرر في نفسه أنه لو أتيحت له فرصة يصير مسيحيًا ويخدم المحتاجين. وبتدبر الله غالب الملك أعداءه وأصدر أوامره بتسریع الجنود. فرجع باخوميوس وتمدد. وبعد ثلاث سنين تربى عند راهب قدیس اسمه بلامون. ولوقته شرائع في إقامة شركة حتى يساعدوا بعضهمبعضاً، ويقوموا بإعالة المحتاجين والضعفاء. فاجتمع إليه كثيرون وبنوا أديرة واتخذوا لهم عيشة مشتركة. وكان القديس يرسل لهم قانون العبادة وشغال اليد والتصريف اللائق، ويدبرهم في الجلوس والقيام والسكوت والكلام. ويتشدد في ذلك إلى أبعد حد. (س:٥ ج:٣٤) (Pach.boh. I, 7-10)

٧٥ - قيل عن القديس باخوميوس: إنه مضى دفعة في أمر مع الإخوة وكان ذلك الأمر يحتاج إلى أن يحمل كل واحد منهم كمية من الحبز. فقال له أحد الشبان: «حاشاك

أن تحملَ شيئاً يا أبانا، هوذا أنا قد حملتُ كفافي وكفافك». فأحابه القديسُ: «هذا لا يكونُ أبداً. إن كان قد كتب من أجلِ الربِّ أنه يليقُ به أن يتشبهَ بإحוטه في كلّ شيءٍ، فكيفُ أميّزُ نفسي أنا الخير عن إخوتي حتى لا أحملَ حملي مثلهم. وهذا هو السبُّ في أن الأديرةَ الأخرىَ كائنةَ بالخلالِ لأنَّ صغارَهم مستعبدون لكبرائهم وليس من اللائق أن يكونَ هذا، لأنه مكتوبٌ: من يريدُ أن يكونَ كبيراً فيكم فليكن لكم عبداً». (س: ٥٣٤)

٧٦ - قال القديس باخوميوس: «اسمع يا ولدي وكن متأدباً واقبل التعليمَ. كن مطيناً مثلَ إسحق الذي سمع لأبيه وأطاعه كخروفٍ ساذجٍ القلبِ، وتشبهَ بعفةِ يوسف وحكمةِ وصيروه واحسد سيرته وكن عَمَالاً ولا تكسلْ، وتم نذركَ الذي قررَه مع اللهِ خالقكَ وربّكَ. كن صبوراً وتجلّدْ لأنَّ القديسين صبروا فنالوا الموعيدَ. كن واسعَ القلبِ لتكلّلَ مع عساكيهِ الأطهارِ. داوم على الصومِ وصلُّ ولا تملِّ واصبر للبلايا حتى يعرفها الربُّ عنكِ. اجعل السلامَ بينك وبين إخوتكَ فيسكنَ الربُّ في قلبكِ. الزم البكوريةَ في أعضائكِ والطهارةَ في قلبكِ وجسديكِ. ليكن رأسُك منكساً ونظرُك إلى أسفلِ، واتضع بقلبكِ واهزم الكبرياءَ وابتعد عن الهمِ. التصدق بمحافةِ اللهِ وكن متواضعاً لتكونَ فرحاً، لأنَّ الفرحَ رفيقُ الاتضاعِ. كن متضاضاً ليحرسكَ الربُّ ويقويكِ. فإنه يقول إنَّه ينظرُ إلى المتواضعينِ. كن وديعاً ليحكمكَ الربُّ ويملاكَ معرفةً وفهمَا، لأنَّه مكتوبٌ: إنه يُهدى الودعاءَ بالحكمِ ويعلمُ المتواضعين طرقَهِ. وحينئذ يثبتُكَ أمامه وييهيءُ لكَ السلامَ في جميعِ سبلكِ. لا تُعطِ لعينيكِ نوماً ولا لأجنانكِ نعاساً لتنجحَ من الفخِّ مثل الطائرِ. كن قويّاً القلبِ واقتِنِ للك شجاعةً منذ الابتداءِ لتقدرَ على الوقوف قبالةِ غضبِ التنينِ، لأنَّه يُصعبُ قتالكِ منذ الابتداءِ لا سيما إذا وجدَكَ غيرَ مستعداً لمقاومتهِ وذلك ليجعلكَ حزعاً من أولِ الطريقِ، كي لا تستطيعَ الوصولَ إلى متنصفها. لا تختقرَ أحداً من الناسِ ولا تدْنُه ولو رأيته ساقطاً في الخطيةِ، لأنَّ الدينونةَ تأتي من تعاظمِ القلبِ، أما المتضاعُ فإنه يعتبرُ كلَّ

الناسِ أفضَلَ مِنْهُ. فَبِأَيِّ حَقٍّ تَدِينُ عَبْدًا لَيْسَ لَكُ، فَإِنْ سَقْطَ فَلَرِبَّهُ، وَرَبُّهُ قَادِرٌ أَنْ يُقْيِيمَهُ.
إِنْ كُنْتَ غَرِيَّاً فَاعْتَكِفْ وَلَا تَدْخُلْ عِنْدَ أَحَدٍ وَلَا تَخْتَلْطْ بِصَنَائِعِ الدُّنْيَا. وَإِنْ كُنْتَ بِائِسًا
فَدَارِمَ عَلَى الْعَمَلِ بِدُونِ مَلِلٍ. أَحَبَّ الَّذِي يُؤْدِبُكَ بِخَوْفِ اللَّهِ. وَاجْعَلْ جَمِيعَ النَّاسِ
يَسْتَفِيدُونَ مِنْكَ وَابْنِهِمْ بِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَالْكَلَامِ الصَّالِحِ». (س٥: ٣٥ ج) (Pach. inst. I, 1-)

(12)

٧٧ - وَقَالَ أَيْضًا: «يَا ابْنِي إِذَا جَعَلْتَ تَوْكِلَكَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ لَكَ مَلْجَأً
وَيَخْلُصُكَ مِنْ جَمِيعِ شَدَائِدِكَ». إِنْ سَلَّمْتَ كُلَّ أَمْوَارِكَ إِلَى اللَّهِ فَآمِنْ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يُظْهِرَ
عِحَادِيَّهُ لِقَدِيسِيهِ. جَمِيعُ الْمُعْلِمِينَ وَالْأَبَاءِ وَالْكِتَابِ الْمُقَدَّسَةِ تَأْمُرُ بِالصِّيرِ الْكَثِيرِ وَتُحِثُّ عَلَيْهِ.
وَانْظُرْ لِأَيِّ درَجَةٍ حَتَّى الْلُّعَابَ الَّذِي يَبِسُ فِي فَمِكَ وَأَنْتَ صَائِمٌ لَا يَنْسَاهُ اللَّهُ. وَتَجَدُّ ذَلِكَ
عِنْدَ شَدَّدَتِكَ فِي وَقْتِ اِنْتِقالِكَ. اِتَّضَعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَإِذَا كَنْتَ تَعْرِفُ جَمِيعَ الْحِكْمَةِ فَاجْعَلْ
كَلَامَكَ آخِرَ الْكُلُّ، لَا نَكَ بِذَلِكَ تَكْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ. تَقْبَلُ كُلَّ التَّجَارِبِ بِفَرَحٍ، عَالِمًا بِالْجَهَدِ
الَّذِي يَتَّبِعُهَا، فَإِنَّكَ إِنْ تَحْقِقْتَ مِنْ ذَلِكَ فَلَنْ تَمُلِّ مِنْ اِحْتِمَالِهَا. لِدَرَجَةِ أَنَّكَ تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ
أَنْ لَا يَصْرُفَهَا عَنْكَ. جَيِّدْ لَكَ أَنْ تَتَنَاهِدَ وَتَبْكِي فَتَخْلُصَ، لَا إِنَّ الرَّاحَةَ تَضُرُّكَ وَتَفْرَّحُ
أَعْدَاءَكَ. لَا تَتَرَكْ قَلْبَكَ يُسْبِي مِعَ الْغَرَبَاءِ لَثَلَا يُقَالُ لَكَ: لَا نَكَ لَمْ تَتَّقِنْ بِالرَّبِّ فَأَقِمْ الْآنِ فِي
أَرْضِ الْعِبُودِيَّةِ. لَا تُخْلِعْ قَلْبَكَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَبَدًا لَثَلَا تَغْفِلْ قَلِيلًا فَيَظْفَرُ بِكَ الْأَعْدَاءُ
الْمُتَرَصِّدُونَ لِاصْطِيادِكَ، بَلْ اغْلِبُهُمْ بِتَرَكِ الْكَبْرِيَاءِ وَاحْذَرْ مِنْ طَلِيبَهَا لَثَلَا ثُفْرَحُ أَعْدَاءَكَ.
اسْلُكْ طَرِيقَ الْاتِّضَاعِ لَا إِنَّ اللَّهَ لَا يَرُدُّ الْمُتَوَاضِعَ خَائِبًا. لَكَنْهُ يُسْقِطُ الْمُتَكَبِّرَ وَتَكُونُ سَقْطَتِهِ
شَنيعَةً. إِذَا ضَعَفْتَ عَنْ أَنْ تَكُونَ غَنِيًّا بِاللَّهِ فَالْتَّصِقْ بِمَنْ يَكُونُ غَنِيًّا بِهِ لِتَسْعَدَ بِسَعَادِتِهِ
وَتَتَعْلَمَ كَيْفَ تَسِيرُ حَسْبَ أَوْامِرِ الإِنْجِيلِ. مَا أَكْثَرُ فَخْرِ الصَّابِرِينَ عَلَى التَّجَارِبِ، فَكَنْ
صَبُورًا وَقَاتِلَ جَمِيعَ أَفْكَارِكَ لِيَعْطِيكَ الْمَسِيحَ الْمَوْاعِيدَ الَّتِي أَعْطَاهَا لِلْقَدِيسِينَ. احْفَظْ نَفْسَكَ
مِنَ الشَّهْوَةِ فَهِيَ أُمُّ جَمِيعِ الْخَطَايَا وَالشَّيْكَ، وَالْمُقْتَنَصُ بِهَا يَضِلُّ عَقْلَهُ فَلَا يَعُودَ يَعْلَمُ شَيْئًا

من أسرارِ اللهِ. احرس نفسك من الامتناع بالطعام، لأن الطريق المؤدية إلى الحياة كريمة، والبابُ صيقٌ، والامتناع يجعلك خارجَ الجنة. إياك والنجاسة فهي تفصلُ الإنسانَ عن اللهِ. احذر من تكبر القلب لأنه أشنعُ الرذائل كلّها. تيقظ بكل قوتك كي تكونَ أميناً على مال سيدك وتدخلَ إلى ملوكِه بفرحٍ، له المجد دائمًا أبدًا آمين». (س: ٣٥ ظ) (Pach.inst. I, 16-20)

٧٨ - وقال أيضًا: «سألني أحدُ الإخوةِ مرةً قائلًا: قل لنا منظراً من المناظر التي تراها لستيفيد منه. فأجبته قائلًا: إن من كان مثلي خاطئًا لا يُعطى مناظر، ولكن إن شئتَ أن تنظرَ منظراً بهيًّا يفيدُك بالحقِّ فإنِّي أُدلكَ عليه وهو: إذا رأيتَ إنساناً متواضعَ القلبِ طاهراً فهذا أعظمُ من سائرِ المناظر، لأنك بواسطتهِ تشاهدُ اللهَ الذي لا يُرى. فعن أفضلي من هذا المنظرِ لا تسأل». (س: ٣٦ ج)

٧٩ - وقال أيضًا: «يا ابني، في كلّ شيءٍ اطلب اللهَ بطولِ روحٍ مثل الزارع والحاصلد فإنك تملأً أهراءك من نعمِ اللهِ. ارفض إرادتك بالكليةِ وافلح اللهُ بكلّ قدرتك. إذا جاءك فكرٌ بخصوصِ حبِّ الأجسامِ أو بغضٍ أو غضبٍ أو أيّ رذيلةٍ من الرذائل، فكن قويًّا القلب، وقاتل كالجبارِ حتى هزمهَا مثل عوج وسيحون وبباقي ملوكِ الكائنين، وحيثئذ ترثُ جميعَ مدنِ أعدائك. اطرح عنك ضعفَ القلبِ لثلا يتملكك الكسلُ وقلةُ الإيمانِ فيطعم فيك أعداؤك. اجعل قلبَك كقلبِ سبعٍ واصرخْ كبولس وقل: من ذا الذي يستطيعُ أن يفصلني عن حبِّ اللهِ ربِّي؟ إن كنتَ في البريةِ فقاتل بالصلواتِ والتهدِ والصوم، وإن كنتَ في وسطِ الناسِ فكن وديعاً كالحمامِ وحكيمًا كالشعبان. إن افترى عليك أحدٌ فلا تفترِ أنت عليه. بل افرح واشكر اللهِ. وإذا أكرمك إنسانٌ فلا يفرح قلبك، بل احزن، لأن بولس وبرنابا لما أكرمهما الناسُ شقّا ثيابهما. وبطرس وبباقي الرسل لما افتروا عليهم وجلدوهم فرحوا لأنهم حسروا أهلاً لأنْ يُهانوا من أهلِ الاسمِ

الأعظم. يا ابني اهرب من مجد الناسِ ومن جميع ملذاتِ الدهرِ الحاضرِ، ولا تَكُسَّلْ، ولا تُؤْجِلْ التوبةَ لغلا يفاجئكَ الْمُرْسَلُونَ وياخذوكَ وأنتَ غَيْرُ مستعدٍ فتُصِيبَكَ شدَّةً عظيمةً وتعain حينئذ الوجهة الشنيعةَ التي تخيطُ بكَ بقسوةٍ وتمضي بكَ إلى المنازلِ المظلمةِ المملوهة فرعاً ونيراناً. لا تحزن إذا افترى الناسُ عليكَ، بل بالحربي احزن إذا أخطأتَ إلى اللهِ. لقد طلبتْ حواءً مَجَدَ الألوهيةِ فتعرَّتْ من المَجَدِ الإنسانيِّ. كذلك من يلتمسُ مَجَدَ الناسِ يُحرِّمُ من مَجَدَ اللهِ. تلكَ لم يُكتبْ لها كتبٌ، ولا رأيَ مثالاتٍ فاختطفها التنينُ، أما أنتَ فقد علمتَ بهذه الأمورِ من الكتبِ المقدسةِ ومن كافَةِ الذينِ تقدموكَ، فلن تستطعَ أن تدافعَ عن نفسِكِ وتقولَ: لم أسمعْ. لأنَّ أصواتَهم خرجتَ إلى كُلِّ الأرضِ وكلامَهم بلغَ إلى أقصى المسكنةِ. إذا رذلَكَ النَّاسُ وافتروا عليكَ فلا تحزن لأنَّ رَبَّكَ دُعِيَ ضالاً وبعلزبول وبه شيطان ولم يتذمر. فاقتنِ لكَ وداعَةَ القلبِ واذْكُرْ أَنَّ رَبَّكَ وإلهَكَ سِيقَ كخروفِ للذبحِ ولم يفتحْ فاهَ، له المَجَدُ إلى الأَبَدِ». (س: ٥ ظ) (Pach. inst. I, 21-24)

٨٠ - قيل إنَّه في أحدِ الأيامِ سمعَ الأبُ باخوميوسَ أحدَ الإخوةِ يخاطبُ صبياً قائلاً: «الآنُ أوَانُ العنْبِ». فانتهرَهُ الأبُ قائلاً: «هو ذا أجسادُ الأنبياءِ الكاذبةِ قد ماتَ، ولكنَّ أرواحَهم الآنَ تطوفُ بينَ النَّاسِ تلتمسُ مسکناً فيهم. وأنتَ الآنَ لماذاً أعطيتَ للشيطانَ موضعًا كي يتكلَّمَ منَ فِيكَ. أما سمعتَ الرَّسُولَ قائلاً: كُلُّ كَلْمَةٍ رَديئةٍ لا يجبُ أن تخرجَ منَ أفواهِكم، بل لتسُرُّجَ كُلُّ كَلْمَةٍ صَالحةٍ لبناءِ الجماعةِ، لكي تعطِي السامِعَ نعمَةً. إلا تعلمَ أنَّ الكلمةَ التي قُلْتَها لا تبني رفيقَكَ بل تهدمه. ولماذا نطقَتْ بها؟ ألم يُكتبْ: نفسٌ بنفسِ؟ ألم تعلمَ أنَّ نفسَكَ تؤخذُ عوضاً عنَّ نفسِهِ. فإني الآنَ أشهدُ لكمَ أنَّ كُلُّ كَلْمَةٍ بطالَةٍ أو استهزاءٍ أو لعبٍ أو مزاحٍ أو جهلٍ، هذه كُلُّها زَنِي للنفسِ. ولكي أبينَ لكمَ مقدارَ غضبِ اللهِ الذي يكونُ على ذلكَ الإنسانِ الذي يتكلَّمُ بالكلامِ البطَالِ وبكلامِ الاستهزاءِ، أقولَ لكمَ المثلَ الآتي: دعا رجلٌ غَيْرُ أنساً إلى وليمةٍ لكي يأكلوا ويشربوا ويفرحوا. وفي

أثناء الوليمة قام بعض المتكلمين بمحون، فكسرروا الأولى الموجودة في بيت ذلك الغني. ثُمَّ ماذا عمل الغني؟ إنه غضب عليهم ووبخهم قائلاً: يا عديمي الشكر، لقد دعوتم لكي تأكلوا وتشربوا، فكيف تمزحون وتكسرن الأولى؟ هكذا يغضب ربُّ على أولئك الذين دعاهم لدعويته قائلاً لهم: دعوكم لكي تتوبروا عن خطاياكم وتخلصوا، ولكم هدمتم نفوسكم ونفوسَ الذين جمعتُهم لي ليخلصوا، بالضحكِ والكلامِ الباطلِ». (س: ٣٧ ج)
(Pach. boh. 103)

٨١ - وقال أيضاً: «يا بُني، لا تميّز موضعًا عن موضعٍ قائلاً: سوف أرى الله هنا أو سوف أراه هناك، لأن الله في كلّ موضع. لأنَّه يقول: أنا أملأ السماء والأرض. إنَّ أحبيتَ أن تَعْبُرَ مياهاً كثيرةً فاحذرْ لثلا تغمُرُك. لا تفتَش على الله لغلا تُنَلِّفَ حيائلك. احفظ القدسَ فقط فهوذا الله داخلك. انظر أين كان اللصُّ فورث الجنة، أو أين كان يهوذا فاستحقَّ المشنقة، أو كيف حُسِبَت الزانية مع الأطهارِ، أو كيف أغوى الشيطانَ حواء في الفردوس، أو كيف أصعد إيليا إلى السماء، أو كيف سقطت الملائكةُ من هناك. فاطلب ولا تكسل. اطلب الله فتحده. لا تقضي أيامك بالتواقي، كما مرَّ العام الماضي كذلك هذا العام. وكما مرَّ أمس كذلك اليوم. فإلى متى تكسل؟ استيقظ وأيقظ قلبك قبل أن يوْقِعَك مُكرهاً في يوم الحكم لتعطي الجوابَ عن جميع ما صنعت. إن صرتَ في حربِ الموتِ لا تخزع، فإن روحَ الله يُنقذُك. لأنَّه مكتوب: إني لا أخشى شرّاً لأنَّك معي»». (س: ٣٧ ظ) (Pach. inst. I, 25-26a)

٨٢ - وقال أيضاً: «يا بني لا تسكن حيث توجد امرأةً لأنَّ هُوَةَ الْهَلَاكِ كائنةٌ في شفاهها، وإن تَلْقَكَ الجسدُ قائلاً: إننا منذ زمان طويلٍ قد تَهَنَّكنا بالتجربة، أو إنني قد صرتُ ضعيفاً أو عجوزاً، أو إن الحزنَ والصومَ قد أذلني ولا أستطيعُ مخالفتهُ أمرك. فإياك أن تغترَّ به، لأنَّ الأعداءَ داخله يَكْمُنُونَ لك، لغلا يَحْلِقُونَ شعرَ رأسِكِ أي أفكارَ عقلِكِ،

فيفارقك روحُ الله وتضعف قوئُك، فيأتي الغباءُ ويربطونك ويذهبون بك إلى موضع الطحن حيث تصبح أضحوكةً وألعوبةً، فيقلعون عينيك ويصيرونك أعمى لا تعرف طريق الخلاصِ. ولن تنفكَّ من أسرِك حتى تموتَ عند الغباءِ بحزنٍ عظيم. فالآن يا ابني استيقظ واعرف مواعيدهك واهرب من القاسي القلب العاش لعلا يقلع عيني عقلك. تحفظ من الزنى واذكر العذابَ المعدَّ للذين اهرب من مصرَ ولا تشرب مياهاً من جحون التي هي الأفكارُ العاهرة. إذا أحبتَ الأطهارَ فإنهم يكونون لك أصدقاءً ومعهم تصل إلى

(Madinatullah al-mamlouqa nūra). (س: ٥ : ٣٨ ج) (Pach. inst. I, 26b-31)

٨٣ - في أحد الأيامِ جمع الأب باخوميوس الإخوةَ وقال لهم: «أريدُ الآن أن أقول لكم وصايا لكي تحفظوها كُلّكم خلاصاً وثباتاً لنفسِكم، لا سيما لأولئك الذين لم يقروا بعد في الإيمانِ والأعمالِ حتى لا يقعوا في فخِّ إبليس، وإياكم أن يشكُّ أحدٌ منكم في هذا الكلام الذي أقولُه لكم، واذكروا الكلام المكتوب: إنكم لا تؤمنون ولا تفهمون. وهذا هو الكلام الذي أريدُكم أن تحفظوه: لا يرافق أحدُكم آخرَ لقضاء الحاجةِ معاً في مكانٍ واحدٍ. لا يمسك أحدٌ منكم يدَ رفيقه أو يلمس أيَّ شيءٍ من جسدهِ من غيرِ أمرٍ ضروريٍ إلا في حالةِ رجلٍ مريضٍ أو في حالةِ وقوعِ أحدٍ في سعادته آخرَ حتى يقوم، ويحتاجُ الأمرُ حينئذ أن يمسكهَ حتماً ويلمسه. على أن ذلك أيضاً يكونُ بحرصٍ وحدَّر. لا يجلس أحدٌ منكم مع رفيقهِ في متَّكاً في عزلةٍ ليتهامساً معاً، بل كونوا بعيدين بعضُكم عن بعضٍ قليلاً حين الكلام مع بعضُكم البعض. لا يرقد أحدُكم على مرقدٍ ليس هو له. لا يدخل أحدٌ منكم إلى موضعِ رفيقهِ بغيرِ رسالةٍ أو حاجةٍ، كي لا يجدَ العدو له فيما موضعاً بيته». (س: ٥ : ٣٨ ج)

٨٤ - وقال أيضاً: «يا ابني جرّب كلَّ شيءٍ واحترِ لنفسِك الأفضلَ. لا تكن

معظم العينِ بل كن متواضعاً. اجتهد في شبابك لتفرح في كبرك. احتفظ بالقدس لغلا ثفتضحك في موضع الحكم. فيبصرك معارفك ويعironك قائلين: كنا نظنُك حملاً فوجدناك ذئباً. أين تستر وجهك وكيف تفتح فاك. وبماذا تخلص من عملك المتتصق بك كالصبغة بالثوب وماذا تصنع؟ حينئذ تبكي ولا ينفع البكاء. تسأل ولا يسمع منك. الآن يا بني ارفض هذا العالم وارذهه وامشي مستقيماً (Pach. inst. I, 33-34). لا تصادق صبياً ولا تحدث امرأة ولا تدخل عندها. لأن الحديد إذا وقع على الحجر قدح ناراً. احرص على طهارة جسدك وسلامة قلبك. فإنك إن تحقققت من نواهـماً أبصرت الله ربـك. لا تعتقد على الناس لثلا تصبح مرذولاً من الله. اجعل لك سلاماً مع أخيك لتكون محبوباً من ربـك. إذا صرت طاهراً في كل شيء ولكن بينك وبين أخيك عداوة فأنت غريب عن الله. لأنه مكتوب: اتبعوا السلامـة والقداسـة اللتين بدونـهما لا يعـاين أحدـ الله. وقد قال ربـ: اغفروا يغفر لكم. فإن لم تغفر لأخيك لا يغفر هو لك. لأنه يقول: هكذا يصنع بكم أبي السماوي إن لم تعـفـروا لاـخـوتـكم من كل قلـوبـكم. فإن حـقدـتـ على أخيك فهوـ نفسـك للـعـذـابـ، لأنـهـ يقولـ: إـنهـ أـسـلمـهـ لـالـمـعـذـبـينـ (Pach. inst. I, 35-37). الآن قد صرنا مسكنـاً لـإـلـهـ الصـالـحـ بالـعـمـادـ، فلا نـدـعـهـ يـتـرـكـنا بـأـعـمالـنا السـيـئـةـ. لأنـ كـلـ الـذـينـ جـازـواـ في الـبـحـرـ الأـحـمـرـ تـبـدـدواـ فيـ القـفـرـ لـأـنـهـ قـاـوـمـواـ إـرـادـةـ اللهـ وـتـبـعـواـ أـغـرـاضـ قـلـوبـهمـ. الرـهـبـةـ هيـ: الصـومـ بـقـدـارـ وـالـصـلـاـةـ بـمـدـاـوـةـ وـعـفـةـ الـجـسـدـ وـطـهـارـةـ الـقـلـبـ وـسـكـوتـ الـلـسـانـ وـحـفـظـ الـنـظـرـ وـالـتـعـبـ بـقـدـرـ الـإـمـكـانـ، وـالـزـهـدـ فيـ كـلـ شـيـءـ (Pach. inst. I, 39). جميع آباءنا القديسين بجموع وعطش وحزن كثيراً أكملوا سعيـهم ونالوا المـوعـيدـ (Pach. inst. I, 45). إنـ كـنـتـ قدـ نـذـرتـ اللهـ بـكـورـيـةـ بـمحـبةـ وـاشـتـياـقـ، فـاطـلـبـهـ منـ كـلـ قـلـبـ وـاسـلـكـ حـسـبـ وـصـايـاهـ. وـحـينـئـذـ يـجـعـلـكـ اللهـ ابـناـ لهـ وـيـبـارـكـكـ. وـيـصـيرـ بـرـكـتـكـ هـرـاـ وـهـرـكـ بـحـراـ، وـيـجـعـلـكـ كـبـرـكـةـ نـارـ، وـسـرـاجـهـ يـضـيءـ عـلـيـكـ. وـتـمـتـلـئـ نـورـاـ مـنـ إـلـهـ إـلـهـيـ. وـيـعـطـيـكـ إـلـهـ مـجـداـ مـثـلـ مـجـدـ الـقـدـيـسـينـ.

فتَضُعُ ثُقَلاً عَلَى أَرَاكِنِ الظَّلْمَةِ وَتَرِي قُوَّةَ اللَّهِ فِي يَمِينِكَ، وَتُغْرِقُ فَرْعَوْنَ وَجَنْوَدَهُ فِي بَحْرِ
الْمَلْحِ، وَتُخَلِّصُ شَعْبَكَ مِنْ عِبُودِيَّةِ الْغَرَبَاءِ، وَتُورَّثُهُمْ أَرْضَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَفِيضُ لِبَنَانِ
وَعَسْلَأً. الَّتِي هِي كَمَالُ سَعْيِكَ وَخَرْوَجِكَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِسَلَامٍ، آمِينٌ». (س: ٥ ظ: ٣٨)
(Pach. inst. I, 54)

٨٥ - قيل عن الأب باخوميوس إنه كان يديم الصلاة بنسك زائد وسهر. وإذا
أراد أن يرقد لم يكن يرقد ممتداً، ولا على مصطبة، بل كان يجلس مستندًا إلى الحائط.
وكان إذا مضى إلى موضع خارج الدير مع الإخوة وأضطروا إلى البيت هناك، كان
يأمرهم أن يحفر كل واحد منهم لنفسه حفرة في الأرض مثل مراقدهم في الدير، قائلاً
لهم: «إنه من الواجب على الإنسان الراهب أن يُتعب نفسه في مرقده لكون روح الزنا
تقفر على الرجل لتجربه بشدة، لا سيما إذا رقد على فراش، ممتداً براحة». (س: ٥ ج: ٣٩)

٨٦ - وقال أيضًا: «يا ابني احفظ قلبك كي لا يفرح أعداؤك، لأن الإنسان إذا لم
يحفظ قلبه وقع في الشرك. لا تكسل عن أن تتعلم خوف الله كطفل صغير. كن رجالاً
قوياً جباراً في جميع تدابيرك، ولا تفسد يوماً واحداً من عملك وتحقق مما تقدمه الله
ال حقيقي كل يوم. اجلس وحدك مثل والٍ حكيم ودين أفكارك، فما كان نافعاً وموافقاً
أبقيه واحفظه، وأما ما كان ضاراً فاطرده عنك. الآن يا ابني اجعل ناموس الله في قلبك
والزم البكاء واجعله لك صديقاً. ولتكن جسدك قبراً لك حتى يقييك الله ويعطيك تاجَ
الْعَلَيْةِ، لِهِ الْمَحْدُ دَائِمًا». (س: ٥ ظ: ٣٩) (Pach. inst. I, 55-57)

٨٧ - حدث بينما كان الإخوة يقومون بالحصاد وتدرس يعمل معهم وهو
صائم، أن لحقه حر في رأسه. ومن بعد فروع العمل جلس يستظل؛ فجاز به الأب
باخوميوس وقال له بوجع قلب: «يا تدرس، أستظل؟»؟ فقام تدرس بسرعة. ولما كان
المساء تقدم تدرس إليه وقال: «يا أبي إنيأشعر بألم في رأسي بسبب ضربة الشمس».

قال له الأب: «يا تادرس، رجلٌ راهبٌ يسلكُ طريقَ الكمالِ إذا مكثَ يعاني مرضًا في حسدهِ عشرين عاماً وهو متأنمٌ، لا يجبُ أن يشكوا لأحدٍ من الناسِ إلا من تلك الأمراضِ التي لا يمكنهُ أن يخفيها (Pach. boh. 36). وهذه الأخرى أيضاً عليه أن يتحملها على قدرِ قوتها وألا ينبع نفسه إلا في أمرٍ يفوق طاقتة، لأنَّه مكتوبٌ: إنَّ الروحَ مستعدةُ والجسدُ ضعيفٌ. هل تظنَّ أنَّ تقطيعَ الأعضاءِ والحريقَ وحدهُ شهادة؟ لا! بل تعبُ النساكِ والضرباتِ التي من الشياطين والأمراضِ. فمن يتحملُ كلَّ ذلك بشكرٍ فذلك هو الشهيد، وإلا فما الحاجةُ لأنَّ يكتب بولس الرسول: إني أموتُ كلَّ يومٍ. فإنَّه لم يكن يموت في الظاهرِ كلَّ يومٍ، بل كان بصيرٍ يتحملُ ما يأتي عليه. وكذلك رجالُ اللهِ اليوم إذا كانوا في أمراضٍ ويُخفونها عن الناسِ فإنهُم يُعتبرون شهداءً أيضاً». (س: ٥ ظ: ٣٩)

٨٨ — وقال أيضًا: «إذا توَّجَ أحدُنا من أحدِ إخوانهِ ولم يقبل، بل حقد عليهِ، فقد اغتال الشياطينُ نفسهِ. ولستُ أقولُ ذلك فقط، بل وإنْ لم تعتبره كطبيبٍ معاليٍ فقد ظلمتَ نفسَكَ، لأنَّه ماذا تقولُ فيما أصابكَ. ألسْتَ تعلمُ أنه قد نظَّفَ أو ساخَّكَ؟ فسبيلُكَ أن تعرِفَ له كطبيبٍ أرسلهُ المسيحُ إليكَ. فإنَّ كنتَ تُحبُّ المرضَ، فالرَّبُّ لا حُجَّةَ عليهِ^(١٩). أما هذا الوجعُ الذي ظهرَ لكَ فذلك دليلٌ على ضعفِ نفسِكَ. ولو لا ذلك ما كنتَ تخزنُ من الدواءِ. لذلك ينبغي أن تعرِفَ بالفضلِ للأخرِ لأنَّكَ به عرفتَ مرضَكَ القاتل. فعليكَ أن تقبلَهُ مثلَ دواءٍ شافٍ مُرسَّلٍ من عندِ يسوعِ المسيحِ، ولو أنَّكَ لم تقتصرْ على عدمِ شكريهِ فقط بل خلقتَ حوله شكوكاً، وقد كان الأخرى بكَ أنَّ تقولَ ليسوعِ المسيحِ: لستُ أريدُ أنْ تشفيني، ولا أشاءُ أنْ أقبلَ شيئاً من أدويةتكَ (Sys. XVI, 17). الأحزانُ هي مكاوي يسوعِ، فمن أراد أنْ ييراً من أسماقِهِ، يلزمُهُ حتماً أنَّ

^(١٩) تأتي هذه الجملة في النص اليوناني هكذا: فإن لم تكن مريضاً فما تضررت من ذلك.

يصير على ما يرد عليه من الطبيب. ولعمري أن المريض ليس من شأنه أن يستلزم الكي والبتر أو شرب الدواء المنقي، بل من طباعه أن يبغض الأدوية، ولكنه لإيقانه أنه بلا علاج لن يحصل على الشفاء، ولذلك نجده يدفع ذاته للطبيب عالماً أنه بالأدوية الممرّة يتخلص من الأخلاط الضارة الرديئة. فمكوى يسوع هو ذاك الذي يهينك، لأنه إن كان يشتمك إلا أنه يريحك ويخلصك من السبع الباطل. ودواء يسوع المنقي هو من يرذلك ويوبخك، لأنه يريحك من التنعم، فإن لم تتحمل شرب الأدوية ظلم نفسك وحدك. أما الآخر فلم يسبب لك ضرراً ما (Pach. inst. I, 58-61) (Sys. XVI, 18) (س٥: ٤٠ ج)

٨٩ - وقال أيضاً: «سبيل الراهب لا يكفي بنسك الجسد وتعيه وحده، بل عليه أن يحصل على خوف الله ساكناً فيه، فإنه هو الذي يحرق الأفكار الرديئة ويفنيها، كمثل النار التي تحرق الصدأ وتتنفس الحديد من الشوائب. كذلك خوف الله يطرد كل رذيلة من الإنسان و يجعله إنا للكرامة يصلح لعمل الله». (س٥: ٤٠ ظ)

٩٠ - وقال أيضاً: «الأكل بقدر ليس خطيئة، وإنما هزيمة الراهب هي أن تسوّد عليهم الخنجرة^(٢٠) ويتعبّدوا للشهوة». (س٥: ٤٠ ظ)

ممهات

القديس يوحنا الدرجى (كليماكوس)^(٢١)

٩١ - من قول القديس يوحنا الدرجى، وصيحةً لمن يريد الدخول في سلك الرهبنة: «اسمع يا ابني كلامي واحفظه. واعلم أنك منذ الآن قادم لقتال السباع والتناين

^{٢٠} المقصود بالخنجرة النهم أو الشره في الأكل، وقد وردت في قول ٨٦١ باليونانية γαστριμαργύα و معناها النهم أو الشره، وترجمت الخنجرة.

^{٢١} الاسم كليماكوس معناه الدرجى أو السلمى، من الكلمة سلم Σλήμα اليونانية.

والأراكنة^{٢٢} الشياطين في طريق التوبة التي هي كريبة وصعبة. واعلم أنك قد نصبت نفسك هدفاً للشدائد والأحزان يوماً بعد يوم إن أردت أن تكون راهباً. لأنه مكتوب: توقع يا ابني الشدة بعد الشدة من وقت لآخر، وهيئ نفسك لذلك. لا تتوان لشلا تندرم أخيراً وتصبح رهبانيك باطلة. لا يوجد لها هنا طعام أو شراب، بل جوع وعطش دائم. ومنذ الآن لن يكون لعب أو ضحك أو قهقهة أو اخلاق. بل انكر نفسك في كل شيء ولا تكمّل أغراضك الجنديانية، ولازم الحزن والبكاء عوض الانحلال واللعب. داوم على السهر والصوم إلى المساء في كل زمانك، إلا في حالة مرض يلحقك أو ضعف يصيبك. هذا ما يجب أن تمارسه إن آثرت أن تكون راهباً. لأنك إن كسلت في إقام أحدى هذه الوصايا فما أكملت الواجب، ويكون وعدك كاذباً وآراؤك عن الرهبنة ليست صحيحة، وأمالك الذي وزعته قد أضعته سدى إذ تصبح طبائعك فارغة، لأنك لم تستيقظ بقوه ولم تقبل على السيرة الرهانية باجتهاد، ولم تربط وسط قلبك بالكمال، ولم تستعد للقتال الشديد ضد الشياطين غير المنظورين، كما يقول الرسول بولس: إن قاتلنا ليس مع لحم ودم، بل مع الرؤساء والسلطانين ومع أجناد الشر في عالم الظلمة ومع الأرواح الخبيثة. فافحص قلبك قبل أن ترفض الدنيا وتهيئ ذاتك جندياً للسيد المسيح.

اعلم أنك ذاهب لقتال الذئاب والنمور والسباع والوحش الضاربة، وليس ذلك لأيام ولا لشهور ولا لستين قلائل، بل حياتك كلها حتى تظفر بال العدو. إن أردت أن تكون راهباً فائز جميع أفكار العالم من قلبك. الراهب هو ذاك الذي يستعد ليصير مثل الملائكة بدون هم، ويشق عنه ثوب العالم. لا تظن أن معاشرات القديسين وحدها أو السكينة في مواضع الصديقين فقط تنفعك، بل ارفض جميع هذه الخرافات لأنه لا تؤخذ

^{٢٢} الأراكنة جمع أركون من الكلمة اليونانية ἄρχων وتعني رئيس أو حاكم أي رؤساء الشياطين.

أُحْرَةُ الْمَجَاهِدِينَ لِتُعْطَى لِلْكُسْلَانِ، لَأَنَّ الْأَخَّ لَا يَفْدِي فَدَاءً. إِذْ يَقُولُ: إِنَّكَ تَبْهَزِي كُلَّ
وَاحِدٍ حَسْبِ عَمَلِهِ. فَلَا تَتَخلُّ عَنْ كَبِيرٍ وَلَا عَنْ صَغِيرٍ مِنْ جَمِيعِ الْوَصَايَا. بَلْ قَمَ
بِجَمِيعِهَا بَثَاتٍ وَإِلَّا فَالْأَفْضَلُ لَكَ أَنْ تَقِيمَ مَعَ الْعَلَمَانِيَّنَ لِأَنَّ الرَّهْبَنَةَ هِيَ دَرَجَةُ الْمَلَائِكَةِ
الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ لَا لَيْلًا وَلَا نَهَارًا عَنْ خَدْمَةِ مُلْكِهِمْ، فَمَنْ دَخَلَ فِيهَا بِالْخَلَالِ وَكَسْلِ، فَقَدْ
صَيَّرَ نَفْسَهُ أَشْقَى حَالًا مَا لَوْ كَانَ بِالْخَلَالِ فِي الْعَالَمِ. وَإِذْ لَبَسَ إِسْكِيمَ الرَّهْبَنَةَ فَلَا تَعْظِمُ
بَلْ بِالْأَكْثَرِ اتَّضَعُ لِأَنَّكَ قَدْ أَخْدَتَ خَاتَمَ الْجَنْدِيَّةِ لِلْمَسِيحِ، وَأَخْضَعَ عَنْقَكَ تَحْتَ نَيْرَهُ وَلَا
تَكُنْ مَقاوِمًا لَهُ وَلَا مَحَارِبًا.

لَا تَكْسِلَ فِي الدَّهَابِ إِلَى الْكَنِيسَةِ وَقْتَ الصَّلَاةِ الْجَامِعَةِ وَأَكْمِلْ عَبَادَتِكَ اللَّهُ بِخَوْفٍ،
وَتَأْدَبَ فِي صَلَاتِكَ وَلْتَكُنْ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَعَقْلِكَ. وَإِذَا ضَرَبَ النَّاقُوسُ فِي نَصْفِ الْلَّيلِ لَا
تَكْسِلَ بَلْ قَمَ وَصَلَّ بِحَرْضٍ وَلَا تَتَلَّ صَلَاتِكَ بِفَمِكَ وَحْدَهُ، بَلْ لِيَكَ فَكْرُكَ وَعَقْلُكَ
وَجَمِيعُ حَوَاسِكَ مَتَضَرِّعَةً لِلَّهِ وَنَاظِرَةً إِلَيْهِ. وَإِذَا مَضَيْتَ إِلَى الْكَنِيسَةِ فِيَّا يَكَ أَنْ تَخْلُسَ عَنْدَ
الْبَابِ وَهُمْ دَائِخُونَ لِلصَّلَاةِ. احْفَظْ نَفْسَكَ وَكُنْ خَائِفًا مِنَ اللَّهِ. وَإِذَا أَتَاكَ أَخٌ وَكَلَمَكَ
فِيمَا لَا يُجِبُ فَلَا تَخْفَ الْبَتَةِ، بَلْ اجْعَلْ نَفْسَكَ أَخْرَسَ وَأَطْرَشَ وَلَا تَسْمَعَ لِقَوْلِهِ وَلَا تَلْمِعَ
فِي قَلْبِكَ، بَلْ كُنْ مِثْلَ طَفْلٍ صَغِيرٍ لَا يَعْرِفُ شَرًا وَلَا شَيْئًا مِنَ الْمَكْرِ. إِيَّا يَكَ أَنْ تُحِبِّ أوْ
تَحْدُثَ أَحَدًا حَتَّى وَلَوْ كَانَ بِكَلَامِ جِيدٍ مَا دَمْتَ فِي الْكَنِيسَةِ. وَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى قَلَاتِكَ
اَهْتَمْ بِقِرَاءَةِ الْكِتَبِ الْإِلَهِيَّةِ وَالصَّلَاةِ وَلَا تَتَفَرَّغُ لِشَغْلِ الْيَدِ وَحْدَهُ فَتَنْسِي اللَّهُ خَالِقَكَ. إِذَا
جَلَسْتَ عَلَى الْمَائِدَةِ لِتَأْكِلَ مَعَ الإِخْرَوِةِ فَلَا تَتَحَدَّثُ مَعَ أَحَدٍ. وَإِنْ حَدَّثْتُكَ فَلَا تُجَبِّهُمْ حَتَّى
تَفَرَّغَ مِنَ الْأَكْلِ، وَاشْكُرْ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا بِالرَّغْمِ
مِنْ عَدَمِ اسْتِحْقَاقِنَا. وَانْدَمْ عَلَى خَطَايَاكَ وَاجْعَلْ قَلْبَكَ مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ لِتَسْتَحْقَّ
نِعْمَتَهُ، إِذَا جَلَسْتَ فِي خِرَاتِكَ فَاقْرُأْ بِتَعْقُلٍ وَفَهْمٍ، وَفَكْرٍ فِي تَمْجِيدِ اللَّهِ. وَهَكَذَا تَفْعَلْ كُلُّ
أَيَّامِ حَيَايَاكَ أَمَامَ اللَّهِ لِتَكُونَ لَكَ الطَّوْبِيَّ أَيِّ الْحَظْظِ الشَّرِيفِ مَعَ الْقَدِيسِينَ. وَمَعَ هَذَا كُلُّهُ

عليك أن تتحققَ أنه لا يلبِسُ الإكليلَ إلا من جاهد وصبر على الشدائِد وغلب الأعداءَ وهرمهم، وظهرتْ شجاعته فيهم أمام الملك العظيم الرب يسوع المسيح، الذي استحققتَ أن تحاربَ من أجلِ اسمِه القدس فتغلبَ كما غالبَ هو، إذ يساعدُك بقوَّته العظيمة. لأنَّه قال: ها أنا معكم كلَّ الأيام إلى انقضاءِ الدهرِ له المجد، آمين» (س:٥٤٠)

٦٩

مار إسحق السرياني (١)

٩٢ - من قولِ مار إسحق: «الراهبُ هو إنسانٌ قد تركَ العالمَ بالكليةِ وكذلكْ بلده وأقاربه وانقلَ إلى الأديرةِ أو البراري، ليجلسَ في المدوءِ ويعملَ بيدهِ ويقيسَ نفسهَ ويعبدَ اللهَ ليلاً ونهاراً. وأما عملُه فهو: الصومُ من العشاءِ إلى العشاءِ، والشهرُ لنصفِ الليلِ، وصلواتٌ لا تقطعُ ليلاً ونهاراً، وضربُ المطانياتِ والسجودُ وخدمةُ المزاميرِ وقراءةُ الكتبِ، والمسكنةُ والتجردُ، والبعدُ عن كلِّ شَرٍّ ورغبةٍ، والزهدُ في كلِّ شيءٍ ما خلا الخبزِ والماءِ، والرقادُ على الأرضِ إلى وقتِ الشيخوخةِ إلا في حالةِ المرضِ، وثباتُ داخلِ القلايةِ في الديرِ. ولغير سببٍ هامٍ لا ينترجُ إلا للصلةِ أو لأمرِ ضروري للجميعِ. البكاءُ والنوحُ والتنهدُ. لبسُ المسوحِ. الرحمةُ، خدمةُ الغرباءِ، الطاعةُ لسيِّدنا بحفظِ وصياغةِ الخضوعِ للآباءِ، الاتضاعُ، تحفِيرُ نفسهِ في كلِّ شيءٍ، الحبَّةُ للرهبانِ. السكوتُ والصمتُ. اعتبارُ الراهبِ نفسهِ كلاماً شيئاً، الامتناعُ من شربِ الخمرِ إلا في حالةِ مرضٍ أو واجبٍ ضيافة، وهذا إذا ما عرضَ فلا يزيدُ عن ثلاثةِ أقداحٍ فقطَ لا غير. خدمةُ الضعفاءِ. عملُ اليدينِ. حفظُ الحواسِ، العفةُ، الاحتراسُ من طياشةِ الأفكارِ، الصبرُ، عدمُ الغضبِ. الصفحُ عمنْ يضرُهُ أو يُحزنهُ. التعرى من الآلامِ. المذيدُ في الصلوفاتِ. تضُرعُ القلبِ. بسطُ اليدينِ نحو السماءِ. وباختصارٍ: النسكُ والتوبَةُ ومحبةُ الأعمالِ مع بغضةِ الذاتِ، والوقوفُ بثباتٍ ليلاً ونهاراً مقابلَ الآلامِ والشياطينِ والعالمِ والنفسِ والجسدِ حتى الموتِ. هذا هو

الراهبُ وهذه هي سيرته، وكل راهبٌ لا يمارسُ كل ذلك في ذاته فهو لا يزالُ في رتبة العلَّامين. طوبى للذين يحفظون ويعملون. لا تفتخر بالاسم بل اجتهد في الأعمالِ، لأن العملَ هو الذي يبرُّ ولو كان بلا شكلٍ ولا اسمٍ». (س٥: ٤٢ ظ) (Isaac. Isaac Ar. I,6,16-18)

٩٣ - وقال أيضاً: «طوبى لمن يغصب نفسه كل أيام حياته، لأنه من مزبلة الفقر يتكرّم بجنس المملكة العظمى. طوبى لمن يغصب نفسه دائماً في طريق الله لأنه يصير وهو من الجنس الحقير مناسباً للجنس العظيم الشريف المعقول. التغصب هو مُعنى الفقراء ومُكرّم المرذولين. التغصب هو مبدأ طريق الوحدة وبه يسعد الشّطرون في طريق ملوكوت الله، فيتوّجون بالتّيجان من القوي القاهر. وإن كنتَ تسأل وتقول: إلى أين ولائي حدّ أغصب ذاتي؟ فإنّ أقول لك: إلى حدّ الموتِ أغصب ذاتك من أجل الله. أغصب نفسك في صلاة الليل وزدّها مزامير، لأن رجاءً عظيماً ومعونةً في الجهاد من أجل الله، له الحمد إلى الأبد، آمين». (Isaac. Ar. I,2,3-5 ج) (س٥: ٤٣)

٩٤

القديس أرسانيوس

٩٤ - جاء عن القديس أرسانيوس إنه كان من رومية العظمى، وكان من أفضل فلاسفتها. وكان والده من أكابر البلاط المقرّبين إلى الملك. فلما ملك ثاؤدوسيوس أرسل إلى الملك وبالبابا برومَا طالباً رجلاً فيلسوفاً يحسن اللغتين الرومية واليونانية لكي يعلم أولاده الحكمة والأدب. فلم يجدوا في كل فلاسفة روما رجلاً يشبه أرسانيوس في الحكمة والفضل ومحفافة الله. فأرسلوه إلى الملك بالقسطنطينية، ففرح به الملك وأحبه لفيض معرفته، ولأجل نعمة الله التي كانت عليه، فسلّم له الملك أولاده وقدّمه على أكابر

ملكتهِ. وكان إذا رَكِبَ يكونُ قريباً من الإمبراطور^(٢٣). وكان له أمرٌ نافذٌ وعبيدٌ كثيرون يقumen بخدمته. ولم يتخذ في بيته امرأة. فلما بلغ مرکزاً عظيماً هكذا بدأ يفكـر في نفسه قائلاً: «إن كلّ هذا لا بدّ له من أن يتلاشى كما ينحلُ المـنـاـم، وإن كلّ غـنـيـ الدـنـيـاـ وـجـدـهـاـ وجـاهـهـاـ عـبـارـةـ عنـ حـلـمـ، ولاـ يـوـجـدـ شـيـءـ ثـابـتـ غـيرـ قـابـلـ لـلـتـغـيـرـ، وـأـنـهـ لاـ يـنـفـعـ إـلـاـ خـيـرـ يـقـدـمـهـ قـدـامـهـ». فـزـهـدـتـ نـفـسـهـ كـلـ شـيـءـ، وـصـارـ يـطـلـبـ مـنـ اللهـ كـلـ وـقـتـ قـائـلاـ: «عـرـفـيـ يـاـ رـبـ كـيـفـ أـخـلـصـ». فـجـاءـهـ يـوـمـاـ صـوـتـ يـقـولـ لـهـ: «يـاـ أـرـسـانـيـ اـهـرـبـ مـنـ النـاسـ وـأـنـتـ تـخـلـصـ» (Abc. Arsenius 1). فـقـامـ لـوـقـهـ وـتـرـكـ كـلـ شـيـءـ وـنـزـلـ إـلـىـ الـبـحـرـ فـوـجـدـ سـفـيـنةـ إـسـكـنـدـرـيـةـ تـرـيدـ السـفـرـ، فـرـكـ فـيـهـ وـجـاءـ هـاـ إـلـىـ إـسـكـنـدـرـيـةـ، وـمـنـ هـنـاكـ أـتـىـ إـلـىـ إـسـقـيـطـ إـلـىـ الأـبـ مـقـارـيـوسـ، ذـاـكـ الـذـيـ أـسـكـنـهـ فـيـ إـحـدـىـ الـقـلـالـيـ الـخـارـجـةـ عـنـ الدـيـرـ لـأـنـهـ وـجـدـهـ عـاشـقـاـ لـلـهـدـوـءـ. وـبـعـدـ حـضـورـهـ بـأـيـامـ قـلـائلـ تـبـيـحـ الأـبـ مـقـارـيـوسـ. وـقـدـ بـدـأـ أـرـسـانـيـوسـ حـيـاتـهـ الرـهـبـانـيـةـ بـنـسـكـ عـظـيمـ وـصـلـاـةـ وـقـدـاسـةـ وـزـهـدـ حـتـىـ فـاقـ كـثـيرـينـ. وـسـمعـ بـفـضـلـهـ أـوـلـادـ أـكـابـرـ الـقـسـطـنـطـنـيـةـ وـدـوـاقـسـتـهـ^(٢٤)، وـابـتـدـأـ كـثـيـرـونـ مـنـهـمـ يـتـرـهـدـونـ وـيـجـيـئـونـ إـلـىـ دـيـارـ مـصـرـ وـيـرـهـبـونـ.

فـسـمـعـتـ بـخـيـرـهـ عـذـرـاءـ مـنـ بـنـاتـ رـؤـسـاءـ الـبـلـاطـ فـيـ روـمـاـ. وـكـانـتـ غـنـيـةـ جـدـاـ وـخـائـفـةـ مـنـ اللهـ، فـلـمـ جـاءـتـ لـتـبـصـرـهـ وـمـعـهـ مـالـ كـثـيرـ وـحـشـمـ وـجـنـوـدـ، تـلـقاـهـ الـبـابـ ثـاؤـفـيلـسـ الـبـطـرـيرـكـ بـوـقـارـ كـثـيرـ وـأـضـافـهـ. فـسـأـلـهـ أـنـ يـطـلـبـ إـلـىـ الشـيـخـ بـأـنـ يـفـسـحـ لـهـ الـطـرـيقـ لـلـمـضـيـ إـلـيـهـ. فـكـتـبـ يـقـولـ لـهـ: «إـنـ السـيـدةـ لـارـيـةـ السـقـلـيـكـيـ^(٢٥) اـبـنـةـ فـلـانـ مـنـ بـلـاطـ مـلـكـ روـمـيـةـ تـرـيـدـ أـنـ تـأـذـنـ لـهـ بـرـؤـبـتـكـ لـأـنـحـدـ بـرـكـتـكـ». وـكـتـبـ كـذـلـكـ لـقـدـمـ الـأـدـيـرـةـ بـأـنـ يـمـكـنـ السـيـدةـ

^{٢٣} تـأـيـ فيـ مـخـطـوـطـ سـ ٤ـ، سـ ٥ـ:ـ الـأـنـرـوزـ.

^{٢٤} جـمـعـ كـلـمـةـ دـوقـ، وـهـيـ كـلـمـةـ مـنـ أـصـلـ لـاتـيـنـيـ وـمـعـنـاـهـ حـاـكـمـ وـلـاـيـةـ (أـورـيـةـ).

^{٢٥} تـأـيـ فيـ الـيـونـانـيـةـ: ΛΑΡΙΑΚΗ ΣΥΓΓΛΗΤΩΣـ وـمـعـنـاـهـ عـضـوـةـ فـيـ مـجـلسـ الشـيـوخـ الـرـوـمـانـيـ (أـوـ زـوـجـةـ أحـدـ أـعـضـاءـ الـمـلـسـ).

السقليكي من زيارة الآباء القديسين وأخذ بركتهم. فلم يشا الأنبا أرسانيوس أن تأتي إلى البرية، وأنفذ لها بركةً من عنده وقال لها: «هو ذا قد علمت بتعبك وسفرك، ونحن مصلين لأجلك. فلا تحضري لأنني لا أشاء أن أبصر وجه امرأة». أما هي فلم تقبل وقالت: «إن ثقي بالله أن أبصر وجهك الملائكي، لأنني ما تعبت وجئت لأنظر إنساناً، فبلدي كثيرة الناس، بل أتيت لأعain ملاكاً». وأمرت أن يشدوا على الدواب حتى أت إلى البرية. فلما وصلت إليه كان القديس أرسانيوس خارج قلابته. فما أن أبصرته حتى خرّت عند قدميه، فأقامها بغضبٍ وقال: «لقد آثرت أن تُبصري وجهي، وهذا أنت قد أبصريه فماذا استفدت؟»؟ أما هي فمن حشمتها لم تستطع النظر في وجهه. فقال لها: «إذا سمعت بأعمال فاضلة فاعملني على أن تمارسيها، ولا تحولي طالبةً فاعليها. كيف تجرأت فعبرت هذه البحار؟ أما تعلمين أنك امرأة ولا يليق بك الخروج إلى مكان ما. أتريدين المضي إلى رومية قائلةً للنساء الباقيات إنني رأيت أرساني، فتحولين البحر طريقاً للنساء ليأتوا إليك». فأجابته السيدة قائلة: «إني لإيماني يا أبي أتيت إليك وإن شاء الله لن أدع امرأة تأتي إليك، فصل من أحلي واذكرني دائماً». فأجابها متهرأً قائلاً: «لا. بل إني أصلّي إلى الله أن يمحو خيالك واستئنك وذرك وفكرك من قلبي». وتركها ودخل قلابته. فلما سمعت ذلك لم تردد له جواباً ورجعت وهي قلقةً الأفكار. ولما دخلت الإسكندرية اعترتها حمى لفطر حزنها. أما البابا البطريرك فإنه استقبلها بإكرام جزيل، وسألها عن أمرها. فقالت: «يا أبا، ليتبين ما قابلت الشيخ لأنني لما سأله أن يذكرني أجابني: إني أصلّي إلى الله أن يمحو خيالك واستئنك وذرك وفكرك من قلبي. وهو ذا عبدوك قوت من الحزن». فقال لها البابا البطريرك: «ألا تعلمين أنك امرأة، وأن العدو يقاتل الرهبان بالنساء. فإلى ذلك أشار الشيخ. وأما عن نفسك فهو يصلي دائماً وغير ناس تعبك وسفرك». فطاب قلبها ورجعت إلى بلادها مسرورةً (28) (Abc. Arsenius) (س: ٤٣ ج)

٩٥ - جلس الأب أرسانيوس في بعض الأيام يأكل فولاً مسلوقاً مع الإخوة، وكانت عادتهم أن لا ينقوه. أما هو فكان يُنقى الفول الأبيض من بين الأسود والمسوّس وأكله. فلم يوافق رئيس الدير على ذلك، وخشى أن يفسد نظام الدير. فاختار رئيس الدير أحد الإخوة وقال له: «احتمل ما أفعله بك من أجل ربنا». فأجابه الأخ: «أمرك يا أبي». قال: «اجلس بجانب أرسانيوس ونق الفول الأبيض وكله». فعمل الأخ كما أمره رئيس الدير، الذي فاجأه بلطمة مرة على صدغه وقال: «كيف تنقي الفول الأبيض لنفسك وتترك الأسود لإخوتكم؟» فسجد أرسانيوس للرئيس وللإخوة وقال لذلك الأخ: «يا أخي، إن هذه اللطمة ليست لك ولكنها موجهة لخد أرسانيوس». وأردف قائلاً: «هو ذا أرسانيوس معلم أولاد الملوك اليونانيين لم يعرف كيف يأكل الفول مع رهبان إسقاط مصر، وهكذا ازداد فهماً واحتفاظاً بموهبته». (س:٥ ظ)

٩٦ - قيل إن أحد الإخوة المجاورين لقلالية أبا أرساني خرج يوماً ليقطع حوصاً. وكان يوماً حرّاً شديداً. فلما قطع الحوصاً ورجع أراد أن يأكل، فلم يمكنه أن يبلغ الخبر اليابس لأن الحرّ كان قد يَسَّر حلقة. وفي ذلك الوقت كان الإخوة بالإسقاط يسلكون بتقشف عظيم ونسك زائد، فأخذ الأخ وعاءً به ماء وأذاب فيه قليلاً من الملح، وبلّ فيه الحبز وبدأ يأكل. فدخل إليه الأب إشعيا ليفتقده، فلما أحسن الأخ بالأنبا إشعيا رفع الوعاء وخجأه تحت الحوصاً. وكان أبا إشعيا رجلاً ذكياً حارراً في الروح جداً. وكان يعلم بأن أبا أرسانيوس يعمل صنفين من الطعام: بقلاً وخلاءً، ولكن لأجل احتشامه لم يُرِد الآباء أن يكسروا قلبه سريعاً. فوجد أبا إشعيا أنها فرصة مناسبة لأن يؤدب أبا أرسانيوس بواسطة هذا الأخ. فقال للأخ: «ما هذا الذي خبأته مني؟» فقال الأخ: «اغفر لي يا أبي من أجل محبة السيد المسيح. لقد دخلت البرية لأقطع حوصاً فاشتبأ على الحرّ جداً لدرجة أنه سدّ حلقي. فلما دخلت القلالية أردت أن آكل فلم أستطع بلع الحبز

لخفافِ فمي وحلقي، فأخذتُ ماءً وأذبّتُ فيه قليلاً من الملح وبللتُ به القرنيش ليسهل لي بلعه». فأخذ الأنبا إشعياه الوعاء وخرج ووضعه قدام قلابة أبا أرسانيوس وقال للمراقب: «دُقَّ الحرسَ كي يحضرَ الإخوةَ ليصروا الأخ زينون كيف يأكلُ مَرْقاً»، فلما حضروا التقتَ إلى الأخ وقال له أمام الإخوة: «يا أخي، لقد تركتَ تعمَك وكلَّ ما لك وجئتَ إلى الإسقيط حَبَّاً في الربِّ وفي خلاصِ نفسِك. فكيف تريِدُ الآن أن تُنذَّذَ ذاتك بالأطعمة؟ إن كنتَ تريِدُ أن تأكلَ مَرْقاً امضِ إلى مصرَ لأنَّه لا يوجد في الإسقيط تعمٌ» (Abc. Akhila 3). فلما سمع الأنبا أرسانيوس قال لنفسِه: «هذا الكلام موجَّهٌ إليك يا أرساني». وفي الحال أمر خادمه أن يعملَ له بقولاً فقط. وقال: «ها أنا قد تأديتُ بسائِرِ حكمَةِ اليونانيين أما حكمَةُ هذا المصري بخصوصِ الأكلِ وحسنِ تدبِيرِه فإني لم أصل إليه بعد. لقد صدق الكتاب إذ يقول: وتأدبُ موسى بكلِّ حكمَةِ المصريين». (س:٥ ظ)

٩٧ - قيل عن الأنبا أرسانيوس إنه بعد ما هرب من القسطنطينية وأتى إلى الإسقيط كان يداوم الصلاة والتضرع إلى الله أن يرشده إلى ما ينبغي له أن يعمل وكيف يتدبَّر؟ وبعد مضي ثلاث سنين جاءه صوت يقول له: «يا أرسانيوس الزم المدوء والبعد عن الناسِ واصمت وانت تخلص، لأن هذه هي عروق عدم الخطيئة». فما أن سمعَ الصوت دفعةً ثانيةً حتى كان يهربُ من الإخوة ويُلزم نفسه المدوء والصمت. (Abc. Arsenius 2) (Arsenius 2)

٩٨ - وقيل عنه: قَصَدَه الشياطين مرَّةً ليحرُّبوه. فلما جاءه الذين يخدمونه سمعوا صوته وهم خارج القلابة وهو يصرخ إلى الله ويقول: «يا ربُّ، لا تخذلي فإني ما صنعت قدامك شيئاً من الخير. لكن هَبَّي من فضلك أن أبدأ في عملِ الخير». (Abc. Arsenius 3) (Arsenius 3)

٩٩ - وقيل عنه: «كما أنه لم يكن أحدٌ في البلاطِ الملكي يلبِسُ أشرفَ من لبسِه،

كذلك بعد خروجه إلى الرهبانية لم يكن أحد يلبس أحقر من لبسه». (س: ٤٥ ظ) (Abc. Arsenius 4)

١٠٠ — وقال عنه دانيال أحد تلاميذه: «إن مَؤونَتِه في السنة تُلْيِس قمح. وإذا جئنا إلى عنده كنا نأكل منها» (Abc. Arsenius 17). وما كان يجذب ماء الخوص إلا دفعهً واحدًةً في السنة، فكلما نقص الماء أضاف إليه قليلاً منه، وهكذا صارت له رائحة كريهةً جداً وتن لا يُطاق، وكان يعمل الضفيرة ويُخيط إلى ست ساعات. وحدث أن زاره الأب مقاريوس الإسكندرى، فلما اشتم الرائحة قال له: «يا أبانا أرسانيوس، لم لا تغير هذا الماء لأنه قد أنتن؟» فأجابه أبنا أرسانيوس قائلاً: «الحق إني لا أستطيع أن أطيقها، لكنني أكل نفسى باحتمال هذه الروائح الكريهة وذلك عوض الروائح الذكية التي تلذذت بها في العالم». فلما سمع الإخوة الموجودون ذلك انتفعوا. (س: ٤٥ ظ) (Abc. Arsenius 18)

١٠١ — وقيل عنه: إنه إذا جلس يُضفر الخوص كان يأخذ خرقه ويضعها على ركبتيه ليشفها الدموع التي كانت تساقط من عينيه. وفي زمان الحر كان يرطب الخوص بدموعه وهو يُضفر (Sys. III 3). ولما سمع الأنبا بيمين بنياحته تنهد وقال: «طرباك يا أبنا أرسانيوس، لأنك بكى على نفسك في هذا العالم. فإن من لا يبكي على نفسه هنا زماناً قليلاً، فسوف يبكي هناك زماناً طويلاً. فإن كان هنا بكاء بإرادتنا، وأما هناك فالبكاء من العذاب. وعلى تلك الحالتين لن ننجو من البكاء. وعلى ذلك فما أجد أن يبكي الإنسان على نفسه ها هنا». (س: ٤٦ ج) (Abc. Arsenius 41)

١٠٢ — قيل: كان أبنا أرسانيوس دفعه يسأل أحد الشيوخ المصريين عن أفكاره، فرأه شيخ آخر وقال له: «يا أبناه أرسانيوس كيف وأنت المتاذب بالروميه واليونانيه تحتاج إلى أن تسأل هذا المصري الأمي عن أفكارك؟» أجابه أبنا أرسانيوس قائلاً: «أما

الأدب الرومي واليوناني فإني عارف به جيداً. أما ألفا فيتا^(٢٦) التي أحسنها هذا المصري فإني إلى الآن لم أتعلّمها». (س٥: ٤٦ ج) (Abc. Arsenius 6)

١٠٣ - قيل: «أتى ذات يوم البابا ثاؤفليس البطريرك ومعه والي البلاد إلى أنبا أرسانيوس وسألوه كلمة، فسكت قليلاً ثم قال لهم: «إن قلت لكم شيئاً فهل تحفظونه؟» فلما ضمِنَ له البابا البطريرك أمر حفظه، قال لهم: «أينما سمعتم بأرساني فلا تدنوا منه». (س٥: ٤٦ ج) (Abc. Arsenius 7)

١٠٤ - وحدث مرة أن اشتهر البابا البطريرك أن يراه، فأرسل إليه يستأذنه إن كان يفتح له. فأجاب: «إن جئت فتحت لك، وإن فتحت لك فلن أستطيع أن أغلقه في وجه أحد. وإن أنا فتحت لكل الناس فلن أستطيع الإقامة هنا». فلما سمع الأب البطريرك هذا الكلام قال: «إن مضينا إليه فكأننا نظرده. فالأفضل لا نمضي إليه». (س٥: ٤٦ ظ) (Abc. Arsenius 8)

١٠٥ - وأيضاً سأله الأخ أن يقول له كلمة. فقال له الشيخ: «جاهد بكل قوتك أن يكون عملك الجوابي بالله ل تستطيع أن تغلب الأوجاع البرانية». (س٥: ٤٦ ظ) (Abc. Arsenius 9)

١٠٦ - وقال آخر: «ماذا أصنع، فإن الأفكار تُحزنني وتقول لي: إذا لم تستطع الصوم أو العمل فلا أقل من أن تذهب لفقدان المرضى، فهذه هي المحنة». فقال له الشيخ: «امض وكل واشرب وارقد ولا تخرج من قلابتك». لأن الشيخ عرف أن الصبر في القلابة يردد الراهب إلى طقسيه (Abc. Arsenius 11). فذهب ذلك الأخ إلى قلابته. فلما استمر ثلاثة أيام كما أمره الشيخ ضجر، فأخذ قليلاً من الخوص وشققه وبدأ يُضفر. فلما

^{٢٦} ألفا فيتا هما أول حرفين من حروف الأبجدية القبطية.

جاء قال لفكرة: «لنفرغ من هذا الخوصِ القليل الذي معنا ثم نأكل». فلما فرغ من الخوصِ قال أيضاً: «لنقرأ في الإنجيل ثم بعد ذلك نأكل». فلما قرأ قال: «لأنَّ مزاميرِي ثم بعد ذلك أكل بلا هم». وهكذا قليلاً قليلاً. معونة الله كان يفعل حتى رجع إلى سيرته الأولى وأخذ سلطاناً على الأفكار. وكان يغلبها (س:٥ ظ) (Abc. Arsenius 11)

١٠٧ - وسئلَه آخر: «لأي شيء أضجر إذا ما جلست في قلابي؟» فأجابه الشيخ قائلاً: «لأنك إلى الآن لم تبصر ولم تتيقن من نياح الآخرة ولا عنابها. لأنك لو تيقنت من ذلك حقاً وكانت قلابتك مملوءة دوداً وأنت غارق فيه إلى عنقك لَمَّا ضَجَرْت بالمرة». (س:٤ ج) (Sys. VII 35)

١٠٨ - وأيضاً سأله مرسى^(٢٧) أحد تلاميذه مرة قائلاً: «لماذا تهربُ منا يا أباه؟» فأجابه الشيخ قائلاً: «الله يعلم إني أحِبُّكم، ولكن لا أستطيع أن أكون مع الله ومع الناس. لأن ألوان الملائكة والربوات العلوية لهم إرادة واحدة، أما الناس فلهم إرادات كثيرة، وهكذا لا أستطيع أن أترك الله وأصير مع الناس». (س:٥ ظ) (Abc. Arsenius 13)

١٠٩ - وأيضاً قيل عنه: إنه كان يستمر الليل كله ساهراً. فإذا كان الغد كان يرقد من أجل الطبيعة مستدعاً النوم قائلاً: «هلَّ يا عبد السوء». وكان يغفو قليلاً وهو جالس، ولو قته يقوم (Abc. Arsenius 14). وكان يقول: «يكفي للراهب أن يرقد ساعة واحدة من الليل إن كان عملاً». (س:٥ ظ) (Abc. Arsenius 15)

^{٢٧} تأي: "مرقس أحد تلاميذه" في المخطوطة س ٥ ورقة ٤٦ ظهر والمخطوطة س ٦ ورقة ٤٢ ظهر وكذلك في النص اليوناني (13) (abc. Arsenius) وفي النص اليوناني PE، أما في النص السرياني ومخطوط س ٤ فتأي الأب مقاريوس. وتؤكد سيرة أبا مقاريوس (قول ٩٤) الرأي الأول لأن أبا مقار تبكي بعد حضور أبا مقاريوس بقليل، إلا إذا كان المقصود هنا أبا مقار الإسكندراني الذي عاصر أبا مقاريوس فترة من الوقت، وتوجد بعض الأقوال لهما معاً مثل قول رقم ١٠٠.

١١٠ - حيء إلى الإسقاط مرةً بقليلٍ من التين، فاقسمها الرهبانُ فيما بينهم. ولأجلِ أنه شيءٌ ضئيلٌ استحوا أن يرسلوا له منه شيئاً قليلاً وذلك لحالِ مترلته. فلما سمعَ الشيخُ امتنع عن الحيء إلى الكنيسةِ وقال: «أفرزتُموني من الإخوةِ، ولم تعطوني من البركةِ التي أرسلها اللهُ كأني لستُ أهلاً لأن أخذَ منها، ولو جهَ آخرٌ نسيتموني بسببِ كبرياتي». فلما سمعت الجماعةُ انتفعوا من اتضاعِ الشيخِ وانطلقَ القسُ وأتاه بنصيبٍ من التينِ ففرح، وجميعُهم سبَّحوا اللهُ وجاء معهم إلى الجمع. (س:٥ ج:٤٧) (Abc. Arsenius 16)

١١١ - مَرِضَ الأنبا أرسانيوس مرَّةً واحتاجَ إلى شيءٍ قيمتهُ حبةٌ واحدةٌ، وإذا لم يكن له ما يشتري به، أخذَ من إنسانٍ صدقةً وقال: «أشكرُك يا إلهي يا من أهْلتني لأنَّ أقبلَ الصدقةَ من أجلِ اسمك». (س:٥ ج:٤٧) (Abc. Arsenius 20)

١١٢ - وقيل إنَّ قلابته كانت على بُعدِ اثنينِ وثلاثينَ ميلاً وما كان يأتي بسرعةٍ، وكان آخرون يهتمون به. فلما حرب الإسقاط خرج باكيًا وقال: «أهلك العالمُ رومية وأضاع الرهبانَ الإسقطي». (س:٥ ج:٤٧) (Abc. Arsenius 21)

١١٣ - جاءَ دفعةً الأب أرسانيوس إلى ألكسندرؤس أحد تلاميذهِ وقال له: «إذا أنت شققتَ خوصَك، هلَّم إلينا لنفترط، وإنْ أتروك غرباءً فكُلْ معهم». فلما جاءَت الساعةُ ولم يحضرْ لأنه لم يكن قد أتمَ تشقيقَ الخوصِ، فظنَّ أنبا أرسانيوس أنه قد جاءَ غرباءً فأكلَ معهم. ولما أتمَ ألكسندرؤس عملَه، أتى إليه، فقال له الشيخُ: «هل كان عندك غرباءً؟» قال: «لا». فقال له: «فلمَذا لم تأتِ بسرعةً؟» فأجابةً: «لأنك قلتَ لي إذا فرغتَ من تشقيقِ الخوصِ هلَّم إليَّ، وال الساعةَ فقطَ أكملتُهُ». فتعجبَ الشيخُ من أقصى طاعتهِ وقال: «قم أسرعًّا وخذ طعامَك». (س:٥ ج:٤٧) (Abc. Arsenius 24)

١١٤ - ومرةً أتى إلى مكانٍ به قصبٌ، فتحرَّك القصبُ من الريح، فقال الشيخُ

لإِنْجُوَةَ: «مَا هَذَا الْزَّلْزَالُ؟ قَالُوا لَهُ: «إِنْ هَذَا قَصْبٌ يَا أَبَانَا». فَقَالَ الشَّيْخُ: «إِنْ مَنْ كَانَ جَالِسًا فِي سَكُوتٍ وَهَدْوَةٍ وَسَعْ صَوْتٍ عَصْفُورٍ فَلَنْ يَكُونَ لِعَقْلِهِ نِيَاحٌ. فَكُمْ بِالْحَرَبِ إِذَا سَمِعْتُمْ هَذَا الْزَّلْزَالَ مِنَ الْقَصْبِ». (س: ٥ ظ: ٤٧) (Abc. Arsenius 25)

١١٥ - وَدَفْعَةً أَتَى إِلَيْهِ رَجُلٌ يُدْعى جَسْرِيَانُوس بِوَصِيَّةٍ مِنْ رَجُلٍ شَرِيفٍ مِنْ جَنْسِهِ مَاتَ وَأَوْصَى لَهُ بِمَا كَثِيرٌ جَدًّا. فَلَمَّا عَلِمَ الْقَدِيسُ بِذَلِكَ هُمْ بِتَمْزِيقِ الْوَصِيَّةِ، فَوَقَعَ جَسْرِيَانُوس عَلَى قَدْمِيهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَلَا يَمْرِقُهَا وَإِلَا فَرَأَسَهُ عَوْضَهَا. فَقَالَ لَهُ الْقَدِيسُ: «أَنَا قَدْ مَتُّ مِنْذَ زَمَانٍ، وَذَاكَ مَاتَ أَيْضًا». وَبِذَلِكَ صَرَفَهُ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ وَلَا فَلْسًا وَاحِدًا. (س: ٥ ظ: ٤٧) (Abc. Arsenius 29)

١١٦ - وَقَيلَ عَنْهُ: «إِنْ أَحَدًا لَمْ يُدْرِكْ وَلَمْ يَصُلْ إِلَى مَعْرِفَةٍ كَيْفَ كَانَ تَدِبِيرُهُ وَجْهَادُهُ». (س: ٥ ظ: ٤٧) (Add. Arsenius S1)

١١٧ - وَقَيلَ عَنْهُ: «إِنَّهُ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ كَانَ يَخْرُجُ خَارِجَ قَلَائِيهِ وَيَقْفَ تَحْتَ السَّمَاءِ وَيَجْعَلُ الشَّمْسَ خَلْفَهُ وَيَسْطُطُ يَدِيهِ لِلصَّلَاةِ حَتَّى تُسْطِعَ الشَّمْسُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ». (س: ٥ ظ: ٤٧) (Abc. Arsenius 30)

١١٨ - قِيلَ عَنْ أَرْسَانِيُوسْ وَتَادِرسِ الْفَرْمِيِّ إِنْهُمَا كَانَا مُبْغَضَيْنَ لِلْسُّبْحَانِ الْبَاطِلِيِّ جَدًّا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ. أَمَّا أَنْبَا أَرْسَانِيُوسْ فَلَمْ يَكُنْ يَلْتَقِي بِالنَّاسِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ، وَأَمَّا أَنْبَا تَادِرسْ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ يَلْتَقِي بِهِمْ لَكِنَّهُ كَانَ يَجْوَزُ بِسُرْعَةِ كَالرَّمْحِ. (س: ٥ ظ: ٤٧) (Abc. Arsenius 31)

١١٩ - تَحَدَّثَ الْقَدِيسُ أَرْسَانِيُوسْ عَنْ إِنْسَانٍ وَفِي الْحَقِيقَةِ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ: «كَانَ أَحَدُ الشَّيْوخِ جَالِسًا فِي قَلَائِيهِ مُتَفَكِّرًا، فَأَتَاهُ صَوْتٌ قَائِلًا: هَلْمَ فَأَرِيكَ أَعْمَالَ النَّاسِ. فَنَهَضَ إِلَى خَارِجِ فَرَأَى رَجُلًا أَسْوَدَ يَقْطَعُ حِمْلًا مِنَ الْحَطَبِ، وَبَدَا يَجْرِبُ

إن كان يستطيع حمله فلم يستطع. فبدلاً من أن يُنْقِصَ منه، قام وقطع حطباً وزاد عليه. وهكذا صنع مراراً كثيرةً. ثم أنه مشى قليلاً فرأى رجلاً آخر واقفاً على حافة بئر يتناول منه الماء ويصبُّه في حزنٍ مثقوبٍ، فكان الماء يرجع إلى البئر ثانية. وجاز قليلاً فرأى رجُلَيْن راكبين فرسين حاملين عموداً على الجانبيَّة، كلُّ من طرفِ وسائلِ عرضِ الطريق، فلم يتضَع أحدهما ليكون خلف الآخر فُيُدْخَلَان العمود طولياً. وعلى ذلك بقيا خارج الباب». وأردف قائلاً: «هؤلاء هم الحاملون نيرَ ربنا يسوع المسيح بتشامخٍ ولم يتواضعوا أو يخضعوا لمن يهديهم. لذلك لم يستطيعوا الدخول إلى ملوكِ السموات. أما قاطع الخطب فهو إنسانٌ كثيرُ الخطايا، فبدلاً من أن يتوب، يُزيد خطاياه على خطاياه. وأما المستقي الماء فهو إنسانٌ يعمل الصدقة من ظلم الناسِ فيَضِيغُ عمله». (س: ٥٤٧ ظ) (Arsenius 33)

١٢٠ - قيل عن الأنبا أرسانيوس: أتى أناسٌ من الإسكندرية في بعض الأوقات لينظروه، وكان أحدهم حالَ تيموثاوس بطريرك الإسكندرية، وكان الشيخ في ذلك الوقت مريضاً. فلم يشأ أن يلقاهم لعلَّ يأتي آخرون فيسجنُوه. وكان الشيخ يسكن في جبل طرة. فرجع الإخوةُ حزانٍ. فاتفق حضور البربر^(٢٨)، فجاء وسكن في الأرض السفلية. فلما سمعوا عنه جاءوا إليه أيضاً ليصوروه فقبلهم بفرحٍ. فقالوا له: «هل عرفت يا أباانا أننا جئنا إلى جبل طرة ولم تقبلنا؟» فأجاب الشيخ: «أنتم أكلتم خبزاً وشربتم ماءً. وأما أنا يا أولادي فما أكلتُ خبزاً ولا ذقتُ ماءً، بل كنتُ جالساً معدباً نفسي حتى علمتُ أنكم وصلتم إلى مواضعكم. لأن تعَبَّكم كان من أجلي، لكن الآن اغفروا لي»، فرجعوا مسرورين. (س: ٥٤٨ ج) (Abc. Arsenius 34)

^(٢٨) البربر βαρβάροι قبائل من شمال أفريقيا كانت تغير على الأديرة وتخرها وتقتل الرهبان.

١٢١ - وحدث وهو في الإسقاط أن مرض فمسيس وجاء به إلى الكنيسة ووضعه على فراشٍ صغير، ووضع تحت رأسه وسادةً من جلد الغنم. فلما جاء بعض الشيوخ ليتفقدوه ورأوا الفراشَ والوسادةَ قالوا: «أهذا هو أرسانيوس المتكم على هذا الفراش»؟! فما كان من القسيس إلا أن يختلي بأحدِهم ويُسأله قائلاً: «ماذا كان عملك في بلدِك قبل أن ترْهِبَنَ»؟ قال: «راعياً». قال له: «وكيف كان تدبيرك في معيشتك»؟ أجابه: «تدبيراً كثيراً المشقة والتعب». ثم سأله: «والآن كيف حالك في قلادتك»؟ فأجابه: «بكل ارتياح، أفضل ما كنت في العالم». فقال له القسيس: «ألا تعلم أن أباً أرسانيوس هذا كان في العالم أباً للملوك، وكان له ألف غلامٍ من أصحاب المناطق المنشورة بالذهب وأطواق اللؤلؤ. وكان له عبيدٍ وخدمٍ يقومون بخدمته وهو جالسٌ على الكراسي الملوكية وتحته البرفير والحرير الخالص الملون. فأما أنت فقد كنت راعياً ولم يكن لك في العالم ما هو لك الآن من النياحة. أما هذا فليس له شيءٌ من النعيم الذي كان له في العالم فالآن أنت مستريحٌ أما هو فمتعَبٌ». فلما سمع الشيخ ذلك ندم وصنع مطانية قائلاً: «اغفر لي يا أبي فقد أخطأت. بالحقيقة هذا هو الراهب لأنه أتى إلى الاتضاع، وأما أنا فقد أتيت إلى نياحةٍ»، وانصرف متتفعاً. (س٥: ٤٨ ج) (Abc. Arsenius 36)

١٢٢ - ودفعه أتاها أحد الإخوة وقرع بابه، ففتح ظافراً أنه خادمه، فلما رأه أنه ليس هو وقع على وجهه. فقال له الأخ: «قم يا أبي حتى أسلمَ عليك ولو على الباب». فقال له الشيخ: «لن أقوم حتى تصرف». وألحَ الأخ في الطلب فلم يقم. فتركه الأخ وانصرف. (س٥: ٤٨ ظ) (Abc. Arsenius 37)

١٢٣ - وحدث مرّةً أن جاء أخُّ غريب إلى الإسقاط ليصرّ الأباً أرسانيوس، فأتى

إلى الكنيسة وطلب من الإكليلوس^{٢٩} أن يروه له، فقالوا له: «كُلْ كِسرة خبزٍ وبعد ذلك تبصره». فقال: «لن أذوق شيئاً حتى أبصره». فأرسلوا معه أخاً ليرشده إليه لأن قلاليته كانت بعيدة جدًا. فلما قرع الباب فتح له فدخل وصلياً وجلسا صامتين. فقال الأخُ الذي من الكنيسة: «أنا منصرفٌ فصلياً من أجلي». أما الأخُ الغريبُ لما لم يجد له دالةً عند الشیخ قال: «وأنا منصرفٌ معك كذلك». فخرجا معاً. فطلب إليه أن يعزمي به إلى قلالية أباً موسى الذي كان أولاً لصاً. فلما أتى إليه قبله بفرحٍ ونوحٍ غربته وصرفه. فقال له الأخُ الذي أرشده: «ها قد أرثوك اليوناني والمصري، فمن من الاثنين أرضاك؟»؟ أحابه قائلاً: «أما أنا فأقول إن المصري قد أرضاني». فلما سمع أحدُ الإخوة ذلك صلّى إلى الله قائلاً: «يا رب اكشف لي هذا الأمر، فإن قوماً يهربون من الناس من أجلِ اسمك، وقوماً يقبلونهم من أجلِ اسمك أيضاً. وألْجَ في الصلاة والطلبة، فتراءت له سفيتان عظيمتان في لُجَّة البحر. ورأى في إحديهما أباً أرسانيوس وهو يسير سيراً هادئاً وروح الله معه. ورأى في الأخرى أباً موسى وملائكة الله معه وهم يطعمونه شهد العسل.

(س: ٥ ج) (Abc. Arsenius 38)

١٢٤ - زاره مرةً بعضُ الشيوخ وسألوه عن السكوتِ وعن قلةِ اللقاءِ، فقال لهم: «إن العذراء ما دامت في بيتِ والديها فكثيرون يريدون خطبتها. فإن هي دخلت وخرجت فإما لن ترضي كلَّ الناس لأن بعضَهم يزدريها وبعضَهم يشتتها، ولن تكون لها الكرامة إلا وهي مختفية في بيتِ أبيها. هكذا النفسُ الهاداءُ المعتكفةُ، متى اشتهرت

^{٢٩} الإكليلوس من الكلمة اليونانية κληρος وتعني قرعة أو نصيب أو ميراث، وتطلق على كل من نال رتبة

كنسية من أساقفة وقسوس وشمامسة.

١٢٥ - وأيضاً قال أباً أرسانيوس^(٣١): «ثلاثة أشياء تكون من جَوْدَةِ العُقْلِ: الإيمان بالله والصَّبْرُ على كُلّ مُخْنَةٍ وتعبُ الجَسْدِ حتى يُذَلُّ. وثلاثة أمورٍ يُفْرَحُ بها العُقْلُ: تمييزُ الْخَيْرِ من الشَّرِ والتَّفْكِيرُ في الْأَمْرِ قَبْلِ الْإِقدَامِ عَلَيْهِ وَالْبَعْدُ عَنِ الْمَكْرِ. وثلاثة أشياء يُسْتَنِيرُ بها العُقْلُ: الإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، والصَّبْرُ عَلَى مَا يَنالُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ، وَتَرْكُ النَّظَرِ أوِ الْحَسْدِ لِمَنْ يَتَقدِّمُكَ فِي الدُّنْيَا. وستة أشياء يَتَطَهَّرُ بها العُقْلُ: الصِّمَتُ، حَفْظُ الْوَصَايَا، الزَّهْدُ فِي الْقُوَّةِ، الثَّقَةُ بِاللهِ فِي كُلّ الْأَمْرِ مَعَ تَرْكِ الْإِتْكَالِ عَلَى أَيِّ رَئِيسٍ مِنْ رَؤْسَاءِ الدُّنْيَا، قَمْعُ الْقَلْبِ عَنِ الْفَكِيرِ الرَّدِيءِ وَعَدْمُ اسْتِمَاعِ كَلَامِ الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَمْتَنَاعُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى النِّسَاءِ. وأربعة تحفظ النفس: الرحمة لجميع الناس، ترك الغضب، الاحتمال، إخراج الذنب وطرحه من قلبك بالتسبيح. وأربعة تحفظ الشابَ من الفكر الرديء: القراءة في كتب الوصايا، طرح الكسل، القيام في الليل للصلوة والابتهاج، والتواضع دائماً. وثلاثة تظلم النفس: المشي في المدن والقرى، النظر إلى مجد العالم، الاختلاط بالرؤساء في الدنيا. من أربعة أمورٍ تتولد للحسد النجاسة: الشبع من الطعام، السُّكر من الشراب، وكثرة النوم، نظافة البدن بالماء والطيب وتعاهد ذلك كل وقت. وأربعة تعمي النفس: البغض لأخيك، والازدراء بالمساكين خاصة، الحسد، والحقيقة. وأربعة يتولد عنها هلاك النفس ومحارتها: الجلوان من موضع إلى موضع، محنة الاجتماع بأهل الدنيا، الإكثار من الترف والبذخ، كثرة الحقد في القلب. من أربعة أمورٍ يتولد الغضب: المعاملة، المساؤمة، الانفراد برأيك فيما هواء نفسك، عدولك عن مشورة الآخرين واتباع

^{٣٠} البهدلة والبحدة: الخفة في السعي، وبحدل الرجل: إذا مالت كتفه (لسان العرب). وكلمة : تبهدلت يقصد بها فقدت وقارها واحترامها.

^{٣١} ترد هذه الأقوال في كتابات القديس إشعيا الإسقيطي.

شهواتك. وثلاثة إذا عمل بها الإنسان يسكن في الملوك: الحزن والنهد دائمًا، البكاء على الذنوب والآثام، وانتظار الموت في كل يوم وساعة. وثلاثة تحارب العقل: الغفلة، الكسل، وترك الصلاة. وثلاثة تحفظ الإنسان من الفكر: القراءة في كتب الوصايا، طرح الكسل في الصلاة ليلاً، والدعاء بالتواضع». (س: ٤٩ ظ) (Isaiah, logos 7, 11-24)

١٢٦ - ولما قرَبَ وقتُ نياحته دعا تلاميذه وعزّاهم ووعظهم وقال لهم: «اعلموا أن زمامي قد قرَبَ، فلا تهتموا بشيء سوى خلاصِ نفوسكم ولا تزتعجوا بالتحمِبِ علىَّ. ها أنذا واقفٌ معكم أمام مبشرِ المسيح المُهاب، فإذا جاءت الساعة رجائي ألا تُعطوا جسدي لأحدٍ من الناسِ». فقالوا له: «فماذا نصنعُ لأننا لا نعرف كيف نكفُّه؟» فقال لهم الشيخ: «أما تعرفون كيف تربطون رجليَّ بجبلٍ وتحرونني إلى الجبل لتنتفع به الوحوشُ والطيورُ». وكان الشيخ يقول لنفسه دائمًا: «أرساني أرساني تأمل فيما خرجت لأجله».

(س: ٥٠ ج) (Abc. Arsenius 40a)

١٢٧ - وقال: «كثيراً ما تكلمتُ وندمتُ، وأما عن السكتوتِ فما ندمتُ قط».

(س: ٥٠ ج) (Abc. Arsenius 40b)

١٢٨ - ولما دَنَتْ نياحته نظروه يبكي فقالوا له: «يا أبانا أنتفزع أنت أيضًا؟» أجابهم قائلاً: «إن فزع هذه الساعة ملازمٌ لي منذ حشتُ إلى الرهبنة». وهكذا رقدَ ودموعه تسيلُ من عينيه. فبكى تلاميذه بكاءً مُرّاً وصاروا يقبلون قدميه ويودّعونه كإنسانٍ غريبٍ يريدُ السفرَ إلى بلده الحقيقي. (س: ٥٠ ج) (Abc. Arsenius 40c)

١٢٩ - وقد أخبر عنه دانياال تلميذه فقال: «إنه ما طلب قط أن يتكلمَ من كتاب، بل كان يصلّي من أجل ذلك لو أراد. وما كان يكتبُ رسالةً. ولما كان يأتي إلى الكنيسة كان يقفُ خلفَ العمودِ لثلا يبصرَ إنسانَ وجهه. وما كان ينظرُ إلى وجهِ

إنسان. وكان منظره يشبه منظر ملاك. وكان كاملاً في الشيخوخة وصحيح الجسم ميتسمًا. وكانت لحيته تصل إلى بطنه، وكان شعر جفونه يتتساقط من كثرة البكاء. وكان طويلاً القامة، لكنه أخفى أخيراً من الشيخوخة. وبلغ من العمر سبعاً وتسعين سنة، أربعون سنة منها حتى خروجه من بلاط الملك، وبقيها في الرهبنة والوحدة. وكان رجلاً صالحًا مملوءاً من الروح القدس والإيمان. وقد ترك لي ثواباً من الجلد وقميصاً من الشعر ونعالاً من ليف، وبهذه الأشياء كنت أنا غير المستحق أتبارك بها». (س: ٥٥٠ ج) (Abc. Arsenius 42)

١٣٠ - قيل عن البابا ثاؤفليس البطريرك لما حضرته الوفاة، قال: «طوباك يا أبا أرسانيوس لأنك لهذه الساعة كنت تبكي كل أيام حياتك». (س: ٥٥٠ ج) (Abc. Theophilus 5

٢٥٥

مار إسحق السرياني (٢)

١٣١ - من قول مار إسحق: مثل المصور الذي يصور الماء في الحائط، ولا يقدر ذلك الماء المرسوم أن يبرد عطشه، ومثل الماء الذي ينظر الأحلام، كذلك الإنسان الذي يتكلم من غير عمل (Isaac. 1,37b, Ar. II,1,37b). أما الذي من اختباراته يتكلم عن الفضائل فيكون مثل ذلك الذي من بضاعة تجارتة يُلقي كلماته لسامعيه، ومن الشيء الذي اقتناه في نفسه يزرع التعليم في آذان السامعين، ويفتح فمه بدالة مع بنية الروحانيين. وذلك ك موقف يعقوب الشيخ مع يوسف العفيف إذ قال له: هو ذا قد أعطيتك نصيبي فأصلاً عن إخوتك وهو ما اكتسبته من الأمريين بسيفي وقوسي. (س: ٥٥٠ ظ) (Isaac. 1,38, Ar. II,1,38

كل إنسان تدبّره رديء، حياة هذا العالم عنده شهيبة. ويأتي ذلك قليل المعرفة. حقاً لقد قيل إن مخافة الموت ترعب الرجل الناقص، أما الذي له في نفسه شهادة صالحة فإنه

يشتهي الموت كالحياة (Isaac. 1,39, Ar. II,1,39). لا يُعتبر عندك حكيمًا ذاك الذي من أجل حياة هذا العالم يستعبدُ فكره للأرضيات. (س٤: ٣٣ ج) (Isaac. 1,40, Ar. II,1,40). كل المللات والشرور التي تعرض للجسد لتكن عندك شبة الأحلام، لأنه ليس بموت الجسد فقط تنحل منها بل كثيراً ما يمكنك رفضها والهروب منها قبل الموت (Isaac. 1,41, Ar. II,1,41). فإن كان لك منها شيء مشترك في نفسك فاعلم أنه مكتوب لك إلى الأبد، لأنها تذهب معك إلى العالم العتيق. فإن كان ما اكتترته من الطالحات الرديعات فاحزن وتنهد وأطلب الابتعاد عنها ما دمت في الجسد. (س٥: ٥٠ ظ) (Isaac. 1,42, Ar. II,1,42). ليكن معلوماً عندك أن كل خير لن يكون مقبولاً إلا إذا عمل في الخفاء. بالحقيقة إن المعمودية والإيمان هما أساس كل خير، فبهما دُعيت ليسوع المسيح بالأعمال الصالحة (Isaac. 1,43, Ar. II,1,43). شُكر الذي يأخذ يحرك الذي يعطي إلى بذل العطاء التي هي أعظم من الأوائل. من لا يشكّر على القليل فهو كاذب وظالم إن قال إنه يشكّر على الكثير. (س٤: ٣٣ ظ) (Isaac. 2, Ar. II,2,1)

المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هين. كذلك الذي يُقر بأوجاعه فهو قريب من البرء. أما القلب القاسي فتكبر أوجاعه. والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه (Isaac. 2, Ar. II,2,2). ليست خطيئة بلا مغفرة إلا التي بلا توبة. وليست موهبة بلا نمو وازدياد إلا التي ينقصها الشكر. الجاهل جزاؤه دائمًا في عينيه صغير (Isaac. 2, Ar. II,2,3). تذكر الذين هم أعلى منك في الصلاح كي ما تَحسب نفسك ناقصاً بالنسبة لهم. تأمل دائمًا في البلايا الصعبة وفي الذين هم في شدة ومذلة، وهذا التأمل يمكنك أن تقدم الشكر إزاء البلايا الصغيرة التي تتباين. (س٥: ٥١ ج)، وحيثند تستطيع أن تصبر عليها بفرح (Isaac. 2, Ar. II,2,4). في الوقت الذي تكون مغلوبًا مقهورًا وفي ملل وكسيل، وقد قيده عدوك بسماحة فعل الخطية، اذكر الأوقات القديمة التي فيها تنشطت، وكيف كنت مهتما حتى

بصغارِ الأمورِ، وكيف كنتَ تتحرك بالغيرٍ على الذين يعوّلون مصيرك. وتنتهُد على أقلِّ شيءٍ فاتك من عملِ الفضائلِ. وكذلك اذكر كيف كنتَ تحظى بإكليلِ الغلبةِ على الأعداءِ. فيمثل هذه التذكارات تيقُّظَ نفسك كمثلِ مَنْ في نومٍ عميقٍ وتلبس حرارةً الغيرةِ. وكمثل مَنْ في الموتِ تقومُ النفسُ من سقطتها وتصلب ذاتها كي تعودَ إلى طقسها الأول بالجهاد الحارِ قبلة الشيطانِ والخطيئةِ. (س: ٤ ظ: ٣٣) (Isaac. 2, Ar. II,2,5). اذكر كيف سقطَ الأقواءِ لكي ما تتَّضَعَ بصلاحك. اذكر عظمَ خطايا القديماءِ الذين سقطوا ثم تابوا ومقدار الشرف والكرامةِ اللذين نالوهما من التوبة بعد ذلك لكي ما تتعزى في توبتك (Isaac. 2, Ar. II,2,6). كن مضيقاً على نفسك ومحزنًا لها لكي ما يُطرد العدو من أمامك. اصطلاح أنت مع نفسك فتصطليع معك السماءُ والأرضُ. (س: ٥ ج: ٥١) (Isaac. 2, Ar. II,2,7)

محبُ الصلاح هو الذي يتحملُ البلاء بفرحٍ (Isaac. 2, Ar. II,2,11). استر على الخاطئ من غير أن تُنفر منه لكي ما تحملك رحمةُ ربِّك. اسدِ الضعفاء وعزٌّ صغيري النفوس كي ما تسندك اليمينُ التي تحملُ الكلُّ. شاركَ الحزانَ بتوجع قلبك كي يُفتح بابُ الرحمةِ لصلاتِك (Isaac. 2, Ar. II,2,14a). دع الصغارَ تَنَّ الكبارَ. كن ميتاً بالحياة لا حيَاً بالموتِ (Isaac. 3, Ar. II,3,32). لا تطلب الأمورَ المُحْقِرَةَ من العظيمِ القادرِ على كلِّ شيءٍ لعلَّه يهينه. اسألِ المُواهِبَ الْكَرِيمَةَ من اللهِ فَيُنْعِمُ عليك بها. لقد سأله سليمانَ من اللهِ الحكمةَ فأعطاه معها الغنى ودوامَ السلامةِ (Isaac. 3, Ar. II,3,33). وسائلِ إسرائيلِ الحُقُورَاتِ فرُذل لأنَّه ترك تمجيدَ عجائبِ اللهِ وطلبَ شهوةَ بطنهِ، وإذ الطعامُ في أفواهِهم أتى رِحْزُ اللهِ عليهم كما هو مكتوبُ. اطلب من اللهِ ما يلائمُ مجده لتكونَ كريماً عندَه (Isaac. 3, Ar. II,3,34)، ولا تسأل الأرضيات من السمائي فقد كتب: اطلبوا ملکوتَ اللهِ وبرهُ وهذا كله تزدادونه (Isaac. 3, Ar. II,3,36). لا تسأل أن تجري الأمورُ حسبَ هواك لأنَّه أعرَفُ منك بالأصلح لك. لا تكره الشدائِدَ فباختِصارِها تناولَ الكرامةَ وبها تقترب إلى اللهِ (Isaac. 3, Ar. II,3,41)

لأن النياح الإلهي كائنٌ داخلها. قبل البلايا يصلّى الإنسانُ للهِ كغريبٍ، فإذا قبلها من أجلِ حبِ اللهِ، حينئذ يصيرُ من أحبائهِ وحواصيهِ المغاربين لعدوهِ حبًّا في رضاهِ، ويُصبحُ كمن وجبَ حقُّهُ عليهِ. (س: ٥٥ ج) (Isaac. 3, Ar. II, 3, 46)

توكّل على اللهِ وسلّمْ نفسك له وادخل من البابِ الضيقِ وسرِ في الطريقِ الكريبةِ. فذاك الذي كان مع يوسف ونحاح من الزانيةِ وجعله شاهداً للعفةِ، والذي كان مع دانيال في الحبِّ ونحاح من الأسودِ، والذي كان مع الفتيةِ ونحاحهم من أتونِ النارِ، والذي كان مع إرميا وأصعده من جبَّ الحماةِ، والذي كان مع بطرس وأخرجه من السجنِ، والذي كان مع بولس وخُلصَه من مجتمع اليهودِ... وبالجملة فإن الذي كان في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكانٍ مع عبيدهِ في شدائدهم ونحاحهم وأظهرَ فيهم قوَّتهِ، هو يكونُ ملكَ ويفحظك (Isaac. 3, Ar. II, 3, 50). فخذ لك يا حبيبَ غيرَةِ الأنبياءِ والرسلِ والشهداءِ والقديسين قبلةَ الأعداءِ الخفيفين، واقتنِ غيرَةَ الذين ثبتوأ قائمين في التواميسِ الإلهية، فطروا الدنيا وأحسادَهم إلى ورائهم وعكسوا بالحقِّ فلم يُهزموا في الشدائِد التي انتابتهم في أنفسِهم وأحسادِهم، إذ فازوا بالقوَّةِ الإلهية وكتبوا في سفرِ الحياةِ، وأعدَّ لهم ملکوتُ السماواتِ الذي نؤهَّل له كُلُّنا برأسِه وتحتهِ تعالى. له الحمد إلى الأبدِ، آمين». (س: ٥٥ ظ) (Isaac. 3, Ar. II, 3, 51)

١٣٢ - ومن كلامهِ أيضاً: النفسُ المحبةُ للهِ سعادتها في اللهِ وحده. حلَّ قلبك من الرباطاتِ البرانيةِ أولاً، حينئذ تقدر أن تربطه بحبُّ اللهِ. من لم يفطم نفسهَ من حبُّ الدنيا لا يستطيع أن يتذوق حلاوةَ محبةِ اللهِ (Isaac. 4, Ar. III, 1, 1). إن الأعمالَ الروحانية تتولدُ من الأعمالِ النفسانية، والأعمالُ النفسانية تتولدُ من الجسدانية (Isaac. 4, Ar. III, 1, 3). من يهرب من سُبحِ العالمِ بمعرفةٍ فإنه يكتتر في نفسهِ رجاءُ العالمِ العتيد (Isaac. 4, Ar. III, 1, 5). الذي يفرُّ من نياحِ الدنيا فقد أدرك بعقله السعادةَ الأبديةَ. المرتبطُ بالمقتنياتِ والملذاتِ فهو

عبدٌ للأوجاع الذهمية (Isaac. 4, Ar. III,1,6). بالإيمان يُدرك العقل الأسرار الخفية كما يُدرك البصر المحسوسات. المعمودية هي الولادة الأولى من الله. والتوبّة هي الولادة الثانية كذلك. الأمر الذي نلناه عربونه بالإيمان، بالتوبّة نأخذ موهبته. التوبّة هي باب الرحمة المفتوح للذين يريدونه. وبغير هذا الباب لا يدخل أحد إلى الحياة، لأن الكل أخطأوا كما قال الرسول. وبالنعمة تبرّر مجاناً. فالتوبّة إذاً هي النعمة الثانية وهي تتولد في القلب من الإيمان والمخافة. والمخافة هي عصا الآب التي تسوقنا إلى محبة الله. فإذا أدركتناها تركتنا ورجعت (Isaac. 46, Ar. III,27,1). محبة الله هي فردوس كلّ النعيم الذي فيه شجرة الحياة وما لم يخطر على قلب بشر (Isaac. 46, Ar. III,27,2). فمن يدركه لا يموت، لأنه يعتدي بلا تعب من الخبر الذي نزل من السماء الذي يهب الحياة للعالم. فمن عاش في هوى حبّ المسيح فقد استنشق من ها هنا نسيم نعيم الأبرار بعد القيامة. الحبُّ هو هذا الملك الممُدُّ الذي وَعَدَ به السيد المسيح لحبيه. والحبُّ هو المسيح. لأن الرسول يقول: إن الله محبة (Isaac. 46, Ar. III,27,3). وكما أنه لا يمكن عبور النهر بلا سفينة، كذلك لا يمكن لأحد أن يعبر إلى حبّ الله بغير خوف الله. لأن التوبّة هي السفينة، والمخافة هي مدبرها، والمحبة هي ميناء السلام والكرامة، حيث يلقى المتعبون راحتهم، والعمالون المحاددون نياحهم، والتجار ربحهم، حيث هناك الآب والابن والروح القدس الإله الواحد له الجد.

(س: ٥٤) (Isaac. 46, Ar. III,27,4)

١٣٣ - ومن كلامه أيضاً: طوي للإنسان الذي يعرف ضعفه، فإن هذه المعرفة تكون له أساساً صالحاً ومصدراً لكلّ خير. لأنه إذا عرف ضعفه ضبط نفسه من الاسترخاء وطلب معونة الله وتوكل عليه (Isaac. 8, Ar. III,7,1-2). أمّا من لا يعرف ضعفه فهو قريب من سقطة الكبرياء، وبلا اتضاع لا يتم عمل العابد (Isaac. 8, Ar. III,7,10)، ومن لا يتم عمله لا يختتم كتاب حرفيته بخاتم الروح، ومن لا يختتم كتاب حرفيته بخاتم الروح

فإنه يكون عبداً للأوجاع ولا يتضع إلا بالبلايا (Isaac. 8, Ar. III,7,11). ومن أجمل ذلك يترك الله البلايا والتجارب على محي البر حتى يعرفوا ضعفهم، إذ أن البلايا تولد الاتضاع. وربما كسر قلبهم بأوجاع طبيعية، وربما بشتيمة الناس لهم وامتهانهم، وأحياناً بالفقر والمرض والاحتياج. وأحياناً أخرى بالخذلان ليأتي عليهم الشيطان بأفكار قدرة، وكل ذلك عساهם يحسون بضعفهم فيتضعوا حتى لا يعبر بهم نعاس الغفلة. فينبغي لكل إنسان إذاً أن يتيقظ دائماً ويفكر في أنه مخلوق، وكل مخلوق محتاج إلى معونة خالقه، فيطلب حاجته من هو عارف تماماً بما يحتاج إليه، فهو قادر أن يعطيه احتياجاته. له المجد إلى الأبد، آمين (Isaac. 8, Ar. III,7,12-14) (س: ٥٢ ظ)

٥٤٦

القديس أغاثون

١٣٤ - قيل عن القديس الكبير أثينا أغاثون: إن أناساً مضوا إليه لما سمعوا بعظم إفرازه وكثرة دعنه. فأرادوا أن يجرّبوه فقالوا له: «أنت هو أغاثون الذي نسمع عنك أنك متعظم»؟ فقال: «نعم، الأمر هو كذلك كما تقولون». فقالوا له: «أنت أغاثون المهذار المحتال»؟ قال لهم: «نعم أنا هو». قالوا له: «أنت أغاثون المهرطق»؟ فأجاب: «حاشا وكلاء، إنني لست مهرطقاً». فسألوه قائلين: «لماذا احتملت جميع ما قلناه لك ولم تحتمل هذه الكلمة»؟ فأجابهم قائلاً: «إن جميع ما تكلمت به على قد اعتبرته لنفسي رحباً ومنفعة إلا المهرطقة، لأنها بعد من الله، وأنا لا أشاء البعد عنه». فلما سمعوا عجبوا من إفرازه ومضوا متنفعين (س: ٥٢ ظ) (Abc. Agathon 5)

١٣٥ - جاءه أحَد مِرْأَة وقال: «يا أبا أريده أن أسكنَ مع أخِي، فارسم لي كيف أقيِّم معه»؟ فقال له الشيخ: «كن معه دائمًا كمثلِ اليوم الذي بدأت سكناك عنده. واحفظ

غربيتك هكذا كل أيام حياتك، وإياك أن تكون بينكما دالة». فقال له الأخ: «ولماذا تحاشي الدالة؟» أجابه الشيخ: «إن الدالة تشبه ريح السموم. عند هبوتها يهرب الناس جميعاً من أمامها وهي تهلك ثمار الأشجار». فقال الأخ: «أهذا المقدار تكون الدالة ردية؟» أجابه أبا أغاثون: «لا يوجد وجع آخر أردا منها، لأنها مصدر كل الأوجاع. لذلك يجب على الراهب الحريص أن لا تكون له دالة حتى ولا على القلية ولو كان وحيداً فيها. لأنني رأيت أحنا يسكن في قلية زماناً، وكان له فيها موضع، وقال لي: إني خرجت من القلية، ولما عدت إليها لم أعرف الموضع لو لم يدللي آخر عليه. وهكذا يجب أن يكون العمالُ المجاهدُ». (س: ٥٣ ج) (Abc. Agathon 1)

١٣٦ - وقال أيضاً: إن الدلال والمزاح والضحك أمور تشبه ناراً تشتعل في قصبٍ فتُحرقُ وتُهلكُ. (س: ٤٥ ظ) (Sys. XIX 37)

١٣٧ - وقال أيضاً: إن الراهب هو ذلك الإنسان الذي لا يدع ضميره يلومه في أمرٍ من الأمور. (س: ٥٣ ج) (Abc. Agathon 2)

١٣٨ - وقال أيضاً: بدون حفظ الوصايا الإلهية لا يستطيع أحد أن يقترب إلى واحدةٍ من الفضائل. (س: ٥٣ ج) (Abc. Agathon 3)

١٣٩ - وقال أيضاً: ما رقدتْ قط وأنا حاقد على إنسان، ولا تركت إنساناً يرقد وهو حاقد على حسب طاقتى. (س: ٥٣ ج) (Abc. Agathon 4, Abc. Epiphanius 4b)

١٤٠ - وقيل عنه: إنه مكث زماناً يبني مع تلاميذه قلية، فلما تمت وجلسوا فيها ظهر له في الأسبوع الأول أمرٌ ضايقه. فقال لتلاميذه: «هيا بنا نصرف من هنا». فانزعجوا جداً قائلين: «حيث إنك كنت عازماً على الانصراف فلماذا تعينا في بناء القلية؟ ألا يصبح من حق الناس الآن أن يشكوا قائلين: إن هؤلاء القوم لا ثبات لهم؟»

فلما رأهم صغيري النفوس هكذا، قال لهم: «إن شئْ قليلون منهم فكتشرون سوف ينتفعون ويقولون: طوبى لأولئك الذين من أجلِ الربِ انتقلوا واختبروا كلَّ شيءٍ. فمن أراد منكم أن يتبعني فليجئُ لأنِي قد اعتزمتُ نهائياً على الانصرافِ». فما كان منهم إلا أن طرحو أنفسَهم على الأرضِ طالبين إليه أن يأذنَ لهم بالمسيرِ معه. (س: ٥٥ ظ) (Abc. Agathon 6)

١٤١ - وقيل عنه أيضاً: إنه لما كان ينتقلُ، ما كان يرافقه أحدٌ سوى الجريدةِ التي كان يشقُّ بها الخوضَ لا غير. (س: ٥٥ ظ) (Abc. Agathon 7)

١٤٢ - وسئلَ مرةً: «أيهما أعظمُ؛ تعبُ الجسدِ أم الاحتفاظُ بما هو من داخلِه؟» فأحاب وقال: «إنَّ الإنسانَ يشبهُ شجرةً، فتعبُ الجسدُ هو الورقُ، أما المحافظةُ علىَ ما هو من داخلِ ف فهي الثمرةُ، لذلك فكلُّ شجرةٍ لا تثمرُ ثمراً جيداً تقطعُ وتلقى في التيرانِ. فلنحرص علىَ الثمرةِ التي هي حفظُ العقلِ، كما يحتاجُ الأمرُ أيضاً إلى الورقِ الذي يعطي الثمرةَ ويزينها، وما الورقُ إلا تعبُ الجسدِ . كما ذكرنا» (س: ٥٥ ظ) (Abc. Agathon 8)

١٤٣ - سُئلَ بعضُ الإخوةِ الأنبا أغاثونَ قائلين: «أيُّ فضيلةٍ أعظمُ في الجهاد؟» فقال: «اغفروا لي، ليس جهاداً أعظمَ من أن نصلِّي دائمًا لله، لأنَّ الإنسانَ إذا أرادَ أن يصلِّي كلَّ حين حاولَ الشياطينَ أن يمنعوه. لأنَّهم يعلمونَ بأنَّ لا شيءَ يُبطلُ قوَّتهم سوى الصلاةِ أمامَ الله. كلُّ جهادٍ يبذلُه الإنسانُ في الحياةِ ويتعبُ فيه لا بدَّ أن يحصلَ منه الراحةُ أخيراً، إلا الصلاةُ فإنَّ من يصلِّي يحتاجُ دائمًا إلى جهادٍ حتى آخرِ نسمةٍ». (س: ٥٥ ظ) (Abc. Agathon 9)

١٤٤ - كانَ أغاثونَ القديسُ حكيمًا في معرفتهِ، بسيطاً في جسمِه وكُفُناً في كلِّ الأمورِ، في عملِ اليدينِ وفي طعامِه وفي لبسِه (Abc. Agathon 10). فقد حدثَ مرةً بينما

كان سائراً مع تلاميذه؛ أن وَجَدَ أَحَدُهُمْ جُلْبَانًا^(٣٢) أَخْضَرَ فِي الطَّرِيقِ. فَقَالَ لَهُ: «يَا مَعْلِمَ هَلْ تَأْذَنُ لِي أَنْ آخْذَهُ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ مُتَامِلاً وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ تَرْكَتَهُ؟» قَالَ: «لَا».

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «وَكَيْفَ تَأْخُذُ شَيْئاً لَيْسَ لَكَ؟». (س: ٥٤ ج) (11) (Abc. Agathon)

١٤٥ - أَتَاهُ أَخْ مَرَّةً بِرِيدُ السُّكْنِي مَعْهُ، وَقَدْ أَخْضَرَ مَعْهُ قَلِيلًا مِنَ النَّطَرُونَ وَجَدَهُ فِي الطَّرِيقِ أَثْنَاءَ مَجِيئِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ: «مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا النَّطَرُونَ؟» قَالَ لَهُ الْأَخْ: «قَدْ وَجَدْتُهُ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَا سَائِرٌ». فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ قَائِلاً: «إِنْ كَنْتَ تَشَاءُ السُّكْنِي مَعَ أَغْاثُونَ امْضِ إِلَى حِيثُ وَجَدْتَهُ وَهُنَاكَ ضَعْهُ». (س: ٥٤ ج) (12) (Abc. Agathon)

١٤٦ - قِيلَ عَنِ الْأَنْبَا أَغْاثُونَ وَالْأَنْبَا آمُونَ: إِنَّمَا لَمَّا كَانَا يَبِيعُانَ عَمَلَ أَيْدِيهِمَا كَانَا يَقُولانَ الثَّمَنَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَمَا كَانَ يُعْطِي لَهُمَا كَانَا يَأْخُذُهُمْ بِسَكُوتٍ. كَذَلِكَ إِذَا احْتَاجَا لِشَيْءٍ يَشْتَرِيَا نَهَى كَانَا يَقْدِمَا مَا يُطْلُبُ بِسَكُوتٍ وَلَا يَتَكَلَّمَا. (س: ٥٤ ج) (13) (Abc. Agathon 16)

١٤٧ - أَخْبَرُوا عَنِ الْأَنْبَا أَغْاثُونَ: إِنَّهُ وَضَعَ فِي فَمِهِ حَجْرًا ثَلَاثَ سَنِينَ حَتَّى أَتَقَنَ السَّكُوتَ، (س: ٥٤ ج) (15) (Abc. Agathon)

١٤٨ - وَقَدْ كَانَ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ الْغَضْوَبَ أَقَامَ أَمْوَاتًا فَمَا هُوَ بِمَقْبُولٍ عِنْدِ اللَّهِ. وَلَنْ يُقْبَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ». (س: ٥٤ ج) (19) (Abc. Agathon)

١٤٩ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّمَا رَبَحْتُ أَخِي فَقَدْ قَدَمْتُ قَرْبَانًا». (س: ٥٤ ج) (17) (Abc. Agathon)

١٥٠ - وَسَأَلَهُ الْإِخْرَوَةُ بِخَصْوَصِ قَتَالِ الزَّنِ فَقَالَ: «أَمْضُوا وَاطْرُحُوا ضَعْفَكُمْ قَدَامَ

^{٣٢} الجلبان نبات عشبي من فصيلة القطانيات الفراشية فيه أنواع تُزرع لحبها ولكلائها وأنواع تُزرع لزهرها المختلفة الألوان (المنجد في اللغة)، والجلبان في صعيد مصر هو الحمض الأخضر. وقد وردت خطأ في البستان المطبوع عام ١٩٥١: جلبان أخضر.

١٥١ - وقال أَنْبَى يُوسُف مَرَّةً بِخُصُوصِ الْمُحَبَّةِ: إِنَّ أَنَّا جَاءَ إِلَى أَنْبَى أَغْاثَوْنَ فُوجِدَ
مَعَهُ مَسْلَةً خِيَاطَةً، فَأَعْجَبَ الْأَنْجُحُ بِهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ حِيدَةً، فَمَا كَانَ مِنَ الشِّيخِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَرَكْهُ
يَعْضِي إِلَّا بِهَا. (س٥: ٤٥) (Abc. Agathon 25)

١٥٢ - مضى الأَبُ أَغْاثَوْنَ مَرَّةً لِيَبِعَ عَمَلَ يَدِيهِ، فُوجِدَ إِنْسَانًا غَرِيبًا مَطْرُوحًا
عَلَيْهَا وَلَيْسَ لَهُ مِنْ يَهْتَمُ بِهِ. فَحَمَلَهُ وَأَجْرَاهُ لَهُ بَيْتًا وَأَقَامَ مَعَهُ يَخْدُمُهُ وَيَعْمَلُ بِيَدِيهِ وَيَدْفَعُ
أَجْرَةَ الْمُسْكِنِ وَيَنْفُقُ عَلَى الْعَلِيلِ مَدَةً أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى شُفِيَّ. وَبَعْدَ ذَلِكَ انتَلَقَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.
(Abc. Agathon 27) وَكَانَ يَقُولُ: «كَتَّ أَشَاءُ لَوْ وَجَدْتُ رَجُلًا مَجْدُومًا يَأْخُذُ جَسْدِي
وَيَعْطِينِي جَسْدَهُ». (س٥: ٤٥ ظ) (Abc. Agathon 26)

١٥٣ - قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ يَحْرُصُ عَلَى إِقَامِ كُلِّ الْوَصَايَا، وَلَا كَانَ يَعْبُرُ النَّهَرَ كَانَ
يُمْسِكُ الْمَجْدَافَ بِنَفْسِهِ. وَإِذَا رَفَقَ أَنَّا كَانَ يَهْيَى بِنَفْسِهِ الْمَائِدَةَ لِأَنَّهُ كَانَ مَلُوءًا حَلَوةً
وَمَحْبَّةً وَنِشَاطًا. (س٥: ٤٥ ظ) (Abc. Agathon 29a)

١٥٤ - حَدَثَ مَرَّةً أَنْ مضى إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبِعَ عَمَلَ يَدِيهِ، فُوجِدَ إِنْسَانًا مَجْدُومًا عَلَى
الطَّرِيقِ، فَقَالَ لَهُ الْمَجْدُومُ: «إِلَى أَيْنَ تَذَهَّبُ؟» قَالَ لَهُ: «إِلَى الْمَدِينَةِ». فَقَالَ لَهُ الْمَجْدُومُ:
«اَصْنِعْ مَعِي رَحْمَةً وَخَذِينِي مَعَكَ». فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَجْدُومُ: «خَذِينِي
إِلَى حَيْثُ تَبِيَعُ عَمَلَ يَدِيكَ»، فَأَخْذَهُ. وَلَا بَاعَ عَمَلَ يَدِيهِ سَأَلَهُ الْمَجْدُومُ: «بِكُمْ بَعْتَ؟»
فَقَالَ: «بِكُنَا وَكَذَا». فَقَالَ لَهُ الْمَجْدُومُ: «اِشْتَرِ لِي شَبَكَةً». فَاشْتَرَ لَهُ، وَمَضَى وَبَاعَ ثُمَّ
عَادَ وَقَالَ لَهُ الْمَجْدُومُ: «بِكُمْ بَعْتَ؟» فَقَالَ: «بِكُنَا وَكَذَا». فَقَالَ لَهُ الْمَجْدُومُ: «خَذِ لِي كَذَا
وَكَذَا مِنَ الْأَطْعَمَةِ»، فَأَخْذَ لَهُ. وَلَا أَرَادَ المُضِي إِلَى قَلَابِيَّهِ قَالَ لَهُ الْمَجْدُومُ: «خَذِينِي إِلَى
الْمَوْضِعِ الَّذِي وَجَدْتِنِي فِيهِ أَوْلًَا». فَحَمَلَهُ وَرَدَّهُ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: «مَبَارِكٌ أَنْتَ مِنْ

الرب إلها الذي خلق السماء والأرض». فرفع أثبا أغاثون عينيه فلم يره لأنه كان ملاكَ
الرب أُرسل إليه ليجربه. (س:٥٤ ظ) (Abc. Agathon 30)

١٥٥ - وقيل عنه: إنه كان إذا تصرف في أمرٍ وأخذ فكره يلومه، فكان يخاطبُ
نفسه قائلاً: «يا أغاثون، لا تفعل أنت هكذا مرةً أخرى»، وبذلك كان يُسكن قلبه.
(س:٥٤ ظ) (Abc. Agathon 18)

١٥٦ - وقال أيضاً: «إن كان أحدٌ يحبني وأنا أحبه للغاية، وعلمتُ أنه قد لحقني
نقصنة بسببِ محبتهِ فإني أقطعه مني وأنقطع منه بالكلية». (س:٥٥ ج) (Abc. Agathon 23)

١٥٧ - وقيل أيضاً: لما كان الأب أغاثون عتيداً أن ينطلق إلى الرب، مكتث ثلاثة
أيامٍ وعيناه مفتوحتان لا يتحرك. فأقامه الإخوة وقالوا له: «يا أبانا أثبا أغاثون: أين
أنت؟» فقال: «أمام مجلسِ قضاءِ الله أنا واقف». فقالوا له: «أتفزع أنت أيضاً؟ فأجابهم
 قائلاً: «على قدر طاقتِي حفظتُ وصايا الله. إلا إبني إنسانٌ، من أين أعلم إن كان عملي
أرضي الله». فقالوا له: «أليستَ واثقاً بأن عملَك مرضيٌ أمّا الله؟» فقال الشيخُ: «لن
أشق دونَ أن ألقى الله، لأن حكمَ الناس شيءٌ وحكمَ الله شيءٌ آخر». فطلبوه منه أن
يكلّمهم كلمةً تنفعهم. فقال لهم: «اصنعوا محبةً، ولا تكلموني لأنني مشغولٌ في هذه
الساعة». وللوقت تبيح. فأبصروا وجهه كمن يُقبلُ حبيبه. فهذا القديس كان متحفظاً
جداً إذ كان يقول: «بغير تحفظٍ كثيرٍ لا يقدرُ أحدٌ أن يصلَ إلى الفضيلة». (س:٥٥ ج)
(Abc. Agathon 29b)

٢٩٦

القديس إيسيدوروس القس (١)

١٥٨ - قيل عن الأب الكبير إيسيدوروس قس الإسقيط: إنَّ كُلَّ من كان عنده
أخًا صغيرَ النفسِ أو شتاًماً أو عليلاً ويطرده من عنده، كان القس إيسيدوروس يأخذُه إلى

عندِه ويطيلُ روحَه عليه ويخلصُ نفسه. (س٥: ٥٥ ج) (1) (Abc. Isidorus)

١٥٩ - سأله الإخوةُ مرةً قائلين: «لماذا تفرّع منك الشياطين؟»؟ فقال لهم: «لأنِي
منذ أن صرتُ راهباً حتى الآن لم أدع الغضبَ يجوزُ حلقي إلى فوق». (س٥: ٥٥ ج) (2)
(Isidorus 2)

١٦٠ - وقال أيضاً: «ها أنا لي أربعون سنة، كنتُ إذا أحسستُ بعقلِي بالخطيئةِ
خلافاً لها، لا أخضع لها قط حتى ولا للغضبِ». (س٥: ٥٥ ج) (3) (Abc. Isidorus 3)

١٦١ - وقيل عنه أيضاً: إذا أوعزتُ إليه الأفكارُ بأنه إنسانٌ عظيمٌ، كان يحبُّها
قائلاً: «العلى مثل أرباب أنطونيوس أو أصبحتُ مثل أرباب عموا؟» وإذا كان يقولُ ذلك
يستريحُ فكره. وإذا قالت له الشياطين: «إنك ستمضي إلى العذابِ». فكان يحبُّهم: «إن
مضيتُ إلى العذابِ فسوف تكونون تحني». (س٥: ٥٥ ج) (4) (Abc. Isidorus 6)

١٦٢ - وكان يقول: «هكذا يجبُ أن يكونَ فهمُ القديسين أن يعرفَ الإنسانُ
مشيئةَ اللهِ وأن يكونَ بكليته ساماً للحقِّ خاصعاً له، لأنَّه في صورةِ اللهِ ومثالِه. وأنَّ من
أشرِّ الأعمالِ كلُّها أن يطيعَ الإنسانُ إرادَةَ اللهِ ويختلفَ إرادَةَ اللهِ، وأنَّ يكونَ له هوىٌ في
شيءٍ وفي غيرِه هوىٌ آخر. فأما الذي يجدُ طريقَ القديسين ويكتسي فيها فإنه يُسرُّ
بالأحزانِ، لأنَّ سبيلاً الخلاصِ مملوءُ أحزاناً». (س٥: ٥٥ ظ) (5) (Abc. Isidorus 9)

١٦٣ - توجَّه الأنبا إيسيدوروس مرهًّا إلى البابا ثاؤفليس بطريرك الإسكندرية، ولما
رجع سأله الإخوةُ عن حالِ مدينة الإسكندرية. فقال لهم: «إني لم أبصر فيها إنساناً إلا
البطريرك وحده». فتعجبوا وقالوا له: «أتريدُ أن تقولَ إن مدينة الإسكندرية حالياً من
الناسِ». قال: «كلا، لكنِي لم أسمح لعقلي أن يفكِّر في رؤيةِ أيِّ إنسانٍ». (س٥: ٥٥ ظ)
(Abc. Isidorus 8. Chaîne 19)

القديس إيسيندوروس البيلوزي (٣٣)

١٦٤ - وقال: إن السيرة الصالحة بدون كلام نافعة، أما الكلام بغير عمل فهو باطل. لأن أحدهما بسكته ينفع والآخر بكثرة كلامه يُقلق. فإذا استقام القول مع العمل كَمْلَت فلسفته. (س:٥٥٥ ظ) (Abc. Isidore of Pelosium 1)

١٦٥ - وقال أيضاً: إن الشر أزاغ الناس عن معرفة الله. وفرق الناس بعضهم عن بعض. فلنبعض إذا الشر ولنطلب السلامة لبعضنا البعض وبذلك تكمل فلسفة الفضيلة. (س:٥٥٥ ظ) (Abc. Isidore of Pelosium 4)

١٦٦ - وقال أيضاً: إن شرف التواضع عظيم وسقوط المتعاظم فظيع جداً، وإن أشير عليكم بأن تلزموا التواضع فلن تسقطوا أبداً. (س:٥٥٥ ظ) (Abc. Isidore of Pelosium 5)

١٦٧ - وقال أيضاً: إن محبة المقتنيات متيبة جداً تؤدي إلى نهاية مريرة لأها تسبب اضطراباً شديداً جداً للنفس. فسيئلنا أن نطردَها منَ البدءِ، لأنها إن أزمَّتَ فينا صار اقلاعها صعباً. (س:٥٥٥ ظ) (Abc. Isidore of Pelosium 6)

٢٩٥

القديس إيسيندوروس القس (٢)

١٦٨ - وقيل عنه: اتفق أن دعاه أحد الإخوة إلى تناول الطعام، فرفض الشيخ قائلاً: «إن آدم بالطعام خُدع فصار خارج الفردوس بأكلة واحدة». فقال له الأخ: «أهذا المقدار تخشى الخروج خارج القلاية؟» قال له الشيخ: «وكيف لا أخشى يا

^{٣٣} إيسيندوروس البيلوزي πηλουσιώτης نسبة إلى مدينة بيلوزيوم πηλούσιον أو الفرما περφέμον (شرق بور سعيد الحالية) (Amélineau, p. 317-318).

ولدي، والشيطان يزأرُ مثلَ سبعٍ ملتمساً من يبتلעה». (س:٥٦ ج) (Abc. Isidore the Priest) (1a)

١٦٩ - وكثيراً ما كان يقول: «من يُذلُّ نفسه لشرب الخمر لا يمكنه أن يخلص من شرّ الأفكار وقبع الأعمال. فإن لوطاً لما امتلاً من السُّكر وقع في مجامعةٍ مغايرةٍ للناموس الطبيعي». (س:٥٦ ج) (Abc. Isidore the Priest 1b)

١٧٠ - وقال أيضاً: «إن كنتَ مشتاقاً إلى مُلك السماءِ، فاترك غنى العالم. وإن آثرتَ النياحَ هناك، فاللزمَ التعبَ ها هنا، وإن أردتَ الفرحَ هناك، لا تكف عن البكاءِ ها هنا». (س:٥٦ ج) (Abc. Isidore the Priest 2)

١٧١ - وقال أيضاً: لا يمكنك أن تحيا حياةً إلهيةً ما دمتَ محباً للذاتِ. (س:٥)
(Abc. Isidore the Priest 3) (ج:٥٦)

١٧٢ - وكان إذا مضى إليه إنسانٌ فإنه يدخلُ إلى القلادةِ الداخليةِ ويكلّمه من داخلِ البابِ. فقال له الإلحوةُ: «لماذا تفعلُ هكذا؟»؟ فقال لهم: «إن الوحوشَ إذا أبصرت من يُخيفها هربت إلى جحورِها ونجت». (س:٥٦ ج) (Abc. Isidore the Priest 7)

١٧٣ - وقال أبا بيمين: إن أبا إيسيدوروس كان يُضَفِّرُ في كلّ ليلةٍ حرمة خوصٍ. فسألته الإلحوة قائلين: «أيها الأب، أريح نفسك لأنك قد شختَ». فأجابهم: «لو أحرقوا إيسيدوروس بالنارِ وذرواً رماده، فلن يكون لي فضلٌ، لأن ابنَ اللهِ من أجلِي نزل إلى الأرض». (س:٥٦ ج) (Abc. Isidorus 5)

١٧٤

القديس موسى الأسود

١٧٤ - قيل إن الأب الكبير أبا موسى الأسود قوتل بالرما قتالاً شديداً في بعضِ

الأوقاتِ. فقام ومضى إلى أَنْبَأِ إِبْرِيزِدُورُوسْ وَشَكَا لَهُ حَالَهُ، فَقَالَ لَهُ: «اَرْجِعْ إِلَى قَلَّاِيْتِكْ». فَقَالَ أَنْبَأِ مُوسَى: «إِنِّي لَا أُسْتَطِعُ يَا مَعْلُومْ». فَصَعَدَ بِهِ إِلَى سَطْحِ الْكَنْيَسَةِ وَقَالَ لَهُ: «اَنْظُرْ إِلَى الْغَرْبِ»، فَنَظَرَ وَرَأَى شَيَاطِينَ كَثِيرَيْنَ يَتَحَفَّزُونَ لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اَنْظُرْ إِلَى الشَّرْقِ»، فَنَظَرَ وَرَأَى مَلَائِكَةً كَثِيرَيْنَ يَمْحُدُونَ اللَّهَ. فَقَالَ لَهُ: «أَوْلَئِكَ الَّذِينَ رَأَيْتَهُمْ فِي الْغَرْبِ هُمْ مُحَارِبُونَا، أَمَّا الَّذِينَ رَأَيْتَهُمْ فِي الشَّرْقِ فَإِنَّهُمْ مُعَاوِنُونَا. أَلَا تَنْتَشِجُ وَنَتَقُوُى إِذَا مَا دَامَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ يَمْحَارُونَ عَنَا؟»؟ فَلَمَّا رَأَاهُمْ أَنْبَأِ مُوسَى فَرَحَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَرَجَعَ إِلَى قَلَّاِيْتِهِ بَدْوِنِ جَرْعٍ. (س:٥٥ ظ) (Abc. Moses 1)

١٧٥ — وَقِيلَ عَنْهُ: إِنَّهُ لَمَّا رَسَمَ قَسَّاً أَلْبِسَهُ ثُوبَ الْخَدْمَةِ الْأَيْضِ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُ الْأَسَاقِفَةِ: «هَا أَنْتَ قَدْ صَرَّتَ كُلُّكَ أَيْضَّ يَا أَنْبَأِ مُوسَى». فَقَالَ: «أَيُّهَا الْأَبُ، لَيْتَ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْ دَاخِلِ كَمَا مِنْ خَارِجِ». (س:٥٥ ظ) (Abc. Moses 4a)

١٧٦ — وَأَرَادَ رَئِيسُ الْأَسَاقِفَةِ أَنْ يَمْتَحِنَهُ فَقَالَ لِلْكَهْنَةِ: «إِذَا جَاءَ أَنْبَأِ مُوسَى إِلَى الْمَذْبِحِ اطْرَدُوهُ لِنَسْمَعَ مَاذَا يَقُولُ». فَلَمَّا دَخَلَ اَنْتَهِرُوهُ وَطَرَدُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: «اَخْرُجْ يَا حَبْشِيِّ إِلَى خَارِجِ الْكَنْيَسَةِ». فَخَرَجَ أَنْبَأِ مُوسَى وَهُوَ يَقُولُ: «حَسَنًا فَعَلُوا بِكَ يَا رَمَادِيَّ الْلَّوْنِ يَا أَسْوَدَ الْجَلْدِ. وَحِيثُ أَنْكَ لَسْتَ بِإِنْسَانٍ فَلِمَاذَا تَخْضُرُ مَعَ النَّاسِ؟». (س:٥٦ ظ) (Abc. Moses 4b)

١٧٧ — قِيلَ: أَضَافَ أَنْبَأِ مُوسَى أَخَّا فَطَلَبَ مِنْهُ كَلْمَةً. فَقَالَ لَهُ: «اَمْضِ وَاجْلِسْ فِي قَلَّاِيْتِكَ وَالْقَلَّاِيْةُ سُوفَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ». (س:٥٦ ظ) (Abc. Moses 6)

١٧٨ — وَقِيلَ: أَخْطَأَ أَخَّ فِي الإِسْقِيْطِ يَوْمًا، فَانْعَقَدَ بِسَبِيلِهِ مَجْلِسٌ لِإِدَانَتِهِ، وَأُرْسِلُوا فِي طَلَبِ أَنْبَأِ مُوسَى لِيَحْضُرَ، فَأَبَى وَامْتَنَعَ مِنَ الْحَضُورِ. فَأَتَاهُ قَسُّ الْمَنْطَقَةِ وَقَالَ: «إِنَّ الْآباءَ كُلُّهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ». فَقَامَ وَأَخَذَ كِيسًا مَثْقُوبًا وَمَلَأَهُ رَمَلًا وَحَمْلَهُ وَرَاءَ ظَهِيرَهِ وَجَاءَ إِلَى

المجلس. فلما رأه الآباءُ هكذا قالوا له: «ما هذا أيها الأب؟»؟ فقال: «هذه خطاياي وراء ظهري تجري دون أن أبصرها، وقد جئتُ اليومَ لإدانةِ غيري عن خطياي». فلما سمعوا ذلك غفروا للأخٍ ولم يُحزنوه في شيءٍ. (س٥: ٥٦) (Abc. Moses 2)

١٧٩ - ومرةً أخرى انعقدَتْ مجمعٌ وأرادوا أن يمتحنوا أنبياءَ موسى، فنهروه قائلين: «لماذا يأتي هذا النبويُّ هكذا ويجلس في وسطنا؟»؟ فلما سمع ذلك الكلام سكت. وعند انصرافِ المجلس قالوا له: «يا أباَنا، لماذا لم تضطرب؟»؟ فأجابهم قائلاً: «الحق إنِّي اضطربتُ، ولكنِّي لم أتكلَّم شيئاً». (س٥: ٥٧) (Abc. Moses 3)

١٨٠ - وحدثَتْ مرةً أخرى أنَّ أُعلنَ في الإسقاطِ أنَّ يُصام أسبوعٌ. وتصادفَ وقتَئذِ أن زار الأنبياءَ موسى إخوةَ مصريون. فأصلاحَ لهم طيبخاً يسيراً. فلما أبصرَ القاطنوْن بجوارِه الدخانَ اشتكوا لخدمِ المذبحِ قائلين: «هذا موسى قد حلَّ الوصيةَ إذ أعدَ طيبخاً». فطمأنَّهم أولئكَ قائلين: «عشيَّةَ الربِّ يومَ السبت سوف نكلمه». فلما كان السبت وعلموا السببَ قالوا لأنبياءَ موسى أممَ المجمعِ: «أيها الأبُ موسى، حقاً لقد ضحيتَ بوصيَّةَ الناسِ في سبيلِ إتمامِ وصيَّةِ اللهِ». (س٥: ٥٧) (Abc. Moses 5)

١٨١ - وقيلَ أيضاً عنَّ الأنبياءِ موسى: إنه لما عزمَ على الإقامةِ في الصخرةِ تعبَ ساهراً. فقالَ في نفسهِ كيف يمكنني أن أجده مياهاً لحاجتي هنا. فجاءَه صوتٌ يقولُ له: «ادخل ولا تختبِّئ بشيءٍ»، فدخل. وفي أحدِ الأيام زاره قومٌ من الآباءِ، ولم يكن له وقتَئذِ سوى جرَّةٌ ماءٌ فقط. فأعدَّ عدساً يسيراً، فلما نفَّدَ الماءُ حزنَ الشيَّخُ وصارَ يخرجُ ويدخلُ ثم يخرجُ ويدخلُ وهكذا.. وهو يصلِّي إلى الله. وإذا بسحابةٌ مطرةٌ قد جاءَت فوقَ حيثِ كانت الصخرةُ. وسرعانَ ما تساقطَ المطرُ فامتلأتُ أوعيتهِ من الماء. فقالَ له الآباءُ: «لماذا كنتَ تدخلُ وتخرجُ؟» فأجابهم وقالَ: «كنتُ أصلِّي إلى اللهِ قائلاً: إنك أنتَ الذي جئتَ

بي إلى هذا المكان وليس عندي ماء ليشربَ عبيداً. وهكذا كنتُ أدخل وأخرج مصلياً
لله حتى أرسل لنا الماء». (س:٥٧ ج) (Abc. Moses 13)

١٨٢ - سأله أحد الإخوة أبا موسى قائلاً: «ماذا أصنع لكي أمنع أمراً يتراءى لي دائمًا؟» فقال له الشيخ: «إنك إن لم تصبح مقبوراً كالميت فلن تستطيع أن تمنعه، أعني الفكر». (س:٥٧ ظ) (Abc. Moses 11)

١٨٣ - وقال أيضاً: «مكتوب أنه لما قتل الربُّ أبكارَ المصريين لم يكن هناك بيتٌ
حال من ميت» (Sys. III 43). فسألوه قائلين: «ما معنى هذا؟» فقال الشيخ: «إذا علمنا
أننا كلنا خطأً فلنحضر من أن نترك خطاياانا وندين خطايا القريب، لأنه من الجهل حقاً
أن يكون لإنسانٍ في بيته ميتٌ فيتركه ويدهب ليكي على ميت جاره. فانظر إلى خطاياك
أولاً. واقطع اهتمامك بكل إنسانٍ، ولا تحتك بإنسانٍ، ولا تفكّر بشّرٌ على إنسانٍ، ولا
تشـ مع النمام ولا تصدق كلام نميمة بخصوص إنسانٍ». (س:٥٥٧ ظ) (Abc. Moses 18f)

١٨٤ - وقال أيضاً: «من يحتمل ظلماً من أجل الربِّ يُعتبر شهيداً» (Sys. XIX 38).
ومن يتمسكن من أجل الربِّ يعلوه الربُّ. ومن يصر جاهلاً من أجل الربِّ يُحكمه
الربُّ» (Bu. II, 83). (س:٥٥٧ ظ) (Sys. XIX 39)

١٨٥ - وأيضاً من أقوال أبا موسى^(٣٤) أرسلها إلى أبا نومين حسب طلبـ: «إني
أفضل خلاصـك بخوف الله قبل كل شيء، طالباً أن يجعلك كاماً بمرضاته حتى لا يكون
تعـك باطلـاً؛ بل يكون مقبولاً من الله لتفرـح. لأنـا نجد أنـ التاجر إذا ربحـت تجـارـته كثـرـ
سرورـه، وكذلك الذي يتعلـ صنـاعـة إذا ما أتقـنـها كما ينبغي ازداد فـرـحـه متنـاسـياً التعبـ

^{٣٤} ترد هذه الأقوال ضمن كتابات القديس إشعيا الإسقطي.

الذى أصابه، وذلك لأنه قد أتقن الصنعة التي رغب فيها. ومن تزوج امرأة وكانت عفيفة صائنة لنفسها فمن شأنه أن يفرح قلبه. ومن نال شرف الجندي فمن شأنه أن يستهين بالموت في حرمه ضد أعداء ملكه وذلك في سبيل مرضاه سيده. وكل واحد من أولئك الناس يفرح إذا ما أدرك الهدف الذي تعب من أجله. فإذا كان الأمر هكذا مع شئون هذا العالم الغافى، فكم وكم يكون فرحة النفس التي قد بدأت في خدمة الله عندما تتم خدمتها حسب مرضاه الله؟ الحق أقول لك: إن سرورها يكون عظيماً، لأنه في ساعة خروجها من الدنيا تلقاها أعمالها وتفرج لها الملائكة إذا أبصرواها وقد أقبلت سالمه من سلاطين الظلمة، لأن النفس إذا خرجت من جسدها رافتها الملائكة وحيثند يلتقي بها أصحاب الظلمة كلهم وينزعونها عن المسير ملتمسين شيئاً لهم فيها. والملائكة وقتئذ ليس من شأنهم أن يحاربوا عنها، لكن أعمالها التي عملتها هي التي تحفظها وتستر عليها منهم. فإذا تمت غلبتها بأعمالها تفرج الملائكة حيثند ويسبحون الله معها حتى تلاقي الرب بسرور. وفي تلك الساعة تنسى جميع ما انتابها من أتعاب في هذا العالم. (س: ٥٧ ظ)
 (Isaiah, logos 16, 1-4)

فسيلنا أيها الحبيب أن نبذل قصارى جهدنا ونحرص بكل قوتنا في هذا الزمان القصير على أن نصلح أعمالنا ونقىها من كل الشرور عسانا نخلص بنعمة الله من أيدي الشياطين المتحفزين للقائنا، إذ أنهم يترصدون لنا ويفتشون أعمالنا إن كان لهم فيما شيئاً من أعمالهم، لأنهم أشرار وليس فيهم رحمة. فطوبى لكل نفس لا يكون لهم فيها مكان فإنها تفرج فرحاً عظيماً. لذلك ينبغي لنا أيها الحبيب أن نتحهد بقدر استطاعتنا بالدموع أمام ربنا ليرحمنا بتحنته. لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح. ولنقتن لأنفسنا الشوق إلى الله فإن الاشتياق إليه يحفظنا من الزنا، ولنحب المسكينة لنخلص من حبّة الفضة، ولنحب السلامة لنجو من البغضة، ولنقتن الصبر وطول الروح لأن ذلك يحفظنا

من صغر النفسِ، ولنحبُ الكلَّ بمحبةٍ خالصةٍ لنتخلصَ من الغيرةِ والحسدِ، لنلزم الاتضاع في كلِّ أمرٍ وفي كلِّ عملٍ. لنتحملُ السبَّ والتغيير لنتخلصَ من الكبرياءِ. لنكرمُ أقرباءنا في كلِّ الأمورِ لنتخلصَ من الدينونة. لنرفضُ شرفَ العالمِ وكراماته لنتخلصَ من المجدِ الباطلِ. لنتستعملُ اللسانَ في ذكرِ اللهِ والعدل لنتخلصَ من الكذبِ، لنحبُ طهارةَ القلبِ والحسدِ لنجو من الدنسِ. فهذا كلهُ يحيطُ بالنفسِ ويتبعها عند حروجها من الجسدِ. فمن كان حكيمًا وعمله بحكمةٍ فلا ينبغي له أن يسلِّم وديعته بدون أعمال صالحةٍ كي يستطيعَ الخلاصَ من تلك الشدةِ. فلنحرص إذاً بقدرِ استطاعتنا والربُّ يعينُ ضعفنا، لأنَّه قد عرفَ أنَّ الإنسانَ شقيٌّ ولذلك وهب له التوبةَ ما دام في الجسدِ. (س٥: ٥٨ ج) (Isaiah, logos 16, 5-20)

لا هتم بشعونِ العالم كأنها غايةُ أمْلكَ في هذه الحياةِ، وذلك لنتستطيعَ أن تخلصَ. لا يكن لك رحاءٌ في هذا العالم لثلا يضعف رجاؤك في الربِّ. أبغضُ كلامَ العالمِ كي تبصرَ اللهَ بقلبك. داوم الصلاةَ كلَّ حينٍ ليستنيرَ قلبك بالربِّ. إياك وبالبطالة لثلا تحزن. أتعِبُ جسدك لثلا تخزى في قيمةِ الصديقين. احفظ لسانك ليسكن في قلبك خوفُ اللهِ. أعطِ المحتاجين بسرورٍ ورضى لثلا تخجل بين القديسين وتحرم من أحمادهم. أبغضُ شهوةَ البطنِ لثلا يحيط بك عماليق. كن متيقظاً في صلاتك لثلا تأكلك السباعُ الخفية. لا تحبُّ الحمرَ لثلا يحرمك من رضى الربِّ. أحبُّ المساكين لنتخلص بسببيهم في أوانِ الشدةِ. كن مداوماً لذكر سير القديسين كي ما تأكلك غيرَ أعمالِهم. اذكر ملوكوتَ السماوات لتحرك فيك شهوتُهُ. فكُّر في نارِ جهنم لكي ما تفتقِ أعمالها. (س٥: ٥٨ ظ) (Isaiah, logos 16, 21-33)

إذا قمتَ كلَّ يومٍ بالعدا، تذَكَّر أنك سوف تعطي اللهِ جواباً عن سائرِ أعمالِك فلن تخطئ البتة، بل يسكن خوفُ اللهِ فيك. أعدَّ نفسك للقاءِ الربِّ فتعمل حسبَ مشيئتهِ.

افحص نفسك هنا هنا واعرف ماذا يعوزك فتنجو من الشدة في ساعة الموت، ويصر إخوتك أعمالك فتأخذهم الغيرة الصالحة. اختبر نفسك كل يوم وتأمل في أي المحاربات انتصرت ولا تشق بنفسك بل قل: «الرحمة والعون هما من الله». لا تظن في نفسك أنك أجدت شيئاً من الصلاح إلى آخر نسمة من حياتك. لا تستكير وتقول: «طوباوي»، لأنك لا يمكنك أن تطمئن من جهة أعدائك. لا تشق بنفسك ما دمت في الجسد حتى تعب عنك سلاطين الظلمة. ليكن قلبك من نحو الأفكار شجاعاً جداً فتحف عنك حدتها، أما الذي يخاف منها فإنهما ترعبه فيخور. كما أن الذي يفرغ منها يثبت عدم إيمانه بالله حقاً، ولن يستطيع الصلاة قدام يسوع سيده من كل قلبه ما لم يسعده على الأفكار أولاً. الذي يريد كرامة ربّه فعليه أن يتفرغ لطهارة نفسه من الدنس. إن كنا ملومين فذلك لأن الهريمة دائمًا هي منا. من ينكر ذاته ولا يظن أنه شيء فذلك يكون سالكاً حسب مشيئة الله. من تعود الكلام بالكنيسة فقد دلَّ بذلك على عدم وجود خوف الله فيه. وذلك لأن خوف الله هو حفظ وصون للعقل، كما أن الملك هو عونٌ لمن يطيعه. أما الذين يريدون أن يقتربوا الصلاح وفيهم خوف الله، فإنهم إذا عثروا لا يأسون بل سرعان ما يقومون من عشرتهم وهم في نشاطٍ واهتمامٍ أكثر بالأعمال الصالحة. أهم أسلحة الفضائل هي إتعاب الجسد بمعروفٍ والكسل والتوايي يولّد المحاربات. من له معرفةٍ وهمةٍ فقد هزم الشر، لأنه مكتوبٌ إن الاهتمام يلازم الرجل الحكيم. والضعفُ الهمة لم يعرف بعد ما هو خلاصه. أما الذي يقهـر أعداءه فإنه يكـلـل بـحـضـرـةـ الـمـلـكـ. (سـ ٥: ٤٩-٥٩) (Isaiah, logos 16, 34-49)

لو لم تكن حروبٌ وقتلٌ ما كانت فضيلة. ومن يجاهد بمعروفٍ فقد نجا من الدينونة، لأنـهـ هـذـاـ هـوـ السـوـرـ الـحـصـيـنـ. أما الذي يدين فقد هدم سوره بنقصٍ معرفته. من يهتم بضبط لسانه يدل على أنه حبٌ للفضيلة. وعدم ضبط اللسان يدل على أن داخل صاحبه الحال من أي عمل صالح. الصدقـةـ بـعـرـفـةـ توـلـدـ التـأـمـلـ فيما سيـكـونـ وـتـرـشـدـ إـلـىـ الـمـحـدـ. أما

القاسي القلب فإنه يدل على انعدامه من أي فضيلة. الحرية تولد العفة، ومكابدة الهموم تولد الأفكار. قساوة القلب تولد الغيظ، والوداعة تولد الرحمة. نسك النفس هو بعض التنعم، ونسك الجسد هو العوز. سقطة النفس هي مكابدة الهموم وتهذيبها هو السكوت. معرفة الشبع من النوم يثير الأفكار وخلاص القلب هو السهر الدائم. النوم الكثير يولد الحالات الكثيرة والسهر يزهُر العقل ويشرمه. النوم الكثير يجعل الذهن كثيفاً مظلماً، والسهر بمقدار يجعله لطيفاً نيراً. من ينام بمعرفة فهو أفضل من يسهر في الكلام الباطل. (س٥: ٥٦-٦٢) (Isaiah, logos 16, 50-62)

النوح يطرد جميع أنواع الشرور عند ثورتها. إذا تقبل الإنسان الزجر والتوبية فإن ذلك يولد له التواضع، أما تمجيد الناس فيولد البذخ وتعاظم الفكر. حب الإطراء من شأنه أن يطرد المعرفة. وضبط شهوة البطن يقلل من تأثيرات الشهوات. شهوة الأطعمة توقيط الغرائز والانفعالات، والامتناع عنها يُقمعها. زينة الجسد هزيمة للنفس ومن يهتم بها فليست فيه مخافة الله. ذكر الدينونة يولد في الفكر تقوى الله. وقلة خوف الله تُضل العقل. السكوت بمعرفة يهدّب الفكر، وكثرة الكلام تولد الضجر والهوس. قهر الشهوة يدل على تمام الفضيلة، والانهزام لها يدل على نقص المعرفة. ملازمة خوف الله يحفظ النفس من المحاربات، وحديث أهل العالم والاختلاط بهم يُظلم النفس وينسيها التأمل.

(س٥: ٦٣-٧٤) (Isaiah, logos 16, 63-74)

محبة المقتنيات تزعج العقل، والرهد فيها يمنحه استنارة. صيانة الإنسان أن يقر بأفكاره ومن يكتمنها يثيرها عليه، أما الذي يقر بها فقد طرحها عنه. كمثل بيت لا باب له ولا أقسام يدخل إليه كل من يقصده، كذلك الإنسان الذي لا يضبط لسانه. وعلى مثال الصدا الذي يأكل الحديد كذلك يكون مدح الناس الذي يفسد القلب إذا مال إليه. وكما يتلف الليلاب على الكرم فيفسد ثمره، كذلك السُّبْح الباطل يفسد نمو الراhib

إذا كثُر حوله (PE III, 26,4,3-5). وكما يفعل السوسُ في الخشبِ، كذلك تفعل الرذيلةُ في النفسِ. تواضع القلب يتقدم الفضائلَ كلُّها، وشهوةُ البطنِ أساسُ كلِّ الأوجاعِ. الكبراءُ هي أساسُ الشرورِ كلُّها، والمحبةُ هي مصدرُ كلِّ صلاحٍ. أشرُّ الرذائلِ كلُّها هي أن يزكيُ الإنسانُ نفسهَ بنفسِهِ. من ينكر ذاتَه يسلكُ في سلامٍ. والذي يعتقدُ في نفسهِ أنه بلا عيبٍ فقد حوى في ذاتِه سائرَ العيوبِ. الذي يختلطُ حدِيثُه بحديثِ أهلِ العالمِ يُزعجُ قلبهِ، والذي يتهاونُ بعفةِ جسمِه يتجاهلُ في صلاتِه. محبةُ أهلِ العالمِ تُظلمُ النفسَ، والابتعادُ عنهم يزيدُ المعرفةَ. محبةُ التعبِ عونٌ عظيمٌ، وأصلُ ال�لاكِ هو الكسلِ. (س: ٦٠ ج) (Isaiah, logos 16, 16-25)

احفظ عينيك لئلا يمتليء قلبُك أشباحاً خفيةً. من ينظر إلى امرأةٍ بلذةٍ فقد أكمل الفسقَ بها. إياكَ أن تسمع بسقطةٍ أحدٍ إخوتك لئلا تكون قد دنته خفيةً. احفظ سمعك لئلا تجمع لك حزناً في ذاتك. أحرى بك أن تعملَ بيدِك ليصادف المسكينَ منك خبزةً لأنَّ البطالةَ موتٌ وسقطةً للنفسِ. مداومةُ الصلاةِ صيانةٌ من السيِّءِ، ومن يتوانَ قليلاً فقد سبَّبَهُ الخطيةُ. (س: ٦٠ ظ) (Isaiah, logos 16, 88-96)

من يتذكر خطاياه ويقرُّ بها لا يخطئُ كثيراً. أما الذي لا يتذكر خطاياه ويقرُّ بها فإنه يهلكُها. الذي يُقرُّ بضعفِه موبخاً ذاتَه أمامَ الله فقد اهتمَ بتنقية طريقةِ من الخطيةِ، أما الذي يؤجلُ ويقول: «دع ذلك لوقته»، فإنه يصبحُ مأوى لكلِّ خبثٍ ومكرٍ. لا تكن قاسي القلب على أخيك فإننا جميعنا قد تعلّينا الأفكارُ الشريرةُ. إذا سكنتَ مع إخوةٍ فلا تأمرهم بعملٍ ما، بل اتعبَ معهم لئلا يضيعُ أحركُ. إذا قاتلتَ الشياطينَ بالأكلِ والشربِ واللبسِ فارفضْ كلَّ ذلكَ منهم، وبينَ لهم حقارَةً ذاتك فينصرفوا عنك. وإذا حَسُنَ لك الزنى فاقتله بالتواضعِ، واجرأ إلى الله فتستريح. إنَّ حوربتَ بحملِ جسدِ فتذكُّر نتانته بعد الموتِ فإنك تستريح. وإنْ جاءتكَ أفكارٌ عن النساءِ فاذكرَ أينْ ذَهَبَتِ الأولياتِ منها

وأين حسنُهن وجمالُهن. وكل هذه الأمور يختبرها الإنسان بالإفراز ويميزها. ولن يأتينا الإفراز ما لم نتقن أسبابَ مجده وهي السكوت لأنَّه كثُر الراهب. والسكوت يولُّد النسك، والنسك يولُّد البكاء، والبكاء يولُّد الخوف، والخوف يولُّد التواضع، والتواضع مصدرُ التأمل فيما سيكون. وبُعد النظر يولُّد الحبة، والحبة تولُّد للنفس الصحةُ الحالية من الأسماء والأمراض، وحينئذ يعلمُ الإنسان أنه ليس بعيداً من الله فيُعدُ ذاته للموت. فالذى يريد إدراك هذه الكرامات كلَّها، عليه ألا يهتم بأحدٍ من الناس ولا يدينه. وكلما يصلي تكشف له الأمور التي تقرُّبه من الله فيطلبها منه، ويُغوض هذا العالم، فإنَّ نعمة الله تَهُبُ له كُلَّ صلاحٍ. (س٥: ٦٠) (Isaiah, logos 16, 97-114)

لذلك اعلمُ يقيناً أنَّ كُلَّ إنسانٍ يأكلُ ويشربُ بلا ضابطٍ ويحبُّ أباطيلَ هذا العالم فإنه لا يستطيع أن ينال شيئاً من الصلاحِ بل ولن يدركه، لكنه يخدع نفسه. إنَّ آثرتَ أن تتوبَ إلى الله فاحتزَرَ من التنعمِ فإنه يثير سائرَ الأوجاعَ ويطرد خوفَ الله من القلبِ. اطلب خوفَ الله بكلِّ قوتك فإنه يُريلُ كُلَّ الخطايا. لا تحبُ الراحةَ ما دمتَ في هذه الدنيا. لا تأمن للحسدِ إذا رأيت نفسك مستريحًا من المخاربات في أي وقتٍ من الأوقات. لأنَّه من شأنِ الأوجاعِ أن تثورَ فحأةً بخداعٍ ومحاتلةً عسى أن يتوانَى الإنسانُ عن السهرِ والتحفظِ، وحينئذ يهاجمُ الأعداءُ النفسَ الشقيةَ ويختطفونها. لذلك يحدُّرُنا ربُّنا قائلاً: «اسهروا»، له الجُدُّ الدائم إلى الأبد، آمين. (س٥: ٦١) (Isaiah, logos 16, 115-118)

١٨٦ - وله أيضًا في الفضائلِ والرذائلِ^(٣٥): خوفُ الله يطردُ جميعَ الرذائلِ، والضجرُ يطرد خوفَ الله. هذه الأربعَة يحبُّ اقتناها: الرحمةُ، غلبةُ الغضبِ، طولُ الروحِ، التحفظُ من النسيانِ. العقلُ محتاجٌ في كُلِّ ساعةٍ إلى هذه الأربع فضائلَ الآتية:

^{٣٥} ترد هذه الأقوال ضمن كتابات القديس إشعيا الإسقفي.

الصلوة الدائمة بسجود قلبي، محاربة الأفكار، أن تعتبر ذاتك خاطئاً، وأن لا تدين أحداً. وهذه الفضائل الأربع هي عون الراهب الشاب: المذيد في كل ساعة في ناموس الله، ومداومة السهر، والنشاط في الصلاة، وأن لا يعتبر نفسه شيئاً. وما يدنس النفس والجسد ستة أشياء: المشي في المدن، إهمال العينين بلا تحفظ، التعرف بالنساء، مصادقة الرؤساء، محبة الأحاديث الجسدانية، الكلام الباطل. وهذه الأربعة تؤدي إلى الزنى: الأكل والشرب، الشبع من النوم، البطالة واللعب، والتزيين بالملابس. وهذه الأربعة مصدر ظلمة العقل: مقتُ الرفيق، الازدراء به، حسده، سوء الظن به. بأربعة أمور يتحرك في الإنسان الغضب: الأخذ والعطاء، إتمام الهوى، محنته في أن يُعلم غيره، ظنه في نفسه أنه عاقل. وهذه الأربعة ثقتنى بصعوبة: البكاء، تأمل الإنسان في خطاياه، جعل الموت بين عينيه، أن يقول في كل أمرٍ: أخطأت، اغفر لي. فمن يحرث وينصب فإنه يخلص بنعمته ربنا يسوع المسيح. (س: ٥ ج: ٦١) (Isaiah, logos 7, 15-24) (Bu. II, 600)

١٨٧ - وله أيضاً: «أيها الحبيب، ما دامت لك فرصة للتوبه فارجع وتقدم إلى المسيح بتوبه خالصه، سارع قبل أن يغلق الباب فتبكي بكاءً مراً، فتقبل خديك بالدموع بدون فائدة. اجلس وترقب الباب قبل أن يغلق. أسرع واعزم على التوبه، فإن المسيح إنها يريد خلاص جميع الناس وإيتائهم إلى معرفة الحق. وهو يتذكر وسوف يقبلك. له المجد إلى الأبد آمين». (س: ٥ ج: ٦١) (ظ)

١٨٨ - سأله أحد الآباء أبا بيمين قائلاً: «لماذا تقاتلنا الشياطين يا أبي؟»؟ أجاب الشيخ قائلاً: «الحقيقة إن الشياطين لا تحاربنا إلا عند ما نتمم ميولنا الرديئة التي هي في الحقيقة شياطيننا التي تحاربنا، فنهزم أمامها برضانا. أما إن شئت أن تعرف مع من كانت الشياطين تصارع، قلت لك مع أبا موسى وأصحابه». (س: ٥ ج: ٦٢) (Abc. Poemen 67)

١٨٩ - كان لرجل اسمه قاريون ولد صغير اسمه زكريا، هذا أتى إلى الإسقاط وترهب به ومعه ابنه. وقد رأى ابنه هناك وعلمه بما ينبغي. وكان الصبي جميل الخلق وحسن الصورة جداً. فلما شب حدث بسببه تذمر بين الرهبان. فلما سمع الوالد بذلك قال لابنه: «يا زكريا هيا بنا نمض من هنا لأن الآباء قد تذمروا بسببك». فأجاب الصبي أباًه قائلاً: «يا أبي إن الكل ها هنا يعرفون أني ابنك، ولكن إن مضينا إلى مكان آخر فلن يقولوا إني ابنك». فقال الوالد: «هيا بنا يا ابني نمض الآن فإن الآباء يتذمرون بسبينا». وفعلاً قاماً ومضيا إلى الصعيد، وأقاما في قلية، فحدث سجس كذلك. فقام الآثنان ومضيا إلى الإسقاط ثانية. فلما أقاما أياماً عاد السجس عينه في أمر الصبي. فلما رأى زكريا ذلك مضى إلى غدير ماء معدني (كيريني) وخلع ملابسه وغطس في ذلك الماء حتى أنفه. وأقام غاطساً هكذا عدة ساعات حسب طاقته، فلأجل صغر سنِه ونوعة جسمِه أصبح جسمُه كله مُنفخاً، فتشوه وتغيرت ملامحه. فلما لبس ثيابه وجاء إلى والده لم يتعرف عليه إلا بصعوبةٍ. وحدث أن مضى بعد ذلك إلى الكنيسة لتناول الأسرار فعرفه القس إيسيندوروس، وعندما رأه هكذا تعجب مما فعله وقال: «إن زكريا الصبي جاء في الأحد الماضي وتقرَّب على أنه إنسان، أما الآن فقد صار شِبه ملائكة». (س٥: ٦٢ ج) (Abc. 2)

(Carion 2)

١٩٠

١٩٠ - قال مار أفرآم: «إن كانت لك صدقة مع أحد الإخوة وانتابتك مضره بسبب مخالطتك إياه، فأسرع واقطع نفسك منه، ولست أقول لك هكذا أيها الحبيب لبغض الناس، كلا، وإنما لقطع أسباب الرذيلة». (س٥: ٦٢ ظ) (Abc. Agathon 23)

١٩١ - قال أبا يمين: «أي راهب يقيم مع صبي و تعرض بسببه لآلام الإنسان

العتيق، ثم يستمرُّ بعد ذلك ويقيمه معه، فإنه يشبه إنساناً حقله مضروبٌ بالدُّود». (س: ٥)

(Abc. Poemen 176) ظ(٦٢)

١٩٢ - قال أَنْبَأُ كورش^(٣٦): «إِنْ كَانَ إِنْسَانٌ يَقِيمُ مَعَ صَبَّيٍّ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا فَإِنَّهُ سَوْفَ يَمْبَلُ إِلَى أَسْفَلٍ، أَمَا إِنْ كَانَ قَوِيًّا وَلَمْ يَهُوِّ إِلَى أَسْفَلٍ فَإِنَّهُ رَغْمَ ذَلِكَ لَنْ يَسْتَمِرَّ قَائِمًا». (س: ٤٣ ج) (Bu. I, 295)

١٩٣ - قيل عن أَنْبَأُ أَبْرَآمَ إِنَّهُ أَتَى يَوْمًا إِلَى أَحَدَ الْأَدِيرَةِ فَأَبْصَرَ فِيهَا صَبَّيًّا. فَامْتَنَعَ مِنَ الْمَبِيتِ فِيهِ. فَقَالَ لَهُ الْإِخْرَوَةُ الَّذِينَ مَعَهُ: حَتَّى أَنْتَ يَا أَبَانَا تَخَافُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا بِالطَّبِيعَةِ يَا أَوْلَادِي فَإِنِّي لَا أَخَافُ، لَكِنْ مَا لِي أَنْ يَقْتَالَ مُفْسِدًا (س: ٤٣ ج) (Bu. I, 569). وَقَالَ أَيْضًا: «مِنَ الْخَطَرِ أَنْ يَتَوَاجِدَ صَبَّيٌّ فِي دِيرٍ عَلَى نَظَامِ الشَّرِكَةِ لَا سِيمَا إِذَا كَانَ فِي هَذَا الْوَسْطِ عَدْلٌ تَرْتِيبٌ». (س: ٥٦٢ ط)

مُهَاجِر

القديس زكريا (٢)

١٩٤ - قال أَنْبَأُ قاربيون: «إِنِّي بِذَلِكَ أَتَعَابِي كَثِيرًا بِجَسْدِي لَكِنِّي لَمْ أَصْلِ إِلَى رَتَبَةِ ابْنِي زَكْرِيَا فِي تَوَاضُعِ الْعُقْلِ وَالسَّكُونِ». (س: ٥٦٢ ط) (Abc. Carion 1)

١٩٥ - قيل: سأَلَ الْأَبَ مقاريوس الْكَبِيرَ مَرَّةً زَكْرِيَا وَهُوَ مَا زَالَ فِي حَدَائِثِ سَنِّهِ قَائِلًا: «قَلْ لِي يَا زَكْرِيَا، مَا هُوَ الرَّاهِبُ الْحَقِيقِي؟»؟ قَالَ زَكْرِيَا: «يَا أَبِي أَتْسَأْلِنِي أَنَا؟»؟ قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «نَعَمْ يَا ابْنِي زَكْرِيَا، فَإِنَّ نَفْسِي مُتَيَّنَةٌ بِالرُّوحِ الْقَدِيسِ الَّذِي فِيكَ، أَنْ شَيْئًا يَنْقُصُنِي يَلْزَمُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ». فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ: «إِنَّ الرَّاهِبَ هُوَ ذَلِكَ الإِنْسَانُ الَّذِي يُرْذِلُ نَفْسَهُ وَيُجْهِدُ ذَائِهِ فِي كُلِّ الْأَمْوَرِ». (س: ٥٦٢ ط) (Abc. Zacharaia 1)

^{٣٦} يَأْنِي الاسم في النص السرياني: الأب كروننيوس Chronius. وفي النص اليوناني: قاربيون.

١٩٦ - قيل: أتى أبا موسى مرة ليستقي ماءً، فوجد أبا زكريا على البئر يصلي وروح الله حالٌ عليه (2). فقال له: «يا أبناه قل لي ماذا أصنع لأنخلص». فما أن سمع الحديث حتى انطرح بوجهه عند رجليه وقال له: «يا أبي لا تسألني أنا». قال أبا موسى: «صدقني يا ابني زكريا إني أبصرت روح الله حالاً عليك ولذلك وجدت نفسي مسوقاً من نعمة الله أن أسألك». فتناول زكريا قلنسوته ووضعها عند رجليه وداسها، ثم رفعها ووضعها فوق رأسه وقال: «إن لم يصر الراهب هكذا منسحقاً فلن يخلص».

(Abc. Zacharaia 3) (س:٥ ظ)

١٩٧ - لما حضرت أبا زكريا الوفاة سأله أبا موسى: ما هو الذي تراه يا ولدي، فقال له: أليس السكتة أفضل يا أبناه. قال له: نعم يا ولدي، فاسكت^(٣٧). (س:٥ ج) (Abc. Zacharaia 5a)

١٩٨ - وفي وقت خروج روحه كان أبا إيسيدوروس القس جالساً فنظر إلى السماء وقال: «اخرج يا ابني زكريا فإن أبواب ملائكة السماوات قد فُتحت لك».

(Abc. Zacharaia 5b) (س:٥ ج)

مختصر

من أقوال القديس مقاريوس (٢)

١٩٩ - قال القديس مقاريوس الكبير: «إذا أقدمت على الصلاة فاحرص أن تكون ثابتاً لثلا تسلّم إناءك بيد أعدائك. لأنهم يشتهون اختطاف آنیتك التي هي أشواقُ نفسك، وهي الأشواق الصالحة التي يجب أن تخدم بها الله نهاراً وليلاً. لأن الله لا يطلب أن

^{٢٧} هكذا يأتي النص في مخطوط س ٥، وأيضاً في الأصل اليوناني، أما النص في كتاب بستان الرهبان المطبوع عام ١٩٥١ وفي مخطوط س ٤، فيأتي هكذا: لما حضرت أبا زكريا الوفاة سأله أبا موسى قائلاً: «أيُّ الفضائل أعظم يا ابني»؟ فأجابه: «على ما أرأه يا أبناه، ليس شيء أفضل من السكتة». فقال له: «حقاً يا ابني، بالصواب تكلمت».

تَعْجِدَهُ بِشَفْتِكِ فَقْطَ بَيْنَمَا تَطْبِيشُ أَفْكَارُكِ بِأَبْاطِيلِ الْعَالَمِ، لَكُنَّهُ يَرِيدُ أَلَا تَوْقِفَ نَفْسَكَ
أَمَامَهُ وَأَفْكَارَكِ تَنْظَرُ إِلَيْهِ بِدُونِ التَّفَاتِ». (س٤: ١٨٠، ظ)

٢٠٠ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ طَوْلَ الرُّوحِ هُوَ الصَّابِرُ، وَالصَّابِرُ هُوَ الْغَلِبةُ، وَالْغَلِبةُ هِيَ
الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ هِيَ الْمَلْكُوتُ، وَالْمَلْكُوتُ هُوَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى. الْبَيْرُ عَمِيقَةٌ وَلَكِنَّ مَاءَهَا
طَيِّبٌ عَذْبٌ. الْبَابُ ضيقٌ وَالطَّرِيقُ كَرِيمٌ وَلَكِنَّ الْمَدِينَةَ مَلْوَعَةٌ فَرَحَا وَسَرُورًا. الْبَرْجُ شَامِخٌ
حَصِينٌ، وَلَكِنَّ دَاهِلَهُ كَنُوزًا جَلِيلَةً. الصَّومُ ثَقِيلٌ صَعْبٌ لَكُنَّهُ يَوْصِلُ إِلَى مَلْكُوتِ
السَّمَاوَاتِ. فِعْلُ الصَّلَاحِ عَسِيرٌ شَاقٌ، وَلَكِنَّهُ يَنْجِي مِنَ النَّارِ بِرَحْمَةِ رَبِّنَا الَّذِي لَهُ الْمَحْدُ». (س٤: ٤٣، ظ)

٢٠١ - وَقَالَ أَيْضًا: «ضَعْ هُمْكَ كُلُّهُ فِي أَنْ تَطْلُبَ اللَّهُ وَأَنْ تَنْحُوا مِنْ أَيْدِي
أَعْدَائِكَ. فَالآنْ يَا رَجُلَ اللَّهِ إِنْ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ أَنْ تَقْتَنِي الْوَحْدَةُ فَهِيَ ذَاتِكَ لَهَا، وَاصْبِرْ
عَلَى الْمَسْكَنَةِ فَإِنَّ الْوَحْدَةَ وَالْمَسْكَنَةَ عَظِيمَتَانِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْمَوَاهِبِ يَسَاوِيهِمَا فِي الْقَدْرِ
وَالْكَرَامَةِ، لَأَنَّهُمَا يَقْرَبَا إِلَى اللَّهِ. كَمَا لَا يُحْصِي الْمَوَاهِبُ الْمَوْجُودَةُ دَاخِلَهُمَا لَأَنَّهُمَا
يَسُودُانِ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ. وَهُمَا فِي وَسْطِ جَمِيعِ الْمَوَاهِبِ يَتَلَاءَمُانِ لَأَنَّهُمَا مَصْدِرُ أَعْمَالِ
الْقَدِيسِينَ، وَجَمِيعِ الْقَدِيسِينَ وَجَدُوا اللَّهَ فِيهِمَا وَكُشِّفَتْ لَهُمُ الْأَفْكَارُ فَوَهْبُهُمُ اللَّهُ قُلُوبًا نَقِيةً
وَهُمْ فِي الْمَسْكَنَةِ وَالْوَحْدَةِ جَيَاعًا عَطَاشِي. هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَحْقُهُمُ الْعَالَمُ. تَاهَيْنِ فِي
الْبَرَارِي وَالْقَفَارِ وَالْمَغَارَاتِ وَشَقُوقِ الْأَرْضِ. هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ الْجَلِيلَةُ، قَدْ
وَجَدُوا اللَّهَ فِي الْوَحْدَةِ وَبِالْمَسْكَنَةِ وَالصَّابِرِ، لَأَنَّ مَحْدَ الْوَحْدَةِ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَرَجَاءَهَا وَفَرَحَاهَا
هُوَ اللَّهُ، وَهِيَ الْعَزَاءُ فِي الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ. غَذَاؤُهَا الصَّابِرُ وَخَدْمَتَهَا الْكَامِلَةُ هِيَ الطَّهَارَةُ
وَفَرَحَاهَا هُوَ الْاِتْضَاعُ. هِيَ الَّتِي لَا يُفْسِدُهَا سُوسٌ وَلَا يَتَدَنَّسُ لَهَا ثُوبٌ لَأَنَّهَا سَاكِنَةٌ فِي
الْطَّهَارَةِ». (س٤: ٤٣، ظ)

٢٠٢ - سُلَّمَ أَخُو الْأَبِ مَقَارِيُوسُ عَنِ الْوَحْدَةِ، فَأَجَابَ الشَّيْخُ وَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّكْنَى فِي الْوَحْدَةِ فَاصْبِرْ لَهَا وَلَا تُؤْذِنْ عَمَلَكَ يَوْمًا فِي الدَّاخِلِ وَيَوْمًا فِي الْخَارِجِ، وَلَكِنْ اصْبِرْ لَهَا بِاتِّضَاعِ وَاللهِ الصَّالِحُ يُؤَاذِرُكَ. لَا تَوْجِدُ سَبِيلًا لِلْخُرُوجِ عَنِ الْوَحْدَةِ حَتَّى وَلَوْ لَيْوَمٍ وَاحِدٍ. بَلْ اثْبِتْ فِي مَسْكُنَكَ لِتَذَوُقِ حَلَاؤُهَا. وَلَا تَبْطِئْ خَارِجًا لَثَلَاثًا تَجَذِّبَ إِلَيْكَ الْمُضَادُ وَتَجَدَّدُ عَلَيْكَ أَتَعَابُكَ وَتُحْرِمُكَ مِنَ الصَّبَرِ. لَا تَبْطِئْ خَارِجًا لَثَلَاثًا تَجَدَّدُ أَتَعَابُكَ قَدَامَكَ عَنْدَ رَجُوعِكَ، فَتَتَعَبُ جَدًّا فِي حَرْبِكَ وَيُصَعِّبُ انتِصَارُكَ. يَا رَجُلَ اللهِ حَتَّى مَتِ تَدُومُ لَكَ هَذِهِ الْأَتَابُ. اصْبِرْ لِلْمَسْكَنَةِ، وَعَزَاءُ الْوَحْدَةِ يَأْتِيكَ مِنْ قِبْلِ اللهِ، لَا تَضِيَعْ يَوْمًا وَاحِدًا لَكَ وَنِعْمَةُ الْوَحْدَةِ وَحَلَاؤُ الْمَسْكَنَةِ تَصِيرَانِ لَكَ عَزَاءً وَيُعَطِّيكَ اللهُ سَعَادَةً فِي مَسْكِنِكَ». (س٤: ٤٤ ج) (Am. 181,10)

٢٠٣ - وَسَأَلَهُ أَخُو مَرَّةً قَائِلًا: «مَاذَا أَصْنَعُ يَا أَبِي وَالْأَفْكَارُ تُؤْزِعُ إِلَيْيَّ بِأَنَّ أَمْضَيْ أَفْقَدَ الْمَرْضِيَ فِيَنْ هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ». أَجَابَهُ الشَّيْخُ قَائِلًا: «إِنَّ كَلْمَةَ النَّبُوَّةِ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا، فَإِنَّهُ يَقُولُ: جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَحْمِلَ النَّيْرَ مِنْذَ صَبَاهُ وَيَجْلِسُ وَحْدَهُ صَامِتًا. أَمَّا قَوْلُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ: كَنْتُ مَرِيضًا فَزَرْتُ مَوْنِي، فَقَدْ قَالَهُ لِعَامَةِ النَّاسِ. وَإِنِّي أَقُولُ لَكَ يَا أَخِي: إِنَّ الْجَلْوَسَ فِي الْقَلَّاْيَةِ أَفْضَلُ مِنْ افْقَادِ الْمَرْضِيِّ، لَأَنَّهُ يَأْتِي زَمَانٌ يُضْحِكُ فِيهِ عَلَى سَكَانِ الْقَلَّاْيَةِ فَتَقْتِمُ كَلْمَةَ الْبَارِ أَنْطَوْنِيوسَ إِذَا قَالَ: يَجِيءُ زَمَانٌ يُجْنِنُ فِيهِ جَمِيعُ النَّاسِ، وَإِذَا أَبْصَرُوا وَاحِدًا لَمْ يُجْنِنْ يَذِيَعُونَ عَنْهُ بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ لَأَنَّهُ لَا يَشْبَهُهُمْ (25 Abc. Anthony)، وَإِنِّي أَقُولُ لَكَ يَا وَلَدِي: إِنَّ مُوسَى النَّبِيُّ الْعَظِيمُ لَوْ لَمْ يَتَعَدَّ مِنْ مَخَالِطَةِ النَّاسِ وَمَحَادِثَتِهِمْ وَيَدْخُلُ فِي الْفَضَّابِ وَحْدَهُ، لَمَّا تَسْلَمَ لِوَحْيِ الْعَهْدِ الْمَكْتُوبِينَ يَأْصِبُعُ اللهُ». (س٤: ٤٤ ج) (Am. 184,10)

٢٠٤ - وَقَالَ أَيْضًا: «كَمَثِيلٌ إِنْسَانٌ إِذَا دَخَلَ إِلَى الْحَمَّامِ إِنَّ لَمْ يَخْلُعْ ثِيَابَهُ لَا يَنْعَمْ بِالْاسْتِحْمَامِ، كَذَلِكَ إِنْسَانٌ الَّذِي أَقْدَمَ إِلَى الرَّهْبَنَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّ أَوْلًا مِنْ كُلِّ اهْتِمَامِ الْعَالَمِ

وَجَمِيعُ شَهْوَاتِهِ وَمَلْذَاتِهِ، فَلَنْ يُسْتَطِعَ أَنْ يَصِيرَ رَاهِبًا وَلَنْ يَلْغَ حَدًّا لِالْفَضْيَلَةِ. وَلَنْ يَمْكُنْهُ كَذَلِكَ أَنْ يَقْفَ قِبَلَةً جَمِيعِ سَهَامِ الْعَدُوِ الَّتِي هِي شَهْوَاتُ النَّفْسِ». (س٤: ٤٤ ظ) (188, 15)

٢٠٥ - وَقَالَ أَيْضًا: «كَمْثُلِ الْحَدِيدِ الَّذِي إِذَا طَرَحْتَهُ فِي النَّارِ يَصِيرُ أَيْضًا وَيَتَنَقُّلُ مِنَ الشَّوَائِبِ، كَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا مَا حَلَّ فِيهَا الرُّوحُ الْقَدِيسُ الْمَعْزِي وَسَكَنَ فِيهَا فَإِنَّمَا تَصِيرُ نَقِيَّةً كَالْمَلْحِ مَتَّلِئَةً بِبَيْاضِ الْفَضْيَلَةِ، فَتَنَسَّى الْأَرْضِيَاتِ وَتَشَتَّاقُ إِلَى السَّمَاوَيَاتِ، وَتَوَجُّدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ سُكْرَانَةً بِالْإِلَهِيَّاتِ شُغْوَفَةً بِالْعُلُوِيَّاتِ. وَذَلِكَ مِنْ أَحَلِّ نَقاوْتَهَا وَطَهَارَتَهَا حَتَّى يَظْنَ إِلَّا إِنْسَانٌ أَنَّهُ قَدْ اتَّنَقَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَيَرَى الْجَزَاءَ الْكَاملَ الْعَادِلَ الْعُتِيدَ أَنْ يَكُونَ لِلْأَبْرَارِ وَالْخَطَّاطِينِ فِي الدَّهْرِ الْآتِيِّ الَّذِي لَنْ يَزُولَ الدَّائِمُ إِلَى الأَبَدِ». (س٤: ٤٤ ظ)

٢٠٦ - وَقَالَ أَيْضًا: «كَمَا أَنَّ الْمَطَرَ إِذَا سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ تَبَتُّ وَتُنْتَجَ الشَّمَارُ، وَفِي ذَلِكَ رَاحَةٌ وَفَرَحٌ لِلنَّاسِ، كَذَلِكَ الدَّمْوعُ إِذَا مَا وَقَعَتْ عَلَى قَلْبِ أَمْرَتْ ثَمَارًا رُوْحَانِيَّةً وَرَاحَةً لِلنَّفْسِ وَالْجَسَدِ مَعًا». (س٤: ٤٤ ظ)

٢٠٧ - وَقَالَ أَيْضًا: «لَيْسَ شَيْءٌ يَعْلُو عَلَى خَوْفِ اللَّهِ. لَأَنَّهُ يَسُودُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَبِخَوْفِ اللَّهِ يَحِيدُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْ كُلِّ الشَّرُورِ. فَلَنْقَنْنَ لَنَا هَذَا، وَلَنْبَتَعَدْ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَرِيدُهُ اللَّهُ. وَلَنَصْنِعْ كُلُّ مَا يُرِضِيهِ وَنَحْفَظُهُ. وَلَا نَصْنِعْ شَيْئًا يَغْضِبُهُ. وَلَنَعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ كُلُّ مَا نَعْمَلُهُ عَرِيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِدِيهِ وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَّةً». (س٤: ٤٤ ظ)

٢٠٨ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ النَّفْسَ لَهَا اسْتِطَاعَةٌ أَنْ تَنْتَرِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ حِينِ، فَتَوَجَّدُ لَهَا دَالَّةٌ عِنْدَ سَيِّدِهَا، لَأَنَّهَا حِيشَذٌ يَكُونُ لَهَا قَدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ، لَذَلِكَ فَلَنْحَرِصْ بِكُلِّ قُوتِنَا أَلَا نَحِيدَ عَنْ خَوْفِ اللَّهِ وَلَا نَتَبَعَدْ لِلْأَوْجَاجِ». (س٤: ٤٤ ظ)

٢٠٩ — وقال أيضاً: «يجب على الراهب أن يكون في سكونٍ في كلّ حين ولا يسمع لأفكاره التي توعز إليه بكثرة الكلام الذي يضعف النفس، بل ليمسك عن الكلام حتى ولو نظر أناساً يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له وذلك لجهلهم. لأن الراهب الحقيقي يجب أن يتحفظ من لسانه كما هو مكتوبٌ في المزمور: اللهم اجعل لفمي حافظاً وعلى شفتي سترة حصيناً. فالراهب الذي يسلك هكذا لا يعثر أبداً بلسانه، ولكنه يصبح إلهاً على الأرض» (س:٤٤ ظ). وقال أيضاً: «كما أن الماء إذا سُلطَ على النار يُطفئها وينحل كلّ ما أكلته، كذلك أيضاً التوبه التي وهبها لنا ربُّ يسوع تغسل جميع الخطايا والأوجاع والشهوات التي للنفس والجسد معاً». (س:٤٥ ج)

٢١٠ — قيل: إنّ أنبا مقار ذهب مرةً من الإسكندرية إلى جبل نتريا، ولما اقترب من مكان معين قال ل聆ميه: «تقدمني قليلاً». ولما فعل التلميذ ذلك قابله كاهنٌ وثنىٌ يجري حاملاً بعض الخشب، وكان الوقتُ حوالي الظهر. فصرخ نحوه الأخُ قائلاً: «يا خادم الشيطان، إلى أين تجري؟» فاستدار الكاهنُ وأهمل عليه بضرباتٍ شديدةٍ، وتركه ولم يُبقِ فيه سوى قليلٍ من نفسه. ثم حمل الكاهنُ الوثنى ما معه من خشبٍ وسار في طريقه، ولما ابتعد قليلاً قابله الطوباوي مقاريوس في الطريق وقال له: «فلتصبحبك المعونة يا رجل النشاط». فاندهش الكاهنُ وأقبل نحوه وقال: «أيُّ شيءٍ جميل رأيته في حتى حييتني هكذا؟» فقال له الشيخُ: «إنني أرى أنك تكدر وتتعب وإن كنت لا تدرى لماذا». فأجاب الكاهنُ: «وأنا إذ تأثرت بتحياتك عرفت أنك تنتمي إلى الإله العظيم، ولكن هناك راهبٌ شريرٌ صادفي قبلك ولعني، فضربته ضربَ الموت». فعرف الشيخُ أنه تلميذه. أما الكاهنُ فأمسك بقدمي مقاريوس الطوباوي وقال له: «لن أدعك تصipi حتى تجعلني راهباً»! وإذا سارا معاً وصلا إلى المكان الذي كان فيه الأخُ مطروحاً، فحملاه وأتيا به إلى كنيسة الجبل. أما الإخوةُ فعندما رأوا الكاهنَ الوثنى مع المغبوط مقاريوس تعجبوا كيف تحول

عن الشرّ الذي كان فيه. وأخذه أبا مقاريوس وجعله راهبًا، وعن طريقه صار الكثير من الوثنيين مسيحيين. وكان أبا مقاريوس يقول: «إن الكلمات الشريرة والمتكبرة تحول الناس الأخيار إلى أشرار، ولكن الكلام الطيب المتواضع يحول الأشرار إلى أخيار».(Abc. Macarius 39, Am. 211)

٥٤

أبا إشعيا الإسقطي (١)

٢١١ — من تعاليم أبا إشعيا للمبتدئين، قال: أيها الحبيب إن كنت قد تركت العالم الباطل وقربت نفسك لله لتتوب عن خطايحك السالفة، فإياك أن تتراجع عما عزرت عليه من نحو حفظ وصايا السيد المسيح وإتمامها، وإلا فلن يغفر لك خطايحك القديمة. احفظ الخصال الآتية ولا تحقرها: إياك أن تأكل مع امرأة أو تؤاخى غلاماً حديث السنّ، لا ترقد مع آخر في فراشٍ واحدٍ، كن متاحفظاً لعينيك. وإذا نزعت ثيابك فإياك أن تبصر شيئاً من جسدك، إن أردت أن تشرب بعضاً من الشراب لا تزد على ثلاثة كؤوس. إياك أن تخلّ الوصية من أجل الصداقة. احذر أن تسكن في موضع قد أحطأت فيه قدام الله. لا تتوان في صلوات الساعات لثلا تقع في أيدي أعدائك. اجهد نفسك في تلاوة المزمير، فإن ذلك يحفظك من خطيئة الدنس. أحبّ التعب والمشقة في كلّ شيء لتحف عنك وجاعلك. احذر من أن تعتبر نفسك شيئاً في أيّ أمرٍ من الأمور فإن ذلك يفقدك النوح على خطايحك. احفظ نفسك من الكذب فإنه يطرد من الإنسان حرف الله. لا تكشف أسرارك لكلّ أحد لثلا تسبب عثرةً لقريبك. اكشف أفكارك لآبائك الشيوخ لتجد معونةً بمشورتهم. أتعب نفسك في عمل يديك وخوف الله يسكن فيك. إذا أبصرت إنساناً قد أحطأ فلا تحقره ولا تزدر به لثلا تقع في أيدي أعدائك. إياك أن تتمادي في ذكر خطايحك القديمة والتلذذ بها لثلا تنتابك الأتعاب. أحب الاتضاع فهو يحفظك من الخطية.

لا تكن معانداً أو متمسكاً بكلمتك لثلا يسكنك الشرُّ. لا تضع في نفسك أنك حكيمٌ فتقع في أيدي أعدائك. عوّد لسانك دائماً أن يقول: «اغفر لي»، ففيأريك الاتضاع. إذا جلستَ في قلاليتك فاهتم بهذه الثلاث خصال: ابدأ عملَ يديك وادرس مزاميرك وصلاتك، تفكّر في نفسك أنه ليس لك شيءٌ في هذه الدنيا سوى اليوم الذي أنت فيه فلن تخطئ. لا تكن همماً في الأطعمة لثلا تتجدد فيك خطاياك القديمة. لا تتضجر من الاتّعاب مطلقاً فيأريك النياح من قبل الله سريعاً. مثل بيت خرب خارج المدينة يُرمى فيه كلُّ نتن، هكذا نفسُ الراهب العاجز تصير مأوى لكلُّ شرٌّ. جاحد في أن تصلّي دائماً بيكماء لعل الله يرحمك ويخلصك من الإنسان العتيق ويعطيك الملائكة. ثبت نفسك في هذه الخصال التي أقولها لك: التعزية، المسكنة، الصمت، فهذه كلها تجلب لك الاتضاع، والاتضاع يغفرُ الخطايا كلها. (Isaiah, logos 9, 1-34) الاتضاع هو أن يعتقد الإنسان في نفسه أنه خاطئ وأنه ما عمل شيئاً من الخير أمام الله، وأن يلازم الصمت، وألا يعتبر نفسه شيئاً، وأن يرفض هواه ولا يقيم كلامه، ويكون نظره إلى الأرض، وأن يضع الموت بين عينيه، وأن يحفظ نفسه من الكذب، وألا يتحدث بكلام باطل، وألا يناقش من هو أكبر منه، وأن يتحمل الشتيمة بفرح، ويُغضض الراحة، ويدرب نفسه على التعب، وألا يحزن أحداً. (Isaiah, logos 20, 1-4) (ج: ٩٢، س: ٥)

٢١٢ — وقال أيضاً يا ابني كن مستعداً إزاء كلّ كلمة تسمعها لأن تقول: «اغفر لي»، وبذلك تهزم كلّ قوة العدو. ولتكن وجهك دائماً معبراً، إلا إذا أتاك إخوة غرباء فكن بشوشًا فيسكن خوف الله فيك. إن سرت مع إخوة في طريق، فتباعد عنهم قليلاً ولتكن صامتاً. وإذا مشيت فلا تلتفت يميناً ولا يساراً بل ادرس في مزاميرك وصلّ لله بفكرك. وأيّ موضع دخلته لا توجّد لنفسك دالةً مع أهله، وكن جاداً في كل أمرٍ من أمورك. أيّ شيء يوضع أمامك فمدد يدك إليه بتغضب، وإن رقدت في موضع فلا تتعطّ

أنت وآخر بعضاً واحدٍ. وصل صلاة طويلة قبل أن تناول. وإن كنت قد تعبت من السير في الطريق وأردت أن تذهب جسدي بقليلٍ من الزيت فليكن لك ذلك بمحبتك، ولا تدع أحداً يذهب لك جسدي وأنت صبي. إذا كنت جالساً في قلائك وأنت أخ غريبٌ فادهن رجليه وقل له: أظهر حبّةً وخذ قليلاً من الزيت وادهن به جسدي، فإن لم يُرد فلا تُكرهه إذا كان شيئاً عملاً. إذا حلست على المائدة وأنت شابٌ فلا تجرأ وتدعو إنساناً إلى الأكل وتشكر له في الطعام، بل اذكر خطايحك لئلا تأكل بلذةٍ، ومد يدك إلى ما هو قدامك فقط، ولتغط ثيابك رجليك، وركبتاك مضمومتان إحداهما إلى الأخرى. وإذا زارك غرباء فأعطيهم حاجتهم برضىٍ، وإذا كفوا عن الطعام فقل لهم مرتين أو ثلاثة: اصنعوا حبّةً وكلوا قليلاً. وإذا كنت تأكل فلا ترفع وجهك في قرييك ولا تتلفت لا هنا ولا هناك ولا تتكلم كلمةً فارغةً، وإذا شربت الماء فلا تدع حلقك يُحدث صوتاً كما يفعل العلمانيون. وإذا كنت جالساً مع الإخوة واضطررت للبصاق فلا تبصق في وسطِهم بل قم خارجاً وألقه. لا تتماطأ في وسط الناس، وإذا جاءك الشاؤب فلا تفتح فمك بل قم خارجاً وألقه. لا ثوبه ولا قلنسوته ولا غير ذلك مما له. ولا تتمم شهوة جسدك تشته شيئاً لصاحبك، لا ثوبه ولا قلنسوته ولا غير ذلك مما له. وإنما تتصنّع لك مثله. إن عملت لك محلداً فلا تزينه فإن ذلك عشرة. إن أخطأت في أمر ما وتتصنّع لك مثله. فلا تستحي وتكذب، بل أسرع وقرّ بذنبك واستغفر فيغفر لك. إذا وجه إليك إنسان كلاماً فلا تستحي وتكذب، بل يستكري قلبك، ولكن بادر واصنع مطانية ولا تلمه في قلبك، وإلا فالغضب يثور عليك. إن افترى أحدٌ عليك بشيءٍ لم تصنّعه فلا تجرع ولا تغضّب، بل اتضع واصنع مطانية، وسواء كنت قد فعلت أم لم تفعل ففي كلتا الحالتين قل: «اغفر لي فلن أعود لمثله مرةً أخرى». إذا كنت تقوم بعملٍ يديك فلا تتوانَ البتة ولكن اهتم به بخوف الله لغلا تخطئ بدون وعي، وكل عملٍ تؤديه لا تستحي أبداً من أن تسأل من

يعلمك قائلاً: «اصنع محبة وأرني»، وخذ رأيه أيضاً فيما لو كان عملك جيداً أم لا. إن دعاك أخوك وأنت جالس تقول بعمل يديك فاترك عملك واسع في راحته، إذا انصرفت من المائدة فادخل قلaitك ولا تجلس تتحدث مع من لا ينفعك، فإن كان الجالسون شيئاً يتكلمون كلام الله فاستأذن معلمك أولاً فإن أذن لك فاجلس واسع كلامهم، وكما يأمرك به افعله. إن أمرك معلمك بقضاء حاجة خاصة به فاسأله عن المكان الذي تذهب إليه لقضاءها وما يشير به عليك لا تزد عليه ولا تنقص منه. إن سمعتَ كلاماً غير لائق فلا تبلغه لآخر. إن أردتَ أن تصنع أمراً لا يهواه الأخ الساكن معك فاقطع هواك واسع في خيره لثلا يقع بينكم شكٌ وتجربة. إذا عزمتَ على السكينة مع إخوة فلا يكن لك مع أحدهم دالة ما. ولا تخلط كلامك بكلامهم. إن فعلت ذلك فإنك تمكث زمانك كلّه معهم في سلامٍ. وإن طالبوك بأمرٍ لا تهواه فارفض مشيئة نفسك وتمم ما يقولونه لك لثلا تحزنهم فتفقدون السلام فيما بينكم. إذا كنت ساكناً مع أخي وسألك قائلاً: «اطبخ لنا شيئاً»، فاسأله عما يُحب، فإن ترك لك حرية الاختيار فمهما وجدتَه موافقاً له اطبخه بخوب الله. وكل عملٍ تعلمه اشتراك فيه ولا يطلب أحدكم راحة جسده لثلا يضطرب فكر أخيه». (س: ٥ ج) (Isaiah, logos 3, 1-41)

٢١٣ - وقال أيضاً: إذا قمت باكر كل يوم قبل أن تقوم بأي عملٍ اقرأ كلام الله وبعد ذلك إن كان لك في القلادة عملٍ فاعمله بجهة ونشاط. إذا جاءك أخي غريب لي Kahn وجهك له صبوحاً حين سلامك عليه، واحمل عنه ما يحمله بفرح، وكذلك إذا أراد الانصراف ليفارقك بفرح ولتودعه بخوب الله وبشاشة كي تكونا عند الفراق راجحين نفسيكما. وكذلك في حال وصوله إليك إياك أن تسأله عن أمور لا تخلص نفسك، بل دعه يصللي أولاً، فإذا جلس قل له: «كيف أنت؟ وكيف حالك؟»؟ ولا ترد على ذلك. وأعطيه كتاباً ليقرأ فيه. فإذا كان قد جاء متعباً فاتركه حتى يستريح واغسل رجليه. فإن

كان قد أتاك حاملاً إليك كلاماً ليست فيه منفعة فقل له: «اغفر لي يا أخي فإني ضعيف ولست أقوى على سماع هذا الكلام». وإن كان ضعيفاً وثيابه رثة فاغسلها له وخيطها إذا احتجت إلى خياطة. وإذا جاءك أحدٌ من الطوافين وتصادف أن كان عندك رجل قديس في نفس الوقت، فلا تدخله عليه، ولكن اصنع معه رحمةً من أجلِ محبةِ اللهِ وأخلِ سبيله. وإن كان مسكيناً فلا تصرفه من عندك فارغاً، بل أعطه من البركة التي أعطاك الله إياها. واعلم أن كلَّ شيءٍ لك ليس ملكك فأعطيه من أجلِ ربِّك. إذا استودعك أخْ وديعةً، إياك أن تفتحها لتعرف ما فيها إلا بحضوره، وإن كانت الوديعةُ ثمينةً جدًا، فاسأله أن يسلمها لك ويعرفك بحقيقةِها. وإن ذهبتَ إلى ضيعةٍ ونزلتَ عند إنسانٍ في قلاليته واضطرَّ أن يخرج هو لأمرِ ما وتركَك وحدَك في القلالية فإياك أن ترفع نظرَك لتبصر شيئاً مما في قلاليته أو تُحرِّك شيئاً من موضعِه، ولكن عند خروجه قل له: «أعطني شيئاً أقوم بعملِه»، وكلُّ شيءٍ يوصيك به فافعله بلا كسل. إذا دخلتَ بيتَ الراحةِ لقضاء حاجةِ الطبيعةِ فلا تباطأ، بل اذْكر أنَّ اللهَ ينظرُ إليك دائمًا (Isaiah, logos 3, 42-57)

إن قمتَ في قلاليتك لتصلِّي ساعتك فإذاك أن تكون صلاتك بتهاونٍ لأنك بذلك بدلاً من أن تُكرِّمَ اللهَ تغضِّبه. ولكن قف بخوفٍ ورعدةٍ ولا تتکئ على الحائط ورجالك مرتعشان ولا تقف بواحدةٍ وترفع الأخرى. وإن كنتم تقرأون صلواتكم وأنتم مجتمعون فليقِدُّم كلُّ واحدٍ منكم صلاةً، فإنْ وُجدَ معكم غريبٌ فاطلبوا منه بمحبةِ اللهِ أن يصلِّي ولا تلحوُوا عليه أكثرَ من مرتين أو ثلاث. وإذا كنتَ واقفاً في القدسِ فراقبِ أفكارَك لكي توقف جسدك وحواسُك بخوفِ اللهِ ل تستحقَ أن تتناولَ من القربانِ الذي هو حسُدُ المسيحِ ودمه الأقدسان، فيشفيكَ الربُّ (Isaiah, logos 3, 58-60)

إياك أن تترك جسدك في حالةٍ لا تليق بسببِ قذارَته لثلا يسرقك المُحدُّ الباطل.

ولكن إذا كنتَ شاباً فاترك جسدك ليظهر بكل سماحة. لا تلبس ثوباً جيداً حتى تبلغ الكِبَر وتدخل في سن الشيخوخة. إذا سرتَ مع أخي أكبر منك سنًا فلا تقدمه البتة. وإذا تكلم من هو أكبر منك مع آخرين فإياك أن تختقره وتبخلس، ولكن قف حتى يسمح لك. إذا ذهبت إلى مدينة أو قرية فلتكن عينك ناظرة للأرض لغلا تسبب لك محاربات في قلابيك. إياك أن تبيت في قرية وتنام في بيت تخشى أن تخطئ فيه بقلبك. إذا دُعْيْت لتأكل عند إنسانٍ وعلمتَ أن هناك امرأة جالسة ستأكل معك فارفض ولا تأكل هناك البتة، لأنه خيرٌ لك أن تُحزن ذاك الذي دعاك من أن تزني بفكرك في الحفاء. حتى وإن رقدت فلا تبصر ثياب النساء بعينيك. وإن كنتَ في طريق ولقيتَ امرأة فجاوبها بفمك فقط. وإذا ذهبت في طريقٍ وكان معك شيخ فلا تدعه يحمل أحماله البتة بل احملها أنت عنه (Isaiah, logos 3, 63-80). وإن كنتم سائرين في طريقٍ وكان معكم إنسان ضعيف فليكن هو المتقدم وذلك لكي يمكنه أن يجلس إذا أراد الجلوس. إن كنتم شباباً واجتمعتم عند إنسان وأراد أن يغسل أرجلكم وسائلكم أن تباركوا على المائدة فاسبقوا أولاً واعرفوا متلةً كلًّا واحدًّا منكم حتى إذا حان وقتُ الأكل لا تربكون ولا تتراحمون. ولتكن جلوسُكم بترتيبٍ: الأول فالثاني فالثالث وهكذا (Isaiah, logos 4, 1-2) (س: ٩٤ ج)

٢١٤ - وقال أيضاً: إن سألك شيخ عن أفكارك فاكتشفها له بصرامةٍ متى تأكدتَ أن له أمانةً ويحفظ كلامك. ولا تنظر إلى كبر السن بل اعتمد على من له علمٌ وعملٌ وتجربةٌ ومعرفةٌ روحانية، لئلا يُزيِّدك سِقماً بدلاً من أن يَهْبِك شفاءً. إذا تحدث أنسٌ بأفكارٍ لم تبلغها بعد ولم تُحَارِبْ بها فامتنع عن سماع كلامِهم هذا لئلا يُجْلِبْ على نفسك ذلك القتال. ألزم نفسك كل يوم بآن تصلي في نصف الليل صلواتٌ كثيرةً لأن الصلاة هي ضوءُ النفس. راجع نفسك كل يوم بما صنعته فيه من الخطايا وصل إلى الله من أحجلها فيغفرها لك. إن سمعتَ أخاً يدين آخر فلا تستريح منه أو توافقه لئلا يغضب الله.

بل قل باتضاع: «اغفر لي يا أخي شيءٌ وهذه الأمور التي تذكرها أنا منغمسٌ فيها ولستُ أتحمل ذكرها». إن أساء إليك أخي وجاء آخر وعاب فيه عنديك فاحفظ قلبك لئلا يتجدد فيه ذكرُ الشّرِّ الذي أساء به إليك ذلك الإنسان. إذا مضيَت إلى ضيعةٍ مع إخوةٍ لا تعرفهم فأعطيهم التقدُّم في كل شيءٍ ولو كانوا أصغر منك. وإن نزلتَ عند صديقٍ لك فليكونوا هم المتقدِّمين عليك في كل شيءٍ على المائدة وغيرها. لا تظنَّ في نفسِك أنه بسبِيك يكرمههم صديقُك، بل قل لهم: «إنه بسبِيكم يصنع بي الرحمة». إن مررتَ في طريقٍ مع أخي وحدثَ أن قابلتَ صديقاً لك وأردتَ أن تسأله في أمرٍ ما واستأذنتَ الأخَ قائلًا: «استرح قليلاً حتى آتي إليك»؛ فإن دعاك صديقُك أن تدخلَ لتأكلَ عنده، فإياك أن تلبي دعوته دون أن تُشرك الأخَ الذي معك. إذا دخلتَ قليةً أخي ليس لك به سابق معرفةٍ فحيثما أجلسك اجلس ولا تتحرك من الموضع الذي أجلسك فيه إلا بدعوةٍ منه. إن كنتَ ساكناً في قليةٍ فإياك أن يكون لديك إماءٌ يمنعك من حفظ وصيَّةِ ربِّك، وإن سألك أخي أن تعيره إماءً فأعطيه إياه، رغم حاجتك إليه ورغم عدم وجود غيره عندك، وإياك أن تجلس بعد ذلك متضايقاً مرتباً، فغير لك أن يهلك أحدُ أعضائك من أن يذهب جسده كله إلى جهنم. الذين فارقتهم حبًّا في الله لا تُكثر ذكرَهم في قلبك لئلا يشغل عقلك بهم، بل اذْكُر الموتَ والدينونة وكيف أنه لا يستطيع أحدٌ منهم أن يعينك في ذلك اليوم. إذا كنتَ في قلابتك وتذكريتَ أن إنساناً أساء إليك وأحزنك، فقم في الحال وصلٌ من أجلِه من كل قلبك أن يغفرَ الله له، وبذلك تنطفئ عنك حبة مكافأة الشّرِّ بالشّرِّ. إذا أنت ذهبتَ لتناول جسدَ المسيح ودمَه الأقدسين فإياك أن يكون في قلبك حقدٌ أو غيظٌ على إنسان، فإن علمتَ أن في قلب إنسانٍ عليك شيئاً فاذهب واستغفر منه أولاً لئلا تأخذ دينونةً لنفسِك وهلاكاً. إن قوتلتَ بربٍ في أحلامِ الليل، فاحفظ فكرَك من تذكرةها بالنَّهار ولا تذكر أيضاً تلك الأجساد التي أبصرتها في

أثناء نومك لثلا تتدنس بذتها وتحلب على نفسك حزناً، ولكن ألقِ ضعفك أمام الله وهو يعينك لأنه رحومٌ يرثي لضعف الإنسان. فإذا ألمت نفسك بصومٍ كثيرٍ وصلاة مستمرة فلا تشق بأنك ستخلص بعد ذلك، ولكن قل في فكرك: «إني أرجو من الله بصلوة قدسيه أن يصنع مع ضعفي رحمةً من أجل الشقاء الذي شقي به جسدي». إن شتمك إنسانٌ فلا تُحبه حتى يسكت. وفتشر نفسك بخوف الله فإنك سوف تجد أن ما قد سمعته كائنٌ فيك وأن العلة هي منك. فاصنع له مطانية مثل إنسانٍ يعرف بالحقيقة أنه هو الذي أخطأ

.(Isaiah, logos 4, 3-32)

إن كنتَ ماضياً مع إخوةٍ في طريقٍ وكانت بينك وبين أحدٍ محبةً فلا تكن لك دالةً معه أمامهم لثلا يكون فيهم أحدٌ ضعيفاً فيموت من الغيرة منكمَا، وتكون الخطيئة عليك لأنك سببَت له عشرةً. إن أردتَ الذهاب إلى أنسٍ فلا تضع في قلبك أفهم سوف يفرجون جداً بلقائك. فإن قبلوك اشكر الله على قبولهم لك. إذا أصابك مرضٌ وأنت ساكنٌ في قلaitك فلا تصغر نفسك بل اشكر الله على ذلك. إن مضيتَ إلى إخوةٍ وقال لك أحدهم: «إني لا أستطيع النجاح ما دمتَ مع هؤلاء وأودُّ أن أسكن معك»؛ فإياك أن تبادر بموافقتِه على ذلك لثلا تصير عشرةً له ولكثيرين غيره. فإن أباح لك بأفكارٍ مكبوبةٍ فيه وعلمتَ إزاءها أنه سيهلك بوجوده في وسطهم فعرّفه بأن يهرب إلى مكان آخر وارفض سكناه معك. إذا كنت ساكناً في قلية فاجعل لطعامك مقداراً معيناً، ووقتاً معروفاً لا تتعدها. وأعطي جسدك حاجته بالقدر الذي به تستطيع أن تخدم الله في صلاتك. ارفض محبةَ الخروج والجحولان فيما لا ينفعك. وإن عرض لك أمرٌ هام كافتقاد أخي أو الذهاب إلى ديرٍ وقدموا لك طعاماً لذيداً، فلا تشبع منه، وأسرع في العودة إلى قلaitك

.(س: ٥ ظ) .(Isaiah, logos 4, 33-42)

٢١٥ — وقال أيضاً: «إن أشغل الشياطين قلبك بأتعب تفوق طاقتك، فلا تُطعهم لأنهم يُشغلون قلب الإنسان بأمور لا يقوى عليها حتى إذا ضَعَفَ وقع في أيديهم، فيضحكون عليه لأن كل أمور العدو هي بلا نظام وبلا حدود. ولكن كُلّ مرّة واحدةً في النهار، وأعطي جسدك حاجته بقدر بحث تكف عن الطعام وأنت لا زلت تشتهيه. كذلك سهرك يكون بقدر، اسهر نصف الليل في الصلاة والنصف الآخر لراحة جسدك. ومن قبل أن تنام اسهر ساعتين مصلياً ومزمراً، وإذا اقتفيت طول الروح فاصنع قانونك بحرص واجتهد، وإن أبصرت جسدك قد كسل فُقل له: «أتريد أن تستريح في هذا الزمان اليسير وتذهب إلى الظلمة الخارجية، أليس من الأفضل لك أن تتعب زماناً يسيراً لتتنبع مع القديسين إلى الأبد». وبهذا الكلام يذهب الكسل وتأتيك المعونة (Isaiah 4, 43-47).

إن أنت بعت شغل يديك فلا تتشدّد في الثمن كالعلمانيين. كذلك إذا أردت أن تشتري شيئاً فرد على ثمنه قليلاً وخذه، وإن لم يكن معك ما يساوي قيمته فاتركه بسكتوت. إن أودع أخّ عندك إماءً واحتاجت إليه احتياجاً شديداً فاحذر أن تمسه بأذية. إن ذهبت إلى قرية وأوصاك أخّ أن تشتري له شيئاً فاشتره له كما لو كنت تشتريه لنفسك. وإن كان معك إخوةٌ وقتلـ فأشرـ كـهم في هذا الأمر. إن اتفق لك قضاء مصلحة هامة في بلدك فاحفظ نفسك من أهلك وأقربائك ولا يكن لك معهم دالة ولا خالطة في كلام أو في غيره. إن استعرت من أخيك فأساً أو غيره فلا تتوان في أن تردد إليه عند قضاء حاجتك ولا تتركه حتى يطلبـ منهـ، فإن انكسر فجـدهـ لهـ. إن أنت أفرضـتـ إنسـاناً مـسـكـيـناًـ شيئاًـ وـعـرـفـتـ أنهـ ليسـ لهـ ماـ يـوـفـيكـ، فلاـ تـحـزـنهـ ولاـ تـضـيـقـ عـلـيـهـ فيـ شـيءـ ماـ أـعـطـيـتـهـ سواءـ كانـ ثـيـابـاًـ أـمـ وزـنـاتـ أـمـ غـيرـ ذـلـكـ. إن أـقـمـتـ فيـ مـكـانـ وـبـنـيـتـ لـكـ فـيـهـ قـلـاـيـةـ وـأـنـفـقـتـ فيـ بـنـائـهاـ نـفـقـةـ مـاـ، ثـمـ بـدـاـ لـكـ بـعـدـ حـينـ أـنـ تـخـرـجـ مـنـهـ، وـأـقـامـ فـيـهـ أـخـ آخرـ، وـأـرـدـتـ الرـجـوعـ إـلـيـهـ مـرـةـ أـخـرىـ، فـاحـذـرـ مـنـ أـنـ تـخـرـجـ ذـلـكـ أـخـ مـنـهـ، وـلـكـ اـبـحـثـ لـنـفـسـكـ عـنـ

قلالية أخرى، وإن كنتَ وقت خروجك منها أولاً قد تركتَ فيها متعاعاً ووجدتَ أن الآخر قد أحرقه فلا تطالبه بشيءٍ منها، وإن أردتَ أن تنتقلَ من قلالية إلى أخرى فاحذر من أن تأخذ معك شيئاً من متعاعها، بل اتركه للأخر الذي سيسكن فيها والله يرزقك أنت حيئماً كنـتـ. كلُّ فكرٍ يحاربك اكتـشـفـه ولا تستـحـجـ أن تقولـ بهـ لـمـ هـوـ أـكـبـرـ منـكـ بالـرـوـحـانـيـةـ، فيـخـفـ ذـلـكـ الفـكـرـ عـنـكـ وـيـذـهـبـ، وـاعـلـمـ أـنـهـ لاـ يـوـجـدـ شـيـءـ يـفـرـحـ لهـ الشـيـاطـيـنـ مـثـلـ إـنـسـانـ يـخـفـيـ أـفـكـارـهـ، رـدـيـةـ كـانـتـ أـمـ جـيـدةـ. وـإـذـاـ طـغـىـ أـخـوـكـ بـجـهـلـهـ بـسـبـبـ الـهـرـاطـقـةـ، ثـمـ رـجـعـ إـلـىـ إـيمـانـ الـقـوـيـمـ فـلـاـ تـخـتـقـرـهـ وـاحـفـظـ نـفـسـكـ مـنـ بـحـاجـةـ مـجـادـلـةـ الـمـخـالـفـينـ بـحـجـةـ أـنـكـ تـرـيـدـ الدـفـاعـ عـنـ إـيمـانـ، لـثـلاـ يـؤـثـرـ كـلـامـهـمـ فـيـكـ فـهـلـكـ. وإنـ وـجـدـتـ كـتـابـاـ مـنـ كـتـبـهـمـ فـلـاـ تـقـرـأـ فـيـهـ لـثـلاـ يـمـتـلـئـ قـلـبـكـ بـسـمـ الـمـوـتـ، بلـ تـمـسـكـ بـأـمـانـتـكـ كـمـاـ أـضـاءـتـ لـكـ الـعـمـودـيـةـ، كـنـ عـلـىـ حـدـرـ مـنـ تـعـلـيمـ الـكـذـابـ الـمـضـادـ» (Isaiah, logos 4, 52-69) (سـ ٥ : ٩٧ جـ).

٢١٦ - وقال أيضاً: «إن سمعتَ أخبارَ القديسين وأعمالَهم الشريفة فلا تطمع في اقتناها بلا تعبٍ، إن لم تُشْفِ نفسكَ أولاً وتأهلَ لها، حتى إذا أقدمتَ على عملها جاءَتْكَ من تلقاءِ نفسها. احفظ نفسكَ من الملل فإنه يُتلف ثرةَ الراهبِ. إن كنـتـ مـقـهـورـاـ مـنـ وـجـعـ وـأـنـتـ تـحـاـدـهـ فـلـاـ تـمـلـلـ، بلـ أـلـقـ نفسـكـ قـدـامـ اللهـ وـقـلـ: «أـعـنـيـ ياـ رـبـ أـنـاـ الشـقـيـ فـإـيـ لـأـقـوىـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـجـعـ»؛ فـيـعـيـنـكـ سـرـيـعاـ إنـ كـانـتـ طـلـبـتـكـ بـقـلـبـ مـسـتـقـيمـ. إنـ كـنـتـ فيـ شـيـءـ مـنـ تـعـبـ الـرـهـبـانـيـةـ وـرـأـيـتـ الشـيـاطـيـنـ قـدـ اـهـزـمـواـ مـنـكـ وـغـلـبـواـ فـيـ القـتـالـ، فـلـاـ تـطـمـئـنـ، بلـ كـنـ عـلـىـ حـدـرـ مـنـهـمـ. وـاعـلـمـ أـنـهـمـ يـهـيـئـونـ لـكـ قـتـالـاـ أـشـرـ مـنـ الـأـوـلـ، وـيـكـمـنـونـ لـكـ بـهـ مـنـ وـرـاءـ، فـإـنـ أـنـتـ نـاصـبـهـمـ تـظـاهـرـواـ بـأـنـهـمـ طـرـدـواـ بـمـكـرـ مـنـهـمـ، وـذـلـكـ لـيـسـتـكـبـرـ قـلـبـكـ وـتـشـقـ بـقـوـتـكـ، فـإـذـاـ أـبـصـرـوـكـ قـدـ خـرـجـتـ هـكـذاـ عـنـ فـضـيـلـةـ الـاتـضـاعـ، قـامـ الـكـمـيـنـ عـلـيـكـ مـنـ وـرـائـكـ وـهـاجـمـكـ الـآـخـرـ مـنـ قـدـامـكـ وـأـحـاطـوـاـ بـنـفـسـكـ الـيـ لمـ يـكـنـ لهاـ مـلـجـأـ وـقـيـدـ. فـلـاـ تـمـلـلـ إـذـاـ مـنـ الصـلـاـةـ إـلـىـ اللهـ بـأـنـ يـخـلـصـكـ وـيـدـفـعـ عـنـكـ كـلـ بـلـيـةـ تـأـيـيدـكـ،

فإن لم يسمع منك سريعاً فلا تَمَلِّ من التضرع إليه لأنَّه يعرف ما فيه خيرُك أكثر منك. وإذا صلَّيتَ إلى الله فلا تقل له: «أرفع عني هذا وهبني ذاك». بل قل: «يا ربِّي يسوع أنت عوني ورجائي وأنا في يديك، وأنت تعرف ما هو صالحٌ لي، فأعني ولا تتركني أخطئ إليك أو أتبع هواي، ولا ترفضني فإني ضعيفٌ ولا تسلِّمِي لأعدائي، فإنِّي لحأتُ إليك فخلصني بتحننك. ليحرزَ كُلُّ الذين يقومون علىٰ لأنك أنت القادر على كل شيءٍ، ولنك المجد إلى الأبد، آمين».

(Isaiah, logos 4, 70-75) (س: ٥ ج: ٩٨)

٢١٧ — وقال أيضاً: إنَّ الإنسانَ لا يستطيعُ أن يتَحفَّظَ من الخطيةِ إن لم يحفظْ نفسهَ مَا يَلْدُها. وهذه هي الأشياءُ التي تَلْدُ الخطيةَ: صغُرُ النفسِ، الملل، إثمامُ الهوى، حبُّ الاتساعِ، طلبُ الرئاسةِ، حديثُ العالمِ، التماسُ ما لا ينبغي، عدمُ الحذرِ من الناسِ، سماعُ الواقعَ، نقلُ الكلامِ من أنسَ إلى أنسَ، الذي يحبُّ أن يُعلَم دونَ أن يُسأَلُ، الذي يدينُ القريبَ، وهذه الأمورُ وغيرها لَمّْا تَلْدُ الخطيةَ. فمنْ أرادَ أن ينْجحَ ويتقدُّمُ في الأعمالِ الصالحةِ، فليحفظْ نفسهَ من كُلِّ شيءٍ يَلْدُ الخطيةَ، فإنَّ الخطيةَ منها وبها. فمنْ حَرَصَ فهو يجدُ خيراً في الأعمالِ الصالحةِ، ومنْ هاونَ وتغافلَ فهو يُعَذَّ نفسهَ للعذابِ، لأنَّه واجبٌ على كلِّ معتمدٍ أن ينقِي نفسهَ من كُلِّ الشرورِ، فإنَّ أنت قطعتَ هواكَ بمعرفةٍ اقتنيتَ لنفسِكَ التواضعَ، أما الذي يريدُ أن يتمُّمْ هوافِ ذاكَ يُعدُّ نفسهَ للعذابِ كُلُّهُ. فلنهرُبُ من الملاجةَ (أيِّ من العنايِ والمحادلةِ) فإذاً تَهَدِّمُ كُلُّ بنيانِ الفضيلةِ وَتُصْبِرُ النفسَ مظلومةً لا تبصر شيئاً من الصلاحِ. فتحفَّظْ من هذا الواقعِ الرديءِ الذي إذا اكتنفَ أيَّ صلاحٍ أعدمه، لأنَّ رَبَّنا ما أَنْ طَلَعَ عَلَى الصَّلِيبِ حتَّى طَوَّحَ يُودَاسَ من وسْطِ تلاميذهِ. فإنَّ لم يقطعَ الإنسانُ هذا الواقعَ الرديءَ (أيِّ الملاجةَ) فلن يستطُعَ أن يدركَ شيئاً من أمورِ اللهِ، لأنَّ كُلَّ شرٌّ في الدنيا يلحقُ صاحبَ هذا الواقعِ. وهذا الواقعُ هو نتيجةُ الكبriاءِ، لأنَّ المتكبرَ لا يقدرُ أن يتحملَ شيئاً من الموعظةِ وهو محْبٌ لمجدِ الناسِ والغلبةِ، ويسكنُ في

نفسه كلَّ أمْرٍ يبغضه الله، لأنَّ المستكِبَ لا يقدر أن يكونَ بغير عثرةٍ، وهو يسلُّم نفسه بنفسه إلى أيدي أعدائه. وحيثُنَد يصنعونَ لها شروراً كثيرة، فلنهرُب من الجحود الباطل وللنذكر في كل حين مجدَ العالم العتيد ولنقطع أهوية قلوبنا ولنلتمسَّ مشيئة الله ونتممها .(Isaiah, logos 22, 8B)

فالنفس التي تريده أن تقفَ أمام الله بغير ذنبٍ فلتحرص كالناحر الذي يطلب الأرباح ويفرُّ من الخسائر، أما خسائر ثُجَار المسيح فهي: طلب مجد الناس، الكبرباء، تزكية الذات، التكلم بما يغضب السامعين، محبة الأخذ والعطاء؛ هذه كلها خسائر ولا يستطيع أحدٌ أن يرضي الله وهذه كلُّها في خزانة قلبه. فمن أراد أن يجيء إلى نياحة الرهبة فليتباعد من الناس في كلِّ الأمور، ولا يمدح إنساناً، كما لا يزدرى به ولا يدينه ولا يركِّب، ولا يترك في قلبه همَّا من ناحية إنسان، وليرفض من كلِّ قلبه مقابلة شرِّ إنسان بشرَّه لثلا تكون خدمته باطلة، لأنَّ الذي لا يهتم بأحدٍ ويدين نفسه وحده ويلومها في حياته تكون هادئةً مستريحَةً. لأنَّ النقي يحبُّ أن يكونَ كلُّ الناسِ أتقياء، أما الذي في قلبه وجعٌ، فلا يرى أحداً نقياً بل كنحو أوجاعه يفكِّر في قلبه عن كلِّ أحد، وإن سمع مدحِّياً في إنسان يحسده. وهذا أقوله لكي تحفظَ فلا تزدرى بإنسانٍ وأبطل معرفتك واقطع هواك. فإنَّ من وثق معرفته وتمسَّك بهواه لا يستطيع أن يفلتَ من أيدي الشياطين ولن يبصرَ نعائصه ولن يجد راحةً، أما إذا خرج من هوى الجسد فبتعبٍ يجدُ رحمةً، ومُحملٌ هذا كلُّه أن تراقب الله من كلِّ قلبك ومن كلِّ قوتَك وتترحم على كلِّ الخليقة وتطلب من الله العونَ والرحمةَ في كلِّ ساعة. (س: ٥ ظ: ٩٨)

٢١٨ - وقال أيضاً: «السكتوت هو أن ترضى بكلِّ شيءٍ ولا ينبغي أن تشغل قلبك بأمرٍ لا يعنيك. النقاوة هي عقلٌ متيقظ وحسٌّ ملتتصق بالله. أحبُّ السكتوت أكثر

من الكلام، لأن السكوت يجمع، والكلام يُيددُ (Sys. IV, 18). الراهب لا يستطيع أن يحفظ جهاده إلا بالسكتوت وبالهدوء، وأن لا يحسب نفسه شيئاً في أمر ما. من هو في السكتوت فهو محتاج إلى هذه الثلاث خصال: خوف الله، صلاة دائمة، أن لا يدع قلبه يُسيء بأمر ما (Sys. II, 17). من هو في السكتوت ينبغي له أن يجعل خوف ملاقاة الله متقدماً كلّ نفسٍ من أنفاسه. ما دام القلب يخضع للخطيئة فما صار خوف الله فيه بعد، وهو لا زال بعيداً عن الرحمة. ذلك الإنسان الذي يتكلم بكلام العالم أو يسمعه مراراً كثيرة، لا يقدر أن يكون له في قلبه دالة قدام الله في صلاته. أبغض كلّ ما في العالم من نياح الجسد لأن ذلك يُصيّرك عدوًّا لله. فقاتل الجسد كمن يقاتل عدوًّا لدوًّا جداً. الذي يطلب الرب بوجع قلب يسمع منه إن هو سأله باهتمامٍ ومعرفةٍ وهو غيرٌ مرتبطٌ بشيءٍ من العالم إلا بنفسه فقط، وذلك لكي يُوقفها قدام الرب بلا عيبٍ كنحو قوله. (س: ٥ ظ: ٩٩)

٢١٩ - وقال أيضاً: «ثلاثٌ فضائل يحتاج إليها العقل دائمًا: ترك الغضب، عدم التهاون، الشجاعة. وثلاث فضائل أخرى إذا ازدان بها العقل يشق بأنه قد بلغ الحياة وهي: إفراز الجيد من الرديء، التبصر في الأمور قبل الإقدام عليها، عدم الخضوع لأمر غريب. وثلاث فضائل كذلك تبعث في العقل ضوءاً مستديماً وهي: أن لا يعرف شرّ إنسان، أن يصنع الخير مع الذي يصنع به الشر، أن يتقبل ما يجلبه العدو عليه بلا ضيق صدر. فالذى لا يعرف شرّ إنسان فقد أدرك الحبة، والذي يفعل الخير مع من يفعل به الشر فقد أدرك السلامة، والذي يقبل ما يأتيه من العدو بلا ضيق صدر فقد اقتني الوداعة. كذلك أربع فضائل تركي النفس: السكون، حفظ الوصايا، الانفراد، الاتضاع. (Isaiah, logos 7, 11-14) الصيام يُذلل الجسد، والسهر ينقى العقل، والسكوت يجلب النور، والنور يغسل الإنسان ويصيّره بلا خطيئة. طوبي لمن اهتم من أجل جراحاته لتشفي، وعرف خطاياه وطلب من أحلاها الغفران. إن أراد العقل أن يرتفع على الصليب فإنه يحتاج إلى طلبة كثيرة ودموع

غزيرة وخصوصاً في كلّ ساعة قدام الربّ، ويسأل من طبيته المعونة حتى يقيمه غير مقهور متجددًا بالروح القدس. لأنّ شدائد كثيرة عند ساعة الصليب، وهو يحتاج إلى صلاة وإيمانٍ صحيحٍ وقلبٍ شجيعٍ ورجاءً بالله إلى آخر نفسِه. الذي له المجد إلى الأبد، آمين.

(ج ١٠٠ : ٥)

٢٢٠ - وقال أيضاً: إذا صليتَ ولم يرد على فكري شيءٌ من الشرِّ فقد صرتَ حرّاً. الذي يلوم أخاه أو يحتقره أو يشيّ به قدام آخرين أو يُظهر له غضباً، فقد صار بعيداً من الرحمة. إن قال إنسان: «إني أريد أن أتوب عن خططيائي»، وهو لا يزال يفعل شيئاً منها فهو كذاب. من يريد أن يلزم السكوتَ من غير أن يقطع علل الأوجاع فهو أعمى. الذي يتجاهل خططياته ويريد أن يقيم آخرين فهو جاهم. من لا يدين أحداً فقد استحق النوح، إذا انشغلتَ عن خططيتك وقعت في خططياً أحييك. إن كافأتَ شرّاً بشرٌ فذلك يُعدك من النوح. إن قبلتَ شيئاً من السبع الباطل ابتعد منك النوح. إن صنعتَ هواك طردت عنك النوح. إن قلتَ إن فلاناً صالح وفلاناً شريرٌ خزيتَ نفسك، إذ تركت الاهتمام بخططيتك واهتممت بما لا يعنيك. إن قيل عنك كلام لا تعرفه فتسجنستَ فقد أبعدتَ عنك النوح. إن كلمك إنسان فلا تجادله محاولاً تثبت كلمتك، وإن فليس فيك نوح. وهذه الأمور كلها تدلُّ على أن الإنسان العتيق لا يزال حيًّا فيك. إن حفظت وصايا المسيح كلها وعملتها، قل: «إني لم أرضِ الله قطّ». يا إخوتي، تأكدوا بحرصٍ أن تكون شهودنا بالله، لتسسلم من الشرور. لتلزِم محبةَ المساكين لنخلص من حبِّ الفضة. لتكن متصالحين مع كلِّ أحدٍ لنخلص من البعضِ. لتكن محبين بجميع الناس لنخلص من الغيرة. لتحملن تعير إخوتنا إذا هم رذلوا لنخلص من العظمة. لتحرصن على كرامةِ إخوتنا لكي ما نخلص من الدينونة. لترفضن شرفَ العالم وكراماته لنخلص من المجدِ الباطل. لتكن ألسنتنا ملازمةً ذكر الله والعدل لكي ما نخلص من الكذب. لتنقّ قلوبنا

٢٢١ - وقال أيضاً: الحكيمُ هو الذي يحرض إلى الموت على مرضاه الله. لنعمل بقدر قوتنا والله يُعينُ ضعفنا. ليكن فكرُك بالله وهو يحفظك. أمورُ العالم لتركتها ونطلق. وما تصنعه من أجلِ الله فهذا يعينك في ساعةِ شدّتك التي هي ساعةُ الموت. أبغض كلامَ العالم ليفرح قلبك بالله. أحبُ الصلاةَ في كلِّ حينٍ ليضيء قلبك بأسرارِ الله. أبغض الكسلَ لكيلا تحزن. إذا قمتَ في موقفِ الأبرارِ احتفظ بلسانك ليسكن في قلبك خوفُ الله. أعط المحتاجين بعينٍ واسعةً حتى لا تحزن بين القديسين. لتكن محباً للمؤمنين لتحلُّ عليك رحمةُ الله. لتكن محباً للقديسين لتغارب بأعمالهم الصالحة. اذكر دائماً أبداً ملوكَ السمواتِ وما أعدَّ فيه للقديسين ليقودك الشوقُ إليه. كن متفكراً في كلِّ حين بجهنم لكي ما تبغض الأعمالَ المؤدية إليها. إذا قمت باكرَ كلِّ يومٍ تذكر أنك ستعطي الله جواباً عن أعمالِك فإنك بذلك لن تخطئ ومخافةُ الله تسكن فيك. هبئ نفسك دائماً أبداً للقاءِ الله لكي ما تصنع مشيئته. تفرّس في نفسك كلِّ يومٍ لتعلم أيَّ وجعٍ غلبتَ ومن أيٍّ وجعٍ أنت مغلوب، أعني الشهواتِ الجسدانية. ولتكن مجتهداً بكلِّ قوتك في أن تغلبَ كلِّ الشهواتِ الرديئة. كن دائماً أبداً حذراً متبعة العقلِ في كلِّ حين. وإياك أن تفكِّر بالعظمة أو تقبل هذه الفكرة، لأنَّ بذلك صار رئيسُ الملائكةِ شيطاناً. كلُّ من يريد أن يغلب بالكلامِ فلا شكُّ قد دلَّ على أن مخافةَ الله ليست فيه ولا اتضاع. الذي يحبُ الله لا يهتم إلا ببغضِ الشهواتِ النجسةِ وعملِ الصلاحِ وتعبِ الجسدِ بمعرفةِ، أما الغفلةُ والتواي فهما يولدان فينا أوجاعَ الجسدِ النجسة. من يُغلب من لسانه فهو ما زال عبداً، أما من غلب لسانه فقد صار حرّاً. قلةُ الرحمةِ تُعبر عن أننا لا نحبُ الله. كثرةُ المناصبةِ أي الوقوف في وجهِ الغير المقربون بالشتائم والانتقاداتِ والكلامِ اللاذع، تدلُّ على أننا أشرار. البركةُ تلدُ البركةَ. والصلاحُ يلدُ الصلاحَ. فاما الغضبُ فمن قساوةِ النفسِ. كثرةُ النومِ فيها خسارة

العقلِ، وجفافُ العينين، وتغلظُ القلب. الرقادُ بمعْرَفةٍ في السكوتِ أفضَلُ من الكلامِ
الباطلِ معَ السهرِ» (س٥: ١٠١ ج) (Isaiah, logos 16, 22-62).

٢٢٢ — وقال أيضًا: مَن لازم النوحَ فهو يهربُ من كُلّ الشرورِ ومن كُلّ سُجُسٍ.
من كفَ عن شرِّ الناسِ فذاك بالحقيقة قد انطبع فيه اتضاعُ سيدنا يسوع المسيح وأخزى
الشيطان. من يُحبُ مدحَ الناسِ فهو شقيٌ وقد شملَتُه الظلمةُ. ضبطُ البطنِ يُذهبُ
الأوجاعَ، أعني الشهوات الرديئة، أما شهوةُ الأطعمة فتحلبهَا. من يحبُ اللهُ فذاك قد
تغرَّبَ عنه شيطانُ التهاون. ومن تحاشى الحديثَ الرديءِ يحفظهُ الربُ من السقطات، أما
كثرةُ الحديثِ فمنها تأتي الرعونةُ والملل. من قطع هواه من أحلى أخيه لمرضاة الله فقد أنيأَ
عن نفسهِ أنه قد افتقى الفضائل، أما الذي يُرضي هواه فقد أظهرَ أنه غيرُ خائفٍ من اللهِ.
من لازم خفافة الله فذاك قد افتقى حكمَةً سمائيةً، وأما من ليس فيه مخافةُ الله فقد عَدِمَ كُلَّ
خيرٍ. محبةُ المالِ تضيق العقلَ. من أحبَ كلامَ العالمِ فقد أفترَت نفسهُ من كُلَّ صلاحٍ.
من كتم خطایاه عن صاحبِ سرِّه فقد دَلَّ على تعاظمهِ، وقد تَمَلَّكَ عليه عدوُهُ، أما الذي
يُنشئُ أفكارَه فیستريح. بدءُ الصلاحِ هو المحبةُ والاتضاعُ والمسكنةُ، وعدمُ الدالةِ، أما
خرابُ النفسِ فهو حبُ البطنِ. الخلطةُ مع العلمانيين تمنع التوبةَ وتبردُ الحرارةَ. والفرارُ
منهم ينسلُ إلى العمل الروحاني. محبةُ أمورِ العالمِ يجعلَ النفسَ ظلماً. الكسلُ يجعلُ علينا
الأعداءَ. لا تقبلُ أفكارَ السوءِ وتجلس تتحدثُ عنها لئلا تكون جالساً تحدثُ الشيطانَ
مشافهةً. لأنَّ الأفكارَ الرديئةَ من فمه تخرجُ، فافطن له ونبهْ عقلكَ مقابلَهِ وتفوَّ عليه باسمِ
ربنا يسوعَ المسيحِ. ولا تكن متوكلاً على قوتكِ وصلاحكِ، بل كن طالباً العونَ والرحمةَ
من المسيحِ لكي ما يفرح بك وينيحك. احذر لئلا تكون بينك وبين الناسِ معاملةً ما
دمتَ في التوبةِ فإنَ الخلطةَ تشغلك عن الروحانية. احتفظ بقلبكِ وعينيكِ فلن يصييكَ
بأسَ في جميعِ أيامِ حياتكِ. كلُّ من نظرَ في وجهِ أخيه بلذةٍ شيطانية فقدَ فَسَقَ. لا تقبلُ أنَ

تسمعَ ضعفاتِ أخيك أو تلومه، وإلا فأنْتَ هالكُ. اعملْ لكي ما تعطي المساكين من عرقِ حبِّينك لأنَّ البطالةَ موتٌ وهلاكٌ، واحرس قلبك قبلَ كُلّ شيءٍ كي يكون لك عملٌ روحاني في كُلّ رببتك. لا تعمل عملاً في توبتك بدونِ مشورةٍ، فتعبرُ أيامك بنجاح.

(س: ٥ ظ) (Isaiah, logos 16, 63-99)

٢٤

القديس يوحنا القصير

٢٢٣ - قيل عن القديس يوحنا القصير إنه مضى إلى شيخٍ تباهي^(٣٨) كان مقيناً في البرية فتلمذ له، وحدث أن معلمه دفع إليه غصناً يابساً وأمره أن يغرسه ويسقيه كُلّ يوم بحيرة ماء، وكان الماء بعيداً عنهما، فكان يمضى في العشية ويبحي في الغد. وبعد ثلاثة سنين أحضره الغصن وأعطى ثمرة. ف جاء بها إلى الشيخ، فأخذها الشيخ وجاء بها إلى الكنيسة وقال للإخوة: «خذلوا كلوا من ثمرة الطاعة». (س: ٦ ظ) (Abc. John Colobos) (1)

٢٢٤ - وحدث مرّة أن قال لأخيه الأكبر: «إن أود أن أكون بغيرهم مثل الملائكة، لأنّه لا اهتمام لهم ولا شيئاً يعملونه سوى أنهم يتبعدون الله دائمًا». وإنّه نزع ثوبه وخرج عارياً إلى البرية. فأقام أسبوعاً ثم عاد إلى أخيه، فلما قرع الباب عرفه أخوه، فقبل أن يفتح له الباب قال له: «من أنت؟» فقال: «أنا يوحنا أخوك». فحاوبيه: «إن يوحنا أخي قد صار ملائكاً وليس هو من الناس الآن». فرداً عليه قائلاً: «أنا هو أخوك». فلم يفتح له الباب وتركه إلى الغد، حيث فتح له وقال: «اعلم الآن أنك إنسانٌ تحتاج إلى عملٍ وغذاء لجسديك»، فصنع له مطانية واستغفر منه. (س: ٦ ظ) (Abc. John Colobos 2)

^{٣٨} تباهي من الكلمة اليونانية θηβαῖον ومعناها من مدينة طيبة (Amélineau, p. 234-235).

٢٢٥ - قال الأب يوحنا القصير: «إذا أراد ملك أن يأخذ مدينة الأعداء فقبل كل شيء يقطع عنها الشراب والطعام، وبذلك يذلون فيخضعون. هكذا أو جائع الجسد، إذا ضيق الإنسان على نفسه بالجوع والعطش إزاءها فإنما تضعف وتذلل له». (س:٥ ظ:١٠٦)

(Abc. John Colobos 3) (٢٠١)

٢٢٦ - وقال أيضاً: «من امتلأ بالطعام وتحدث مع صبي فقد زنى معه بفكرة».

(Abc. John Colobos 4) (ج:١٠٧ س:٥)

٢٢٧ - وقال أيضاً: «إني كنت ماضياً مرةً في طريق الإسقاط ومعي القففُ محمولةً على جملٍ، وفجأةً أبصرتُ الجمال وقد تحرك فيه الغضبُ، فتركتُ كلَّ ما كان لي وهربتُ». (س:٥ ج:١٠٧) (Abc. John Colobos 5)

٢٢٨ - ومرة أخرى كان في الحصاد فأبصر أحلاً قد غضب على آخر، فهرب

وترك الحصاد. (س:٥ ج:١٠٧) (Abc. John Colobos 6)

٢٢٩ - وجاء مرة إلى الكنيسة فسمع مجادلةً في الكلام بين الإخوة، فرجع إلى قلاليته ودار حولها ثلات دورات ثم عاد ودخل فيها. فسألوه لماذا فعلت ذلك؟ فقال: «إن صوت المجادلة كان لا يزال في أذني، فقلت: أخرجه من أذني قبل أن أدخل قلاليتي، كي يكون عقلي داخل القلالية نقيةً». (س:٥ ج:١٠٧) (Abc. John Colobos 25)

٢٣٠ - وقال أيضاً: «إن عقل الإنسان آنية لله وله الاستطاعة أن ينفعه كي يمكنه أن يجلس في القلالية، أما إن جعله الإنسان وعاءً لحديث العالم فلن يستطيع أن يجلس في القلالية». (س:٥ ج:١٠٧) (Add. John Colobos S4)

٢٣١ - وحدث مرة أن كان جالساً مع الإخوة قدام نرثكس^(٣٩) الكنيسة، وكان كلُّ واحدٍ منهم يكشف له أفكاره، فنظره أحدُ الشيوخ وامتلاً حسداً عليه، فقال: «يا يوحنا، إنك ممتلئ سحراً»، فقال: «الأمر هكذا كما تقول يا أباها، ولكنك بنيت حُكمك هذا على ما نظرته في الظاهر، فما عساك كنتَ تقول لو علمت بالخلفاء». (س: ٥ ج) (Abc. John Colobos 8)

٢٣٢ - ومرة كان جالساً في الإسقيط وقد أحدق به الإخوة يكشفون له أفكارهم. فلما رأه أحدُ الشيوخ قال له: «يا يوحنا، لقد زيتَ ذاتك كالزانية التي تُكشر من عشاقها». فصنع له مطانية قائلاً: «حقاً قلتَ يا أباها». وبعد ذلك سأله الإخوة إن كان قد اضطرب من داخل، فقال: «ما اضطربتُ بتة، لكن كما كان خارجي كذلك كان باطني». (س: ٥ ج) (Bu. I, 507)

٢٣٣ - ومرة سأله: «ما هو عملُ الراهب؟»؟ فقال: «تعبُ الجسد وضيقُ البطن وغلبةُ الإرادة». (س: ٥ ظ) (س: ٥ ج)

٢٣٤ - ومرة كان الإخوة جلوساً يأكلون في أغاي^(٤٠)، فضلوك أحدُهم على المائدة، فنظر إليه وبكي قائلاً: «ترى ماذا خطر بيال هذا الأخ حتى أنه ضحك هكذا، مع أنه كان يجب عليه البكاء، لأنَّه يأكل طعامَ الصدقة». (س: ٧٨ ج، ١٠٧ ظ) (Abc. John Colobos 9)

٢٣٥ - ومرة أخرى جاء إليه إخوه ليجربوه لأنَّه ما كان يسمح لفكرة بحديثِ بشرى، ولا كان يتلفظ بشيءٍ من أمور العالم. فقالوا له: «الشكر لله يا أباانا، إن هذه

^{٣٩} تأتي في النص اليوناني: أمام الكنيسة، وتأتي في المخطوطات س: ٤، س: ٥: تركش، وربما المقصود هنا نرثكس من الكلمة اليونانية Κύρος، أي قدم مدخل الكنيسة.

^{٤٠} كلمة أغاي كلامية يونانية ومعناها حمبة γάγη، ويطلق على مائدة الرهبان الأغاي.

السنة أمطرت أمطاراً كثيرة، وقد شرب النخلُ ورُويَ وها هو يُخرج السعفَ ليجدَ الإخوة حاجتهم منه لعمل أيديهم». أما هو فقال لهم: «إن نعمة الروح القدس إذا ما حلّت في عقل إنسانٍ أروته وجذّته ليُخرج أثماً تصلح لعمل الله». (س: ٥٠٧) (Abc. John Colobos 10)

٢٣٦ - وقال أيضاً: «أنا أُشبة إنساناً جالساً تحت شجرة عظيمة وهو ينظر إلى الوحش والذئاب وهي مقبلة نحوه، فإذا لم يستطع ملاقتها هرب صاعداً فوق الشجرة فينجو منها. هكذا أنا جالسٌ في قلاليتي أبصر الأفكار الخبيثة تأتي إليّ، فإذا لم أستطع صدّها هربت إلى الله بالصلوة ونجوت». (س: ٥٠٧) (Abc. John Colobos 12)

٢٣٧ - وقال أيضاً: إن أحد الرهبان رأى بالنظر العقول ثلاثة رهبان وقوفاً على شاطئ البحر، فجاءهم صوتٌ من الشاطئ الآخر قائلاً: «خذلوا لكم أجنهة من نارٍ وتعالوا إلينا». فاثنان منهم أخذوا أجنهة نارية وطارا بها إلى الجانب الآخر، أما الثالث فصار يبكي ويصرخ نائحاً، وفي آخر الوقت أعطي أجنهة لكنها عديمة القوة، وبصعوبةٍ كان يطير ثم يعود فيسقط، فينهض ثم يعود فيغرق، وهكذا حتى وصل إلى الجانب الآخر بعد تعبٍ عظيم. هكذا يكون عمل هذا الجليل، فإن كان قد أخذ أجنهة ولكن نارَ الروح ليست فيها، وبذلك تجدها قد عدِمت قوَّة روح الله. (س: ٥٠٧) (Abc. John Colobos) (14)

٢٣٨ - وقال أيضاً: ثلاثة فلاسفة كانوا متآخين، فمات أحدهم وترك ابنًا صغيراً، وكان قد أوصى به إلى أحدهم، فلما شبَّ الغلامُ أراد أن يعلّمه الفلسفة، فأمره أن يمضي إلى دير رهبانٍ ويتحمل الإهانة لمدة ثلاثة سنين. فعل هذا، ثم جاء إليه فلم يقبله، وقال له: «إنك ما تأدبتَ بعد، ولكن امضِ وأقم ثلاثة سنين أخرى، وأعطي أجرةً لمن يشتمك»، ففعل ذلك. ولما عاد إليه أرسله بكتابٍ إلى صديقٍ له في أثينا في مجلسِ

الحكماءِ، وَكَانَ هُنَاكَ شِيْخٌ حَكِيمٌ جَالِسٌ عَلَى الْبَابِ يَشْتِمُ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُ. فَلَمَّا دَخَلَ الشَّابُ، شَتَمَهُ، فَضَحَّكَ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الْفِيلِسُوفُ: «هَا أَنَا ذَا أَشْتَمُكَ وَأَنْتَ تَضْحَكُ؟»؟ فَقَالَ لَهُ الشَّابُ: «أَمَا تَرِيدُنِي أَنْ أَسْرُّ وَأَنَا لِي الْيَوْمَ ثَلَاثَ سَنِينَ أُعْطَيَ أُجْرَةً لِمَنْ يَشْتَمِنِي، وَالآنَ وَجَدْتُ مَنْ يَشْتَمِنِي مُجَانًا فَلَذِلِكَ ضَحَّكْتُ». فَقَالَ لَهُ الشِّيْخُ: «هَلْمَ اصْعَدْتَ إِلَى مَجْلِسِ الْفَلَاسِفَةِ؟». ثُمَّ قَالَ الْقَدِيسُ: «إِنَّ هَذَا هُوَ بَابُ مَدِينَةِ اللَّهِ، وَآبَاؤُنَا بِاحْتِمَالِهِمِ الشَّتَائِمِ وَالْهُوَانِ دَخَلُوا فِيهِ مَسْرُورِينَ». (س: ٥ ج: ١٢٩؛ س: ٦ ج: ١٠٨) (Add. John Colobos S1)

٢٣٩ — وَمَرَّةً كَانَ الأَبُ يُوحَنَّا صَاعِدًا مِنَ الإِسْقِطِ مَعَ إِخْرَوِهِ فَضْلًا مَرْشُدُهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ لِأَنَّهُ كَانَ لِيَلًا، فَقَالَ إِخْرَوِهُ لِأَنْبَا يُوحَنَّا: «مَاذَا نَصْنَعُ لِأَنَّ الْأَخَّ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ؟»؟ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ قَلْنَا لَهُ شَيْئًا حَزْنًا وَاسْتَحْيِي، فَالْأَفْضَلُ هُوَ أَنْ اتَّظَاهِرَ بِأَنِّي مَرِيضٌ» وَأَقُولُ: إِنِّي لَنْ أَسْتَطِعَ الْمَشَيَ لِأَنِّي فِي شَدَّةٍ، وَبِذَلِكَ نَجْلِسُ إِلَى الْغَدِ». فَلَمَّا أَعْلَمُ لَهُمْ رَأْيَهُ هَذَا وَافَقُوا وَقَالُوا: «وَنَحْنُ أَيْضًا نَجْلِسُ مَعَكُمْ»، وَفَعْلًا جَلَسُوا إِلَى الْغَدِ وَلَمْ يُحْزِنُو الْأَخَّ الْمَرْشِدَ. (س: ٥ ج: ١٠٨) (Abc. John Colobos 17)

٢٤٠ — وَمَرَّةً قَالَ لِإِخْرَوِهِ: «مَنْ باعَ يُوسُفَ؟» فَقَالُوا لَهُ: «إِخْرَوِهِ». فَقَالَ: «لَيْسَ إِخْرَوِهِ وَلَكِنَّ اتَّضَاعَهُ هُوَ الَّذِي باعَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ قَادِرًا أَنْ يَقُولَ لِلَّذِي اشْتَرَاهُ إِنَّهُ أَخْوَهُمْ، لَكِنَّهُ سَكَتْ وَبَاتَضَاعَهُ بَيْعٌ، وَبِذَلِكَ الْاتَّضَاعُ صَارَ مَدِيرًا مَلِكًا مَصْرَ». (س: ٥ ج: ١٠٨) (ظ) (Abc. John Colobos 20)

٢٤١ — وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ الْأَسَدَ شَجَاعٌ مَهَابٌ، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَجْلِ شَهُوتِهِ وَرَغْبَتِهِ يَقْعُدُ فِي الْفَخْ، فَتَبْطَلُ قُوَّتُهُ وَيَصِيرُ هُزُءًا لِلنَّاسِ (Sys. IV 61)، كَذَلِكَ الرَّاهِبُ إِذَا فَقَدَ قَانُونَهُ وَتَبَعَ شَهُوتَهُ أَهْلَكَ وَقَارَهُ وَصَارَ هُزُءًا لِكُلِّ أَحَدٍ». (س: ٥ ج: ١٠٨) (ظ) (Abc. John Colobos 28)

٢٤٢ — وَقَيلَ عَنْهُ: «إِنَّهُ ضَفَرٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ضَفِيرَةً تَصْلِحُ لَعْمَلِ زَنْبِيلِينَ، لَكِنَّهُ

خاطها زنبيلًا واحدًا ولم يعلم إلا عندما وصل إلى آخرِ الصفيحة، وذلك لأن فكره كان مشغولاً بالمناظر الإلهية». (س: ٥ ظ) (Abc. John Colobos 11)

٢٤٣ — ومرة جاءه إليه بعضُ الإخوة ليأخذوا منه قُفْقاً فقرع أحدهم، فخرج إليه وقال له: «ماذا تطلب أيها الأخ؟» فأجابه: «قفقاً». فتركه ودخل وجلس يُخيط. فقرع آخر، فخرج إليه وقال: «ماذا تريده أيها الأخ؟» فقال له: «هات لي قفة يا أبا تاه». فدخل وجلس يُخيط أيضًا. ثم إن الأخ قرع مرة أخرى فخرج إليه وقال: «ماذا تريده يا أخي؟» فقال: «القفف، أيها الأب». فأمسكه بيده وأدخله إلى القلابية وقال: «إن كنت تريده قفة فخذ ما تريده منها وانحرج، فإني لست متفرغاً لك في هذه الساعة». (س: ٥ ظ) (Abc. John Colobos 30)

٢٤٤ — ومرة جاءه جمال ليحمل أوعيته، فلما دخل ليحضر له الضفائر نسيها لأنه كان مشغولاً بالتأمل في المناظر المعقولة الإلهية. وإن الجمال قرع الباب فخرج إليه ونسى مرة أخرى. فقرع الجمال الباب مرة ثالثة، فخرج إليه ثم دخل وهو يقول: «الضفائر للجمال الضفائر للجمال». (س: ٥ ظ) (Abc. John Colobos 31)

٢٤٥ — وقال أيضًا: «يجب على الراهب كل يوم إذا قام بالغداة أن يتخد لنفسه وصية إلهية، وأن يقتني طول روح واحتفاظاً من القلب وصلاًة دائمة مع طهارة لسان، وأن يجعل نفسه تحت كل الخليقة بالابتعاد عن الهيوليات». (س: ٥ ج) (Abc. John Colobos 31)

٢٤٦ — وقال أيضًا: «يجب قبل كل شيء أن تقوّم التواضع لأن هذه الوصية هي الأولى، التي قال ربنا عنها: طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملائكة السماوات». (س: ٥ ج) (Abc. John of Thebes 2)

٢٤٧ — وقال أيضًا: ليكن كل أحد كبيراً في عينيك ولا تُهين الذين هم أقل منك

معرفة، ولا تطلب كرامةً من أحدٍ، لكن اتضع لـكُلّ الناسِ ولا تغضب من الذي يتعظُّم عليك لأنَّه قليل المعرفة، لأنَّ من قلة المعرفة يتعظُّم الأُخْرُ على أخيه. كن هادئاً لَيْناً، ولا تردَّ الجوابَ على أمرٍ ثُومر بأدائه، بل كن مطيناً في كل شيءٍ لكي ما تُحَبَّ من كثرين. كن مبغضاً للعالم كي ما تكون مختاراً الله. كن صغيراً بين الناسِ لكي ما تكون فاضلاً عند ربِّك. كن منسطاً كي تحلُّ عليك نعمةُ الله. كن مثل ابن بين إخوتك كي تكون محبوباً عند كُلّ الناسِ. لا يكن بين عينيك شيءٌ مشتهيٌّ لكي ما تبصرَ الله. كن حزيناً على الذين هلكوا. كن رحيمًا على الذين طغوا. كن متألماً مع المتألمين، مصلياً من أجل المخطفين. لتكن عند نفسك دونَ الكلِّ. كن ساكناً بين إخوتك كمثل ميتٍ عادمٍ من كُلّ غضب. لأنَّه من الغضبِ تأتي الخطية.

اختر السهرَ أفضَّلَ من الأعمالِ وذلك مع الصوم، لأنَّ السهرَ يُضيءُ العقلَ ويقللُ الأحلامَ، والصومُ يُذلُّ الجسدَ وهو معينٌ أكثر من كُلّ الأعمال. اهتم بقراءة الكتب لكي تعلم كيف تكون مع الله. لا تختر أن تكون مُتَعَبَ الجسدَ فقط وفكُّر في الباطل، لأنَّ هذا ليس وحده المطلوب منك، ولكن امزج تدبيرك بقدرٍ، ساعةً قراءةً وساعةً صلاةً وساعةً عمل. لكي تضيء من القراءة في صلاتك. ليس القيام الظاهري فقط هو الذي يريدهُ الربُّ، ولكنه يريدهُ الفكرُ الحكيمُ الذي يعرفُ كيف يدنو إلى الكمال. كن عبداً وحرّاً؛ عبداً مملوكاً لإرادة سيدِهِ، وحرّاً غيرَ متبعٍ لشيءٍ من المخدِّن الباطلِ، حتى ولا لوجعٍ من الأوجاع. حُلْ نفسك من رباطِ العبودية، ولازم العتق الذي عتقك به المسيح، واقتنِ حريةَ العالمِ الجديد. لا تبتكر لنفسك نواميسَ لثلا تكون متبعاً لنواميسك، ولكن كن حرّاً تصنع ما تريده. ولا تستبدل بأمرٍ لأنك مخلوقٌ كائنٌ تحت التغيير. إنَّ لم تكن حرّاً، لا تستطيع أن تعمل من أجلِ المسيح. كن عاقلاً في تدبيرك.

إذا مشيت لا تدع عقلك يدور، ولكن ليكن متجمعاً قدامك. كن طاهراً مترتبأ في لبسك. ليكن نظرك مطرقاً إلى أسفل، وفكرك فوق عند ربك. لا تملأ عينيك من وجه إنسان، ولكن بتهيئب وخوف تبسيط نظرك. كن شبة عنراء ذكية، واحفظ نفسك لل المسيح. كن محباً لكل أحدٍ وابتعد عن كل أحدٍ. اعلم أنك راهبٌ ولا ينبغي لك أن ترتبط بشيءٍ ما. أحب بفكراك حبًا فاضلاً ذاك الذي يكلمك بكلام نافع. ولا تحزن من الذي يسكنك بالحساب لغلا تكون عدواً لكتمة الله. لتكن نفسك متيقظة لخدمة الله ول يكن عقلك متجمعاً عند ربك. ليس لك أن تفحص عن كل الأمور، لأنك لم تصر مدبراً أو رئيساً، ولكنك مأمومٌ وليس لك سلطانٌ حتى ولا على نفسك. لا تعر من الذين ينظرون إلى أصحابهم لغلا يضطرب عقلك بالعبودية، وتكون خدمتك بلا منفعة. لا تتطلب حاجتك في كل أمرٍ لأنك لست لهذه التلمذة تلمنتَ، أن تكون حاجتك مهياً في كل أمرٍ.

داوم على قراءة كتب الأنبياء لأنك فيها تعلم عظمة الله وأفعاله وعدله وقوته، وادرس كتب المبشرين بالجديدة لأنك منها تعلم رحمة المسيح وخيريته ونعمته، واذكر في كل لحظةٍ أو جائع الشهداء لتقنني شجاعةَ النفس. ولا تشته الأصوات مثل الأحداث، واحذر من الشهوات التي يحبها هواك. الزم القراءة أفضل من كل عمل لأنه ربما دار العقلُ في الصلاة أما القراءة فإنها تجتمعه. مثل التاجر الذي يطلب الأرباح كذلك حاسب نفسك كل يوم وانظر ربحك وخسارتك في كل عشية، واجمع عقلك وتأمل ما الذي عملته في فارك وانظر إلى صنيع الله ربك، وافهم لماذا أنعم عليك في يومك: بإشراف الضوء، بطيب النهار، بتقويم الأزمنة، ببهاء الجبال، بحسن الألوان، بزينة الخلقة، بحركة الشمس، وبزينة قامتك وبهوب الرياح وبحسن الأثمان، وبحفظه إليك من الأخطر مع بقية إنعاماته. فإذا تفكّرت في هذه الأمور كلّها يملأ قلبك العجب من عظيم حب الله لك،

وأنحدك العَجَبُ إلى أن تشكر الله بحرارة على ما أنت به عليك. لذلك وجب عليك أن تفتش لعلك فعلت شيئاً يُذْلِّ على إنكارك لهذه النعم، وقل فيما بينك وبين نفسك: «لعلي فعلت في هذا اليوم أمراً يغضب الله، لعلي فعلت شيئاً يخالف مشيئة خالقي»، فإن شعرت في نفسك أنك فعلت شيئاً يخالفه، قم في الحال بالصلوة واشكر الله أولاً على النعم التي قبلتها منه في يومك هذا، ثم تضرع من أجل غفران ما أحطأته به وهكذا تنا مخوفٍ ورعدة. من المعلوم أننا إذا أغضبنا من هو أعظم منا، فإننا نبيت في خوفٍ ورعدة، ولكن مع الأسف فهوذا نحن نُغضِّبُ الله وننام بلا مخافةٍ.

إذا قمت للصلوة قدام الله احرص أن تجمع عقلك طارحاً عنك الأفكار المقلقة. ضع نصب عينيك كرامة الله ونق حركاتك من الميل الشريرة. فإن شعرت بحرارة النعمة تقدم ولا تضعف، فإذا أبصر الله صيرك فإنه بسرعة يسكب فيك نعمته ويتقوى عقلك وينشط للعمل بواسطة السخونة (حرارة النعمة) فتضيء أفكار نفسك ويسمو بك الشعور إلى تمجيد عظمة الله كل حين، ولن يكون لك ذلك إلا بطلبات كثيرة وفكّر نقني. كما أنه لا يليق أن يوضع البخور الطيب في إماء منتن، كذلك الله لا يُظهر عظمته في فكرٍ رديء.

إذا قمت في صلاتك قدام الله فأول شيء قل: «قدوس قدوس قدوس الله القوي، السماء والأرض مملوءة من تسابيحك». وبعد ذلك قل: «اللهم أهْلنا بعمتك لذلك الشرف الذي أعددته في العالم الجديد ولا يديننا عدلك في جميعك العظيم. اللهم أهْلني لمعرفتك الحقانية والخلطة بمحك التام». وحيثند اختتم صلاتك بالصلوة التي علّمها الله لتلاميذه دائمًا واتلها دائمًا بتأملٍ. الذي يظن في نفسه أن حياته في هذه الدنيا إنما هي يومه الذي هو فيه فإنه يكاد لا ينقطع. (س: ٥ ج: ١٠٩)

٢٤٨ - وقال أيضاً: «ابتداء التدبير الجيد هو أن يتبعه الإنسان من أحبابه ومعارفه وأقاربها بالجسد، ثم يتمسكن بالتخلي عن كلّ شيءٍ يُشغلُ العقلَ، لا عن المقتنيات فقط بل وعن النظر والسمع والكلام كنحو قوله. لأنّ الحواس هي رباطات الإنسان الباطن وبها حياته، لذلك كان السكوتُ أفضلَ من جميع الأعمال، لأنّ بدوامه تهدأ الأفكار وتقوت المشيّةُ وينقطع تذكرةُ الأمور الباطلة وحركةُ الأوجاع القاتلة الجسمانية منها والنفسانية، فالجسمانية هي: لذة الفم، شرّه البطن، شهوة الطبع، ترثّه الحواس، الاسترخاء، النوم، الرنى. أما النفسانية فهي: الجهل، التسيان، البلادة، قلة الأمانة، الحسد، الشر، السبّح الباطل، العُجْبُ، الكُبرِياءُ، قلة القناعة.

هدوءُ الجسدِ هو حبسهُ عن الدوران، وهدوءُ النفسِ هو الابتعادُ عن الجهلةِ وعن النظرِ للوجه. فإنّ الجهلةَ يُشغلوننا بياطِلهم ويجرّوننا إلى عوائدهم ويُسخّروننا لنواهيمِهم، لأنّهم يروّها حسنةً ولكنها تقطعنَا عن حياتنا. لذلك ليس شيءً أفضلَ من التباعدُ والسكوتِ لأنّ بدوافعهما لا يقدرُ الإنسانُ أن يعرفَ نفسه. أما عملُ السكوتِ فهو: الصوم، السهر، المذيدُ الصالح، إتباعُ الجسدِ بقانونِ حكيمٍ، في المقدارِ والترتيبِ، وبدوام ذلك يجتمع العقلُ إلى نفسه ويرجعُ عن الدوران فيما هو خارج عنه. وبعد قليلٍ يبتدئُ في أن يصحو لنفسِه ويتصوّرُ حُسنَه ويُشرقُ عليه ضوءُ ربِّه، وينظرُ إلى اللهِ خالقه، ويعرفُ اللهَ رازقه، ويفرحُ بولادتهِ ويعودُ من سبيهِ، ويحيى من موتهِ ويستريحُ من الأوجاعِ، ويُعتقَّ من الظلمةِ ويخلصُ من عدوهِ الشرير. لا بدّ للإنسان من الإيمانُ الخاصُّ الحقيقي، ف بالإيمانِ العام هو لكلّ الناس، ومن نعمَةِ ربنا علينا ولذتنا، فأما الإيمانُ الخاصُّ الذي يقربُنا من الله فهو أن نسألَ ونطلبَ منه العظائمَ، التي لا يمكنُ للآخرين أن يصدقُوا إمكانية وجودِها، وأن نعتصمَ به ونتقوى ولا تخافَ من شيءٍ، ونتيقَّنُ أنّ الذي نتقوى به هو أقوى من كلّ شيءٍ. والثباتُ في الجهادِ والصبر على البلاءِ هو أيضاً أفضلُ من كلّ

الأمور. وكلما استمر السكوتُ ضعفت الأوجاعُ قويَ العقلُ قليلاً قليلاً، إلى أن يصحُ ويستريح، وحينئذ لا يذكر الإنسانُ أوجاعه وأحزانه السالفة، وذلك كما قال ربنا عن المرأة التي تلد. وإذا عُتقَ الإنسانُ من الأوجاع الشريرة التي كان يعانيها دائماً فقد عُتقَ من الأحزان والآلام والأمراض العارضة كلّها تلك التي يؤدّب بها الخطأة. وبدوام السكوت يُعتق من الأوجاع الذميمة. أما الذين يُعيقوننا عن معرفة الله ويعيدونا عن عملِ الفضيلة فإنهم لا يُلامون، لأنهم لا يعرفون، وأما نحن فإذا قد عرفنا ربّنا وخسارتنا، فينبغي لنا أن نبتعد عنهم ونسكت لكي تخيا نقوسنا.

وهو ذا شيء آخر رديء جداً يفسد علينا النقاوة بالكلية وهو حبُّ الرئاسة والكرامة والمدح من الناس، فإن كلَّ هذه أوجاعٌ عظيمةٌ ورجاءٌ كاذبٌ وقليلون هم الذين يخلصون منها بالسكوت، لأنها أشرُّ من اللذات وشره البطن. فأما حبُّ الرئاسة والكرامة الحاضرة والسبع الباطل والارتباط به فإنه من العسير الانحلال منها، لأن هذه أوجاعٌ تلبسُ الإنسان بلا نهاية، فلا نطلبُ نحن رئاسةً في هذا العالم الزائل المظلم الأرضي، فإن رئاستنا نحن وكرامتنا في العالم المضيء السماوي، وحبُّ المسيح ربنا وحده هو يخلصنا من هذه الأوجاع، آمين. (س: ٥: ١١١ ج)

٩٤٥

القديس سرطانيون الكبير

٢٤٩ - كان هذا القديس من أهل مصر من الآباء المشهورين بالفضل، وكان يُعرف بالسباني^(٤١) لأنَّه في كل زمانه لم يكن يلبس سوى سبانية، وهي عبارة عن ثوبٍ من كتانٍ سميك. وما كان يمتلك شيئاً ثانية حتى ولا عصا ولا حذاء، سوى إنجيلٍ صغير،

^(٤١) السباني من الكلمة اليونانية σεβάνιος ومعناها ليف النخيل.

وكان في أمره يُفضل راحة قريبه على راحة نفسه، وكان كاملاً في العبادة، جيداً في القراءة، يتلو عن ظهر قلب كلَّ كتب الله. وكان يجول في كل البراري والمدن سعياً وراء اقتناص الفضائل وعمل الصالحات، بحيث لا يبالي بشيءٍ من أمور الدنيا حتى ولا بجسمه، ولذلك بلغ كافة الفضائل التي أصبحت لديه كأمور طبيعية. (س: ٥١٧٢ ج) (Pal. 37, 1)

٢٥ - وقيل عنه إنه أراد مرةً الذهاب إلى رومية فأتى إلى البحر، وبتدبر الله وجد سفينَةً ت يريد الذهاب إليها، فألقى بنفسه فيها، ولم يكن معه وقتنَد لا خبز ولا دراهم ولا شيءٌ بالبَتَة. فساروا خمسة أيام لم يأكل فيها ولم يشرب، ولا كلَّمه إنسان، ولكنه كان جالساً صامتاً. فظنَّ النواتية أن دوارَ البحرِ منعه عن الأكل، أما هو ففي الحقيقة لم يمنعه سوى العدم لأنَّه ما كان لديه شيءٌ بالبَتَة. فسألوه: «ما هو أمرك أيها الشيخ فإنك لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلَّم؟» فقال لهم: «ليس معي طعامٌ ولا دراهم ولذلك فإني صائم، أما صمتُ فهذه سُنة الرهبان، فإنهم يفضلون السكوت». فلم يصدقوا أقواله وفتشوه، ولما لم يجدوا معه شيئاً تضجروا وانتهروه قائلين: «من أين توافقنا بالأجرة؟» فقال لهم الشيخ: «رُدُونِي من المكان الذي بدأتُ منه الركوب معكم ثم امضوا بعد ذلك بسلام». فقالوا له: «أَبْعَدَ أن سافرنا خمسة أيامٍ تريدنا أن نرجع إلى الوراء فتؤخرنا بذلك عشرة أيام دون أن نتقدم، كما أَنَا لَا نعلم إن كانت الرياح توافقنا كما الآن أم لَا، لأنَّا قطعنا مسافةً طويلةً لطِيبِ الريح الذي لم نرَ مثله قط». ولم يعلم القومُ أنَّ الله سهل طريقَهم من أجله. أما هو فقال لهم: «إن لم ترُدُونِي إلى مكانٍ فهأنذا بين أيديكم لأنَّه ليس لي ما أعطيَكم». وحدث بعد ذلك أَنَّهم تحنَّوا عليه ورحموه وأطعموه وأولوه جميلاً. ولما وصلوا إلى رومية، أخذ يجول في المدينة سائلاً عن حبيسيها وصالحيها ليعرف سيرَتهم وكيف حالُهم في العبادة. فذُلُوه على راهبةٍ حبيسةٍ لها ذِكرٌ فاضلٌ وصلاحٌ

طاهرٌ، فأحبَّ أن يعرف سيرتها في رهباتها، فذهب إليها. وكانت تلك الحبيسة كثيرةً ما تمسك نفسها عن التكلم مع الناس، وكانت لها حادمة عجوز. فقال الشيخ: «كُلُّي الحبيسة أن تتكلّمي وأعلميهما بأبي حبّاً في المسيح حتّى إليها». فقالت له العجوز: «إن الحبيسة ليس لها عادة أن تكلم إنساناً، وأبْتَأْتَ أن تخبرها. فمكث القديس ثلاثة أيام وهو لا يفارق العجوز، فلم يأكل ولم يشرب. فلما شعرت به الحبيسة وأبصرت صوره رَحْمَته، فأشرفت عليه وقالت: «ما الذي يقيقك ها هنا يا أبي وماذا تطلب؟» قال لها: «أحيَّيْتَ أنت أم ميتة». قالت: «أنا حيَّة بالله وميتة عن العالم». فقال لها: «أقائِمْتَ أنت أم جالسة؟» قالت له: «لا يا أبي، بل أنا سائرة». قال لها: «إلى أين تسيرين؟» قالت: «إلى السيد المسيح». فقال لها القديس: «أريدُ أن أتأكدَ صحةَ كلامك. فإن فعلت ما أقوله لك علمتُ أنك صادقة، اخرجني من حبسِك وانزععي ثيابك وأنا أيضًا أنزع ثيابي ونعشني عرابةً الواحد منا خلف الآخر وسط سوق المدينة». قالت له: «يا أبي، إنَّ لي حتى اليوم خمساً وعشرين سنة وأنا في هذا الحبس، فكيف تطلب مني الآن أن أخرج منه وأفعل هذه الجهالة؟» قال لها القديس: «ألاست ترعمين بأنك قد مُتَّ عن العالم، فالميتُ من أي شيء يرتبك؟ وإن الميتُ عن العالم لا يبالي بهزء الناس ولا بعذيبهم. من مات عن الدنيا لا يبالي بما يصيبُ جسده من أجلِّي الرب، فحياؤك هذا يدلُّ على أنك لم تموي بعد عن العالم كما قلتِ، وإنما أنت مخدوعةٌ ولم تنتصرِي بعد». فقالت له: «إينِي لم أصلِّ بعد إلى هذه المترلة التي أخبرتني عنها». فقال لها القديس: «إياكِ بعد هذا اليوم أن تعتقدي بأنكِ غلبتِ الجسدَ ومُتَّ عن العالم». قالت له: «لو أنها أتينا هذا الفعلَ أما كانوا يتشكّلون فينا ويقولون: لولا أن هذين فاسدان لما فعلَا ذلك؟» قال لها القديس: «كُلُّ ما تصنعنيه في سبيلِ الله، لا تبالي يقول الناس إزاءه. إن الراهب إذا كان يغتمُ من الشتيمةِ والهوان فقد دلَّ على أنه علمانيٌ لم يترهب بعد». قالت له: «اغفر لي يا أبي فإني لم أصل بعد إلى

هذه الدرجة». فقال لها القديس: «أَنْصَعِي فِي فَكْرِكِ وَإِيَّاكِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ انصرف. (س:٥)

(Pal. 37, 8-16 ج) (١٧٢ ج)

٢٥١ — وَحَدَثَ مَرَّةً أَنَّ عَبْرَ الْأَبِ سَرَابِيونَ عَلَى قَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ، فَنَظَرَ امْرَأَةٌ زَانِيَّةٌ قَائِمَةً عَلَى بَابِ الْمَاخُورِ. فَقَالَ لَهَا الشَّيْخُ: «اَنْتَظِرِنِي عَشِيًّا لَأَنِّي عَازِمٌ عَلَى الْجَهَنَّمِ إِلَيْكَ لِأُقْضِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ بِقَرْبِكَ». فَأَجَابَتْهُ: «حَسَنًا يَا رَاهِبَ حَسَنًا». وَإِنَّمَا اسْتَعْدَدَتْ وَفَرَشَتِ السَّرِيرِ. فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ أَتَى إِلَيْهَا وَقَالَ: «هَلْ أَعْدَدْتِ الْمَرْقَدَ حَسَنًا؟» فَقَالَتْ: «نَعَمْ يَا رَاهِب». فَلَمَّا أَغْلَقَتِ الْبَابَ قَالَ لَهَا: «تَمَهَّلِي قَلِيلًا لَأَنَّ لَنَا سُنَّةً لَا بَدَّ أَنْ أَعْمَلَهَا أَوْلًا»، وَابْتَدَأَ مِنْ أَوْلِ الْأَبْصَالِتِس^(٤٢) مُرْتَلًا، وَفِي نَهَايَةِ كُلِّ مَزْمُورٍ كَانَ يَقُولُ: «يَا رَبُّ ارْحَمْ هَذِهِ الشَّقِيقَةَ وَرَدَّهَا لِلتَّوْبَةِ لِتَخْلُصِكَ». فَسَمِعَ الرَّبُّ وَخَشَعَ قَلْبُهَا وَكَانَتْ قَائِمَةً إِلَى جَانِبِهِ مُرْتَعِدَةً، وَلَفِزَ عَلَيْهَا سَقْطَتْ عَلَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا أَكْمَلَ الشَّيْخُ الْأَبْصَالِتِسَ أَجْمَعِ، أَقَامَهَا. فَعَلِمَتْ أَنَّهُ جَاءَ لِيَخْلُصَ نَفْسَهَا. فَطَلَبَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «اَصْنِعْ مَبْهَةً يَا أَبِي وَأُوجِدْ لِي مَوْضِعًا تَضَعِينِ فِيهِ لَأْرْضِي إِلَهِي وَأَرْشَدِنِي كَيْفَ أَخْلُصُ». فَأَخْدَهَا الشَّيْخُ إِلَى دِيرِ عَذَارِي وَسَلَّمَهَا لِلرَّئِيسِ وَقَالَ لَهَا: «اَقْبِلِي هَذِهِ الْأَخْتَ وَأَفْسِحِي لَهَا الْجَهَالَ لِتَتَدَبَّرَ كَمَا تَشَاءُ»، فَقَبَّلَتْهَا. وَلَا مَكَثَتْ أَيَّامًا يَسِيرَةً قَالَتْ: «أَنَا امْرَأَةٌ حَاطَّةٌ وَالْوَاجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَكُلَّ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً». وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلَّلَ قَالَتْ: «إِنِّي فَعَلْتُ خَطَايَا كَثِيرَةً وَالْوَاجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَكُلَّ كُلَّ أَرْبِعَةِ أَيَّامٍ مَرَّةً». وَبَعْدَ أَيَّامٍ أُخْرَى قَالَتْ: «إِنِّي خَطَايَايِي كَثِيرَةً جَدًّا فَالْوَاجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَكُلَّ كُلَّ أَسْبُوعٍ مَرَّةً». وَبَعْدَ ذَلِكَ طَلَبَتْ مِنَ الرَّئِيسِ فَجَعَلَتْهَا فِي قَلَّيَّةٍ صَغِيرَةٍ وَسَدَّتْ بِأَيْمَانِهَا وَكَانُوا يَنَأُونُهَا طَعَامَهَا وَشُغْلَ يَدِيهَا مِنْ طَاقَةِهَا. وَهَكُذا أَرْضَتَ اللَّهُ هَنَاكَ بَقِيَّةَ حَيَاةِهَا. (س:٥ ١٧٢ ج) (Abc. Serapion 1)

^(٤٢) بَصَالِتِسْ مِنَ الْكَلْمَةِ الْيُونَانِيَّةِ ψαλτήριον وَمِنْهَا سَفَرُ الْمَزَامِيرِ.

٢٥٢ - ومرة سأله أخ قائلاً: «قل لي كلمة». فقال الشيخ: «وماذا تريده بسماء الكلمة وقد أخذت قوت الفقراء وتركته في هذه الكوة». وذلك لأنه أبصرها ملوءة كتاباً. (س:٥ ظ:١٧٣) (Abc. Serapion 2)

٢٥٣ - وحدث أن زاره أخ، فطلب منه الشيخ أن يصلى كما هي العادة، فاعتذر قائلاً: «إني خاطئ لا أستحق ولا لإسكندر الرهبة». فأراد الشيخ أن يغسل رجليه فأبى ولم يدعه واعتذر بمثل هذا الكلام وقال: «إني خاطئ ولست مستحقاً». ثم إن الشيخ هيا طعاماً، فلما جلسوا يأكلان أخذ الشيخ يعطيه بمحبة ويقول له: «يا ابني إن كنت تريد أن تستفع فاجلس في قلابتك، واترك عنك الدوران، واجعل اهتمامك في نفسك وفي عمل يديك، فإنك لا تستفع من الجولان مثلكما تستفع من الجلوس في قلابتك». فلما سمع الأخ ذلك الكلام وهذه العضة، تململ وتغير وجهه، حتى أن الشيخ لاحظ ذلك في وجهه. فقال له الشيخ: « بينما أنت تقول إني خاطئ وتصف نفسك أنك لست أهلاً أن تحيا في هذه الدنيا، فإذا يلما عاتبتك بمحبة أراك قد تململت وتلون وجهك حتى صرت مثل السبع. إن كنت بالحقيقة تريدين أن تكون متضئاً فاحتمل ما يأريك من الاهتمام من الآخرين، ولا تلهم نفسك ملامة باطلة بالريبة وبالكلام الباطل ». فلما سمع الأخ هذا الكلام انتفع به وصنع مطانية قائلاً: «اغفر لي». ورجع إلى قلابته. (س:٥ ظ:١٧٣) (Abc. Serapion 4)

٢٥٤ - ومرة مضى أبا سراييون إلى الإسكندرية فوجد هناك إنساناً مسكوناً عرياناً في السوق، فوقف يحدّث نفسه قائلاً: «كيف وأنا الذي يُقال عني إني راهب صبور عمال، أكون لابساً ثوباً، وهذا المسكون عريان، حقاً إن هذا هو المسيح والبرد يؤلمه». وإنه وثب بقلب شجاع وتعرى من الثوب الذي كان يلبسه وأعطاه لذلك

المسكين، ثم جلس عرياناً والإنجيل في يده. واتفق أن كان البرخس أي المحتسب^(٤٣) محتازاً. فلما أبصره عرياناً قال له: «يا أبا سرabyون من عرّاك؟» فأشار إلى الإنجيل وقال: «هذا هو الذي عرّاني». وبعد أن كَسَوَه قام من هناك، فوجد إنساناً عليه دِين وهو مُعتقل من صاحب الدين. وحيث لم يكن لديه شيء يوفيه عنه، باع الإنجيل ودفع ثمنه للدائن. ولما كان ماشياً قابله في الطريق إنسانٌ يستعطي، فأعطاه الثوب وجاء عرياناً. فدخل قلاليته، فلما أبصره تلميذه هكذا قال له: «يا معلم أين الثوب الذي كنتَ تلبسه؟» أجابه قائلاً: «لقد قدمته يا ولدي قدامنا حيث نحتاجه». فقال له أيضاً: «وأين إنحيلك يا أبناه الذي كنا نتعزى به؟» قال له: «يا ولدي لقد كان يقول لي كل يوم: بع كل ما لك وأعطيه للمساكين». (س: ٥١٧٤ ج) (Sys. VI 6)

٢٥٥ — كان بمصر إنسانٌ وله ولدٌ مقعدٌ، فحمله إلى أبا سرabyون^(٤٤) وتركه عند باب قلاليته وابتعد عنه قليلاً متربقاً. فبكى الولد، فلما سمع الشيخ صوت بكائه خرج وقال له: «من جاء بك إلى هنا؟» فقال له: «أبي». قال له: «وأين هو؟» قال: «تركتني ومضى». فقال له: «قم اجرِ الحق به». فقام وجرى ولحقه، فأخذه أبوه إلى منزله وهو يمجد الله. (س: ٥١٧٤ ظ) (Abc. Macarius 15)

٢٥٦ — وحدث أيضاً أن كان لإنسانٍ ولد، ومات هذا الولد، فأخذه إلى الشيخ ووضعه قدامه على وجهه، وضرب مطانية وتراجع قليلاً، ولم يعرف الشيخ أن الصبي ميتٌ، وظن أنه ساجدٌ له، وانتظر ليقوم فلم يقم. فقال له: «قم يا ولدي الربُّ يبارك

^{٤٣} المحتسب: مأمور من الحاكم لضبط الموازين (المجحد في اللغة). وربما تكون كلمة البرخس من الكلمة القبطية **πατρίκη**، معنى الرئيس أو الحاكم.

^{٤٤} تأتي في النص اليوناني: أبا مكاريوس الكبير.

عليك». فقام الصبي حيًّا، فأخذه أبوه وعاد إلى بيته شاكراً الله ولقديسية. (س٥: ١٧٤)

(Abc. Sisoes 18)

٢٥٧ - وحدث مرأة أن أتوا بإنسان إلى الكنيسة وكان قد اعتراه جنونٌ (بروح نفس) وصلوا عليه فلم يخرج لأنه كان صعباً. فقال الكهنة: «ما الذي نعمله بهذا الروح لأنه لا يستطيع أحدٌ منا أن يُخرجه إلا الأنبا سرابيون. وإن نحن أعلمناه وسألناه، امتنع عن الجيء إلى الكنيسة. فلنجعل هذا الرجل المعدب راقداً في الموضع الذي يقف فيه ليصلني، فعند دخوله نقول له يا أننا سرابيون أيقظ هذا الرجل الراقد في البيعة». ففعلوا كذلك. إذ أنه لما دخل الشيخ ووقفوا للصلوة، قالوا له: «أيها الشيخ: أيقظ هذا الرجل الراقد». فقال له: «قم». وللوقت نمض معافٌ بكلمة الشيخ. (س٤: ٥٨) (ظ)

(5)

مختصر

أنبا أنوب وأنبا بيمين وإخوهما

٢٥٨ - قيل إنهم كانوا سبعة إخوةٍ من بطنٍ واحدٍ. وصار الجميع رهباناً بالإسقيط. فلما جاء البربر وخرّبوا الإسقيط في أول دفعة، انتقلوا من هناك وأتوا إلى موضع آخر يُدعى ترنوقيس. فمكثوا هناك في بربا للأصنام أيامًا قلائل. وحينئذ قال أنبا أنوب لأنبا بيمين: «لنسكت جميعنا كلٌّ من ناحيته، ولا يكلم أحدنا الآخر البتة وذلك لمدة أسبوع». فأجابه أنبا بيمين: «لنصنع كما أمرت»، ففعلوا كلُّهم كذلك. وكان في ذلك البيت صنمٌ من حجرٍ، فكان أنبا أنوب يقوم في الغداة ويردم وجه الصنم بالتراب، وعند المساء يقول للصنم: «اغفر لي». وهكذا كان يفعل طول الأسبوع. فلما انقضى الأسبوع قال أنبا بيمين لأنبا أنوب: «لقد رأيْتُك يا أخي خلال هذا الأسبوع تقوم بالغداة وتردم وجه الصنم، وعند المساء تقول له: اغفر لي. أهكذا يفعل الرهبان؟» فأجاب أنبا أنوب: «لما رأيتُموي وقد ردمت وجهه، هل غضب؟»؟ قال: «لا». فقال:

«ولما تبَتْ إِلَيْهِ هَلْ قَالَ: لَا أَغْفِرُ لَكَ؟ قَالَ: «لَا». فَقَالَ أَنْبَأَ أَنُوبَ لِإِخْوَتِهِ: «هَا نَحْنُ سَبْعَةٌ إِخْوَةٌ، إِنْ أَرْدَمْتُ أَنْ يَسْكُنَ بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ فَلَنْصِرْ مُثْلَ هَذَا الصِّنْمَ الَّذِي لَا يَبْلِي بِمَجْدٍ أَوْ هُوَانٌ، وَإِنْ لَمْ تُؤْثِرُوا أَنْ تَكُونُوا هَكُذَا فَهَا هِيَ أَرْبَعَةُ طَرَقٌ أَمَامَكُمْ، وَلِيَذْهَبْ كُلُّ وَاحِدٍ حِيثِمَا شَاءَ». فَأَجَابَهُ إِخْوَتِهِ: «نَحْنُ اللَّهُ وَلَكُ، وَنَحْنُ مُطَبِّعُونَ لِمَا تَشَاءَ». فَاخْتَارُوا أَحَدَهُمْ لِيَهُمْ بِالْمَايَدَةِ، وَكُلُّ مَا كَانَ يَقْدِمُهُ لَهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَهُ، وَلَمْ يَقُلْ أَيُّ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ: «أَحْضَرْ شَيْئاً آخَرَ»، وَلَا قَالَ أَحَدُهُمْ: «لَا نَرِيدُ هَذَا أَوْ لَسْنَا نَشْتَهِي ذَاهِكَ». وَكَانَ أَنْبَأَ يَعْقُوبَ يَدِبْرُهُمْ فِي أَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ. أَمَّا أَنْبَأَ يَمِينَ فَقَدْ كَانَ مَعْلِمًا لَهُمْ فِي طَرِيقِ الْفَضْلِيَّةِ، وَهَكُذَا اجْتَازُوا أَيَّامَهُمْ بِسَلَامٍ، بِرَكَةِ صَلَوَاتِهِمْ تَكُونُ مَعْنَا، آمِينٌ. (س: ٥ : ٨٦)

(Abc. Anoub 1)

٢٥٩

من أقوال أَنْبَأَ بِرْ صَنْوُفِيوس (١)

٢٥٩ - سُؤال: «إِنِّي أَطْلَبُ إِلَيْكَ أَيْهَا الْأَبِ أَنْ تَعْطِينِي قَانُونًا أَتَدْبِرُ بِهِ فِي قِرَاءَةِ الْمَزَامِيرِ وَفِي الصُّومِ وَفِي الصَّلَاةِ، وَأَخْبَرْنِي إِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْأَيَّامُ مُخْتَلِفَةً مُتَفَاوِتَةً».

الجواب: اتَرَكْ يَا ابْنِي قَوَانِينَ النَّاسِ وَاسْتَمِعْ لِقُولِ الرَّبِّ: «إِنَّ الَّذِي يَصِيرُ إِلَى التَّمَامِ يَخْلُصُ»، لَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلإِنْسَانِ صَبَرٌ طَوِيلٌ فَلَا يَدْخُلُ إِلَى الْحَيَاةِ، لَأَنَّهُ بِأَحْزَانٍ كَثِيرَةٍ نَدْخُلُ الْمَلَكُوتَ، كَقُولِ الرَّسُولِ. فَلَا تَطْلُبْ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ قَانُونَ، لَأَنِّي لَسْتُ أُرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ نَامُوسٍ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ، لَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «إِنَّ النَّامُوسَ لَمْ يُوَضِّعْ لِلْقَدِيسِينَ». تَمْسِكُ بِالْإِفْرَازِ وَكَمِثْلِ نُوْتِيْ حَكِيمِ دِبْرِ سَفِينَتِكَ مُقَابِلَ الْرِّيَاحِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَا تَبَالِ، لَأَنَّ الْجَسَدَ إِذَا مَرِضَ لَا يَقْبِلُ الطَّعَامَ كَعَادَتِهِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكُذَا فَقَدْ بَطَّلَ الْقَانُونُ. أَمَّا عَنِ الْأَيَّامِ فَلَتَكُنْ عَنْدَكَ كُلُّهَا مُتَسَاوِيَّةً مُقَدَّسَةً، وَكُلُّ شَيْءٍ تَفْعَلْهُ فَلِيَكُنْ بِفَهْمِ، وَجَاهَدَ لِتَقْطُعِ عَنْكَ الغَضَبَ، لَأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى جَهَادٍ مَعَ مَعْوِنَةِ اللَّهِ. (س: ٥ : ٦٣) (Bar. Let. 23)

٢٦٠ - من قوله بخصوص طول الروح: احلب لبنا فسوف يصير سناً، فإذا ضغطت بيديك على الضرع أخرج دماً. وأيضاً قال الرسول: «صرت مع الكل مثل الكل لأربح الكل» (Bar. Let. 25). هذه هي طريق المسيح لأنه بكل وداعه وسكون جاء ليخلص الناس. فلا يقارع الإنسان فكرة قريبه. إذا لم يكن الإنسان جلداً صبوراً فلن يستطيع أن يكون مع الناس في هدوء وسلام. اتعب لتقني الصبر، لأنه مكتوب هكذا بصيركم تقتلون أنفسكم (Bar. Let. 26) (س:٥ ج:٦٣)

٢٦١ - سؤال: «هل ينبغي لي أن أضع لنفسي حدّاً أن لا أخرج إلى موضع؟»
الجواب: «لا تربط نفسك تحت أمر ما، حتى إن اضطررت للخروج بدون حزن أو ارتباك أفكار، بل في كل شيء اقتن لك صيراً». (س:٥ ج:٦٣ ظ) (Bar. Let. 28)

٢٦٢ - ومن قوله في الصبر: لماذا تصصر نفسك في الأحزان مثل إنسان جسدي؟ لم تعلم أن الأحزان موضوعة للقديسين؟ لم تسمع أن كثيرة هي أحزان الصديقين ومن جميعها يخلصهم رب؟ لم تعلم أن الصديق يمتحن بالأحزان كما يمتحن الذهب بالنار؟ فإن كنا صديقين فبالأحزان تختبر، وإن كنا خطأة فبالأحزان نؤدب (Bar. Let. 31). لا تم يا أخي لولا يفاجئك الصوت القائل: «هو ذا الختن قد أقبل، آخر حن للقاء». فكيف تقول إنك مشغول وهو قد صيرك بلا هم. لن يتطرق الزمان حتى تنوح على خطابيك، فإنك قد سمعت أنه سوف يُعلق الباب، فأسرع لثلا تبقى خارجاً مع الجاهلات. انتقل بفكرك من هذا العالم البطل إلى العتيد. اترك الأرضيات واطلب السماويات. دع الباليات واتخذ الباقيات. مُت بالكمال لكي ما تحيا بالتمام بيسوع المسيح ربنا، الذي له الجد الدائم إلى الأبد، آمين. (Bar. Let. 37) (س:٥ ج:٦٣ ظ)

٢٦٣ - سؤال: «كيف يمكنني أن أجيب أفكاري وليس لدي قوة؟»

الجواب: لأنك تدين أخاك، لهذا تنقطع عنك قوةُ الروح القدس، فتعثر بأخيك وأنت سبب العثرة. إن كنت متأكداً أن الله حاضرٌ وناظرٌ لكلّ شيءٍ، فلماذا تبغض أخاك؟ أوضح اللهُ أفكارَك، وقل إن الله يعرفُ ما فيه الخير، وبذلك تستريح، وشيئاً فشيئاً تأتيك قوّةٌ تستطيعُ بها أن تحتملَ كلّ ما يأتيك. كلّ من لا يتحمل الشتيمةَ فلن يصرَ المجد، وكلّ من لا يترك الغضبَ فلن يتذوقَ الحلاوةَ. فاحرص بكلّ قوّتك على أن تكونَ غريباً عن الغضبِ، ولتكن قدوةً ومثالاً لمنفعةِ الكلّ ولا تدين أحداً كما لا تحكم على أحدٍ.

(س: ٥ ظ: ٦٣)

٢٦٤ — سؤال: «كيف يستطيع إنسانٌ خاطئٌ أن يتغىّبَ في كلّ حين؟»؟

الجواب: لقد طلبتُ من اللهِ أن يعرفَني جوابَ سؤالك، فقال لي: «طهّر قلبك من كلّ أفكارِ الإنسانِ العتيق وأنا أحبيك إلى سؤالِ قلبك، لأنّ مواهبي إنما تكون في الأطهارِ وهمُ ثعْطَى، وما دام قلبك يتحرّك بالغضبِ وباللحدَدِ وبسائرِ الأوجاعِ العتيقة، فلن تدخلَ فيه الحكمةُ. إن كنتَ تشتهي أن تناول نعمتي ومواهبي فأخرجِ رَحْلَ العدوِ (أيِّ امتعته وأدواته) وأبْعِدْه عنك، ومواهبي منها وبها تأتي إليك. لم تسمع أن عبداً لا يقدرُ أن يخدمَ ربّين؟ فإن كنتَ عبدي فلا تخدم الشيطانَ، وإن خدمته فلا تظنَّ أنك خدمتني. فمن يشتفق إلى مواهبي فليقتفي آثارِي، لأنّ مثل الحمل الذي لا شرّ فيه قبلتُ الأوجاعَ كلّها ولم أكلم أحداً فيهم بشّرٌ. ومع أنّ أوصيكم بأن تكونوا ودعاءَ مثل الحمام، إذ بي أجحدكم وقد اخْذتم لأنفسكم قساوةَ الأوجاع. فانظروا لثلا أقول لكم: امضوا إلى سعيرِ نارِكم التي أضرمتُوها». وعندما سمعتُ ذلك صرّتُ أبكي ليتحننَّ عليَّ كصلاحِه، ولينجيّني من شرِّ الإنسانِ العتيق ويلعّني إلى الإنسانِ الجديدِ لكي ما أقبلَ كلّ ما يأتيَ عليَّ بشكرٍ. فصلٌّ من أجلِي كي أهربَ من تزكيةِ نفسِي. (س: ٦٤ ج) (Bar. Let. 68)

٢٦٥ - عظة: إِنْسَانٌ ساکتٌ يَجْبُ عَلَيْهِ أَلَا يَحْسَبَ نَفْسَهُ شَيْئًا، بل عليه أن يلومها دائمًا. إن زَلَقَ الْجَاهِلُ فِي كَلَامِهِ فَلَهُ عَذْرٌ مِنَ الْكُلِّ، لَأَنَّهُ سَفِيهٌ لَا يَدْرِي مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ.
ولكن إن زَلَقَ الْحَكِيمُ فَلَيْسَ لَهُ عَذْرٌ، لَأَنَّهُ حَكِيمٌ وَمِعْرَفَةٌ يَتَكَلَّمُ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَخْطَأَ وَاحِدًا
مِنَ الْعَالَمِينَ كَانَ لَهُ عَذْرٌ لَأَنَّهُ يَخَالِطُ الْكَثِيرِينَ فِي الْعَالَمِ، فَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ يُظَنُّ بَنَا أَنَّنَا رَهْبَانٌ
أَصْحَابُ سَكُوتٍ وَمَعْلُومُونَ، فَأَيُّ عَذْرٍ لَنَا. إِنْ كَنْتَ تَرِيدُ السُّلُوكَ فِي طَرِيقِ اللَّهِ فَلَيْكَنْ
عِنْدَكَ الَّذِينَ يَضْرِبُونَكَ مِثْلَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَكْرِمُونَكَ، وَمَهِينُوكَ مِثْلَ مَادِحِيكَ، وَالْمُفْتَرُونَ
عَلَيْكَ مِثْلَ مَبَارِكِيكَ، وَمَحْزُونُوكَ مِثْلَ مَفْرِحِيكَ. وَإِنْ عَرَضْتَ لِلإخْرَوَةِ إِمَّا مِنْ نَسْيَانٍ أَوْ مِنْ
سَهْرٍ فَلَمْ يَعْمَلُوكَ بِمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلُوكَ بِهِ مِنَ الْجَمِيلِ، قُلْ: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ
لَكَانُوا قَدْ فَعَلُوهُ بِي»، وَإِنْ هُمْ أَتَوْكَ فَاقْبِلُهُمْ بِسَرُورٍ وَقُلْ: «إِنِّي غَيْرُ مُسْتَحْقٌ»، وَدَعْ عَنْكَ
تَرْكِيَّةَ نَفْسِكَ، أَمَّا إِنْ كَنْتَ تَقُولُ إِنَّكَ حَسَنًا قَلْتَ وَحَسَنًا فَهَمْتَ، فَلَا حَسَنًا قَلْتَ وَلَا
حَسَنًا فَهَمْتَ. (س:٥ ظ:٦٤) (Bar. Let. 69)

٢٦٦ - وبخصوص الغلبة على الشيطان قال: «إِنَّنَا نَحْنُ اتَّضَعْنَا إِنَّ رَبَّنَا يَطْرُدُ عَنَّا
الشَّيْطَانَ، لَذَلِكَ يَجْبُ عَلَيْنَا أَنْ نَلُومَ أَنفُسَنَا فِي كُلِّ حِينٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَأَنَّ هَذِهِ هِيَ
الْغَلَبةُ». (س:٥ ظ:٦٤) (Bar. Let. 70)

٢٦٧ - ومن أجل الثلاث فضائل الكبار قال: «قَالَ الْآبَاءُ إِنَّ الْفَضَائِلَ الْثَلَاثَ
الْآتِيَّةَ جَلِيلَةً جَدًّا وَمَنْ يَقْتِنُهَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَسْكُنَ فِي وَسْطِ النَّاسِ وَفِي الْبَرَارِي وَحِينَما
أَرَادَ، وَهِيَ: أَنْ يَلُومَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَيَقْطَعَ هُوَاهُ، وَيَسِيرَ تَحْتَ كُلِّ الْخَلِيقَةِ. فَالْمُتَضَعُ كَائِنٌ
فِي أَسْفَلِ، وَالَّذِي هُوَ فِي أَسْفَلِ فَلَنْ يَقْعُدُ، وَمَنْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمُتَعَالِي هُوَ الَّذِي يَسْقُطُ
بِسَرْعَةٍ». (س:٥ ظ:٧٠) (Bar. Let. 70)

٢٦٨ - سؤال: «كَيْفَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقْضِي يَوْمِي؟»

الجواب: أقرأ في المزامير قليلاً واحفظ قليلاً، وفتّش أفكارك قليلاً ولا تجعل ذائقك تحت رباط قانون، ولكن اعمل بقدر ما قوّاك الله على فعله، ولا ترك تلاوة المزامير والقراءة قليلاً هكذا، وبذلك يمكنك أن تقضي يومك بمرضاة الله، لأن آباءنا لم يكن لهم قوانين لساعاتٍ، بل كانوا يجتازون النهار كله: في القراءة وقتاً، وفي تلاوة المزامير وقتاً، وفي تعلم حاجات طعامهم وقتاً آخر، وهكذا. (س: ٥ ج: ٦٥) (Bar. Let. 86)

٢٦٩ - سؤال: «كيف يمكن للإنسان أن يفتّش أفكاره لينجو من السوء؟»؟

الجواب: تفتيش الأفكار هو هكذا: إذا أتاك فكرٌ فانظر أيّ شيء يلد. ولكي أقرب لك المعنى أسوق إليك مثلاً: إذا اتفق وشتمك إنسان، وأتاك الفكرُ أن ترده عليه، قل لفكيرك إن أنا ردتُ عليه أحزنته وأعثرته، فلأصبر أنا قليلاً والأمر يجوز بسلام. كذلك إن كنتَ واحداً على إنسان أو في داخلك فكرٌ بالشرٌ من ناحية إنسان، فقل ما يأتي: «إن الذي يفكر بالشر يعاقبه الله». وللحال يكفُ الفكرُ الرديء. وفي الوقت الذي يعرض لك فيه الفكرُ فتنته واقطعه عنك. أما بخصوص الشهوة فإنها تحتاج انتباهاً كثيراً، كما قال الآباء: «إن أنت وحدت عقلك محارباً في الزنى فجئ به إلى القدسية، وإن حورب في الحنجرة فجئ به إلى الإمساك، وإن حورب في البغضة فجئ به إلى المحبة، وبذلك تصبح على الدوام في يقظةٍ وحذرٍ ونجاة». (س: ٥ ج: ٦٥) (Bar. Let. 87)

٢٧٠ - سؤال: «قل لي يا أبي عن الصلاة الدائمة، ما هو حدُّها؟ وهل ينبغي لي أن آخذ قانوناً إزاءها؟»؟

الجواب: افرح بالربّ يا أخي، افرح بالربّ يا حبيبي، افرح بالربّ أيها الوارث معي. إن الصلاة الدائمة تكون للذين قد كملوا وبلغوا حدّ انعدام الأوجاع عنهم. لأنهم إذا بلغوا ذلك عرفوها، لأن الروح يعرفهم كلّ شيء. إذ يقول الرسول: «إننا لا نعرف

كيف نصلِي كما ينبعِي، ولكنَّ الروحَ يطلب من أحْلَنا بِتَنْهِدِ لَا يُنْطِقُ بِهِ». وماذا ينفعك إن وصفتُ لك مدينة رومية وأنت لم تدخلها بعد؟ إنَّ الإِنْسَانَ الساکتَ خاصَّةً يستمرُ وليس عليه قانون، ولكنَّ كُنَّ مثُلَّ إِنْسَانٍ يجُوعُ ويأكلُ ما يَلْذُ لَهُ، فإذا جاءَتْكَ شهوةُ القراءةِ وأحسستَ تخشُعاً في قلبك فاقرأ ما أمكنك. كذلك في تلاوةِ المزامير افْعُل هكذا وتمسّك بالشُّكْرِ وقل: «يا إلهي ارحمني». تقوَّ ولا تفزع، لأنَّ موهبَ اللَّهِ ليس فيها رجعة (Bar. Let. 88). اترك عنك من اليومِ الاهتمامَ، لأنَّكَ بعدمِ اهتمامك بشيءٍ من الأشياء تصيرُ قريباً من اللَّهِ ومن مدينةِ القديسين. وإذا لم تحسِبْ نفسَكَ شيئاً، صيرِكَ ذلكَ أهلاً للسُّكُنِي في مدينةِ الأَبْكَارِ، وإذا متَّ عن كُلِّ إِنْسَانٍ، صيرِكَ ذلكَ مُتَحْداً باللَّهِ. وكلَّما أطْفَأْتَ حرارةَ الغضبِ ساعدَ ذلكَ على دوامِ سلامِتك. (س: ٥٦ ظ)

٥٤٦

القديس أمونيوس الأسف

٢٧١ — طلب منه أحدُ الإخوةِ أن يقولَ لهَ كَلْمَةً، فقالَ الشَّيخُ: «امضِ وتمثُّلْ فِي كِرِكِ دائمًا فَعْلَةَ الشَّرِّ الَّذِينَ فِي السُّجُونِ، فَإِنْهُمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يَسْأَلُونَ عَنِ الْوَالِيِّ وَأَيْنَ هُوَ وَمَنْ يَحْيِيُّهُ، وَمَنْ يَجْلِسُ لِلْحُكْمِ؟ وَمَنْ شَدَّ فَزْعَهُمْ يَكُونُ. هَكَذَا سَبِيلُ الرَّاهِبِ أَنْ يَنْظَرَ دَائِمًا إِلَى نَفْسِهِ وَيُؤْكِلَهَا قَائِلًا: وَيَحْيِي، كَيْفَ أَقْفُّ أَمَامَ مَنِيرَ الْمَسِيحِ؟ وَكَيْفَ أَسْتَطِعُ أَنْ أَجْيِبَهُ؟ فَإِنْ كَانَ يَتَلَوُ ذَلِكَ دَائِمًا فَإِنَّهُ يَسْتَطِعُ أَنْ يَخْلُصَ». (س: ٦٦ ج) (Abc. Ammonas 1)

٢٧٢ — وجاءَ عنهُ أَنَّهُ مَضَى مَرَّةً إِلَى القديسِ أنطونيوسِ فَضَلَّ الطَّرِيقَ، فَصَلَّى إِلَى اللَّهِ قَائِلًا: «أَسْأَلُكَ يَا رَبِّي وَإِلَهِي أَنْ لَا تُهْلِكْ جُبْلَتَكَ»، فَظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ شَعَاعٌ مُمْتَدٌ وَصَارَ يَرْشُدُهُ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَغَارَةِ القديسِ أنطونيوسِ (Abc. Ammonas 7). فقالَ لَهُ أنطونيوسُ: «إِنَّكَ تَنْجُحُ بِمُخَافَاتِ اللَّهِ». وَأَخْرَجَهُ خَارِجَ الْقَلَابِيَّةِ وَأَرَاهُ صَخْرَةً

عظيمة وقال له: «اشتم هذه الصخرة واضربها». فصنع كما أمره. فقال له أنطونيوس: «هل تكلمت الصخرة؟» قال: «لا». فقال له: «إنك تستطيع أن تكون هكذا فتخلص». (س: ٥٦ ج) (Abc. Ammonas 8a)

٢٧٣ - ودفعه أتاه أناسٌ يريدون أن يتحكموا بحكمته، وكان الشيخ يجعل نفسه جاهلاً. فوافت امرأة ونظرت إليه وقالت: «إن هذا الشيخ موسوس^{٤٠}»، فلما سمعها قال لها: «أتعلمين مقدار التعب الذي كابدته في البرية حتى اقتنيت هذا الوساوس؟» قالت: «لا». قال: «لقد تعبدت خمسين سنة لأجله، فهل أفقده من أجلك في هذه الساعة؟»، وإذا قال ذلك تركها في القلابة وترك الأسقفية ومضى. (س: ٥٦ ج) (Abc. Ammonas 9)

٢٧٤ - سُئل دفعه: «ما هي الطريق الضيقة الكريبة؟» أجاب: «إن الطريق الضيقة الكريبة هي هذه: أن يراقب الإنسان فكره ويقطع بوجهه خاصٌ هواء، وهذا هو ما يقصد بذلك القول: قد تركنا كل شيء وتعناك». (س: ٥٦ ظ) (Abc. Ammonas 11)

٥٤

القديس أخيلاس

٢٧٥ - جاء عن هذا الأب القديس أنه جاء إليه ثلاثة شيوخ، وكان أحدهم سبعين السيرة، فطلب الأول من الشيخ أن يصنع له شبكة، فلم يُجبه إلى طلبه. وسأله الآخر أن يصنع مجنة و يجعل لنفسه في ديرهم تذكاراً بشبكة يصنعها لهم، فوعده عندما يتفرغ يعملاها. ولما تقدم إليه الثالث ذو السمعة السيئة وطلب منه أن يصنع له شبكة ليكون له شيء من عمل يديه، أجابه إلى طلبه في الحال. فسأله الاثنين الأولان في خلوة وقال له: «كيف إننا لما طلبنا إليك نحن الاثنين لم تُجبنا إلى طلبنا، أما ذاك فأجبته لوقته وقلت له

^{٤٠} تأتي في النص اليوناني σάλος و معناها مهزوز أو غير ثابت.

نعم»؟ أجاهم الشيخ: «لقد قلتُ لكما: لا، لأنَّ عالَمَ أنكما لا تغتَمَان. ثم إنِّي في الحقيقة لم أكن وقتئذ متفرِّغاً لذلك، أما ذاك فلو أني قلتُ له: لستُ متفرِّغاً لإجابة طلبك، لقال في نفسه: إنَّ الشِّيخَ قد سمع بخطيئتي، ولأجل ذلك لم يُجْبِنِي إلى طبلي. فيحزن وينقطع رجاؤه. ففعلتُ معه هكذا كي لا يهلك في الحزنِ واليأس». (س: ٥ ظ) (Abc. Akhila 1)

٢٧٦ — ودفعَةً جاءَه أحدُ الشِّيوخِ، فوجده قد طرحَ من فمه دمًا، فسألَه: «ما هذا يا أبْتاه»؟ فأجاهم الشيخ: «إنَّ هذه الكلمةُ أخْرَى أحزنتِي، فجاهدتُّ وطلبتُ من اللهِ أن يرفعها عني، فصارت الكلمةُ دمًا في فمي، فبصقتُ واسترحتُ منها ونسيتُ حزَّها». (س: ٥ ظ) (Abc. Akhila 4)

٢٧٧ — وقال عنه أبْنَا أَمُوناس: إِنِّي ماضِيٌّ إِلَيْهِ أَنَا وَأَبْنَا سِيمِيوس^(٤٦)، فسمعناه يرددُ هذا الكلامَ قائلاً: «لَا تَحْفَ يا يعقوبَ من التَّرْوِيلِ إِلَى مصر». فلما كرَرَ هذا القولَ مراراً كثيرةً قرعنَا البابَ ففتحَ لنا وقال: «مَنْ أَيْنَ أَنْتُمَا»؟ فخشينا أن نقولَ إنَّا من القلالي، فقلنا له: «إِنَّا مِنْ جَبَلِ نَطْرِيَا». فقال: «مَاذَا أَصْنَعُ وَقَدْ جَهَّتَمَا مِنْ نَاحِيَةِ بَعِيدَةٍ». فدخلَ بنا فوجدناه قد عملَ في اللَّيْلِ ضَفَائِرَ كثِيرَةً. فسألَناه كَلْمَةً، فأجاهمناه قائلاً: «إِنِّي مِنْ الْبَارِحةِ حَتَّى هَذِهِ السَّاعَةِ قَدْ ضَفَرْتُ عَشْرِينَ باعَةً. وَصَدَّقُونِي إِنِّي لَسْتُ فِي احْتِياجٍ إِلَى كُلِّ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقُولَ لِي الرَّبُّ: لَمَذَا لَا تَعْمَلُ مَا دَمْتَ تَقوِيُّ عَلَى الْعَمَلِ؟ مَنْ أَجْلِي ذَلِكَ أَتَعْبُ بِكُلِّ قُوَّتِي». فانتفعنا وانصرفنا. (س: ٥ ظ) (Abc. Akhila 5)

٥٦

^{٤٦} تأتي في النسخة العربية المطبوعة عام ١٩٥١ وفي مخطوط س ٤، س: ٥: أبْنَا سِيمِيوس، ولكنها ترد أبْنَا سِيمِيوس في المخطوطة س ٦ وفي النص اليوناني.

٢٧٨ - زار أحد الإخوة الأب سلوانس في جبل سينا، فلما رأى الإخوة منكبيين على العمل، قال للشيخ: «لا تعمروا للطعام البائد أيها الأب، لأن مريم اختارت لها الحظ الصالح». فقال الشيخ ل聆ميده: «أعط الأخ مصحفاً (أي إنجيلاً) وأدخله في قلادة فارغة»، ففعل. فلما حانت ساعة الأكل بقي الأخ متضرراً على الباب متربقاً وصولاً من يسألة المحبة إلى المائدة. فلما لم يدعه أحد، نهض وجاء إلى الشيخ وقال له: «أما أكل الإخوة اليوم يا أباانا؟ فأجابه: «نعم». فقال له: «ولماذا لم تدعني للأكل معهم؟»؟ فأجابه الشيخ: «ذلك لأنك رجل روحاني، لست في حاجة إلى طعام، وأما نحن فجسديون نحتاج إلى طعام ولذلك غارس الأعمال. أما أنت فقد اخترت النصيب الصالح، تقرأ النهار كله، ولا تحتاج إلى أن تأكل طعاماً». فلما سمع الأخ هذا الكلام خر ساجداً وقال: «اغفر لي يا أباانا». فأجابه الشيخ: «لا شك أن مريم تحتاج إلى مرثا، لأن مريم بمرثا مُدحت».

(Abc. Silvanus 5: ٦٧ ج) (5: ٦٧ ج)

٢٧٩ - وحدث في بعض الأوقات أن سُئل الأب سلوانس: «أي سبيل سلكت حتى حصلت على هذه الحكمة؟» فأجاب وقال: «إني ما تركت في قلبي قط فكراً يغضب الله». (Bu. II, 488) (5: ٦٧ ظ)

٥٤٥

الراهب وعمل اليدين

٢٨٠ - سُئل أحد الشيوخ: «أي الوصايا يقتنيها الإنسان حتى يستطيع بواسطتها الخلاص؟»؟ أجاب وقال: «إنما أربع فضائل يلزم للإنسان اكتناؤها: الصوم، الطلبة إلى الله، العمل بيديه، عفة جسمه. فالشيطان يعمل ضد هذه الأربع، فإنه أخرج آدم من

الفردوس أولاً إذ خدعاه بالماكلا، وأضلُّه ثانياً بالهرب فلم يدعه يطلب من الله غفران خطيبته، كذلك احتال عليه بواسطة البطالة لما طرد من الفردوس، فرماه في كثرة الشبَق^{٤٧} والتهور باللذة، حتى صيره أسيراً بالكلية. فلعلم السيد محب البشر بسوء أعمال المحتال، أعطى آدم عملاً يشتغل به حتى لا يتسلط عليه المحتال بواسطة البطالة والفراغ، قائلاً له: أعمل الأرض. لذلك يعمل الشيطان على إبطال الصوم لأن به يتذلل الجسد ويتطاير العقل ويستثير، كما يحرض على إبطال الصلاة لأن بها يدنو الإنسان من الله، كما أنه يعمل كذلك على إبطال العمل لأن العمل يمنع شرور المحتال ويعين على حفظ العفة التي بها يتَّحد الإنسان بالله. فإذا أحكم الإنسان اقتناءً وممارسةً هذه الأربع فضائل، أمكنه بواسطتها الحصول على باقي الفضائل». (س ٥: ٦٧ ظ) (Guy, 29, p.415)

٢٨١ – قال أحد الآباء: «اهتم بعمل يديك ومارسه إن أمكنك ليلاً ونهاراً، لكي لا تشقّل على أحدٍ، وحتى يكون لك ما تعطي المسكين، حسب ما يأمر به الرسول، ولكي ما تصرع شيطان الضجر، وتُزيل من نفسك بقية الشهوات، لأن شيطان الضجر منكبٌ على البطالة وهو في الشهوات كامنٌ». (س ٥: ٦٧ ظ)

٢٨٢ – قال القديس نيلوس: «إن البطالة هي مصدر رداءة الأعمال، لا سيما من أولئك الذين قد عدموا الأب. لأن اليهود لما لم يكن لهم في البرية عملٌ يستغلون به، خرجو من البطالة إلى عبادة الأوثان. فعلينا ألا نفارق عمل اليدين، لأنه نافع جداً ومهذبٌ». (س ٥: ٦٨ ج)

٢٨٣ – وقال أيضاً: إن إنساناً كسلاناً بلغني عنه أنه أخذ من خزاناته الإنجيل من الساعة السابعة إلى غياب الشمس، ولم يستطع أن يفتحه البتة، وكأنه كان مربوطاً

^{٤٧} الشبَق أي اشتداد الشهوة.

بالرصاصِ. أما أنطونيوس فإنه لم يفعل هكذا، بل عمل كما أراه الملائكة؛ فتارةً كان جالساً ولعمله ممارساً، وتارةً أخرى كان قائماً وللصلة ملازماً. فكان يؤدي ذلك، ولا يترك تلك. فحظي بنور فائق الحدّ حتى أنه قال لأحد فلاسفة زمانه: «إني كما في لوح أتأمل طبيعة المخلوقات دائماً، وذلك بتلاوة أقاويلَ الربِّ حتى ولو في ظلمة الليل الحالكة». بهذا المقدار فإنه كان يتصل بالله، فكان ليه نهاراً مضيناً، كما هو مكتوب: «إنَّ كلامَك سراجٌ منيرٌ، والليلُ يضيءُ مثل النهار». وقال أيضاً: «إن شئت أن تكون أعمالَ يديك إلهية لا أرضية، لتكون أثائها مشاعرةً بينك وبين المساكين». (س: ٥ ج: ٦٨)

٢٨٤ - قال مار أفرآم: «فالتحة العجرفة هي عدم مشاركة الراهب الإخوة في العمل حسب قدرته، وإذا ما جئنا إلى العمل فلا تُكثر الكلام بل ليكن اهتمامنا وتفكيرنا في المهدِ الذي من أجله خرجنا». (س: ٥ ج: ٦٨)

٢٨٥ - سأله القديس يوسف قائلاً: «ماذا أعمل فإنه لا يمكنني أن أتعب أو أعمل أو أتصدق»؟ فقال الشيخ: «إن لم يمكنك العمل فاحفظ قلبك ونیتك من كلّ ظنٍ سوء ب أخيك فتخلص، لأن الله يريد النفس ألا تكون خاطئة». (س: ٥ ج: ٦٨) (of Panephph 4 Abc. Joseph)

٢٨٦ - قال أحد القديسين: «إن الآباء قد سلموا إلينا هذه الطريق، وهي: أن نعمل بأيدينا، وأن نلزم الصمت، وأن نبكي على خطايانا». (س: ٥ ظ: ٦٨)

٢٨٧ - قال القديس مرقس: «لا تكن من القوم البطالين الذي يؤثرون الاغتساء من وجوه سمححة لا سيما من النساء، وإذ لك يدان فاعمل وكل، لأنك أوفق لك أن تتشغل بعمل اليدي من أن تصرع بأعمال الخطيئة. لأن العمال لا يقبل البطالة لغلا يسقط كمن يظن أنه منكب على عمل روحاني ولا يسير فيه كما ينبغي». (س: ٥ ظ: ٦٨)

٢٨٨ - أخبرنا يوحنا الخصي^(٤٨) أنه سُأله في شبابه شيئاً قائلاً: «كيف استطعتم أن تعملوا عملَ الله بنياًح، مع أننا لم نستطع أن نعملَ نحن حتى ولو بالتعب؟» فقال الشيخ: «نحن إنما أمكننا ذلك لأن عملَ الله كان رأسَ مالنا، وحاجة الجسد كانت في المرتبة الثانية، أما أنتم فحاجة الجسد عندكم هي رأسُ مالكم، وعملُ الله في المرتبة الثانية، من أجل ذلك فإنكم تكُلون وتُخَوِّرون، وبخصوص ذلك قال مخلصنا لتلاميذه: يا قليلي الإيمان اطلبوا أولاً ملکوتَ الله وبره، أما هذه الأشياء فتُزاد لكم» (Abc. John the Eunuch 1). فسأل الأخُ الشیعَ قائلاً: «زدِنِي إیضاًحا». فقال له: «ها أنت تسمع عنِي أني مريضٌ ويجب عليك افتقادِي، فتقول في نفسك: إذا ما فرغتُ من عملي أمضِي إليه وأفتقدِه، ويتفق أن يعوقك عائقٌ ما فلا تجيء إلي بالكلية، وبذلك تكون قد جعلتَ عملَ السيد الذي هو رأسُ المال وحياةُ النفس في المرتبة الثانية. كذلك ربما يطلب إليك أخ آخر قائلاً: تقدم يا أخي وساعدني في هذا الأمر. فتقول في نفسك: أترك عملي وأذهب معه؟ فتكسر وصيةَ المسيح التي تتعلق بالعمل الروحي، وتعكُّف على عملك الذي ينبغي أن تجعله في المرتبة الثانية». (س: ٦٨ ظ) (Abc. Theodore of Pherme 10,11, Pachomian Koinonia, ii p137)

٢٨٩ - سُأله أخُ الأب بيمين قائلاً: «قل لي كلمةً». فأجابه قائلاً: «واظِب على عمل يديك ما استطعت، وذلك لعمل منه صدقةً، لأنه مكتوبٌ: إن الرحمةَ تُظهرُ الخطايا». (س: ٦٩ ج) (Bu. II, 362)

٢٩٠ - قال الأب لوط: «الراهب الذي لا يمارس عملاً يُدان كإنسانٍ هُم مغتصب». (س: ٦٩ ج)

^{٤٨} تأتي يوحنا الخصي في مخطوط س ٥ وفي النص اليوناني، لكنها تأتي يوحنا الخادم في البستان المطبوع عام ١٩٥١ وفي مخطوط (س: ٤: ٦٢ ج).

٢٩١ - قال الأب بيمين: «ثلاثةُ أعمالي رأيناها للأب بمواء: صومُ إلى المساءِ كلَّ يومٍ، وصمتٌ دائمٌ، وعمل اليدين». (س: ٥ ج: ٦٩) (Abc. Poemen 150)

٢٩٢ - وقيل عن الأب بمواء أيضًا لما حضرته الوفاة، أن سأله الآباءُ قائلين: «قل لنا كلمةً». فقال: «إني منذ دخولي هذه البرية وبنائي القلاية وسكناي فيها، ما انقضى علىَ يومٍ واحدٍ بدونِ عمل، ولا أتذكر أني أكلتُ خبزًا من إنسانٍ، وإلى هذه الساعة ما ندمتُ على لفظٍ واحدٍ تلفظتُ به، وهو أنا منطلقٌ إلى الربِّ كأنني ما بدأتُ بشيءٍ يرضيه بعد». (س: ٥ ج: ٦٩) (Abc. Pampo 8)

٢٩٣ - وقال أحدُ الآباء: إذا قمتَ باكرَ كلَّ يومٍ، خاطب نفسك قائلًا: «يا نفسي استيقظي لترثي ملكَ السماءِ». ثم خاطب جسدك قائلًا: «وأنت يا جسمي اعمل لتفتدي». (س: ٥ ج: ٦٩) (An. 269)

٢٩٤ - سُئل أحدُ الآباء: «أيُّ شيءٍ يلزم من يريد الخلاصَ؟» وإذا كان الأب ملازمًا العمل لا يرفع رأسه عنه، أجاب: «هذا هو ما تراه». (س: ٤ ج: ٦٢) (Bu. II, 197)

٢٩٥ - قال الأب إشعيا: «اغصب نفسك على العملِ، وحوفُ اللهِ يحملُ عليك». (س: ٥ ج: ٦٩)

٢٩٦ - جاء أحدُ المتصوّفين إلى غديرٍ فيه قصب، فجلس هناك وصار يقطعُ من حشائش النهر ويضفرُ ويرمي الصفيحةَ في النهر لأنَّه لم يكن يعملُ لاحتياجٍ، بل لكي لا يكون بطلاً، فكان يتعب جسده، ولم يزل هكذا حتى قصدَه الناسُ، فلما رأهم تحولَ عن ذلك المكان. (س: ٥ ج: ٦٩) (Sys. II 32)

٢٩٧ - سأله شيخاً قائلًا: «إن اتفق لي تحصيل حاجاتي من حيثما اتفق، فهل يليقُ بي أن لا أعمل بيدي؟»؟ أجاب الشيَّخُ: «حتى ولو اتفق من حيثما اتفق، فلا تترك

العمل، اعمل بكل جهدك». (س:٥ ظ) (Bu. I, 332)

٢٩٨ - قال الأب لوقيوس: «أنا عبدٌ وسيدي قال لي: اعمل عملاً وأنا أعولك بالطريقة التي أراها؛ فإن أنا استجديتُ واقترضتُ، فليس هذا من شأنك، فقط اعمل أنت، وأنا أقوم بأَوْدك». (س:٥ ظ) (Abc. Silvanus 9)

٢٩٩ - جاء قومٌ إلى الأب شوشاي ليسمعوا منه قوله. فلم يخاطبهم بشيء ولم يزد عن: «اغفروا لي». ولما رأوا عنده زنابيل قالوا ل聆يده: «ماذا تعملون بهذه الزنابيل؟» قال لهم: «إن الشيخ يفرّقها هنا وهنالك». فلما سمع الشيخ قال: «إن شوشاي من هنا ومن هنالك يغتذى». فلما سمعوا ذلك انتفعوا جدًا. (س:٥ ظ) (Abc. Sisoes 16)

٣٠٠ - قال مار أفرآم: «إن أحد الإخوة قال: طلبتُ من الله أن يعطي عمل يدي نعمة كي أعول جميع من هم في الكنوبيون، لأنني بذلك أفرح». (س:٥ ظ)

٣٠١ - قال أحد القديسين: إذا باشرت عملاً في قلائك وحانت ساعة صلاتك، فلا تقل: «أفرغ من هذا القليل الذي بيدي وبعد ذلك أقوم»، بل بادر للوقت وأوفِ الصلاة الله في وقتها في كل حين، لئلا تعاد نفسك تدريجياً إهمال الصلاة. (س:٥ ظ)

٣٠٢ - قال قاسيانوس الرومي: إنه لأمرٌ فظيع وقبيح بنا أن يتعب العلمانيون وأن يعملوا ويعولوا أولاداً ونساءً، ويدفعوا خراجاً وضرية، ويحسنوا إلى فقراء ومحتجين حسب طاقتهم، ويحملوا إلى بيت الله باكورةٍ وقرابين، أما نحن فلا نقتني من أتعابنا حتى ولا حاجاتنا الازمة لنا، بل نحبس أيدينا داخل ثيابنا، ونستجدي أتعاب غيرنا، ولا نصغي إلى الرسول القائل: «إن هاتين اليدين قد خدمتا حاجاتي وحاجات الذين هم معني». وقوله: «إن ربّ أعطى الطوبى للمعطى أكثر من الآخذ». وقوله أيضاً: «نحن نوصيكم يا إخوتنا باسم ربّنا أن تتجنبوا كلّ أخٍ عديم النظام، لا يسلك حسب التقليد

الذى سلمناه لكم، لأننا ما أسانا إلى النظام بينكم، ولا أكلنا من أحدٍ خبزاً بجاناً، بل كنا نتعب وئكُدُّ عاملين ليلاً ونهاراً لثلا ثُقل على واحدٍ منكم. ليس لأنَّه لا سلطان لنا، بل لتعطِيكم أنفسَنا مثلاً، لأنَّ وقتَ أنْ كنْتُ عندكم، قد أوصيَتُكم بهذا: إنَّ من لا يشاء أنْ يعمل عملاً فلا يأكل، والآن فقد سمعنا أنَّ فيكم قوماً يسيرون بعدم نظامٍ ولا يمارسون عملاً. فنحن نوصي هؤلاء وننَهَاهم باسم ربنا يسوع المسيح أنَّ يعملاً عملاً بسكونٍ، ويأكلوا خبزَهُم». أسمعتم كيف أنَّ الرسولَ بمحكمةٍ يزيل عللَ الصَّلْفَ، ويدعو الذين لا يعملون عادميَّ النظام، وبهذا أرانا رذيلةَ كبرى شريرة، لأنَّ البطالَ غيرُ نافعٍ في أيِّ أمرٍ، وهو مهياً للغضبِ، وغيرُ موافقٍ للسكوتِ، وعبدٌ للضجرِ ومنغمَسٌ في الشهواتِ، كما أنه متهمٌ في أقوالهِ فاعلَ الرذائلَ الأخرىَ كلَّها. أما قوله: «أهُم لا يسلكون بحسب الوصية التي أخذوها منا»، فيقصد به أهُم متواتون ومتكيرون معاً، ومبطلون للوصايا. كذلك قوله: «لَمْ نَأْكُلْ مِنْكُمْ خبَزَ الْبَطَالَةِ»، فيؤنِّبُ به الذين لا يعملون بأهُم يأكلون خبزَ البطالةِ أيَّ أهُم يُعالون بغيرِ واجبٍ. ولذلك كان الآباءُ بإسقاطِ مصر لا يسمحون للرهبانَ لا سيما الشبانَ منهم بأنَّ يتفرَّغوا من عملٍ لا صيفاً ولا شتاءً حتى لا إلى لحظةٍ من الزمانِ، لأنَّ الذي يمارس العملَ يتعلَّصُ من الضجرِ ويتحصلُ على ما يقتاتُ به ويسعُفُ منه المحتاجين. (س: ٥ ظ: ٦٩)

٣٠٣ - قيل إنَّ أحدَ الرهبانِ كان يشتغلُ في عيدِ شهيد. فلما أبصره آخرٌ هكذا، قال له: «أبيجوز اليومَ العملُ؟ فأجابه: «إنَّ الشهيدَ فلاناً قد عذبَ في هذا اليوم، وجُلدَ وبحشَّ أتعاباً كثيرةً حتى الموتِ، لا ينبغي لي أنْ أتعبَ ولو قليلاً في عملِ يدي». (س: ٥ ظ: ٧٠)

٣٠٤ - قيل: إنه حضر إلى الأب لوقيوس رهباً من أولئك الذين يدعون مصلين، فسألهُم عن عملِ أيديهم، فقالوا له: «نحن لا نهتمُ بعملِ اليدينِ، إنما نهتمُ بالصلةِ الدائمةِ

كقولِ الرسول». فقال لهم الشِّيخُ: «أَمَا تَأْكِلُونَ وَتَنَامُونَ؟» قالوا: «نعم». فقال لهم: «إِذَا مَا جَلَسْتُمْ تَأْكِلُونَ أَوْ إِذَا نَعْمَلْتُمْ فَمَنْ يَصْلِي عَنْكُمْ؟» فلم يكن لهم ما يجبيونه به. فقال لهم: «اغفروا لي، فإن عملكم ليس كقولكم، لكنني أُرِيكُمْ كِيفَ إِنِّي أَمَارْسُ عَمَلَ يَدِي وأَصْلِي دَائِمًا. وَذَلِكَ بِأَنَّ أَجْلَسَ بَعْنَانَ اللَّهِ وَأَبْلَى خَوْصًا وَأَضْفَرَ الْمُضْفِرَةَ، وَأَقُولُ: ارْحَمْنِي يَا اللَّهِ كَعَظِيمِ رَحْمَتِكِ وَكَثْرَةِ رَأْفَاتِكِ امْحُ إِثْمِي. أَفَمَا يُعْتَبِرُ ذَلِكَ صَلَاتَةً؟» أَجَابُوهُ: «نعم». قال لهم: «وَإِذَا مَكَثْتُ هَكُذا طَوْلَ النَّهَارِ أَعْمَلُ وَأَصْلِي فَيَكُونُ لِي عَنِ الْعَمَلِ كُلُّ يَوْمٍ سَتَةُ عَشَرَ فَلْسًا، فَأَعْطِيُّ مِنْهَا عَلَى الْبَابِ فَلَسِينَ، وَأَكُلُّ بِالْبَاقِي. فَيَصْبِحُ آخِذُ الْفَلَسِينِ مَصْلِيًّا عَنِّي فِي وَقْتٍ أَكْلِي وَفِي وَقْتٍ نُومِي، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ تَكَمُّلُ لِي الصَّلَاةُ الدَّائِمَةُ كَأَمْرِ الرَّسُولِ. وَإِذَا أَمَارْسُ عَمَلِي فَبِذَلِكَ أَفْهَرُ شَيْطَانَ الْمَلَلِ وَالشَّهْوَةَ. لَأَنَّ الْمَلَلَ يُؤْدِي إِلَى الْبَطَالَةِ، وَالشَّهْوَةُ كَانَتُ فِي الْبَطَالَةِ. وَالطَّرِيقُ الَّتِي سَلَمَهَا لَنَا جَمَاعَةُ الْآبَاءِ هِيَ هَذِهِ: «إِنَّهُ يَلْزَمُنَا أَنْ نَشْتَغِلَ بِأَيْدِينَا وَنَصْوُمَ طَوْلَ النَّهَارِ، وَنَقْتِنَ صَمَتَ اللِّسَانَ، وَنَبْكِيَ عَلَى حَطَاطِيَانَا». (س: ٥ ظ: ٧٠) (Abc. Lucius 1)

هـ + تـ

الراهب والصلوة

٣٠٥ - وبخصوص الصلاة، قال القديس برسنوفيوس: «الصلوةُ الكاملةُ هي أن تخاطب الله بلا طياشةٍ عقلٍ ولا سحس العالم. لأن المصلي الكامل قد مات عن العالم. إن إمساك البطن هو أن تُقلل من شبعك قليلاً، وإن كان عليك قتالٌ فاترك قليلاً أكثر، أما إمساك العقل والقلب فهو أن يكون متيقظاً. لا تتهاون بأفكارك، وإذا قاتلك العدو بالفكرة فلا تلتفت إلى قتاله لأنه يريد بذلك أن يشغلك عن مخاطبة الله». (س: ٥ ج: ٧١) (Bar. Let. 151)

٣٠٦ - قال القديس أوغريس: «تعاشر عن ضروريات الجسد عند وقوفك

للصلوة، حتى ولو لدغك برغوثٌ أو بعوضة أو ذبابة أو أحدُ الهوام فلا تنشغل بها لثلا تخسر الربع العظيم الذي للصلوة. وقد حكى لنا آباءنا القديسون عن أحدهم كان الشيطان يحاربه إلى درجة كبيرة عند وقوفه للصلوة. وذلك أنه عندما كان يبسط يديه للصلوة كان الشيطان يغيّر شكله قدامه بهيئة أسد، ويشبّك رجليه الاثنين في رجلٍ القديس ويتنصب بقالته. ثم يجعل مخالفه في حقوقِ المجاهد من هنا وهنا. فلا يرجع عنه حتى يُتزل يديه، ولم يكن المجاهد يُتزل يديه حتى يُكمل صلاته كعادته (QRT 15). كذلك عرَّفونا أيضاً عن آخر أنه كان منفرداً في جبٍ جاف، وكان اسمه يوسف الصغير، ولو أنه في الحقيقة كبيرٌ عظيمٌ في الرهبان جداً. هذا قيل عنه أنه كان بغير ازعاج في مخاطبة الله بالصلوة، وكان الشيطان يظهر له في هيئة تنينٍ عظيمٍ يطوقه حول حلقه وينهش في لحمه وينفع في وجهه بغير شفقة. فإذا وقفت للصلوة قدام ضابط الكلِّ الخالق صانع الخير لكلِ البرية، لماذا ظهر ذاتك أمامه باحتقارٍ فتحاف من البعض والذباب؟ أما سمعت القائل: إنَّ الربَ إلهك هو الذي يُخافُ منه؟ ويقول أيضاً: إنَّ كُلَّ الأشياء تخافُ وتترعدُ من قدام وجه قوته». (س: ٥: ٧١ ج)

٣٠٧ - «قرأتُ في سيرة رهبان ديوناسة^{٤٩} ما هو مكتوبٌ عنهم هكذا: إنه بينما كان القديس باخوميوس يتكلم مع الإخوة دفعه بكلامِ الله، إذ بحبيبين قد جاءتنا والتقتا حول رجليه. أما هو فلم يقلق ولكنه تظاهر كأنه يطرح حُلْته تحت رجليه حتى فرغ من حديثه بكلمة الله، وحيثند أعلم الإخوة بهما». (س: ٥: ٧١ ظ) (Pach.boh. I, 97b)

^{٤٩} ديوناسة (طباسيين Tabbennas) حسب المخطوطات، حيث يوجد أول دير أسسه القديس باخوميوس (Amélineau, p. 469-471)، لكنها ترد في البستان المطبوع عام ١٩٥١ خطأ: دير تاسا، وهي قرية تتبع مركز ساحل سليم محافظة أسيوط.

٣٠٨ - «كذلك قرأنا عن أخ روحاني أنه فيما هو يصلبي مرّة جاءت أفعى وحكته رجليه وهو يصلبي، فلم يبال بالكلية حتى أكمل صلاته كالمعتاد، ولم يؤذ بالكلية. ذلك لأنه كان يحب الله أكثر من حسد لذاته. اقتن لك عيناً غير متشاغلة وقت الصلاة، واجحد ذاتك واطلب الله بكل قلبك». (س: ٥ ظ ٧١)

٣٠٩ - «وآخر أيضاً من القديسين الذين يصلبون كما ينبغي كان منفرداً في البرية، هذا وقف قدامه الشياطين مقدار أسبوعين وهم يلكمونه ويحلقون به في الجو ويقطعون عليه الحصير، وبرغم هذا كلّه لم يستطيعوا بالجملة أن ينطفروا عقله ولو كان في صلاة قليلة بحرارة مع الله. اجتهد أن توقف عقلك كمن هو أطرش وأخرس في وقت الصلاة، وهكذا تستطيع أن تصلي. إن كنت تريد أن تصلي جيداً ويصير لك افخار قدام الله، فاجحد ذاتك في كل حين وفي كل ساعة. الصلاة هي باب الفرج والشکر. الصلاة هي دواء الأحزان وضيق الصدر، لا تصل بالشكل الظاهر فقط ولكن بمحافة الله ورعدة وخشووع مع الالتفات بعقلك نحو المعقولات. الصلاة هي فهم للعقل، الصلاة ترفع العقل إلى الله، الصلاة هي عمل يليق برتبة العقل وبطبيعته الفاضلة». (س: ٥ ظ ٧١)

٣١٠ - وقال أيضاً: «فالواجب علينا أن نفحص عن السبيل التي سلك فيها الرهبان الذين تقدّمونا ونستقيم مثلهم، فنجد أموراً كثيرة جداً قالوها وصنعوها، لأن واحداً منهم قد قال: إن الأكل بضيق، والحياة بغير تلذذ إذا اقتننا بالحبة فإنهما يوصلان الراهب بسرعة إلى ميناء عدم الأوجاع، وقد شفيا فعلاً أحد الإنحصار من حالات الليل التي كان يقلق منها، ولما أمر أن يخدم المرضى وهو صائم خفت عنه، وحينئذ قال: إن أمثال تلك الأعراض لا يستطيع أحد احتتها إلا بالرحمة». (س: ٥ ج ٧٢).

٣١١ - تقدم أحد الحكماء في ذلك الزمان إلى القديس أنطونيوس وقال له:

«كيف أنت ثابتٌ في هذه البرية وليس لديك كتبٌ تتغذى بها؟ فأجابه قائلاً: «أيتها الحكيم، إنَّ كُتبِي هي شكل الذين كانوا قبلِي، أما إنْ أردتُ القراءةَ، ففي كلامِ الله أقرأ». (س٥: ٧٢ ج) (Evag. Prat. 92)

٣١٢

٣١٢ – وقال (القديس أوغريس) أيضاً: مضيئتُ دفعـة إلى الأب مقاريوس بالنهاـر ظهـراً، وقد عـطشتُ للـدرجـة كـبـيرـة جـدـاً، فـطلـبتُ مـنـه قـلـيلـاً مـاء لـكـي أـشـربـ، فـقـالـ ليـ: «ـيـكـفـيكـ ذـلـكـ الـظـلـ الـذـي أـنـتـ وـاقـفـ فـيـهـ، لـأـنـ كـثـيرـينـ الـآنـ فـيـ الـمـسـالـكـ وـالـوـهـادـ فـيـ الـعـرـاءـ، لـا يـجـدـونـ ظـلـاً مـثـلـ هـذـاـ». فـسـأـلـهـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ يـقـولـ لـيـ كـلـمـةـ عـنـ النـسـكـ، فـقـالـ ليـ: «ـقـوـ قـلـبـكـ يـا اـبـنـيـ فـإـنـ أـقـمـتـ عـشـرـينـ سـنـةـ لـمـ أـشـبعـ مـنـ حـبـزـ وـلـاـ مـنـ مـاءـ وـلـاـ مـنـ نـومـ، وـكـنـتـ أـكـلـ حـبـزـ بـقـانـونـ، أـمـاـ مـنـ جـهـةـ النـوـمـ فـإـنـ كـنـتـ أـسـنـدـ عـلـىـ الـحـائـطـ وـأـخـتـطـفـ يـسـيرـاًـ مـنـهـ». (س٥: ٧٢ ج) (Am. 195) (Evag. Prat. 94)

٣١٣ – أـخـبـرـ أـحـدـ الرـهـبـانـ أـنـ أـبـاهـ قـدـ مـاتـ، فـأـجـابـ الـذـي أـتـاهـ بـالـخـبـرـ قـائـلاًـ: «ـكـفـ عنـ التـحـديـفـ، فـإـنـ أـبـيـ لـاـ يـمـوتـ». (س٥: ٧٢ ظ) (Sys. I,5).

٣١٤ – قال أحد الرهبان: «لـأـجـلـ هـذـاـ تـرـكـتـ عـنـ إـرـادـتـ لـكـيـ ماـ أـنـزعـ مـعـهـ مـسـبـياتـ الغـضـبـ الـذـي يـحـارـبـ إـلـرـادـةـ فـيـ كـلـ حـيـنـ، وـيـقـلـقـ الـعـقـلـ وـيـطـرـدـ الـعـرـفـةـ». (س٥: ٧٢ ظ) (Evag. Prat. 99a)

٣١٥ – قال أحد الشيوخ: «إـنـ الـحـبـ لـلـهـ لـاـ يـحـفـظـ مـلـاـذـ الـأـطـعـمـةـ وـلـاـ الـمـالـ». كما قال أيضاً: «إـنـ لـاـ أـذـكـرـ أـنـ الشـيـاطـيـنـ أـطـغـوـيـ مـرـتـيـنـ قـطـ فـيـ أـمـرـ وـاحـدـ». (س٥: ٧٢ ظ) (Evag. Prat. 99b) (Bu. II, 467)

٣١٦ – سـُئـلـ القـدـيسـ بـرـصـنـوـفـيـوسـ: «ـإـنـ الـآـبـاءـ قـالـواـ: يـنـبـغـيـ لـنـاـ أـنـ نـدـخـلـ إـلـىـ

القلالية وتنذكِر خطاياك، لكنني أحد نفسي إني أتذكريها بدون وجع، وأشتئي أن أتخشع
فلا يأتيني الخشوع، فما السبب؟»؟

الجواب: «لستَ تسلّك في سبيل الحق، لأنك تحتاج إلى تفتيش القلب وضبط
الفكر عن كلّ إنسان، فمن لم يقطع هواه، لا يُوجّه قلبه، وقلة الإيمان لا تدع الإنسان
أن يقطع هواه، وسبب ذلك هو محبة مجد الناس أكثر من مجد الله، كما قال الرب. فإن
أردت بالحقيقة أن تبكي على خطاياك، فمُتْ عن كلّ الناس واقطع هواك واجتنب
تركيتك لنفسك وإرضاءك للناس، ولا تتلذذ بطعم ولا تشبع، ولا تدن أحداً، وكن
حسناً الطاعة لتبلغ الاتضاع، والاتضاع يُميّز الأوجاع». (س: ٥ ظ) (Bar. Let. 237)

٣١٧ - سُئل أيضاً هكذا: «قدْسُك قال لي هو ذا خطاياك قد غُفرت، وأنبا
إشعيا قال: ما دام الإنسان يجُدُّ في قلبه لذلة الخطيئة، فلم يحيطَ بعد بغفرانها، وإن إلى الآن
احسّ بذلك، لذلك أظن أنها لم تُغفر بعد، فأحزن وفكري يحدثني قائلاً لي: "إن الله
خذلك"، لأن قتال الزنى قد ثقل علي طول هذا الأسبوع»؟

الجواب: «لقد قلتُ لك إن خطاياك القديمة قد غُفرت، أتراني قلتُ لك إن قاتلات
العدو قد بَطَلت؟ فالراهُبُ قائمٌ في صفةِ الجهاد، ولو لم يكن لك خطايا، فالشيطان
يجلبُ لك لذلة الخطيئة بالتفكير. أمّا ما قاله لك أنا إشعيا فهو عن فاعليها المتلذذين
بعملها، لأن ذِكر حلاوة العسل شيءٌ، وتذوق حلاوة العسل شيءٌ آخر. حتى إن الذي
يتذكّر لذلة الخطيئة ولا يفعل ما يتعلق باللذة، بل يجاهد في سبيل إبعادها عنه فذلك هو
الذي غُفرت له خطاياه القديمة. ومن خيالات الشيطان أنه يقول لغير المتمكنين: إن
خطاياكم لم تُغفر، وذلك ليقطع رجاءهم، فتحفظ من ذلك. أما عن قتال الزنى، فيحتاج
إنسان إزاءه إلى جهادٍ واتضاعٍ، فبلا تعبٍ واتضاعٍ لن يخلص أحدٌ. أما من جهةٍ

الخذلان فالله لا يخذلنا، فما لم نتخلّ نحن عن محبته أو نَحِد عنه، فهو لا يتخلّ عننا، إذ أن مشيئته هي أن نلْجأ إليه ونخلص». (س: ٥ ج: ٧٣) (Bar. Let. 240).

٢٦٩

الراهب والابتعاد عن العالم

٣١٨ - وبصدق الابتعاد عن العالم قال البار إشعيا: إني في بعض الأوقات كنتُ حالساً بقرب القديس مقاريوس الكبير حين تقدم إليه رهبانٌ من الإسكندرية ليتحنّوه، قائلين: «قل لنا كيف نخلص؟» فأخذتُ أنا دفتراً وجلستُ معزلاً عنهم لأكتب ما يتحاورون به. أما الشيخ فإنه تنهَّد وقال: «كُلُّ واحدٍ منا يعرف كيف يخلص، ولكننا لا نريد الخلاص». فأحابوه: «كثيراً ما أردنا الخلاص، إلا أن الأفكار الحبيبة لا تفارقنا، فماذا نعمل؟» فأجابهم الشيخ: «إن كتم رهاننا، فلماذا تطوفون مثل العلمانيين؟ إن الذي قد هجر العالم وليس الرَّيْ الرهابي، وهو وسط العالم، فهو لنفسه يُخادع. فمن كانت هذه حالة، فقد صار تعْبُه باطلًا. لأنهم ماذا يربحون من العلمانيين سوى نياح الجسد؟ وحيث نياح الجسد لا يوجد خوفُ الله، لا سيما إن كان راهباً من يدعون متوحدين، لأنه ما دُعي متوحداً إلا لكي ينفرد ليه ونمارة لمناجاة الله. فالراهب المتصرف بين العلمانيين هذه هي تصرفاته: قبل كل شيء تكون فاتحة أمره أنه يضبط لسانه ويصوم، ويدلل نفسه إلى أن يُعرف ويخرج خبره، ويقال عنه الراهب الفلايُ هو عبد الله. وسرعان ما يسوق إبليسُ إليه من يحضر له حوائجه من حمِّر وزيتٍ وثيابٍ ودراماً وكل الأصناف، ويدُعونه: القديس القديس. فبدلاً من أن يهرب من السُّبح الباطل الناتج من قولهم له "القديس"، يتعرّجف الراهب المسكون، ويبدأ في مجالستِهم، فيأكل ويشرب معهم، ويستريح براحتهم، ثم يقوم في الصلاة ويعُلّي صوته حتى يقول العلمانيون إن

الراهب يصلي ساهراً. وكلما زادوه مديحأً، زاد هو كبرياءً وعجرفة. فإن كلامه أحد بكلمة حسنة جاوبه حسناً. ثم يُكثر نظره إلى العلمانيين ليلاً ونهاراً، ويرشقه إبليس بسهام النساء، ونشاب الصبيان، ويلقيه في اهتمامات عالمية، ويُقلق ويترفع كما قال ربُّ إن كلَّ من نظر إلى امرأة نظرة شهوةٍ فقد أكمل زناه بها في قلبه. وإن كان ينظر إلى هذا القول على اعتبار أنه خرافية، فليسمع الراب قائلًا له: إن السماء والأرض تزولان، وكلامي لا يزول. وبعد ذلك يبدأ في حشد حاجته لستنته، بل يجمعها مضاعفةً، ويبدأ كذلك في جمع الذهب والفضة، ويلقيه الشيطان في هؤلاء حبِّ المال، فإن أحضر له إنسان ذهباً أو فضةً أو ملبوسات أو غير ذلك مما يرضاه، فللوقت يقبله بفرح ويعُدُّ المائدة الحسنة ويبدأ يأكل . أما البائسُ، لا بل المسيح، يتلوى جوعاً، ولا يفهمه أحدُ. هؤلاء قال سيدنا المسيح: إن دخول الجمل في ثقب إبرة، أيسْرٌ من دخول غني إلى ملوكِ الله .(PE, I, 22,12a)

قولوا لي يا آبائي، هل الملائكةُ في السماء تجتمع ذهباً وفضةً وتُسجد لله؟ فنحن يا إخوتي عندما لبسنا هذا الزي، أتُرى لنجمع مقتنيات وحطاماً، أم لننصير ملائكةً؟ فإذا كما يا إخوتي قد هجرنا العالم ورفضناه، فلماذا نتراخي أيضاً ويردُّنا إبليس عن طريق المسكنة؟ أما فهمتم أن الخمر ونظر النساء والذهب والفضة والنیاج الحسدي وقربنا من العلمانيين، هذه كلُّها تبعدها من الله، لأن أصل الشرور كلُّها محبة الفضة، وبمقدار ما بين السماء والأرض من البعد، هكذا بين الراهب المحب للفضة وبين مجد الله. نعم لا توجد رذيلة أشرف من رذيلة الراهب المحب للفضة. إن الراهب الذي يجالس العلمانيين يحتاج صلوات قديسين كثرين. أما سمعت قول الرسول يوحنا: لا تحبوا العالم ولا شيئاً مما في العالم، فمن أحبَّ العالم، فليست فيه محبة الله. كذلك الرسول يعقوب يقول أيضاً: من أراد أن يكون خليلاً للعالم فقد صار عدوًّا لله. فلنفترَّ نحن أيها الإخوة من العالم كما تفتر

من الحياة، لأن الحياة إذا نهشت بالكاد تبراً عضتها، كذلك نحن أيضاً إن شئنا أن نكون رهباناً فلنهرب من العالم، لأن الأوفق لنا أيها الإخوة أن تكون لنا حربٌ واحدة بدلاً من قتالات كثيرة. قولوا لي يا إخوتي ويا آباء: في أيّ موضع اقتنى آباً وأباً الفضائل، أفي العالم أم في البراري؟ إذن، كيف نقتني الفضائل ونحو في العالم؟ لن نستطيع ذلك ما لم نجُّع وما لم نعطش وما لم نسكن الوحش ونمُّت بالجسد. كيف نزيد أن نرث ملوكَ الله ونحو بين العالم؟ لنتنظر إلى مالك الأرض فإنه ما لم يحارب الجندي ويغلب فلن ينال الرتبة، فكم وكم أخرى بنا أن نفعل ذلك. فلا نظن أننا نرث ملوكَ السماوات ونحو بين العالم. فلا يُوسِّسُ لنا الشيطانُ أفكاراً رديئةً هكذا قائلاً: اجمع حتى تستطيع أن تعمل صدقةً. لتعلم أن من لم يشاً أن يصنع رحمةً من فلسٍ واحدٍ فلن يعمل رحمةً من ألفٍ دينار. لا يليق بنا أن نفعل ذلك يا إخوتي، لأن هذه الأمور هي من عمل العلمانيين. إن الله لا يريدنا نحن الرهبان أن نقتني ذهباً أو فضةً أو ملابس أو أموراً هيولانية، لأن الربَّ أوصى قائلاً: انظروا إلى طيورِ السماء، فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الأهراء، وأبوكم السماوي يقوها. إن الراهب المقتني ذهباً وفضةً لا يتحقق بأن الله قادرٌ على أن يعوله. وإن كان لا يعوله فلن يعطيه ملكه.

إن الراهب الذي عنده حاجته ويتضرر من يُحضر له، فهو شريك ليوداس الذي ترك النعمةَ وسعى طالباً محبة الفضة. وبولس الرسول إذ عرف ذلك، لم يدع محبة الفضةِ أصل كلّ الشرورِ فحسب، بل وسماها أيضاً عبادةً أوثاناً. فالراهب الحبُّ للفضةِ هو عابد للأوثان، إن الراهب الحبُّ للفضةِ بعيدٌ من محبةِ المسيح، الراهبُ الذي له في قلائهِ فضةٌ فإنه يعبد ويسجد للأصنام المنقوشة، أعني الدنانير، وكلّ يوم يذبح لها عجولاً وكباشاً، يأخذ ضاع نيته وإرادته لمحبة الفضة الرديئة، تلك التي تفصل الراهبَ عن طغماتِ الملائكة. فيها لمحة الفضة المُرّة، أصل كلّ الشرور، الفاصلة الراهب من ملك السماوات،

والباعثة إِيَاهُ إِلَى التَّعْلُقِ بِسَلَاطِينِ الْأَرْضِ! يَا لَمَحْبَةِ الْفَضْلَةِ سَبِبَ كُلُّ الرَّذَائِلِ، السَّاحِحةُ لِلسانِ الرَّاهِبِ إِلَى كُلِّ شَتِيمَةٍ وَخَصْوَمَةٍ وَغَنِيمَةٍ، وَالْجَارَةُ لَهُ إِلَى الْمَحَاكِمَاتِ شَبِيهَهَا بِالْعَلَمَانِيَّنِ! وَيَحُّ ذَلِكَ الرَّاهِبَ الْحَبَّ لِلْفَضْلَةِ، لِأَنَّهُ قَدْ تَخَلَّى عَنِ الْوَصِيَّةِ الْقَائِلَةِ: لَا تَكْتُرُوا لَكُمْ ذَهَبًا وَلَا فَضْلَةً. وَقَدْ يَزَعُمُ ذَلِكَ الرَّاهِبُ الْمُسْكِنَ قَائِلًا: إِنَّ الْاقْتِنَاءَ لَا يَضُرُّنِي. وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حِيثُ الْذَّهَبِ وَالْفَضْلَةِ وَالْهَيْوَانِيَّاتِ، فَهُنَّاكَ دَالَّةُ الشَّيَاطِينِ وَهَلَالُ النُّفُوسِ، وَالْوَرِيلُ الْمَوْبِدُ.

كَيْفَ يَدْخُلُ الْخُشُوعُ فِي نَفْسِ إِنْسَانٍ مَقْتَنٍ لِلْفَضْلَةِ، وَقَدْ حَادَ عَنْ مَصْدِرِ دُعُوتِهِ إِلَى الْحَيَاةِ الْدُّهْرِيَّةِ، خَالِقِهِ وَرَازِيقِهِ، وَصَارَ بِذَلِكَ مَتَبْعِدًا وَسَاجِدًا لِمَحْوَتَاتِ غَيْرِ مَتَحْرِكَةِ، أَعْيَ الدَّنَانِيرِ؟ كَيْفَ يَقْتَنِي الْخُشُوعُ مَنْ هَذِهِ صَفَتُهُ؟ يَا إِخْرَوِي وَيَا أَحْبَائِي، كَيْفَ يَكُونُ لَنَا نَحْنُ الرَّهَبَانُ ذَهَبٌ وَفَضْلَةٌ وَمَلَابِسُ، وَلَا نَكْفُ كَذَلِكَ عَنِ الْجَمْعِ، مَعَ أَنَّ الْبَائِسَ، لَا بَلَّ الْمَسِيحُ، جَائِعٌ وَعَطْشَانٌ وَعَرِيَانٌ، وَلَا نَفْكَرُ فِيهِ؟ مَاذَا يَكُونُ جَوَابُنَا أَمَامَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، وَقَدْ هَجَرُنَا الْعَالَمُ، وَهَا نَحْنُ نَعَاوِدُ الطَّوَافَ فِيهِ؟ إِنْ طَقَسَنَا مَلَائِكَةُ لِكُنَّا جَعْلَنَا عَلَمَانِيَّاً. لَا يَكُونُ هَذَا مَنَا يَا إِخْرَوِي. إِيَّاَنَا أَنْ نَعْمَلُهُ، بَلْ لَنْهَرُبُّ مِنَ الْعَالَمِ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالْكَادِ نَخْلُصُ فِي الْبَرِّيَّةِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُنَا بَيْنَ الْعَلَمَانِيَّنِ؟ فَلَنْ يَكُونَ لَنَا خَلاصٌ، لَا سِيمَا وَالرَّبُّ يَقُولُ: مَنْ لَا يَهْجُرُ الْعَالَمَ وَكُلُّ مَا فِيهِ وَيَنْكِرُ نَفْسَهُ وَيَأْخُذُ الصَّلِيبَ وَيَتَبَعِّنِي فَلَنْ يَسْتَحْقُّنِي. وَأَيْضًا يَقُولُ: اخْرُجُو مِنْ بَيْنِهِمْ وَافْتَرِقُو عَنْهُمْ وَأَنَا أَقْبِلُكُمْ وَأَجْعَلُكُمْ لِي بَيْنَ وَبَنَاتِ.

أَرَأَيْتُمْ عَظِيمَ الْمَنْفَعَةِ مِنَ الْهَرْبِ مِنَ الْعَالَمِ؟ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لَنَا حَدَّاً وَمَوْافِقٌ، لِأَنَّ مَجَالِسَ الْعَلَمَانِيَّنِ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ سَوْيَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ وَالْزَرْعِ وَالدَّوَابِ، فَهَذِهِ الْمُخَالَطَةُ تَفْصِلُ الرَّاهِبَ عَنِ اللَّهِ، فَمُشارِكُهُمْ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ تَجْلِبُ

الكثير من الضرر. ولسنا نعني بهذا أن العلمانيين أنجاس، معاذ الله، لكنهم يسلكون في الخلاص طریقاً آخر غير طريقنا. فهروبنا هو هروب من مخالطتهم. فلنطلب سببهم فيما أكثر من مدحهم لنا، لأن سببهم لن يفينا شيئاً أما مدحهم فهو سبب عقوبتنا. فما منفعتي إذا أنا أرضي الناس وأغضبت ربِّي وإلهي؟ لأنه يقول: لو كنت أرضي الناس فلست بعد عبداً للمسيح. إذن فلنتبهَل أمام ربنا قائلين: يا يسوع إلهنا بخنا وأنقذنا من مخالطتهم» (PE, III, 44, 1-6). (س: ٥ ج: ٧٣) (An. 764)

٣١٩ - من كلام مار إسحق قال: «ابعد عن العالم، وحينئذ تحس ببناته، لأنك إن لم تبعد عنه، فلن تحس براحته الكريمة». فسئل مرة: «ما هو العالم؟ وكيف نعرفه؟ وما هو مقدار معرته لحببي؟» فأجاب وقال: «إن العالم هو تلك الزانية التي بشهوة حسنتها تجذب الناظرين إليها إلى حبها. والمقتنص بعشقه والمتشبث به لا يقدر أن يتخلص منه حتى تفني حياته، فإذا ما عرَّاه من كل شيء وأخرجه من منزله يوم موته، حينئذ يعرف الإنسان في ذلك اليوم أنه خداع وسرابٌ مُضللٌ، حتى إذا ما جدَّ الإنسان في الخروج من هذا العالم المظلم، فإنه لن يستطيع الخلاص من حبائله ما دام هو منغمساً فيه». (س: ٥ ج: ٧٦) (Isaac. 37, Ar. III, 4, 8).

٣٢٠ - جاء أحد الإخوة إلى شيخ من الرهبان وشكَا أخاه إليه قائلاً: «ماذا أصنع يا أبي فإن أخي يخزني لأنه دوّار؟» قال الشيخ: «احتمله يا حبيبي، فإن الله قادر أن يرده إذا ما رأى تعبك وصبرك، وأخذك له بالرفق واللين. وإياك والقسوة، فإن الشيطان لا يطرد شيطاناً. وبرفقك وصبرك يرجع، لأن الله إنما يرد الإنسان بطولي روحه وطيب قلبه واحتماله». (س: ٤ ظ: ٦٧) (PE III 38, 1, 17).

٣٢١

٣٢١ - أخبروا عن أبا تاؤدورس: إنه لما كان شاباً وهو يسكن في البرية، قام

ذات يومٍ يخizer لنفسه خبزاً، فوجد أخاً ليس له من يعمل له خبزاً إذ لم يكن يجيد صناعة الخبز. فترك أباً تاؤدورس خبزه وعمل خبزاً ذلك الأخ، وجاء أيضاً آخر فخبز له خبزه، وبعد أن أراهما حيئته عمل خبزه أيضاً». (س٤: ٦٧) (Abc. Theodore of Ennatont 1)

٣٢٢ - جاء خيرٌ عن أخوين قوتل أحدهما بالزن، فقال لأخيه: «يا أخي، إن منطلق إلى العالم»، فبدأ أخوه يبكي ويقول: «لا أتركك تذهب إلى العالم لثلا ثلث تعب رهباتيك وبتوليتك». فأبى أن يقبل منه وقال له: «إما أن تركي أمضي وحدي، وإما أن تحييء معي». فذهب أخوه، وحدث أحد الشيوخ بحاله، فقال له الشيخ: «اذهب معه، فإن الله من أجلِّ تعبك لا يتركك يقع في الزن». فلما بلغا القرية، رفع الله عنه قتال الزن من أحلِّ تعب أخيه وعنائه معه. وإذا به يخاطبُ أخاه قائلاً: «هَبْ أني وقعت في دنس الخطيبة، فأيُّ ربح لي من ذلك؟ ثم أنهما رجعا إلى قلاليتهما وحمدوا الله على خلاصهِ وحسن صنيعه معهما. (س٤: ٦٨) (An. 180).

مختصر

الصلوة والدموع

٣٢٣ - أخبروا عن أخي حريصٍ على خلاصهِ، جاء من غربةٍ فأقام في قلابة لطيفةٍ بطور سينا. فلما جلس في اليوم الأول، وجد على خشبةٍ صغيرةٍ كتابةً قد كتبها الأخُ الذي كان فيما مضى ساكناً فيها وهو يقول فيها: «أنا موسى بن تادرس قد حضرت وأقمت هنا». وكان الأخ يضع تلك الخشبة قدامه طول النهار يومياً. ويسأل: «من كتب هذه الكتابة؟ ثم يُردد قائلاً: «أيها الإنسان، ليت شعرى، أين أنت الآن؟ لأنك قلت: قد حضرت وأقمت. فإلى من كتبت هذا يا ثرى؟ ثرى في أي عالم أنت في هذه الساعة؟»؟ فكان يداوم هكذا على هذا العمل طول النهار متذكرةً الموت، ثابتًا في التحبي

والبكاء. وكانت صناعته الخط المليح. فتناول من الإخوة ورقاً ليكتب لهم شيئاً كتذكاراً منه لهم. لكنه لم يكتب لأحد شيئاً سوى صيغة واحدة، كتبها في ورق كل واحد منهم وذكر فيها: «اغفروا لي أيها الإخوة سادي، فإنه كان لي عملٌ مع ذاك القادر على خلاصي، لذلك لم أفرغ منه حتى أكتب لكم» (س٤: ٦٨ ج) (An. 519).

٣٤ - أخبروا أيضاً: أنه كان يسكن بقرب هذا الأخ آخر كان بستانياً، وقصد مرة الماضي إلى دير في يوم من الأيام، فقال لذلك الأخ الكاتب: «اعمل محبة يا أخي واهتم بالبستان حتى أرجع». فقال له الأخ: «صدقني أنه على قدر استطاعتي لن أتواني في الاهتمام به». وبعد انصراف الأخ البستانى قال الأخ الكاتب في نفسه: «يا مسكين، لقد وجدت خلوة فاهتم بالبستان». ثم أنه انتصب في قانونه من المساء إلى الصباح، لم يفتر، مترنحاً بدموع، مصلياً، ومكث على هذه الحال طول النهار كذلك إذ كان يوم الأحد المقدس. فلما جاء الأخ البستانى عند المساء، وجد البستان قد أفسدته القنافذ، فقال له: «غفر الله لك يا أخي، لأنك لم تهتم بالبستان». فقال له ذلك: «يا معلم، علِم الله، إني قد بذلت كل قوتي وحفظته إلا أن الله قادر أن يعطيانا ثواباً من البستان الصغير». فقال له الأخ: «صدقني يا أخي لقد تلف كله». فقال له الكاتب: «لقد علمت بذلك إلا أني واثق بالله، أنه قد أزهر أيضاً». فقال البستانى: «هلم بنا لنستقي». فقال الأخ: «انطلق أنت اسقي في النهار وأنا أسقي في الليل». فلما صار القحط والجدب، اغتنم البستانى وقال لذلك الكاتب حاره: «صدقني يا أخي، إذا لم يُعن الله، فليس لنا في هذا العام ماء». فقال له الكاتب: «الويل لنا يا أخي إن جفت ينابيع البستان، بالحقيقة لن يكون لنا خلاص أيضاً». وكان يقول هذا قاصداً ينابيع الدموع. فلما جاءت الوفاة للمجاهد القديس، سأله البستانى حاره قائلاً: «اصنع محبة ولا تقل لأحد إني مريض، لكن امكث عندي هنا هنالك اليوم، وإذا انصرفت إلى الرب فاحمل أنت جسدي، واطرحوه عارياً

لتأكله الوحش والطيور لأنه أخطأ قدام الله كثيراً، ولن يستحق أن يُدفن». فقال له البستاني: «صدقني يا معلم إن هذا الطلب صعبٌ على إتمامه». فأجابه قائلاً: «لا تخالفني في هذا الطلب، وإنِّي أعطيك عهداً، إن سمعتَ مني وعملتَ بي كما سألك، واستطعتَ أنا القيام بما ينفعك لتفعّلتك». ثم أنه بعد وفاته، عمل به كما أمره في ذلك اليوم، فطرح جسمه في البرية عارياً، لأنهما كانا مقيمين في مكان يبعد عن الحصن عشرين ميلاً يقال له «معنامر» وفي اليوم الثالث ظهر له الأخ المنصرف للرب في الرؤيا وقال له: «يا أخي، يرحمك الله كما رحمني، صدقني إن رحمته عظيمة جداً، فلقد رحمني الله بسبب بقاء جسمي غير مدفون، وقال لي: لأجل تواضعك الكبير، قد أمرتُ أن تكونَ مع أنطونيوس، وقد طلبتُ إليه من أجلك أيضاً، لكن اذهب واترك البستان، واهتم بالبستان الآخر، لأنني في الساعة التي خرجت فيها نفسي كنت أبصر دموع عيني وقد أطهنت النار التي كنت مشرفاً على المصي إليها». (س: ٤٦٨ ج) (An. 520)

٣٢٥ - كان أخ فاضل حريصاً، وإذا صلَّى مع أخيه قانونه تغلبه دموعه، فيفوته من المزמור استيقن أو أكثر، وفي أحد الأيام سأله أخوه أن يخبره بما يتباهه أثناء قراءة قانونه حتى يики ذلك البكاء المر، فقال: «اغفر لي يا أخي، فإني أثناء قراءة القانون، أبصر القاضي دائماً، وأرى ذاتي واقفاً قدامه وقوف المحرم، وهو يفحص أحوالى، وأسمعه قائلاً لي: لم أخطأت؟ وإذا ليس لي جواب أحتاج به إليه يستدِّ فمي، وعلى هذا الوجه يفوئني الاستيقن من المزמור، فاغفر لي لأنِّي أغُمُّك. وإن كنت تجد راحة في أن يصلِّي كل واحد مننا قانونه منفرداً، فافعل». فقال له أخوه: «لا يا أخي، لأن وإن كنت أنا لا أبكي، إلا لأنني في الواقع إذا رأيتك تبكي، أعطي الويل لنفسي وأعتبرها شقية». فلما أبصر الله تواضعه، وهبَ له اتضاع أخيه. (س: ٤٦٩ ج) (An. 523)

٣٢٦ - قيل عن آخر من الرهبان إنه زار شيخاً متعباً في عمل الخير، كان ساكناً في المغایر التي تقع فوق المكان الملقب بإسرائيل، وكان الشيخ ذا عقلٍ متيقظ لدرجة أنه كان حياماً توجّه، يتوقف عن السير ويستعرض فكره ويسأله: «كيف حالك يا أخي؟ أين نحن؟ فإذا وجد عقله يترنّم بالزماء ومتضرعاً، حمده واستدامه، وإن وجد ذاته متفكراً في أي شيءٍ من الأشياء، شتم ذاته في الحال قائلاً: «هلمن من هناك، قف عند حدك، والزم عملك». وكان الشيخ يخاطب نفسه بهذا الكلام دائماً: «يا أخي، يلوح لي أن الانصرافَ قريبٌ، ولستُ أرى مجالاً للنوم أو التهاون بعد». فهذا الفاضل ظهر له الشيطان في وقتٍ من الأوقات، وقال له: «لماذا تتعب، إنك لن تخلص». فقال له الشيخ: «وماذا يهمك إن كنت لا أخلص؟ لكنني سوف أوجد في العذاب فوق رأسك، وتحت كلّ من فيه». هذا قال أيضاً: «سبيل الراهب إذا وقف مع إخوة رهبان، أن يُطريق برأسه دائماً إلى أسفل ولا ينظر بالجملة إلى وجه إنسان، وخاصة وجه شاب. وإذا كان منفرداً ينبغي له أن ينظر إلى العلو دائمًا، ذلك لأن الشيطان من شأنه أن يغتمّ ويرتاع إذا نظر (الراهب) إلى العلو نحو ربنا». (س:٤٦٩ ج)

٣٢٧ - أخبر عن أحد الرهبان أنه لم يكن له عملٌ سوى الصلاة بلا فتور. وكان كلّ عشية يجده في قلaitه خبزاً يأكله. فزاره أحد الرهبان مرة ومعه ليف، فأخذه منه وصار يعمل في الليف. فلما حان وقت المساء طلب خبزاً كعادته ليأكل، فلم يجد. فبقي حزيناً، فأتاه صوتٌ قائلاً: «لما كنت تعمل معي كنت أعمل لك، فلما بدأت ممارسة عمل آخر، فاطلب طعامك مما تعمله بيديك». (س:٤٦٩ ظ) (Bu. I, 130)

٣٢٨ - قيل عن أحد الرهبان إنه كان بليغاً جداً في الإفراز والتمييز، وكان يحب سكناً البراري والبعد عن العالم، وكان من شيهيت وذهب إلى القلالي وأراد السكنى في القلالي فلم يجد قلايةً منفردة، وأنه خرج تائهاً في البرية إلى أن لقيه أحدُ الشيوخ فأخبره بحاله، فأجابه الشيخ: «إن لي قلaitين، فاجلس في واحدةٍ منها إلى حين يسهل المسيح لك قلايةً. فحمدَ أفضاله. ولما سكن في القلاية قصده قومٌ من الرهبان ليتذمروا منه لكونه من أهلِ الفضل، وكانتوا يحملون إليه ما سهل عليهم حمله. فلما نظر الشيخ صاحب القلاية ذلك، بدأ يحسده يأباعاز من الشيطان وقال للطلميد: «كم من السنين ونحن مقيمون في هذا المكان، ولم يقصدنا حتى ولا واحد من هؤلاء الرهبان. وهذا المحتال في أيام قلائل استمال إليه الكل. امضِ اطربه من القلاية».

فمضى الطلميدُ وقال له: «إن المعلم يسلّم عليك ويسأل عن صحتك ونجاج أحوالك واعتداً مزاجك، ويسائلك أن تصلي من أجله لأنَّه مريض». ويقول لك: إنَّ كان لك احتياجٌ إلى شيءٍ أقوم بتلبيته لك». فقام الراهبُ وسجد للطلميد وقال له: «بلغْنَة سلامي عني، وقل له إنِّي بخيرٍ ببركة صلواتك وليس لي احتياجٌ لشيء». فرجع الطلميد إلى الشيخ وقال له: «إنَّ الراهبَ يُقبلُ يديك ويسائلك أن تصلي من أجله وتمهله أيامًا قلائل حتى يجد لنفسه قلايةً، ويرتحل عن قلaitتك بسلام».

فصبَرَ ثلاثة أيام. وبعد ذلك ألققه الحسدُ، فقال للطلميد: «اذهب وقل له لقد صبرتُ أكثر من اللازم، فاخترج من قلaitي». فأخذ الطلميد بركةَ ما كان يوجد في القلاية، ثم جاء إلى الراهبِ وسجد بين يديه وقال له: «إنَّ المعلم يسلّم عليك ويسائلك أن تقبل منه هذه البركة لأجلِ السيد المسيح وتصلي من أجله لأنَّه متعبٌ جداً، ولو لا توجهه

لكان قد حضر إليك». فلما سمع الراهب ذلك أدمعت عيناه وقال: «كنت أشتئي أن
 أذهب وأبصره». قال له التلميذ: «لا يا أبا، فإنه لا يتحمل أباً مثلك يرافقني إليه، لعنة
 يلحقني من ذلك شرٌ، ابقَ أنت هنا وأنا أبلغه سلامك ورسالتك». ثم ودعه وخرج وأتى
 إلى الشيخ وقال له: «يا أبا، إن الراهب يقول لك: لا يصعب عليك الأمرُ، ولا تغضب،
 ففي يوم الأحد سوف أخرج من قلaitك». فما زال الشيخ يتربّق سواعي الليل حتى يوم
 الأحد، فلما لم يخرج الراهب، قام الشيخ وأخذ عصاً وهو مسيءُ العقل طائش الفكر،
 وقال لتلميذه: «تعالَ معي إلى هذا الراهب المحتال، فإنه إذا لم يخرج باختيارةِ فسوف
 أطرده بهذه العصا مثل الكلبِ». فلما رأى التلميذ هائجاً، وقد سلب العدو فكره، قال له:
 «أسألك يا أبا، أن تستمع إلى مشورتي بأن تجلسَ هنا وأنا أسبقك إليه وأبصر إن كان
 عنده رهبان، لثلا إذا أبصروك على هذه الحال يطردونك عنه فلا تزال بعينيك، أما إذا
 وجدته وحده أعلمتك لتمضي إليه وتطرده». فاستصوبَ الشيخ كلامَ التلميذ، وجلس
 وهو يصرُّ بأسنانه، ومضى التلميذ إلى الراهب، وسجد له كعادته وقال: «إن المعلم يسلّم
 عليك، ولما أعلمه أن جسمك ضعيفٌ احترق قلبه ولم يستطع صبراً، وقد جاء ليصرك،
 وإنه بسبب ضعفه ما أمكنه المجيء إليك». فلما سمع الراهب ذلك الكلام خرج لوجهه
 للقاء بلا كساءٍ ولا قنسوة على رأسه ولا عصاً بيده. فسبقه التلميذ إلى معلمه وقال له:
 «هذا الراهب قد ترك قلaitك وهو حاضرٌ ليودّعك ويأخذ بركة صلاتك قبل ذهابه
 وانصرافه بسلامٍ». فلما سمع الشيخ هذا الكلام تذكرَ كلامَه ومراساته له، وانكشفت
 عنه غمامَةُ الحسدِ وبقي حائراً في نفسه ماذا يعمل، وخجل من لقاءه، ولشدةُ الحياةِ لم
 يقدر أن يرفع عينيه نحوه، فأخذ يولي الأدبار، فلما رأى التلميذ على هذه الحال سجد له
 وقال: «يا أبا، التقِ بأخيك دون خجلٍ فإن جميعَ الكلام الذي قلته لي لم يصل إلى
 مسامعه قط». فلما سمعَ الشيخ بهذا الكلام فرح جداً، والتلقى بالراهب بفرحٍ وقلبٍ نقى،

ورجع معه إلى قلاليته. فقال له الراهب: «اغفر لي يا أبا تاه، لأنك كان الواجب علىَّ أنا أن آتي إليك، لأنك تعبت في المحيء إليّ». فلما رجع الشيخ إلى قلاليته سجد بين يدي تلميذه وقال له: «إنك من الآن أنت الأب وأنا لا أستحق أن أكون لك تلميذاً، لأنك بعقلك وسلامة ضميرك وحسن إفرازك حلّست نفسي من الفضيحة». (س٤: ٦٩ ظ) (An. 451)

٣٢٩ - قيل أيضاً: «إنه كان يوجد شيخ له تلميذٌ جيد. ومن الملِّ كأن الشيخُ يخرجه خارج الباب ويزدرى به، فكان التلميذ يمكث جالساً خارجاً، ولما فتح الشيخُ الباب في اليوم الثالث، وجده جالساً، فأدى له الشيخُ مطانية وقال له: «يا ولدي إن تواضنك وطول أناشك قد غلبا شريًّا وصغر نفسِي، فهلم الآن إلى داخل، ومنذ الآن، كن أنت الشيخُ وأنا التلميذ». (س٥: ١٦٧ ج) (Abc. Romaios 2)

٣٣٠ - قال الأب أورسيسيوس^(٥٠): «إن عجينةٌ فطيرٌ تُطرح في أساسٍ بقرب نهرٍ، لا تثبت ولا يوماً واحداً، وأما المطبوخة بالنار فثبتت كالحجر. هكذا كلُّ إنسان ذي عقلٍ بشرى، إذا صار رئيساً فإنه ينحلّ من التجارب إن لم يُطبع بخوفِ الله مثل يوسف، فالأفضل للإنسان أن يعرفَ ضعفه ويهرب من نير الرئاسة». (س٥: ١٦٧ ج) (Abc. Orsisios 1)

٣٣١ - قيل^(٥١) عن أخي راهب كان يسكن القلالي، هذا أقام عشرين سنةً مواطباً على القراءة ليلاً ونهاراً، ذات يوم نهض وباع الكتب والمصاحف التي كان قد اقتناها، وأخذ وشاحه وذهب إلى البرية الجوانية. فالتقاء أثباً إسحق وقال له: «إلى أين تمضي يا

^{٥٠} الأب أورسيسيوس حسب النص القبطي واليوناني، والأب أرسانيوس حسب النص السرياني واللاتيني.

^{٥١} يبدأ النص اليوناني هكذا: «قال الأب ألوبيوس من دير الإناثون» ويقع دير الإناثون Ἐννατον (ومعناها تسعه) على بعد تسعه أميال غرب الإسكندرية، المعروف باسم دير الزجاج. ويسمى بالقبطية دير المناطون

(Amélineau p. 531-532). **TON ENA DIAJ**

ولدي»؟ فأجابه الأخ قائلاً: «يا أبي، إن لي عشرين سنةً وأنا أسمع أقاويلَ الكتبِ فقط، والآن أريدُ أن أبدأ في الابتعادِ عملاً بما سمعته من الكتب»، فقدمَ الشيْخُ صلاةً من أجلِه ثم أطلقه. (س٤: ٧٠ ظ) (An. 541)

٣٢٢ - قال أبا أفرام: إن أحد الإخوة سأله أخاً له قائلاً: «إن الأب أمرني بالمضي إلى المخبز لنخبز خبزاً برسم الإخوة، ولما كان عمالُ المخبز علمانيين يتكلمون بما لا يليق، فلستُ أنتفعُ من سماعِ ما يقولونه، فماذا أصنع؟» فأجابه قائلاً: «أما رأيتَ في المكتبِ صبياناً كثيرين، وكيفُ أن كلَّ واحدٍ منهم يقرأ ما لا يقرأه رفيقه لعلمه أن معلمَه يطالبه فقط باتفاق ما يختص به ولا يطالبه باتفاق ما يختص بغيره، فإنْ كنتَ أنتَ تنهزم للآلامِ مجرد سماعِك فظيع الكلام، فاستمع لقول القائل: امتحنوا سائرَ الأشياءِ وتمسكون بأحسنها». (س٥: ٧٦ ج)

٣٣٣ - وقال أيضاً: «وما لنا وللعالم، وما لنا بمعاملاته؟ نحن قد مُتنا عن العالم، كلُّ منا بأكلةٍ يسدُّ جوعه، وأيدينا تساعدنا على خدمةِ جسدِنا بعونَةِ الله لنا، لأنَّه قال: لا يوجد متجمدٌ يقوم بنفقةِ نفسه بانشغاله في أمورِ الحياة، إذ كيف يستطيع وهو مشغولُ أن يُرضي قائدَ الجيش ومليكَه؟». (س٥: ٧٦ ج)

١٦٥

الراهب ومعرفة الرؤساء

٣٣٤ - قال أبا إشعيا: «إن مضيتَ إلى رؤساءِ العالمِ مريداً مصادقتهم فليس فيك مخافةُ الله». (س٥: ٧٦ ظ)

٣٣٥ - وقال أيضاً: «إياك أن تقتني لك أصدقاءً من بين رؤساءِ الدنيا لكي لا يبعد الله عنك». (س٥: ٧٦ ظ)

٣٣٦ - وقال أيضاً: «إن شئتَ أن تكونَ معروفاً عند الله، فلا تُعرِّف الناسَ بنفسِك، لأن المرتبطَ بأمورِ العالم إذا سمعَ الحقَّ يُرذلُ قائله». (س:٥ ظ) (Arm. II, 250)

٢٥٤

الراهب والقنية

٣٣٧ - قال أباً بوللو: «لتكن عندكم هذه علامَةً عظيمةً للنجاحِ مِنْ اقتنتِم عدمَ الشهوةِ لشيءٍ ما منْ أمورِ العالم، لأنَّ هذا هو فاتحةُ جميعِ مواهبِ الله». (س:٥ ظ)

٣٣٨ - تأهلَ أحدُ الشيوخِ لمواهبِ الله، وذاعَ صيتُ فضيلِه فاستدعاهُ الملكُ لينال برَكةَ صلاتِه، فلما تناقضَ معه وانتفعَ منه، أحضرَ له مالاً، فقبلَه الشيُوخُ وعادَ به إلى قلاليته، وبدأ في تنظيفها وتعميرها، فجاءَه مجنونٌ (بروحِ نجس) فقالَ له حسبُ عادته: «انخرِج منْ خليةِ الله». فقالَ له الشيطانُ: «لن أطِيعَك». فقالَ الشيُوخُ: «ولمَ؟» فأجابَه: «لأنَّك صرتَ واحداً منْ خدامِنا إذ تركتَ عنك الاهتمامَ بالله، وأشغَلتَ ذاتَك بالاهتمام بالأرضيات». (س:٥ ظ) (PE IV 5,2,21-22)

٣٣٩ - ورَاهِبٌ آخرٌ كانَ فاضلاً جدًا لدرجةٍ أنه كانَ يُخرجُ الشياطينَ بصلاتهِ، وكانتَ له أمٌ عجوزٌ مسكيَّةٌ، فحدثَتْ مجاعةٌ عظيمةٌ، فأخذَ الرَّاهِبُ حبراً ومضى ليُفقد والدَّته، وبعدَ أن رجَعَ إلى قلاليتهِ أحضرَ أمَّاهَ مجنونَ فقامَ ليصلِّي عليهِ كعادتهِ، فأخذ الشيطانُ يهزُّ به قائلاً: «ماما، ماما». (س:٥ ظ)

٣٤٠ - قيلَ عن الأَبِ مقاريُوس الصعيدي^(٥٢): إن إنساناً (دوقس)^(٥٣) حضرَ من

^{٥٢} لا يذكر النص اليوناني اسم القديس مقاريُوس، بل يكتفي بالقول أن الرجل الغني قابل قس الإسقيط.

^{٥٣} دوقس أي دوق، وهي كلمة من أصل لاتيني ومعناها حاكم ولاية (أوريية). أما النص اليوناني فيكتفي بالقول: أي شخص عظيم γέγος.

القدسية و معه صدقة للزيارة، فزار قلالي الإخوة طالباً من يقبل منه شيئاً، فلم يجد أحداً يأخذ منه لا كثيراً ولا قليلاً. وكان إذا قابل أحدهم أحابه بأن لديه ما يكفيه، وأنه مُصلٌّ من أحلِّه كمثل من أخذ منه تماماً، فصار ذلك الدوّقس متوجعاً، ثم أنه أحضر ذلك المال إلى القديس مقاريوس و سجد بين يديه قائلاً: «لأجلِّ محبةِ المسيح اقبل مني هذا القليل من المال برسم الآباء». فقال له القديس: «نحن من نعمةِ الله مكتفون، وليس لنا احتياجٌ إلى هذا، لأنَّ كلاًّ من الإخوة يعملُ بأكثرِ من حاجته». فحزن ذلك المحتشم جدًا وقال: «يا أبناه من جهةِ الله لا تُخيبْ تعبي واقبل مني هذا القليل الذي أحضرته». فقال له الشّيخُ: «امضِ يا ولدي وأعطيه لإخوه». فقال له: «لقد طفتُ به عليهم جميعاً، فلم يأخذوا منه شيئاً، كما أن بعضَهم لم ينظر إليه البتة». فلما سمع الشّيخُ فرح وقال له: «ارجع يا ابني عمالِك إلى العالم وأهله، لأننا نحن أناسٌ أموات»، فلم يقبل المحتشم ذلك. فقال له القديس: «اصبر قليلاً». وأنه أخذ المال وأفرغه على بابِ الدّير وأمرَ بأن يُضرب الناقوس، فحضر سائرُ الإخوةِ وكان عددهم ألفين وأربعينائة، ثم وقف الأب وقال: «يا إخوه، من أجلِّ محبةِ السيد المسيح، إنَّ كان أحدُكم محتاجاً إلى شيءٍ فليأخذ بمحبةِ من هذا المال». فعبر جميعُهم ولم يأخذ واحدٌ منه شيئاً. فلما رأى الدوّقس منه ذلك صار باهتاً متوجعاً متفكراً، ثم ألقى بنفسِه بين يديِ الأب وقال: «من أجلِّ اللهِ رهبي». فقال له القديس: «إنك إنسانٌ كبيرٌ ذو نعمة و وجهٍ و مركزٍ، و شقاء الرهبة كثیرٌ، و تعُبُّها مريرٌ، فجرّب ذاتك ثم أخبرني». فقال: «وماذا تأمرني أن أفعلَ من جهةِ هذا المال؟»؟ فقال له: «عمّرْ به موضعًا بالأديرةِ». ففعلَ، وبعد قليلٍ ترهبَ، صلااته تكون معنا، آمين. (س: ٥: ٧٦)

(An. 259)

٣٤١ – قيل عن القديس مقاريوس الوسطاني^(٤) إن إنساناً أتاه بعنقود مبكر. فلما رأه سبع الله وأمر أن يُرسلوه إلى آخر كان عليلاً، فلما رأه الأخُ فرح، وهمَّ أن يأخذَ منه حبةً واحدةً ليأكلها، لكنه قمع شهوته، ولم يأخذ منه شيئاً وقال: «خذوه لفلان الأخ لأنه مريضٌ أكثر مني». فلما أخذوا العنقودَ إليه رأه وفرح، لكنه قمع شهوته، ولم يأخذ منه شيئاً. وهكذا طافوا به على جماعة الإخوةِ فكان كُلُّ من أخذوه إليه يعتقدُ أن غيره لم يره بعد، وهكذا لم يأخذوا منه شيئاً. وبعد أن انتهوا من مطافِهم على إخوةٍ كثيرين انفذوه إلى الأَب. فلما وجد أنه لم تُضعْ منه حبةً واحدةً، سَبَحَ الله من أجل قناعةِ الإخوةِ

وزهدهم (Hist. gr. XXI, 13-14, Bu. I, 86)

وكان القديس^(٥) يقول: «كما أن بستانًا واحدًا يستقي من بنوعٍ واحدٍ، تنمو فيه أَهْمَارٌ مختلفٌ مذاقها وألوانها، كذلك الرهبان فإنهم يشربون من عينٍ واحدةٍ، وروحٍ واحدٍ ساكنٌ فيهم، لكن ثرَّهم مختلفٌ، فكلُّ واحدٍ منهم يأتي بشمرةٍ على قدر الفيض المُعطى له من الله». (س٥: ٧٧ ظ) (Bu. I, 635)

٣٤٢ – قال أحد الرهبان: «لا تعرِف بالرئيس ولا تتملقه، لئلا يحصل لك من ذلك دالَّةٌ فتشتاق للرئاسة». (س٥: ٧٧ ظ) (An. 326, Chaîne 152)

٣٤٣ – قال شيخ: «يا حنجراني^(٦)، يا من تطلب أن تملأ جوفك، الأجواد لك أن تلقي فيه حجراً ناراً من أن تتناول أطعمة الرؤساء». (س٥: ٧٧ ظ)

^٤ هو القديس مقاريوس الكبير حسب النص اليوناني لكتاب *Historia Monachorum*. أما الترجمة التي قام بها روفينوس لهذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية فقد نقل هذه القصة ووضعها تحت اسم القديس مقاريوس الإسكندري Hist. Lat. XXIII, col. 453

^٥ يبدأ هذا القول حسب النص السرياني هكذا: «اعتد الأَب يوحنا (القصير) أن يقول».

^٦ كلمة حنجراني وحنجرة تشير إلى النهم في الأكل (انظر قول ٩٠).

٣٤٤ - قال أَنْبَأَ أَفْرَآمَ: «اَهْرَبْ مِنَ الْمَشَارِبْ، وَلَا تَدْخُلْ الْمَحَالِسْ لَثَلَّا تَصِيرْ زَانِيَّا

خَلِوَّا مِنْ اُمْرَأَةِ تَسَاكِنَكَ». (س:٥ ظ٧٧)

٣٤٥ - قال شيخ: «المنصرف إلى العالم بعد رفضه إياه، إما أن يسقط في فخاخه ويتدنس قلبه بأفكاره، وإما أنه لا يت遁س لكنه يدين المتدعسين فيتدنس هو أيضاً». (س:٥ ظ٧٧)

٣٤٦ - قال القديس باسيليوس: لا تتحول في سائر العالم حيث لا تنتفع، ولا تحب الأسفار أو الطواف في القرى والبيوت، بل اهرب منها لأنها فخاخ الأنفس. فإن أحَلْ عليك أحدهم كي تدخل بيته معتقداً فيك العفة، فليتعلم ذلك الإنسان كيف يتبع إيمان قائد المائة الذي قال للسيد: «إِنِّي غَيْرُ أَهْلٍ لِأَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِيْ بَيْتِيْ». وبذلك يقوم إيمانه هذا مقام كل شيء له. (س:٥ ظ٧٨)

٣٤٧ محتوى

الراهب والصدقة

٣٤٧ - قال أَنْبَأَ فُورْطَاسَ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَيَاتِي فَهُوَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَسُوسُ أَمْرِي، وَإِنْ لَمْ يَشَأْ فَمَا لِي وَلِلْحَيَاةِ». وَكَانَ يَأْبِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً، وَإِذْ كَانَ مُقْعَداً مُلْقَى عَلَى سرير، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ: «إِنْ أَخْدَتُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً، فَلَيْسَ لِي مَا أَكَافِهُ بِهِ». (س:٥ ج٧٨) (Abc. Phortas 1a)

٣٤٨ - وقال أيضاً: «يُلِيقُ بِالْمُتَقْدِمِينَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَيَلْتَجِهُوا إِلَيْهِ بَوْزِعَ هَكَذَا، حَتَّى لَا يُعِيرُوا الشَّتِيمَةَ التَّفَاتَةَ، حَتَّى وَلَوْ كَانُوا مُظْلَومِينَ رِبُوَاتٍ مِنَ الْمَرَاتِ». (س:٥ ج٧٨) (Abc. Phortas 1b)

٣٤٩ - قال شيخ: «المرائي بالمسكنة ويمدح بها الرحمون ليأخذَ منهم شيئاً في خفية، فهو خاطفٌ وظالم، لأنَّه أخذ بالرياءِ بغير وجه حقٍّ، وما كان وفقاً على المساكين

٣٥٠ - قال الأب زيتون: «إن الراهب الذي يأخذ صدقةً، سوف يعطي حساباً

عنها». (س: ٥٧٨ ج) (An. 570)

٣٥١ - قيل: حدث يوماً أن جاء إلى الإسقاط إنسانٌ غني عاد من غربةٍ وأعطى لكّل راهب ديناراً صدقةً. وأنفذ كذلك بركةً لبعض الملازمين قلاليهم، فرأى أحدُهم في تلك الليلة حقلًا مملوءاً أشواكاً، وإنسانٌ يقول له: «اخْرُج ونظف حقلَ من أعطاك الأجرة»، فلما قام باكراً، أرسل الدينار لصاحبِه قائلاً له: «خذ دينارك، لأنَّه ليست لي قوَّةٌ على اقتلاع أشواكِ غيري، يا ليتني أستطيعُ اقتلاعَ أشواكَ حقلِي فحسب». (س: ٥)

(PE, III, 49,1,1-2) (ج ٧٨)

٦٩

ثوب الراهب

٣٥٢ - قال أحد الآباء: «لا يكن لك في قلاليتك ثوبٌ زائدٌ عن حاجتك ولست في احتياجٍ إليه، لأنَّ هذا هو موئلك، لأنَّ هناك قوماً آخرين غيرَك يؤلمهم البردُ، وهم أبُرُ منك وأحقُّ. وأنت الأثيم عندك ما يفضل عنك. لا تقنِّ إناءً يزيدُ عن حاجتك حتى ولا سُكْرُجةً واحدةً^{٥٧}، وإلا فعليك أن تحيبَ عما فضل عنك. لا تقنِّ ذهباً في كلِّ حياتك وإنَّما يهتمُ الله بك. وإنْ أتاك أحدٌ بذهبٍ، و كنتَ محتاجاً، فأنفقه في قُولتك، وإنْ لم تكن محتاجاً، فلا يَبْتَدِع عنك. إن شئتَ أن تمتلك النوحَ، فاجتهد أن تكونَ أوانيك وكلُّ أمتعتك مسكينةً فقيرةً، مثل الإخوة الشحاذين. إذا اقتنيتَ مصحفاً (أي إنجليلَا) فلا تتنمّق

^{٥٧} السكرجة، بضم السين والكاف والراء والتشديد، إناءً صغير يُؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية وأكثر ما يوضع فيها الكوامِيخ ونحوها (سان العرب).

في تخليله ولا ثرّيّنه. ثوباً جديداً لا تلبس، لأن جميع هذه تمنع من النوح. وبالإجمال، ليكن جميع ما هو لك مما لا تتألم على فقدانه. ثيابك وحذاؤك وكلُّ أوانيك لتكن هكذا حتى لو جاء قومٌ ليسرقونها لا يرضون بها ولا يعجبهم شيء منها». (س: ٥٧٨ ظ) (PE, IV, 12-17)

٣٥٣ - وقال أحد الآباء أيضاً: «إن الله يتحمل خطايا أهل العالم، أما خطايا أهل البراري فلا يتحمل، لأن ما يطالب به أهل العالم مختلفٌ عما يطلبه من قد تخلى عن العالم. لأنَّ من هو في العالم له أعداء كثيرة، فاما نحن، فأيُّ عذر لنا، نحن الذين قد قصدنا البرية، وتغربنا فيها؟ الحقيقة، إن عقاباً شديداً وناراً تلتهب تلحق بالعارفين لمشيئة الرب ولا يسلكون بمقتضاهما». (س: ٥٧٨ ظ) (Bu. I, 290)

٣٥٤ - قال القديس باسيليوس: «هذا ما يليق بالراهب: التمسك، عقلٌ منخفضٌ، نظرٌ مُطْرَقٌ إلى الأرض، وجهٌ مُقطَبٌ، زيٌّ مهمل، ثوبٌ واسعٌ حتى يكون حالنا كحال النائحين الباكيين، ثوبٌ بقدر الجسد لأن الغرض منه شيءٌ واحدٌ هو ستر الجسد من الحر والبرد، ولا نطلب ازدهار الصبغ وحسناته ولا نعومة الثوب ولا ليونته، لأن الميل إلى ذلك من صفات النساء، كما يجب أن يكون الثوب سميكاً حتى لا يحتاج الأمر إلى وشاحٍ ليدفعه من يلبسه. ولتكن الحذاء بسيطاً يتم الحاجة الداعية إليه فقط. وكذلك الحال في الطعام، حبزة واحدة تسد الجوع، والماء ليروي ظمأ العطشان. أما المشي فلا يكون بطيناً بالتحلال كما لا يكون بسرعةٍ وعجرفةٍ حيث الحركات الخطرة». (س: ٥٧٨ ظ)

٣٥٥ - من كلام مار إسحق قس القلايلي: «شيطان الزنى يرصد ثوب الراهب، هل يلبسه باستمرارٍ أو يغيره عند التقائه بأخر، لأن هذا هو مفتاح الزنى». (س: ٥٧٩ ج)

٣٥٦ - وقال أيضاً مخاطباً الإخوة: «إن آباءنا كانوا يلبسون خرقاً موصولةٌ قديمةً،

وأغطيةٌ عتيقةٌ. أما الآن فلباسُنا ثيابٌ غالبةِ الثمن. امضوا من ههنا ، فقد أفسدتم ما كان ههنا». ولما كانوا عتيدين أن يمضوا إلى الحصاد قال لهم: «لن أوصيكم بشيءٍ لأنكم لا تحفظون شيئاً». (س: ٥ ج) (Abc. Isaac the Presbyter 7)

٣٥٧ - قال أبا بمو: «يليق بالراهب أن يلبس ثوباً لو تركه خارج قلاليته أيامًا مطروحاً، لا يرضي أحد أن يأخذه لحقارته». (س: ٥ ج) (Abc. Isaac the Presbyter 12,) (Pampo 6

٣٥٨ - قيل عن يوحنا فم الذهب: «إن مدة إقامته في البطريركية كان غذاؤه ماء الشعير والدشيشة يومياً، كما كان يأخذ طعامه بوزن ومقدار. وهذا ما جعله ينسى الشهوة، أما ثوبه فقد كان من خرقٍ وشعرٍ خشن، ولم يكن له ثالث». (س: ٥ ج)

٤٤٦

الراهب والأقرباء

٣٥٩ - وبخصوص البعد عن الأقرباء قيل: إن راهباً سأله الأب برصنوفيوس بشأن أخيه العلماني الحاج إلى ثوب، فأجابه: «أتسلّطي إليها الأخ بخصوص أخيك؟ إن لا أعرف لك أحداً غيرَ المسيح، فإن كان لك إخوة فاعمل معهم ما شئت، فأنا ليس لي كلام، لأنك إن كان الرب نفسه قال: من هي أمي ومن هم إخوتي؟ فماذا أقول أنا لك؟ هل تطرح وصيَّةَ الرب وتربط بمحبة أخيك حتى ولو كان مفتقرًا إلى ثوب؟ وإن كنت قد ذكرت أخاك، فلِمَ لم تذكر المساكين الآخرين؟ لا بل لم تذكر القائل عن نفسه: إنني كنت عرياناً ولم تكسوني. ولكن الشياطين تلاعبك بل وتنذرك أيضاً بأولئك الذين كنت قد حذّرَتهم لأجلِ المسيح لكي ما تظهر مخالفًا لأوامره». (س: ٥ ج) (Bar. Let.) (139)

٣٦٠ - كذلك قيل: سأله أحد الإخوة شيئاً وقال له: «إن أخي مسكينة فهل

أعطيها صدقةً، إذ ليس لها نظيرٌ في المساكين؟»؟ قال له الشيخُ: «لا». قال الأخُ: «لِمَ أَيْهَا الْأَبِ؟» قال له الشيخُ: «لأنَ الدَّمَ يجذبُك إلى ذلك، أكثرُ من وصيَّةِ المُسِيحِ». (س: ٥ ظ) (An. 233)

٣٦١ - قيل كذلك إنَ أحدَ الإخوةِ كانت له والدَةٌ تقيَّةٌ، فلما حَدثَتْ مجَاهِدةً كبيرةً، أخذَ قليلاً من الخبزِ ومضى إليها، ولما كان يسيرُ جاءَ إلَيْهِ صوتٌ قائلاً: «أهتمُ أنتَ بوالدتك أمَ أنا المَهْتَمُ بِهَا؟» فميَّرَ الأخُ قوَّةَ الصوتِ، وخرَّ على الأرضِ بوجهِهِ قائلاً: «أنتَ يا ربُّ هو المَهْتَمُ بِنَا»، وفَضَ راجعاً إلى قلابِتهِ. وفي اليومِ الثالثِ جاءَتْ إلَيْهِ والدَّةُ وقالَتْ لهُ: «إنَ فلاناً الراهبُ أعطاني قليلاً من الحنطةِ، خذها واصنِعْ لِنَا أرغفةً لنأكلَ». فلما سمعَ الأخُ بذلكَ، بَحَّدَ اللهَ وقوَّيَ أملَهُ. (س: ٥ ظ) (An. 233)

٣٦٢ - قالَ أحدُ الآباءَ: «إنَ جحدَتْ أنسِبَائِكَ بالجَسَدِ معَ أمورِ الجَسَدِ لأجلِ اللهِ، فلا تخدعُ للرَّحْمَةِ على والدتك أو ابنك أو أخيك أو أحدِ أنسِبَائِكَ، لأنَكَ قد تخلَّيتَ عن هذهِ كُلُّها، اذْكُرْ ساعَةَ موتكِ، فلن ينفعَكَ واحدٌ منهم». (س: ٥ ظ) (An. 233)

٣٦٣ - قيلَ عنَ أحدِ رهبانِ الإسقِيطِ (إنه كان له ولدٌ قبلَ رهبتِهِ) وأنَ ولدَهُ أحدَ في خدمةِ السُّلطانِ، فكتَبَتْ أمُ الصَّبيِّ إلى زوجِها الراهبَ أنَ يسألَ الواليَ في إطلاقِهِ، فأجابَ الراهبُ وقالَ للمرسالِ: «إنَ هو أَخْلَى سبِيلِهِ أَمَّا يأخذُونَ غَيْرَهُ؟» قالَ: «نعم». قالَ الراهبُ: «وَأَيْةً مُنْفَعَةٍ مِنْ أَنْ أُفْرِّجَ قلبَ هَذِهِ، وَأَحْزِنَ قلبَ أَخْرَى؟» وَكانَ ذَلِكَ الراهبُ يَعْمَلُ عَمَلاً مُتواصِلًا، فَكَانَ يَأْخُذُ مِنْهُ حاجَتَهُ، وَمَا بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ يَفْرَقُهُ عَلَى الْمَسَاكِينِ. فلما حَدثَتْ مجَاهِدةٌ عَظِيمَةٌ، أَرْسَلَتِ الْوَالِدَةُ وَلَدَهُ إِلَيْهِ تطلبُ مِنْهُ أَنْ يَعْطِيهَا خبِيزًا قليلاً، فلما سمعَ الراهبُ قالَ لولَدِهِ: «أَمَا يُوجَدُ فِي الْمَوْضِعِ قَوْمٌ آخَرُونَ مُحْتَاجُونَ مُثْلُكُمْ؟» فأجابَهُ: «نعم يا أبي كُلُّ النَّاسِ مُحْتَاجُونَ». فأَغْلَقَ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَتَرَكَهُ باكِيًّا

وقال: «امض يا ولدي، والمهتم بالكل يهتم بكم». فسأل أحد الإخوة الشيخَ قائلاً: «أما يُؤْمِنُكَ الْفَكْرُ إِذ رَدَدْتَ هَكَذَا؟» فأجابة: «إِنْ لَمْ يُكْرِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُقْوِمَ شَيْئاً مِنَ الصَّلَاحِ الْبَتَّةِ». (س: ٥٨٠ ج)

٣٦٤ - كان لأحد الرهبان أخ علماني وكان يواسيه من عمله وبقدر ما كان يواسيه، كان ذاك يفتقر أكثر. فمضى الراهب وأخبر أحد الشيوخ، فقال له: «إِنْ سَمِعْتَ مِنِي، فَلَا تَعْدُ تَعْطِيهِ شَيْئاً بَعْدَ، بَلْ قُلْ لَهُ: «لِمَّا كَانَ لِي كَنْتُ أَعْطِيكَ، أَمَا الْآنَ، فَبِقَدْرِ مَا تَيْسَرُ لَكَ هَاتِ هَاتِ لِي». وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِهِ إِلَيْكَ أَعْطِهِ لِلْمَسَاكِينِ وَسَأْلُهُمْ أَنْ يَصْلُوُا مِنْ أَجْلِهِ». فلما جاء أخوه العلماني، قال له كما أعلمته الشيخ، فمضى من عنده كثيراً. وفي اليوم الثالث، أحضر له من تعبه قليل بقلٍّ، فأخذها الراهب وأعطها للشيخ وسائلهم أن يصلوا من أجله. ولما جاء ثاني مرة، أحضر له بقولاً وثلاث خبزات، فأخذها الراهب وعمل مثلما عمل أولاً، ولما جاء لثالث مرة، أحضر له أشياء ذات ثمنٍ كتبلاً وسمك. فلما رأى الراهب ذلك تعجب واستدعى المساكين وأطعمهم وقال لأنبيه: «هَلْ أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْحَبْزِ فَأَعْطِيكَ؟»؟ فقال له ذاك: «لَا يَا أَخِي، لَأَنِّي لَمَّا كَنْتُ أَحْذِنُ مِنْكَ شَيْئاً، كَانَ كَانَهُ نَارٌ تَدْخُلُ إِلَيْ بَيْتِ فَتَأْكِلُهُ، وَكَانَهُ هَبَاءٌ تَأْخُذُهُ الرِّيحُ فَلَا أَجْدُهُ». ومنذ أن توقفت عن أن أخذ منه شيئاً، بارك الله لي». فمضى الراهب وأخبر الشيخ بكل ما جرى فقال الشيخ: «إِنْ مَتَّاعَ الْرَّاهِبِ هُوَ نَارٌ، أَيْنَمَا دَخَلَ أَحْرَقَ». (س: ٥٨٠ ج) (An. 286, Chaîne 94)

٣٦٥ - قال أحد الآباء لراهب له مقتنيات: «لَقَدْ سُمِّيَ الْرَّاهِبُ مَتَوْحِدًا لِأَنَّهُ أَصْبَحَ يَعِيشُ وَحْدَهُ، لَا يَمْتَلِكُ شَيْئاً». فإن كان له ملك يجار عليه ويظلم فيه، أو يجور هو ويظلم، فليس هو إذن براهب. لأن نواميس الملك لا تُسلِّمُ بِأَنْ يَحَاكِمَ الرَّهَبَانُ فِي بِحَالِهِ أَحْكَامِهِمْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ مَاتُوا عَنِ الْعَالَمِ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ عَدِمَ كُلُّ عَفْوٍ ذَلِكَ الْرَّاهِبُ الَّذِي

يُدخل نفسه في مجالسِ الحكام لأجل شيءٍ يُظلم فيه أو يُحار عليه». (س٥: ٨٠ ظ)

٣٦٦ - قيل أيضاً: أراد في يومٍ من الأيام والي البلاد أن يشاهد أثباً بيمين، لكن الشيخَ لم يشاً ذلك. فقبض الوالي على ابن أخيه بهذه الحجة وحبسه، كأنه قد عمل عملاً منكراً. وقال: «إن جاء الشيخُ وسائلني من أجلِه فسوف أطلقه». فجاءت إليه أخيه باكيَةً على الباب، فلم يُحجبها بمحوابِ البتة. فكررت عليه قائلةً: «يا قاسيَ القلب، يا حديديَ الأحشاء، ارحمي فإنه وحدي وليس لي سواه». فقال لها: «بيمين ما ولدَ أولاداً». فلما سمع الوالي قال: «وإن سألي بالملکاتِ فقط فإنْ أطلقه». فأجاب الشيخُ قائلاً: «افحصه على ما يأمرُ به الشرعُ، فإنْ كان مستحقاً للقتل فليُقتل، وإنْ فافعل كما تريده». (س٥: ٨٠ ظ)

١٩٤

الراهب وحياة الشركَة

٣٦٧ - قال أحدُ الشيوخ: إن الرهبان المتوضعين بالزيِّ المقدس، القاطنين في الأديرَة، لا يليق بهم أن يقولوا: «لي ولك، وهذا ولذاك». والجماعةُ المشتركة كذلك، ليس لهم أن يعتبروا شيئاً ما ملكاً لواحدٍ منهم. ولا يدورُ فيما بينهم القولُ: «لي ولك، وهذا ولذاك». وإنَّ مما يليقُ أن تُدعى الجماعةُ بالكتويون، أي العيشة المشتركة، بل تُدعى مجتمعَ لصوصٍ ومغارَةً مملوءَةً من كلِّ رذيلةٍ وسلبٍ للأشياء الطاهرة». (س٥: ٨١ ج)

٣٦٨ - قال أثباً ديدادونخس: «الذِي قد حَظِيَ وقارَأ بِعِرْفَةٍ مقدسة وذاقَ الحلاوة الإلهية، لا يجبُ له أن يحاكمَ قط ولا يقيمَ دعاوىً أو يجذبَ إلى مجلسِ حكمِ بالجملة، حتى ولو سَلَبَ سالبَ ملابسَه، لأنَّ عدالةِ السلاطين في هذا الدهر ليست شيئاً بالمرة بالنسبة إلى عدالة الله. وإنَّ فأيُّ فارقٍ إذن بين أولادَ الله وأولادَ هذا الدهر؟ وإليك ما

فعله سيدُنا يسوعُ المسيحُ، فإنه لما شتموه لم يشتم هو عوضاً، ولما آلموه لم يهدّد، ولما نزعوا ثيابه لم يتكلّم، وتوجّح لأجلِ خلاصنا، وما هو أعظم من ذلك كله، أنه سأله الغفرانَ لفاعلي المكروه به». (س٥: ٨١ ج)

٣٦٩ - سأل أخْ شيخاً قائلاً: «أريدُ أن أقيمَ مع آخرٍ في كنوبيون حتى أستريحَ في قلاليق، ويعطيني عملاً أعمله بيدي ويهمُّ بي». قال الشيخ: «لا تفعل ذلك، وإلا فما كنتَ تستطيعَ أن تعطي أحداً خيراً». (س٥: ٨١ ج)

٣٧٠ - سأل أخْ الأب بيمين قائلاً: «أريدُ أن أدخلَ إلى كنوبيون وأسكنَ فيه». فقال له الشيخ: «إن شئتَ سكّني الكنوبيون، فإن لم تعتق نفسك من همُّ كلّ محادثة، وتبتعد عن سائرِ الأشياءِ، فلا يمكنك سكّني كنوبيون، لأنَّه لن يكون لك هناك سلطانٌ إلا على عصاك». (Abc. Poemen 152) (س٥: ٨١ ج)

٣٧١ - قال أحدُ الآباء: إن شئتَ أن تجدَ راحةً في هذه الدنيا، قل في كلّ أمرٍ تعمله: «أنا من أنا»؟ كما لا تدن أحداً. وقال آخر: إنْ أنت استحررت نفسك تجد راحةً في أيٍّ موضعٍ حلست. (س٥: ٨١ ظ)

٣٧٢ - وقال آخر: «ليكن فكرُك فكرًا صالحًا هادئًا في أيٍّ موضعٍ سكنتَ فيه، كما لا تطلب أن تُلقي قولَك قدامك، فتستريح». (Bu. I, 307) (س٥: ٨١ ظ)

٣٧٣ - وقال آخر: حينما تجلس قل: «غريبٌ أنا، غريبٌ أنا». (س٥: ٨١ ظ)

٣٧٤ - وقال آخر: حاورَ من يقول: «أيَّ شيء أريد أنا»؟ فبمحاجرتك لذاك سوف تجد راحَةً. (س٥: ٨١ ظ) (Abc. Poemen 143)

٣٧٥ - وقال آخر: «لا تسكن في موضعٍ له اسمٌ، ولا تجلس إنساناً عظيماً

٦٩٤

الراهب والغضب الباطل

٣٧٦ - سأله أخ الأب بيمين قائلاً: «ما معنى قوله: الذي يغضب على أخيه باطل؟» قال له: «إن أخذ أخوك منك شيئاً، وظلمك فيه وغضبت عليه بسببه، فغضبك هذا يكون باطلاً، لأنك غضبت لأجل أشياء باطلة، أما إن أراد إبعادك عن الله خالقك، فحينئذ أغضب جداً، لأن غضبك حينئذ لا يكون باطلاً». (س٥: ٨١ ظ) (Abc. Poemen 118)

٣٧٧ - ومرة سمع عن إنسان أنه كان يواصل صوم ستة أيام، لكنه كان يغضب، فقال: «إن كان هذا قد تعلم كيف يطوي الأسواع، فكيف لا يتعلم كيف يُبعد عنه الغضب؟». (س٥: ٨١ ظ) (Add. Poemen S 16)

٣٧٨ - قال الأب مقاريوس: «إن كنت في حال ردعك غيرك تَحْرُد وتغضب، فأولى بك أن تشفي الملك أولاً، لأنه لا يليق أن تُهلك نفسك لتخالص غيرك». (س٥: ٨١ ظ) (Abc. Macarius 17)

٣٧٩ - سأله إخوه الأب رومانوس قائلين: «ماذا يجب أن تتدبر؟» فأجابهم الشيخ: «لا أتذكر أني سألت في وقت من الأوقات إنساناً بأن يعمل شيئاً، ما لم أسبق فاجيل في حاطري أني لا أغضب مني خالفي، ولم يعمل بما قلته له. وهكذا عشنا عمرنا كله بسكون وسلام»، (س٥: ٨١ ظ) (Abc. Romanos 1)

٣٨٠ - سأله أخ شيخاً قائلاً: «إن سكنت مع إخوة، ورأيت منهم أمراً غير لائق فهل تشاء أن أتكلّم؟» قال الشيخ: «إن كانوا هم أكبر منك أو في مستواك، فسكت ثم

خيرٌ لك. لأنك بسكتك تخلص». فقال الأخُ: «فماذا أعملُ أيها الأب، لأن الأرواح تقلقني بأن أتكلّم، وهكذا تجدني متّبعاً». فقال الشيخُ: «إن كان ولا بدّ، فذكّرهم مرةً باتضاعٍ وذلك بأن تؤخّر إرادتك وتخضع لله، محتاطاً لنفسك ألا تتكلّم فيهم بنعيمٍ، وعندي أن السكوتَ أفضل، لأنه دليلٌ على الاتضاع». (س: ٥٨١ ظ) (An. 318)

٣٨١ - قال أحدُ الآباء: إنه لا يوجد أفضَلُ من هذه الوصية: لا تزدرِ بأحدٍ من الإخوة، هو ذا قد كتب: «توبِخَا توبِخ قريشك ولا تأخذ بسببه خطيئةً». فإن علمتَ أن أخيك مخطئٌ ولم تخبره بغلطته وثبتَ فيها يموٌ بخطيئته. ما أجود التوبِيخ لا سيما إذا كان بمحبةٍ واتضاع، لا بمعيرةٍ وازدراء». (س: ٥٨٢ ج)

٣٨٢

الراهب والدينونة (١)

٣٨٢ - قال شيخٌ: «إن كلَّ كلمةٍ يتكلّمُ بها الإنسانُ ولا يستطيعُ أن ينطقَ بها قدام أخيه، فإنما تُعتبر نعيمٌ ووشایة». (س: ٥٨٢ ج)

٣٨٣ - من كتاب الدرجي: سمعتُ نَمَامين، فلما زجرُتهم قالوا لي بأنهم لا يفعلون شرًا، وإنما يفعلون ذلك محبةً وشفقةً على أولئك الذين يتكلّمون في حقّهم. أما أنا فقلتُ لهم: «ليست هذه محبةً، لكنك إن كنتَ تُحبُّه حقًا، فصلُّ من أجلِه حُفْيَةً ولا تَهُجْ أو تَسُبْ أحدًا». (Lad X, 4) (س: ٥٨٢ ج)

٣٨٤ - قال أَنْبَا بِيمِين: قد تجد إنساناً يُظَنُّ به أنه صامتٌ، لكن فكره يدينُ آخرين، فمن كانت هذه صفتة، فهو أبداً يتكلّم. وقد تجد آخرَ يتكلّم من بُكْرَةٍ إلى عشيَّةٍ، ويلازم الصمتَ، أعني أنه لا يتكلّم كلمةً بلا منفعةٍ. (س: ٥٨٢ ج) (Abc. Poemen 27)

٣٨٥ - وقال شيخٌ: «إن شئتَ معرفةَ الطريقِ فعليكَ بأن تعتقدَ في ضاربك

كاعتقادك فيمن يحبك، وفي شامتك كمن يمحّدك، وفي ثالبك كمن يكرّمك، وفي
مخزيك كمن ينِيحك». (س٥: ٨٢ ج)

٣٨٦ - وقال آخر: «إن لم يكن قد صار عندك الامتحان كالإكرام، والخسران
كالربع، والغربة كالقرابة، والعوز كالفضيلة، فامض واعمل ما شئت». (س٥: ٨٢ ظ)

٣٨٧ - وقال آخر كذلك: «إن لم يعتقد الإنسان فيمن يظلمه كاعتقاده في
الطيب، فإنه يظلم نفسه ظلماً عظيماً. فسيلوك أن تتذكر من يظلمك كتذكرة طيباً
نافعاً لك، مرسلاً من قبل المسيح إليك كما يلزمك أن تتألم من أجل اسمه». (س٥: ٨٢ ظ)

٣٨٨ - قيل عن القديس مقاريوس: إنه كان في بعض القلالي أخ صدر منه أمر
شنع وسع به الأب مقاريوس، ولم يُرد أن يكتبه. فلما علم الإخوة بذلك لم يستطعوا
صبراً. فما زالوا يرافقون الأخ إلى أن دخلت المرأة إلى عنده. فأوقفوا بعض الإخوة
لمراقبته، وجاءوا إلى القديس مقاريوس. فلما أعلمه قال: «يا إخوة لا تصدقوا هذا الأمر،
وحشا لأخينا المبارك من ذلك». فقالوا: «يا أبانا، اسمح وتعال لتبصر بعينيك حتى
يمكنك أن تصدق كلامنا». فقام القديس وجاء معهم إلى قلية ذلك الأخ كما لو كان
قادماً ليسلّم عليه، وأمر الإخوة أن يتبعوا عنه قليلاً. فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى
تحير في نفسه، وأنحدته الرعدة وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده، فلما دخل
الأب جلس على الماجور، وأمر الإخوة بالدخول، فلما دخلوا وفتحوا القلية لم يجدوا
أحداً ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور، ثم تحدثوا مع الأخ وأمرهم
بالانصراف. فلما خرجوا، أمسك القديس بيده، وقال: «يا أخي على نفسك احكم
قبل أن يحكموا عليك، لأن الحكم لله». ثم ودعه وتركه، وفيما هو خارج، إذ بصوت
أناه قائلاً: «طوباك يا مقاريوس الروحاني، يا من قد شبّهت بخالقك، تستر العيوب

مثله». ثم أن الأخ رجع إلى نفسه وصار راهباً حكيمًا مجاهداً وبطلاً شجاعاً. (س: ٣٠ ظ)
صلواتُ جميعهم تكون معنا آمين (Abc. Ammonas 10).

٣٨٩ - لأجل الدينونة قال القديس دوروثاؤس: إنه لا شيء أرداً من الدينونة لِإنسان، لأنّ بسيبها يتقدم إلى شرورٍ ويسكن في شرورٍ، فمن دان أخاه في قلبه وتحدث في سيرته بلسانه، وفحص عن أعماله وتصرفاته، وترك النظر فيما يصلح ذاته، وانشغل بما يلزمُه بما لا يلزمُه من الأمور التي ينشأ عنها الازدراء والنمية واللامة والتغيير، فحيثُ تخلَى المعونة الإلهية عنه، فيسقط فيما دان أخاه عليه. أما النمية فتصدر من ذاك الذي يخبر بما فعله أخوه من خطايا شخصية، فيقول عنه إنه فعل كذا وكذا. وأما الدينونة، فبأن يخبر بما لأخيه من خلقٍ رديء، فيقول إنه سارقٌ أو كذاب أو ما شابه ذلك، فيحكم عليه بالاستمرار فيها وعدم الإفلات منها. وهذا النوع من الدينونة صعب جدًا، ولذلك شبه ربنا خطيئة الدينونة بالخشبة، والخطيئة المدانة بالقذى. من أجل ذلك قبلَ توبة زكا العشار، وصفح عما فعله من آثامٍ، وشجب الفريسي لكونه دان غيره، مع ما له من صدقة وصومٍ وصلةٍ وشكراً لله على ذلك. فالحكم على خلقة الله، يليق بالله لا بنا، فدينونة كلٌ واحدٌ وتزكيته هي من قبل الله وحده، لأنه هو وحده العارف بسر كل إنسان وعلانيته. وله وحده إصدار الحكم في كلٌ أمرٍ وعلى كلٌ شخصٍ. إذ يتفق أن يعمل إنسانٌ عملاً بسذاجة وبقصد يرضي الله، وتظن أنت غير ذلك. وإن كان قد أخطأ، فمن أين تعلم إن كان تاب وغفر الله له، أو إن كان الله دانه في العالم إزاء ذنبه؟ فالذي يريد الخلاص إذن، ليس له أن يتأمل غير نعائص نفسه، مثل ذلك الذي رأى أخاه قد أخطأ فبكى وقال: «اليوم أخطأ هذا الأخ، وغداً أخطأ أنا، وربما يُفسح الربُ لهذا فيتوب، وقد لا يُفسح لي أنا». فالحقيقة ويلٌ لم يدين أخاه فإنه سيهلك نفسه بكونه صار دياناً، ولكونه يؤذى الذين يسمعونه. وعنه يقول النبي: «ويلٌ للذى يُسقي أخاه

كأساً عَكِرَة». وكذلك: «وَيُلْ لِلَّذِي مِنْ قِبَلِهِ تَأْتِي الشَّكُوكُ». أما أصلُ هذا كُلُّهُ فهو عدمُ الحَبَّةِ، لأنَّ الحَبَّةَ تغطِي كُلَّ عَيْبٍ. أما الْقَدِيسُونَ فَإِنَّمَا لا يَدِينُونَ الْأَخَّ، لِكُنْهُمْ يَتَّمُّلُونَ مَعَهُ كَعَضْبِهِمْ، وَيَشْفَقُونَ عَلَيْهِ وَيَعْضُدُونَهُ وَيَتَحَايلُونَ فِي سَبِيلِ خَلَاصِهِ، حَتَّى يَنْشُلُونَهُ كَالصَّيَادِيْنَ الَّذِيْنَ يُرْخُونَ الْحَبَلَ لِلسمْكَةِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى لا تُخْرِقَ الشَّبَكَةَ وَتُضِيِّعَ، فَإِذَا تَوَقَّفَتْ سَوْرَةُ حَرْكَاهَا حَيْثُنَدَ يَجْرُوْنَهَا قَلِيلًا قَلِيلًا. هَكُذا يَفْعَلُ الْقَدِيسُونَ، فَإِنَّمَا بُطْرُولُ الرُّوحِ يَجْتَذِبُونَ الْأَخَّ السَّاقِطَ حَتَّى يَقِيمُوهُ، كَمَا فَعَلَ شَيْخٌ إِذْ جَلَسَ عَلَى الْمَاجُورِ الَّذِي كَانَ تَحْتَهُ الْمَرْأَةُ، لَكِي لَا يَجْدُهَا أَوْلَئِكَ الَّذِيْنَ نُؤْمِنُ عَلَى الْأَخَّ، (وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ) بِشَفَقَةٍ وَمُحبَّةٍ، لَا باسْتِنْقاصٍ وَتَعْيِيرٍ. (Dor. Discourses 6: ٥٨٢ ظ)

٣٩٠ - كذلك أخبر أحد رؤساء الأديرة عن شيخ من الشيوخ القدисين أنه سكن قريباً من الدير، وكان ذا نفسٍ راجحة في الصلاح، فحاوره أخ راهب. واتفق في غيبة الشيخ أن طغى الأخُ وفتح قلابته، ودخل فأخذ زنايله ومصاحفه. فلما راجع الشيخ وفتح قلابته، لم يجد زنايله ولا باقي حاجاته، فجاء إلى الأخ ليخبره بما جرى له. وبدخوله قلابة الأخ وجد زنايله ومصاحفه في وسطها، لأن الأخ لم يكن بعد قد خبأها. فلمحه الشيخ، رأى ألا يُحرجَه، أو يوبخه، أو يُخجله، فتضاهر بوجود ألم في بطنه، ويحتاج الأمر لزواله إلى قضاء الحاجة، فدخل بيت الراحة وأبطأ فيه وقتاً طويلاً، حتى إذا تأكد أن الأخ خبأها، خرج الشيخ وبدأ يكلمه في أمورٍ أخرى ولم يوبخه. وبعد أيام قليلة، عثروا على زنايل الشيخ عند الأخ، فأخذه قومٌ وطروه في الحبس، فلما سمع الشيخ أنه في الحبس ولم يكن يعرف العلة التي من أجلها حُبس، قام وجاء إلى الرئيس، وقال له: «اصنع محبةً وأعطي بيضاً وخبزاً قليلاً». فقال له ذلك: «من البين أنه يوجد عندك اليوم ضيف». فقال له: «نعم». فأخذ الشيخ ما طلبه، ومضى إليه في الحبس، ليجد الأخ غداءً من الطعام. فلما دخل ليفتقدَه، خرَّ الأخ على رجليه وقال: «يا معلم،

لقد حيء بي إلى ههنا، لأنني أنا هو الذي سرقت زنابيلك، ومصاحفك تجدها عند فلان، وثوبُك تجده أيضاً عند فلان». فقال له الشيخ: «بالحقيقة يا ولدي، أعلم تماماً أنني لست من أجل هذا الأمر دخلت إلى الحبس، ولم أعلم بوجه من الوجوه أنك جئت من أجلني إلى ههنا، لكنني سمعت أنك محبوسٌ فاغتممت، وحيث مصلحاً لك طعاماً تتغذى به، فاقبل الخبز والبيض وخذله من أجلِّي محبي». ثم إن الشيخ خرج إلى أكابر البلد، وأعلمهم بأن هذا الأخ بريء، وسألهم ألا يجلبوا على أنفسهم خطيبة. ولكونه معروفاً بينهم بالفضل والخير، سمعوا لكلامه، ولو قتهم أطلقوه، فهذا الأخ بقي تلميذاً عند الشيخ بقية أيام حياته ولم يكلمه بكلمة واحدةٍ فقط. (س٤: ٧٦ ظ)

٣٩١ - وأيضاً قالشيخ: لا تَدْنِ الفاسقَ أَيْهَا العفيفِ لَعْلا تصيرَ مثْلَه مخالفاً للناموس، لأن الذي قال لا تزن، قال أيضاً لا تَدْنِ. والرسول يعقوب يقول: «إِنْ مَنْ حَفِظَ النَّامُوسَ كُلَّهُ، وَذَلِّ فِي وَاحِدَةٍ مِّنْهُ، صَارَ مُطَالَبًا بِالْجَمِيعِ». (س٥: ٨٣ ج) (Add. Théodote S1)

٣٩٢ - قال الأب يوحنا السينائي: إنه في حالٍ جلوسي في البرية الجوانية، جاءعني أحد الإخوة متقدماً من الدير، فسألته: «كيف حال الإخوة؟» فأجابني: «بخيرٌ بصلاتك». فسألته أيضاً عن آخر واحد كانت سمعته قبيحة، فأجابني: «صدقني يا أبي، إنه لم يتُّب بعد منذ ذلك الوقت الذي أُشيعت عنه فيه تلك الأخبار». فلما سمعت ذلك قلت: «أَفَ». فعند قوله «أَفَ» أخذني سُباتٌ وكأن نفسي قد أخذت، فرأيتُ أنني قائمٌ قدامَ الجحمة، والمسيح مصلوباً بين لصين، فتقدمتُ لأُسجدَ له، ولكنه أمر الملائكة الواقعين قدامَه يابعادي خارجاً قائلاً: «إِنْ هَذَا إِنْسَانٌ قد اغتصبَ الدِّينَوَنَةَ مِنِّي وَدَانَ أَخَاهُ قَبْلَ أَنْ أَدِينَهُ أَنَا». فولَّتْ هارباً، فتعلق ثوبي بالباب وأغلق عليه، فتخلَّتْ عن ثوبي هناك. فلما استيقظت قلتُ للأخر الذي جاءعني: «ما أَرَدَّ هَذَا الْيَوْمَ عَلَيْهِ». فأجابني: «ولم

يا أبي؟ فأخبرته بما رأيتُ وقلت: «لقد عَدِمْتُ هذا الثوبَ الذي هو سُترةُ اللهِ لي».

ومن ذلك اليوم، أقام القديسُ هكذا تائهاً سبعَ سنين في البراري، لا يأكل خبزاً ولا يأوي تحت سقفٍ، ولا يصرُّ إنساناً. وأخيراً رأى في منامه كأنَّ الربَّ قد أمرَ أن يُعطوه ثوباً. فلما انتبه فرَحَ فرحاً عظيماً، وبعد أن أخبرنا بذلك بثلاثةِ أيامٍ تبيح. فلما سمعنا ذلك تعجبنا قائلين: «إنَّ كَانَ الصَّدِيقُ بِالجَهَدِ يَخْلُصُ، فَالْمُنَافِقُ أَيْنَ يَظْهُرُ؟». (س: ٥٨٣ ظ) (III, 2B, 36)

٢٩٤

تادرس الرهاوي

٣٩٣ - من خبر تادرس الرهاوي:

كان بتلك النواحي حبيسٌ قديم، فمضى إليه القديس تادرس الأسقف، وسألَه أن يعرفه بسيرته من أجلِّ الرب. فتنفس الحبيسُ الصَّعداء، وتهنَّدَ من صميم قلبه وذرَفَ دموعه وقال: «أما سيرتي فأنا أُخْبِرُكَ بها، فقط لا شهراً لأحدٍ إلا بعد انتقالِي. فاعلم أيها الأبُ، أني خدمتُ بدِيرِ ثلاث سنوات مع أخي أكبر مني، وبعد ذلك جذبنا الشوق إلى الوحدةِ، فخرجنا بأمرِ أبينا الروحي وجئنا إلى البريةِ في بابل القديمة، وسكنَا مقابرَ لم يبعد بعضُها عن بعضٍ كثيراً. وكنا نتعذَّى من الحشائش النامية من ذاتها من سبت إلى سبت، وكنا إذا خرجنا لنجمع الحشائش لغذائنا، يتراءى مع كلِّ واحدٍ منا ملاكٌ يحفظه. ولم يكن أحدُنا يخاطب الآخر ولا يقترب منه. ففي أحدِ الأيام رأيتُ أخي من بعده قد قفزَ عن موضعِ طائرًا كأنَّه نجا من فخٍ، ومضى هارباً إلى قلاليته. فلما عَجَبْتُ من قفزته، مضيتُ إلى ذلك الموضع لأتتحققُ الأمرَ. فوجدتُ هناك ذهباً كثيراً، فأخذته ثم جئتُ إلى المدينة، وابتعدتُ موضعاً حسناً محاطاً بسورٍ وبه عينٌ ماءٌ صافٌ، فبنيتُ هناك كنيسةً، وعمَّرتُ موضعاً لضيافة الغرباء. وابتعدتُ برسمهِ مواضعَ كافيةً للإنفاق عليه، وأقمتُ عليه

رجالاً خبيراً بتدييره. أما باقي المال، فقد تصدقَتْ به على المساكين حتى لم يُبقي لي منه ولا ديناراً واحداً. ثم عدتُ طالباً قلابي، وفكري يووسوسٌ لي قائلًا: «إن أخني من فشله ما استطاع تدبير ما وجده من المال، أما أنا فقد دربه حسناً». في حال تفكري بهذا، وجدتُ نفسي وقد وصلتُ بقرب قلابي، ورأيتُ ذلك الملك الذي كان قبلًا يُفرّحني، وإذا به ينظر إلى نظرة مفزعة، قائلًا لي: «لماذا تتعرجف باطلًا؟ إن جميع تبعك الذي شغلتَ نفسك فيه كل هذه الأيام، لا يساوي تلك القفزة الواحدة التي قفزها أخوك، لأنه ما جاز عن حفرة الذهبِ فحسب، بل عبرَ أيضًا تلك الهوة الفاصلة بين الغنى ولعازر، واستحق لذلك السُّكْنِي في أحضان إبراهيم. من أجل ذلك فقد أصبح حالي ليس شيئاً بالنسبة لحاله بما لا يقاس، وهو قد فاتك كثيراً جدًا، وهذا صرتَ غيرَ أهلٍ لأن ترى وجهه، كما لن تحظى برؤيائي معك بعد»، وإذا قال لي الملك ذلك غاب عن عيني. ثم إنني جئتُ إلى مغارة أخي فلم أجده فيها، فرفعتُ صوتي باكيًا حتى لم يبقَ في قوّة للبكاء. وهكذا أقمت سبعة أيام أطوفُ تلك البرية باكيًا، فما وجدتُ أخي، ولا وجدتُ عزاءً، فتركَتُ ذلك الموضع نادياً، وجئتُ إلى هنا، فأقمتُ في هذا العمود تسعًا وأربعين سنة محاربًا أفكارًا كثيرة، وشياطين ليست بقليلة، وكان على قلبي غمامٌ مظلمٌ وحزنٌ لا يماثجه عزاء. وفي السنة الخمسين، في صبيحة الأحد، أشرق على قلبي نورٌ حلو، قشعَ عني غمام الآلام، وبقيتُ مبتهلاً بقلبٍ خاشعٍ مُنْدَى بدموعٍ ذاتٍ عزاء، فلما جازت الساعة الثالثة من النهار، وأنا ملازمٌ للصلادةِ قال لي الملك: السلامُ لك من ربِّك والخلاص. فتعزّى قلبي». (س: ٨٣ ظ).

٥٤٦

الراهب والدينونة (٢)

٣٩٤ - قيل: أخطأ أحد الإخوة فطرد، فقام الأب بيساريون وخرج معه قائلًا:

٣٩٥ - وحدث مرة أن هنَا أخ بالإسقسط، وانعقد مجلسٌ بسببه، فقام الأب بيئور، وأخذ خرْجاً وملاه رملًا وحمله على ظهره، كما أخذ كيساً صغيراً ووضع فيه قليلاً من الرمل وجعله قدامه. فسألوه: «ما هذا الخُرْجُ المملوءُ كثيراً؟» فقال: «إنه خطاياي قد طرحتها وراء ظهري حتى لا أنظرها ولا أتعب لأجلها، أما الرمل القليل الموجود قدامي، فهو خطايا أخي، وقد جعلتها قدامي لأدينه عليها». فلما سمع الإخوة ذلك انتفعوا، وغفروا للأخ. (س: ٥٨٤ ظ) (Abc. Pior 3)

٣٩٦ - قيل: سأله أحد الإخوة شيخاً قائلاً: «ما السبب في أن أدين الإخوة دائمًا؟ فأحابه الشيخ: «لأنك ما عرفت ذاتك بعد، لأن من عرف ذاته، لا ينظر عيوب إخوته». (س: ٥٨٥ ج)

٣٩٧ - قيل كذلك: كان أخان في كنوبيون، واستحق أن ينظر كلُّ منهما نعمة الله على أخيه. فعرض لأحدِهما أن يخرج يوم الجمعة خارج الكنوبيون، فرأى إنساناً يأكل مبكراً، فقال له: «أفي هذا الوقت تأكل يوم الجمعة؟» ولما كان الغُرَآه أخوه ولم يصر عليه النعمة التي كانت تُرى عليه، فحزن لذلك، ولما جاء إلى قلاليته قال له: «ماذا عملت يا أخي؟» قال: «ما عملت شيئاً حتى ولا فكرت فكراً رديفاً». قال له: «لم تتكلم بشيء؟» فقال: «نعم، بالأمس رأيت إنساناً خارج الكنوبيون يأكل مبكراً، فقلت له: أفي هذا الوقت تأكل يوم الجمعة؟» فقام بالتكفير عن ذلك مدة أسبوعين، وسأل الله بتعجب، فظهرت نعمة الله على الأخ، فشكراً الله كلامها. (س: ٥٨٥ ج) (An. 255)

٣٩٨ - قال أحد الآباء: إن أحنا من الإخوة جاء إلى آخر، وتحدثنا بشأن أخي لا يحفظ العفة، فأجاب الآخر وقال: «وأنا سمعت بهذا أيضاً». فلما مضى ذلك الأخ إلى

قلاليتهِ لم يجد فيها الراحةَ التي تعوّدُها. فقام ورجع إلى ذلك الأخ وضرب له مطانية قائلًا: «اغفر لي، فإني لم أسمع شيئاً عن ذلك الأخ». فقال له الآخر كذلك: «ولا أنا سمعت شيئاً»؛ فلما ندما على ما قالا وجدا راحةً. (س٥: ٨٥ ج)

٣٩٩ - قال أخُ للأب بيمين: «إن أنا رأيتُ أخًا قد سمعتُ عنه سماعاً قبيحاً، فهل من الواجبِ علىِّ ألا أدخله قلاليتي؟ وإن رأيتُ أخًا صالحًا، فهل أفرجُ به؟»؟ فأحابهُ الشيخ: «إن أنت صنعتَ مع الأخ الصالح خيراً قليلاً، فاصنع ضعفه مع ذاك، لأنه أخٌ مريض». (س٥: ٨٥ ج) (Abc. Poemen 70a)

٤٠٠ - قال القديس أنسطاسيوس: «لا تكن ديّاناً لأخيك، لتوهّل أنت للغفران، فربما تراه آثماً خطاطهاً، لكنك لا تعلم بأية خاتمة يفارق العالم، فذلك اللصُّ المصلوب مع يسوع، كان للناسِ قتالاً وللدماء سفاكاً، ويوداس الرسول كان تلميذاً للمسيح ومن الأحصاء، إذ كان الصندوق عنده، إلا أنهما في زمنٍ يسير تغييرًا، فدخل اللصُّ الفردوس، واستحق التلميذُ المشنةَ وهلك». (س٥: ٨٥ ج)

٤٠١ - وقال أيضًا: إن أخًا من الرهبانِ كان يسير بتوانٍ كثير، هذا وُجدَ علىِ فراشِ الموتِ وهو في الترتع الأخير بدون جرّع من الموتِ. بل كانت نفسهُ عند انتقاله في فرحٍ كاملٍ وسرورٍ شاملٍ. وكان الآباءُ وقتئذ جلوساً حوله، لأنه كانت العادةُ في الدين أن يجتمعَ الرهبانُ كلُّهم أثناء موتِ أحدهم ليشاهدوه، فقال أحدُ الشيوخِ للأخ الذي يموت: «يا أخانا، نحن نعلم أنك أجزتَ عمرك بكلٍّ توانٍ وتفريط، فمن أين لك هذا الفرحُ والسرورُ وعدمُ الهمِّ في هذه الساعة؟ فإننا بالحقيقةِ لا نعلمُ السرّ، ولكن بقدرةِ الله ربنا نقوّى وأجلسُ وأخبرنا عن أمرِك العجيبِ هذا، ليعرفَ كلُّ منا عطائِمَ اللهِ». وللوقت تقوّى وجلس، وقال: «نعم يا آبائي المكرّمين، فإني أجزتُ عمري كله بالتوانِ والنوم».

إلا أنه في هذه الساعة، أحضر لي الملائكة كتاباً أعمالي التي عملتها منذ أن ترهبت، وقالوا لي: أتعرف هذا؟ قلت: نعم، هذا هو عملي، وأنا أعرفه، ولكن من وقت أن صررت راهباً ما دنت أحداً من الناسِ قط، ولا تَمْتَّعْتُ قط، ولا رقدتُ وفي قلبي حقدٌ على أحدٍ، ولا غضبٌ للبَة، وأنا أرجو أن يكُمل في قولِ الرب يسوع المسيح القائل: لا تدينوا لكي لا تدانوا، اتركوا يُترك لكم. فلما قلت هذا القول، تمزق للوقت كتاب خطاياي بسبب إتمام هذه الوصية الصغيرة». وإذا فرغ من هذا الكلام أسلم الروح. فانتفع الإخوة بذلك وسبحوا الله. (س ٥: ٨٥ ظ) (An. 530)

٤٠٢

التوبة والغفرة

٤٠٢ - سُئل شيخ إن كان الله يقبل توبَةَ الخطأ، فردَ على سائله قائلاً: «أخبرني أيها الحبيب، لو أن ثوبك تمزق، فهل كنتَ ترميه؟» قال: «لا، ولكن كنتُ أخيطُه وألبسه». فقال الشيخ: «إن كنتَ أنت تشفق على ثوبك الذي لا يحيا ولا يتتنفس، فكيف لا يشفق الله على خليقه التي تحيا وتتنفس»؟. (س ٥: ٨٦ ج) (Abc. Mios 3)

٤٠٣ - سُئل أحد الإخوة الأَب بيمين قائلاً: «يا أبي، إن وقع إنسانٌ في خطيئة ورجع، فهل يغفر الله له؟» فقال له الشيخ: «إن كان الله قد أمر الناسَ بأن يفعلوا هذا، أَفما يفعله هو؟ نعم، بل وأكثر مما لا يقاس، إذ هو نفسه الذي أوصى بطرس بهذا عندما قال له بطرس: إن أخطأ إلى أخي سبع مراتٍ، أَغفر له؟» فقال له سيدنا المحنن: لستُ أقول سبع مراتٍ فقط لكن سبعةً في سبعين» (Abc. Poemen 86)

٤٠٤ - قال شيخ: «إن أهوى الرجل الذي يخطئ ويندم ويُقر بخطئه، أكثر من الرجل الذي يعمل الصلاح ويزكي نفسه». (س ٥: ٨٦ ج) (Abc. Sarmatos 1)

٤٠٥ - شيخ حَدَثَهُ أَفْكَارُهُ قائلةً لِهِ: «اسْتَرِحْ الْيَوْمَ وَتُبْ غَدَّاً». فَقَالَ: «لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَبْدَأْ، بَلْ عَلَيَّ أَنْ أُتُوبَ الْيَوْمَ، وَلَتَكُنْ مُشِيَّةُ الرَّبِّ غَدَّاً». كَذَلِكَ حَدَثَهُ أَفْكَارُهُ مِنْ جَهَةِ الصُّومِ قائلةً: «كُلِّ الْيَوْمَ، وَتَنْسِكْ غَدَّاً». فَقَالَ: «لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، لَكِنِّي أَصُومُ الْيَوْمَ، وَتَتَمُّ إِرَادَةُ اللَّهِ غَدَّاً». (س:٥ ج:٨٦) (An. 271)

٤٠٦ - كَانَ إِنْسَانٌ جَنْدِيٌّ مِنْ بَلَادِ الْأَكْرَادِ، قَدْ عَمِلَ خَطَايَا كَثِيرَةً وَدَسَّ جَسَدَهُ بِكُلِّ أَصْنَافِ النَّجَاسَاتِ، وَبِرَحْمَةِ اللَّهِ تَخَشَّعَ قَلْبُهُ، فَرَهَدَ فِي الْعَالَمِ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعِ قَفْرٍ، وَبَنِي لَهُ قَلَابَةً فِي أَسْفَلِ الْوَادِيِّ، وَأَقَامَ فِيهَا مَهْتَمِّاً بِخَلَاصِ نَفْسِهِ. فَلَمَّا عَرَفَ مَكَانَهُ بَعْضُ مَعَارِفِهِ، صَارُوا يُحَضِّرُونَ لَهُ خَبْرًا وَشَرَابًا وَكُلَّ حَاجَاتِهِ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ فِي رَاحَةٍ وَأَصْبَحَ لَا يُعُوزُهُ شَيْءٌ، حَزَنَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «إِنَّا مَا عَمَلْنَا شَيْئًا يَسْتَوْجِبُ الرَّاحَةَ، وَهَذَا النِّيَاجُ الْآخِرُ يُفَقِّدِنِي النِّيَاجَ الْأَبْدِيِّ، لَأَنِّي لَسْتُ مُسْتَوْجِبًا لِنِيَاجِ الْبَتَّةِ». وَهَكَذَا تَرَكَ قَلَابَتَهُ وَانْصَرَفَ قَائِلاً: «الْتَّسْرِ إِلَى الضِّيقَةِ، لَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكُلَّ الْحَشِيشَ طَعَامَ الْبَهَائِمِ، إِذَا كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ أَفْعَالَ الْبَهَائِمِ». وَهَكَذَا أَصْبَحَ رَاهِبًا مُجَاهِدًا. (س:٥ ج:٨٦)

٤٠٧ - قيل عن الأب أموناس: إنه أتاه أخ يطلب منه كلمة منفعة، وأقام عنده سبعة أيام، ولم يُجبه الشيخ بشيء، وأخيراً قال له: «انطلق وانظر لذاتك، أما أنا فإني خاطئ، وخطاياي قد صارت سحابة سوداء مظلمة، حاجزة بيني وبين الله». (س:٥ ج:٨٦) (Abc. Ammoes 4)

٤٠٨ - قال الأب ألونيوس: «من لم يقل: لا يوجد في هذا الكون كله إلا الله وأنا فقط، فلن يصادفني أحداً». (س:٥ ج:٨٧) (Abc. Alonios 1)

٤٠٩ - وقال أيضاً: «لو لم أكن هدمت كل شيء، لما كنت قادراً على أن أبني ذاتي». (س:٥ ج:٨٧) (Abc. Alonios 2)

٤١٠ - كذلك قال: «لتكن مشيئَةُ الإنسَانِ من باكِر إلى عشية بحسب قياس

إلهي». (س:٥٨٧ ج) (Abc. Alonios 3)

٤١١ - جاء عن الأب أيفنتيوس (أبفي) أنه لما كان في البرية، كان مزاجه صعباً، وأعماله بحرارة كثيرة، ولكنه لما صار أسقفاً تغير الحال قليلاً، فطرح ذاته قدام الله قائلاً: «يا ثُرى، أَمِنْ أَجْلِ الْأَسْقُفِيَّةِ ابْتَعَدْتُ عَنِ النِّعَمَةِ؟» فقيل له: «لا، ولكن لما كتَ في البرية، حيث لا يوجد أنسَانٌ، كان اللَّهُ يَعْضُدُكَ، أما الآن فإنك في العالم حيث يوجد الذين يَعْضُدُونَكَ». وما أن علم ذلك حتى هرب لوقته إلى البرية. (س:٥٨٧ ج) (Apphy 1 Abc.

٤١٢ - كان أباً أبوللو إذا جاءه أحد الإخوة طالباً معاوته في عمله، فإنه يمضي معه بفرح قائلاً: «لقد حُسِبْتُ الْيَوْمَ مُسْتَحْقًا لَأَنْ أَعْمَلَ مَعَ الْمَلِكِ الْمَسِيحِ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ جَدًا مِنْ نَفْسِي». (س:٥٨٧ ج) (Abc. Apollo 1)

٤١٣ - قيل عن الأب بيصاريون إنه كان كالطير، وكأحد الوحوش البرية، أكمل حياته بلا همٌ، ولم يهتمُّ قط ببيتٍ، ولا خزنٍ طعاماً، ولا اقتني كتاباً، بل كان بكليته حراً من الآلام الجسدانية، راكباً فوق قوة الإيمان، صائراً بالرجاء مثل أسير للأمور المنتظرة، طائفَا في البراري كالثائة، عاريًّا تحت الأهوية، وكان يصبر على الضيقات مسروراً، وكان إذا وجد مكاناً فيه أنسَانٌ، يجلس على الباب باكيًّا مثل إنسانٍ بحاجة من الغرق، فيخرج أحدُهم ويسأله قائلاً: «لماذا تبكي أيها الإنسَان؟» فيجيبه قائلاً: «إن لصوصاً وقعوا بي وأخذوا جميعَ غنيٍ بيتي، ومن الموتِ أفلتُ بعد أن سقطتُ عن شرفِ نسيي». فإذا سمع ذاك منه هذا الكلام المحزن، يدخل ويأتيه بقليلٍ من الخبزِ قائلاً له: «خذ هذا يا أباَنا، والله قادرٌ أن يردد لك حاجتك». فيقول: «آمين»، ولا يأخذ شيئاً، بل كان يبكي ويقول: «اطلب أنت يا أخي، كي يردد لي الله شيئاً منها». (س:٥٨٧ ج) (Abc.

٤١٤ - مضى إلى الأب بنiamين بعض الإخوة بالإسقسط، وأرادوا أن يصيروا له قليلاً من الزيت، فقال لهم: «هذا الإناء الصغير الذي جثتم به منذ ثلاث سنين، موضوع بحاله كما تركتموه». فلما سمعوا عجبوا من جهاد الشيخ. (Abc. Benjamin 2) وقالوا: «يا أبنا، هو ذا زيت طيب، أما ذاك فإنه زيت نَغْل^(٥٨)». فلما سمع ذلك، رشم نفسه بالصلب وقال: «إني ما علمتُ قط أن في الدنيا زيتاً غير هذا». (س٥: ٨٧ ظ) (Benjamin 3

٤١٥ - أذاعوا في برية مصر، أن الصيام الكبير قد بدأ، فمرّ أخ بشيخ كبير وقال له: «لقد بدأ الصوم يا أبي». فقال الشيخ: «أي صيام يا ابني؟»؟ فقال له الأخ: «الصيام الكبير». فأجاب الشيخ وقال له: «حقاً أقول لك، إن لي هنا ثلاثة وخمسين سنة، لا أدرى متى يبدأ الصوم الذي تقول لي عنه ولا متى ينتهي، ولكن سيرة أيامي كلها واحدة». (س٤: ٧٩ ظ) (Arm. I, 580)

٤١٦ - قال الأب غريغوريوس التأولوغوس: «إن هذه الأشياء الثلاثة الآتية، يطلبها الله من كل إنسان من بي المعمودية وهي: إيمان مستقيم من كل النفس، وصدق اللسان، وظهور الجسد وعفته» (Abc. Gregory 1). وقال أيضاً: «إن العمر كيوم واحد بالنسبة لأولئك الذين يعملون بشوق». (س٥: ٨٧ ظ) (Abc. Gregory 2)

مختصر

الأب جلاسيوس

٤١٧ - كان للأب جلاسيوس مصحف (أي كتاب مقدس) يساوي ثمانية عشر ديناراً، إذ كان محتوياً على العقيقة والحديثة. وكان موضوعاً في الكنيسة، فكل من جاء

^{٥٨} نَغْل الشيء: أي فساد وتعفن، والتَّغْل: الفساد (لسان العرب).

من الإخوة قرأ فيه، فجاء أخُّ غريبٌ إلى الشيخ، ولما دخل ذلك الأخُّ إلى الكنيسةِ، أبصرَ الكتابَ فاشتهاه وسرقه ومضى. فلم يتبَعهُ الشيخُ الذي كان قد علمَ بما فعله الأخُّ. فمضى به الأخُّ إلى المدينةِ، وأعطاهُ لإنسانٍ وطلب منه ستة عشر ديناراً، فقال المشتري: «إني لا أدفع الشمنَ دون أن أفحصَ الكتابَ». فتركه عندَهُ، وإذا بالرجلِ يأتي به إلى أنها جلاسيوس ويعرفهُ بما وافق البائع عليه، فقالَ الشيخُ: «اشترِهِ، فإنه جيدٌ ويساوي أكثرَ من هذا الشمنَ». فمضى ذلك الرجلُ وقالَ للأخِ: «إني أريته للأب جلاسيوس، فقالَ لي إنَّ هذا الشمنَ كثيرونَ». فسألَهُ الأخُّ: «ألم يقل لكَ الشيخُ شيئاً آخرَ؟» فقالَ: «لا». حينئذ قالَ الأخُّ: «إني لا أريد أن أبيعهُ». ثمَّ أنَّ الأخَ أخذَ الكتابَ وجاء به إلى الأب جلاسيوس وهو نادمٌ، فلم يشأَ الشيخُ أن يأخذَهُ، فطلبَ إليه الأخُ قائلًا: «إنَّ لم تأخذَهُ فلن يكونَ لي راحةً»، فقبلَهُ، وبعدَ ذلك مكثَ الأخُّ عندَ الشيخِ إلى حينِ وفاتهِ. (س: ٥ ظ: ٨٧) (Abc. Gelasius 1)

٤١٨ - ومرةً أحضرَ إلى الديرِ سملُّ، فشواه الطباخُ وتركه في الخزانةِ وخرجَ. فقبلَ أن يمضي أقامَ عليه صبيًّا ليحرسهَ إلى حينِ عودته. إلا أنَّ الصبيًّا بدأ يأكلَ من السمكَ بشَرَهُ. فلما جاءَ الحازنُ ووجده يأكلَ غَضْبَ ورفسهَ، فصادفَ الرفسةَ يافوخَه^(٥٩) وهو جالسٌ، فوقعَ الولدُ على الأرضِ ميتاً. أما الحازنُ فقد اعتبرَه الخوفُ، وأخذَ الصبيَّ ووضعَه على سريرهِ وغطَاهُ، وجاءَ إلى الأب جلاسيوس وخرَّ عندَ رجلِيهِ وأعلمَهُ بما حدث. فقالَ لهُ الشيخُ: «لا تُعلم إنساناً بهذا الأمرِ، لكنَّ اذهب وأحضرَه سرراً إلى الدياكونيكون^(٦٠) وضَعْهُ قدامَ المذبحِ وانصرفْ». فجاءَ الشيخُ إلى الدياكونيكون وقامَ في الصلاةِ. ولما اجتمعَ الإخوةُ في الكنيسةِ لتأديةِ صلاةِ الليلِ، خرجَ الشيخُ والصبيُّ خلفَه.

^{٥٩} اليافوخ: ملتقى عظم مقدم الرأسِ ومؤخره، وجمعها يوافيغ (لسان العرب).

^{٦٠} الدياكونيكون من الكلمة اليونانية διακονικόν وهو جزءٌ من الكنيسةِ مخصصٌ لحفظِ أواني المذبحِ، ويسمى في الأديرة حجرة المجلس.

٤١٩ - وقيل عن الأب جلاسيوس^(٦١) أيضاً إنه قلقَ من أفكارٍ تُعرض عليه الخروج إلى البرية. فقال لتلميذه: «احرص على عدم مخاطبتي هذا الأسبوع». ونحضر وأخذ عصاه بيدهِ وببدأ يمشي خارج القلاية، وجلس قليلاً، ثم قام ومشى، فلما صار العشاء قال لفكرة: «إن الذين يطوفون البرية، خبراً لا يأكلون، وتحت سقف لا ينامون، كما أن أولئك أيضاً يقتاتون بالخشيش. أما أنت فلكونك ضعيفاً، كُلْ بقولاً». فأكل ورقد تحت السماء، واستمرَّ على ذلك ثلاثة أيام وهو يمشي طول النهار، ويأكل في العشية بقولاً يسيرأ وينام في العراء. فلما تعب، حينئذ بدأ يعاتب نفسه قائلاً: «ما أنك لا تقدر أن تقوم بأعمال أصحاب البرية، فأولى بك أن تجلس في قلابتك وت بك على خطاياك، ولا يطيش عقلُك قائلاً: ادخل إلى البرية. لأن عيني الرب في كل مكان ناظرة إلى أعمال جميع الناس، وهو يعرف جميع فاعلي الخير». (س:٥ ج:٨٨) (Abc. Gelasius 6)

٤٢٠ - قال الأب جيرونديوس: «إن كثيرين يقاتلون بشهوة الجسد وهم زناة من غير أن يقتربوا إلى جسدٍ غريب، لأنهم لم يعرفوا كيف يقمعون أفكارَهم، فحفظوا البتوالية لأجسادِهم فقط، وزنوا بأنفسِهم. فجيدٌ هو أن يحرصَ كُلُّ واحدٍ منا على أن يحفظ قلبه»). (س:٥ ج:٨٨) (ظ) (Abc. Gerontius 1)

٤٢١

الأب دانيال

٤٢١ - قيل عن الأب دانيال إنه لما أتى البربر إلى الإسقسط وهرب الرهبان كلُّهم قال: «إن لم يشاً لي الله أن أعيش، فما لي وللحياة». وإنه حازَ بينهم فلم يتصروه البتة.

^{٦١} تأتي في النص اليوناني الموضوعي Systematic: الأب لوخيبيوس.

فقال في نفسه: «هو ذا قد اهتمَ الله بي ولم أمت، فلأصنع الآن مثلَ إخوتي». فقال و Herb. (س:٥ ظ) (Abc. Daniel 1)

٤٢٢ - وحدث مرأة أن سأله أخْ قائلاً: «ارسم لي وصيَّةً واحدةً أحفظُها». فقال له: «لا تجعل يدك مع امرأةٍ في صحفةٍ واحدةٍ، ولا تأكل معها لأن هذا فخُ شيطانِ الزنى». (س:٥ ظ) (Abc. Daniel 2)

٤٢٣ - أخبر أبا دانيال، أنه حدث أن كان لرجلٍ غنيًّا في باليلون مصرَ ابنةً مجنونة (بروحٍ نحس)، ولم يحصل لها على شفاءٍ. وكان له صديقٌ راهبٌ، هذا قال له: «إنه لا يستطيع أحدٌ أن يشفى ابنته إلا الشيوخ الرهبان، ولكنك إن طلبتَ إليهم فلن يجيبوك إلى طلبك لتواضعهم. فأشير عليك بأن تصنع حسب ما أقوله لك، فإذا هم جاءوا إلى السوق ليبيعوا عملَهم، تظاهر بأنك تريد الشراءَ منهم، وخذهم معك إلى متزلّك لتعطيلهم الثمن، وحيثند أسلهم أن يصنعوا صلاةً، وأنا واثقٌ أن ابنته تبرأ». فلما خرج الرجل إلى موضع البيع وجد راهباً واحداً من التلاميذ جالساً، فأحدهه إلى بيته مع زنابيله بحجة أنه يعطيه ثمنها، فلما واق الراهب إلى المترّل، خرحت البنتُ المجنونة ولطمته خدُّ الراهب، فتحولَ لها الآخر باتضاعٍ حسب الوصيَّة، فتعدب الشيطانُ من إتمام الوصيَّة، وخرج منها متألماً صارخاً قائلاً: «الويل لنا من وصايا يسوع لأنها تزعجنا» (Chain 127). فلما علم الشيوخُ بما كان، سبَّحوا الله قائلين: «لا شيء يُذلُّ عظمة الشيطان مثل إكمال وصية السيد المسيح ربُّنا باتضاع». (س:٥ ظ) (Abc. Daniel 3)

٥٤

الأب ديسقورس التناسي

٤٢٤ - قيل عن الأب ديسقورس التناسي إن خبزه كان من شعيرٍ وعدسٍ، وفي

كلّ سنةٍ كان يرسم لنفسه خطةً يبدأ بها جهاده قائلاً مثلاً: «في هذه السنة سوف لا ألتقي بِإنسانٍ، ولن أَكُلْ أحداً، وفي هذه السنة لن أَكُلْ طيبخاً، ولن أَذوّقْ ثمرةً». وهكذا كان يصنع في كلّ خطة، فإذا تم إحداثها، بدأ بالأخرى، وهكذا كان الحال طول السنة (1). وقد كان يقول: «إنْ كنا نلبس الثوبَ السماويِّ، فلن نوجد عرابةً، وإنْ وُجدنا لا يُبسين غير ذلك الثوب، فماذا نصنع؟ نخاف أن نسمع ذلك الصوت القائل: أخرجوه إلى الظلمةِ القصوىِ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. فالآن يا إخوتي، قبيحٌ بنا بعد أن لبسنا الإسكيم هذه السنين كُلُّها، أن نوجد عرابةً في اليوم الأخير، وليس علينا ثيابُ العُرسِ، فالويل لنا من تلك الندامةِ، إذا ما نظرنا إلى سائر الأبرارِ والصديقين، وهم يصعدون إلى السماءِ، ونحن نُساقُ إلى العذاب».

(Dioscorus 3)

مختصر

القديس إيفانيوس

٤٢٥ — قال الأب إيفانيوس: «إن التأمل في الكتب حِرْزٌ عظيمٌ يحفظ الإنسانَ من الخطيئةِ، ويستميله إلى عمل البرِّ». (س: ٥ ظ: ٨٩) (Abc. Epiphanius 9)

٤٢٦ — وقال أيضاً: «إن الجهل بما في الكتب جُرْفٌ عظيمٌ السقوطِ، وهو كثيـرة عميقـة». (س: ٥ ظ: ٨٩) (Abc. Epiphanius 10)

٤٢٧ — وقال أيضاً: «إن الذي لا يعرف التواميس الإلهية، قد ضيـع رجاءـه خلاصـه». (س: ٥ ظ: ٨٩) (Abc. Epiphanius 11)

٤٢٨ — كذلك قال: «إن خطايا الأبرار على شفاهـهم، أما خطايا المنافقين فـهيـ في جميع أجسادـهم، من أحـلـ ذلك يقول النبي: ضع يا رب حافظـاً على فمي وبابـاً حـصـيناً لـشـفـتيـ. وأيضاً: قـلتـ أحـفـظـ طـرـيقـيـ كـيـلاً أحـطـيـ بـلـسـانيـ». (س: ٥ ظ: ٨٩) (Abc. Epiphanius 12)

٤٢٩ — كما قال: «إن الله يترك للخطابة رأس المال إزاء توبتهم، مثل الزانية والابن الشاطر، فأما الصديقون فإنه يطلب منهم رأس المال مع ربحه، إذ قال له المجد لتلاميذه: إن لم يزد برُّكم على الكتبة والفريسين، فلن تدخلوا ملکوت السماوات». (س:٨٩) (Abc. Epiphanius 15)

٤٣٠ — وأيضاً قال: «إنَّ الربَ إلهنا يبيع ملکوته للناسِ بشيءٍ يسير، بكسرةِ خبز، بشوب بال، بكأسِ ماءٍ بارد، بفلسٍ واحدٍ، وذلك إذا قدمت بإفراز». (س:٨٩) (Epiphanius 16)

م١٥

القديس أفرآم السرياني (١)

٤٣١ — حدث في ذات يوم أن التقى القديس أفرآم السرياني بامرأةٍ فاسدة، وراودته عن نفسها كي يشترك معها في جماعٍ نجسٍ، وإلا شئت عنه، فقال لها: «إن بعض الإخوة اعتادوا الجيء إلى هنا، فاتبعيني إلى موضع آخر». فتابعته. ولما اقتربوا من موضع يجتمع فيه أناسٌ كثيرون، قال لها: «إني أرى أن تُكمل الفعلَ ههنا». فقالت له: «يا راهب، أما تستحي من كثرةٍ هؤلاء الناس الذين يبصروننا ونحن في الفعلِ القبيح؟» فقال لها: «وأنت يا امرأة، أما تستحي من اللهِ خالق الناس الذي ينظرنا في هذا الفعل القبيح؟» فخررت وانصرفت خائبة. (س:٨٩) (Abc. Ephraem 3)

م١٦

الأب ألوجيوس

٤٣٢ — جاء عنه أنه كان قساً، وكان يتنسك نسكاً زائداً، يصوم يومين يومين، وفي مرات كثيرة كان يطوي الأسبوع كلّه صائماً، وكان أكله لا يزيد عن الخبز والملح فقط، فمدحه الناسُ كثيراً، ولذلك كثُر نشاطه. فقام ومضى إلىشيخ يُسمى أبا يوسف،

ليعطي له وصاياً أصعب في الجهادِ. فقبله الشيخُ بفرحٍ، وما كان عنده من خيرٍ صنع له به ضيافةً، فلما قدمَ المائدةَ، قال له تلاميذه: «إنَّ القسَّ لا يأكلُ سويَّ خبزٍ وملحٍ فقط»، فلم يُجبهم أباً يوسف، بل كان يأكلُ وهو صامتٌ. فأقاموا عنده ثلاثة أيام، ولم ينظروا أباً يوسف يصلّي أو يرتل، لأنَّه كان يجعل عملَه مخفياً، فخرجوا من عنده وما استفادوا شيئاً. وبتذكرةٍ من الله، قامت ريحٌ عظيمةٌ وحدثَ ظلامٌ، فلم يقدروا على المسير، ورجعوا إلى قلايةِ الشيخِ، فسمعواه يصلِّي صلاةً حارَّةً بتسبیحٍ، فوقفوا خارجَ القلايةِ مدةً كبيرةً، وفي النهايةِ قرعوا البابَ، فسكتَ وفتح لهم، وقبلَهم فرحاً. ولأجلِ شدةِ العطشِ أخذَ الوجيوس إماءَ الماءِ ليشربَ، فوجده ممزوجاً من ماءِ البحرِ وماءِ النهرِ، فلم يقدر أن يشربه، فرجع إلى ذاتِه مفكراً، وإنَّه وقع على رجليِّ الشيخِ قائلاً: «ما هذا يا أباَته، إننا لم نسمعك تصلي لما كنا عندك، والآن وجدناك مصليناً، وأيضاً كنا نشرب الماءَ حلواً، والآن وجدناه مالحاً». فقالَ الشيخُ: «إنَّ الأخَّ موسوسٌ فمزج الماءَ الحلو بماءَ البحر». فلم يقتتنع القسُ الوجيوسُ، وجعل يطلب إليه ملتمساً أنْ يعرفَ الحقَّ. فقالَ الشيخُ: «ذاك الماءُ أعددناه للمحبةِ، وهذا الماءُ الذي نشربه دائمًا»، وأخذَ الشيخُ في تشقيقه وتعليمِه. كيف يحبُّ السيرَ بتميزٍ وإفرازٍ، وكيف يقطعُ عنه الأفكارَ البشرية، كما علِّمه أنْ يكون مشاركاً (الإخوة) يأكلُ معهم ما يوضع قدامه، وأنْ يجعلَ عملَه مخفياً. فقالَ الوجيوسُ:

«بالحقيقةِ، إنَّ هذا هو العمل»، (س: ٥٩ ج) (Abc. Eulogius 1)

٥٦٤

الأب أورانيوس

٤٣٣ - سأل أخ الأب أورانيوس^{٦٢} قائلاً: «كيف يأتي حوف الله للنفس؟» فأصحابه وقال له: «إن اقتنى الإنسان التواضع، ورفض المقتنيات، ولم يدِن أحداً، فإن حوف الله يأتي للنفس». (س: ٥ ظ) (Abc. Euprepius 5)

٤٣٤ - وقال أيضاً: «يجب أن تقتني لنفسك دائماً تواضعًا وفرعًا وكثرة نوح، وقلة طعام». (س: ٥ ظ) (Abc. Euprepius 6)

٤٣٥ - وحدث أيضاً لما كان مبتدئاً، أنه مضى إلى أحد الشيوخ، وطلب منه كلمة، فأصحابه الشيخ: «إن آثرتَ الخلاص، فإذا اتفق وجودك عند إنسان فلا تتكلم قبل أن تُسأل». وإذا أدرك معنى الكلام، صنع مطانية للشيخ وقال: «لقد درست كثيراً ولكن مثل هذا الأدب لم أعرف بعد». وانطلق متتفعاً. (س: ٥ ظ) (Abc. Euprepius 7)

٤٣٦ - جاء عن الأب إلاديوس أنه أقام بالإسقيط عشرين سنة بقلالية، لم يرفع عينيه لينظر سقفها (Abc. Helladius 1)، وكان طعامه خبزاً وملحاً دائماً، وإذا وافت أيام الفصح، كان يقول: «إن الإخوة يأكلون خبزاً وملحاً، فعليّ أن أكل خبزاً وأنا واقف». (س: ٥ ظ) (Abc. Helladius 2)

٤٣٧

الأب إفاجريوس (أوغريس) (١)

٤٣٧ - قال الأب إفاجريوس: «إذا كنتَ جالساً في قلاليتك فاجمع عقلك، وإذا ذكر يوم خروجك من الدنيا، وتقطن في موتك، وتقهم التجربة التي تحل بك. والزم التعب

^{٦٢} يعني الاسم أورانيوس في المخطوطات وفي البستان المطبوع عام ١٩٥١، لكنه يعني: اوبريوس في النص اليوناني.

لترضي الله. واحتقر أمور هذا العالم الباطل، ليتمكنك أن تكون في الصمت دائمًا. ولا تضعف، واذكر أيضًا يوم القيمة ولقاء الله، وذلك الحكم المفزع، وما ينال الخطأ من الخزي أمام الملائكة والقوات وجميع الخلائق، واذكر الجحيم، وفكّر في الأنفس التي تصير فيه، وأية مرارة هناك، وأي فزع وضيق يقاسيه الخطأ، بلا منفعة من ذلك البكاء النفسي الذي ليس له انقضاء، والعذاب الدائم في النار التي لا تُطفأ، والدود الذي لا ينام، والظلمة القصوى وصرير الأسنان، واذكر أيضًا الخيرات المعدة للقديسين، والفرح الدائم في ملوكوت السماوات، والنعيم الأبدي، وكأن دائمًا متذكراً الفريقين، أما على الخطأ فابك وتح، وجاهد ألا تصير إلى ما صاروا إليه، وافرح بما أعد للصادقين، واحسدن سيرتهم وأعد نفسك لتدرك ما أدركوه. انظر، لا تنس ذلك، إذا كنت داخل قلaitك أو خارجها، لكي ما تقاتل الأمراض الرديئة بهذه الذكريات العتيدة». (س٥: ٩٠ ج) (Abc. Evagrius 1

٤٣٨ - وقال أيضًا: «ليست الحاجة ماسة إلى كثرة الكلام، لأن كثرة الكلام

غريزة في الناس دائمًا، إنما الحاجة ماسة إلى العمل». (س٥: ٩١ ج) (Abc. Jacob 4)

٤٣٩ - كما قال أيضًا: «اقطع نفسك من مودة الكثرين، لثلا يكون عقلك

مناصبًا لك، فيقلقل عادة السكوت». (س٥: ٩١ ج) (Abc. Evagrius 2, Abc. Doulas 2)

٤٤٠ - كذلك قال: «ما أعظم أن يكون الإنسان بغير طيشه في صلاته، وأعظم

من ذلك، أن يكون تحت الخلقة كلّها». (س٥: ٩١ ج) (Abc. Evagrius 3)

٤٤١ - وأيضاً قال: «أقرن محبة اللاهوتية بالجوع، لأنه يأتي بالراهب إلى ميناء

عدم الأوجاع». (س٥: ٩١ ج) (Abc. Evagrius 6)

٤٤٢ - وحدث مرةً أن انعقدَ بالإسقسط مجلسٌ من أجل أمرٍ ما، فتكلم الشيخ فيه.

فقال له القس: «نحن نعلم يا أبا، أنك لو كنتَ في بلدك لصرتَ أسقفاً أو رئيساً على كثرين، فاما الآن، فإنك هنا مثلُ غريب». فهز رأسه متنهاً وقال: «نعم، إنها مرّة واحدة تكلمتُ فيها، وإن شاء الله لن يكون لها ثانية». (س٥: ٩١ ج) (Abc. Evagrius 7)

٤٥

الأب زينون

٤٤٣ - جاء إلى الأب زينون في بلاد سوريا أخٌ مصري، وأعلن له أفكاره، فتعجب الشيخ قائلاً: «إن المصريين إذا ما كان عندهم فضيلةٌ كتموها، وما ليس عندهم من الرلاتِ، نسبوه إلى أنفسهم، وذلك بخلاف ما يفعل الناسُ، الذين إذا فعلوا خيراً تكلموا به وأظهروه، والزلات يكتموها». (س٥: ٩١ ظ) (Abc. Zenon 3)

٤٤٤ - سأله إخوه قائلين: «ما معنى المكتوب: إن السماوات ليست نقية قدامه»؟ فأجابهم: «إن سكان الأرض أهملوا الفحصَ عن تطهيرِ خطاياهم، وصاروا يفحصون السماوات، فهذا القول، لما كان هو وحده طاهراً، لذلك قيل إن السماوات غيرُ نقية إزاءه». (س٥: ٩١ ظ) (Abc. Zenon 4)

٤٤٥ - ودفعه كان سائراً بإحدى نواحي فلسطين، فتعب وجلس ليأكل بقرب حقلٍ قناء، فقال له فكره: «خذ لك ثمرةً من ثمار القناء وكلها، فماذا يصيبك من هذا؟»؟ فأجاب فكره قائلاً: «إن الله قال لا تسرق، والذي يخالف وصايا الله يلقيه في النار، فحرّب أنت نفسك أولاً، إن كنت تحتمل النار؟»؟ فوقف تحت أشعة الشمس المحرقة عارياً مقدار ساعة، حتى التهبت، حينئذ قال لفكره: «إذا كنت لا تحتمل العذاب، فلا تسرق ولا تأكل المسروق». (س٥: ٩١ ظ) (Abc. Zenon 6)

٤٤٦ - وقال أيضاً: «من يريد أن يسمع الله صلاته بسرعةٍ، فإنه إذا وقف يصلٍي،

ليبسُطْ يديه أولاً، ويطلب من أجيالِ أعدائه بضميره كله، قبل أن يصلني من أجيالِ نفسه، ف بهذه الفضيلة يستجيب الله له في كلٍّ ما يسألُه». (س: ٥ ظ) (Abc. Zenon 7)

٤٤٦

أنبا إشعيا الإسقطي (٢)

٤٤٧ - أضاف الأبُ إشعيا الإسقطي إنساناً من الإخوةِ، فغسل رجليه، وجعل قليلاً من العدسِ في القدرِ، ووضعه على النارِ، وما أن غلىَ، حتى رفعه عن النارِ. فقال له الأخُ: «أيها الأبُ، إن العدسَ لم ينضج بعد». فقال له الشيخُ: «ألا يكفيك ما أبصرته من النارِ، لأنه غذاءٌ عظيمٌ». (س: ٩١ ظ) (Abc. Isaia 6)

٤٤٨ - وقيل إنه أقام مدةً من الزمانِ وهو عريانٌ، بلا ثوبٍ في البريةِ، فأوحى اللهُ إلى أحدِ الشيوخِ أن يمضيَ إليه، ويستر عورتهِ، لأنَّه ردَّ غضبَ اللهِ عن العالمِ كله. فلما جاءه الشيخُ أخرجه بالأمرِ، فقال: «أما يوجد في العالمِ عريانٌ غيري؟»؟. (س: ٩٢ ج)

٤٤٧

الأب إيليا

٤٤٩ - قال الأب إيليا: «إني أفرغُ من ثلاثةِ أشياءٍ: أفرغُ من وقتِ خروجِ نفسيِّ من جسديِّ، ومن لقاءِ اللهِ، ومن خروجِ القضيةِ عليّ». (س: ٥ ظ) (Abc. Elias 1)

٤٥٠ - وقال عن شيخٍ: إنه تحبتهُ في الوحيدةِ أقام في بربا خربةً، فأتاه الشياطين قائلين: «اخْرُجْ مِنْ هَذَا الْمَكَانَ لَأَنَّهُ مَوْضِعُنَا». فاجأهمُمُ الشيخُ: «أَنْتُمْ مَا لَكُمْ مَكَانٌ». فبددوا خوصَهُ، وقالوا له: «اخْرُجْ مِنْ هَهْنَا». فقام وجمعهُ، وجلس يُضْفِرُ وهو صامتٌ، فبددوا له أيضاً قائلين: «اخْرُجْ مِنْ مَوْضِعُنَا». فقام أَيْضًا وجمعهُ وجلس صامتاً. ثمَّ أَنْ الشياطين أمسكوا بيدهِ، وبذعوا يجْرُونَهُ إِلَى خارجِ قائلين: «لَا تُقْمِنْ هَا هُنَا، لَأَنَّهُ مَوْضِعُنَا».

فلما بلغ الباب أمسكه بيده وصرخ قائلاً: «يا يسوع المسيح إلهي أعني». وللوقت هربت عنه الشياطين. فابتداً الشيخ يبكي، فجاءه صوتُ الربِّ قائلاً له: «لماذا تبكي؟»؟ فقال الشيخ: «كيف لا أبكي وهؤلاء يتجاسرون هكذا على محاربة خليقتك؟؟؟ فقال له الربُّ: «إنك أنت الذي توانيتَ، فلما طلبتني وجدتني للوقت» (س٥: ١٠٢) (Abc. Elias 7 ظ)

٥٦٤

القديس تادرس الفرمي

٤٥١ — القديس تادرس الفرمي^(٦٣): كان قد افتى لنفسه ثلاثة أناجيل ثمينة، فمضى إلى الأب مقاريوس وأخبره بأن لديه كتاباً جيدة، وسألَه هل يُقيها لمنفعته ومنفعة الإخوة، أم يبيعها ويدفع ثمنها إلى المساكين. فقال له: «أما العملُ فجيدٌ، لكنَّ ترك المقتنيات أفضلٌ منه». فمضى وباع الكتب، وفرق ثمنها على المساكين. (س٥: ١٠٢) (Abc. Theodore of Pherme 1)

٤٥٢ — وحدث مرأة أن جاءه أخٌ كان حالسًا في قلاليته، فتقلقل في الوحدة، فلما عرَّفَه بذلك، قال له الشيخ: «امضِ ودع فكرَك، واترك الوحدة الآآن، واجلس في الطاعة مع آخرين حتى يسكن العاصف». فمضى إلى جبل السلوى، وسكن مع الإخوة، وبعد قليلٍ عاد إلى الشيخ، وقال له: «ومع الإخوة ما وجدت راحَةً». فقال له الشيخ: «مع الإخوة لا تستريح وفي الوحدة لا تتنفس، فلماذا لبستَ لباسَ الأجناد المحاهدين؟ فما سميتَ نفسك راهباً، إلا لتتحمل الضرب والطعن والأحزان، وأفلَّها الجوع والعطش. كم سنة لك في الإسكيم؟؟؟ فقال له: «ثمانين سنهن». فقال له الشيخ: «يا ابني، إن لي في الإسكيم إلى يومنا هذا سبعين سنةً، لم تخل يوماً واحداً من الأحزان المرة، وأنت في مدى

^{٦٣} الفرمي نسبة إلى جبل فرمي فـФермъ، وهو جبل منطقة وادي النطرون كان يسكن به ٥٠٠ راهب، حسب رواية بلاديوس في التاريخ اللوزيакي (Amélineau, p. 335-336) (Hist. Laus. XXIII).

ثماني سنين ترید النیاح». فلما سمع هذا الكلام من الشیخ تعزّی ومضى وسكن وحده، وبدأ يلبسُ عَدَةَ الْحَرَبِ، وأخذ بيده الترسَ المنیعَ، أعني الإیمان الصالحِ، ووضع على رأسه خوذةَ الحلاصِ، أي الرجاء والتتصدیق بما في الكتبِ، حاذیاً قدّمه ببشارۃِ الإنجیلِ، وهكذا أخذ یُثبّتُ نفسه بتدبیرِ حسنٍ، حتى انخلت عنه قوۃُ المعاندِ. (س:۵ ۱۰۲) (Abc. Theodore of Pherme 2)

٤٥٣ - كذلك حدث مرّةً أن جاء إليه أخٌ، هذا طلب إليه مدة ثلاثة أيام، كي يسمع منه كلمةً، فلم یُحبه بشيءٍ، فمضى حزيناً، فقال له تلميذه: «يا أباها، لماذا لم یُحبه بشيءٍ، فقد مضى حزيناً؟ فأحابه الشیخُ قائلاً: «يا ابني، إني ما سكتُ عن الكلامِ إليه إلا لكونه بیاعاً، یؤثر أن يتمحّدا بأقوالِ آخرين». (س:۵ ۱۰۳ ج) (Abc. Theodore of Pherme 3)

٤٥٤ - ومرةً أتى إليه أحدُ الشیوخِ، وقال له: «إن فلاناً الأخ رجع إلى العالم». فقال له الشیوخُ: «لماذا عجبتَ من هذا؟ لا تعجب، لكن اعجب بالأخرى إن كان هناك إنسانٌ هرب من العالم». (س:۵ ۱۰۳ ج) (Abc. Theodore of Pherme 8)

٤٥٥ - وأيضاً أتاه أخٌ مرّةً، وابتداً يكلّمه ويستقصي عن أمورٍ ما توصل إليها بعد، حتى ولا مارسها قط، فقال له الشیوخُ: «إنك لم تجد السفينةَ بعد، ولم تركبها، فكيف تدعى وصولك إلى المدينةِ قبل ركوب السفينةِ؟ أولى بك ألا تتحدث في أمرٍ ما، إلا بعد ممارسته أولاً». (س:۵ ۱۰۳ ج) (Abc. Theodore of Pherme 9)

٤٥٦ - كما جاء مرّةً إنسانٌ يبيع بصلًا، فابتاع منه كيلًا، وقال لتلميذه: «امض واماً الكيلَ قمحاً». وكان يوجد نوعان من القمح، نوعٌ منقىٌ والآخرُ غلَثٌ^(٦٤)، فمضى التلميذُ، وماً الكيلَ من القمح غير المنقى، فنظر إليه الشیوخُ بحزنٍ، فوقع الكيلُ

^(٦٤) غلَثٌ: الغلَثُ: الخلطُ؛ وفي الحكم: الغلَثُ خلطُ البرِّ بالشیر أو الذرة (لسان العرب).

وانكسر، وصنع له الأخ مطانية، فقال له الشيخ: «ليس الخطا منك، لكنني أخطأتُ إذ
قلتُ لك». ثم أنه دخل فملا حجره من القمح المنقى ودفعه للرجل مع البصل». (س٥: ٢٢)
١٠٣ (ظ) (Abc. Theodore of Pherme 22). وقيل عنه إنه لما خربَ الاسقيطَ أتى وسكن في
الفرمي، فشاخ وضعف، فأتوه بالأطعمة، فكان ما يحضره الأول يعطيه للثاني، وفي الآخر
عند وقت الأكل كان يأكل مما كان يأتيه حينئذ. (س٥: ٣١) (ظ) (Abc. Theodore of Pherme)
(26)

٤٥٧ - وقيل عنه: إنه لما كان جالساً في قلابته في الإسقيط، أتاه شيطانٌ محاولاً
الدخول، فربطه خارج القلابة، ووافاه شيطانٌ آخر محاولاً دخول القلابة كذلك، فربطه
أيضاً خارج القلابة. فجاء شيطانٌ ثالث، ولما وجد زميليه مربوطين، قال لهم: «ما
بالكمَا واقفِنْ هكذا خارج القلابة»؟ فقالوا له: «بـداخـلـ القـلـابـةـ منـ هوـ وـاـقـفـ ليـمـعـنـناـ منـ
الـدـخـولـ». فغضب الشيطانُ الثالث وحاول اقتحام القلابة، ولكن الشيخَ ربطه كذلك
بقيودِ صلاتِه خارج القلابة. فضجَّت الشياطين من صلواتِ الشيخ، وطلبت إلهيَّ أن يُطلق
سراحَها، حينئذ قال لهم: «امضوا واحزوا». فمضوا بخزي عظيم. (س٥: ٣١) (ظ) (Abc. Theodore of Pherme 27)

٤٥٨ - وقيل عنه أيضاً: إنه أتاه بعضُ الشيوخ فوجدوه لابساً ثوباً مزقاً، وصدره
مكشوف، وكاكوليته^(٦٥) من قدام، واتفق وقتئذ أن وفاه إنسانٌ غنيٌ ليراه، فلما قرع
الباب، خرج الشيخُ وفتح له واستقبله، وأجلسه على الباب، فأخذ التلميذ قطعةً من
ثوبٍ، وغطى بها كتفيه، فمدَّ الشيخُ يده ورمها عنه. فلما انصرف ذلك الإنسان
الرئيس، سأله التلميذ قائلاً: «يا أباً، لماذا صنعتَ هكذا؟ لقد أتاك الرجل ليتتفعَ فلماذا
شككته»؟ فقال له الشيخُ: «لماذا تدعوني أباً، ونحن بعدُ نرضي البشرَ، قد أضعنا الزمانَ،

^{٦٥} تأتي في اليونانية: κοκούλιον ومعناها غطاء الرأس.

وَجَازَ الْوَقْتُ، فَمِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَفِعَ، وَمِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَشَكَّكَ فَلِيَتَشَكَّكْ. أَمَّا أَنَا فَكُمَا أُوْجِدَ هَكُذا أَلْتَقِي بِالنَّاسِ». ثُمَّ أَوْصَى تَلْمِيذَهُ قَائِلاً: «إِنْ أَتَى إِنْسَانٌ يَرِيدُ رُؤْبِيَّةً، فَلَا تَقْلِيلَهُ شَيْئاً وَعَظِيَّاً، بَلْ إِنْ كَنْتُ أَكُلُّ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّهُ يَأْكُلُ، وَإِنْ كَنْتُ نَائِمًا، فَقُلْ لَهُ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَإِنْ كَنْتُ أَصْلِي، فَقُلْ لَهُ: إِنَّهُ يَصْلِي».

(Abc. Theodore of Pherme 28) (س: ٥ ظ: ١٠٣)

٤٥٩ — وَسَأَلَهُ أَنْبَا أَبْرَآمَ مَرَّةً قَائِلاً: «يَا أَبْتَاهَ، أَيُّهُمَا أَحْسَنُ، أَنْقَتِنِي لِأَنْفُسِنَا كَرَامَةً، أَمْ هُوَانًا؟» فَقَالَ الشَّيْخُ: «أَمَا أَنَا فَأَشْتَهِي اقْتِنَاءَ الْكَرَامَةِ، لِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْهُوَانِ، لِأَنِّي إِذَا عَمِلْتُ عَمَلاً صَالِحاً، وَأَكْرَمْتُ إِزَاءَهِ، أَسْتَطِيعُ أَنْ أُلْزِمَ فَكْرِي بِعَدْمِ اسْتِحْقَاقِي لِلْكَرَامَةِ، وَأَمَا الْهُوَانُ فَيُصَدِّرُ عَنِ الْأَفْعَالِ قَبِيحةً تُعْضِبُ اللَّهَ، وَتُشَكِّكُ النَّاسَ، وَالْوَوْلِيَّ لِمَنْ تَأْتِي مِنْ قَبْلِهِ الشَّكُوكُ، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْأَفْضَلُ عِنْدِي هُوَ أَنْ أَعْمَلَ الْخَيْرَ وَأَجْمَدَ». فَقَالَ أَنْبَا أَبْرَآمَ: «حَسَنَا قَلْتَ». (س: ٥ ج: ١٠٤)

(Abc. Theodore Eleutheroplitant 1)

٤٦٠

٤٦٠ — مَضَى الْبَابَا ثَاؤْفِيلِيسْ بَطْرِيرِكِ الإِسْكَنْدِرِيَّةِ إِلَى جَبَلِ نَتْرِيَا، وَجَاءَ إِلَى أَبِ الْجَبَلِ، وَقَالَ لَهُ: «مَا هُوَ أَفْضَلُ شَيْءٍ وَجَدْتَهُ فِي طَرِيقَةِ جَهَادِكُمْ هَذِهِ، يَا أَبْتَاهَ؟» فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «لَا يَوْجِدُ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ أَرْجِعَ بِالْمَلَامَةِ عَلَى نَفْسِي فِي كُلِّ أَمْرٍ». فَقَالَ الْبَابَا: «بِالْحَقِيقَةِ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَ الْفَاضِلَةُ الَّتِي لَا يَوْجِدُ قَطُّ أَفْضَلُ مِنْهَا».

(س: ٥ ج: ١٠٤)

(Abc. Theophilos 1)

٤٦١ — وَقَالَ أَيْضًا: «إِنِّي مَرْتَبِّ فَرْعَةً مِنْ تِلْكَ الشَّدَّةِ الَّتِي سُوفَ تَعَانِيهَا النَّفْسُ عِنْدَ خَرْوِجِهَا مِنَ الْجَسَدِ، إِذْ تَأْتِيَهَا أَجْنَادُ الشَّرِّ، وَمَاسِكُو ظُلْمَةِ هَذَا الْعَالَمِ الْخَبِيثِ، فَيَأْخُذُونَهَا وَيُظْهِرُونَهَا كُلَّ مَا عَمِلَتْهُ مِنَ الْخَطَايَا، بِعِرْفَةٍ وَبِغَيْرِ عِرْفَةٍ، وَيُحَاجِجُونَهَا عَلَى كُلِّ مَا عَمِلْتُ، فَأَيَّةً شَدَّةٌ وَرَعْبٌ تَلْحُقُ بِالنَّفْسِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، حَتَّى يَصُدِّرَ الْحَكْمُ

البابا ثاؤفليس

بصيرها، وتُصبح حُرّةً، هذه هي ساعة الشدة التي تقاسيها حتى تبصر خاتمة أمرها، فإن كانت مستحقة النعيم، يأخذها الملائكة بكرامة، ويحفظونها من الشياطين الأشرار، وحيثند تصبح من ذلك اليوم معتوقة منهم، كما هو مكتوب: إن مسكن جميع الفرحين فيك يا مدينة الله. وحيثند يتم المكتوب أن الوجع والتنهد والتعب يهرب، وحيثند تفلت من أجناد الظلمة، لتمضي إلى ذلك الحمد الأسى، الذي لا يُنطق به. أما إن وُجدت النفس وقد كانت عائشة بالتواني، فإنها تسمع ذلك الصوت الحزن: ليبعد المنافق كيلا يعاين مجدَّ ربِّه. وحيثند يدركها يوم السخط، يوم الحزن والشدة، يوم الظلمة وظلالة الموت، فتلقى في الظلمة الخارجية، وتحكم عليها بالعذاب المؤبد في نار غير منطفئة، حيث يهرب كلُّ نعيمٍ وتلذذ، وحيث لا يوجد فرح ولا نياحة، ولا غنى، ولا جاه، ولا من يخلص من ذلك اللهيبي المعد للنفوس الخاطئة، فإذا كانت هذه الأمور هكذا، فأيُّ تدبير ذي أمانة وقداسة ينبغي لنا أن نتدبر به في هذا العمر، وأيُّ تسبيح وأية صلواتٍ وأيُّ تحفظ يجب أن نقتني بغير دنسٍ وبغير عيبٍ، بظهوره وسلم، لتهلل لسماع ذلك الصوت المملوء فرحاً القائل: هلموا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم، الدائم إلى دهر الدهور، آمين». (س: ٥١٠٤) (Abc. Theophilos 4)

٥٦٥

الأم تأؤ دوره

٤٦٢ - الأم تأؤ دوره الراهبة: سُئل البابا ثاؤ فيليس من الأم تأؤ دوره الراهبة، عن الكلمة التي قالها بولس الرسول: «اشتروا الزمان فإن الأيام شريرة». فقال لها: «المقصود بالشراء هنا الربح، كقولك: إذا ما نظر الراهب زمان شديدة، فإنه يشتري هذا الزمان بالتواضع وطول الروح، ويأخذ الربح المستحق له، كما أن زمان الهوان، يشتريه أيضاً بعدم الشر. كذلك اشتري الوقت الحاضر فترجعي، حتى إذا اتفق بخيء وقت كذب

ونفاق، أمكنكِ أن تشتريه بالصبر والرجاء، وهذا هو رجّه. هكذا كلُّ الأشياءُ تُشتري بضمُّها (1) (Abc. Theodora)، فاجتهدِي أن تدخلَي من الباب الضيق، لأنَّ الشجرةَ لا تستطيعُ أن تثمرَ ما لم تصلُّها الرطوبةُ والأمطار، فهذا العالمُ يُعتبرُ شتاءً للنفسِ، وبغير أحزانٍ وبخابٍ لا يمكننا أن نرثَ ملوكَ السماوات». (س: ٥١٥ ج) (2) (Abc. Theodora 2)

٤٦٣ — قالت الأم تأؤدورا: «حسنٌ للإنسانِ أن يسكتَ، لأنَّ الرجلَ الحكيمُ شيمته السكوتُ، وهذا هو بالحقيقة عونُ العذاري والرهبان، ولا سيما للشبابِ منهم، لأنَّ أعلمُ حقاً، أنه إذا اقتنيَ الإنسانُ في نفسه السكوتَ، فلنوقتٌ يجلبُ عليه الشيطانُ مللاً، وثقلَ رأسِه، وصغارَ نفسِه، وضعفَ حسده، والخلالُ في الركبتينِ وكلِّ الأوصالِ، وإذ تتحلُّ قوى النفسِ والجسدِ، فيحتاجُ بأنه عليه عليلٌ لا يقدرُ أن يتممَ صلاتَه، حتى إذا فرغَ من الصلاةِ، زالَ هذا كلهُ. وذلك لأنَّني أعرفُ إنساناً راهباً، كان إذا اعتزمَ أن يبدأ صلاتَه، تأخذُه حمى وقشعريرةً، مقرونةً بالآلامِ شديدةً في رأسِه، حتى أنه كان يتوهَّمُ بأنه عليه عليلٌ، أما هو فكان يقول لنفسِه: يا شقي، لعلَّك تموتُ هذه الساعة، فاغتنم صلاتَك قبل موتك. وبهذا القولُ كان يُلزمُ نفسهَ، ويتممُ صلاتَه، وبمحضِ فراغِه من الصلاةِ، تسكنُ عنه الحمى، وتقفُ الآلامُ والقشعريرةُ، لكنه إذا عادَ إلى الصلاةِ، عادتُ إليه الحمى والأوجاعُ وهكذا. فكان بهذا الفكرِ يقاتلُ ويغلبُ، ويتممُ صلاتَه حتى خلصَه ربُّه، وصارَ له صبرٌ إكليلًا إلهيًّا». (س: ٥١٥ ج) (3) (Abc. Theodora 3)

٤٦٤ — وقالت أيضًا: «حدثَ أنَّ إنساناً سمعتهُ غيرُ حيدةٍ، شتمَ أحَاً عفيفاً، فقال له: كنتُ قادرًا على أن أجيبك بما يوافق كلامك هذا، ولكنَّ ناموسَ إلهي يُعلقُ فمي». (س: ٥١٥ ظ) (4a) (Abc. Theodora 4a)

٤٦٥ — كما قالت: لا نسك، ولا سهر، ولا تعب، ولا صوم، يقومُ مقامَ التواضع

الكامل، لأنه قيل عن إنسان متوجّد كان يُخرج الشياطين، فسألهم قائلاً: «عماذا تخرجون، أبالصوم؟» فقالوا: «نحن ما نأكل قط». فقال: «أبالسهر؟» فقالوا: «نحن لا ننام». فقال: «أبترك العالم؟» فقالوا: «إن مساكننا البراري والخرائب». فقال لهم: «فبماذا تخرجون إذن؟» فأجابوه: «لا يوجد شيء يسخّنا غير التواضع». فالاتضاع هو غلبة الشيطان. (س: ٥٠١) (Abc. Theodora 6)

٤٦٦ - كذلك قالت: كان إنسان راهباً، ومن شدة التجارب والمحن المتکاثرة عليه، قال: «لنمض من ه هنا». في بينما هو يلبس نعاله، أبصر رجلاً يلبس نعاله كذلك، فقال له: «إلى أين أنت ماضٍ كذلك؟» أجابه قائلاً: «إلى الموضع الذي أنت ماضٍ إليه، لأن من أجلك أنا مقيم في هذا الموضع. فإذا أردت الانتقال من ه هنا، فسوف أنتقل بدوري لأن ملازم لك حيّثما سكنت». (س: ٥٠١) (Abc. Theodora 7)

٤٦٧ - وقالت أيضاً: إن راهباً آخر، كان يسكن في موضع حارٍ، فكثرت عليه المهام، وتعب من ذلك جداً، لأنه لم يكن من ذوي المراتب أو الغنى، فأتاه الشيطان في صورة مفتقد، وقال له: «كيف تستطيع الإقامة بهذه القلاية التي تصنع الدود من شدة حرارتها؟» فقال له: «أما الدود، فإني أصبر عليه لأفلت من الدود الذي لا ينام. وأما الحرُّ، فإني أصبر عليه كذلك، لأنّه من نار جهنم، فإن هذين زائلان، وأما ذلكما فباقيان». وبصبره هذا قهر الشيطان. (س: ٦٠١) (Add. Theodora S2)

٤٦٨

٤٦٨ - قال شيخ: «إذا كان راهب مقيناً في موضع، وأراد أن يصنع في ذلك الموضع خيراً، ولم يستطع، فلا يظنّ هذا أنه إذا ذهب إلى موضع آخر، يستطيع أن يصنع ذلك الخير». (س: ٤٨٥) (An. 446)

٤٦٩ - وقال شيخ آخر: «إذا أقام راهبٌ عَمَّالٌ في موضعٍ مع رهبانٍ غير عَمَّالٍ، فإنه لا يفلح إلا إذا ضبط نفسه، ولم يرجع إلى الوراء، ويكون بذلك مستحقاً جزاءً صالحًا. أما الراهب البطل، الذي يقيم بين مجاهدين فإن هو انتبه فإنه يمشي إلى قدام، ولن يرجع إلى وراء». (س٤: ٨٥ ظ) (An. 251)

٤٧٠ - كذلك قال شيخ: إذا كان وجعُ يقاتلك في موضعٍ ما، وترك ذلك الموضع ظنًا منك أنه يخفُ عنك دون أن تقاتلَه، فاعلم أنك إذا لم تغلبه حيث قاتلك، فإنه سوف يسبقك إلى كلّ موضعٍ تمضي إليه (Chaîne 47)، لأنَّي أعرفُ أناً كأن ساكناً بديري، وكان مداوماً على السكوتِ، إلا أنه كان كلَّ يومٍ يتحرك من وجع الغضبِ، فقال في نفسه: «أمضِي وأسكنِي وحدِي في قلابِةِ، وحيثُ أنه لن يكونَ هناك أحدٌ ساكناً، فسوف أهدأ، ويخفِ عنِي الوجع». فخرج وسكنَ وحده في مغارِةِ، وفي أحد الأيامِ ملأ القلةِ ماءً، ووضعها على الأرضِ، ولوقتها تدحرجت وانسكبَ ما فيها، فأخذها وملأها مرةً ثانيةً، ووضعها، فانسكتَ كذلك، فملأها دفعةً ثالثةً، فانقلبتَ أيضًا. فغضب وأمسكها وضربَ بها على الأرضِ فكسرها. فلما جاءَ إليه قلْبُه علمَ أن الشياطين قد سخروا منه، فقال: «هذا قد غُلْبْتُ وأنا في الوحدةِ كذلك، فلا ذهب إلى الدير لأنَّه في كلّ موضعٍ يحتاجُ الإنسانُ إلى جهادٍ وصبرٍ ومعونةٍ من الله». ثم قام ورجع إلى موضعِه» (Chaîne 48). (س٥: ٢٠١ ج) (An. 200,201)

٤٧١ - قال شيخ إنَّه كان قد جُرِّب بأفكارٍ تسع سنين حتى أنه يئس من خلاصِه، ومن الخوفِ كان يقول: «هلكتُ». ولما كاد أن ينقطعَ رجاؤه بالكلية، صار إليه صوتٌ قائلاً: «إن الشدائِدَ التي لحقتُ بك في هذه السنين التسع، هي أكاليلٌ لك، لا تتكلَّم من الجهادِ». فلما سمع هذا، تقوَى بالرجاءِ وخفَّت عنه الأفكارُ. (س٥: ٢٠٦ ظ) (Sys. VII 51)

٤٧٢ — قال أبا إسحق: رأيت مرة إخوة يقصدون في حقل ما، فأراد أحدهم أن يفرك سُنبلة، فاستأذن صاحب الحقل في ذلك، فأجابه متعجباً: «إن الحقل كلّه بين يديك أيها الأب، وستأذن في هذا؟ إلى هذا الحد من التحفظ كان ذلك الأخ يحتاط لنفسه.

(س:٥ ج) (Abc. Isaac the Presbyter 4)

٤٧٣ — وحدث أيضاً أن اعتلَّ هذا الأخ علةً عظيمةً، لدرجة أنه كان يرى من تخته دماً، فصنع له أحد الإخوة طعاماً وجاء به إليه، فلم يذقه، فألح عليه ذلك الأخ، أن يتناول منه قليلاً بسببِ مرضِه، فأجابه: «صدقني يا أخي، إن أشاءُ لو أن المسيح يتركني في هذه العلة ثلاثة سنة». فأخذ الأخ الطعام الذي أحضره وانصرف. (س:٥ ج)

(Abc. Isaac the Presbyter 10)

٤٧٤ — وقيل عنه لما جاءت وفاته: أن اجتمع إليه الإخوة قائلين: «ماذا نصنع بعمرك يا أبيانا؟» قال لهم: «كما كنت أسلك قدامكم اسلكوا واحفظوا وصايا السيد المسيح، فيرسل إليكم نعمة روح القدس، ويحفظ هذا الموضع، وإن لم تحفظوا فلن تثبتوا هنا، لأننا نحن لما تبيح آباءنا اغتنمنا، ولكن لما حفظنا وصايا إلينا ثبتنا موضعهم».

(س:٥ ج) (Abc. Isaac the Presbyter 11)

٤٧٥

٤٧٥ — قال الأب يعقوب: «إن الغربة أفضل من ضيافة الغرباء». (س:٥ ظ)

(Abc. James 1)

٤٧٦ — قال شيخ: «إني لما كنت في البرية الداخلية، كان بقري شاب راهب مهمم بخلاص نفسه، فرأيته مسالماً للوحش، يأنس إليها كما تأنس هي إليه، وكانت هناك ضبعة تُرضع جراها، فتقدّم ذلك الراهب الشاب، وطرح نفسه وابتداً يرضع مع جراها».

(س:٥ ظ) (Add. James S 1) (Bu. I, 629)

٤٧٧ - طلب أخٌ من الأب هيراكوس أن يقول له كلمة، فأجابه: «اجلس في قلاليتك، وإن جعتَ كُلُّ، وإن عطشتَ اشرب، ومنها لا تخرج ولا تتكلم بكلمة سوءٍ وأنت تخليص». (س٥: ١١٢) (Abc. Hierax 1)

٤٧٨

الأب يوحنا السرياني

٤٧٨ - قصد الأب يوحنا السرياني^(٦٦) أناساً أشرار خبيثاء، فأخذ ماءً في طست وغسل أقدامَهم، فما كان منهم إلا أن احتمموا من إكرامِه لهم، فتابوا. (س٥: ١١٢) (Abc. John the Persian 3)

٤٧٩ - سأله أخٌ شيخاً قائلاً: «ماذا أعمل يا أبي؟ فإني لا أمارسُ أمراً من أمور الرهبة، وهي كلُّه هو في أن أأكلَ وأشربَ وأرقدَ، وأنا في ذكرياتِ سجنةِ وسجينِ كثير، أخرجُ من هذا الفعلِ إلى ذاك، ومن هذا الفكرِ إلى غيره». فقال له الشيخُ: «اجلس في قلاليتك واعمل بقدرِ استطاعتك بلا سجين، فإنه يُرضيَنِي هذا القدرُ اليسيرُ الذي تعمله الآن» (س٤: ٨٦)، مثل تلك الأمور الكبار التي كان أنطونيوس يعملاها في البرية، ولِي إيمانُ أن كلَّ راهبٍ يجلس في قلاليته من أجلِ الله، مفتشاً أفكارَه، تاركاً التفتيش عن عيوب الآخرين، فإن ذلك يؤهله لأن يكون موضع أئبَا أنطونيوس» (Chaîne 49, Bu. I, 9)

٤٨٠ - وقيل عن الأب يوحنا السرياني: إنه كان عديمَ الشرِّ جملةً، فقد حدث في بعضِ الأيامِ أن افترض ديناراً من بعضِ الإخوةِ، وابتاع به كتاباً ليعمله. فأتاه أحدُ الإخوةِ وطلبَ منه أن يعطيه بعضًا من الكتاب، فأعطاه بفرحٍ. وسألَه آخرٌ، فأعطاه بانبساطٍ. وأخيراً أتاه صاحبُ الدينار طالباً دينارَه، فقال له الشيخُ: «ها أنا مهتمٌ برده إليك».

^{٦٦} تأتي في المخطوطات يوحنا السرياني، لكنها في النص اليوناني يوحنا الفارسي.

وللوقت قام منطلقاً إلى أثبا يعقوب - صاحب الدياكونية^{٦٧} - ليأخذ منه ديناراً ليدفعه للأخر، وفي طريقه إليه، وقع بصرّه على دينار مطروح على الأرض، فلم يأخذه، بل صلّى صلاةً وعاد إلى قلابته. فرجع إليه الأخ مطالبًا إياه بالدينار، وألح عليه في الطلب، فقال له الشيخ: «ها أنا ماض لأحضره لك». وقام ومضى، فوجد الدينار في نفس المكان مطروحاً، فصلّى صلاةً وأخذه. وجاء إلى أثبا يعقوب وقال له: «إنه في كلّ مرة أجيء فيها إليك، أجده هذا الدينار مطروحاً على الأرض، فاصنع محبةً وناد في جميع الجبل لئلا يكون قد سقط من أحد الإخوة». فنادى في كل ذلك الجبل، فلم يوجد أحد ضاع منه دينار. فقال الشيخ لأنبا يعقوب: «إن مديون لفلان الأخ بدinar، فادفعه له، لأنك كنت آثباً إليك لأتصدق منك ديناراً له». فعجب أثبا يعقوب كيف كان مديناً، ولم يأخذ الدينار الذي وجده، ليوفي دينه. وكان كلّ من يأتيه طالباً شيئاً يعطيه، لكنه لم يكن يعطي بنفسه، بل كان يقول للسائل: «ادخل أنت وخذ ما تريده». وإذا ردّ له أحد شيئاً كان يقول له: «ضعه موضع ما أخذته». أما الذي لا يردّ له، فما كان يطالبه قط. (س: ٥)

(Abc. John the Persian 2) ظ ١١٢

٤٤٥

الراهب والطاعة

٤٨١ - الأب يوحنا التباسي القصیر: كان وهو شاب تلميذاً للأثبا أموي، وهذا مكث يخدم الشيخ إذ كان مريضاً، وقد كان ملازمًا مضجعه، وكان الشيخ وهو يسعل ينطرح بثقله عليه دائمًا، لأنه كان يعشى عليه، وهكذا تعب معه كثيراً. ورغم ذلك، فإنه لم يسمع من معلميه كلمة: «خلصت». فلما دنت وفاة الشيخ، وقد جلس الشیوخ عنده،

^{٦٧} الدياكونية من الكلمة اليونانية *diakovía* ومعناها الخدمة، وصاحب الدياكونية هو الأب المسؤول عن المطبخ والمائدة ومخازن الدير.

أمسك بيد تلميذه، وقال له: «تخلص، تخلص، تخلص». وسلمه للشيخ قائلاً لهم: «هذا ملاكٌ وليس إنساناً». (س: ٥ ج: ١١٣) (Abc. John the Thebian)

٤٨٢ — من قول القديس يوحنا القصير: «إن البيت لا يمكن أن يُحيى من فوق إلى أسفل، بل من الأساس إلى فوق». فقالوا له: «ما معنى هذا القول؟» فقال لهم: «إن أساس كل عملٍ هو الخبرة للقريب، فيجب علينا أن نربحه قبل كل شيء، لأن وصايا المسيح إلينا كلها متعلقة بهذا». (س: ٥ ج: ١١٣) (Abc. John Colobos 39)

٤٨٣ — الأب يوحنا تلميذ أبا بولا: كانت له طاعة عظيمة، فقد حدث أنه كان يوجد في تلك الأماكن مقابر، وكان تسكنها ضبعة ضارية، وإذا رأى الشيخ هناك قلة يمانية، سأله يوحنا أن يمضي ويأتي بها. فقال له: «وماذا أصنع بالضبعة يا أبااته؟»؟ فقال له الشيخ: «إن أقبلت إليك، فاربطها وقدها إلى ههنا». ثم أن الأخ مضى وكان الوقت مساءً، فلما أقبلت الضبعة نحوه، تقدم إليها، فهربت، فتعقبها قائلاً لها: «إن معلمي طلب إليّ أن أمسكك وأربطك»، فوقفت. فأمسك بها وربطها، وأقبلها إلى الشيخ. وكان الشيخ وقتئذ جالساً متنتظرًا مفكراً. فلما أبصره تعجب كيف أمكنه إحضار الضبعة، وإذا أراد أن يحفظه من الكيرباء، ضربه قائلاً: «يا أحمق، لقد طلبت منك أن تحضر لي الضبعة، فتمضي وتأنسي بكلب». وللوقت حلها وأطلقها. (س: ٥ ج: ١١٣) (Abc. John disciple of Paula)

٤٨٤ — إسحق القس التباعي: حدث أن أتى إلى الكنويون، ودان أحنا على فعل أتاهم، فلما خرج إلى البرية، أتاهم ملاكُ ربِّ، ووقف قدام بابِ القلاية وقال له: «الرب يقول لك أين تشاء أن نطرح نفسَ ذلك الأخ المخطئ الذي أنت دِنته؟»؟ فتاب لوقته قائلاً: «أخطأتُ فاغفر لي». فقال له الملاك: «لقد غفر الله لك، ولكن عليك أن تحفظ ذائقك من الآن وألا تدين أحداً من الناس قبل أن يدینه الله». (س: ٥ ج: ١١٣) (Abc. Isaac the

٤٨٥ - قال الأب يوسف التبائسي: «يوجد ثلاثة أمورٍ كريمةٍ أمام الله: أولها، أن يؤودي الإنسانُ عمله خالصاً لوجه الله، ولا يرائي فيه بشرياً. أما ثانيها، فهو أن يكون الإنسانُ في مرضه، وحين تواتر المحن عليه، راضياً شاكراً. وثالثها، فهو وجود الإنسان مداوماً على طاعة أب روحاني، عاملاً بحسب مشورته. بهذه الأمور الكريمة، يؤهّل الإنسان لاكليلِ فاضلٍ، وإنى لذلك أحبُّ المرض». (س: ١١٣ ظ) (Abc. Joseph the Thebian 1) إذ قيل عن شيخٍ كان في كل زمانٍ يشتكي، إلا أنه في سنة من سني حياته وُجد غيره مشتكٍ، إذ لم يصبه خاللها مرضٌ، فمكث تلك السنة حزيناً جداً، وكان يبكي ويقول: لقد أسلمتني يا الله، ولم تعهدني بالطعام، الذي كنت قد عودتني عليه، من الأمراض التي كنتَ تخلبها عليّ». (س: ٢٠٩ ظ) (An. 209)

٤٨٦

الراهب والإرشاد الروحي

٤٨٦ - قال الأنبا أنطونيوس: «رأيت رهباناً كثيرين، قد وقعوا في دهشةٍ عقلٍ وذلك بعد تعبٍ كثيرٍ، والسبب في ذلك، هو أنهم توكلوا على معرفتهم وحدهم، ولم يصغوا إلى الوصية القائلة: اسأل أباك فيخبرك، ومشايخك فيقولوا لك». (س: ١١٣ ظ) (Abc. Anthony 37)

٤٨٧ - ودفعة جاء شيخٌ كبيرٌ في زيارة للأقباط أنطونيوس في البرية، وهو راكب جمارٍ وحشٍ، فلما رأه الشيخ قال: «هذا سفرٌ عظيم، ولكنني لستُ أعلم إن كان يصل إلى النهاية أم لا». (س: ١١٣ ظ)

٤٨٨ - وقيل إن شيونخاً كانوا قاصدين الذهاب إلى الأنبا أنطونيوس، فضلوا الطريق، وإذا انقطع رجاؤهم، جلسوا في الطريق من شدة التعب، وإذا بشابٌ يخرج إليهم

من صدر البرية، واتفق وقتند أن كانت هناك حميرٌ وحشٌ ترعى، فأشار إليها الشابُ بيده، فأقبلت نحوه، فأمرها قائلاً: «احملوا هؤلاء إلى حيث يقيم أنطونيوس». فأطاعت حميرُ الوحشِ أمرَه. فلما وصلوا، أخربوا أنطونيوس بكلٍّ ما كان، أما هو فقال لهم: «هذا الراهبُ يشبه مركباً ملوءاً من خيرٍ، لكنني لستُ أعلمُ إن كان يصلُ إلى الميناء أم لا». وبعد زمانٍ ابتدأُ الشيخُ يبكي ويتفش شعره فجأة. فقال له تلاميذه: «ماذا حدث أيتها الأب؟» قال لهم الشيخُ: «عمودٌ عظيمٌ للكنيسة قد سقط في هذه الساعة، أعني ذلك الشاب الذي أطاعته حميرُ الوحش». وأرسل الشيخُ تلاميذه إليه، فوجدوه جالساً على الحصیر يبكي. فلما رأى تلاميذَ أنطونيوس، قال لهم: «قولوا للشيخ أن يطلب إلى الله كي يمهلي عشرة أيامٍ لعلي أتوب»، وقبل أن يتم خمسة أيامٍ توفي. (س: ٥: ١١٤ ج) (Abc. Anthny)

(14)

٤٨٩ — من سيرة الأب باخوميوس: إنه في بعض الأوقات بينما كان باخوميوس مع الأب بلامون، وافاهما راهبٌ قد استولت عليه الخيلاء والاعتداد بالذات. وإذا كان الوقت شتاً، فقد كانت قدامهما نارٌ تشتعل. فلما رآها الأخُ الضيفُ، دخلَه السُّبُّح الباطل وقال لهم: «من منكمَا له إيمانٌ صادقٌ بالله، فليقف على هذا الجمر ويقول الصلاة التي علمَها السيدُ لتلاميذه». فلما سمعَ الشيخُ قوله هذا، زجره قائلاً: «ملعونٌ هو ذلك الشيطان النحس، الذي ألقى هذا الضميرَ الفارغ في قلبك، فكفَ عن هذا الأمر، لأنَه من شيطان العُجب». فلم يحفل ذلك الأخ بقولِ الشيخ، ولكنه قال: «أنا، أنا». ثم نهض قائماً ووقف على ذلك الجمر المتقد كثيراً، وقال الصلاة الإنجيلية مهلاً مهلاً، ثم خرج من النار ولم تضره بشيءٍ، ومضى إلى مسكنه بكيرياً قلب. فقال باخوميوس للشيخ: «يعلم ربُّ، أني عجبتُ من ذلك الأخ، الذي وقف على هذا الجمر ولم تحرق قدماه». فقال له الشيخ: «لا تعجب يا ابني من هذا، لأنَه بلا شك من فعلِ الشيطان، ولأجلِ أنه لم

يذلّل لبّه، تسامح الله في أن لا تحرق قدماه، كالمكتوب: إن الله يُرسل للذوي الاعوجاج طرقاً مُعوجةً. ولو علمت يا ابني ما ينتهي إليه أمره، لكنتَ تبكي على شقاوته». وبعد أيام قليلة، لما رأى الشيطان أنه جائعٌ لخداعه تشكّل بصورة امرأة جميلة جداً، متزينة بشبابٍ فاخرٍ، فجاءت إليه، وقرعت بابه، ففتح لها لوقته، حينئذ أسرفت عن وجهها وقالت له: «اعلم أيها الأب الحُرُّ أن عليَّ دينًا لأقوامٍ مقتدرٍ، وهم يطالبونني، وليس لي ما أُوفيهم، وأخشى أن يقبضوا عليَّ، ويأخذوني عبدهُ لهم، لأنهم مسافرون، فاعمل جيلاً، وأؤني عندك يوماً واحداً، أو يومين حتى يمضوا، فيكون لك من الله جزيلُ الأجرِ، ومني أنا المسكينة صالحُ الذكرِ». فأما هو فلصلف قلبه، لم يحسن البلاء الذي ذُرَّ له، فقبلها داخل قلاليته، حينئذ لعبت عليه أفكاره، فعوَّلَ على معاشرتها، ومدى نحوها ليتم الفعل النجس، فلوقته باغته الشيطان وصرعه على الأرض، فضاع عقله وبقي مسبحاً كالمليت نهاراً وليلةً، ثم عاوده رشدُه، فقام وجاء إلى الشيخ بلا مون وهو باكٍ، فطرح ذاته بين يديه قائلاً: «أنا هو السبب في هلاكي، وعلة نماتي. لأنني لم أصغي إلى كلامك، ولذلك حل بي ما حل». وشرح ما حدث له، ثم طلب صلاةً، فلما قاما ليصليا عليه باغته الروح النجس، وطفر به طفرةً منكرة، ومضى مستكداً مسافةً بعيدةً، حتى وصل مدينة تدعى بانوس، وبقي فيها ضائع العقل وقتاً، وأخيراً زجَّ بنفسه في نورٍ متقدٍ، حيث احترق فيه.

(س: ١٤) (ج) (Pach. boh. Pachomius, 14)

٤٩ - وآخرُ أيضًا^(٦٨)، كان ساكناً في مغارٍة في البرية، وكان كثيرَ الصلاة والصوم والجهاد، وكان كل يوم في ازديادٍ وحرصٍ، وحدث أنه اتكل على أعماله الصالحة، فجاءه المحرّب في الليل في شبه امرأةٍ تائهةٍ في البرية، ووُبّت ودخلت قلاليته،

^{٦٨} هذه القصة رواها القديس يوحنا الأسيوطى حسب كتاب Historia Monachorum.

ووَقَعَتْ بَيْنَ رِجْلِيهِ، وَكَانَتْ تَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ تَسْتَرَّ عَنْهُ تِلْكَ الْلَّيْلَةِ، فَظَنَّ فِي نَفْسِهِ حِينَئِذٍ أَنْ يَصْنَعَ مَعْهَا خَيْرًا، وَبِدَا يَسْأَلُهَا كَيْفَ تَاهَتْ؟ فَأَخْبَرَتْهُ مَا أَصَابَهَا. ثُمَّ بَدَأَتْ تَكَلْمَهُ، وَتَزَرَّعَ فِي قَلْبِهِ الْأَفْكَارُ الدُّنْسَةُ، وَتَرَشَّى لَحَالَهُ، وَتَظَاهَرُ بِالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ، وَهَكُذَا أَطَالَتِ كَلَامُهَا حَتَّى أَمَالَتِهِ إِلَى الشَّهْوَةِ النِّجْسَةِ، مُرِيدَةً جَذْبَهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَبِالضَّحْكِ السَّمْجَعِ أَضْلَلَهُ حَتَّى أَنْهُ بَسْطَ يَدِيهِ إِلَيْهَا، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا مُسْبِبًا هَاهُ، مُقدِّمًا نَفْسَهُ لِيُتَمَّ الشَّهْوَةُ، فَصَاحَتْ بَغْتَةً وَخَرَجَتْ هَارِيَةً مُثِلَّ الدُّخَانِ، وَصَوْتُ الضَّحْكِ سُمِعَ فِي الْمَوَاءِ مِنَ الْأَرْوَاحِ النِّجْسَةِ يَصْبِحُونَ وَيَقُولُونَ: «يَا مَنْ تَعْظِمُ وَتَرْفَعُ إِلَى الْعُلَاءِ، انْظُرْ كَيْفَ هَبَطَتِ إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَمِنْ بَعْدِ هَذَا غَدَا حَرِيبَنَا وَرَجَعَ إِلَى الْعَالَمِ. وَعَلَى هَذَا الْمَنْوَالِ يَفْعَلُ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّهُ إِذَا غَلَبَ إِنْسَانًا يَجْعَلُهُ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ لَثَلَاثًا يَقُومُ مِنْ سَقْطَتِهِ، وَمِنْ أَحْلَلْ ذَلِكَ عَلَيْنَا الْهَرْبَ مِنَ الْعَالَمِ، وَالْحَذَرُ مِنْ مَلَاقَةِ امْرَأَةٍ، وَأَلَّا نَقْطِعَ رَجَاءَنَا أَبَدًا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّنَا. (س: ٥١٥ ج: ٣٦-٣٢) (Hist. gr. I, 32-36)

٤٩١ - قَالَ شِيخٌ: «حَدَثَ أَنْ إِنْسَانًا شَرِيفًا فَرَّقَ جَمِيعَ مَالِهِ وَعَنِّقَ مَالِيَّكَهُ وَزَهَدَ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّهُ صَارَ مُتَوَكِّلًا عَلَى نَفْسِهِ وَحْدَهُ، مَرْشِدًا لِذَاهِنِهِ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ تَابِعًا لِغَيْرِهِ، مُتَعَلِّمًا مِنْهُ أَقْدَمُ مِنْهُ، فَوَقَعَ فِي نِحَاسَاتِ شَنِيعَةٍ وَكَادَ يَهْلِكُ، لَوْلَا أَنْ مَرَاحِمَ اللَّهِ تَدَارِكَتْهُ بِالْتَّوْبَةِ فَتَعْلَمَ بِالْخِيرَةِ أَنَّ التَّوَاضُعَ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ الْأَعْمَالِ وَالْفَضَائِلِ». (س: ٥١٥ ظ) (Abc. Cassian 7)

٤٩٢ - الْأَبُ لوقِيُوسُ: سَأَلَهُ أَخُوهُ^(٦٩) عَنْ ثَلَاثَةِ أَفْكَارٍ قَائِلَاتِ: «أَرِيدُ أَنْ أَتَغَرَّبَ». قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «إِنْ لَمْ تُضْبِطْ لِسَائِكَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ مُضِيَّتُ إِلَيْهِ فَلَسْتَ بِغَرِيبٍ، أَمَا إِذَا ضَبَطْتَ لِسَائِكَ هَهُنَا فَأَنْتَ غَرِيبٌ». فَسَأَلَهُ الْأَخُوهُ أَيْضًا قَائِلًا: «أَرِيدُ أَنْ أَصُومَ يَوْمَيْنَ». فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «قَدْ قَالَ إِشْعَيَاءُ النَّبِيُّ: إِنْ أَنْتَ أَضْنَيْتَ عَنْقَكَ كَالْأَسْلَةِ، يَوْمَيْنِ».

^{٦٩} تَأَيَّ في اليونانية: سَأَلَ الْأَبَ لوجِينِيوسَ الْأَبَ لوقِيُوسَ.

وافتشرت المسوح والرماد، فلن يُعتبر ذلك صوماً مقبولاً، أما إذا أردت الصوم حقاً فاصرف الأفكار الخبيثة». وأخيراً قال الأخ: «إن أؤثر أن أهرب من الناس». فقال له الشيخ: «إن لم تستطع تقويم نفسك وأنت بين الناس، فلن يمكنك تقويمها وأنت وحدك». (Abc. Longinus 1) (س: ٥ ظ: ١١٥)

٤٩٣ - وقال أيضاً: «إن المرأة تعلم أنها قد حبت عند توقف دمها، كذلك النفس تعلم أنها قد قبلت الروح القدس عند انقطاع الآلام السائلة منها من أسفل. أما إذا دامت فيها، فكيف يمكنها أن تشعر وهي هكذا ثماراً مثل ثمارها وهي عديمة الآلام؟ أعط دماً وخذ روحًا». (Abc. Longinus 5) (س: ٥ ظ: ١١٥)

٤٩٤ - كما قال أيضاً: «توجعت معدتي مرةً وطلبت طعاماً في غير أوانِه، فقلت لها: مُوتِي، وما دُمْت قد طلبت طعاماً في غير أوانِه، فها أنا أقطع عنك ما كنت أعطيك إياه في أوانِه». (Abc. Longinus 2) (س: ٥ ظ: ١١٥)

٤٩٥ - قال شيخ: حدث مرةً أني كنت في موضع حيث أتي يتامى ومساكين يسألون صدقة، فلما ناموا كان بينهم واحد لا يقتني شيئاً يلبسه سوى حصيرة، نصفها فوقه ونصفها الآخر تحته، وكان وقته برد شديد، فخرج بالليل يبول ماء، فسمعته من شدة البرد يُعزي نفسه ويقول: «أشكرك يا رب، كم من أغنياء الآن في السجون يرزحون في أغلال حديدية، وآخرين وقد رُبّط أرجلهم في الخشب، لا يستطيعون الخروج حتى لتبديد الماء، ولا يقدرون أن يمدوا أرجلهم، وأنا مثل ملك، لي سلطان على ذاتي، حيثما شئت أذهب». فلما أنسأته وسمعت كلامه هذا، دخلت إلى الإخوة وحدثتهم، فلما سمعوا تعجبوا وسبحوا الله. (An. 214) (س: ٥ ج: ١١٦)

٤٩٦ - قيل أتى تلميذ لأنبا مقاريوس وقال له: «أبي يرسلني لقضاء خدمات له،

وأي خائفٌ من الزنى». فقال له الشيخ: «في أيّ وقت جاءتك تجربةً قل: أيها الرب إلهي بصلاة أبي نجني، وهو يخلصك». وحدث في أحد الأيام أن أغلقت عليه عذراءُ الباب، فصرخ بصوتٍ عظيمٍ وقال: «يا إله أبي خلصني». وللوقت وجد نفسه في طريق الإسقاطِ. (س: ٥١٦ ج) (Abc. Amoun 3)

٤٩٤

الأب ماطويس

٤٩٧ — الأب ماطويس: سأله آخر قائلاً: «قل لي كلمةً». فقال له الشيخ: «اطلب إلى الله أن يعطيك نوحاً في قلبك وتواضعًا في نفسك وتأملًا دائمًا في خططياك، ولا تدن آخرين، ولا تجعل لك صداقَةً مع صبي، ولا معرفةً بامرأة، ولا صديقاً مخالفًا، ولا صلة بإنسانٍ ما، واضبط بطئك ولسانك، وإن تكلم أحدٌ بحضورتك فلا تلتجّه، وإن قال لك جيداً قل نعم، وإن تكلم رديئاً فقل: أنت أخْبُرْ بما تتكلّم به، ولا تمارِ ولا تماحك، فهذا هو حدُّ الخلاصِ». (س: ٥١٦ ج) (Abc. Matoes 11)

٤٩٨ — وسأله آخر: «قل لي كلمةً». فقال له: «اقطع عنك كلّ ماحكَةٍ في الأمورِ كلُّها، وابكِ ونح فقد قرُبَ الوقتُ». (س: ٥١٦ ج) (Abc. Matoes 12)

٤٩٩ — كذلك سأله آخر قائلاً: «ماذا أصنع فإن لساني يغلبني، وفي كلّ وقتٍ أحضرُ بين الناسِ لا أستطيع أن أضبّطه، وبحدين أدينهم على كلّ فعلٍ رديء». فأجابه الشيخ قائلاً: «إن كنتَ لا تستطيع ضبط لسانك فاهرّب منفرداً لأن هذه الحالة ناتجةٌ عن ضعفٍ، فالذّي يريد أن يجلسَ مع الإخوةِ ينبغي ألا يكون ذا أربعةِ قرونٍ بل يكون مدورةً، حتى يمكنه التدحرج نحو الكلّ». (س: ٥١٦ ج) (Abc. Matoes 13a)

٥٠٠ — وقال الشيخ: «لستُ من أجلِ الفضيلةِ أنا جالسٌ في الوحدةِ، ولكن من

أجلِ الضعفِ، لأنَّ المقلِّبين بين النَّاسِ هُمْ قوتان». (س:٥ ظ:١٦) (Abc. Matoes 13b)

٥٠١ - وقال أيضًا: حَدَثَ أَنْ مَضَى ثَلَاثَةٌ إِخْرَوَةٌ إِلَى الْأَبِ بِفِنُوْتِيُوسَ، وَسَأَلُوهُ كَلْمَةً، فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ: «امضوا، وَلَيْكُنْ عِنْدَكُمُ الْحَزْنُ أَفْضَلُ مِنَ الْفَرَحِ، وَالْعَبُرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّيَاجِ، وَالْإِهَانَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَلَيْكُنْ عَطَاؤُكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَخْذِكُمْ». (س:٥ ظ:١٦) (Abc. Matoes 10)

٥٠٢

القديس مرقص تلميذ أبا سلوانس

٥٠٢ - القديس مرقص تلميذ الأب سلوانس: قيل عنه إنه كانت له طاعةً عظيمةً، كما كان كاتبًا. وكان الشيخ يحبه كثيراً من أجل طاعته. وإذا كان له أحد عشر تلميذاً آخرين، فهولاء كانوا يحزنون بسبب حبه له أكثر منهم، فلما سمع الشيخ بذلك جاءوا إليه ولاموه على ذلك. فما كان منه إلا أن أخذهم وخرج وقع على كل قلية قائلاً: «أيها الأخ هلَّمْ إِلَيْيِ فَلَيْ مُتَّجِّ إِلَيْكَ». فلم يتبعه ولا واحدٌ منهم فوراً. وأخيراً جاء إلى قلية مرقص وقع على الباب قائلاً: «يا مرقص». فلما سمع صوتَ الشيخ وثبت في الحال وخرج خارجاً، فأرسله في خدمة. فقال للمشايخ: «أيها الآباء، أين باقي الإخوة؟» ثم دخل قلية مرقص مفتشاً فوجده كان يكتب وقت ندائِه عليه، وقد بدأ بكتابه الأعداد الكبرى التي منها (أوميجا) ٣٣، فعند سماعِه صوتَ الشيخ لم يُرسِل القلم ليتممها فتركها (نصف أوميجا) فقط، فلما رأوا ذلك هكذا قالوا: «بالصواب تحب هذا الأب، ونحن نحبه والله يحبه». (س:٥ ظ:١٦) (Abc. Mark 1)

٥٠٣ - وحدث في بعضِ الأوقاتِ أَنْ كانَ الْأَبَ سلوانس يمشي مع مشايخَ في الإسقِيطِ، ومرقصُ معاً، فرأى الشَّيْخُ خَتَرِيرَا بُرِّيَا، فقال لمرقص: «أَتَرِيْ يا ولدي هذا

الوحش الصغير»؟ قال: «نعم يا معلم». قال الشيخ: «انظر كيف أن قرونه مستوية حسنة». قال له: «نعم يا معلم». فتعجب الشيخ من جوابه وانتفعوا من عدم مراجعته لعلمه. (س٥: ١١٧ ج) (Abc. Mark 2)

٤٠٤

٤٠٤ - الأب ميليسيوس: قيل عنه إنه عبر يوماً بوضعٍ فرأى راهباً مسوكاً متهمًا في جريمة قتل، فدنا الشيخ وسأل الأخ عن أمره فعلم أنه قد أثّرهم ظلماً. فقال الشيخ لمسكية: «أين يوجد المقتول؟» فأرزوه إياه. فبسط يديه وصلى إلى الله، ثم قال للميّت قدام الجميع: «قل لنا من قتلك؟» قال الميّت: «إني دخلت الكنيسة وأعطيت القس مالاً ليحفظه لي، فقام على وذبحني، وحملني وطرحني قدام قلاية هذا الراهب. فأريد أن يؤخذ المال من القس ويعطى لأولادي». فقال الشيخ: «ارقد ثانية حتى يأتي الرب ويقيمك».

(س٥: ١١٧ ج) (Abc. Melisios 1)

٤٠٥ - وسائل الأخ الأب موتّيوس قائلاً: «أريد أن أمضي لأسكن في موضع، فماذا تريدين أن أتدبر هناك؟» فقال له الشيخ: «إن سكتَ في موضعٍ فاحذر أن تُخرج لك إسماً في شيءٍ من الأشياء، بل في كلّ موضعٍ جلستَ فيه، اتبع الكلّ مساوياً نفسكَ هم، وكل ما تراه من أفعالِ الورعين الأتقياء الذين يُنتفعُ منهم، فافعله مثلهم، وبذلك تتنيح لأن هذا هو الاتضاع أن تساوي نفسك بإخوتك، حتى إذا أبصرك الناس تدخل وتخرج مع الإخوة لا يزعجونك». (س٥: ١١٧ ج) (Abc. Motios 1)

٤٠٦ - الأب مرقص المصري: قيل عنه إنه مكث ثلاثين سنة لم يخرج خارجاً عن قلايته، وقد اعتاد قسيسٌ أن يأتي إليه، ويقوم بخدمة القدس. فاحتال الشيطان في إيقاعه في ألم الدينونة، فأوعز إلى بعضهم فأتوا إليه بآنسانٍ مجنونٍ بروحٍ نجس، طالبين أن يصلّي عليه، فقبل كلّ شيءٍ بدأ المريض يقول له: «إن قسيسك له رائحة الخطيئة، فلا تدعه

يدخل إليك». فقال له الشيخ: «أيها الولد، إن كلَّ الناس يطرحون الجيفَ والنجاسةَ خارجاً، أما أنت فقد أدخلتها إلىَّ، أما كُتب لا تدينوا لكي لا تدانوا، فهو وإن كان خطأناً، لكنَّ ربَّ مخلصه، لأنَّه كُتب: وإنَّه سقط فالرب يقيمه. وقد كُتب أيضاً: ول يصلُّ بعضُكم من أجلِ بعضٍ لكي تُشفوا». وإذا قال ذلك صلبي صلاةً فهرب الشيطانُ من ذلك الإنسان، وصرفه خائباً. فلما أتى القسُّ كعادته قبلَه الشيخُ بفرحٍ، فلما أبصرَ الإلهُ الصالحَ أمانةَ الشيخِ، كشفَ له سرًّا وهو أنَّ القسيسَ عندما اعتزمَ الوقوف قدامَ المائدةِ المقدسةِ، رأى الشيخُ أنَّ ملاكاً قد انحدرَ من السماءِ، ووضعَ يده عليه، فصارَ كعمودٍ نارٍ، فعجبَ الشيخُ من ذلك المنظرِ، وإذا بصوتٍ يأتيه قائلاً: «لماذا تعجب؟ إنَّ كانَ الملكُ الأرضي لا يرتضي أنْ يقفَ أحدُ خدامِه بينَ يديه بلباسٍ قذرٍ، فكم بالحربيِّ ملكَ السمواتِ فإنه يجللُ خدامَه الواقفينَ بينَ يديه باجحدٍ». (س: ٥ ج: ١١٧) (Abc. Mark the Egyptian 1

٥٠٧ - الأب مقاريوس المد니^(٧٠): قيل إنَّ أحدَ الإخوةِ استمرَ يتربَّدُ عليه مدةً أربعةَ أشهرٍ يومياً، وذلك ليسألَه عنَّ الكلمة، فكانَ كلَّما ذهبَ إليه لا يجدُه متفرغاً من الصلاةِ حتى ولا مرَّةً واحدةً. فعجبَ الأخُ لذلك وقال: «هذا ملاكٌ وليس بإنسانٍ، وانتفعَ جدًا». (س: ٥ ج: ١١٧) (Abc. Macarius the Alexandrian 3)

٥٠٨ - قالَ الأب ماطويس: «كلَّما دنا إِنْسَانٌ منَ اللهِ، فإنه يرى نفسهَ خطأً، لأنَّ إشعياً النبيَّ لما أبصرَ اللهَ دعاً نفسهَ دنساً وبخساً». (س: ٥ ج: ١١٧) (Abc. Matoes 2)

٥٠٩ - قيل: مدح الآباءُ شخصاً في وجهِه بينَ يديِّ الأب أنطونيوس، فأرادَ الأب أنْ يمتحنه إنَّ كانَ يتحملُ الذمَّ، فلم يتحمل، فقال: «هذا الأخُ يشبهُ قريةً مزينةً من خارجٍ،

^{٧٠} كانوا القديس مقاريوس الإسكندرى يُلقب بالمدنى πολιτικός لأنه من مدينة الإسكندرية.

الراهب والمغفرة

٥١٠ - وقيل أيضاً: شكا أخ إلى شيخ قائلاً: «إن أضرب المطانية للأخ الواحد علىٌّ، وهو غير نقى الفكر والضمير معى». فقال له الشيخ: «لست تقول الحق، لأنك وأنت تضرب المطانية، تؤديها له بدون أن تتوب إليه من كل قلبك». فقال له الأخ: «نعم، بالصواب حكمت». قال له الشيخ: «من أجل ذلك لا يُقْنَعُ الله أن ينقى ضميرك معك، لأنك لم تضرب له المطانية وأنت مُسْلِمٌ بخطئك نحوه، بل لا زال يَعْلَقُ في ضميرك أنه هو المخطئ. ضع في ضميرك أنك أنت المخطئ، وزرك أخاك وبرئه من الخطيئة، وحينئذ يتحقق الله ذلك في فكره، ويُعطِّفه نحوك». (س: ١١٨ ج) (Bu. I, 523)

٥١١ - وسأله أخ آخر قائلاً: «إن أصنع مطانية للأخ، ويقى قلبي واحداً عليه». فأجابه الشيخ: «إن هذا هو الحقد، وهو يتولد من الغضب، كما تتولد النار من القدر، فالمطانية شفيت الغضب، ولكنك ما استأصلت الحقد، فيجب أن تقطع الأوجاع وهي طريةٌ صغيرة قبل أن تنفرج وتقوى فيعسر قطعها. فلماذا لا تفهم ما تقوله قدام الله في المزمور السابع: "يا رب وإلهي، إن كنت صنعت هذا، وكان في يدي ظلم، أو كافأت طالمي شرًا، إذاً أسقط في يد أعدائي خائباً، ويطلب العدو نفسي ويذر كها". فإن كافأنا شرًا بشرًا فنحن ندعوا على أنفسنا لا ندعوا لها. والمكافأة (على الشر) تارة تكون بالفعل، وتارة بالقول، وتارة بالتفكير، وهذا هو الحقد. فقد لا يُحزِّنُ (الإنسان) من أحزنه، لكنه إذا رأى أو سمع أن غيره قد أحزنه يُفرجُ، وقد لا يرى ذلك ولكنه يشتهي أن يراه، وهذه كلها من وجوه الحقد، وبعضها أصعب من بعض». (س: ١١٨ ج) (8) (Dor. Discourses)

٥١٢ - كذلك سُأَلَ أخٌ شِيخاً قائلًا: «ماذَا أَعْمَلْ يَا أَبِي، فِإِنِّي عَاتِبُ عَلَى أَخِي، وَلَيْسَ فِي نِيَّتِي سَمَاحٌ بِأَنْ أَغْفِرَ لَهُ»؟ فَلَمَّا سَمِعَ الشِّيْخُ هَذَا الْكَلَامَ رَفَعَ عَيْنِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَضَرَبَ صَدْرَهُ قائلًا لَهُ: «يَا شَقِيقِي، إِنْ كُنْتَ تُغْضِبُ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ يَطْلِيلُ رُوحَهِ عَلَيْكَ وَيَغْفِرُ لَكَ إِذَا مَا تَبَتَّ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ لَا تَغْفِرُ أَنْتَ لِأَخِيكَ»؟ (س: ٥ ظ: ١١٨)

٥١٣ - قال شِيْخٌ: «لَقَدْ تَرَكَنَا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الَّتِي رَسَّمَهَا لَنَا آباؤُنَا، وَهِيَ أَنْ نَلُومَ ذُوَاتِنَا، وَرَجَعْنَا بِاللَّائِمَةِ عَلَى الْقَرِيبِ مِنَا، وَأَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَا يَحْرُصُ وَيَجْتَهُدُ فِي أَنْ يُرْجِعَ السَّبَبَ عَلَى أَخِيهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَيُطْرَحَ ثَقْلَهُ عَلَى قَرِيبِهِ. كَمَا صَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَا مَتَهَاوِنًا، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ نَطَالِبُ قَرِيبَنَا بِحَفْظِ الْوَصَايَا، مَعَ أَنَّنَا لَا نَحْفَظُ شَيْئًا مِنْهَا».

(س: ٥ ظ: ١١٨) (Dor. Discourses 7)

٥١٤ - حَدَثَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَنْ جَاءَ إِلَى شِيْخِ أَخْيَانَ غَاضِبَانَ عَلَى بَعْضِهِمَا، وَشَكَا إِلَيْهِ الْأَكْبَرُ مِنْهُمَا قائلًا: «إِنِّي إِذَا أَمْرَتُ أَخِي بِعَمَلِ شَيْءٍ، فَإِنْ أَمْرَيْتُهُ هَذَا يُحْزِنُهُ، كَمَا أَنِّي أَحْزَنُ كَذَلِكَ لَحْزِنَهُ، مُفْكِرًا أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَامِلًا فِي مُحْبِبِهِ لِي لَكَانَ يَقْبِلُ مَا أَقْوَلُهُ لَهُ بِفَرَحٍ». أَمَّا الأَصْغَرُ فَقَالَ: «يَا لَيْتَهُ يَكْلُمِنِي بِحَسْبِ مُشَيْئَةِ اللَّهِ، لَكُنَّهُ يَأْمُرُنِي بِسُلْطَةِ حَسْبِ مُشَيْئَتِهِ، وَلَذَلِكَ لَا يَوْافِقُنِي قَلْبِي عَلَى طَاعَتِهِ بِحَسْبِ مَا أُوصَى بِهِ الْآبَاءُ». فَقَالَ الشِّيْخُ: «يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي مُتَحِيرٌ كَيْفَ أَنْ الْاثْنَيْنِ يَلُومُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ، كَمَا يُحْزِنَنَانِ دُونَ أَنْ يَلُومَهُمَا أَحَدٌ»، فَعِوْضُ أَنْ يَرْجِعَ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا بِاللَّائِمَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولَ: حَقًّا إِنِّي بِسُلْطَةِ أَكْلَمُ أَخِي وَلَذَلِكَ يُحْزِنُ؛ نَرَاهُ بِالْعَكْسِ يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَامِلًا فِي مُحْبِبِهِ لِي. كَذَلِكَ الْآخَرُ فَعِوْضُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ أَخِي يَكْلُمِنِي بِحَسْبِ مُشَيْئَةِ اللَّهِ لِمَنْفَعِي، نَرَاهُ بِالْعَكْسِ أَيْضًا يَقُولُ: إِنَّهُ يَأْمُرُنِي بِسُلْطَةِ حَسْبِ مُشَيْئَتِهِ. وَهَكُذا بَقَى الْاثْنَانِ حَزِينِيْنِ بِدُونِ وَجْهِ حَقٍّ، وَذَلِكَ لَأَنَّنَا نَسْتَعْمِلُ أَقْوَالَ آبائِنَا بِاعْوَاجِ حَسْبِ نَوَايَا النَّحْيَيْةِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَا يَلْقَى

الذنب على رفيقه، ولذلك لا نجح ولا نفلح». (س: ٥ ظ) (Dor. Discourses 7)

٥١٥ - قال شيخ: «إن كلمت إنساناً كلمة تنخسه بها، لكنه لم يحس، فلا تب إليه ولا تعطه مطانية، ولا تُقلق الأخ». (س: ٥ ج) (١١٩)

٥١٦ - وقال أيضاً: «إن عملت عملاً وسط جماعة، وعرفت أنه يُحدث عشرة وشَّاكاً، فأسرع واستره، ولا توسع فيه، ليعرّ بغير قلق». (س: ٥ ج) (١١٩)

٥١٧ - قال الأب زوسيما: اتفق أني كنت مع أخي آخر سالكين مع علمانيين في طريق نابلس، فوصلنا إلى موضع ثجي فيه ضريبة، فالعلمانيون لعرفتهم بالأمر، أعطوا ما وجب عليهم من الضريبة، وأما الأخ الذي كان معي، فأخذ في المقاومة قائلاً: «أتتحاسرون على أن تأخذوا خراجاً من رهبان»؟ فلما سمعته يقول هكذا، قلت له: «ما هذا الكلام الذي تقوله يا أخي؟ كأنك تريده أن تطالبهم بإكرامك إكرام قديس إن شاءوا وإن أبوا؟ فيا ليتهم كانوا قد أبصروا ما توقعوه من حُسن إجابتكم وتواضعكم، فكانوا يخجلون ويقولون: اغفر لنا. فأعطتهم إذن الجزية كتلميذٍ وديع لإله الوديع الذي تسكن ودفع الدرهمين، ثم اعبر بسلام». (س: ٥ ج) (١١٩)

٥١٨ - الأب نسترون: كان يتمشى في البرية مع أحد الإخوة، فلما شاهد تينا هرب. فقال له الأخ: «أأنت كذلك أيها الأب تفرّع؟» أجاب الشيخ: «لا، لست أفرع يا ولدي، لكن المرب أوفق لي، ولو لاه لما كنت قد تخلّصت من روح المجد الفارغ». (س: ٥ ج) (Abc. Nistros 1)

۵۱۹

لسان كفافة من أنفسنا

٥١٩ - قيل: إنه كان في الصعيد راهب قد بلغ من التقشف مبلغاً عظيماً، ظافراً

على صلواتِ وطلباتِ وسهر، ومالكاً عدم القنية إلى أبعد غايةٍ، يُفني جسده بالأصواتِ والأتعاب. هذا كان قد بدأ جهاده بأن كان يتناول كلّ عشيةٍ ملء راحتيه قُطنيّةً (أي حُبوبًا) مبلولة وكفى، وصار يتدرج إلى أن أصبح يتناول ذلك القدر يوماً بعد يوم، وهكذا حتى استطاع بعد مدةٍ أن يأكله مرةً واحدةً كلّ أسبوعٍ مساء الأحد، أو يأكل ما اتفق له من الحشائش النابتة، ومكث على هذه الحال مدةً من الزمان، فحسده الشيطان ورماً أن يرميه في الكيرباء، فوسوس له بأنه قد سلك في النسك مسلكاً لم يبلغه أحدٌ من البشر، وأنه يجب أن يجترح الآيات كي يزداد نشاطه، ويرى الناس العجائب فيمجدوا الله، لأنَّ الرب نفسه أيضًا قال: «ليرى الناس أعمالكم الحسنة فيمجدوا أباكم الذي في السموات». فسألَ الربَ من أجلِ هذا الأمر، وإذا لم يشا الإله المتعطف أن يظلم تعبه، فقد ألمَّه فكرًا بأنَّ الرسول يقول: «لسنا كفأةً أن نرى رأياً من أنفسنا». وقال: «إنَّ كان ذلك السيد لم يجد نفسه كُفأةً لأنَّ يرى رأياً من ذاته، فكم بالحربي يجب علىي أنا الشقي أن أقولَ هذا القول! أقوم إذن وأمضي إلى فلان المتودح، ومهما قال لي أقبله كمرسلٍ لي من قبل الله». وكان ذلك المتودح راهباً كبيراً وقد نجح في عمل التأوري، قادرًا على منفعةٍ من يسألُه. فقام للوقتِ ومضى إليه، فلما دخل قلابته رأى المتودح قردين جالسين على كتفيه، ممسكين عنقه بسلسلة، وكلٌّ منها يرهقه جذبًا إليه، فلما شاهد هذا المنظر عرف السبب إذ كان متتفقهاً جدًا. وإنَّ تنهَّد باكيًا بسكونٍ. ومن بعد الصلاة وما جرت به العادة من السلام، جلسا مدة ساعة صامتين، لأنَّ هكذا كانت عادة الآباء الذين هناك، ثم فتح الراهبُ القادرُ فاه قائلاً: «أيها الأب، انفعني وأرشدني للخلاص». فأجابه الشيخُ: «إنِّي لستُ كفأةً لذلك يا ولدي، لأنَّ محتاجَ بعد إلى إرشادٍ». فقال له: «لا ترددْ يا أبي، لأنَّ موْقِنَ بفضلِك وقد ألزمتُ ذاتي قبول مشورتك». فأجابه الشيخُ: «إنِّي أخشى أنك لا تسمع مني، ولذلك أفضّلُ أن أمتنع من

ذلك». فحققَ وأكَّد له أنه قبل مجئهِ قد عاهد نفسهُ قائلًا: «مَهْمَا قَلَّتْ لِي أَقْبَلَهُ كَمِنْ فِيمِنَ اللَّهِ». فقالُ الشِّيخُ: «خُذْ قِطْعَ النَّقْوَدِ هَذِهِ وامضِ إِلَى الْمَدِينَةِ وابتَاعْ عَشْرَ خَبَزَاتٍ وقَسْطَ نَبِيْدٍ وعَشْرَةَ أَرْطَالَ لَحْمٍ وعُدَّ بَهَا إِلَيْ». فحزنَ الْأَخْ لِذَلِكَ جَدًّا، لَكِنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَخْذَ مَا أَعْطَاهُ لَهُ ومضى كَثِيرًا. وفي طرِيقِهِ جاءَتْهُ الْأَفْكَارُ قائلةً: «أَيُّ شَيْءٍ يَقْصِدُهُ ذَلِكُ الشِّيخُ، وَكَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْتَاعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَكَيْفَ أَحْمَلُهَا؟» وَمَا هُوَ مَوْقِفِي مِنَ الْعَلَمَانِيْنَ مَا يَضْطَرِّرُنِي إِلَى أَنْ أَذْوَبَ حَجَلًا؟»؟ وهكذا سأَلَ واحِدًا فابتَاعَ لَهُ الْخَبَزَ، وآخرًا ابْتَاعَ لَهُ النَّبِيْدَ، وَمَا جَاءَ دُورُ الْلَّحْمِ، قَالَ: «يَا وَيْلِيْ كَيْفَ أَحْصِلُ عَلَى الْلَّحْمِ، سَوَاءَ ابْتَاعَتْهُ أَنَا بِيْدِيْ أَمْ كَلْفَتُ آخَرَ؟» ثُمَّ كَلَّفَ رَجُلًا عَلَمَانِيًّا فابتَاعَ لَهُ الْلَّحْمَ، وَحَمْلَ الْجَمِيعَ وَجَاءَ بَهَا إِلَى الشِّيخِ مُفْكَرًا. فقالُ لَهُ الشِّيخُ: «اطْبِخْ الْلَّحْمَ وَطُحِّنْهُ». فَفَعَلَ ذَلِكَ مُعَبِّسًا. فقالُ لَهُ الشِّيخُ: «لَا تَنْسَ مَا عَاهَدْتِنِي بِهِ أَنْكَ سُوفَ تَفْعِلُ جَمِيعَ مَا أُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ، فَخُذْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ جَمِيعَهَا، وَامضِ إِلَى قَلَّيْتِكَ، وَصُلِّ وَتَنَاهُلْ خَبْزَةً وَاحِدَةً وَشَرْبَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّبِيْدِ وَرَطْلَ لَحْمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ الْمَسَاءِ. وَمِنْ بَعْدِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ عُدَّ إِلَيْ». فَلَمْ يَتَجَاسِرْ عَلَى أَنْ يَرُدَّ لَهُ جَوابًا.

وهكذا أَخْذَ كُلَّ مَا أَعْطَاهُ ومضى حزيناً باكِيًّا قائلًا في نفسيه: «مَنْ أَيُّ درْجَةٍ فِي الصُّومِ هَبَطَتْ، وَفِي أَيِّ حَالَةِ حَصَلْتَ؟» ثُمَّ أَنَّهُ قَالَ لِنَفْسِهِ: «إِنْ لَمْ أَفْعُلْ مَا أُمْرِنِي بِهِ أَكُونُ قَدْ حَالَفْتُ اللَّهَ، لَأَنِّي قَدْ عَاهَدْتُهُ أَنَّهُ مَهْمَا قَالَ لِي أَفْعُلُهُ كَمِنْ فِيمِنَ اللَّهِ، وَالآنِ يَا رَبُّ، انظُرْ إِلَى شَقاوِيْتِي وَارْحَمْنِي وَاغْفِرْ لِي خَطِيْبِي، لَأَنِّي مُضْطَرٌ أَنْ أَعْمَلَ خَلَافَ هَوَايِّ». وَجَاءَ إِلَى قَلَّيْتِهِ باكِيًّا، وَتَمَّ مَا قَالَهُ لَهُ الشِّيخُ، وَعَكَفَ عَلَى الصَّلَاةِ عَكْوَفًا بِلِيْغاً، وَكَانَ إِذَا مَا أَكَلَ، يَيْلُ الْخَبَزَ بِدَمْوِعِهِ قائلًا: «يَا اللَّهُ قَدْ أَهْمَلْتُ وَخُذْلَتُ مِنْ يَدِكَ». فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ حَزَنَهُ وَبَكَاءَهُ وَمَسْكِنَتِهِ، عَزَّى قَلْبَهُ وَكَشَفَ لَهُ السَّبَبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ وَاعْتَرَفَ بِالْقَوْلِ النَّبَوِيِّ: «إِنْ كُلُّ بَرٍ إِلَّا نَسَانٌ مُثَلُّ خَرْقَةَ الطَّامِثِ». وَأَيْضًا: «إِنْ لَمْ يَيْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ وَيَحْرُسَ الْمَدِينَةَ،

فباطلاً سهر الحارسِ»: وهكذا عاد إلى الشيخ منهوكَ الجسم متوعكاً أكثرَ مما كان وهو يطوي الأسابيع صائمًا. فلما رأه الشيخ متذللاً متمسكاً، قبله بفرح بوجه طلق، وصلياً وجلسا صامتين مدة ساعة، ثم قال الشيخ: «يا ولدي، إن الله المحب للبشر قد تعاهدكَ ولم يمكن العدو من الاستيلاء عليك، لأنه من عادته دائمًا خداع من يسلك مسلكِ الفضيلة بوجهه تبين أنها واجبة ويسوقهم بها إلى مرض الكرياء، ويأمرهم أن يخوضوا في خوض عظيمٍ من الفضائل حتى من هذه الوجهة يهبطهم هبوطاً عظيماً، لأنه ليس عند الله شيءٌ مرذول مثل مرض الكرياء. ولا ثمة فضيلة تساوي التواضع، فتأمل الأمرين من مثل الفريسي والعشار، لأن بعض الشيوخ يقولون إن بعض الإفراطات من أعمال الشياطين، فاسلك طريقاً ملوكيةً كما يقول الكتاب، ولا تُمْلِيْعْنِي ولا يُسْرِيْ، اتبع التوسط في الأمور، وفي كلّ عشية يكونُ غداً، وإن دعت الضرورة لمرض أو عارض يعرض، فاسلك للوقت بحسب ما تقتضيه الحال، كذلك إن اقتضى الأمر حلّ الساعة المحدودة فلا تخزن، وإن اقتضى أن تتناول في يوم غير مطلق، فتناوله، لأننا لسنا تحت ناموس بل تحت نعمة. فإذا أكلت فلا تمتليء بل اقتصر سينا من الأطعمة اللذيدة، وأحب أبداً ما كان دوناً، واحفظ قلبك لأن النبي يقول: الذبيحة لله روح منسحقة، والله لا يُرذل القلب المتواضع المنكسر. وقد قال أيضاً: تواضع فخلصني الربُّ. والربُّ يقول بلسان إشعيا النبي: إلى من أنظر إلا إلى الوديع الخائف من كلامي. فألقِ يا بُني جميع اتكللك على الربُّ واسلك طريقكَ سلام وهو يفعل لكَ الخير، ويخرج عدلكَ كضوءٍ وحكمك كالظهيرة». وبعد أن دعّم الأخ بأقوالٍ كثيرة، أخلى سبيله مسروراً بالرب، وإذا كان يمضي ترئ قائلاً: «حائفوك وعارفو شهاداتك ليروعوني، وأدبأ أدبني الرب وإلى الموت لم يُسلمِني، و يؤدبني الصديق برحمه ويونجني». وقال لنفسه: «ارجعي يا نفسِي إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إليك، وبقية القول». وهكذا جاء إلى قلابته، وقضى بقية

٥٢٠ - أخ أقلته الأفكار، فذهب إلى أحد الشيوخ وسائله قائلاً: «يا أبي، ما أصعب التجارب التي لحقت ضعفي». فتنهدَّ الشيخ وقال: «يا بُنِي، لا يُدْهشُك هولُ عساكر الشياطين إذا كان الله معك، فإن الشياطين إذا أبصروا النفس صاعدةً إلى الله، يغناطون عليها دائمًا ويحسدوها. وأحياناً لا يحضرُ الله وملائكته في الحين، فلا تفتر أنت عن الاستغاثة به، بتواضع قلبٍ. ومن أصابك حادثٌ مثل هذا، فتأمل بفكِّك عِظم قوة الله المنيعة، وانظر ضعفك واطلب الله بكل قلبك تجده سريعاً». (س: ١٢١ ج)

٥٢١ - قال أحد الشيوخ: «لا تكون تحت السماء أمةً مثلَ المسيحيين إذا أكملوا ناموسهم، كما لا توجد مرتبةٌ حليلةٌ كمثل مرتبة الرهبان إذا حفظوا طقوسَهم. ولذلك فإن الشياطين لحسدهم، يحاربونهم بكلِّ أصنافِ الرذيلة، ويجعلونهم يُغمضون أعينَهم عن خطاياهم ويُوْبخون خطايا غيرهم، لكي يُبعدوا عنهم السلامة، ويلقوا فيهم الشرور. فلنسألَ ربَّ الإله أن يحرق شِبَاكَهم عنا ويخلصنا من أيديهم». (س: ١٢١ ظ)

٥٢٢ - قال شيخ: «كما أن عابرَ الطريق ضيفُ يومه، لا يدخل المترَّلَ ما لم يأمره صاحبه بذلك، هكذا العدو، إن لم يقبله الراهب، لا يقدر أن يدخل إلى عنده (Bu. I, 335). فإذا صلَّيتَ فقل: يا ربُّ أنت العارف بكلِّ الأشياءِ، أنا بحيمَة، ما عرفتُ شيئاً بعد. لكن علِّمِي كيف أبدأ، أنت قد جئتَ بي إلى هنا فعلمِي كيف أخلصُ». (س: ١٢١ ظ)

٥٢٣

الضحك والمزاح

٥٢٣ - قال يوحنا ذهبي الفم: «من أجلِّ أننا لا نتحفظ من الرلات الصغار فإننا نقع في الكبار، فمثلاً ضحكَ إنسانٌ في غير وقت الضحك، فَحَرَّ غيره إلى الضحك». (س: ١١٩ ج)

٥٢٤ — كما قال أيضًا: «ما هو الضحك؟ وما هو ضرره؟ بالضحك تبدأ مخاففه الله في أن تنقطع، ويتوارد من الضحك المزاح، ومن المزاح الأقوال القبيحة، ومن هذه تكون الأفعال المذمومة. فالعدو المخادع يسهّل علينا الزلات الصغار، ومنها يدخلنا إلى الخطايا الكبار، ومن هنها يقودنا إلى اليأس. فبهذا التدرج يدخل إلينا الأمور مستورةً، فينبغي لنا أن نطرد هواجسه من مبادئها، ولا نتهاون بالصغر حيث يكمن العدو فيها، ومنها يجرّنا إلى الكبار. وإلا فلو كان يحاربنا ظاهراً عياناً، لكان قتاله سهلاً علينا، وقهره متيسراً لدينا، لكنه يعمل لنا كميناً وفحّاً، لا نقدر على الخلاص منه سريعاً، فإن تيقظنا أفسدنا عليه كل حيله، وذلك لأن ربنا قد كسر عنا كل سلاحه، وقد حذرنا من الصغار، إذ أنه ما وقف عند حد قوله: لا تقتل، فحسب، بل قال: ولا تغضب، وانتهى إلى معنا من مخاطبة أحد لأنجيه بكلمة امتهان. وما وقف عند حد قوله: لا تزن، لكنه حذرنا من النظر إلى امرأة بشهوةٍ. وأعطي الويل للضاحكين. وبالغ في الاستقصاء في باب الصغار إلى أن قال: إن كل كلمة بطالة يقولها الإنسان، سوف يعطي عنها جواباً. فإذا عرفنا ذلك، فسيبُلنا إذن أن نحفظ أنفسنا من الخواطر، فلا نسقط سريعاً». (س٥: ١٢١ ظ)

(Bu. I, 360b)

٥٢٥ — قال شيخ: «لو نظرنا إلى خطاياانا لما نظرنا إلى خطايا غيرنا، لأنه من ذا الذي يدع ميته ويذكر على ميت غيره، وخطيئة الإنسان هي موت نفسه». (س٥: ١٢٢ ج)

٥٢٦ — وقال آخر: «إن أنت قصدت الإحسان إلى الأخيار والإساءة إلى الأشرار، فمتزئنك متزلج قاضٌ لا عابد». (س٥: ١٢٢ ج)

٥٢٧ — وقال آخر: «مَنْ فِيهِ اتْضَاعٌ، فَمَنْ شَأْنَهُ أَنْ يَوْضِعَ الشَّيَاطِينَ (أَيْ يَغْلِبُهُمْ)،

وَمَنْ لَيْسَ فِيهِ اتْضَاعٌ فَمَنْ شَأْنَ الشَّيَاطِينَ أَنْ يَوْضِعُوهُ». (س: ١٢٢ ج)

٥٢٨ — وقال أيضاً: «لَيْسَ مِنْ يَحْتَقِرُ ذَاتَهُ هُوَ الْمُتَضَعُ، وَلَكِنْ مِنْ قَبْلَ مِنْ غَيْرِهِ

ضَرُوبُ الْهُوَانِ بِفَرَحٍ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَضَعُ». (س: ١٢٢ ظ)

٥٢٩ — وقال كذلك: «لَا يَمْكُنُنَا أَنْ نَحْوَزَ رَبِّنَا دَاخِلَنَا بِدُونِ تَوَاضِعٍ وَتَعَبٍ كَثِيرٍ

وَصَلَةٍ بِغَيْرِ فَتُورٍ». (س: ١٢٢ ظ)

٥٣٠ — كان أخْ مُقاَلًا بالرُّونِي، فَسَأَلَ شِيخًا أَنْ يَتَهَلَّ فِي أَمْرِهِ لِكِيلَا يَقْهِرُهُ

الشَّيَاطِينَ، فَسَأَلَ الشِّيَخُ اللَّهُ فِي أَمْرِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَبَعْدَهَا سَأَلَ الْأَخَّ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ لَهُ: «لَمْ

يَخْفَقَ الْقَتَالُ بَعْدِهِ». فَعَجَّبَ الشِّيَخُ لِذَلِكَ، وَإِذَا بِالشَّيَاطِينَ قَدْ ظَهَرَ لَهُ قَائِلًا: «أَمَا أَنَا،

فَمِنْذِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ فِي ابْتِهالِكَ إِلَى اللَّهِ بِشَأْنِهِ، انْصَرَفْتُ عَنْهُ. إِنَّمَا هُوَ يَقْاتِلُ ذَاتَهُ وَحْدَهُ، لِأَنَّهُ

يَأْكُلُ وَيَشْرُبُ وَيَنْامُ كَثِيرًا». (س: ١٢٢ ظ) (Bu. I, 575)

٥٣١ — قال الآباء: «حِيثُ يَكُونُ شَرْبُ النَّبِيذِ أَوُ النَّظَرُ إِلَى الصَّبِيَانِ فَلَا حَاجَةُ هُنَاكَ

إِلَى شَيْطَانٍ». (س: ١٢٢ ظ)

٥٣٢ — وقف الشَّيَاطِينُ بِرَجْلِ قَدِيسٍ سَاعَةً وَفَاتَهُ وَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ انْفَلَتَ مِنِّي».

فَأَجَابَهُ: «لَسْتُ أَعْلَمُ». إِلَى هَذَا الْمَقْدَارِ كَانَ احْتِرَاسُ الآباءِ مِنَ الْأَفْخَارِ فِي شَيْءٍ. (س: ٥:

١٢٢ ظ)

٥٣٣ — قال الآباء: «الْمَنَاظِرَةُ فِي الْآرَاءِ، وَالْقِرَاءَةُ فِي الْعَقَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْكَلَامُ فِي

الْإِيمَانِ، مِنْ شَأْنِ هَذِهِ أَنْ تَطَرَّدَ مِنَ الْإِنْسَانِ خَشْوَعَهُ، أَمَّا أَفْوَالُ الْآباءِ وَأَخْبَارُ الْقَدِيسِينَ

فَمِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَنْيِرَ النَّفْسَ وَتَلَيِّنَهَا». (س: ١٢٢ ظ)

٥٣٤ - حدث أن شيخاً مغبوطاً أخذ عوداً صغيراً وخيطاً صغيراً وقال: «من الذي يغتم على فقد هذه الأشياء الحقيقة ويحقد بسببها إن كان عاقلاً، لعمرى، إن من استبصر في قدر هذا العالم الزائل كله فلن يعتبره سوى اعتباره لهذه الأشياء الحقيقة، ومع هذا أقول إنه لن يضرُّ الإنسان أن يكون له إشراق على شيء ويأسف على فقده فقط، بل وعلى جسمه الذي هو أكرم من كل ما يمتلكه عنده، لأننا قد أمرنا أن نتهاون بأنفسنا وأجسادنا، فكم يجب علينا على أكثر الحالات أن نتهاون بما هو خارج عننا».

(س: ١٢٢ ظ)

٥٣٥ - قال شيخ: «سيلنا أن نعلم أنه لا يوجد أصدق من يذمُّنا ويذكر أعمالنا، وينبغي لنا أن نراعي مذلتنا، لأن الذين يُرَاعون مذلتهم ويتحققونها يطهرون إبليس المحتال، وقد قال الآباء: لو أحذر التواضع إلى الجحيم، لصعد إلى السماء، ولو رفعت الكيرباء إلى السماء هبطت إلى أسفل الأرض». (س: ١٢٣ ج) (Bu. I, 534)

٥٣٦ - قال قديس: «مني أحزنك أحدٌ في شيء، فلا تنطق البتة إلى أن تُسكن قلبك بالصلوة، ثم بعد ذلك استعطفه». (س: ١٢٣ ج)

٥٣٧ - وقال أيضاً: «من لا يضرُّ ذاته فلا يضرُّ إنسان». (س: ١٢٣ ج)

٥٣٨ - كذلك قال: «إن الفضيلة تريد منا أن نريدها لا غير». (س: ١٢٣ ج)
(Vie Ant. 20)

٥٣٩ - كما قال أيضاً: إذا أحزن إنسان، فاضطرُّب ولم يتكلَّم، فهو مبتدئٌ في الفضيلة، وليس من الكاملين بعد، أما الكامل فهو ذاك الذي لا يضطرُّب أصلاً، كالنبي القائل: «استعدِّيتُ ولم أضطرُّب». فيا ليتنا تكون من المبتدئين، لنستمدُّ من الله المعونة، إن الصلاة بتتكلُّفٍ من شأنها أن تولُّ صلاة نقية براحة، فتكون الأولى بتتكلُّف النية،

٥٤٠ - قال شيخ: «إن خاتم المسيح الظاهر هو الصليب، وحاته الباطن هو الاتضاع، فهذا مثل صليبه، وذاك مثل خلقه». (س: ٥١٢٣ ج)

٥٤١ - قيل: إن ثلاثةٌ من الإخوة زاروا شيخاً، فقال له الأول: «يا معلمُ، لقد كتبتُ بنفسِي العقيقة والحدِيثة، (أي العهدين القديم والجديد)»، فأجابه الشَّيخُ: «لقد ملأتَ طاقاتَ قلابِيكَ ورقَاً». فقال له الثاني: «إني قد حفظتُ العقيقة والحدِيثة في صدري»، فقال له الشَّيخُ: «لقد ملأتَ الهواءَ كلاماً». أما الثالث فقال له: «لقد نبت الحشيشُ وملاً موقدِي». فقال له الشَّيخُ: «لقد طردتَ عنكَ محبةَ الغرباءِ». (س: ٥١٢٣ ج) (Bu. II, 249)

٥٤٢ - أتى شيخٌ إلى قلابِيهِ، فوجد لصاً يسرقها، فقال له: «أسرع قبل أن يأتي الإخوةُ فيمنعونا من تكميلِ الوصيةِ». (س: ٥١٢٣ ظ) (Bu. I, 190)

٥٤٣ - سُئلَ شيخٌ^(٧١): «ما هي أعظمُ الفضائل؟»؟ فقال: «إذا كانت الكرياءُ أشرفُ الخطايا حتى أنها أهبطت طائفةً من السماءِ إلى الأرضِ، فمن البديهي أن يكون الاتضاع الحقيقي المقابل لها أعظمُ الفضائلِ، إذ هو يرفعُ الإنسانَ من الأعماقِ إلى السماءِ، وقد غَبَطَهُ اللَّهُ قائلًا: مغبوطون أولئك المساكين بالروح، أي المتضعون بقلوْبِهم، فإن لهم ملوكَ السماوات». (س: ٥١٢٣ ظ) (An. 558)

٥٤٤ - وقال شيخ: «كما أن الميت لا يتكلُّمُ البتة، كذلك المتضع لا يزدرى أحداً، حتى ولو رأه للأصنامِ ساجداً». (س: ٥١٢٣ ظ)

^{٧١} هو القديس لونгинوس حسب النص اليوناني.

٤٥ — وقال أيضاً: «لا يوجد شيء أصعب من العادة الرديئة، إذ يحتاج صاحبها في سبيل قطعها إلى زمان وتعب كثير، أما التعب فهو في متناول الكثيرين، ولكن الزمان الذي يحتاج إليه فما أقل من قضاه حتى النهاية، لأن أكثر أصحابها اختطفهم الموتُ قبل تمام زمان قطعها، والله وحده هو الذي يعلم كيف يدينهم». (س: ١٢٣ ظ)
(Dor. Discourses 12, An. 563)

٤٦ — كما قال أيضاً: «من لا يستطيع أن يغضن المقتنيات، فلن يقدر أن يغضن نفسه حسب الوصية المسيحية». (س: ١٢٣ ظ)

٤٧ — زار آخر شيخاً وسأله قائلاً: «كيف حالك؟ فأجابه الشيخ قائلاً: «أسوء الأحوال». فقال له الأخ: «لِمَ ذلك؟» فأجابه الشيخ قائلاً: لأن لي ثلاثين سنة وصلاتي خالطاً على لا لي. لأنني أقف قدام الله وأعن ذاني وأقول ما لا أشتتهي أن يخرج من فمي. إذ أقول: «ملائين الذين حادوا عن وصاياتك»، وأحيد عن الوصايا. وأفعل الآثام وأقول: «لا تتراءف على فاعلي الإثم». وأكذب كل يوم وأقول لله: «إنك تهلك كل من يتكلم بالكذب». وأحدد وأقول: «اغفر لنا خطایانا، كما نغفر لمن أخطأ إلينا». وأنحط وأقول: «عندما يزهر الخطأ ويعلو جميع عاملی الإثم، فهناك يستأصلون إلى الأبد». وأ THEM وأقول: «أبغضت جميع عاملی الإثم». وهي كله في المأكل وأقول بين يدي الله: «نسيت أكل خبزی». وأنام إلى الصباح وأقول: «في نصف الليل كنت أنهض لأسبحك». وليس لي خشوع ولا دموع وأقول: «تعبت في تنھدي، وصارت دموعي خبزاً لي نهاراً وليلاً، وبدموعي أبل فراشي». وأفكّر فكراً خبيثاً وأقول لله: «إن ما يتلوه قلبي هو لديك كل حين». وليس لي صيام وأقول: «ركبتي ضعفتا من الصوم». ونفسی متکبره وجسدي مستريح وأقول لله: «انظر تواضعی وتعی واغفر لي جميع خطایاي». ولا استعداد لي وأقول: «مستعد قلبي يا إلهي». فقال الأخ: «يا معلم، على ما يلوح لي، إن النبي قال

ذلك عن نفسه». فتنهَّد الشِّيخُ وقال: «صدقني يا ابني إن لم نعمل نحن بما نصلِّي به قدَّام الله، فإن صلائنا تكون علينا لا لنا». (س: ٥١٢٣ ظ) (PE IV 13,13)

٥٤٨ — قال شِيخٌ: «إذا كان لا يعرِفُ ما في الإنسانِ إلا روحُه»، كقول الرَّسُولِ، وإذا كُنَا نعلمُ أنَّ كثيرين تابُوا ولم نعلم بتوبيتهم، وإذا قد يتفقُ أنْ يتوبَ إنسانٌ في آخرِ حِيَاتِهِ وَيُقْبَلُ كَاللَّصِّ، فسيَبِلَّنا إِذنُ، أنَّ لَا نَدِينَ أَحَدًا، فالدِّيَانُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ فَكِيفَ يَجْسِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَدَخُّلَ فِيمَا يَخْصُ اللَّهُ؟». (س: ٥١٢٤ ج)

٥٤٩ — أتى لصوصٌ إلى قلايةٍ في وقت الصلاةِ، فقال القسيس للإخوةِ: «اتركوهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلَهُمْ، وَنَحْنُ نَعْمَلُ عَمَلَنَا». (س: ٥١٢٤ ج) (Bu. I, 191)

٥٥٠ — قال أخٌ لشِيخٍ: «لِمَذَا لَا أُسْتَطِعُ مُسَاكِنَةَ الْإِخْرَوَةِ؟»؟ فقال: «لأنَّكَ لَا تَتَّقِيَ اللَّهَ، فلو تذَكَّرْتَ المكتوبَ: إِنْ لَوْطًا تَخْلُصُ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ سَدْوَمْ، لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدِينَ أَحَدًا مِنْهُمْ، فلو تذَكَّرْتَ ذَلِكَ، لَاسْتَطَعْتَ الإِقَامَةَ أَيْمَانًا شَتَّى، حَتَّى وَلَوْ بَيْنَ الْوَحْوَشِ». (س: ٥١٢٤ ج) (Guy, 9, p.411)

٥٥١ — وقال شِيخٌ: «مَنْ يَحْقِدُ عَلَى أَخِيهِ، فَقَدْ حَزَّنَ ذَنْبَهُ فِي ذَاهِهِ، وَخَتَّمَ عَلَيْهَا». (س: ٥١٢٤ ظ)

٥٥٢ — وقال أيضًا: «كَمَا أَنَّ الذَّئْبَ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ النَّعْجَةِ لِإِنْتَاجِ ولِدٍ، كَذَلِكَ شَبَّعَ الْبَطْنَ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ تَوْجِعِ الْقَلْبِ لِإِنْتَاجِ فَضْلِيلَةٍ». (س: ٥١٢٤ ظ)

٥٥٣ — وقال كذلك: «كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ لَا تُبْتَ وَحْدَهَا مِنْ غَيْرِ بِذَارٍ وَفَلَاحَةٍ وَمَطْرِ سَمَائِيٍّ، وَحِرَاسَةٌ مَا يَمْكُنُ حِرَاستَهُ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْطَّيْورِ، وَسَلَامَةٌ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَقْدِرُ إِلَيْهَا عَلَى دَفْعَهِ، كَالْدُودُ وَالْجَرَادُ وَرِيحُ السَّمُومِ، فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ لَا تُبْتَ بِغَيْرِ تَلْكَ الأَمْوَارِ، فَكَمْ بِالْحَرَقِ النَّفْسُ، فَإِنَّمَا لَا تُثْمِرُ الْفَضَائِلَ بِدُونِ تَعْلِيمٍ وَتَعْبِ كَثِيرٍ وَمَعْوِنَةٍ إِلهِيَّةٍ

واحتراسٍ من الأعداء بقدر استطاعةِ الإنسان، ثم تصرُّع إلى الله في طلب تعصيدهِ إزاءِ ما تعجز قدرته عنده». (س: ٥، ١٢٤) (Dor. Discourses 12)

٥٥٤ - سأَلَ أَخْ قَدِيساً عَالَمًا بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الرَّاهِبُ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «عَلَى مَا أَعْرَفُ أَنَا، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ وَحْدَةُ السُّكُنِ مَلَازِمَةً لِوَحْدَةِ الذَّاتِ». فَقَالَ الْأَخُ: «إِذَا انْفَرَدْتُ أَخَافُ». فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «ذَلِكَ لِأَنَّكَ حَيٌّ بَعْدِ». (س: ٥، ١٢٤) (Bu. II, ٥٢٤) (189,309)

٥٥٥ - قَالَ شَيْخٌ^(٧٢): «كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَسْقُطُ أَبْدًا لِكُوْنَهَا مَوْضِيَّةً هَكُذا إِلَى أَسْفَلِ، كَذَلِكَ مَنْ وَضَعَ ذَائِهِ لَا يَسْقُطُ أَصْلًا». (س: ٥، ١٢٤) (Bu. I, ٥٢٥)

٥٥٦ - كَمَا قَالَ: «لَا تَصَادِقُ رَئِيسًا وَلَا صَبِيًّا، وَلَا تَخَاطِبُ امْرَأً، وَلَا تَبْغِضُ إِنْسَانًا». (س: ٥، ١٢٤) (ظ)

٥٥٧ - كَذَلِكَ قَالَ: «سَبَّلَنَا أَنْ نَتَطَهَّرَ بِالدَّمْوَعِ مَا دَمَنَا فِي هَذَا الْعَالَمِ، قَبْلَ أَنْ غُصِّيَ إِلَى حَيْثُ تَحْرُقَ دَمْوَعُنَا أَجْسَادَنَا». (س: ٥، ١٢٤) (ظ)

٥٥٨ - سَكَنَ شَيْخٌ مَعَ إِخْوَةٍ، وَاعْتَادَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ عَنِ الشُّغْلِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا لَمْ يَفْعُلُوهُ، قَامَ هُوَ وَعَمْلَهُ بَدْوَنِ غِيَظٍ. (س: ٥، ١٢٤) (Bu. I, ٤٨٠)

٥٥٩ - كَانَ أَخٌ مُسْرِعًا فِي الذهابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا سَأَلَ شَيْخًا مُشَورَةً صَالِحةً، قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «لَا تَسْرَعِ فِي الذهابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَكِنْ اهْرُبْ مِنَ الْمَدِينَةِ بِسُرْعَةٍ». (س: ٥، ١٢٤) (ظ)

٥٦٠ - شَكَا أَخٌ إِلَى شَيْخٍ مِنْ قَتَالِ الزَّنِيِّ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «أَتَرِيدُ أَنْ تَتَخلَّصَ

^{٧٢} يبدأ هذا القول في النص السرياني هكذا: اعتاد الأب يمين أن يقول.

وأنت نائم؟ اذهب واتعب واجتهد، اطلب تجد، اسهر وتضرع يُعطَ، اقرع يُفتح لك.
فكم من الناس يتجلدون في التعب والجهد وقد يتحملون العذاب من أجل ريح
جسماني، فثبت أنت إذن وبخلٍ من أجل الله، والله يتصر لك». (س: ١٢٥ ج)

٥٦١ — قال أخ لشيخ: «إن أفكارِي لا تتركني أستريح، ولذلك تجد نفسِي
معهومة». فقال له الشيخ: «إذا زرع الشياطين فيك الأفكار، فلا تتحدث معهم، فمن
شأنِهم أن يطروا زرَّعَهم دائمًا، ولكنهم لا يُلزمون أحداً بقبولِه اضطراراً، فلك أن تقبله
أو لا تقبله. ألا ترى ما عمله أهل مديان، كيف أهْمَ زَيَّنُوا بناهم وأظهروهن، ولكنهم لم
يلزمو أحداً بالزنى معهن، فكان من الإسرائييليين من أراد مخالطتهم، ومنهم من لم يريدوا
فلم يدنوا منهن، كذلك من اغتاظ منها فشرع في قتلها. وهكذا تكون حال الرهبان مع
الأفكار التي هجسها الشياطين إليهم». فأجاب الأخ وقال: «كيف أعمل يا أبي لأني
ضعيف والوجع غالبٌ عليٌ وليس لي قدرة على مقاومة الأفكار». فقال له الشيخ: «إذا
ألقوا فيك الأفكار فلا تباوهُم، بل اهرب إلى الله بالصلوة والسجود، وقل يا الله ارحمني
واصرف عني هذه الأفكار بقوتك العظيمة، فإني ضعيفٌ عن مقاومتها». فقال له الأخ:
«إني إذا وقفت لأصلي، لا أحس بخشوع لعدم معرفتي بمعنى الكلام وقوته». فقال له
الشيخ: «لقد سمعت أنبياء موسى وجماعة من الآباء يقولون هذا القول هكذا: إن الراقي (أو
الساحر) لا يعرف قوة الكلام الذي يُعزِّم به، لكن الحياة تحس بقوة القول فتخرج، كذلك
نحن أيضاً، إن كنا لا نعرف ما نقوله، ولكن الشياطين تعرف قولنا وتنصرف عنا». (س: ٥
An. 184 ج) ١٢٥

٥٦٢ — قال شيخ: «طوبى لمن أبغضَ الإثم وأحبَ البر، وحاف عقابَ الجحيم
وآخرَ ثوابَ الملائكة، وقاوم إرادةَ الشياطين، وأطاعَ إرادةَ الله، وصلى بلا فتورٍ، بلا
طباشة». (س: ٥ An. 125 ج)

٥٦٣ - سُئل شيخُ: «ما هي الطريقةُ الصعبَةُ الضاغطةُ؟»؟ فقال: «هي أن تضبطَ

أفكارك وإرادتك لأجلِ الربِّ، وألا تتعلق بشيءٍ مما لهذا العالم». (س: ٥ ظ)

٥٦٤ - سُئل شيخُ: «ما معنى المكتوب: وتبصر بني بنيك؟»؟ فقال: «إن ثمرة

أتعاب القديسين هي بنو بنיהם». (س: ٥ ظ)

٥٦٥ - قال شيخُ: «إن العلماءَ الأشحاءَ المتكبرينَ يُشبهونَ ينبوعاً فيه ثعابينَ لا

يقدر أحدٌ أن يشربَ منه، فمن لا ينطقُ فعله بالأكثرِ لا يُقبلُ كلامُه. من أجل ذلك طلبَ

داود الطرباوي من الله قائلاً، أعطني صلاحاً وأدباً ومعرفةً لأن الصلاحَ بغير معرفةٍ

باطلٌ، كذلك المعلم بلا صلاحٍ فهو معلمٌ باطلٌ». (س: ٥ ظ)

٥٦٦ - قال يوحنا فم الذهب: «إتنا إذا أخطأنا فإن الله قد ينهض علينا أعداءنا

ليؤذبونا. وعلى ذلك فلا ينبغي لنا أن نحاربهم، بل يجب أن نحاسب نفوسنا ونتقفّها،

ولكونه أطلقهم علينا لأجلِ خطايانا، فمعنى حاربناهم أصرُوا هم على مضائقتنا، وهذا

أمرناً ألا نكافئ أعداءنا. فلنقبل إذن الامتحانات كقبولِ الأدويةِ من الحكيم لنخلصُ،

وكقبولِ التأديبِ من الأب لنتشرف. ولذلك قال الحكيم ابن سيراخ: أيها الولد، إن

تقدمتَ لخدمةِ ربِّك، فتأهبْ للتجاربِ، واصطبرْ». (س: ٥ ظ) (Dor. Discourses 13)

٥٦٧ - قيل: إن شيخاً راهباً تجدهم، فأحضر له أحدُ المسيحيين مالاً وقال له:

«أنفقْ هذا المال على نفسِك في حالِ كبرِك ومرضِك». فأجابه الشيفُ وقال له: «أتريد

أن تُفقدني في ساعةٍ واحدةٍ ما قد تعبتُ في اقتتاله منذ بدءِ حياتي حتى هذه الساعةِ؟

وهكذا لم يقبل منه شيئاً. (س: ٥ ظ)

٥٦٨ - أحاط إخوةُ بشيخٍ عند وفاته، ففتح عينيه وضحكَ ثلاث مراتٍ، المرة بعد

الأخرى. فقالوا له: «لماذا تضحك يا أبانا ونحن نبكي؟»؟ فقال لهم: «أما ضحكتي الأولى،

فهو لأني رأيُتكم تختلفون الموت، والثاني فهو لأنكم رغم حرفكم منه فإنكم لا تستعدون له، أما ضحكي الثالث فهو لأني ماضٍ من التعب إلى الراحة». وهكذا تَبَعَ فانتفع الإخوة منه. (س: ٥١٢٦ ج) (Chaîne 93, An. 279)

٥٦٩ - وقال شيخ: «لا تَدْعُ لسائلك يخلو من التسيّع، فإن تصرفت (هكذا) في تدبير قلائقك، فإن الأفكار السوء تقطع عنك، ولا يجد العدو سبيلاً لما يخطّره ببالك، فيبعد عنك». (س: ٥١٢٦ ج)

٥٧٠ - وقال راهب: «إن الذي يجلس في طاعة أب روحاني هو أكثر أجرًا وأقل خطراً من ذاك الذي يجلس منفرداً في الوحيدة والسكوت (Abc. Rufus 2a). الطريق المخلصة هي: أن يرجع الراهب باللائمة على نفسه. الصمت في جميع الأمور هو الغربة، والغربة بالحقيقة هي الصمت. والذي يريد الخلاص فليتحمل الظلم ويصبر على الإهانة والخسارة الجسدانية». (س: ٥١٢٦ ج)

٥٧١ - وقال شيخ: «ليس شيءٌ من الخطايا يستمر وجوده بالفعل في الإنسان سوى الحقد، فإن القاتل مثلاً يكون زمانه مباشرته بالفعل لخطيبته أقل بكثير من زمان تركه لها، وكذلك الزاني والسارق وغيرهم. أما الذي يحقد، فإنه إن كان حالساً أو راقداً أو واقفاً أو ماشياً أو متكلماً أو ساكتاً أو صائماً أو أكلآ أو في سائر حالاته وأوقاته، فالحقد لا يزال ملازمًا لقلبه. فمثل هذا الإنسان، صلاة باطلة لأنه يطلب العفوان وهو لا يغفر. فتعبه كله ضائع حتى ولو سفك دمه كالشهداء، لأن الرسول قد قال إن هذه كلها لا تفيده شيئاً مع عدم الحب، ولا حبًّا مع الحقد». (س: ٥١٢٦ ج)

٥٧٢ - قال أبا الوجيوس لتلميذه: «يا بُنِي عُود نفسك إضعاف بطنك بالصوم شيئاً فشيئاً، لأن بطئ الإنسان إنما يشبه زقاً فارغاً، فبقدر ما ثُمِرْتَه وتملأه تزداد سعّته».

كذلك الأحساء التي تُحشى بالأطعمة الكثيرة، إن أنت جعلت فيها قليلاً ضاقت وصارت لا تطلب منك إلا القليل، وإن عودته بالكثير اتسع وطلب منك الكثير». (س:٤:٩٦) (Arm. I, 580)

٥٧٣ - قال شيخ: إن كل صغير يطرح كلمته في وسط شيوخ أكبر منه، فهو يشبه إنساناً يطرح ناراً في حجر أخيه». (س:٤:٩٧) (ج:٩٧)

٥٧٤ - قال بعض الشيوخ: «أدبو الأحداث يا إخوة قبل أن يؤدبواكم». (س:٤:٩٨) (ج:٩٨)

٥٧٥ - وقال أيضاً: «إن فخ الشيطان بالنسبة للرهبان هم الصبيان أكثر من النساء».

٥٧٦ - سأله شيخاً: «كيف يقتني الإنسان البكاء؟» فقال: «يقتني الإنسان البكاء إذا كان عقله يذكر دائماً خططياته وموته ودينته». (س:٥:١٢٦) (ظ:١٢٦)

٥٧٧ - قال شيخ: «مكتوب إن من أجاب عما لا يسأل عنه فهو جاهل، فإن لم يسألوا فلا تحيوا». (س:٥:١٢٦) (ظ:١٢٦)

٥٧٨ - وقال أيضاً: «كل من يسكن في موضع ولا يعمل فيه ثمرة صالحة، فالوضع نفسه يطرده». (س:٥:١٢٦) (ظ:١٢٦) (An. 247)

٥٧٩ - كما قال أيضاً: «ليس كل فكر يأتينا يحسب خطيئة ما لم نقبله ونعمل به، والأفكار منها ما هو لخلاص الإنسان، ومنها ما هو هلاكه». (س:٥:١٢٦) (ظ:١٢٦)

٥٨٠ - سُئل شيخ: «كيف ينبغي للمتوحد أن يسكن في قلابته؟» فقال الشيخ: «ليكن له عدم اهتمام بذكر إنسان أصلًا، ويحفظ عقله من الطياشة، كما يذكر الله دائمًا». (س:٥:١٢٦) (ظ:١٢٦) (Guy, 1,2, p.417)

- ٥٨١ - قال شيخ: «ينبغي للراهب أن يشتري السكوت لنفسه بما عزّ وهان، ولو أدى ذلك إلى إصابته بخسارة جسدانية». (س٤: ٩٧ ج) (An. 133)
- ٥٨٢ - قال أنسا مرقض: «كلُّ ما تقوله خلفَ أخيك ولا تقدر أن تذكره قدامه، فهو ثمينةٌ وسعيةٌ. كما أن كلَّ اهتمامٍ لا يُفضي إلى صلاح العبادة، فهو اهتمامٌ عالمي». (س٥: ١٢٦ ظ)

٥٩٥

القديس بفنتيوس

- ٥٨٣ - قال أخ: قلتُ لأنبا بفنتيوس تلميذ الأب مقاريوس الكبير: «قل لي يا أبي كلمةً أحيا بها». فقال لي: «احفظ القناة التي تجري إلى مزرعتك». فقلتُ له: «ما معنى هذا»؟ قال: «القناة هي فمك، فإن لم تحفظه فلن تثمر نفسك». فقلتُ: «كيف أحفظه»؟ قال: «إذا لم تسكن مع فلاجٍ فمن أين لك أن تعرف ما تشتمل عليه الفلاحة من حرثٍ وبذرٍ وحفظٍ وسقيٍ وحصادٍ وغيرها»؟ قلتُ أيضاً: «وما معنى هذا»؟ قال: «إذا لم تسكن مع شيخٍ مجرِّبٍ كي يعلمك الرهبنة، فمن أين تتعلمها؟ فلو انتقلت من مكانٍ إلى مكانٍ، أو انفردتَ وحدك، أو صرتَ أباً قبل أن تستأهل لذلك من قبل الله، فإنك تقيم كلَّ زمانٍك وأنت لا تعرف كيف تحصد ثمر الفضيلة، بل تُضيئ الزرع الذي هو تعليم طريق الله. فيجب عليك أن تسكن مع شيخٍ حتى تناول منه البركة الأخيرة، مثل أليشع الذي ثبتَ مع إيليا حتى رُفع إلى السماء، فلما باركه تضاعفت عليه روحه، ومثل تلميذي أنطونيوس اللذين سكنا مع الشيف حتى طرح الجسد، وباركهما البركة الأخيرة.

فحل عليهما روحُ الله وصارا راعين صالحين، ومثل يوحنـا الذي سـكن مع أموي^(٧٣) أـبيـ حتى فـارق جـسـدـهـ، فـسلـمـهـ للـشـيوـخـ قـائـلاـ: هـذـا مـلـاـكـ وـلـيـسـ بـإـنـسانـ، وـكـمـثـلـ يـوـحـنـا تـلمـيـدـ أـبـاـ بـلـاـ الـذـيـ أـطـاعـ أـبـاهـ فـأـحـضـرـ الضـبـعـةـ مـرـبـوـطـةـ، وـمـثـلـ تـلمـيـدـ آخـرـ لـشـيـخـ حـيـثـ كـانـ يـمـشـيـ معـ مـتـوـحـدـ حـتـىـ وـصـلـاـ إـلـىـ شـاطـئـ نـهـرـ فـيـ تـمـاسـيـخـ، فـعـبـرـ التـلـمـيـدـ المـطـيـعـ بـيـنـهـاـ وـماـ اـسـتـطـاعـ المـتـوـحـدـ العـورـ، حـتـىـ أـنـ الشـيـخـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ قـالـواـ: إـنـ التـلـمـيـدـ المـطـيـعـ بـطـاعـتـهـ صـارـ أـعـلـىـ مـنـ المـتـوـحـدـ (Bu. I, 242). وـمـثـلـ تـلمـيـدـ آخـرـ كـانـ طـائـعاـ لـمـقـارـيـوسـ، هـذـا كـانـ قـدـ أـرـسـلـهـ أـبـوهـ إـلـىـ مـصـرـ، لـمـ وـقـعـ فـيـ تـجـربـةـ صـرـخـ بـصـوـتـ عـظـيمـ قـائـلاـ: يـاـ إـلـهـ أـبـيـ خـلـصـيـ، فـمـنـ سـاعـتـهـ وـجـدـ نـفـسـهـ يـمـشـيـ فـيـ طـرـيقـ الإـسـقـيـطـ. وـقـدـ كـتـبـ: اـبـذـرـ وـقـتـ الصـبـاحـ وـلـاـ تـبـطـلـ زـرـعـكـ إـلـىـ وـقـتـ المـسـاءـ، وـمـعـنـاهـ: الصـلـاحـ الـذـيـ بـدـأـتـ بـهـ دـاـوـمـ عـلـيـهـ إـلـىـ وـقـتـ وـفـاتـكـ.

وانظر إلى الذين تركوا آباءهم مـاـذاـ أـصـابـهـمـ، فـعـيـسـوـ لـمـ تـرـكـ والـدـهـ وـاـخـتـلـطـ بـالـأـمـمـ المـرـذـولـةـ رـذـلـهـ اللـهـ، وـجـيـحـزـيـ لـمـ يـطـعـ أـلـيـشـ أـصـابـهـ الـبـرـصـ، وـالتـلـامـيـدـ الـذـينـ رـجـعـواـ إـلـىـ خـلـفـ وـتـرـكـواـ صـحـبـةـ السـيـدـ أـهـلـكـواـ ذـوـاتـهـمـ، وـيـوـحـنـاـ تـلـمـيـدـ الـأـبـ مـقـارـيـوسـ لـمـ يـطـعـ أـبـاهـ بـتـحـذـمـ (Pal. 17, 3-4). فـهـاـ أـنـاـ قـدـ أـخـبـرـتـكـ بـطـرـيقـ الـحـيـاةـ وـالـمـوـتـ، فـإـنـ دـخـلـتـ مـنـ الـبـابـ الـضـيقـ الـذـيـ هـوـ طـاعـتـكـ لـأـبـيكـ أـوـصـلـكـ ذـلـكـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـأـبـديـةـ، وـإـنـ مـشـيـتـ فـيـ الـطـرـيقـ الـوـاسـعـةـ الـتـيـ هـيـ أـهـوـيـةـ قـلـبـكـ أـدـتـ بـكـ إـلـىـ الـهـلاـكـ». (سـ٥ـ: ١٢٦ـظـ)

٥٨٤ - فـقـلـتـ لـهـ: «يـاـ أـبـتـاهـ، لـقـدـ أـتـيـ بـعـضـ الـإـخـوـةـ إـلـىـ أـبـيـ، وـلـسـتـ قـادـرـاـ عـلـىـ السـكـنـيـ مـعـهـمـ». فـقـالـ لـيـ: «لـوـ كـانـ فـيـكـ اـتـضـاعـ، لـاـسـتـطـعـتـ السـكـنـيـ مـعـ الـوـحـوشـ، فـكـمـ بـالـحـرـيـ مـعـ الـإـخـوـةـ؟ وـاسـعـ قـوـلـ دـاـوـدـ الـنـيـ: مـاـ أـحـسـنـ وـأـجـلـ الـإـخـوـةـ إـذـاـ سـكـنـواـ مـعـاـ».

^{٧٣} هـكـذـاـ تـأـيـ حـسـبـ النـصـ الـيـونـانـيـ: أـمـويـ (انـظـرـ قـوـلـ رـقـمـ ٤٨١) أـمـاـ فـيـ الـبـسـتـانـ الـمـطـبـوعـ عـامـ ١٩٥١ فـنـأـيـ أـبـاـ عمـوـيـهـ.

٥٨٥ — فقلتُ له: «إني أشاءُ أن أصيرَ شهيداً». فقال لي: «إن خالفتَ أباكَ فسوف تتعب ولن تصيرَ شهيداً، فقد حدثَ أَنْ شيخاً قال ل聆ميذه في زمانِ الاضطهاد: يا بُني، إن كان لك اشتياقٌ أن تصيرَ شهيداً، فاذهب. أما الآخر فمع اشتياقه إلى ذلك، إلا أنه لم يُطع هواه، ولم يمضِ، بل قال: لو صرتُ فوق رتبة الشهداء، فبِرْكَتُكَ لي كلَّ يومٍ هي أفضلي يا أبي. فلما رأى الله إيمانه في أبيه خاطبه بالصوتِ قائلاً: لأنك أطعتَ أباكَ، ها أنا أعطيك إكليلَ الشهداءِ، جاعلاً رتبتك في مصافِ جماعةِ القديسين. أما الذين تركوا آباءَهم في الربِّ قائلين: إننا نتوحد ونصوم ونحرب من الناسِ، فانخدعوا بذلك للشيطان، ولم يصنعوا لا وحدةً ولا صوماً ولا هرباً من الناسِ، بل تنقلوا بين الأديرة والمدن والقرى، وزخرفوا ملابسهم، وفرح بهم الشيطانُ وهزأُ بهم لأنهم قبلوا خداعه». (س٥: ١٢٧)

٥٨٦ — فقلتُ له: «لقد ربحتُ منك كثيراً يا أبي وأريدُ أن أسكنَ معك بقية حياتي». فقال لي: «أحِيْ أبوك بعد؟»؟ قلتُ: «نعم». فقال لي: «هذا عدم أدب، لأنَّ من كان لا أب له فإني أقبله، أما أنت فلا، لئلا تصبح وقد أفسدتَ بنوَّتك، وأكون أنا قد بليلتُ قانونَ الرهبنةِ، فآباؤنا كانوا يحفظون ضميرَ بعضِهم بعضاً، وبغير طاعةِ لم ينصح أحدُ». (س٥: ١٢٨)

٥٨٧ — فقلت: «يا أبي ماذا أصنعُ حتى أكملَ الطاعة؟»؟ قال: «اسمع، سمعتُ عن رجلين، أُعطي لكتلِيهما سبعة فدادين قمح ليحصدُها في يومٍ واحدٍ، فلما نظر أحدُهما الفدادين قال: منِّ الناسِ يقدرُ أن يحصدَ هذه كلها في يومٍ واحدٍ؟ وإذ قال ذلك مضى ولم يحصد شيئاً. أما الآخر فقال: علىَّ أن أعملَ بكلِّ قوتي ولا أوقف الحصاد. فمنِّ الناسِ أرضى سيدَه؟»؟ قلتُ: «الذِي عملَ بكلِّ قوته طبعاً». قال لي: «إذن امضِ أنت

واعمل بكل قوتك، وأنا أؤمن أنك تُحسب مع الذين أكملوا الطاعة في الملائكة». ثم قال: «إن الخروف الثابت في الحظيرة محروس، أما الذي يترك حظيرته ويذهب إلى قطيع آخر فإنه يبقى وحشياً، ولن يسلم من ذئب أو لص، هكذا الراهب الذي يترك ديره، إذ يشبه أيضاً حماراً وكل من يجده يركبه، حتى إذا عُقر لن يوجد له صاحب ثابت يعني به فيهلك من الجوع والتعب والجرح. هكذا تكون حال الراهب إذا ترك ديره وأباه وإخوته، وسكن عند آخرين، فإنهم يرسلونه إلى هنا وإلى هناك حتى يسقط في الزنى ويهلك ولا يجد من ينهاه. فمن ذا يترك العناية بأولاده ويهم بأولاد غيره؟» ثم قال: «إن أبي قال لي: إن المفترقين يتبعدون كل واحد بحسب هواه وإرادته، وأما الذي يطبع أباه من أجل المسيح فهو أفضل، إذ قطع مشيّته لله». (س: ٥١٢٨ ج)

٥٨٨ — فقلت له: «يا أبي، إن النجاسات التي يبذّرها الشيطان في، سواء أكملتها أم لم أكملها، فإن العدو لا يتركني أخبر أبي بها بسبب الاستحياء». فقال لي: «لا تُطبع عدوك بل أخبر أباك بجميعها حتى بأحلام الليل، ولا تُخف عنـه شيئاً من أفكارك إن كنت مطيناً له في كل شيء من أجل الله مؤمناً أنه يُحاسب عنك لطاعتـك له، وأما ما تخفيه عنه فسوف تُحاسبـ أنت عنه كله». فقلت له: «هل لي أن أعرف شيخاً آخر يطيبـ به قلبي بنجاستـي»؟ قال: «إذا توفـي أبوك وعيـن آخر ليصيرـ بعده أباً للإخوة، فاتبعـه لأن روحـ أبيك قد تضاعـفـ عليه مثلـ أليسـعـ بعد مفارقةـ إيلـياـ، ويشـوـعـ بعد موسـىـ. فقدـ قال الآباءـ: لا تُخـبرـ بـجـراـحـكـ غـيرـ أـبـيكـ الروـحـانيـ. وإنـ كانـ أبوـكـ متـوفـياـ، وـلمـ يـعـينـ للـإخـوةـ أـبـ، فـاطـلـبـ لـكـ أـبـاـ شـيـخـاـ قدـيسـاـ كـامـلاـ فيـ أـعـمـالـهـ قـدـامـ اللهـ، وـأـظـهـرـ لـهـ جـمـيـعـ أـمـراضـكـ، فـهوـ يـصـليـ عـلـيـكـ فـتـعـافـ، وـهـذـاـ وـاحـدـ مـنـ رـبـوـاتـ، لـأـنـ الـآـبـاءـ قـالـوـاـ: لا تُظـهـرـ خـطاـيـاـكـ لـكـلـ النـاسـ، لـعـلـاـ تـعـثـرـ كـثـيرـينـ، وـتـؤـذـيـ الـضـعـفـاءـ وـأـخـيرـاـ تـعـثـرـ بـهـمـ. وـبـالـإـجـمالـ، فـإـنـ لـمـ تـضـرـهـمـ وـلـمـ تـضـرـرـ بـهـمـ، فـإـنـكـ لـنـ تـنـتـفـعـ مـنـهـمـ، فـقـضـطـرـ إـلـىـ أـنـ تـتـقدـمـ لـغـيرـهـمـ لـتـنـتـفـعـ مـنـهـمـ وـهـكـذاـ،

ولكن كما كانت الأحكام الصغيرة تُرفع إلى الفهماء من شعب إسرائيل، فيحكمون فيها، والأحكام الكبيرة والمسائل الصعبة تُرفع إلى موسى فيحكم فيها، وما صَعِبَ عليه منها سأّل الله في حكمه فيها، هكذا تصرف أنت، فالآمور الصغيرة أخبرها الفهماء من الإخوة، والأمور الصعبة أخبرها الأب، وما صَعِبَ عليه منها فهو يسترشد من الله فيها. وأحدر أن تقول بقلة إيمان كلمة رديئة في أبيك وإنحوك لكيلا يمنعك الله من دخول أرض الميعاد، وتحرم من أكل ثمرتها كما جرى مع شعب إسرائيل ومع موسى أيهم ويشعرون وكالب أخوئهم، وأندر (الله) أنه لا يدخل أرض الميعاد منهم إلا هذان اللذان أطاعا أبيهما، أما الذين رجعوا بقلوبهم إلى مصر، فقد ماتوا كلّهم في البرية. فثبتت أنت مع أبيك، مثل يشوع مع موسى، لتصير مثله نبياً صانعاً العجائب، وأباً لأمة كثيرة، ووارثاً لأرض الميعاد، ممتعاً بشعراتها أنت وبنوك. وقد قال الله: أكرم أباك وأمك ليطول عمرك ويحسن إليك. وقال: من يقل كلمة رديئة في أبيه أو أمّه يهلك. فإذا كان هذا عن الأب الحسدي، فكم بالحربي الروحي. فالذي يترك أباً ويسعى فيه، فهو يشبه يوداس الذي ترك معلمه وأسلمه، كما أن الذي يهزا بأبيه، فإنه يرث لعنة حام الذي ضحك على أبيه لما انكشف، ويُحرم من بركة سام ويافت اللذين ستراه. (س:٥ ظ:١٢٨)

٥٨٩ - قلت: «يا أبي، إن الشيطان يُتعب الرهبان أكثر من أهل العالم». قال: «نعم، مثل ملك يريد أن يطرد من مملكته قوماً ويُدخل بدلاً منهم إليها، فلا بد إذن أن يعادي الذين أخرجهم، أولئك الذين أبد لهم بحث، وأجلسهم على كراسיהם، ومهما قدروا على إيتانه من الشر بهم فعلوه، فالرهبان الآن يجاهدون في سبيل دخول هذه المملكة والجلوس على كراسיהם، فالشياطين إزاء ذلك يقاتلونهم بالأكثر. فيجب عليك يا بني أن تطيع وتتضع للأباء الروحانيين، لثلا تسقط مثل الشياطين، فإنهم بالعظمة والمعصية لأبي الأرواح، سقطوا وهلكوا». (س:٤ ج:٩٩)

٥٩٠ - قلتُ له: «يا أبي، لقد سمعتُ عن قومٍ أهُم يصومون يومين وأربعةَ أربعة، وستةَ ستة، وتملأني الغيرةُ فاؤدُ لو أصومُ مثلهم». فقال لي: «الذِي يصنع هكذا بغير مشورةٍ، فإن الشياطين يرفوونه بالأكثر، وهكذا يحطّونه إلى أسفل سريعاً، فالذِي يقوم بما يفوق قدرته يقتل جسده، وحينئذ ينكسر كالقوس إذا زاد توتُّرها أكثر من حدّها». قلتُ: «وماذا أصنع إن شتمي أخي؟»؟ فقال: «إن المشتوم إذا احتمل، غُفرت له الخطيةُ التي شتم بها وصارت على الشاتم، مثل أن يُقال: يا سارق، يا كذاب، فقد جرى ذلك مجرى الاعتراف، فالمشتوم لما أظهرت خططيته وسكت واحتمل، فقد اعتبر كأنه أقرَّ بها ودين عليها، أما الذي شتمه، فقد تحمل وزرها لكونه دان أحاه بذكرها، مع أنه قد أمر بأن يُظهر خطايا نفسه، ولكنه بالعكس أظهر خطايا غيره، وقد قيل: إنه من الجهالةِ أن يهتمُّ الإنسانُ بمرضِ غيره، ويترك الاهتمامَ بمرضِ نفسه، أو يترك ميته ويمضي لي يكن على ميت غيره، كما أنه من أعظم الحالات أن يغفلَ الإنسانُ عن خططيته، ويدرك خطيئة أخيه». (س: ١٢٨ ظ)

٥٩١

من أقوال أبا برصنوفيوس (٢)

٥٩١ - ليكن الأخُ الذي يقيمُ معك مثلَ ابنِ وتلميذِ، وإن هو أخطأ وأفسدَ شيئاً فعظه واكشف له خطأه لكي ما يرجع عنه، وإن هو كتيرٌ نَيَّح آخرَ أكثرَ منك، فلا تحزن، فعلل الله أراد ذلك. فاصطبر لكلّ محنَة لأنَّه بالصبر على الأحزانِ نقتني أنفسنا، وبالآحزانِ نشاركُ يسوعَ في أوجاعه، وإذا شاركناه في أوجاعه، فإننا نشاركه في مجده. كذلك عظ ابنك بخوفِ الله، صافحاً عن خطايا أخيك، ألا تعلم أنه إنسانٌ تحت التجارب، والله يعطيكما طقسَ السلامَةِ بخوفهِ. اعلم أن الشيطان يريدهُ أن يبلبلك بالغضبِ بسببِ الأخِ الذي معلَّك قائلاً لك: «إذا كلمته مرةً ومرتين فاتركه يعمل حسبَ

هوه وكن بلا هم كـما قال الآباء». فاعلم أن هذا الفكر ليس بحسب مشيئـة الله، لأن ما تجتمعـه و تستزيدـه في أيام كثيرة، تفرغـ الكيس منه في لحظـة واحدة فتبقى مفلاـساً. أما طولـ الروحـ الذي بحسب مشيئـة الله، فهو بالصـير إلى التـمام بدون قـلق، وأما طولـ الروحـ الكاذـب الذي أصـابـك من خـداع الشـيطـان، الذي يولدـ للأخـ سـجـساً و غـضـباً، فإـنه يصـيبـ قـليلـي الرـأـي. وهذا ما أقولـه لكـ، فإذا علمـتـ أنـك معـ تـلمـيـذـكـ مثلـ الأـبـ معـ ابنـهـ، فـبدـلاـ منـ أنـ تـلـكـرـ نـيـةـ الأـخـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ كـلـ يـوـمـ وـتـعـرـفـهـ خطـاـهـ كـمـاـ هوـ وـاحـبـ عـلـيـكـ، نـراكـ وـقـدـ صـيـرـتـهـ بـسـكـوتـكـ لـاـ يـعـلـمـ غـلـطـهـ، وـبـعـدـ أـنـ تـطـيلـ رـوـحـكـ عـلـيـهـ أـيـامـ كـثـيرـةـ، إـذـ بـكـ تـلـكـرـهـ لـكـزـهـ لـكـزـهـ وـاحـدـةـ فيـ مـوـضـعـ يـصـيبـ مـنـهـ مـقـتـلاـ، فـتـتـرـعـ روـحـهـ مـنـهـ (Bar. Let. 94). فـاعـلـمـ يـاـ أـخـيـ أـنـكـ مـخـدوـعـ، إـذـ تـقـولـ إـنـ خـطاـيـاـيـاـ الـأـخـ كـائـنـةـ حـقـاـ، فـقـلـ لـيـ: إـذـ كـنـتـ تـعـلـمـ باـسـتـقـصـاءـ أـنـ خـطاـيـاـهـ حـقـ، فـهـلـ وـصـفـتـ لـهـ العـلـاجـ لـيـصـحـ مـنـهـ؟ أـلـيـسـ هـذـاـ مـنـ الإـعـجـابـ وـالـكـبـرـيـاءـ؟ وـأـيـضاـ بـشـأـنـ أـيـ الـخـطاـيـاـ قـالـ الرـبـ: إـنـ لـمـ تـرـكـواـ لـلـنـاسـ خـطاـيـاـهـمـ، لـاـ يـتـرـكـ لـكـمـ أـبـوـكـمـ خـطاـيـاـكـ. أـلـيـسـ بـشـأـنـ الـخـطاـيـاـ الـحـقـانـيـةـ؟ فـكـيـفـ تـدـيـنـ أـنـتـ أـخـاكـ مـنـ أـجـلـ مـاـ لـاـ صـحـةـ لـهـ، فـأـنـتـ بـذـلـكـ تـلـقـيـ نـفـسـكـ فيـ أـشـدـ العـذـابـ. لـأـنـكـ إـذـ طـالـبـتـ أـخـاكـ هـكـذاـ، طـالـبـكـ اللهـ بـشـأـنـ خـطاـيـاـكـ، فـأـمـاـ المـكـتـوبـ فـهـوـ: لـاـ تـدـعـ الشـمـسـ تـغـرـبـ عـلـىـ غـيـظـكـمـ، وـاـحـمـلـواـ ثـقـلـ بـعـضـكـمـ بـعـضـاـ. وـكـيـفـ يـخـدـمـكـ الـأـخـ؟ أـلـيـسـ فـيـ شـأـنـ اللهـ؟ إـذـ قـرـعـتـ فـكـرـهـ، فـأـمـسـكـ أـنـتـ لـفـكـرـكـ، وـلـاـ تـحـسـبـ نـفـسـكـ شـيـئـاـ وـأـنـتـ تـتـبـيـعـ، وـقـاتـلـ الـأـفـكـارـ الـيـتـيـ تـجـلـبـ لـكـ السـجـسـ وـأـنـتـ تـعـانـ (Bar. Let. 95) (سـ ٥: ١٢٩ جـ)

٥٩٢ - سـؤـالـ: «إـنـيـ قدـ وـعـظـتـ الـأـخـ بـحـبـ اللهـ، وـقـدـ تـسـجـسـتـ بـسـبـبـ كـونـهـ لـمـ يـقـبـلـ مـنـيـ، فـمـاـذـاـ أـفـعـلـ؟»

الـجـوابـ: «أـنـتـ لـاـ تـفـهـمـ مـاـ تـقـولـ، فـإـنـ كـنـتـ مـنـ أـجـلـ اللهـ وـعـظـتـهـ فـكـيـفـ

تسجّستَ؟ لأن العظة من أجل الله لا تدعَ الإنسان يتsgس، حتى ولو وقع الموعوظ في الواقع لا يتحمل ثقله ولم يتsgس، وإنما كل عظة تدع السجس يدخل في قلب الإنسان فهي ليست في ذات الله، لكنها شيطانية، مختلطة بتركية الذات. فقد بان إذن أن الأمر تجربة، ولكن الله يُطلها عنكما وينحركمَا معرفة لتفهمها حيل العدو، وينحيكمَا منه، فصليا من أجلي». (س: ١٣٠ ج) (Bar. Let. 96)

٥٩٣ - سؤال: «يا أبي، إن الأخ يحتقرني جداً، وأحب أن أبدله بتلميذ آخر، أو أبقى وحدي، لأن فكري يقول لي: لو كنتَ وحدك ما كنتَ تحزن».

الجواب: «لا يجب أن تقبل تزكية نفسك، ولا تقل: لو كنتَ وحدي ما كنتَ أحزن، لأنه لا يكون خلاصاً بدون أحزان، لأنك بقولك هذا تُبطل الكتاب القائل: كثيرة هي أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم ربُّ. وأيضاً: كثيرة هي جلدات الخطأة. فإن كنتَ صديقاً أو كنتَ خاطئاً، فواجبٌ عليك قبولُ الأحزان، وليس هناك أشياء يتساوى الأمر في فائدتها مثلَ الأحزان، لأن الأحزان هي مقدمة الخلاص، لأن الرسول يقول: إننا بأحزان كثيرة ندخل ملكوت السموات. فالذي يطلبُ النياحَ في كل شيءٍ ليسمع: إنك قد أخذتَ خيراً لك في حياتك. فإن كان ربنا قد صبر من أجلنا على الأوجاع، فواجبٌ عليك أن تصبرَ على الأحزان لنكون شركاءَ في آلامِ المحية. أما بخصوص استبدال تلميذك بتلميذ آخر، فالامر واحدٌ، لأنك إذا اخترتَ آخر، وصادفك منه ما يحزنك، فماذا عملتَ؟ فيجب عليك إذن احتمال التلميذ الذي لك، وسياسته، ويلزمه هو القبول منك، على أن تحتمل أنت ثقله بخوفِ الله». (س: ١٣٠ ج) (Bar. Let. 97)

٥٩٤ - من أجل العمل الداخلي، قال: «العمل الداخلي هو وضع القلب الذي يجلب الطهارة، والطهارة تلد سكوتَ القلب الحقاني، وهذا السكوت يلدُ التواضع،

والتواضع يصيرَ الإنسانَ مسكتاً لله. وهذه السكينة تطرد الأعداءَ الأشرارَ مع كافةَ الأوحاجَ الوسخة، وتحطم الشيطانَ رئيسها، فيصيرُ الإنسانُ هيكلًا لله طاهراً مقدساً مستنيراً فرحاً ممتلئاً من كلِّ رائحةٍ طيبةٍ وصلاحٍ وسرورٍ، ويصبحُ الإنسانُ لابساً لله، نعم، ويصيرُ إلهًا، لأنَّه قال: أنا قلتُ إنكم آلهةٌ، وبينَ العليِّ تدعونَ. وحينئذٍ تنفتحُ عيناً قلبه، وينظرُ النورُ الحقانيُّ، ويفهمُ أنَّ يقولَ: إني بالنعمَةِ خلصتُ بالربِّ يسوعَ المسيحَ. فالذِّي يريدهُ أنْ يُرضيَ اللهُ، فليقطعُ هواهُ لأنْحيهُ ومعلمهُ، لأنَّه إذا فعلَ ذلكَ فهو يجدُ نياحةً بالربِّ». (س: ١٣٠ ظ) (Bar. Let. 120)

٥٩٥ - سؤال: «كيف أعرف الفكرَ الذي من اللهِ والفكرَ الذي من الطبيعةِ والفكرَ الذي من الشيطان؟»؟

الجواب: «إفراز هذه المسألة إنما يكون للذين قد بلغوا إلى التمامِ، لأنَّه إن لم تطهر العينُ الداخِلَةُ بالعرقِ والعناءِ الكثيرِ، فلا تقدرُ أن تفرزَ، فاقطعُ هواكَ اللهِ في كلِّ شيءٍ وقل: ليسَ كما أريدُ أنا، بل ليكنْ ما تريده أنت يا ربِّي وإلهي، وهو يعملُ معكَ كهواهِ. فاسمعُ الآنَ فرزَ هذه الأفكارِ الثلاثةِ: إذا تحرَّكَ في قلبِكَ فكرٌ في ذاتِ اللهِ، ووجدتَ فرحاً، وحزناً يساوي هذا الفرح، فاعلمُ أنَّ ذلكَ الفكرَ هو من اللهِ، فداومُ فيه. فإنْ جاءَ عليكَ فكرٌ طبيعيٌّ الذي هو الهوى الجسدانيُّ فادفعه، وتمَّ القولُ القائلُ: أنَّ تكفرَ بنفسكَ، أيَّ أنكَ تكفرُ بالمشيئاتِ الطبيعيةِ وتقطعُ هواكَ الجسدانيِّ. وأما أفكارُ الشيطانِ ف تكون مبللةً وممتلئةً أحزانًا، وهي تجرُّ إلى الخلفِ، فكلُّ أمرٍ تفكِّرُ فيه وتحسُّ في قلبكَ بليلةٍ ولو بمقدارِ شعرةٍ، فاعلمُ أنَّ ذلكَ من الشياطينِ واعلمُ أنَّ ضوءَ الشياطينِ آخرَه ظلمةً». (س: ٥)

(Bar. Let. 125)

٥٩٦ - وقال أيضًا: «الذين يريدون أن يسلكوا طريقاً ما، فإنَّ لم يعشوا مع من

يُرِيَّهم الطريقَ من أُولَئِنَا إلى آخرها، فلن يستطعوا بلوغَ المدينةِ، فإنْ لم يترك التلميذُ هواه خلفَه وي الخاضع في كلِّ شيءٍ ويتضعُ، فلن يبلغَ مدينةَ السلامِ». (س: ١٣١ ج) (Bar. Let. 127)

٥٩٧ - سؤال: «ما هو الاتضاع؟»

الجواب: «الاتضاع هو أن يحسبَ الإنسانُ نفسه تراباً ورماداً، ويقول: أنا من أنا، ومن يحسبني أنا شيئاً، وما لي أنا مع الناسِ، لأنَّي عاجزٌ. ولا يقول عن أمرٍ: ماذا؟ أو ماذا يكون هذا؟ ويكون ماشياً بخضوعٍ كثيرٍ في طرقِه، ولا يساوي نفسه بغيرِه، وإذا أحقرَ ورُذل لا يغضب». (س: ١٣١ ج) (Bar. Let. 101)

٥٩٨ - سؤال: «أخبرني يا أبي كيف يقتني الإنسانُ الاتضاعَ الكاملَ والصلةَ الحقانية؟»

الجواب: أمّا كيف يقتني الإنسانُ الاتضاعَ الكاملَ، فالربُّ قد علِّمنا ذلك بقوله: «تعلَّمُوا مِنِّي فِي إِيمَانٍ وَدِبَعٍ وَمَتَوَاضِعَ القَلْبِ، فَسَتَحْدُوا رَاحَةً لِنفُوسِكُمْ». إنْ كنتَ تريده أن تقتني الاتضاعَ فافهم ماذا عملَ وتأملَ صبرَه، واصبرْ مثله، واقطعْ هوَكَ لـكُلُّ أحدٍ، لأنَّه قال: «إِنِّي مَا نَزَّلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لِأَعْمَلَ مُشَيْتِي، بَلْ مُشَيْتَه مَنْ أَرْسَلْتُ». هذا هو الاتضاعُ الكاملُ، أن تحتملَ الشَّيْمةَ والعَارَ وـكُلُّ شيءٍ أصابَ مُعلِّمَ الفضيلةِ ربِّنا يسوعَ المسيحَ. وأما الصلاةُ الحقانيةُ فهي أن يكونَ الإنسانُ مخاطباً لله بلا طياشة، ناظراً إليه بحملته وأفكارِه وحواسِه والذي يسوقُ الإنسانَ إلى ذلك، هو أن يموتَ عن كُلِّ إنسانٍ، وعن العالمِ وكُلِّ ما فيه، ويصوّرُ في عقلِه أنه قائمٌ قدامَ الله وإيهَا يُكلِّمُ. وهكذا يكون قد انفلتَ من الطياشةِ وانتعق منها وصار عقلُه فرحاً مضيناً بالربِّ. وعلامته إذا وصلَ إلى الصلاةِ الكاملةِ، فإنه لا يتسرّجس البتة، ولو سجَّسه كُلُّ العالمِ، لأنَّ المصلي بالكمالِ، قد ماتَ عن العالمِ ونیا حِجه كُلَّه، وكلُّ شيءٍ يعمله من أمورِه يكونُ فيه بلا طياشة. (س: ١٣١ ج)

٥٩٩ - سؤال: «كيف أقدر أن أمسك بطني وأن أكل دون حاجتي، لأن لا
أستطيع صبراً؟

الجواب: ليس أحد يفلت من هذا الأمر، إلا الذي بلغ إلى مقدار ذلك الذي قال: «إني نسيت أكل حبزي من صوت تن Heidi، وقد لصق لحمي بعظمي». فمن كانت حالة هكذا، فإنه يأتي بسرعة إلى قلة الطعام لأن دموعه تصير له مثل الخبر، ويبداً إذ ذاك يتغذى من نعمة الروح القدس. صدقني يا أخي، إني أعرف إنساناً يعلم الرب أنه قد بلغ إلى هذا المقدار الذي ذكرت، حتى أنه كان لا يأكل في كل أسبوع مرة أو مرتين، وكان مراراً كثيرة يُسبى في النظر الروحاني، ومن حلاوة ذلك كان ينسى أكل الطعام المحسوس، وكان إذا أراد أن يأكل يشعر بأنه شبعان، ولا يجد لذة للطعام، وكان يأكل بدون شهوة، لأنه كان يشتهي أن يكون دائماً مع الله، وكان يقول: «أين نحن؟»؟ (س: ٥)

(Bar. Let. 153)

٦٠٠ - فقال الأخ السائل: «أنا أطلب إليك يا أبي أن توضح لي قوّة هذا الأمر، وكيف يصير الإنسان إلى ما ذكرت، فإني أجهل ذلك، وإذا أنا بدأت أقلل طعامي، فما يدعني الضعف حتى أعود إلى المقدار الأول، وأنت قلت لي إن الذي يبلغ إلى المقدار الذي قيل فيه: إن لحمي لصق بعظمي من صوت تن Heidi، هذا يصير إلى قلة الطعام، فبین لي هذا الأمر؟»؟ (س: ٥ ج) (Bar. Let. 154)

٦٠١ - قال الشيخ: هذا هو التصاق اللحم بالعظم، أن تصير جميع أعضاء الإنسان ملتصقة، أي أن تكون أفكار الإنسان كلها فكراً واحداً بالله، عند ذلك يتتصق الجسدان ويصير روحانياً، ويلحق الجسد بالتفكير الإلهي، وحيئذ يصير الفرح الروحاني في القلب يغذي النفس ويشبع الجسد، ويقوى كلامهما حتى لا يكون فيهما ضعف ولا ملل، لأن

ربّنا يسوع المسيح إذ ذاك يكون الوسيط ويوقف الإنسان بالقرب من الأبواب التي ليس داخلها حزنٌ ولا وحشٌ ولا تنهد. وحينئذ يتم القول: «حيث يكون كثرك، فهناك يكون عقلُك». فالذي يبلغ إلى هذا المقدار فقد اقتني الاتضاع الكامل بيسوع المسيح ربنا الذي

له الحمد إلى الأبد آمين. (س: ٥ ج: ١٣٢) (Bar. Let. 154)

٦٦٤

٦٠٢ - من كلام القديس سمعان العمودي: «إذا كانت حُمَّى الجسد تمنعه من أن يعمل أعمالَه الجنسيَّة، كذلك مرضُ النفس بالخطيئة يمنعها من ممارسة أعمال الحياة الروحانية، فالله يريده من النفس أن تحبه وتطلبه بحرصٍ، فإذا أحبتَه وطلبه بكل قوتها، فحينئذ يسكنُ فيها ويملك على أفكارِها فيهدِيها إلى ما يريده لها». (س: ٥ ج: ١٣٢)

٦٠٣ - قال شيخ: «إنَّ الله يطالبُ الإنسانَ بثلاثةٍ: العقلَ، الكلامُ الروحانيُّ، والعملُ به. الجُدُّ الباطل يتولَّد من ثلاثةٍ: طلب التعليم، وطلب الاتساع في الأشياء، وطلب الأخذ والعطاء. وثلاثةٌ تسبِّقُ كُلَّ خطيئةٍ: الغفلة، التسيان، والشهوة. حاملُ الأمورِ يأخذُ الأجرا من الناسِ، وحاملُ الأحياءِ، أعني الاحتمل، يأخذُ الأجرا من الله». (س: ٥ ج: ١٣٢) (Bu. I, 222 ظ)

٦٠٤ - سأَلَ أخُّ الأنبا بيمين قائلاً: «كيف ينبغي للراهب أن يجلسَ في قلاليته؟»؟ فقال له: «أما الظاهر من الجلوس في القلالية فهو أن تعملَ يديك، وتأكلَ مرةً واحدةً فقط كلَّ يومٍ، والهذيد في المزامير وقراءة الكتب والتعليم، أما غيرُ الظاهر والسرّي من الأمور فهو أن تلوم نفسك في كلِّ أمرٍ تصنعه وحيثما توجهتَ، وفي ساعة صلاتك لا تتوانَ من جهةِ أفكارك، وإن أردتَ أن تقوم من عمل يديك إلى الصلاة، فقم وأكمل صلاتك بلا

سجس، وتمام هذا كله أن تسكن مع جماعةٍ صالحةٍ، وتبتعد من جماعة السوء».^(٧٤)
(س:٥ ظ) (Abc. Poemen 168)

٦٠٥ — وقال له أخه: «إني خاطئٌ فماذا أعمل؟» فقال له: «مكتوبٌ: خططيتي
أمامي في كل حينٍ، فأنا أهتمُ بآثامي وأعترفُ بذنبي، فقلتُ أكشف خططيتي أمامَ الربِّ
وهو يغفرُ لي نفاقَ قلبي». وقال: «من يضبط فمه فإنْ أفكارَه تموت، كالجَرَّةِ التي يوجدُ
فيها حياةٌ وعقاربٌ وسُدُّ فمها فإنَّها تموت». (س:٥ ظ) (Eth.coll. 13,84)

٦٠٦ — سُئل: «أيهما أصلحُ، الكلامُ أم الصمت؟» فقال: «إن الصمتَ من أجلِ
اللهِ حيَّدُ، كما أنَّ الكلامَ من أجلِ اللهِ حيَّدَ كذلك». (س:٤ ج) (Abc. Poemen 147)

٦٠٧ — وقال: «من يُكثرُ من الاختلاطِ بالناسِ، لا يمكنه أن ينحوَ من النميةِ».
وقال كذلك: «إن الملاجحةَ والحسدَ يتولَّان من السُّبُّح الباطل، لأنَّ الإنسانَ الذي
يطلبُ مجدَ الناسِ فإنه يناصِبُ الذي يعمُلُ وينجحُ ويُمَحَّدُ، ويحسدُه. والاتضاعُ هو دواءً
ذلك». (س:٥ ظ)

٦٠٨

القديس باسيليوس (١)

٦٠٨ — سُئل القديس باسيليوس: «كيف يكون حالُ من صعبٍ عليه إتمامُ قانونِ
التوبةِ؟ فأجاب وقال: «حالُ ذاك يجبُ أن يكونَ كحالِ ابنِ مريضٍ وفي شدةِ الموتِ
بالنسبةِ لأبيه الخبرُ بصناعةِ الطبِّ والذي يرغبُ في مداواته، فلمعرفته بصعوبةِ وصفِ

^{٧٤} يأتي النص في مخطوط سه هكذا: أخ سأله أبا يمين قائلاً: كيف أحلى في الكيسيه: قال له الشيخ: جلوس
القلالية معروض، أما الظاهر فتعمل شغل يديك وتأكل مرة في كل يوم والصمت والوحدة. وأما الباطن: فهو السهر
والهدى والصلة الخفية والاتضاع بالروح.

الأدوية والتعب الكبير في صناعتها، وبخيرة أبيه في الطب، ولأن قلبه يطيب بمحبة أبيه له، ولرغبته كذلك في الشفاء، فكل هذه العوامل تجعله يرسخ لـ مداواته، فيمكّنه من نفسه ليتداوى ويحيا، لذلك من يصعب عليه قانون التوبة، فليترك الأمر بين يدي معلمه». (س: ٥ ظ: ١٣٢)

٦٠٩ - وسئل أيضاً: «كيف ينبغي للإنسان أن يتهرّ؟» قال: «كما يتهرّ الأب ابنه، وكالطبيب الذي يقصد شفاء المريض». كما سُئل: «كيف يجب أن يُقبل الانتحار؟» فقال: «كما يُقبل الولد تأديب والده، والمريض مداواة طبيبه». (س: ٥ ج: ١٣٣)

٦١٠ - وسئل كذلك: «كيف ينبغي للإنسان أن يحبّ فريئه؟» فقال: «كالمكتوب: تحب قريئك مثل نفسك، وأيضاً ما من حبٌ أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه». (س: ٥ ج: ١٣٣)

٦١١ - وأيضاً سُئل هكذا: «ما هي الكلمة البطالة التي نعطي عنها جواباً؟» فقال: «هي تلك التي ليست للبنيان، كقول الرسول: كلّ كلمة قبيحة لا تخرج من أفواهكم، بل الكلمة الصالحة التي تكون للبنيان، وتعطي نعمة للذين يسمعونها». (س: ٥ ج: ١٣٣)

٦١٢ - وقال أيضاً: «إن الصوم الحقيقى هو سجن الرذائل، أعني ضبط اللسان، وإمساك الغضب، وقه الشهوات الدنسة. الذي يصالح نفسه خيراً من الذي يصالح الغضوبين، والذي يُدبر نفسه خيراً من الذي يُدبر غيره. ابتداء الحبة حُسن الشاء، وابتداء البُغضَة الواقعة. عود جسدك طاعة نفسك، ونفسك طاعة الله. ما لا ينبغي أن تفعله لا تفكّر فيه ولا تذكره. إن أردت أن تكون معروفاً عند الله، فاحرص ألا تكون معروفاً عند الناس. عاتب نفسك فهذا أفضل من أن تعاتب غيرك. ابتعد من نظر وسماع ما لا يفيد،

فتخصلص من فعلٍ ما لا يفيد. حيدُّ ألا تخطئ، وإن أخطأتَ فجيدُّ ألا تؤخرَ التوبة، وإن ثبتَ فجيدُّ ألا تعاودَ الخطيئةَ، وإذا لم تعاودها فجيدُّ أن تعرفَ أن ذلك بمعونةِ اللهِ، وإذا عرفتَ ذلك فجيدُّ أن تشكره على نعمتهِ وتلازمَ سؤاله في إدامة معونته. إن كان ليس بجيد أن تستشهد بإنسانٍ شريفٍ على أمرٍ حقيرٍ، فكم بالحربيِّ الله تعالى. علامَةُ الخوفِ من اللهِ، الهربُ من العيوبِ الصغارِ، حذرًا من الوقوعِ في الذنوبِ الكبارِ. علامَةُ مَنْ غلبَ الشيطانَ أن يتحملَ شرًّاً أحياءً ولا يدينه. علامَةُ الخلوةِ مع الله هي الابتعادُ من القلقِ، والبغضةُ لسيرةِ العالم. علامَةُ التكبرِ قنوعُ الإنسانِ برأيِّ نفسه. عمومُ الناسِ يظنون أن اللهَ في المياكلِ فقط، فيحسنون سيرَتهم فيها فقط، وذوو المعرفةِ يعلمون أن اللهَ في كلِّ موضعٍ، فيينبغي أن يحسّنوا سيرَتهم في كلِّ موضعٍ. كما أن الجسد़يين لا يقدرون أن يغضّبوا بحضورِ الملك، كذلك الذين يتذمرون بالروحانيةِ يمنعهم من الغضبِ الخوفُ من اللهِ الملكِ العقول الناظر إلىهم دائمًا. الحكيمُ لا يتقى غيرَ المخوفِ، ولا يرجو غيرَ المدرَكِ، ولذلك لا يخافُ الآلام ولا يرجو دوام اللذاتِ العالمية، لأنَّها سريعةُ الزوالِ، فإذا لا يخاف هذه الآلام احتملها، وإذا لا يرجو هذه اللذات فلا يطلبُها». (س: ٥١٣٣ ج)

٦١٣

٦١٣ - قال شيخٌ: «إذا قُوْتِلَ راهبٌ بالزنى وحفظ بطنه ولسانه وغرتَه، فلي إيمانٌ أنه لا يسقط بمعونةِ اللهِ». (س: ٥١٣٣ ظ)

٦١٤ - قال أخٌ لشيخٍ: «لستُ قادرًا على إقامِ الطاعةِ الكاملة». فقال له: «اعمل بقدرِ قوتك، وأنا أؤمن أنَّ اللهَ يحسبك مع من يُكمل الطاعةَ». وقد قال: «لا تخنق إذا سقطتَ، بل اهض وثب. فقد قال سليمان الحكيم: إنَّ الصديقَ إذا سقطَ سبعَ مراتٍ في اليومِ فهو يقوم سبعَ مراتٍ». (س: ٥١٣٣ ظ)

٦١٥ — قال شيخ: «إذا شتمَ الراهبُ أخاه بذكرِ شيءٍ من الخطأِ مثلَ أن يقول: يا زان، يا سارق، ويا كذاب، فإن سكتَ المشتوم وغفر للشاتم وقال في نفسه: بالحقيقة إني خاطئ؛ فإن تلك الخطيئة التي شتم بذكرها والتي أشار إليها بقوله: بالحقيقة إني خاطئ، ثُغفر له، وتصبح على الشاتم له بذكرها، لأنه ترك الاعتراف بخطيئته وأظهر خطيئة أخيه، ولكون المشتوم احتمل إشهار خططيته فحسب له اعترافاً، ولكونه غفر لأخيه نال المغفرة». (س: ١٣٤ ج)

٦١٦ — ثلاثةٌ من الرهبان تاخروا في الربِّ، فاختار أحدهم الصلحَ بين الناسِ كقولِ الربِّ: «طوي لصانعي السلامِ فإنهم بين اللهِ يُدعون». واختار الآخرُ خدمةَ المرضى وتعاهدهم كقوله: «كُنْ مريضاً فتعهدُتوني». أما الأخيرُ فقد اختار لنفسِه الوحدة ليتفرغَ لخدمةِ الربِّ وحدهِ والصلاحةِ كلُّ حينٍ كقولِ الرسولِ. فأما الأولُ فإنه ضجر من خصومةِ الناسِ ولم يقدر أن يرضيهم كلهُم، فلما تعب ماضى إلى صاحبهِ الذي يفتقدُ المرضى فوجده قد ضجر هو الآخرُ مما هو فيه، فقاما معاً وأتوا إلى التوحدِ، وأعلماه بحالهما واستخبراه عن حالهِ، فسكت قليلاً، ثم سكب ماءً في إناءٍ وقال لهمَا: «تأملاً لهذا الماءِ»، فتأملاه مضطرباً ولم ينظرا فيه شيئاً. وبعد أن سكن الماءُ قال لهمَا: «انظروا الآن». فنظرَا، وإذا الماءُ يريهما وجهيهما مثل المرأةِ. فقال لهمَا: «هكذا تكون حالُ من يكون بين الناسِ، فإنه لأجل اضطرابِهم لا يمكنه أن ينظرَ ما فيه، أما إذا انفرد ولا سيما في بريءٍ فحيئنْ يرى نفائصَه». (س: ١٣٤ ج) (An. 134, Bu I, 3)

٦١٧ — قيل إن شيخاً كان يأكلُ أثناءِ تأديةِ عملهِ، فسئل عن ذلك فقال: «إني لا أؤثِّر أن أجعلَ الطعامَ عملاً يتفرغ له، حتى لا تحسُّ نفسِي بتلذذ في الطعامِ». (س: ١٣٤ ج) (Abc. Pior 168)

٦١٨ - وهو قال: «ليس شيء يغسل دنسَ الزنى مثل دموع التوبهِ، لأنَّ الزنى يخرج من الجسد والقلب، وكذلك الدموع تخرج من الجسد والقلب». (س:٥ ظ:١٣٤)

٦١٩ - قال شيخُ: «يجبُ أن نخاسبَ نفوسنا كلَّ يومٍ ونفقد حياتنا بالتوبهِ». (س:٥ ظ:١٣٤)

٦٢٠ - وقال أيضًا: يجُبُ أن نشكِّرَ الله على الأوجاعِ الجسمانية، فإنَّ الرسول يقول: «إذا ما فسد إنسانُنا الخارجي، فإنَّ الداخلي يتجدد يوماً في يوماً». فلن نشاركَ المسيحَ في مجده إلا إذا شاركناه في أوجاعِه، ولا نقدر أن نشاركه في أوجاعِه، إلا بالصبر على الشدائِدِ. الشكرُ في الشدةِ يعينُ على الخلاصِ منها. ينبغي ألا نرغب في نياح هذا العالمِ لثلا يُقال لنا: «قد أخذتَ خيراتك في حياتك». لا تظن أنك أكملتَ شيئاً من الخير، فيحفظ لك أجرُ برّك. لا تحسب نفسك أنك شيءٌ، ف تكون أفكارُك هادئةً. إن الشياطين يخونون شرّهم وراءهم، ونورُهم آخره ظلامٌ، فلا تعمل شيئاً بغير مشورة الآباء العارفين بقتالهم. الزم الصلاةَ في التجارب، فإنَّ الربَ قد قال: «الله يتقم لعيدهِ الصارخين إليه». ينبغي للمجاهِد أن يتبعَ عن كلِّ امتلاءٍ، ولو من الخبرِ والماء، وأن يجمع عقلَه في صلاته، ليكمل قربانَه الروحاني، ويذكر خطاياه دائمًا ويحزن عليها، ول يكن كلَّ ما يعلمه ويقوله من أجلِ مرضاه الله لا من أجلِ مجدِ الناس، وأن يفحصَ تدييرَه دائمًا، لكي لا تكون سكناه في البريةِ على غيرِ مذهبِ الرهبة، فإنه قد سكن البريةَ كثيرًا من اللصوصِ وهي مأوى للوحوشِ والطيورِ المؤذية، أما الراهب فإنه يسكنها هربًا من سجين العالمِ الذي يشغل عن عبادة الله التامة، كما ينبغي أن يصبرَ على البلایا ويكلُّف نفسه في كلَّ شيءٍ، وأن يقدمَ حبَّ الله على حبِّ القريبِ، وحبَّ القريبِ على حبِّ نفسه، وحبَّ نفسه على حبِّ كلِّ ما سواها، ول يكن له إيمانٌ قويٌ بالله ورجاءً واتضاع وإمساكٌ وصمَّتْ وصلاةً دائمةً وهاونَ بالأرضيات وتذكر الموت والمحازاة، وقراءة الكتب وتمييز

كل الأمور وحفظ العقل والقلب، وطاعة للأباء والوصايا من أجل الله. (س: ٥ ظ ١٣٤)

٦٢١ - قال أحد الإخوة لشيخ من الرهبان: «يا أبي، إني أطلب إلى الشيوخ فيكلموني فيما هو خلاص نفسي، ولكنني لست عاماً بشيء مما يقولون لي، فما الذي أنتفع به من هذا الأمر، وأنا ممتلىء من الوسخ». وكان عند الشيخ كوزان فارغان، فقال له الشيخ: «أحضر أحد هذين الكوزين وصب فيه ماءً وخضْحضة». فجعله الشيخ يغسل الكوزَ مراتٍ كثيرةً ثم قال له: «ضعه عند الكوز الآخر». ففعل، وبعد ساعة قال له: «أحضر الكوزين معاً، وانظر أي الكوزين أنقى». فقال له الأخ: «الذي صببنا فيه الماء أنقى». قال له الشيخ: «كذلك تكون نفس من يسأل الشيوخ ولا يعمل بما يقولونه، أنقى من نفس من لا يسأل ولا يعمل معاً». (س: ٤ ج ١٠٤) (An. 223)

٦٢٢

التمييز والإفراز

٦٢٢ - قال شيخ: «ينبغي للمتوحد في قلاليته أن يكون له إفراز ومعرفة وحرصٌ وتيقظٌ، كما يكون ضابطاً لحواسه حافظاً لعقله، لا يفكر في إنسانٍ، ولا يفتر في الصلاة والقراءة». (س: ٥ ج ١٣٥)

٦٢٣ - قال أحد الشيوخ: «إن الإفراز الحقيقى، لا يكون إلا من الاتضاع، والاتضاع هو أن نكشف لآبائنا أفكارنا وأعمالنا، ولا ننق برأينا، بل نستشير الشيخ الخرجيين الذين نالوا نعمَة الإفراز، ونعمل بكل ما يشieren به علينا، فالذى يكشفُ أفكاره الرديئة لآبائه فإنها تخف عنده، وكما أن الحياة إذا خرحت من موضع مظلم إلى ضوءٍ هرب بسرعة، كذلك الأفكار الرديئة إذا كُشفت تبطل من أجل فضيلة الاتضاع. وإذا كانت الصناعات التي نبصرها بعيوننا ونسمعها بأذاننا ونعملها بأيدينا، لا نقدر أن نمارسها

بذواتنا إن لم تعلمها أولاً من معلميهَا، أفلبيست إذن جهالَةً وحمافةً من يريد أن يمارس الصناعة الروحانية غيرَ المرئية بغيرِ معلمٍ؟، علمًا بأنَّها أكثرَ خفاءً من جميعِ الصنائعِ، والغلط فيها أعظمُ خسارةً من كُلّ ما عدَّها؟» (س: ٥٢٢ ظ)

٦٤

٦٤ - قال شيخٌ: «من اجتمع بإخوةٍ عمَّالٍ، فلو كان هو غيرَ عمَّالٍ فإنَّ لم يتقدم إلى قدام، فلن يتاخر إلى وراء، كذلك من يجتمع بإخوةٍ متهاونين فلو كان عمَّالاً، فإنَّ لم يخسر، فلن يربح. الساقطُ فلينهض لثلا يهلك، والقائمُ فليتحفظ لثلا يسقط». (س: ١٣٥ ج)

٦٥ - وقال آخر: «إذا مشيتَ مع رفيقٍ صالحٍ من قلائك إلى الكنيسة، فإنه يقدِّمك ستة أشهر، وإذا مشيتَ مع رفيقٍ رديءٍ من قلائك إلى الكنيسة فهو يؤخرك سنةً». (س: ١٣٥ ج)

٦٦ - سأله أحَّ شيخاً قائلاً: «يا أبي، لماذا لا يثبت جيلنا هذا في أتعاب الآباء الأولين؟» فأجابه الشيخُ قائلاً: «لأنَّه لا يحبُ الله ولا يفرُّ من الناس ولا يبغض قشاش العالم. إنَّ كُلَّ شخصٍ يفرُّ من الناس ومن المقتنيات فإنَّ تعبَ الرهبنةِ يأتيه قبلَ سنه. فكمثال إنسانٍ يريدُ أن يطفئ ناراً قد اشتعلت في بقعةٍ، فما لم يسبق ويبعد القشَّ من قدام النار، لا يمكنه إطفاؤها، كذلك الإنسان، إنَّ لم يذهب إلى موضعٍ لا يجد فيه الخنزير والماء إلا بشدةٍ، فلا يستطيع أن يقتني تعبَ الرهبنةِ، لأنَّ النفسَ ما لم تبصر فلا تستهني سرعيًا». (س: ٤٠٤ ظ) (An. 588)

٦٧ - قيل إنَّ أحدَ الآباءِ كان يجلسُ في البراري البعيدة ويسكت، وفي يومٍ من الأيام سأله تلميذهُ قائلاً: «لماذا يا أبي تفرُّ هاربًا في البراري البعيدة، مع أنَّي أسمعُ أنَّ الناس

تقولُ إنَّ الَّذِي يسكنُ بقُرْبِ الْعَالَمِ ويقاتلُ أَفْكَارَهُ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ، يصِيرُ أَكْثَرَ أَجْرًا؟ أَجَابَهُ الشَّيخُ: «إِنَّ الَّذِي يَنْتَفِعُ مِنْ قُرْبِهِ لِلْعَالَمِ فَهُوَ ذَاكُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَصِلُ إِلَى أَنْ يَنْظَرَ مُنَاظِرًا مُوسَى النَّبِيِّ وَيَصِيرُ ابْنًا لِلَّهِ، أَمَّا أَنَا فَإِنِّي ابْنٌ آدَمَ، وَأَنَا مِثْلُ آدَمَ أَبْنَى الَّذِي بَعْدَهُ أَبْصَرَ ثَرَةً الْخَطِيئَةَ اشْتَهَاهَا فَأَخْذُ وَأَكُلُّ مِنْهَا وَمَاتَ». مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ آبَاؤُنَا يَهْرَبُونَ إِلَى الْبَرَّارِيِّ، وَهُنَّاكَ كَانُوا يَقْتَلُونَ شَهْوَةَ الْبَطْنِ لِعَدَمِ الْأَطْعَمَةِ، إِذَا كَانُوا لَا يَجِدُونَ هُنَّاكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَلِدُ الْأَوْجَاعَ كُلُّهَا». (س: ١٣٥ ظ)

٦٢٨ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يُسْلِمُ نَفْسَهُ لِشَدَّدِ بَهْوَاهُ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ فَلِي إِيمَانٌ أَنَّ اللَّهَ يَحْسِبُهُ مَعَ الشَّهَدَاءِ، وَذَلِكَ الْبَكَاءُ الَّذِي يَأْتِيهِ فِي تَلْكُ الشَّدَّدِ يَحْسِبُهُ اللَّهُ عَوْضَ الدَّمِ». (س: ١٣٥ ظ)

٦٢٩ - قَالَ شَيخٌ: «مَنْ لَا يَقْتَنِي تَعْبُ الرَّهْبَنَةِ فَلَنْ يَقْتَنِي فَضَائِلُهَا، وَمَنْ لَا يَقْتَنِي فَضَائِلُهَا فَلَنْ يَقْتَنِي مَوَاهِبُهَا». (س: ٥ ظ ١٣٥)

٦٣٠ - قَالَ الْقَدِيسُ أَنْطَوْنِيوسُ: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا يَقْتَنِيهِ الْإِنْسَانُ هُوَ أَنْ يُقْرَأَ بِخَطَايَاهُ قَدَامَ اللَّهِ وَيَلْوُمَ نَفْسَهُ، وَأَنْ يَكُونَ مَتَانِيَا لِكُلِّ بَلِيةٍ تَأْتِيهِ حَتَّى آخرَ نَسَمَةٍ مِنْ حَيَاةِهِ». (س: ٥ ظ ١٣٥)

٦٣١ - قَالَ شَيخٌ: «يُجَبُ عَلَى الرَّاهِبِ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ وَعُشَيْةٍ أَنْ يَحْاسِبَ نَفْسَهُ وَيَقُولَ: مَاذَا عَمَلْنَا مَا يَحْبِبُهُ اللَّهُ؟ وَمَاذَا عَمَلْنَا مَا لَا يَحْبِبُهُ اللَّهُ؟ لِأَنَّهُ يُجَبُ عَلَيْنَا أَنْ نَفْتَنَدَ حَيَاةَنَا بِالْتَّوْيِهِ هَكُذَا، وَبِهَذِهِ السِّيَرَةِ عَاشَ أَرْسَانِيوسُ، لِأَنَّ مَنْ عَمِلَ كَثِيرًا وَلَمْ يَحْفَظْهُ، أَتَلَفَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ قَلِيلًا وَيَحْفَظْهُ، يَبْقَى مَعَهُ (Abc. Nisteros 20). وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ أَجْلَ هَذَا لَسْنَا نَفْلُحُ، لَأَنَّا لَا نَعْرِفُ أَقْدَارَنَا، وَلَيْسَ لَنَا صِيرَّةٌ فِي عَمَلٍ نَبْدَأُ بِهِ، وَلَكِنَّا نَرِيدُ أَنْ نَقْتَنِي الْفَضَائِلَ بِلَا تَعْبٍ». (An. 297) (س: ٥ ظ ١٣٥).

٦٣٢ - وقال شيخ: «إذا حلَّتْ بِلِيَّةً بِإِنْسَانٍ فَإِنَّ الْأَحْزَانَ تُخْيِطُ بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لِكَيْ مَا تُضْجِرَهُ وَتُزَعِّجَهُ، وَبِيَانِ ذَلِكَ فِي أَنَّهُ كَانَ أَخْ فِي الْقَلَالِيِّ، هَذَا جَاءَتْ عَلَيْهِ بِلِيَّةً لِدَرْجَةِ أَنَّهُ إِذَا أَبْصَرَهُ أَحَدٌ مَا، فَكَانَ لَا يَسْلُمُ عَلَيْهِ وَلَا يُدْخِلُهُ قَلَائِيَّهُ، وَإِنْ احْتَاجَ إِلَى خِبْرٍ مَا كَانَ أَحَدٌ يُقْرِضُهُ، وَإِذَا جَاءَ مِنَ الْحَصَادِ، مَا كَانَ أَحَدٌ يَدْعُوهُ لِلْكَنِيَّةِ لِأَجْلِ الْحَبَّةِ كَالْمُعْتَادِ. وَحَدَثَ أَنْ جَاءَ مَرَّةً مِنْ ذَلِكَ الْحَصَادِ فَلَمْ يَجِدْ فِي قَلَائِيَّهُ خِبْرًا، وَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ، كَانَ يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى مَا يَأْتِي عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْزَانِ. فَلَمَّا أَبْصَرَ اللَّهَ صَبَرَهُ رَفِعَ عَنْهُ قَتَالَ الْبَلِيَّةِ، وَإِذَا إِنْسَانٌ قَدْ جَاءَ فَضَرَبَ بَابَ قَلَائِيَّهُ وَمَعَهُ جَمْلٌ مُوْثَقٌ خِبْرًا جَاءَهُ مِنَ الْمَصْرِ، فَبِدَا الْأَخْ يَسْكُنُ وَيَجْزُنُ وَيَقُولُ: يَا رَبُّ، مَا أَنَا بِأَهْلٍ أَنْ تَنْتَرِكَنِي أَحْزَنُ قَلِيلًا، لَكِنِّي يَا رَبُّ أَنَا مُسْتَوْجِبٌ لِذَلِكَ، وَلَسْتُ أَهْلًا لِشَيْءٍ مِنَ النِّيَّارِ، فَلَمَّا جَازَتْ عَنْهُ تِلْكَ الْبَلِيَّةِ، صَارَ إِلَيْهِ يَأْخُذُونَهُ وَيَبِينُونَهُ فِي قَلَالِيَّهُمْ وَفِي الْكَنِيَّةِ». (س٤: ١٠٥ ج) (An. 192, Chaîne 45)

٦٣٣ - قال شيخ: «إِنَّ الرَّاهِبَ يُدْعَى رَاهِبًا مِنْ جَهَتِيْنِ: الْأُولَى: أَنْ يَبْتَعدَ مِنْ مَنَاظِرِ النِّسَاءِ، وَيَرْفَضُ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ وَلَا يَهْتَمُ بِشَيْءٍ بِالْبَتَةِ. وَالثَّانِيَةُ، أَنْ يَنْقِي عَقْلَهُ مِنَ الْآَلَامِ وَيَتَحَدَّدُ بِالرَّبِّ وَحْدَهُ، وَحِينَئِذٍ يَشْرُمُ ثُمَّ الرُّوحُ الَّذِي هُوَ الْحُبُّ وَالْفَرَحُ وَالسَّلَامُ وَالْخَيْرِيَّةُ، وَطُولُ الرُّوحُ وَالْإِيمَانُ وَالْوَدُّ وَالْوَدَاعَةُ وَالْإِمْسَاكُ، وَمَنْ كَانَ هَكُذَا فَلَنْ يَوْجِدْ لَهُ نَامُوسٌ يَقاومُهُ. وَبِقَدْرِ مَا تَكُونُ هُمَّةُ إِنْسَانٍ مَلَازِمَةً لِلَّهِ بِلَا طِيشَةٍ، بِقَدْرِ مَا تَكُونُ نِعْمَةُ اللَّهِ مَتَضَاعِفَةً عَلَيْهِ، وَبِقَدْرِ مَا تَنْقَرِبُ إِلَيْهِ بِقَدْرِ مَا يَهْتَمُ بِهِ بَنَا، وَبِقَدْرِ مَا نَبْتَعِدُ عَنْهُ بِمُمْتَنَا بِقَدْرِ ذَلِكَ يَبْتَعدُ هُوَ مَنَا، لِأَنَّهُ جَعَلَ الْإِخْتِيَارَ لَنَا فِي ذَلِكَ، إِذْ حَلَقَ نَفْسُ إِنْسَانٍ عَلَى صُورَتِهِ، فَهِيَ بَطْعَهَا تَجْبُهُ وَتَشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَهِيَ رُوْحَانِيَّةٌ، فَهِيَ تَشْتَاقُ إِلَى الْأَمْوَارِ الْرُّوْحَانِيَّةِ الْمُنْاسِبَةِ لَهَا، وَأَمَّا الْجَسْدُ فَخَلَقَهُ مِنَ الْأَرْضِ، فَهُوَ يَحْبُّ الْأَرْضِيَّاتِ وَإِلَيْهَا يَمْيلُ بَطْعَهُ، وَالشَّيْطَانُ بِتَحْرِيكِ الشَّهْوَاتِ الْجَسَدَانِيَّةِ يَجْذُبُ النَّفْسَ إِلَى الْأَمْوَارِ الْأَرْضَيَّةِ. فَيَنْبِغِي لِلرَّاهِبِ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِفْرَازٌ، وَيَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ الْهُدَايَا وَالْمَعْوِنَةَ حَتَّى لا يَنْخُدْعَ، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ بِيَانِ

تم، لأنَّه بغير معونةٍ من الله لا يقدر أن يناسب الشيطانَ ولا يبعد منه الأفكارَ الرديئة. لكنه إذا سُلِّمَ نفسهُ لله ولازم الصلاةَ، فإنَّ الله حينئذ يملُك على نفسهِ ويجعلُ فيه هواه، ويُكملُ فيه وصاياه. فالذى يعلم أنه لا يقدر أن يعمل شيئاً بغير الله، فلا يفتخر كأنه قد عمل شيئاً، لكنه يشكر الله الذي عمل فيه، والشيطان إذا رأى إنساناً مجاهداً، فإنه يُحرّك عليه الأوجاع الخبيثة، وقد يُفسح الله له المجال في ذلك، حتى لا يتعظم بأنه مجاهد، حتى يتلخص به بالصلاحة الدائمة، فإذا هو عرف ضعفه، فإنَّ الله يُبسطلها عنه، أعني الأوجاع الخبيثة، وتصير نفسهُ في هدوءٍ وسلامٍ». (س: ٥ ج: ١٣٦)

٤٧٥

القديس سمعان العمودي

٦٣٤ - من أقوال سمعان العمودي: «كما أن الجسد إذا عدمَ أصغرَ أعضائه كان ذلك نقصاناً له، هكذا النفس إذا عجزت عن ممارسة أصغرِ أجزاءِ الفضيلة، كان ذلك نقصاناً لها. وكما أن الإنسان إذا مشى كثيراً نحو المدينة ونقص سيره ميلاً واحداً، فقد أضاع كلَّ تعبه ولم يدخلها، كذلك الراهب إذا لم يجاهد إلى النفسِ الأخرى لا يدرك مدينة الأطهار. وكما أن الإنسان إذا عدمَ آلةً واحدةً لا يقدر أن يُكمل الصناعة اللازمـة لها تلك الآلة، هكذا الراهب إذا عدمَ وصيـةً واحدةً، لا يقدر أن يُكمل سيرته. فليس يكفيه أن يمنع جسده من الزنى فقط، بل وأن يضبطَ فكرةً ونظره وشهوـة لسانه من الكذب والنـيمـة والشتـم والتـعيـير والمـدايـنة والمـزاـح والمـماـحة، وبالإجمـال من كلَّ كلامٍ بـطـالـ، كما ينبغي له أيضاً أن يُعلـم أعضـاءـ الحـضـوعـ لإرـادـةـ اللهـ، وليـستـ أـعـضـاءـ بشـريـهـ فـقطـ، بل وأـعـضـاءـ إـنـسانـهـ الجـوـانـيـ كذلكـ. وكـماـ أنـ الجـسـدـ يـهـلـكـ بـكـلـ وـاحـدـ مـنـ الـوـحـوشـ الـفـاتـةـ إـذـاـ أـلـقـىـ فـيـهـ سـمـهـ، كذلكـ النـفـسـ هـلـكـ بـكـلـ وـاحـدـ مـنـ الـأـرـوـاحـ الـخـبـيـثـةـ إـذـاـ أـلـقـىـ فـيـهـ

فـكـرـهـ». (س: ٥ ج: ١٣٦)

٦٣٥ — وقال أيضاً: «كما أن الخبرَ يُقيّتُ الجسدَ ويحييَه، كذلك الكلام الروحاني يُقيّتُ النفسَ ويحييَها، وهو نور للعينين ومرآة للقديسين، يشفى من أمراضِ الخطيئة، وكل من لا يعمل بكلام الناموس فقد احتقر واضع الناموس. وليس يكفي استعمال الناموس والتكلُّم به من دون العمل بما قيل فيه. فكما نؤمن أنَّ اللهَ رحيمٌ، كذلك نؤمن أنه صادقٌ وأنه عادلٌ، ويجازي كلَّ واحدٍ كثُرْ عمليَّ له المجد». (س:٥ ج:١٣٧)

٦٣٦ — كما قال أيضاً: «لتكن أسماءُ الإخوة حلوةً في فيك، ومناظرهم جميلةٌ محبوبةٌ في عينيك، وخدمتهم سهلةٌ ميسورةٌ في يديك، اعمل برغبةٍ واتضاعٍ، وعلّم بلا حسدٍ ولا بُخلٍ، ولا تنحلُّ في الشدائِد لتكون مُرضيًّا لله، عالماً أنه لو أراد لرفع عنك الشدةَ، وإذا لم يرفعها عنك، فإنما يريد نفعَك، فاشكر في كلِّ حالٍ. كما أن الذهبَ لا يمكن أن يُعمل منه إِناءً مختارًا للملك بدون سبَّكٍ وصياغةٍ، وكذلك الشمع لا يقبل الانطباع بالصورةِ الملكية بدون تلين، هكذا النفس لا تصلح لأن تُنقش فيها صورةُ المسيح الملك بدون أدبٍ كثِيرٍ ظاهرٍ وباطنٍ، ورياضيةٍ وافرةٍ، ومحنٍ شديدةٍ». (س:٥ ج:١٣٧)

٦٣٧

٦٣٧ — قال شيخٌ: «كما أنَّ الإنسانَ الذي تركَ المملكةَ وترهبَ يُمدح من كلِّ العقلاءِ والفضلاءِ، لأنَّ الرهبنةَ أفضلُ من كلِّ ما تركَه، إذ هي توصلُ إلى المملكةِ السماوية الدائمة، كذلك إذا تركَ إنسانَ الرهبنةَ وصارَ ملكاً، فإنه يُذمُّ من كلِّ الفضلاءِ». (س:٥ ج:١٣٧)

٦٣٨ — وقال أيضاً: «لقد كانَ الإنسانُ في البدئِ شبهَ الملائكةِ، فلما سقطَ صار شبهَ البهائمِ، لكنَّ إذا كانت الطبيعةُ الإنسانية تسوقُ إلى الشهواتِ البهيميةِ، فإنَّ الشريعةُ المسيحية تؤدي إلى الغايةِ الملائكيةِ، لأنَّ المسيحَ وعدَ الذين ي عملونَ إرادتهُ أنَّهم سيكونون

مثل ملائكة الله. فاعلم يا أخي أنه ليس شيء يُقرّب إلى الله مثل الطهارة والاتضاع، ويمكن اقتناهما بالصوم والصلوة والسهر والتعب، وإتمام الخيرات بقطع رأس الشر الذي هو حب المقتنيات». (س: ٥ ج: ١٣٧)

٦٣٩ - وقال شيخ: «كُلُّ راهبٍ يجلس في قلابته ويدرس في مزاميره، فهو يشبه من يجري في طلب الملك، والذي يداوم في الصلاة فهو يشبه إنساناً يكلّم الملك، وأما الذي يسأل بيضاء فهو يشبه من هو ممسكٌ برجلي الملك يطلب منه المغفرة». (س: ٥ ظ: ١٣٧)

٦٤٠ - قيل: سمع أخْ بأخبارِ القديسين فظنَّ أنه يمكنه أن يقتني فضائلهم بلا تعب، فسأل شيخاً كبيراً، فقال له: «إنْ أردتَ أنْ تقتني فضائلَ القديسين، فصَرِّ نفْسَكَ مثلَ صبيٍّ يكتب كُلَّ يوْمٍ آيَةً مِنْ معلمِه، فإذا حفظها كتبَ غيرَها، فافعلْ أنتَ كذلك هكذا: قاتل بطنَكَ في هذه السنةِ بالجوعِ، فإذا أحكمْتَ ذلكَ، قاتل حينَذ السُّبْحَ الباطل لتبغضه كالعدُو. وإذا قوَّمتَ هذين فاحرص على أن تزهد في أمورِ الدنيا وتطرح هُمُك على الله، فإنْ تيقنتَ أنك قوَّمتَ هذه الـثلاـث خـصالـ، فـستـلـقـيـ المـسيـحـ بـدـالـةـ كـثـيرـةـ». (س: ٥ ظ: ١٣٧)

٦٤١ - سُئلَ ثاؤفليس بطريك الإسكندرية عن قولِ الرسول: اشتروا زمائِكم فإن الأيام خيبة. فقال: يعني ارجعوا في الأزمـنةـ الخـيـثـةـ بالـصـيرـ والـاحـتمـالـ لما يـأـتـيـ فيهاـ منـ الاـضـطـهـادـ. (س: ٥ ظ: ١٣٧)

٦٤٢ - سُئلَ شيخٌ من أحدِ الإخوةِ: «ما هي فلاحَةُ النَّفْسِ لشمر؟»؟ فقال له: «السُّكُوتُ والإمساكُ وتعبُ الجسدِ والصلةُ الدائمة. وأن لا يجعلَ الإنسانُ باللهِ من عيوبِ غيره، بل من عيوبِهِ فقط، فمن دام في هذه الخصال، أثمر سريعاً» (س: ٥ ظ: ١٣٧) (705)

٦٤٣ - قال شيخ: «لا تملأ بطنك من الخبر والماء، ولا تشبع من نوم الليل، فإن الجوع والشهر ينقيان أو ساخ القلب من الأفكار، والجسد من قتال النجاسة، فيسكنه الروح القدس. لا تقل: اليوم عيد، أكل وأشرب! فإن الرهبان ليس لهم عيد على الأرض، وإنما فصحهم هو خروجهم من الشر، وعنصرتهم تكميل وصايا المسيح، ومظاهم حصولهم على ملوكوت السماوات. فأما الشبع من الخبر فإنا هو والد الخطيبة. حصن الراهب هو الصوم، وسلاحه هو الصلاة، فمن ليس له صوم دائم فلا يوجد له حصن يمنع عنه العدو، ومن ليست له صلاة نقية، فليس له سلاح يقاتل به الأعداء. (وقال أيضاً): كل من يجعل الموت مقابلة كل حين، فإنه يغلب الضجر وصغر النفس». (س: ٥ ج: ١٣٨) (Bu. II, 85)

٦٤٤ - وقال أيضاً: «إذا تمكنت النفس فإنها تزداد قوة على قوتها، كالجلود التي تُدبغ وتدارس وتبَيَّض وتحَفَّ». (س: ٥ ج: ١٣٨)

٦٤٥ - قال أنبا دانيال: «ماما الجسد يُبْتُ، فقدر ذلك تذليل النفس وتضعف، وكلما ذبل الجسد نبتت النفس». (س: ٤ ج: ١٠٧) (Abc. Daniel 4)

٦٤٦ - طلب إخوه إلى شيخ أن يترفق بنفسه من كثرة الجهاد، فقال: «حقاً أقول لكم يا إخوتي: كان مصير إبراهيم خليل الله أن يندم إذا رأى كثرة مواهب الله، وذلك إن لم يجاهد ويتعب أكثر مما فعل». (س: ٥ ج: ١٣٨) (An. 197)

٦٤٧ - قال أخ لشيخ: «إن أفكاري تدور وتخزنني جداً». فقال له الشيخ: «اجلس في قلاليتك ولا تخرج منها، والأفكار تعود إليك، كمثل حمار مربوطة وجحشها يدور ثم يرجع إليها، هكذا من يصبر في قلاليته من أجل الله، فإن دارت الأفكار فإنها ترجع إليه». (س: ٥ ج: ١٣٨) (An. 198)

٦٤٨ - وقال أيضاً: «كما أن العرس إذا قُلع من موضعه وغُرس في غيره لا يثمر

ما لم يثبت في موضعٍ واحدٍ، كذلك الراهب الذي ينتقل من ديرٍ إلى ديرٍ، لا يثمر ما دام متنقلًا». (س: ١٣٨ ظ) (An. 204)

٦٤٩ — كان أخُّ يقائِل بأن يخرجَ من ديرِه، فذهب وأعلمَ رئيسَ الدير^{٧٥} : فقال له الرئيسُ: «اذهب واجلس في قلاليتك، وارهن جسدكَ رهينةً لحائط القلاية، واترك الفكرَ يهيمُ حيثما يشاء، وأنت لا تربح من القلايةِ قط». (س: ١٠٧ ج) (An. 205)

٦٥٠ — وقال شيخٌ: «ينبغي للراهب أن يقاتل بجهادٍ كثيَرٍ شيطانَ الصحر وصِغرِ النفسِ وبخاصة وقت الصلاة، فإذا قويَ على هذا، فليحذر من شيطانِ الكرياء»، وليقيل: إن لم يبنِ ربُّ البيتَ فباطلاً يتعبُ البناءون، وإن لم يحرسَ ربُّ المدينةَ فباطلاً يسهرُ الحراسُ. كما يذكرَ كلامَ النبي: إن الله يعاند المستكبرين ويعطي المتواضعين النعمةً». (س: ١٣٨ ظ) (An. 374)

٦٥١ — رأى شيخٌ مغنيةً مزينةً، فدمعت عيناه وتنهَّد، فسئل عن السببِ، فقال: «لقد حرَّكتني أمران؛ أحدهما إهلاك هذه المرأة لنفسها، والآخر أنه ليس فيَّ من الحرصِ في سبيلِ إرضاءِ الله، بقدر حرص هذه في سبيلِ إرضاءِ الناس». (س: ١٣٨ ظ) (Abc. Pambo) (4)

٦٥٢ — قال شيخٌ بخصوص لعاذر المسكين: «إننا لم نجده عملَ شيئاً من الفضيلةِ غير أنه لم يدمدممْ قط على ذلك الغني الذي لم يرحمه، كما كان شاكراً الله على ما كان فيه، فمن أجلِّ هذا فقط رحمه الله» (Bu. I, 231)

٦٥٣ — وقع أخُّ في بليةٍ، ومع الحزنِ أتلفَ عملَ رهباتِه، وإذا أراد أن يبدأ بالعملِ من الرأسِ، كان يستقلُ ذلك ويقول: «متى أبلغَ إلى ما كنتُ فيه؟»؟ وكان يضجر،

^{٧٥} يعني هذا القول في النص القبطي لأميلينو ضمن أقوال القديس أنطونيوس.

وتصغر نفسه، فلا يقدر أن يبدأ بعمل الرهبة مرة أخرى، وأخيراً ذهب إلى أحد الشيوخ وقص عليه أمره، فلما رأى الشيخ حزنه، ضرب مثلاً قائلاً له: «كان إنسان له بقيع، فمن توانيه امتلا ذلك البقيع شوكاً، وإنه بعد ذلك انتبه، وأراد أن ينقى ذلك البقيع من الشوك، فقال لابنه: يا بني، اذهب إلى البقيع ونقه واقلع شوكه. فلما ذهب ابنه وأبصر كثرة الشوك، سئم ومل، ونام. وبعد أيام كثيرة، أتاه أبوه لينظر ماذا عمل الغلام، فلما رآه لم يعمل شيئاً، قال له: حتى الآن لم تنق شيئاً؟ فقال الغلام: أحررك يا أباها، كلما عزمت على البدء في العمل، أبصر كثرة الشوك فأحزن، ومن كثرة الحزن كنت أضع رأسى وأنام. فقال أبوه: لا يكون الأمر هكذا يا بني، ولكن نق كل يوم قدر مفرشك فقط، قليلاً قليلاً. ففعل الغلام كما أمره أبوه، وداوم على ذلك حتى فرغ الشوك من ذلك البقيع. وأنت كذلك يا حبيبي، ابدأ بالعمل شيئاً فشيئاً ولا تضجر، والله بطبيعته ونعمته يرددك إلى سيرتك الأولى». فذهب ذلك الأخ وعمل وصبر كما علمه الشيخ فوجد نياحاً وأفلح. (س٤: ١٠٧ ظ) (An. 208)

٦٥٤ - قال شيخ: «احذر أن تصنع خطيئة هواك، لعلا تعادها فتصنعها بغير هواك، كالصلاح». وسئل: «كيف أسكن في دير بغير قلق»؟ فقال: «ذلك بأن تدع نفسك غريباً، ولا تطلب أن يكون لك فيه كلمة مسموعة، كما تقطع هواك ولا تخسب نفسك شيئاً». (س٥: ١٣٨ ظ)

٦٥٥ - كما سُئل عن الغربة، فقال: «هي الصمت، وترك الالتفات إلى الأمور». (س٥: ١٣٨)

٦٥٦ - قال أخ لشيخ: «إني أرى فكري دائمًا مع الله». فقال له: «الأعجب من هذا أن ترى نفسك تحت جميع الخليقة، فلا سقوط مع الاتضاع». (س٥: ١٣٨) (Abc.) (Sisoes 13

٦٥٧ - وسئل: «ما هو الاتضاع؟»؟ فقال: «أن تحسن إلى من أساء إليك،

وتisksك في جميع الأمور». (س: ٥ ظ) (An. 305, Chaîne 137)

٦٥٨ - قال أحد الشيوخ: «إذا صرنا في السلام غير مُقاولين فسيبُلنا أن نتضع كثيراً، لعلنا ندخل علينا فرحاً غريباً، فنفتخر وننسب ذلك إلى جهادنا ونتعظّم في أنفسنا فيترَكنا من عنايته، وُسلِّم إلى القتال فنسقط، لأن الله لأجل ضعفنا، مراراً كثيرة يرفع عنا القتال». (س: ٥ ظ) (Abc. Bessarion 9)

٦٥٩ - سأله الأنبا آمون الأنبا بيمين عن الأفكار النجسة التي تتولد في قلب الإنسان والحسينات البطالة، فقال له: «هل يقطع الفاسدُ بغير إنسانٍ يقطعُ به؟ فلا تحدث أنت هذه الأفكار وهي تبطل». (س: ٥ ج) (Abc. Poemen 15)

٦٦٠ - وسأله أيضاً أنبا إشعياً عن هذه المسألة فأجابه: «إن وضع إنسانٌ ثياب صوفٍ في صندوق ولم يتعاهدها، أكلتها العثة وهلكت، كذلك الأفكار إن لم تفعلها جسديانياً بطلت». (س: ٥ ج) (Abc. Poemen 20)

٦٦١ - وأيضاً سأله الأنبا يوسف بهذا الخصوص، فقال له: «كما أنه إذا دخلت حية أو عقرب في جراب، فإن ربطته ولم تدعها تدخل وتخرج فهي تموت مع طول الزمان، وإن تركته مفتوحة فهي تخرج وتؤذيك، كذلك الأفكار السوء التي تعرض لنا تبطل بالحراسة والصبر». (س: ٥ ج) (Abc. Poemen 21)

٦٦٢ - قال أخي لشيخ: «إن أصابني ثقلُ النوم أو فاتني وقتُ صلاة ثم انتهيتُ ولم تبسط نفسي للصلوة حزناً، فماذا أعمل؟»؟ فقال له: « ولو غمت إلى الصباح فقم وأغلق بابك واعمل قانونك، فالنبي داود يقول مخاطباً الله: لك النهار ولك الليل، وإلينا لكثرة جوده ورحمته في أي وقت دعى أحباب». (س: ٥ ج) (An. 230)

٦٦٣ - قال شيخ: «الذِي يَأْكُلُ كَثِيرًا وَيَقُومُ عَنِ الْمَائِدَةِ وَهُوَ جَائِعٌ، أَفْضَلُ مِنَ الْذِي يَأْكُلُ قَلِيلًا وَيَبْطِئُ أَمَامَ الْمَائِدَةِ حَتَّى يَشْبَعَ». (س:٥ ١٣٩ ج) (An. 231)

٦٦٤ - وقال آخر: «إِذَا رَأَيْتَ شَاباً يَصْعُدُ إِلَى السَّمَاءِ بِهَوَاهُ، فَشُدَّ رِجْلَهُ وَاطْرَحَهُ فَإِنْ هَذَا أَنْفَعُ لَهُ». (س:٥ ١٣٩ ظ) (An. 244, Chaîne 71)

٦٦٥ - كان أحد الرهبان المجاهدين إذا قالت له الشياطين في فكره: «ها قد ارتفعت وصرت كبيرةً»، كان يتذكر ذنبه قائلاً: «ماذا أصنع من أجل خطايدي الكثيرة؟». وإذا قالوا له: «لقد فعلت ذنوباً كثيرةً وما بقي لك خلاص»، يقول: «وأين رحمة الله الكثيرة؟»، فانهزمت عنه الشياطين قائلين: «لقد قهرتنا، إن رفعناك اتضعت، وإن وضعناك ارتفعت». (س:٥ ١٣٩ ظ)

٦٦٦ - أخبر أب أنه أبصر أربع مراتب مرتفعة في السماء، الأولى: مريض شاكر لله. والثانية: صحيح يضيف الغباء وينبع الضعفاء. والثالثة: منفرد في البرية مجتهد. والرابعة: تلميذ ملازم لطاعة أبيه من أجل الله. ووُجِدَ أن مرتبة التلميذ أسمى من المراتب الثلاث الأخرى، وزعم أنه سأله الذي أراه ذلك قائلاً: «كيف صار هذا هكذا وهو أصغرهم، فأصبح أكبرهم مرتبة؟» فقال: «إن كل واحد منهم يعمل الخير بهواه، وأما هذا فقد قطع هواء الله، وأطاع معلمه، والطاعة لأجل الله أفضل الفضائل». (س:٥ ١٣٩ ظ) (Abc. Rufus 2b)

٦٦٧ - قال شيخ لتلميذه: «وَيَحُّ لِي يَا ابْنِي، فَإِنِّي رَأَيْتُ إِذَا مَضَيْتُ بِاللَّيلِ إِلَى مَوْضِعٍ يُعْدِنِي مِنَ اللَّهِ، وَسَمِعْتُ صَوْتَ الْكَلَابِ، أَخْرَجَ لِسَاعِتِي فَرِعَا مِنْهَا، فَالْخَطَا الَّذِي لَا يَرْدُنِي عَنْهُ خَوْفُ اللَّهِ، رَدَنِي عَنْهُ خَوْفُ الْكَلَابِ». (س:٥ ١٣٩ ظ) (Lad I, 15a)

٦٦٨ - وقال أيضاً: «لَوْ أَنَا نَحْبُ اللَّهَ مَثَلَمَا نَحْبُ أَصْدِقَاءَنَا، لَكُنَّا مَغْبُوطِينَ، لَأَنِّي

رأيتُ من أحزن صديقة، فلم يجد هدوءاً حتى تجددت المودةُ بينهم بالمراسلة وبالاعتذار
وبالاستغفار وبالهدايا، أما الله فنغضبه بذنبنا ولا نكترث لذلك». (س: ٥ ظ) (Lad I, ١٣٩)

(15b)

٦٦٩

أبا تودري

٦٦٩ — قال شيخٌ: ذهنا مع إخوةٍ إلى ديرٍ خارج الإسكندرية على بعد خمسة عشر ميلاً، فلقينا أبا تودري، وقد كان رجلاً كثيراً التعب في الرهينة، ومعه موهبة الصبر، فحدثنا عن أخيه كان ساكناً في القلالي الكائنة خارج الإسكندرية، وكان قد اقتنى له موهبة البكاء، وفي يومٍ من الأيام أوجعه قلبه وجاءه بكاءً كثيراً، فلما رأى كثرة البكاء، قال لنفسه: «هذه علامة دالة على أن يوم موتي قد دنا»، فكان كلما تفكّر في ذلك، كان البكاء يزداد ويكثر كل يوم. فلما انتفعنا من حديثِ الشيخ سأله عن الدموع: «لأي سبب يا أباانا تأتي الدموع من نفسها مرةً ولا تأتي من نفسها مرةً أخرى؟»؟ فقال لنا الشيخ: «الدموع مثل المطر، والراهب مثل الفلاح، فينبغي له إذا أبصر المطر قد جاء، أن يحرصَ ألا يفوتَه شيءٌ منه، بل يصرفه كله إلى أرضه، حقاً أقول لكم يا بنائي إنه ربما يكون يوم واحدٌ مطر أخيرٌ من السنة كلها. فمن أجل ذلك، إذا رأينا المطر قد جاءنا، فلنحرص أن نحفظَ أنفسنا ونتفرغ إلى التضرع إلى الله دائماً، إذ لا ندري هل نجد يوماً آخرَ مثلَ اليوم الذي جاءنا فيه البكاء أم لا». فسألناه نحن أيضاً وقلنا: «أخبرنا يا أباانا كيف ينبغي للإنسان أن يحفظَ ذلك البكاء إذا جاء؟»؟ فقال لنا الشيخ: «من قبل كل شيءٍ، لا يتوجه ذلك الإنسان الذي يأتيه البكاء في ذلك اليوم، أو تلك الساعة، أو تلك السنة، إلى إنسانٍ، ويتحفظُ ألا يملأ بطنه وألا يستكرب في قلبه، ويُفضل أن يبكي وأن يتفرّغ للصلوة والقراءة، فإذا جاء النوح فهو يعلم الأمور التي تضره، والأمور التي تأتي

بـه». ثم إن الشيخ حدثنا وقال: «إِنْ أَعْرَفُ أَنْحَاً كَانَ جَالِسًا فِي قَلَّا تِيهِ يَعْمَلُ فِي الصَّفِيرَةِ، وَكَانَ الدَّمْوَعُ تَأْتِيهِ بِغَزَارَةٍ، فَكَانَ إِذَا رَجَعَ إِلَى الْعَمَلِ فِي الصَّفِيرَةِ، يَجْمِعُ عَقْلَهُ وَيَأْتِيهِ الْبَكَاءُ، حَقٌّ فِي الْقِرَاءَةِ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَخْدَى الْمَصْحَفَ جَاءَهُ الْبَكَاءُ، وَإِذَا تَرَكَهُ ذَهَبَ الْبَكَاءُ عَنْهُ، حِينَئِذٍ قَالَ لِنَفْسِهِ: حَسَنًا قَالَ الْأَبَاءُ، إِنَّ النُّورَ هُوَ مَعْلُومٌ، يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ كُلُّ شَيْءٍ يَنْفَعُ نَفْسَهُ» (س ٤: ١٠٨ ظ)

٦٧٠

٦٧٠ - مضى أخ إلى الأب سلوانس وأخبره بأن له عدواً قد كثراً شره، وقد سأله السحرة في إهلاكه، وأنه يريد أن يسلمه إلى السلطان ليؤديه وتتفنن نفسه. فقال له الشيخ: «اعمل ما شئت». فقال الأخ: «اصنع لي صلاة». فقام الشيخ ليصلّي، ولما بلغ إلى قوله: «اغفر لنا يا رب خطايانا كما نغفر لمن أخطأ إلينا»، قال: «لا تغفر لنا يا رب خطايانا، كما لا نغفر لمن أخطأ إلينا». فقال الأخ: «لا تقل هكذا يا أبي». فأجابه الشيخ: «إذا كنتَ تريده أن تنتقمَ من أساء إليك، فهذا ما يجب أن يقال يا ولدي وهكذا يكون». فصنع الأخ مطانة وصفح عن عدوه. (س ٥: ١٤٠ ج) (Abc. Sisoës 1)

٦٧١ - فسر أحدُ الشيوخ قولَ الله: «عَلَى خَطَبَتِينَ وَثَلَاثَ خَطَابِيَا صَبُورٌ، وَأَمَا الرَّابِعَةِ فَلَا أَحْتَمِلُ». فقال: «الأولى هي التفكير في الشر، والثانية هي الخضوع للتفكير، والثالثة هي التحدث باللسان، والرابعة هي إتمام الفعل، وعن هذه يتنتقم». (س ٥: ١٤٠ ج) (An. 360, Chaîne 197)

٦٧٢ - قال شيخ: «إِنْ مَنْ يَحْبُّ السَّكُوتَ يَنْجُو مِنْ سَهَامِ الْعُدُوِّ، أَمَّا الَّذِي يَحْبُّ الجَمَاعَاتِ فَإِنَّهُ يُصَابُ بِحَرَاجَاتٍ كَثِيرَةٍ». (س ٥: ١٤٠ ج) (Abc. Nilos 9)

٦٧٣ - كان إنسان يريد أن يترهب، وكانت أمّه تمنعه، ولم يزل يلح عليها قائلاً أريد أن أخلص نفسي، حتى توفيت أمّه بعد قليل، فمضى وترهب، وصار متوانياً في

رهبنته. فحدث أن مَرِضَ جدًا، وُخْطَفَ عَقْلُهُ إِلَى مَوْضِعِ الدِّينُونَةِ، فرأى أَمَّهُ مَعَ الَّذِينَ يُدَانُونَ، وَلَا رأَتِهِ قَالَتْ: «مَا هَذَا يَا وَلَدِي، وَكَيْفَ جَهَّتَ إِلَى هَا هُنَا، وَأَيْنَ قَوْلُكَ: أَرِيدُ أَنْ أَخْلُصَ نَفْسِي؟»؟ فَبَقَيَ حَائِرًا وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَجِيئُهَا^(٧٦). فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَامَ مِنْ مَرْضِهِ، وَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ الرَّحُومَ قَدْ افْتَقَدَهُ وَنَبَهَهُ، فَجُبِسَ ذَاتُهُ فِي قَلَّاْيَةِ، وَجَلَسَ يَهْتَمُ بِخَلَاصِ نَفْسِهِ بِالْتَّوْبَةِ، وَالْبَكَاءُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ تَوَانِيهِ، حَتَّى كَانَ الْآبَاءُ يَطْلَبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْفَّ عَنِ الْبَكَاءِ قَلِيلًاً، فَكَانَ يَجِيئُهُمْ: «إِنْ كُنْتُ لَمْ أَحْتَمِلْ تَعْبِيرَ أُمِّي، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالِي إِذَا وَقَتُ قَدَامَ الْمَسِيحِ بِحَضْرَةِ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ الدِّينُونَةِ. أَيُمْكِنُنِي أَنْ أَحْتَمِلَ ذَلِكَ الْخَزْرَى الْمَعْدُ لِلْخَطَّاءِ؟»؟

(س:٥ ظ) (An. 135, Chaîne 1, Pach. fr. Pachomius III)

٦٧٤ - قال شيخ: أراد إنسانٌ موسر أن يعلم أولاده النشاط، فقال لهم: «هل تعلمون كيف صرتُ غنياً؟ إن سمعتم مشورتي استغتitem مثلّي». فسألوه عنها، فقال لهم: «في كل سنة يوجد يوم من أيامها كل من عمل فيه باجتهاد استغنى، إلا أني لشيخوختي قد نسيت أي يوم هو، فلا تتوانوا أنتم في العمل كل يوم، لثلا يفوتكم العمل في ذلك اليوم المبارك، فيضيع تعكم في السنة كلّها». ثم قال الشيخ: «هكذا نحن أيضاً لسنا نعرف يوم وفاتنا، فإن توانينا حين وفاتنا، فاتنا مقصداً وضاع كلّ علينا، وإن اجتهدنا إلى الآخر وجدنا ملكوت السماوات». (س:٥ ظ) (Bu. I, 390)

٦٧٥ - وقال آخر: «كما أن الكثر إذا ظهر نقص، كذلك الفضائل إذا

^{٧٦} يضيف النص اليوناني هنا فقرة غير موجودة في النص العربي من البستان المطبوع سنة ١٩٥١، ولا في المخطوطات ولا في النص القبطي الصعيدي: ثم سمع صوتاً يقول: خذوا هذا من هبنا، فلقد أرسلتكم لراهب آخر له نفس الاسم وهو في الدير الفلاي. وعندما انتهت الرؤيا، رجع إلى نفسه وأخبر الحيطين به بما رأى. ولذلك يؤكد لهم صحة كلامه، أرسل أحد هم إلى الدير الذي سمع اسمه في الرؤيا ليرى هل مات الراهب الذي كان يعنيه الأمر. فذهب المرسل ووجد كما قال لهم.

اشتهرت وعُرِفت تبَيَّد كُلُّها، وكما يذوب الشمع من أمام وجه النار، كذلك تسترخي النفس وقُلْكَ وينقطع نشاطها من مدحِّن الناسِ». (س٥: ١٤١ ج) (Bu. I, 362)

٦٧٦ - كان أحد الإخوة يرى نعمة الله على الهيكل، فلما قال لأخيه: «لَمْ تأكل مبكرًا؟» ارتفعت ولم يرها بعد. (س٥: ١٤١ ج) (An. 255b)

٦٧٧ - أخبر أحد الآباء إنه كان ساكناً بالقرب من أخ عَمَّال مع الله، فاعتراه توانٌ وكسلٌ، وبعد مدة اتبه من توانيه ولام نفسه قائلاً: «يا نفسي، إلى متى تتوانين عن خلاصتك؟ أما تخافين من دينونة الله يا شقيه وأنت في مثل هذا التوانى، فتُسلِّمين للعذاب الدائم؟» فلما تفكَّر في مثل هذا، أهضَّ نفسه في عمل الله. ففي بعض الأيام وهو واقفٌ يصلِّي، أحاطت به الشياطين وعدَّته، فقال لهم: «إلى متى تؤذوني؟ أما كفى ما قاسيته في زمامي من التوانى؟» فقالت له الشياطين: «لما كنا نراك متوانياً، كنا متوانين عنك، ولما رأيناك قمت وبحرت لنا، فمنا نحن أيضاً عليك، فقتلَّ ما يأتيك». فعندما سمع ذلك، أخذته غيرةً، وازداد نشاطاً وحرارةً في عمل الله. وبنعمَة الله حصل على الغلبة. (س٥: ١٤١ ج)

٦٧٨ - كان شيخ قديس له عادة إذا جلس في عمل يديه ينظر إلى الأرض، ويجمع عقله ثم يحرك رأسه ويقول بتهديه: «ترى ماذا يكون؟» ثم يسكت قليلاً ويرجع إلى عمله في الصفيرة، ثم يعيد القول، وهكذا استمر على هذه الحال جميع أيام حياته. (س٥: ١٤١ ج) (An. 531)

٦٧٩ - أخٌ أغلق على نفسه باب قلاته زماناً يسيراً، فقاتلته أفكارٌ مكتومة وأحلامٌ سمحجة، فأراد الامتناع عن شرب الخمر، فبعث إلى شيخ قديس يستشيره في ذلك، فأجابه الشيخ قائلاً: «إن كنت تريدين أن تخلص فاهربي من شيطان العظمة، واجعل لك

قليلٌ محقرةٌ لأن المحرقةَ تهلك العظمةَ وتبعدها، ولا تدع أحداً يخدمك، بل اخدم أنت نفسك، وأنت تخلص بمعونة الله، والآن فلا تغلق البابَ الخشب، بل بالحري أغلق بابَ لسانِك». (س: ٥ ظ) (An. 632)

٦٨٠ — قال شيخ: «إذا كنتَ جالساً في قلاليتك بسكتٍ، فلا تظن أنك تفعل أمراً كبيراً، بل افتكر أنك كلبٌ عَقُور مسجون، كيلا تبصر الناسَ فتعقرهم». (س: ٥ ظ) (١٤١)

٦٨١ — قال أحدُ الشيوخ: «عوْد نفسك يا ابني عندَ كلامك عن الرهبانَ أن تقول: إن هذا أَخْيَرُ مني، وهذا أَحْرَصُ مني في رهبانيته، وهذا أَبْرُ مني. على أن تقول ذلك بنية صادقةٌ من كُلّ قلبك، لأن ذلك يجعلك تنظر ذاتك تحتَ الخليقةَ كُلُّها، وحيثُنَذِ يسكنُ فيك روحُ الله، أما إن كنتَ تزدرى بآياتِك وتحقرُهم وتَعْدُ نفسك شيئاً و تستكير، فإن نعمة الله تبعد عنك، وَتُسْلِمُ إلى دنسِ الجسدِ الذي يقسّي قلبك مثل الحجر». (س: ٥ ظ)

٦٨٢ — قال أحدُ الشيوخ: «إذا كان الراهبُ حريصاً مجاهاً، فإن الله يطلب منه ألا يرتبط بشيءٍ من أمورِ هذه الدنيا، لثلا يشغله ذلك عن ذِكرِ ربِّه، وعليه أن يطلب إليه بلحاجةٍ وبكاءٍ ليغفرَ اللهُ خططياته». (س: ٥ ظ)

٦٨٣ — وقال شيخ: «كُلُّ من ذاق حلاوةَ المسكنةِ، فإنه يستشقُ ثوبَه الذي يلبسه وكُوزَ الماءِ الذي يشرب به، لأن عقلَه قد اشتغل بالروحانيات. فإذا ما ارتبط الراهبُ بالدنيا وما فيها، وصنعَ هواه، فإن جميعَ تعبِه يذهبُ باطلًا». (س: ٥ ظ) (PE, IV, 17,10)

٦٨٤ — وقال أيضاً: «الجوعُ والتعبُ يُطْلَان قتالَ الزنى، وطولُ الروحِ والرحمةُ

يهدّئان الغضبَ، وقراءةُ الكتبِ والسهرُ في الصلاةِ يجمعان العقلَ الطوافَ». (س: ٥)

(ج ١٤٢)

٦٨٥ - قال شيخ: «كُلُّ من يحاربه إيليس وجنوده بالقتال، وهو لأجل ذلك ينوح ويُسكي ساهراً، طالباً معونة الله، فهو يُستجابُ، لأن السهر يُحلُّ الخطيئة، والبكاء يغسلُ الذنوبَ». (س: ٥ ١٤٢)

٦٨٦ - كما قال شيخ: «إن المدوع هو أول زكاؤه النفس، لأن اللسان حيشد لا يتكلم بكلام الناس، والعينين لا تنظران الجمالَ والحسنَ المنحرف عن الواجب، والأذنين لا تسمعان الأصوات اللذيدة التي ترخي قوة النفس، مع كلام الضحك واللعب، والقلب لا يتبدل بالعلل البرانية، ولا الحواس تنصبُ إلى العالم، ولكنها يرفع نفسه ويهتم بالله».

(س: ٥ ١٤٢ ج)

٦٨٧ - كان شاب^(٧٧) في المدينة قد صنع شروراً كثيرةً، وكان منغمساً في الخطايا، وبرحمة الله، أحسَّ بعد ذلك بكثرة خطاياه، فحبس نفسه في قبرٍ لكي ما يتوب عما صدر منه، وطرح وجهه على الأرضِ وهو يقول: «لا ينبغي لي أن أرفع نظري إلى السماءِ لكتلة خطاياي، ولا أن أذكر اسمَ الله بفمي النحس، ولا أن أصلِّي». وكان يقول في نفسه: «إني لا أستأهل السُّكينة مع الناسِ الأحياء، ولكن مع الموتى». فحبس نفسه في القبرِ وهو يائسٌ من الحياةِ، وكان يتنهَّد من وجع قلبهِ، فلما انقضى أسبوعٌ وهو على هذه الحال، أتاه بالليلِ أجنادُ الشياطين وهم يصيحون قائلين: «أين ذلك النحس الذي لم يشبع من الدنس، هل يريد الآن أن يصير نصراينياً؟ لا تطلقْ بعجلة من ه هنا، لأن الزناةَ والخمارين أصحابك يتوقعون حضورك إليهم، فاطرح عنك هذا الأمرَ البطل».

^{٧٧} هذه القصة رواها القديس يوحنا الأسيوطى حسب كتاب Historia Monachorum.

فما الذي يحملك على أن تقتل نفسك أيها الأرعن، إنما أنت بحملتك لنا وقد وهبت لنا حياتك بعهود، فأنت مدين لنا، لماذا هرب منا؟ لا تردد علينا جواباً؟ لا تقوم وتذهب معنا؟ أمّا هو، فمن وجع قلبه لزم السكوت، فلما كثُر عليه الكلام ولم يجدهم، حيئذ بدأوا يضربونه، واستمرروا يضربونه حتى مزقّوا جسده، فلم يستطع أن يتحرك، كما لم يقدروا أن يُزيغوه عن فكره الصالح. فتركوه مثل ميتٍ وانصرفو وهو في تنفس شديد مسلماً نفسه لله، ثم أن أهل بيته خرجوا يطلبونه، فلما وجدوه سأله عن أمره، فأخبرهم بما حلّ به، فأرادوا أن يأخذوه معهم، فامتنع. وفي الليلة التالية، عاد إليه الشياطين، وضربوه، ولما كانت الليلة الثالثة، أتوه أيضاً وضربوه حتى بقي فيه قليلٌ نفسيٌ، فلما رأى الله انكسار قلبه، منعهم عنه، فهربوا وهم يقولون: «قد غلبتنا». ولم يعودوا إليه بعد ذلك، فسكن في ذلك القبر بقية حياته بالزكاوية، واقتني رهبةً فاضلةً، وصار سبباً لرجوع خطأ كثرين إلى التوبة».

(Hist. gr. I, 37-43) (س: ١٤٢ ج)

٦٨٨ - قال شيخ^(٧٨): «الاتضاع هو شجرة الحياة، التي لا يموت أكلوها».

(Bu. I, 513a, Chaîne 122) (س: ١٤٢ ظ)

٦٨٩ - وقال أيضاً: «تشبه بالعشاري، لثلا ثدان مع الفريسي».

(Abc. Syncletique 11)

٥٥ +

الراهب وقتال الزنى

٦٩٠ - قُوْتَل أخْتَان بالرَّبْنِي، فانطَلَقا إِلَى الْعَالَمِ وَتَرَوْجَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَدَمَا وَقَالَا
أَحَدُهُمَا لِلآخرِ: «مَاذَا رَبِحْنَا، لَقَدْ تَرَكَنَا عَمَلَ الْمَلَائِكَةِ وَجَنَّنَا إِلَى هَذِهِ النِّجَاسَةِ، وَمَصِيرُنَا

^{٧٨} هو الأب إيرنخيوس حسب النص القبطي الصعيدي.

بعد ذلك أن نقضى إلى جهنم النار. لنرجع إلى البرية ونُثُبْ». فرجعوا إلى البرية، وأتيا إلى الشيوخ وسألوا هم أن يطلبوا إلى الله من أجلهما. فأمروهما أن يحبسا نفسيهما سنة واحدة ويقتربا إلى الله كي يتحسن عليهما. وكانوا يعطونهما خبزاً وماء بالتساوي. فلما انقضى زمان توبتهما وخرجوا من حبسهما، أبصر الشيوخ أحدَهُما متغير الوجه معبِّساً، وأبصروا الآخر حسن المنظر باشأ، فعجب الآباء من ذلك، لأن حبسهما وطعامهما كان واحداً. ولكن منظراًهما ليس بوحدٍ. فسألوا المتغير الصورة: «ماذا كان تفكيرك أثناء مدة حبسك؟»؟ فقال: «كنت أتذكر الشرور التي عملتها، والعقاب المعدلي، ومن شدة فرعى لصق لحمي بعظمي». ثم سألاه الآخر: «وأنت ماذا كنت تفكّر وأنت جالس في حبسك؟». فقال: «كنتأشكر الله الذي خلصني من نحس العالم ومن العذاب الدائم، وأنعم علىي بأن أعمل عمل الملائكة، وعلى ذلك كنت أفرح». فقال الشيوخ: «إن توبة كلِّيَّهما واحدة عند الله». (س: ٥ ظ) (An. 186)

٦٩١ - أخ من الرهبان قُوْتُلَ بالزنى، فقام بالليل وذهب إلى أحد الشيوخ وكشف له سره، وسأله أن يصلّي من أجله، فعزاه الشيخ وشجّعه. ولما رجع الأخ إلى قلابته، اشتد عليه القتال، فرجع ثانية إلى الشيخ، وفعل ذلك مراراً، وكان الشيخ في كلّ مرة لا يحزنه، ولكنه كان يكلّمه بما فيه منفعة نفسه قائلاً: «كلما قاتلك هذا الشيطان تعالى وبعّ به فإنه ليس شيء يُبعد شيطان الزنى مثل إظهار أفكاره وأعماله وفضائحه، وليس شيء يفرّحه غير كتمان ذلك». تردد ذلك الأخ على الشيخ في تلك الليلة إحدى عشرة مرة، وهو يكشف له أفكاراً. أحيراً قال: «قُلْ لي يا أبي كلمة؟»؟ فقال له الشيخ: «ثق يا ابني لو أن الله يدع فكري وقاتلني وقفأ عليك لما احتملت، ولكنك أنت تسقط بالأكثر إلى أسفل». فلما قال الشيخ هذا الكلام باتضاع، كفَ الله القتال عن الأخ. (س: ٥)

(An. 164 ج)

٦٩٢ - قيل عن أخِي كان ساكناً في ديرٍ إنه من شدة القتال كان يسقط في الزنى مراراً كثيرةً. فمكث يُكره نفسه ويصر بـ كيلا يترك إسكتيم الرهبة، وكان يصنع قانونه وساعيَه بحرصٍ، ويقول في صلاته: «يا ربُّ أنت ترى شدة حالي وشدة حزني، فانتشلي يا ربُّ إن شئت أنا أم لم أشاء، لأني مثل الطين، أشتاقُ وأحبُ الخطية، ولكن أنت الإله الجبار أكْفُنِي عن هذا النجس، لأنك إن كنت إنما ترحم القديسين فقط فليس هذا بعجيبٍ، وإن كنت إنما تخلص الأطهار فما الحاجة، لأن أولئك مستحقون، ولكن في أذا غير المستحق يا سيدِي أَرِ عجب رحمتك لأنك أسلمتُ نفسي». وهذا ما كان يقوله كل يوم، أخطأ أو لم يخطئ، فلما كان ذات يوم وهو دائمٌ في هذه الصلاة، أن ضهر الشيطان من حُسن رجائه ووقداحته المحمودة، فظهر له وجهاً لوجه وهو يرتل مزاميره، وقال له: «أما تخزى أن تقف بين يدي الله بالجملة وتسمى اسمه بغمك النجس؟»؟ فقال له الأخ: «أَلسْتَ أنت تضربُ مرزبَةً وأنا أضربُ مرزبَةً؟ أنت توقعني في الخطية، وأنا أطلب من الله الرحوم أن يتحسن عليّ، فأنا أضاربك على هذا الصراع حتى يدركني الموت، ولا أقطع رجائي من إلهي، ولا أكف من الاستعداد لك، وستنظر من يغلب: أنت أو رحمة الله». فلما سمع الشيطان كلامه قال: «من الآن لا أعود إلى قتالك، لئلا أسبب لك أكاليل في رجائك ياهلك». وتنحى الشيطان عنه من ذلك اليوم، ورجع الأخ إلى نفسه وأخذ ينوح ويسكي على خطاياه السالفة، فإذا كان الفكر يقول له: «نعمًا لأنك تبكي». فكان يحب فكره بذكر خطاياه. وإذا قال الفكر له: «أين تذهب لأنك فعلت خطايا كثيرة»، يقول: «الربُّ يفرح بحياة الميت وجود الضال». (س: ١٤٣ ظ)

٦٩٣ - سُئل أبا بيمين: «ما هي التوبة؟»؟ فقال: «الإقلاع عن الخطية وأن لا يعاود فعلها، لأنه لذلك دُعِي الصديقون لا عيب فيهم، لأنهم أقلعوا عن الخطية فصارا صديقين». (س: ١٤٤ ج) (Abc. Poemen 120)

٦٩٤ - سُلَّمَ أَخُو الْأَبِ شِيشِيُّو قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلْ يَا أَبْتَاهُ، فَقَدْ سَقَطَتْ؟»؟ قَالَ لَهُ الشِّيْخُ: «الْهُنْسُ أَيْضًا». قَالَ الْأَخُ: «هُنْسَتْ وَرَجَعَتْ وَقَعَتْ». فَأَجَابَهُ الشِّيْخُ: «الْهُنْسُ أَيْضًا». فَقَالَ الْأَخُ: «إِلَى مَنْ أَيْهَا الْأَبُ؟»؟ قَالَ لَهُ: «إِلَى أَنْ تُؤْخَذَ، إِمَّا فِي الْخَيْرِ وَإِمَّا فِي السَّقَطَةِ، لَأَنَّ الْإِنْسَانَ فِيمَا يَوْجَدُ فِيهِ يُؤْخَذُ». (س: ١٤٤ ج) (Abc. Sisoes 16)

٦٩٥ - قَالَ الْأَبُ أَمْوَسُ: «سَتَّةُ دُرُوبٍ تَوَجُّدُ لِلتُّوبَةِ: ذُمُّ الْخَطَايَا وَالْإِلْقَالَعُ عَنْهَا، إِلْقَارُهَا، النَّدَامَةُ عَلَيْهَا، الصَّفْحُ عَنْ خَطَايَا الْقَرِيبِ، تَرْكُ دِينُونَةِ الْمُخْطَبِيْنِ، وَتَمْسِكُ الْقَلْبِ». (س: ١٤٤ ج)

٦٩٦ - قَالَ أَحَدُ الشِّيْخِ: «أَحْرَصَ بِكُلِّ جَهْدِكِ لِثَلَاثَ تَسْقُطٍ، لَأَنَّ الْوَقْعَ لَا يَلِيقُ بِالْمُجَاهِدِ الْقَوِيِّ، فَإِنْ عَرَضَ لَكَ أَنْ تَقْعُ، لِلْوَقْتِ اطْفَرُ وَاسْتَمِرَ أَيْضًا فِي الْجَهَادِ، وَلَوْ عَرَضَ لَكَ ذَلِكَ رِبَوَاتٍ مِنَ الْمَرَاتِ لِتَرْبَحَ النِّعْمَةَ رِبَوَاتٍ مِنَ الدَّفَعَاتِ. وَلِيَكُنْ ذَلِكَ، أَعْنِي نَهْوَضَ وَالْقِيَامَ، إِلَى حِينِ مَوْتِكَ، لَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: إِنْ سَقَطَ الْبَارُ سَبْعَ مَرَاتٍ، يَعْنِي طُولَ الْدَّهْرِ السِّبْاعِيِّ، فَإِنَّهُ يَقْوِمُ سَبْعَ دَفَعَاتٍ، إِنْكَ تُحْسَبَ مَعَ الْقَائِمِينَ مَا دَمْتَ مُسِكًا بِسَلاحِ التُّوبَةِ بِدَمْوعِ. فَتَذَرَّعُ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّكَ وَإِنْ سَقَطْتَ، فَإِنْكَ تُمَدَّحُ بِالْأَكْثَرِ مَا دَمْتَ مَلَازِمًا لِلرَّهَبَانِ، مَثَلًا جَنْدِي شَجَاعٍ يَقْبِلُ الضَّرَبَاتَ مَوْاجِهًةً. حَتَّى وَلَا فِي حَالِ ضَرِبِهِمْ، إِيَّاكَ أَنْ تَتَرَاحَى وَتَتَبَاعِدَ، وَلَكِنْ إِنْ انْفَصَلْتَ عَنِ الرَّهَبَانِ فَإِنْكَ تُضَرِّبُ عَلَى ظَهِيرَكَ كَهَارِبٍ جَبَانٍ طَارِحٍ سَلَاحَهُ». (س: ١٤٤ ج)

٦٩٧ - قَالَ شِيْخٌ آخَرُ: «إِنِّي رَأَيْتُ قَوَّةَ النِّعْمَةِ الإِلَهِيَّةِ الْحَالَةَ فِي عَمَادِ النُّورِ، هِيَ كَمَا هِيَ، حَالَةٌ فِي وَقْتِ التَّسْرِيبِ بِالزَّرِيِّ الإِسْكِيَّمِيِّ (Chaîne 202)، أَمَّا الَّذِي يَطْرُحُ عَنْهُ زَيِّ الرَّهِبَنَةِ فَلَا حَظَّ لَهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ يُرَبِّ مَعَ جَاحِدِيِّ الْإِيمَانِ، وَيُعَاقَبُ، مَنِ لَمْ يَتَبَّعْ اللَّهَ تُوبَةً بِالْحَقِّ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ». (س: ١٤٤ ظ) (An. 365)

٦٩٨ - قيل عن آخر إنه وقع في تجربة، ومن الشدة ترك إسكييم الرهبة، لكنه رجع وندم، وأراد أن يبدأ في تدبيره الأول، فساعدته الرب ولم يتركه حتى خلص من مناصبة العدو. (س: ٤٤ ظ) (An. 208)

٦٩٩ - في بعض الأوقات، قامت سفينة من ديولقون^(٧٩)، ورمتها الرياح إلى بعض الجبال حيث كان هناك رهبان، فخرجت امرأة من السفينة، وجلست على الشاطئ فوق تل من الرمل، واتفق حينئذ أن جاء أحد الرهبان ليملأ حرجه، فأبصر المرأة، فرمى الجرة وعاد مبادراً إلى رئيس الدير وقال: «يا أبا تاه عند النهر امرأة جالسة». فلما سمع الشيخ قوله، خفق قلبه، ثم أخذ عصاه وخرج بسرعة وهو يصيح قائلاً: «أغيثوني، فقد جاءنا لصوص أشرار». فلما أبصروا ازتعاج الشیخ لحقوا به حاملين عصيهم إلى النهر، فلما رأى النوتية قدومهم عليهم هكذا، خطفوا المرأة من فوق التل بسرعة، ووضعوها في السفينة، وقطعوا حبل السفينة وترکوها منحدرة في جريان النهر. (س: ٤٤ ظ)

٧٠٠ - قال أبا إيليا السائح: إنه كان في مغارة في أحد الجبال، فلم يأت نصف النهار في شدة الحر في شهر أغسطس، حتى قرع إنسان على مغارته، فخرج وأبصر امرأة، فقال لها: «ماذا تصنعين هنا؟» قالت له: «أنا بقربك في مغارة على ميل واحد، أسيء سيرتك، وفيما كنت أدور في البرية عطشت من شدة الحر، فاصنع محبة يا أبي واسقني قليلاً ماء». ثم قال: «فسبقيتها وأنخليت سبيلها، فلما انصرفت تلقيت قاتل الزين، فهزمت له، وأخذت عصاي ومضيت سائراً إلى مغارتها في ساعة حر صعب، فلما دنوت من

^{٧٩} مدينة ديولкос Diolcos كانت في جزيرة بين البحر والليل (عند بحيرة المثلجة)، وكان هناك رهبان يعيشون على جزء من هذه الجزيرة (Amélineau, p. 147). ترد في المخطوطات ديولقون، لكنها جاءت في البستان المطبوع عام ١٩٥١ ديولقون.

مغارتها والشهوةُ تلهبُني، سَهُوتُ الأرضَ قد انفتحت وظهر من تحتها أجسادُ موتى كثرين مُنتنةً جدًا، وكان إنسانٌ هُيِّرِيني تلك الأجسادَ ويقول لي: إلى أين أنت ذاهبٌ يا راهب، وماذا تريدين؟ هلم الآن وانظر أجساد هذه النسوة التي كانت حسنة الصورة كيف صارت رائحتهم، فاشفِ الآن شهوتك من أيّها شئت، وأبصر كم من الأتعابِ تريدين أن تُضيئَ من أجلِ هذه الشهوةِ المتناثلة، وتحرم نفسك مُلكَ السماءِ. ومن شدةِ رائحةِ النَّنَّ وقعتُ على الأرضِ، فأقامني ذلك الرجلُ، وأزال عني القتالَ، ورجعتُ إلى مغارتي أسبَحُ الله وأحمدُه على خلاصي». فانظروا يا إخوتي كيف أن القربَ من النساءِ هو مُهلكٌ، ويسببُ القتالَ حتى للرجالِ الأبرارِ المتعين بالنسكِ طول أيامهم.

(س: ٥٤٥ ج)

٧٠١ - أخير أحدُ الشيوخِ: إنه في بعضِ الليالي، في أثناءِ صلاته وهو في البريةِ الجوانية، سمع صوتَ بوقٍ يضربُ ضرباً عالياً، كمثل ما تُضربُ أبوابُ الحربِ، فتعجبَ متفكراً بأن البريةَ مقرفةٌ وليس فيها آدميٌّ، فمن أين صوتُ البوقي في هذه البريةِ، أُثْرِيَ حربٌ ها هنا؟ وإذا بالشيطان قد وقف مقابلَه وقال بصوتٍ عالٍ: «نعم يا راهب، حربٌ هي، إن شئت فحارب، وإلا سلم لأعدائك». (س: ٥٤٥ ظ)

٧٠٢

٧٠٢ - سُئلَ شيخُ: «كيف يقتني الراهبُ الفضيلة؟» فأجاب: «إن شاءَ أحدُ أن يقتني فضيلةً، إن لم يعُفْتَ أولاً الرذيلةَ التي تضادُها فلن يستطيعَ أن يقتنيها. فإن شئتَ أن يحصلَ لك النوحُ فامقتِ الضحكَ. وإن آثرتَ أن تقتني التواضعَ فابغضِ الكبرياءَ. وإن أحببتَ أن تضبطَ هواك فامقتِ الشرَّ والتحريفَ في الأشياءِ. وإن شئتَ أن تكونَ عفيفاً فامقتِ الفسقَ. وإن شئتَ أن تكونَ زاهداً في المقتنيات فامقتِ حبَّ الفضةِ. ومن يريدهُ أن يسكنَ في البريةِ فليمقدِّمَ المدنَ. ومن يشتهي أن يكونَ له سكوتٌ، فليمقدِّمَ الدالةَ. ومن

أراد أن يكونَ غريباً من عاداتهِ فليغضِّن التخليلَ. ومن يريد أن يضيّطَ غضبهِ فليغضِّن مسيئتهِ. ومن يريد أن يضيّطَ بطيءهِ فليغضِّن اللذاتِ والمقامَ مع أهلِ العالمِ. ومن أراد عدمَ الحقدِ فليغضِّن المثالبِ. ومن لا يقدر أن يكابدَ الهمومَ فليسكنْ وحدهُ منفرداً. ومن يريد أن يضيّطَ لسانهِ فليسدْ أذنيهِ لثلا يسمعْ كلاماً كثيراً. ومن يريد أن يحصل على خوفِ اللهِ، فليمِّقْ راحةَ الجسدِ ويحبُّ الضيقَةَ والحزنَ. فعلى هذه الصفةِ يمكنكَ أن تعبدَ اللهَ بإخلاصٍ». (س: ٥٤٥ ظ) (J 744)

٧٠٣ — قال شيخ: «أشرفُ أعمالِ الرهبةِ أنْ يُحرّكَ الإنسانُ نفسهِ دائماً، ويردُّ اللومَ عليها». (س: ٥٤٦ ج)

٧٠٤ — وقال أيضاً: «البابُ إلى اللهِ هو الاتضاع و منه دخل آباءُنا إلى الملوكِ بعنيمةٍ عظيمةٍ». (س: ٥٤٦ ج) (Bu. I, 510)

٧٠٥ — وقال أيضاً: «إنَّ الذي يخاصمهُ أخوه ولا يحزن قلبه، فقد تشَبَّهَ بالملائكةِ، فإنَّ خاصمهُ هو أيضاً ثم رجع صالحهِ من ساعتهِ فهذا هو عمل المجاهدين. فأما الذي يُحزن إخوته ويحزن منهم ويُمسك الحقدَ في قلبهِ، فهذا مطيعٌ للشيطانِ مخالفٌ للهِ، ولا يغفر لهُ اللهُ ذنبهِ إذا لم يغفر هو لإخوتهِ». (س: ٥٤٦ ج)

٧٠٦ — وقال أيضاً: «كما أنَّ الذي يُصْفِي الذهبَ، إذا كان يُحْمِي النارَ ويشعلها حيناً ثم يخمدتها ويطفئها حيناً آخر، لا ينتفع، كذلك الراهب إذا كان يحرص مراتٍ ويسترخي أخرى». (س: ٥٤٦ ج) (QRT 40, PE IV 8,2,3)

٧٠٧ — قال شيخ: «إنَّ إبراهيمَ أول دخولهِ أرضَ المعادِ اشتري قبراً، فورَثَ هو وزرْعُهُ الأرضَ بكمالها، هكذا الذي يتحذَّلُ لهُ من هذا العالمِ بيتأمِّلُ موتِهِ، ويحزن فيهُ على نفسهِ، فإنه يرثُ أرضَ الحياةِ». (س: ٥٤٦ ظ) (Abc. Poemen 50)

٧٠٨ - قيل عن أحد الشيوخ: إنه كان رجلاً فاضلاً وديعاً كثيراً الحبُّ. ولم يفكِر في الشرِّ أصلًا، وحدث مرةً أنَّ أحد الإخوة سرقَ زنابيلَ وحملها وأودعها عنده ولم يعلم الشيخُ بسرِّها، فبعد أيامٍ عرفت الزنابيل، فاثئتم الشيخَ بسرقةِها، فلما ائتهم أنه السارق، سجد مطانيةً وقال: «اغفروا لي يا إخوتي من أجلِ الله فأتوب من هذه الدفعـة الواحدة». وصار يبكي، فلما نظر الإخوة بكاءه تركوه، وبعد أيامٍ قلائل جاء الأخُ الذي سرق الزنابيل، وأنشأ خصومةً مع الشيخَ قائلاً: «أنت سارق»، وقد سرقتَ زنابيلَ فلان». فسجدَ الشيخُ بين يديه قائلاً: «اغفر لي يا أخي كما غفر لي بقيةُ الإخوة». وكان هذا الشيخُ دائمًا إذا غلطَ أخْ وأنكرَ غلطَته، يسجدُ هو قائلاً: «اغفروا لي يا إخوتي هذه الغلطة». وكان كلامُه على الدوام مبدؤه واتضاع وسكتينةً، ولم يخاصم أحداً قط، ولا سببَ وجعَ قلبَ لأحدٍ قط في وقتٍ من الأوقاتِ حتى ولو بكلمةٍ صغيرةٍ. (س: ٥، ١٤٦) (Bu. I, 216)

٧٠٩ - قيل عن شيخٍ آخر إنَّه في وقتٍ أتاهم اللصوصُ وقالوا له: «جئنا لأخذ جميعَ ما في قلابِتك»، فقال لهم: «خذلوا ما شئتمُ أيها الأولاد». فلما أخذلوا جميعَ ما وجدوه مضموناً ونسوا مخللةً مستورَةً بخصوصٍ، فلما نظرها الشيخُ أخذلها وخرج ينظر وراءهم وهو يصبحُ ويقول: «يا بنيَّ، خذلوا ما قد نسيتم». فلما رأوا ذلك منه عجبوا من دعته وسلامةِ قلبهِ، وردوا كلَّ ما أخذلوا إلى قلابِته. وقال بعضُهم لبعضٍ: «يحقُّ إنَّ هذا رجلَ الله»، وكان ذلك سبب توبتهم وتركهم ما كانوا عليه من اللصوصية. (س: ٤) (Abc. Euprepios 2) (ج) ١١٣

٧١٠ - ذكروا عن أحد الإخوةِ أنه كان مجاوراً لشيخٍ من المشايخ له فضلٌ، فكان يدخل في قلابِته كلَّ يومٍ ويسرقُ ما يجدُه فيها، وكان الشيخُ يفهمُ ذلك ولا يوجهه ولا يعاتبه، بل كان يكُدُّ ويزيدُ على وظيفتهِ في عملِه، ويقولُ في نفسهِ: «لعلَ الأخَ إنما يفعلُ

هذا بسبب الحاجة». وكان الشيخ شديد التعب والكد بسبب ذلك لدرجة أنه ما كان يفضل له ما يأكل به خبزاً. فلما حضرت الشيخ الوفاة، أحاط به الإخوة، فنظر وإذا بذلك الأخ الذي كان يسرق ممتاعه بينهم، فقال له: «إذن مني يا ابني»، واندفع يقبل يديه ويقول: «يا إخوة، أنا أشكُّ هاتين اليدين اللتين بما أدخل ملوكوت السماء». فلما سمع الأخ ذلك، رجع إلى نفسه وندم على فعله، وكان ذلك سبباً في توبته. (س٤: ١١٣ ج)
 (An. 339)

٧١١ - من قول البابا أنطونيوس الرسولي: قد يعرض أن يقول أحد: «أين هو زمان الاضطهاد حتى كنت أصيير شهيداً؟» فأقول له أنا: «الآن يمكن لك أن تكون شهيداً إن أردت، مت عن الخطية، أمت أعضاءك التي على الأرض، وبذلك تصيير شهيداً باختيارك، فأولئك الشهداء كانوا يقاتلون ملوكاً ورؤساء جسددين، أما أنت فإنك تقاتل ملك الخطية، محتالاً عنيداً، والشياطين رؤساء الظلام. أولئك كانوا ينصبون للشهداء عقوبات مختلفة لأجل عبادة الأصنام، ففطن الآن فإنه توجد مائدة ومذبح وصنم مرذول، وقد يكلفون العقل للسجود، فالمائدة هي نهم البطن، والمذبح هو التلذذ بما دسم من الأطعمة، والصنم هو شهوة الزنى المرذولة والمصورة لتركيب الأجسام. وكذلك فإن من واظب على اللذات وتعبد للزنى فقد جحد يسوع وسجد للصنم، لأن له في ذاته صنم الزهرة وهو لذة الأجسام القبيحة. ومن كان مغلوباً من الغيظ والغضب فقد أنكر يسوع قوله في نفسه المريخ إلهًا، وهو يسجد للغيظ الذي هو صنم الجنون. ومن اغلب لحب الفضة، وأغلق تحنته عن الفقراء، فقد كفر بيسوع وعبد الأصنام لأن له في نفسه صنم عطارد وقد عبد البرية دون باريها. فإن أنت ضبطت هواك من هذه الأمور، وتحفظ منها فقد وطأت الأصنام وصرت شهيداً والرب يسوع المسيح يساعدك». (س٥: ١٤٦ ظ)
 (An. 600)

٧١٢ - قصد راهبان أحد الشيوخ، وكان أحدهما شيخاً والآخر شاباً، فشكى الأكبر من الأصغر، فتأمل الشيخ إلى الشاب وقال له: «أصحيح ما قاله عنك؟»؟ فقال: «نعم يا أباًنا لأنّي أحزنُه»، ثم فكر الشاب في قلبه وندم على ما قاله، وقال: «لست أنا بل هو الذي أحزنني، إلا أنّي جعلت اللائمة على نفسي بكلامي»، وتوقف ولم يقدر أن يجيب بشيء آخر. وأن الشيخ صاح بصوته، فقالوا له: «لماذا صحت يا أباًنا؟»؟ فأجاب: «بأنه عند دخول هذين الراهبين عندي رأيت زنجياً واقفاً قدامهما وبيده قوسٌ ونشابٌ، وكان ينشب نحوهما، وما كانت النشابة تصيب سوى ثيابهما، فلما تذمر الشاب، أرسل الزنجيُّ النشابة نحوه فكادت تقتله، من أجل ذلك كان صراخي هذا عليه كيلاً يقتله». ثم أن الأخوين سألا من الشيخ شفاء العارض، فقال لهم الشيخ: «متى وقعت بينكمَا خصومةً فذكرها الزنجي، فيكيف تأثير الخطيبة عنكمَا». فعادا وفعلا ذلك وشفيا. (س: ٥٤٧ ج) (Sys. XVIII 52)

٧١٣ - سأله شيخاً قائلاً: «ما هو بحاجةُ الراهب؟»؟ فقال: «التواضع، لأنّه لا يكون بحاجةً، وبمقدارِ نزوله في التواضع يكون مقدارُ صعوده إلى علوِ الفضيلة». فسألَه أيضاً: «فكيف تقتني النفسُ الفضيلة؟»؟ فقال: «إذا هي اهتمت بزلاتها وحدتها». (س: ٥٤٧ ظ)

٧١٤ - قال أبا إيليا: «أيُّ مقدرة للخطيبة حيث تكون التوبة، وأيُّ منفعة للمحبة حيث تكون الكيرباء؟». (س: ٤٧ ظ) (Abc. Elias 3)

مهمات

الراهب والصمت

٧١٥ - كان أحد الرهبان صامتاً وقد شاع فضله وعمله، فزاره في أحد الأيام اثنان من الفلاسفة، فقام وصلّى وسلم عليهما وجلس صامتاً يُضفر الخوص ولا يرفع

نظره إليهما، فقالا له: «يا معلم، انفعنا ولو بكلمة واحدة لأننا لهذا أتينا إليك». فأجابهم الراهب قائلاً: «اعلمنا أنكم أفيتكم أموالكم لتتعلما فخر الكلام وتحسينه، وأما أنا فقد أهملت العالم وأتيت إلى هنا لا لأقتنى حَوْدَةَ الكلام بل السكوت». فلما سمعا قوله أُعجباً كثيراً وانصرفوا متتفعين منه. (س: ٥١٤٧) (J: 719)

٧١٦ - جلس راهب من الرهبان في البرية صامتاً في قلاليته، فضغط عليه الضجر وأقلقه الفكر وضيق عليه شديداً حاثاً إياه على الخروج منها. فقال في ذاته: «يا نفسي لا تضجرني من الجلوس في القلالية، وإن كنت لا تعملين شيئاً، يكفيك هذا، أنك لا تُحزنني أحداً. ولا أحد يُحزنك، فاعرف كم من الشرور خلصك الله، لأن في سكرتك وصلاتك الله تكونين بلا هم يشغلوك ولا تتكلمين كلاماً باطلاً، ولا تسمعين ما لا ينفعك ولا تبصرين ما يضرك، وإنما قتالك واحد، وهو قتال القلب، والله قادر أن يطلعه، وإذا اقتنتي الاتضاع عرفت ضعفك». فعند افتخار الأخ بهذا، صار له عزاءً كثيراً في صلاته. (س: ٥١٤٨) (PE, III, 13, 8)

٢٩٤

الاتضاع والمسكنة

٧١٧ - في بعض الأوقات قُتِلَ أَنْبَا مَقَارِيُوس^(٨٠) بِالْعَظِيمَةِ وَهُوَ فِي قَلَالِيَّةِ. وَحْتَهُ فَكْرُهُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَالذَّهَابُ إِلَى رُومِيَّةِ لِيَفْعُلَ كَثِيرَيْنِ بِحَسْبِ مَا أَمْلَتَهُ عَلَيْهِ أَفْكَارُ الْعَظِيمَةِ. فَلَمَّا أَلْحَتْ عَلَيْهِ الْأَفْكَارُ بِذَلِكَ، أَلْقَى بِنَفْسِهِ دَاخِلَ قَلَالِيَّةِ عِنْدَ بَابِهَا، وَأَنْجَرَ رَجُلَيْهِ مِنَ الْبَابِ، ثُمَّ قَالَ لِأَفْكَارِ الْعَظِيمَةِ: «أَخْرُجُونِي إِنْ قَدِرْتُمْ، فَإِنِّي لَنْ أَخْرُجَ طَائِعاً، فَإِنْ لَمْ يَمْكِنْكُمْ ذَلِكَ فَلَنْ أَطِيعَكُمْ». وَلَمْ يَزُلْ مُلْقَىً وَهُوَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامُ إِلَى اللَّيلِ حِيثُ

^{٨٠} القديس مقاريوس الإسكندرى حسب تاريخ بالاديوس.

اشتد عليه القتال والأفكار. وأخيراً أخذ قفةً وملأها رملًا وحملها، وأخذ يطوف بها البرية حتى لقيه القديس فسطروس^(٨١)، فقال له: «ماذا تحمل يا أبا، أعطني إياه، ولا تتعب أنت». فقال له: «أريد أن أشقي من يشقيني، فإنه إذا ما نالته الراحة سبب لي الأسفار والشقاء». واستمر هكذا إلى أن كفت عنه الأفكار. فرجع إلى قلابته وهو يشكر الله.

(س: ٤ ظ) (Pal. 18, 23-24)

٧١٨ - سُئل شيخ: «لماذا تقاتلنا الشياطين جداً؟»؟ فقال: «لأننا طرحتنا سلاحنا يعني الطاعة والاتضاع والمسكبة». (س: ٥ ج) (An. 302)

٧١٩ - قال شيخ: «إذا لم يأت علينا قتال، حينئذ ينبغي لنا أن نتضع جداً، عالمين أن الله معرفته بضعفنا رفع عنا القتال، وإن افترخنا يرفع عنا ستره فنهلك». (س: ٥ ج) (Bu. I, 519)

٧٢٠ - سُئل شيخ: «ما هو كمال الراحل؟»؟ فقال: «الاتضاع، فإذا بلغ الإنسان إلى الاتضاع فقد أتى إلى الكمال». (س: ٥ ج) (Bu. I, 520)

٧٢١ - قال أحد الشيوخ: «إذا قال الراحل لصاحبه: اغفر لي، باتضاع، تحرق الشياطين». (س: ٥ ج) (An. 320)

٧٢٢ - قال شيخ: «إن جاءك إحساس بالعظمية وبدأت تفتخر، فانظر في نفسك هل حفظت الوصايا، أن تحب مبغضيك وتفرح بصلاح عدوك وتحزن لحزنه وتحسب نفسك عبداً بطلاً، وأنك أخطأ كل الناس، وأن لا تفتخر إذا قوّمت كل صلاح؛ حيث أنه يجب أن تعلم أن هذا الإحساس يهلك ويُبطل جميع الحسنات». (س: ٥ ج) (Bu. I, 515, Chaîne 128)

^{٨١} يأتي الاسم في تاريخ بالأدبيوس: ثيوسايبوس.

٧٢٣ - قال أَنْبَأَ يَمِينَ: «كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ لَا تُسَقِّطُ لِأَنَّهَا أَسْفَلُ، هَكُذَا مَنْ يَضْعُ نَفْسَهُ لَا يُسَقِّطُ». (س:٥ ١٤٨ ج)

٧٢٤ - وَسَأَلَهُ أَخُوهُ: «كَيْفَ أُسْتَطِيعُ أَلَا أَقْعُ في النَّاسِ؟» فَقَالَ لَهُ: «إِذَا لَامَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ عِنْدَهُ أَخْوَهُ أَكْرَمُ مِنْهُ وَأَفْضَلُ، وَإِذَا ظَنَّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ صَالِحٌ، حِينَئِذٍ يَكُونُ عِنْدَهُ أَخْوَهُ حَقِيرًا وَمَهَانًا وَيَقْعُ فِيهِ». (س:٥ ١٤٨ ظ)

٧٢٥ - قَالَ شِيفْخَةً: «أَحَذِرْ بِكُلِّ قُوَّتِكَ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا يَسْتَحْقُ الْلَّاتِمَةَ، وَلَا تَحْبَبِ التَّصْبِعَ». (س:٥ ١٤٨ ظ) (Bu. I, 533)

٧٢٦ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ نَزْلَ الْاِتْضَاعَ إِلَى الْجَحِيمِ فَإِنَّهُ يَصْعُدُ حَتَّى السَّمَاءِ، وَإِذَا صَعُدَتِ الْعَظِيمَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِنَّهَا تَرْلُ حَتَّى الْجَحِيمِ». (س:٥ ١٤٨ ظ) (Bu. I, 534)

٧٢٧ - سَأَلَ أَخُوهُ أَلْوَنِيسَ فِي مَعْنَى تَحْكِيرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ فَقَالَ لَهُ: «هُوَ أَنْ تَرِي كُلَّ الْخَلِيلَةِ حَتَّى الْبَهَائِمِ أَخْيَرَ مِنْكَ، وَتَعْلَمُ أَهْمَمَ لَا يَدْانُونَ». (س:٥ ١٤٨ ظ) (Bu. I, 544)

٧٢٨ - قَالَ شِيفْخَةً: «أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ مَغْلُوبًا بِالْاِتْضَاعِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أَكُونَ غَالِبًا بِالْفَتْحَارِ». (س:٥ ١٤٨ ظ) (Bu. I, 514)

٧٢٩ - وَقَالَ آخَرُ: «لَوْ لَمْ يَخْضُعْ يُوسُفُ لِلْعَبُودِيَّةِ أَوْلًا، لَمْ صَارْ لِمَصْرَ سِيدًا، وَإِنْ لَمْ يَخْضُعْ الرَّاهِبُ نَفْسَهُ لِلْعَبُودِيَّةِ أَوْلًا بِكُلِّ تَذَلِّلٍ وَمُحْقَرَةٍ، فَلَنْ يَصِيرَ سِيدًا عَلَى الْأَوْجَاجِ، وَلَنْ تَخْضُعَ لِهِ الشَّيَاطِينُ». (س:٥ ١٤٨ ظ)

مُهَاجِر

مِنْ أَقْوَالِ الْآيَاءِ عَنِ الْخَيَالَاتِ

٧٣٠ - مِنْ سِيرَةِ الْأَبِ بَاخُومِيُوسَ: فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ظَهَرَ الشَّيْطَانُ لِلْأَبِ

باخوميوس يتحلى بصورة السيد المسيح، وقال له: «افرح يا باخوميوس لأنني جئت لافتقادك». ففكر في نفسه قائلاً: «من شأن المناظر الإلهية أنها من لذة مجدها وحلوتها نعيمها تسيي تخيل مستحقاتها إليها ولا يبقى لهم فكر آخر، ولكن أفكاري الآن تروي فنوناً وألواناً». فلما وجده الشيطان مفكراً، أخذ في استصالٍ أفكاره، فقال الأب في نفسه: «إني كنتُ أفكُّ أفكاراً والآن فلا وجود لها». وإذا قال ذلك في نفسه قام إلى الشيطان وهو باسطٌ يده كمن يريد أن يمسكه، وفي الحال صار كدخانٍ وتلاشى. (س: ٥)

(Pach. boh. Pachomius 110) (١٤٨)

٧٣١ - قيل عن أحد الآباء إن الشيطان تراءى له في شبه ملاك نوراني وقال له: «أنا غبرياً، قد أرسلتُ إليك». أجاب الشيخ: «لعلك أرسلتَ إلى غيري وأما أنا فخاطئ». فلما سمع الشيطان هذا الكلام منه باتضاعٍ، احتفى ولم يره. (س: ٥) (An. 149) (ج) (310, Chaîne 143)

٧٣٢ - كان أحدُ الشيوخ جالساً في قلابته مجاحداً، وكان ينظرُ الشياطين عياناً ويحقرهم، فلما رأى إبليس نفسه مقهوراً من الشيخ، ظهر له قائلاً: «أنا هو المسيح». فأغمضَ الشيخ عينيه، فقال له الشيطان: «أنا المسيح، وتغمض عينيك»؟ فأحابه الشيخ قائلاً: «لا أريدُ أن أبصرَ المسيحَ هنا». فلما سمع إبليس منه ذلك، غاب عنه. (س: ٥)

(An. 312, Chaîne 145) (١٤٩)

٧٣٣ - قال أنساً أور: إني أبصرتُ إنساناً في البرية خَيَّلت له الشياطين طغمات ملائكةٍ ومراكب حافلة، وملكاً في وسطهم، فقال له: «أيها الإنسان، لقد أقنتَ كلَّ شيءٍ، إذن خُرّ لي ساجداً وأنا أرفعك كما رفعتُ إيليا». فقال الراهب في فكره: «أنا في كلِّ يوم أسجدُ لملكي المسيح، فلو كان هذا هو المسيح حقاً، لما التمَس مني السجدة الآن». ولما حال هذا في فكره قال: «إن ملكي هو المسيح وأنا دائمًا أسجدُ له، وأما أنت

فلستَ ملكي». ولما قال هذا الكلام، تلاشى ذلك الخيالُ للوقتِ، هذا ما شرحه ذلك الأب كأنه عن غيرِه، وأما الآباء الذين كانوا معه فقالوا: «إنه هو الذي رأى ذلك».
(س: ٥ ج) (Hist. gr. II, 9-10)

٧٣٤ - حكى راهبٌ تقيٌّ قائلًا: إني في حالٍ سفري لأسجدَ في أورشليمَ حتىَ إلى موضعٍ حيثُ كان هناك حرفٌ عالٌ وفيه مغارةٌ، ومن تحتِه يوجد ديرٌ، فدخلتُ إليه، فقال لي سكانه إن أحدَ الرهبان أرادَ أن يسكنَ تلك المغارةَ، وسألَ الرئيسَ في ذلك، فقال له: «يا ولدي، إنك لا تقدرَ أن تسكنَ المغارةَ، لأنك لم تُخضعِ أسلوامَ نفسِك بعدَ، ولا آلامَ جسمِك للقوةِ الناطقةِ، كما أنك لا زلتَ تجهلَ حيلَ إبليسِ المتفننةِ، فالآجودُ لكَ أن تقيِّمَ بالديرِ، وتخدمَ آباءَك وتربِّي صلواتِهم ولا تبقىَ وحدَكَ مقاتِلًا شياطينَ خبيثاء». ولكنه لم يقتنعَ، فأفسحَ له الرئيسُ في ذلك، وصعدَ إلى المغارةِ ورفعَ السُّلْمَ. وكان أحدُ الإخوةِ يحضرُ له طعاماً ويرفعُه في زنبلٍ. ثم إن إبليسَ، الذي لم يزلَ محارباً للصالحين طريقَ الفضيلةِ، دَبَّ له وهوَ ليرميَه في هوةِ الكبرياءِ ويأخذُه أسيراً، فظهرَ له في شكلِ ملاكٍ نورانيٍ وقالَ له: «اعلمُ أيها الأخُ، إنه لطهُرَ نيتِكَ وشرفَ سيرتكَ، أرسلنيَ ربُّ خادِمًا لقدسِكَ». فأجابَه الراهبُ: «وما الذي فعلته حتى تخدمَني ملائكةً؟» قالَ له ذلك: «إن جميعَ أعمالِكَ حليلةٌ عظيمةٌ، ازدرتَ بزخارفِ العالمِ، وتسكَّتَ، وتواترتَ على الصومِ والصلوةِ والسهرِ، ثم انعزلتَ عن الرهبانِ، وسكتَ وحدَكَ في هذا الموضعِ، فكيفَ لا تخدمَكَ ملائكةً؟» بهذه الأقوالِ وأمثالِها نفحَ التنينُ في ذلك الراهبِ، وصارَ يأتيه في كلِّ يومٍ ويخاطبه بمثلِ هذا الكلامِ. ثم أنه حدثَ في بعضِ الأيامِ أن رجلاً وقعَ بينَ اللصوصِ وسلبوا مالَه، فهذا جاءَ إليه، فتقدَّمَ إبليسُ وجاءَ إليه في صورةِ ملاكٍ وقالَ له: «إن إنساناً مقبلًا إليك سرقَ اللصوصُ بيته ووضعوا ما أخذوه منه في مكانٍ كيتٍ وكيت». فأتى الرجلُ وسجدَ تحتَ المغارةِ فأجابَه الراهبُ من فوقِ: «مرحباً بكَ يا أخي،

قد عرفتُ حزئك، إن لصوصاً أخذوا حاجاتك وهي كذا وكذا، وهي مخبأة في المكان الفلاين، امضِ خذها وصلّ علىي». فرَجع الرَّجُلُ إلى ذلك المكانِ ولما وجد أشياءه ذُهَلَ، وأشاع الخبرَ بين الناسِ أنَّ الراهبَ ساكنَ المغارةِ يعلمُ الغيبَ. فأقبلَ إليه جمْعٌ غَفِيرٌ، رجالاً ونساءً وأحداثاً متسائلينَ، ودخلَ فيه الشَّيْطَانُ وصارُ يُخْبِرُ كُلَّ واحدٍ بما ناله في زمانِه، وبما يناله. فلما سمع رهبانُ ديرِه عَجَبُوا كيفَ بلغَ هذه المزيلةَ في زمنٍ يسِيرٍ.

وفي يوم الاثنين ثانِي أسبوعِ القيمةِ، ظهرَ له إبليسُ وقالَ له: «اعلمُ أيها الأبُ، إنه لحسنِ سيرِتكِ فإنَّ ملائكةً كثيرينَ مرسَلُونَ خلفَكِ ليحملوكَ إلى السماءِ حتى تعاينَ المجدَ الذي هناكَ. وإنَّ الإلهَ المتعجبَ لم يشاً هلاكهَ، فألهمهَ أنْ يُطْلَعَ الرئيسُ على هذا الأمرِ، فراسلهَ بيدِ الأخِ الذي يأتيهُ بالطعامِ، فلما سمعَ الرئيسُ بذلكَ أسرعَ بالمضيِّ إليهِ وقالَ له: «يا ولدي لماذا استدعيتني؟» فأجابَه قائلًا: «عِمَادًا أَكَافِلُكَ يا أبي عن جميعِ ما عملْتَهُ معَ حقارتي؟» فأجابَه الرئيسُ: «وماذا عملْتَ معكَ من الخيرِ؟» فقالَ له: «خَيْرُكَ علىيَّ كثيرٌ: بكَ استحققتُ ليسَ هذا الزي، بكَ سكتَ هذه المغارةَ، بكَ بلغْتُ أنَّ أنظَرَ ملائكةً، بكَ أَلْهَمْتُ بعلمِ الغيبِ». فلما سمعَ ذلكَ قالَ له: «أَنْتَ يا شقِيقٌ تنظرُ ملائكةً وتعلمُ الغيبَ؟ أَما قلتُ لكَ لا تصعدَ إلى المغارةِ لثلاً تُضليلُ الشَّيَاطِينَ؟» فقالَ الراهبُ: «لا تقلْ هكذا يا أبي المكرَمُ، إني بصلواتِكِ أَنْظُرُ ملائكةً، وفي يوم الصعودِ ها أنا عتيدُ أنْ أرتفَعَ معهم إلى السماءِ بمحضِي هذا، وإذا وصلْتُ إلى هناكَ فلانيَ أسألُ ربِّي يسوعَ المسيحَ أنْ يأمرَ بأنْ ترفعَكَ الملائكةُ أنتَ أيضاً، لتكونَ معي تعاينَ المجدَ الذي هناكَ». فلما سمعَ الرئيسُ هذا لطمَ على وجهِه وحدهِ قائلًا: «لقدْ جُنْتَ يا شقِيقٌ، وضاعَ رُشدُكَ، ولكنَّ علىِ كلِّ حالٍ ها أنا مقِيمٌ معكَ حتى أعاينَ آخِرَ أمرِكَ، فإذا رأيتَ ملائكتَكَ الأرجاسَ، أعلمْتَني». ثمَّ أَنْهَ أمرَ برفعِ السُّلْمِ، وأقامَ معه مصلِيَاً للإبصالِتسِ وصائمَاً، فلما كانَ اليومُ المُعْيَنُ لارتفاعِ نظرِ الشَّيَاطِينَ قادمةً إليهِ، فقالَ: «لقدْ جاءُوا أيها الأبُ». حينئذٍ احتضنهُ الرئيسُ

وصرخ بصوتٍ جهوريٍّ: «أيها الرب يسوع المسيح ابنُ الله، آزر الأخَ المخدوعَ». فأرادوا أحدهُ من يدِ الرئيسِ، فزحُرُهم باسمِ الربِّ، فما كانَ منهم إلا أنْ أخذُوا وزرةً الأخَ وغابُوا مقدارَ ساعةٍ، وإذا بالوزرةِ ساقطةً نحوَ الأرضِ. فقالَ لهُ الرئيسُ: «أنظرتَ يا شقي ماذا فعلَ الشياطينُ بوزرتِك؟ هكذا أرادُوا أنْ يعملُوا بكُ». ثمَّ أنهُ أحضرَ السُّلْطُمَ وأنزلَ الأخَ معهُ إلى الدِّيرِ ورسمَ لهُ أنْ يخدمَ في المخبرِ والمطبخِ مدةً سنة، وبذلكَ ذلَّ فكرَهُ. (س: ٤٩ ج)

٧٣٥ — قالَ القديس قاسيانوس (كاسيان) الرومي: «كان إنسانٌ شيخُ اسمه إيرنيس، هذا منذ أيامٍ قلائل، كابدَ سقطةً يُرثى لها قدامَ أعيننا، إذ هرأتَ به الشياطينَ، فهبطَ من تلك الرفعةِ إلى قعرِ الجحيمِ بسببِ شَطْفِ الطريقِ الذي سلكَهُ، إذ سكنَ البراريَّ مدةً خمسينَ سنةً مستعملاً تقشفَ السيرةِ والنسلَ، طالباً أبداً أطرافَ البريةِ والتفرُّدَ أكثرَ من كلِّ أحدٍ، فهذا بعدَ الأتعابِ الكثيرةِ، تلاعبَ به إبليسُ وطرحَهُ في سقطةٍ ثقيلةٍ، وسبَّبَ به للآباءِ القدماءِ الذينَ في البريةِ ولكلِّ الإخوةِ مناحةً عظيمةً، ولو أنهُ استعملَ الإفرازَ لما لحقَهُ ما قد لحقَهُ. وذلكَ أنهُ تبعَ فكرَهُ في الأصواتِ والانفراحِ بعيداً عن الناسِ لدرجةٍ أنهُ حتى ولا في يومِ الفصحِ المجيدِ كانَ يجيءُ مع باقي الآباءِ إلى الكنيسةِ كي لا يضطرُّهُ الحالُ إلى أنْ يأكلَ مع الآباءِ شيئاً مما يوضعُ على المائدةِ، مثلَ قطاعي أو غيرهِ، لئلا يسقطَ عنَ الحدِّ الذي حددَه لنفسِهِ من النسلِ، فهذا ظهرَ لهُ الشيطانُ بشبهِ ملاكِ نورٍ، فسجدَ لهُ وأقنعَهُ أنْ يرمي نفسهَ في بئرٍ عميقٍ ليتحققَ عملياً عنابةُ اللهِ، وأنَّهُ لن يلحقَهُ ضرُّ عظيمٍ لعظمِ فضيلتهِ، ولما لم يميزْ بفكِّرهِ من هو هذا المشيرُ عليه بهذه المشورةِ لظلمامِ عقلِهِ، فطرحَ نفسهَ في بئرٍ في منتصفِ الليلِ، وبعدَ زمانٍ عرفَ الإخوةُ أمرَهُ، وبالكُدُّ والتعبِ الكبيرِ انتشلوهُ وهو بينَ الحياةِ والموتِ، ولم يعشْ بعدَ ذلكَ سوى يومينِ وماتَ في اليومِ الثالثِ، وخَلَفَ للإخوةِ حزناً ليسَ بقليلٍ. أما الأبُ بفنتويوسُ، فلما بعثَتهُ

محبته للبشر، أمر بأن يُقدم عنه قربانٌ مثل المتيحين، ذاكراً أتعابه الكثيرة وصبره على شقاء البرية». (س: ٥٠ ظ) (PE III, 31,3,17-20)

٧٣٦ - ورَاهِبٌ آخر كان ينظر دائمًا في قلاليته ضوء سراج، فانقاد لعدم التمييز، وقبل في بعض الأوقات شيطاناً على أنه ملاك، فأمره ذلك الشيطان أن يُقدم الله ولدًا له كان معه في الدير لينال بذلك كرامة أبي الآباء إبراهيم. فانقاد لهذه المشورة لدرجة أنه كاد يتممها بالفعل، لو لا أن الغلام نظره يسن السكين بخلاف العادة ويجهز ما يربطه به، فهرب منه ونجا. (س: ٥١ ج) (PE III, 31,3,25)

٧٣٧ - كذلك راهب آخر اسمه نومينوس، هذا أظهر من ضبط الهوى مقداراً زائداً، ومكث سنتين كثيرة حابساً نفسه في قلالية، فهذا تلاحت به الشياطين فيما بعد وهزأت به بإعلانات ومنامات أظهروها له، فتهوّد واحتتن بعد أتعاب وفضائل جزيلة فاق بها جميع الإخوة، لأن الشيطان لما رام خديعته أراه مراراً منamas صادقة ليحسن قبول نقاوه، ويجعله حسناً الانصياع لقبول الضلال التي كان عتيداً أن يملئها عليه أخيراً، فأراه في بعض الليالي شعبَ المسيحيين مع الرسل والشهداء مظلمين مكمّلين معَبّسين مغمومين (ملوئين) من كلّ خزي، ثم أراه شعبَ اليهود مع موسى والأنبياء متلائئ ضياء، باشأ مستبشرًا، وعرض عليه المُخادع قائلاً: «إن شئت نوال فرح وضياء هذا الشعب فتهوّد واحتتن». فيلوح من جميع ما قيل، أن السالف ذكرهم تلاحت بهم الشياطين خلوّهم من نعمة الإفراز. (س: ٥١ ج)

٧٣٨ - من كتاب الدرجي: المصدق المنamas يشبه من يريد أن يلحق ظله ليمسكه، فإن شياطين العجرفة ينذروننا في الحلم بما يكون مكرأً منهم، فإذا تمت المنamas نتخشع نحن كأننا قد تقرّبنا من نعمة النبوة، فيتعجّر فكرُنا جملةً، طائعين الشيطان. إن

الشيطان هو روح علام بما في طقس الماء، فإذا عرف أنه قد مات فلان يسرع ويخبر به ويندع خفيفي العقول، وقد يتشكل دفعات بشكل ملاك نور أو شهيد من الشهداء، ويرينا ذلك في الحلم وإذا اتبهنا يملأنا فرحا وأمّة. (س: ٥١ ظ)

٧٣٩ - قال أحد الشيوخ: حتى ولو ظهر لك ملاك حقيقي فلا تقبله بل حقر ذاتك قائلاً: «أنا عائش بالخطايا فلا أستحق أن أنظر ملاكاً». (س: ٥١ ظ) (Chaîne 144)

٧٤٠ - جلس أحد الرهبان ناسكاً في قلاليته، فأراد الشياطين أن يخدعوه بصورة ملائكة، وإنهم أنهضوه للذهب إلى اجتماع الكنيسة وأروه أنواراً، فجاء إلى شيخ وقال له: «يا أبانا، إن الملائكة تأتي بي بصورة وتقيموني لأذهب إلى اجتماع الكنيسة». قال له الشيخ: «لا تقبل منهم ذلك يا ولدي، إنهم شياطين، فإذا أتوك قل لهم: أنا مني أردت قمت، ومنكم لا أسع». وفي الليلة التالية جاء الشياطين فنبهوه كعادتهم، فأجابهم بما قاله له الشيخ، فقالوا له: «هذا الشيخ السوء الكذاب إنما يخدعك، فقد أتاه أخ يستغير منه شيئاً كان عنده، لكنه كذب وقال: ليس عندي، وصرفه دون أن يعطيه شيئاً». فجاء الأخ في الغدأة إلى الشيخ وأخبره بما كان، فقال له الشيخ: «أما ما طلبه الأخ مني وكان عندي ولم أعطه فذلك لأنني عرفت أنه شيء يسبب له خسارة نفسه، فرأيت أن أتجاوز وصية واحدة ولا أتجاوز عشر وصايا كي لا ينتهي أمرُنا إلى الحزن، فاما أنت فلا تسمع من الشياطين الذين يريدون أن يخدعوك». وبعد أن دعمه الشيخ بالتعليم صرفه إلى قلاليته. (س: ٥١ ظ) (An. 224)

٧٤١ - دخل راهب إلى البرية وكان يصوم الستة أيام، وفي اليوم السابع كان يأتي إلى الصلاة ويتناول الطعام، ولا يزيد عن الصلاة كلمة، فهذا مضى إليه الشياطين وخدعوه في أشياء كثيرة وأندروه بأمر جرت في بلدان مختلفة، فصدق بما خليل له وظن

بالمُخَيَّلِينَ لَهُ أَهْمَمُ أَرْوَاحُ قَوَاتٍ قَدِيسَةٍ، وَاتَّفَقَ وَقَتَّنَدَ أَنْ مَضِي لِيَفْتَنَدَ أَنْجَأًا مَرِيضًا وَتَظَاهَرَ لِقَوْمٍ كَانُوا هُنَاكَ كَأَنَّهُ يَحْكِي عَنْ غَيْرِهِ فَقَالَ: «هَلْ يَمْكُنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَعْلَمَ مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ؟» فَلَمَّا سَمِعُوهُ فَهَمُوا أَنَّهُ هُوَ الْمُخْدُوعُ، فَزَجَرُوهُ قَائِلِينَ: «إِنْ شَغَلْتَ فَكَرَكَ بِمُثْلِ هَذَا الْخَدَاعَ فَلَا تَعُدُ إِلَيْنَا». وَلِلْوَقْتِ اِنْتَهَى وَنَدَمُ، فَلَمَّا عَادَتِ الشَّيَاطِينُ تَخْبِرُهُ، دَعَاهُمْ كَذَبَةً، وَلِلْوَقْتِ تَغَيَّرَتِ صُورُهُمْ إِلَى حَيَوانَاتٍ مُفْزَعَةٍ وَمَهْدِدَةٍ وَانْصَرَفُوا عَنْهُ. (س:٥ ج:١٥٢)

٧٤٢ - وَرَاهِبٌ آخَرُ اسْمُهُ وَالْاسُّ، قُورُشَانِي^{٨٢} الْعَقْلُ مُتَشَامِخٌ، هَذَا جَاءَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَسَكَنَ مَعَ الْآبَاءِ لِعَدَّةِ سَنِينَ، وَأَتَقَنَ التَّقْسِيفَ وَشَظَفَ السِّيرَةَ إِلَى أَقْصَى غَايَةٍ، فَخُدُعَ مِنَ الْأَجْهَةِ وَتَنَاهَى فِي الْعَجْرَفَةِ كَثِيرًا، وَأَقْنَعَهُ إِبْلِيسُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَخْدِمُهُ فِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَكَمَا حَكِيَ عَنْهُ رَفَاقُهُ، إِنَّهُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ يُخْيِطُ الزَّنَابِيلَ فِي لَيْلٍ مَعْتَمِ دَاجِّ أَنْ رَمَى بِمُسْلَةِ الْخِيَاطَةِ عَلَى الْأَرْضِ فَظَهَرَتْ لَهُ شَمْعَةٌ بَعْلِ إِبْلِيسِ، فَتَعْجَرَفَ وَاستَكِيرَ مِنْ هَذَا الْحَادِثِ الْمَرْ، فَاتَّفَقَ أَنَّ قَوْمًا غَرَبَاءَ أَحْضَرُوا إِلَى الْإِنْحُوَةِ فَاكِهَةً، فَأَرْسَلَ الْأَبْ مَقَارِيُوسَ الطَّوْبَاوِيَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ نَصِيبًا بِمَقْدَارِ حَفْنَةٍ، وَأَنْفَذَ لَهُ ضِمنًا، فَلَمْ يَأْتِهِ مَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ، بَلْ شَتَمْ وَضَرَبَ مَوْصِلَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَمْضِ وَقْلَ مَقَارِيُوسَ، مَا أَنَا دُونَكَ لِتُنْفَدِلِي بِرَكَةً». فَعْلَمَ الْأَبُ أَنَّهُ قَدْ خُدُعَ، وَبَعْدِ يَوْمٍ مَضِي إِلَيْهِ لِيَعْزِيهِ، وَقَالَ لَهُ: «يَا أَنْجِي لَقَدْ تَلَاهَتْ بِكَ الشَّيَاطِينُ، فَكُفْ وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرْحَمَكَ». فَلَمْ يُصْغِي إِلَى كَلَامِهِ، فَمَضِيَ مِنْ عَنْدِهِ حَزِينًا مُتَحَقِّقًا لِخَدَاعِهِ، فَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ أَنَّهُ قَدْ اخْدَعَ لَهُ وَانْقَادَ إِلَيْهِ، تَشَكَّلَ لَهُ بِشَكْلِ الْمُخْلِصِ وَأَتَاهُ بِاللَّيْلِ مَعَ شَيَاطِينِهِ كَمَلَائِكَةِ الرَّبِّ حَامِلِينَ أَنْوَارًا، وَظَهَرَ لَهُ فِي كَرِّ نَارِيَّةٍ تَخَيَّلَ لَهُ فِي وَسْطِهَا الْمُخْلِصُ، وَإِنْ وَاحِدًا مِنَ الشَّيَاطِينِ قَالَ لَهُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ أَحَبَ

^{٨٢} المقصود أنه يتصف بالصفات السيئة التي ذكرها بولس الرسول في رسالته الأولى لأهل كورنثوس. والنص اليوناني لبلاديروس يذكر أن «هذا الراهب من فلسطين، اعتقاده كورنثي، لأن القديس بولس تكلم عن صفات العجرفة عند الكورنثيين».

سيئتك وقد جاء لينظرك، فاخترج من قلابتك ولا تعمل شيئاً آخر سوى أنك تقوم من بعيد، وإذا نظرته قائماً وسطَ الكلّ، خر له ساجداً، ثم ارجع إلى قلابتك. فلما خرج ولاس وراء المضاف وحاملي الأنوار، وقف على بعده وسجد لضد المسيح، وهنكذا أخدع عقله المفسود لدرجة أنه جاء إلى البيعة في اليوم الثاني وبمشهدٍ من جماعة الإخوة قال: «إني لست في حاجة إلى قربان لأنني بالأمس شاهدتَ المسيح». حينئذ ربطه الآباء بالحديد مدة سنة كاملة حتى كسرروا عجرفته وكبرياءه بسيرة لا عجب فيها، وشفروا الضد بالضد على ما يقال (PE III, 29,1,1-6). فإن كان مع غروس الفردوس تبتَّ عود معرفة الشر والخير، فلا عجب إن نبتت مع المناقب الشريفة أثمار رديئة تولّد الموت، فيليق بالمحرِّز أن يكونَ كلَّ حين حذراً، لأنَّه مراراً كثيرة تصير الفضائل الجليلة أسباباً لسقوطات عظيمة، متى لم يحكمها مُحكِّم بنية متضعة ذات إفراز، وعلى ما كتب: «رأيت صديقاً هالكاً ببره»، مع أن البرَّ لم يكن سبباً الهلاك بل العجرفة. (س: ٥١٥٢ ج) (Pal. 25, 1-6)

٧٤٣ - وأيضاً شابٌ آخر إسكندرى، كان رشيقاً ذكياً فطناً حسنَ السيرة، هذا بعد إحكامه سيرة فاضلة، وصل إلى ذروتها وبلغ غايتها بأتعاب كثيرة وأعراقٍ جزيلة، فتشامخ وتعجّر حق أنه رفع عنقه على جميع الآباء، بيته وأهله، وتجاسر على شتيمة الكلّ وفي جملتهم شتمَ القديس أوغريوس قائلاً: «إنَّ كلَّ الراسخين لتعاليمك مخدوعون، لأنَّه لا معلم غير المسيح وحده»، واستشهد حسب جهالته قائلاً إنَّ المخلص نفسه قد جرم قائلاً لا تدعوا لكم معلماً على الأرضِ. وأظلمَ عقله لتعجّره، فانحطَّ الخطاطاً يُرثى له، حتى أنه غُلْ بالحديد. ولقد كان كثيرون يتحدثون بشدةٍ نسكه، وقال قومٌ إنه كان يصوم ثلاثة أشهر لا يأكل فيها إلا ما كان يتناوله من القربان في يوم الأحد مع ما يتفق له من الحشائش البرية. ولقد كانت لي أنا به خبرةٌ مع أبيانوس الطوباوي، ففي وقتٍ من الأوقاتِ مضينا إلى الإسقاط وكان بيننا وبين الإسقاط أربعون مرحلةً، أكلنا فيها دفتين

وشربنا ماءً ثلاثة أيام وهو لم يذق فيها شيئاً، بل كان يتلو محفوظاته وما كنا نلحظه ماشياً. وهكذا ضبطه العدو أحيراً لما اقتنع برأيه وفي عروض ذلك أمسكته حمٰ حرقه فما أمكنه الخلوس في القلاية، فمضى إلى الإسكندرية ولعل ذلك كان بسياسة إلهية كما قال: دفع مسماراً بمسمارٍ. لأنه أسلم ذاته باختياره لعدم الإفراز، فوجد فيما بعد خلاصاً غير طوعي، فصار يحضر المشاهد وطرد الخيال، ومن كثرة أكله وغرامه بشرب النبيذ مال جدًا لحبة النساء، ولما شارف الواقع في تلك البئر، حدث له، ولعله بسياسة إلهية، أن مرض في عضو تناشه مدة ستة أشهر حتى أن تلك الأعضاء هرأت وسقطت منها وبها، وفيما بعد برعٌ وعاد عادماً تلك الأعضاء، فانتبه وذكر السيرة السمائية واعترف بجميع ما عرض له للآباء القديسين، ولم يفسح له الأجل فتنيع بعد أيام قلائل. (س: ٥١٥٣ ج) (Pal. 26, 1-4)

٧٤٤ — وآخر اسمه أبطلما، عاش عيشةً يعسر وصفُها، هذا أول أمره سكن فوق الإسقاط في الموضع المعروف بالمارج، وهو مكانٌ لم يسكنه قط ساكنٌ من الآباء، وكان بينه وبين الماء ثمانٰ عشرة مسافة، واتخذ لنفسه جرةً ولقانين (وعاءين) وكان يجمع الندى ياسفنج من على الصخور في شهرٍ كانون الأول وكانون الثاني ويصره في تلك الأوعية ويرفعه للصيف، ومكث على تلك الحال خمس عشرة سنة لا يكلم أحداً، وتغرب من ملاقاة رجالٍ أبرارٍ ومخاطبتهم، وعَدَم التعليم الروحاني والتناول من الأسرار الظاهرة، فجعل يبحث عن حقائق الأمور وغواصتها، فجئَ، وصار يقول: «إن الأشياء ليس لها مدبرٌ وإنما موجودة مدبرةٌ منها وبها، فلا يُ شيءٌ أشقيّ مني نفسِي، وأي ثوابٌ يكون لمن يبلغ إلى هذا التعب»؟ فلما أجال في فكره هذه الأفكار توسّسَ وضاع عقله، فتزل إلى مصر، وهكذا أخذ يدور من مكان إلى مكان ليلاً ونهاراً مطرقاً إلى أسفل وهو لا يتحدث أحداً، وكان منظره يُرى له، كما كان كل واحدٍ من النصارى يراه يبكي عليه إذ صار ملهاةً ولعبةً لمن لا يعرف سيرتنا، وقد لحقت به هذه المصيبةُ الكبرى لتهيه وصلفه وظنه بنفسه

أنه قد فاق سائر الآباء ظاناً بنفسه ما ليس هو فيه، ومن حيث أنه لم يচفع إلى مشورة أحدٍ من الآباء فقد هبط هبوطاً فظيعاً ومات أشرّ ميتةً. ويشبه حاله حال شجرة مورقةٍ وبالأثمان مخصوصية، ضربتها ريحٌ شديدةٌ فسقطت بعثةً وتعودت من أوراقها وأثمارها وبقيت يابسةً، وهذا هو ما يلحقُ بمن يتذرّ برأي نفسه ولا يسمع مشورةَ الحكماءِ. (س: ٥)

(Pal. 27, 1-2) (١٥٣ ظ)

٧٤٥ - وجاء كذلك عن بكرٍ كانت بأورشليم حبيسةً في قلية ست سنين لابسةً مسوحاً، هذه تنسكت نسكاً زائداً ولم تأكل شيئاً لذيداً البتة، فمنعها الآباءُ من ذلك لكنها لم تصفع إلى مشورة أحدٍ، فتعرت من معونة الله لعحرفتها لماً أعجبتها نفسها، فتباعد عنها حافظ عفتها، وسقطت سقطةً يُستعاد منها، فقد فتحت باب حبسها وأدخلت إليها إنساناً كان يخدمها وكلفته بمفاسدها وقد لحقتها هذه المصيبة لما جعلت قصداً نسكيها للمراءة، ولطلاها أنها صارت أفضلَ من كثريين، فلما تملكتها الأجهة، وقعت

في يد إبليسِ. (س: ٥) (Pal. 28) (١٥٤ ج)

٧٤٦ - كما أن إنساناً اسمه إبراهيم، كان راهباً قبطياً، هذا عاش في البرية عيشةً يعسر تحريرُها، فلما تسفه أصاب عقله مرضُ الكبارياء، فجاء إلى البيعة مخاصماً القسوس قائلاً: «لقد ساميَ المسيحَ قسيساً في هذه الليلة، فاقبلوني أكهن». فأخرجه الآباءُ من الكنيسةِ وساقوه إلى سيرةِ أغظلَ من غيرها، فشفوه من ألمِ الكبارياء وعرفوه ضعفه، وحققوا له أنَّ شيطانَ العجرفةِ قد تلاهي به (Pal. 53). ولقد رأينا أيضاً متوحداً ساكناً مغارةً، لعبت به المنامات فعاين هوائيات وطارد خيالات، فضاع عقله وفسد قلبه وسقط من السيرةِ الفاضلةِ، ومات مجnonاً. (س: ٥) (١٥٤ ظ)

٧٤٧ - وأخْ آخر جلس في بريَةٍ ملائِنةً من الشياطين مدةً من الزمانِ، وكان يطن

أنهم ملائكة، وكان والده يزوره من حين إلى حين، وفي بعض الأيام أخذ منه فأساً ليحتطب به ويعيده إليه، وحدث في عودته إليه أن سبق أحد الشياطين وقال له: «إن شيطاناً يشبه أباك آتٌ ومعه فأساً في زميلاً يريد أن يضر لك به»، فلما جاء أبوه حسب عادته، أخذ الابن الفاسد وضربه فقتله، وللوقت صرعة الروح النجس وخنقه. (س: ٥ ظ) ١٥٤

٧٤٨ — وفي بعض الأوقات جاء إخوة إلى الأب أنطونيوس يخبرونه عن أحلام يروها ليعلموا هل هي حقيقة أم من الشياطين، وكان معهم أتان قد مات في الطريق. فلما سلموا عليه ابتدارهم قائلًا: «كيف كان طريقكم؟ وكيف مات الأتان الصغير؟» فأجابوه: «من أين علمت يا أبانا؟» فقال لهم: «إن الشياطين أروني ذلك في الحلم». فقالوا له: «ونحن لهذا الأمر بعينه جئنا نسألك، لعنة نضل لأننا نرى أحلاماً ونصدقها مراراً كثيرة»، فأكذب لهم الشيخ من حال الزمان الذي أخبرهم به، أن هذه التخيلات من الشياطين. (س: ٥ ظ) (Abc. Anthony 12)

٧٤٩ — وقال أيضاً: «وإن تظاهر الشياطين بسابق المعرفة، فلا تمل إليهم، لأنهم يخرون بأشياء كثيرة قبل كونها بأيام، ليقنعوا الذين يصغون إليهم بصدقهم، فإذا صدقواهم أضلواهم بعد ذلك وأهللوكوهم بمداعلتهم واغتيالهم، أما هم - أعني الشياطين - فليس لهم سابق معرفة، لأن علم الغيب لله وحده، وإنما هم سعاة خفيفون مسرعون في الهواء، والذي يرونه يسبقون ويندرون به، فاطلبوا من الله ليؤازركم على دحضهم، ومنى طرقوكم ليلاً على أنهم ملائكة، لا تصدقواهم لأنهم كذبة». (س: ٥ ج) (Vie Ant. 31,35)

٧٥٠ — وقال أيضاً - أعني القديس أنطونيوس: «إذا ما بدأ الإنسان في المحيء من بلدة بعيدة، فعندهما يراه الشياطين هكذا، يسبقون ويندرون بمجيئه قبل أن يجيء، وقد

يتفق مراراً كثيرةً أن ذلك الإنسان يُعاقِ أو يرجع لعارضٍ ما، فيظهر كذبُ الشياطين، وهكذا يهُنُون عن ماء النيل، لأنهم متى عاينوا الأمطار الكثيرة في بلاد الحبشة، يعرفون أن ماء النهر يكون كثيراً، فيسبقون ويخبرون بذلك. وكما كان ديدبان داود الملك يقف في أعلى موضعٍ فينظرُ ما لم ينظره من كان تحته فيخبر به، هكذا هؤلاء الأرجاس أيضاً يفعلون ذلك ليُضليلوا». (س: ٥١٥٥ ج) (Vie Ant. 31,32)

٧٥١ — كان إنسانٌ اسمه دكياس يسكن جبلًا من أعمالِ أورشليم، هذا لم يُصلِّ مع أحدٍ جملةً، وبغتةً تجسر على أن يخدمَ القدس وهو علماني.

وآخر سكن طور سيناء، وكان يظن أنه يسلك سلوكاً حسناً، هذا عجرفته الشياطين في المنامات، وتخيل أنه قبل شرطونية^{٨٣} الأسقفية، فجلس وأنحدَ يعمل عملَ الأساقفة. (س: ٥١٥٥ ج)

٧٥٢ — من رسالةٍ للقديس سمعان: جميعُ المظاهر التي يمكن للناس إثباتها في الأجسام، إنما هي من تحابيل أفكارِ النفس وليس من أفعال النعمة، لأن من شأنِ هذا الأمرِ أن يتبع الرهبان الشديدي البحث والفرنسة (الترتيب الرائد)، محبي العجرفة، الجائجين إلى الكبارِ والأباء، التمسكين بالرفيعات، المرائين. (س: ٥١٥٥ ظ)

٧٥٣ — قال شيخ: «من شأن شيطان السبع الباطل أن يعارض الرهبان بعجرفتين: إحداهما يُقال لها عجرفة علمانية، لأنها ليست من مناكب السيرة، وليس إحكامُها عائدًا إلى نصبِ الإنسانِ وتعبه، مثل ذلك: التي بجاهِ الرئاسة، التي بشرفِ الجنسِ، الاغبطة بكثرةِ الغنى، بتزيينِ اللباس، بقوَةِ الجسم، بفصاحةِ المنطق، وكل ما شاكل هذه. أما

^{٨٣} شرطونية من الكلمة اليونانية $\alpha\mu\sigma\tau\omega\nu\alpha$ ومعناها وضع اليد، أي رسمة رجال الإكليلوس بوضع يد الأسقف على رأسهم.

الأخرى فيقال لها عجرفةٌ رهابية، مثال ذلك: شدة الصوم والنسلك ومداومة السهر، ملازمة الصلاة، البعد عن الناس، التجرد من المقتنيات ومن كل شيء، وما شابه ذلك، وهذه الفضائل وإن كانت مرتفعةً في ذاتها، إلا أن النية السقيمة تحطُّ من شرفها، والنتيجة المتولدة من ذلك: إضاعة الأجر، لأنه مكتوب: لقد أخذوا أجرَهم». (س: ١٥٥ ظ)

٧٥٤ - وأيضاً إنسانٌ اسمُه ماليطون كان يرى آراءً غريبةً، ويتجاسر على العظام، هذا تنسك محتملاً الأتعاب والمعاطب الكثيرة، متسبباً بإمساك الموى لأبعد غاية، وعلى ما قيل إنه تتلمذ لأوليانوس الطوباوي مدةً من الزمان، وصَحِّبه إلى طور سيناء، وإلى بلد القبط، وشاهد أنطونيوس الكبير وصَحِّبه، وصاحبَ غيره من القديسين الكبار، وسمع منهم أقوالاً كثيرةً تتعلق بالطهارة وخلاصِ النفوس، وأشياءً كثيرةً من التذكارات التي همُون من احتمال المصاعب، وما يتعلق بمناظرِ الروح، وسمع أيضاً أنه يمكن للنفس إذا ما نُظفتْ كما يحب وبلغت إلى عدم الانفعال، أي أنها إذا ألت عندها - بحفظ الوصايا - لباس الآلام العتيق، وثبتت ثباتاً قوياً بالله على صحتها الطبيعية التي كانت لها أولاً، فإنه يمكنها أن تبلغ إلى المناظر الإلهية، فهذه الأمور وما شاكلها لما سمعها ماليطون، التهاب بالعجزة كالمتهب بالنار، ثم أنه انفرد في موضعٍ وانفصل من الاجتماع بالباقيين، وعكف على نصبِ وتعبٍ طويل، وتبتل للصلوات الكثيرة والطلبات ليحظى فقط بما كان يأمل فيه من المناظر الرفيعة التي سمع بها، وكان شغوفاً بنوالها، مع أنه لم يكن قد احترف صناعتها، أي تواضع اللب وتمسكن القلب، وجعل اعتماده على مواصلة الأتعاب والتوفر على الأصوم دون أن يذلل ذاته أو يُخضع عقله جملةً، ودون أن يفهم حيل وكماين إبليسِ المحارب، ولم يُصغِ إلى القول القائل: «إذا أكملتُ كلَّ شيءٍ فقولوا إننا عبيدٍ بطالون». بل تعجز عقله بالكرياء والأبهة، فلما نظر الشيطان أنه لا هم له إلا في عدم تمسken العقل، ولا غرض له سوى تأمين نوالِ المناظر العالية، فأظهر له ذاته محاطاً بمجدٍ

عظيمٍ ونورٍ كثير، وقال له: «أنا هو الباراقليط، أرسلتُ الآن من الآبِ إليك لأهبكَ شيئاً من المناظرِ الرفيعة جزاءً لأتعباك الكثيرة هذه المدة الطويلة، لأنك أكملتَ زمانَ العملِ، وقد حانْ أوانَ الراحة». وطلب منه السجود له، ففرح جداً بما سمع ولم يشعر بالعطبِ، وللوقت حرّ ساجداً له، فلما نال العدوُّ السجود الذي أراده، استولى عليه بالكليةِ، وأعطاه تخيلاتٍ شيطانية عوض المناظر الإلهية، التي كان يشتق لرؤيَاها، وفرغ من الأتعابِ والأعراقِ كأنه قد بلغ إلى عدم الانفعال، وقال له: «إنْ كنتَ أنتَ قد بلغتَ إلى هذا الحدّ من عدم الآلام، فليست هنالك حاجةٌ بعد إلى تعبٍ وعرقٍ جسدي». ومن ه هنا جعله إبليس مقدّماً وإماماً لمقالة (أي بدعوة) الساجدين المصلين، فلما انكشف أمره للأسقف، أبعده ورذله ونفاه بعيداً. (س: ٥٥٥ ظ)

٧٥٥ - قال الأبُ أوغريس: «لا تصورْ بعقلِك اللاهوتية أشكالاً وأنت تصلي، ولا تسمح لعقلِك بالجملةِ أن يتصورُ الإله بشكلٍ ما، لكنَ تعالَى إلى غير الهيولي، بغير (تصوُّر) هيولي، فإنك تجد فهماً يليق بغير الهيولي أعني الإله. احفظ ذاتك من مصايد المحاربين لأنهم إذا رأوك تصلي بمنقاوةٍ يجعلون أشكالاً غريبةً تظهر قدامك بغتةً ليجذبوك إلى كبرياتِ القلبِ، وذلك بأن يصوّروا لك اللاهوتية، ويجعلوك تظن في نفسك أن الذي ظهر لك هو الإله، والله ليس له شبه ولا قياس ولا صفة». (س: ٥٥٦ ظ)

٧٥٦ - من قولِ مار إسحق: «كُلُّ الذين يزعمون أنَّ المسيحَ بعد ارتفاعه إلى السماء يظهر خارج الإنسانِ بشبهِ تراه عينُ الجسدِ، هم رفاقُ أولئك القائلين: إنَّ نعمَ الملوكِ أكلٌ وشربٌ». (س: ٥٥٦ ظ)

٧٥٧ - قال شيخُ روحاني: «في أي وقتٍ تبصر فيه التأوريَا^(٨٤) شبةَ نارٍ مُركبةً،

^{٨٤} التأوريَا من الكلمة اليونانية θεωρία، ومعناها الرؤية أو التأمل (في الله).

فاعلم أن هذا هو فتح الدَّعْل^(٨٥) الذي يريد أن يصطادك به للهلاك. وإن كان بشبه قرصٍ يُرى قدامك، أو شبه كوكبٍ أو قوسٍ قُزح الذي يُرى بالسحاب، أو شبه كراسٍ أو مركبةٍ أو خيلٍ نارٍ، فهذه كلها من طغيان الشياطين، وباختصار أقول: إنَّ كُلَّ شيءٍ تراه خارج منك بهذه الأشباه، فهو من طغيان الشياطين، إنَّ منظَرَ التأوريَا بسيطٌ وليس بشيءٍ مركبٌ». (س: ١٥٦ ظ)

٧٥٨ — كان إنسانٌ من بلد الرها اسمه أسيانوس، هذا وضع فصولاً ولَحِنَّها وتقرأ إلى الآن، وقد حدث أن استولت عليه الكيرباء فأسلمَ ذاته، فعرَّضها لأتعبٍ كثيرةٍ وأعراقٍ جزيلةٍ وصعوباتٍ شديدةٍ بلا إفرازٍ ولا تمييزٍ، ليحظى بالمديح من الناسٍ، فخدعه إيليسٍ وأخرجَه من قلاليته، وأوقفَه على الجبل المسمى ابسوترون، وأركبه مركبةً وأراه حيلاً غيرها ومركباتاً أخرى، وقال له: «إنَّ اللهَ يستدعيك على الصفةِ التي استدعيَ بها إيليا»، فلما صدقَ قوله، ارتفعت به المركبة، وللوقت تلاشتَ الخيالات، وسقطَ هو على الأرضِ من علوٍ شاهقٍ فتحطمَ وحظي بمنيةٍ يُمْكِنُ منها، بدلاً من الرفعةِ الرفيعةِ التي أملأها. فشرحنا هذا ليس حزاً، كي لا تخفي عليك عرائيل الخبيث العطشان إلى هلاك الناس، فاحذر أن تشتق أيها السامع إلى تلك الأمور التي تعلو قدرتك، قبل أن تحظى بذلك من النعمة، ولا تطلب الصعودَ في سُلُمِ المناظرِ المنصوبةِ للسقوطِ والقيام، لثلا تطلبها قبل الأول، فتحسب مع الساقطين، وتصبح أضحوكَةً للشياطين. (س: ١٥٧ ج)

٧٥٩ — من سيرة القديس إيفانيوس: ظهرَ في أيامِ إيفانيوس بقبرص شابٌ دُعِي الفيلسوف، فجادله علماءٌ كثيرون، فكان يُفحِّمهم مقنعاً إياهم بأقواله، وكان يأتيه كهنةٌ كثيرون وأساقفةٌ فيقنعهم بإفتاءاتٍ، فتكاسلَ الأكثرون عن مجادلته، وتراجعوا عن

^{٨٥} الدَّعْل، بالتحريك: الفساد مثل الدَّخَل، وأدَغَلَ في الأمر: أدخل فيه ما يُفسِدُه ويختالفه (لسان العرب).

مفاوضتهِ، وذاع صيتهِ حتى وصل خبرهُ إلى بافوس، حيث تحدثوا بحكمتهِ وقوه منطقهِ ومقدراتهِ على الجدال حتى ضلّ بسيبهِ الكثيرون. فلما رأى إيفانيوس ذلك حزن متفكراً في نفسهِ ثم قال: «ومن يكون هذا الشاب المفتخر بعلوم كاذبة أمام إيمان السيد المسيح؟»، وإنه تسلح بالإيان، وأمر بأن يحضره إليه، فمضوا وقالوا له: «الأسقف إيفانيوس يستدعيك؟». فقام وجاء إليه، فلما حضر عنده لم يتكلم معه، بل انتصب للصلوة أولاً، فلما بدأ الأسقف بصلاتهِ أخذت الشابُ رعدةً، وصرَّ بأسنانه، فتعجب الكلُّ لذلك كثيراً، فلما شعر الأبُ بقوة الصلوة، بدأ يطلب إلى الله قائلاً: «يا ربُّ، اشف هذا الشقي العليل من هذا المرض، حلّ أسرهِ وأظهر الشيطانَ المستتر فيهِ، واعتق جُبْلَتَكَ منهِ». عند ذلك صرَّ بأسنانِهِ وأزبد، واحمرت عيناه وصرخ بصوتٍ عظيمٍ قائلاً: «أنت يا إيفانيوس تخرجني من مسكنِي؟»؟ فقال له: «الربُّ يسوعُ المسيح يخرجك من جبلِهِ». قال له الشيطان: «إنك لم تعرفي من أنا». فقال له الأسقف: «ومن أنت؟»؟ قال: «أنا هو الذي تكلمتُ في ذاك المدعو أوريجانوس». قال له الأسقف: «إن كنتَ أنتَ الذي تتكلم، فقل لنا بـَدء الكتابِ الذي صنَّفَهُ ذلك الشقي». فبدأ إبليس يشرح بـَدء المصطفى، فقال له القديس: «بالحقِّ أنت هو المصنِّفُ لهذه الشرورة العظيمة». ولم يحتمل الأبُ أن يسمع أكثرَ، فقال له: «اصمت يا ابنَ جهنم، أنا آمرك باسمِ ربِّ يسوعَ المسيح أن تخرجَ منه ولا تؤذيهِ». فصرعه على الأرضِ وخرج منه، فلما أفاق ورجع إلى نفسهِ، سألهُ: «من أين كانت لك القدرةُ على ذلك المنطق العظيم والنحو والفلسفةِ؟»؟ فقال: «لستُ أعلم ما تقولونه، ولا كيف كنتُ أتكلم، ولا كيف أتيتُ إلى هنا». فعجب الحاضرون وخافوا من ضرباتِ العدو. (س: ٥١٧ ج)

مهمةٌ

الراهب واجتراب الآيات

٧٦٠ - في أيام باسيليوس الملك، ظهر من بلدة مقدونية راهبٌ مُضل في شكل إنسانٍ وديعٍ، مجترح آياتٍ، عالم بالغيبِ، هذا توسط له البطريرك فوتيوس مع الملك وجمع بينهم، فمال الملكُ إليه وأكرمه كرامةً زائدةً، وكان للملك ولدٌ اسمه قسطنطين توقي، فلما رأى الراهب إفراط الملك في الحزنِ على فقدِ ولدهِ، وعده بأنه سوف يريه إياه حيًّا، وفعل ذلك بالخداعِ إذ بينما كان الملكُ عابراً ببعضِ الموضع، رأى شيخاً راكباً على فرسٍ لا بساً حلَّةً منسوجةً بالذهبِ في صورةِ ابنه، فعانقه ظانًا أنه ابنه حقيقةً، ثم غاب عنه، وعمرَ في ذلك الموضع ديراً على اسم القديس قسطنطين ابن الملك. (س:٥ ج:١٥٨)

٧٦١ - قال الشيخ أوغريس: «لا تستنق أن تنظر ملائكةً أو قواتٍ، أو المسيحَ حسيًا، لثلا يضيع عقلُك بالكليةِ، وتقبل ذئبًا بدلاً من خروفٍ، وتسجد لأعدائك الشياطين، لأن بدء ضلال العقلِ التيهُ والكرياءُ، إذا ما بدأ العقلُ يتحرَّك في العجرفة، فإنه يروم أن يُحضرَ الإلهَ في صُورٍ وأشكالٍ، لذلك يجب ألا تجهل هذا الغشُّ، وهو أنه في وقتٍ ما، يقسم الشياطين ذواتهم، فبعضُ منهم يبدأون بمحاربتك، ويتحققون عندك أفهم شياطين، فإذا طلبتَ المعونةَ، تجدهم يدخلون إليك في شكلِ ملائكةٍ قديسين - وهم شياطين - ويطردون أولئك الأولين ليخدعواك، فتظنُ أفهم ملائكةٍ قديسون، وهم شياطين. كذلك تُؤسِّسُ لك الشياطينُ في وقتٍ ما بأفكارٍ، ثم يحرِّكونك للصلةِ عليهم ومقاومتهم، فينصرفون باختيارهم، كي ما إذا اخندعتَ ظنتَ بنفسِك شيئاً، فتتكرر كأنك قد بدأتَ أن تقهَّرَ أفكارَك وتُفزعَ الشياطين». (س:٥ ج:١٥٨)

٧٦٢ - من كلام أنسطاسيوس السينائي: ليس كلُّ من يعملُ آياتٍ فهو قديس، بل نجد كثرين يعملون آياتٍ وتتلاءِّب بهم الشياطين، لأننا قد فهمنا من حالِ أسفافٍ

هيراطيقي اسمه مقدونيوس، محارب الروح القدس، أنه قد نقل شحرة زيتون من موضعها وغرسها في موضع آخر بشكل الصلاة، وحدث كذلك أن كان رجل ظالم قد أزعج امرأةً أرملةً لأجل دينِها كان له على زوجها، وزاد قيمة الدين عن الحقيقة، ولم يكن الميت قد دُفن بعد، فما كان من ذلك الأسقف المذكور إلا أن جعل الميت يتكلم ويختبر بمقدار الدين. كذلك لما مات ذلك الأسقف الميراطيقي، ظهرت عند قبره خيالات كثيرة وعملت آيات، من أجل ذلك لا يجب أن تقبل كل من يصنع آيات قائلاً إنه قديس، بل يجب أن يُتحنوا ويُختبروا على رأي القائل: «لا تصدقوا كل روح، بل حربوا إن كان ذلك الروح من الله، لأن أنبياء كثرين كذاين قد خرجوا إلى العالم». والرسول يقول: إن هؤلاء رسل كذابون وفعلة غاشون، متشبهون برسل المسيح، وإن كان الشيطان يظهر بشكل ملائكة النور، فلا عجب إن كان خدامه يصنعون آيات وأشفية جسدية ليخدعوا من كان سهل الانقياد لخداعهم، وقد يُظهرون أحياناً ميتاً قائماً بواسطة صلاة بطالة من إنسان مضل، وذلك بأن يدخل إبليس في جسد الميت ويحركه ويخاطب الأحياء من وجه الميت، ويُحيي الإنسان المخدوع بما يسأله، ويختبر عنأشياءٍ حقيقةٍ وعما عمله قوم سراً، حتى إذا وثقوا به أنه صادق، سهل عليه إدخال الضلال التي تخصه. كذلك يت harass الشياطين على أن يُحدّثوا عن خصبة الأرض وجاذبها، واختلافات الأهوية وكثرة الأمطار وقتلتها وما شاكل ذلك، كما يمكنهم فهم آراء الناس من إشارات وإشارات يرونهما في الإنسان أو يتتصيدون ذلك من وجوه أخرى، وليس ذلك فقط، بل ويسبقون فيندرون بموت قوم من الناس، لأن العناية الإلهية قد وضعت علامات في جسم البشر كما يعرف. ذلك أولئك الذين حذقو صناعة الطب حذقاً بليغاً، إذ يستدللون على موت الناس

من علامات تظاهر فيهم من زيادة الكيموسات^(٨٦) ونقصان الدم، وتغير المزاجات وغير ذلك، لا سيما أن الشياطين أرواح لطيفة، وأيضاً لطول زمامِهم وكثرة تجاهُهم. فالنساء العرّافات والمنجمون يُحدّثون بما يحكم به الشياطين، ليس عن سابق علم، بل لزيادة التجربة. وليس ذلك مقبولاً، فقد عرفنا قوماً سحراً مشعوذين، قد صنعوا آيات متعددة من فعل الشياطين، مثل هاروت وماروت اللذين كانا على عهد موسى، فإنهما جعلا عصيهما حيات، وقلبا المياه دماً، وأصعدا من المياه كثرة من الضفادع. كذلك سيمون الساحر في عهد الرسل، فكما من الآيات الفنتسية^(٨٧) صنع، فلقد حرّك أصناماً وجعلها تمشي، وطرح في النار ولم يحترق، وطار في الهواء، وحوّل حجارة إلى خبز، وصار حية، وتشكل هيئة حيوانات، وفتح أبواباً مرتجلة، وفك قيوداً، وحل حديداً، وعلى الموائد أظهر أشكالاً، وجعل ظلاً يتقدمه زاعماً أنه من أرواح الذين ماتوا، وإذا رام كثيرون من السحرة أن يفضحوه، غير شكله، ثم بمحجة ما، دعاهم إلى وليمة حيث ذبح ثوراً وأطعمهم، فتركت لهم أسماقاً كثيرة، وصرعوهم شياطين مردة، وأخيراً لما طلبه الملك، فزع منه، وهرب وطرح شكله على غيره. (س: ٥١٥)

٧٦٣ - من كلام البابا أثناسيوس: سؤال: «كيف يصنع المراطقة آيات كثيرة؟»^{٨٦}
 الجواب: «سيئلنا ألا نستغرب ذلك، لأننا قد سمعنا الرَّبَّ قائلاً: إنَّ كثيرين يقولون لي في ذلك اليوم يا ربُّ يا ربُ، أليس باسمك تبنأنا، وأخرجننا شياطين، وصنعنا قواتٍ كثيرة؟ فأقول لهم، إني لا أعرفكم قط، انصرفوا عني يا فاعلي الإثم. فعلى أكثر الحالات يتسبّب

^{٨٦} **الكيموسية**: عبارة عن الحاجة إلى الطعام والغذاء. والكيموس في عبارة الأطياء: هو الطعام إذا اهضم في المعدة قبل أن ينصرف عنها ويصير دمأ (لسان العرب).

^{٨٧} الفنتسية من الكلمة اليونانية φαντασία و معناها احتفال أو مهرجان أو خيال، أي صنع آيات باهرة أو خالية.

الشفاءُ بِإيمانِ المتقدمِ وليس بسيرةِ المخترح، لأنَّه مكتوبٌ: إنْ إيمانك خلاصك. لأنَّ ليس في الأرثوذكسيَّة فقط اجتراح آياتٍ، بل وقُومٌ أردياءُ الاعتقاد، مراراً كثيرةً تكشفوا وقدموا لله أتعاباً، فأخذوا أجرَهم في هذا العالم منحةً من الله، كشفاءُ الأمراض لكي ما يسمعوا ذلك في العالم العتيدي: إنك قد استوفيتَ خيراتك في حياتك». (س: ٥١٥٩)

٧٦٤ — من سيرةِ الأب باخوميوس: لما سمع بسيرةِ الأب باخوميوس قومٌ من رهبان هراطقة، أرسلوا إليه جماعةً لا يسبين شعراً وقالوا للإخوة: «إنَّ كبارنا مقدونيوس قد أرسلنا إلى أبيكم قائلاً: إنْ كنتَ رجُلَ اللهِ حقاً وما سمعناه عنك صحيحًا، فتعالَ لنعبرَ أنا وأنت النهرَ ماشيين بأرجلنا على سطحِ الماءِ، فيعرفَ كُلُّ واحدٍ عملياً من هنا له دالةٌ ووجهةٌ عند الله». فعرَفَ الإخوةُ الأبَ بذلك، فأنكر عليهم ذلك قائلاً: «لماذا أجزتم سَيَاغَ هذا الكلامِ بالجملة؟ أَما علِمْتُم أنَّ هذه المسائل بعيدةٌ عن اللهِ، ولا تقبلها سيرُتنا؟ لأنَّه أَيُّ ناموسٍ يأمرُ بهذا ويبيحنا على القيام به؟»؟ فقال الإخوةُ: «أَيْتَ جاسِرَ هيراطيقيَّ بعيدَ عن اللهِ أَنْ يستدعيك مثلِ هذا؟»؟ فأجابهم: «قد يُعَكِّن للهيراطيقيَّ أنْ يعبرَ على ظهر النهرِ كعبورِه على أرضِ يابسةِ بِمظافرةِ الشيطانِ إِيَاهُ، وبسمَاحِ من اللهِ، حتى لا ينفكَ كفُوره. فامضوا وقولوا لهم: هكذا قال عبدُ اللهِ باخوميوس: إنْ حرصي أنا، هو هذا: ليس لكي أَعْبُرَ هذا النهرَ ماشياً، بل كيف أَعْبُرُ دينونةَ اللهِ الرهيبةَ وأنْ أَعْبُرَ كذلكَ ذلكَ النهرَ الناري الحارِي قدامَ مجِيءِ السيدِ المسيحِ، وأنْ أَعْبُرَ أيضاً هذهَ الأعمالَ الشيطانيةَ بقوَّةِ الربِّ». ولما قال هذا الكلامَ أَفْعَنَ الإخوةَ بأنَّ لا يفتخرُوا بِأعمالِهم، ولا يشتهُوا اجتراحَ الآياتِ، ولا يجربُوا اللهَ البتةَ على رأيِ القائل: «لا تجربُ الربَّ إِلَهَكَ». (س: ٥١٦٠ ج) (Pach.para.) (Pachomius 33)

٧٦٥ — للقديس مقاريوس الكبير: سؤال: «ما زالتَ تُعملُ الإِنْسَانُ المخدوعُ بأسبابٍ واجبةٍ وبياناتٍ شيطانيةٌ تشبهُ الحقيقة؟»؟

الجواب: «يحتاج الإنسانُ لذلك الأمرِ إلى إفرازٍ كثيرٍ ليميزَ بين الخيرِ والشرِّ، ولا يُسلِّم نفسه بسرعةً، فإنَّ أعمالَ النعمة ظاهرةٌ، التي وإنْ تشكَّلتْ بها الخطيةُ فلا تقدر على ذلك، لأنَّ الشيطانَ يعرِفُ كيف يتشكَّلُ بشكلٍ ملاكٍ نورٍ ليخدعُ، ولكنَّ حتى ولو تشكَّلَ بأشكالٍ بهيةٍ، فإنه لا يمكنه أنْ يفعلَ أفعالاً جيدةً، ولا أنْ يأتي بعملٍ صالحٍ، اللهم إلا أنْ يسببَ بذلكَ الكيرباءً، أما فعلُ النعمة فإنما هو فرحةٌ وسلامٌ ووداعةٌ، وغرامٌ بالخيراتِ السمائية، ونیاخٌ روحاني لوجهِ الله، وأما فعلُ المضاد فبحلافِ ذلك كلهٍ، فهو لا يُسببَ تذلاً ولا مسراً ولا ثباتاً، ولا بغضًا للعالمِ، لا يُسكنُ الملاذ، ولا يهدى الآلام. فإذاً من الفعلِ تعلمَ النورُ اللامعُ في نفسِكِ، هل هو من اللهِ أو من الشيطانِ، والنفسُ هما إفرازٌ من إحساسِ العقلِ، به تعرفُ الفرقَ بين الصدقِ والكذبِ، كما يميزُ الحنكُ الحمرَ من الخلِّ، وإنْ كانوا متشابهينَ في اللونِ، كذلكَ النفسُ من الإحساسِ العقلي تميزُ الملحَ الروحانية من التخييلاتِ الشيطانية». (س: ٥٦٠ ج)

٢٩٤

٧٦٦ - قيل عن القديس بفنتويوس: إنه حظيَّ بمعرفة الكتب الإلهية حديثةً وعتيقةً يتلوها جميعاً عن ظهرِ قلبٍ، رغم أنه لم يتخذ كتاباً، وكان وديعاً إلى أبعدِ غايةٍ، هذا مكث سبعين سنةً لم يملك فيها ثوبين. ولما وجدته أنا وأوغريس الطوباوي وأليانوس طالباً بمعرفةِ أسبابِ الإخوةِ الساقطينِ والمنحرفين عن السيرةِ اللاحقةِ. واتفق في تلك الأيامِ أن توفي ساربون الناسك وهو جالسٌ في مقبرةٍ ممسكاً بالصفيحةِ، كما اتفق لآخرٍ أنْ هوى عليه الجبُّ بينما كان يحفرُ فطمرَه، كذلك حدث لآخرٍ آخرٍ كان حاضراً من الإسقاطِ أنْ مات مخطوطاً فجأةً، وتجاربِ اسطfan وافروننيوس الساقطين في زرن قبيح، وإيرن الإسكندرى وأولس الفلسطينى وفطمس الإسقاطى، وفحصنا الأسبابَ التي تؤدي بقومٍ ذوى فضيلةٍ ساكنين البرية، إلى أنْ تفسد عقولُ بعضِهم، وتستولي الحنجرةُ على

آخرين، ويکابد الفسق آخرون، فأجاب: «السبب في ذلك هو أن جميع ما يصير في الناس ينقسم إلى قسمين: قسم بخشيشة الله وقسم بسامح منه، وبين المشيئه والسامح فرق ليس بقليل، فكل ما كان من الصلاح والخير فهو بخشيشة الله، وكل ما كان من الأمور المهلكة فإنه يحدث بسامح منه، والسامح يقع من شر المخدوعين، وعدم الشكر للمعطى على نعمته، فلما يستولي على البعض الجهل والأهمة والعجرفة، فإنهم ينسبون صلاحهم إلى أنفسهم أي كأنهم بكثرة حرصهم وتعبهم أحكموا ما أحکموا، فيترفعون على غيرهم من إخوهم الأصفياء، فيسمع الله الصالح بسقوطهم أي يعریهم من معونته فيحصلون في السقطة التي سببها الشيطان لهم، وأيضاً يتفق لقوم يشتهرون تحصيل المناظر والإعلانات بدون استحقاقهم ذلك من النعمة، فتحزفهم الشياطين بمناظر كاذبة». (س: ٥٦٠) (Pal.)
 (47, 3-7)

٧٦٧ — كان إنسانً اسمه اصطfan، سالكاً طريق النساك ساكني البرية، هذا أقام في مصارعة التقشف سنين عديدة، وكانت قلاته في منحدر الجبل الذي سكنه إيليا، وفي أواخر أيامه صعد إلى ذروة الجبل في مواضع حرجة مغشوشه ليس فيها عزاء، فأقام هناك مصلياً نادباً متجملاً بجميع الفضائل، فمرض مرضاً قضى فيه نحبه، وقبل موته بيوم واحد، شخص بعقله وعيناه مفتوحتان والتفت يُمْنِي ويسري، وكان محاسباً يحاسبه والجماعة تسمع، فكان مرة يقول: «نعم، هذا صحيح». ومرة يقول: «لا، هذا كذب». ومرة أخرى: «نعم، إلا أنني صُمِّتْ عوض هذا كذا وبكتُ وتعبتُ». وفي أشياء أخرى كان يقول: «نعم، وليس لي ما أقول في هذا، ولكن رحمة الله كثيرة». وفي أشياء أخرى يقول: «لا، هذا كذب، لم أفعله». وكان المنظر مبهراً مفزعاً، وعلى هذه الصفة فارق الدنيا محاسباً، وأما ما انتهى إليه أمره، ومصير القضية بالنسبة إليه فما أباها. (س: ١٦١) (Lad VII, 50)

نزع الموت

٧٦٨ - القديس أنثاسيوس الرسولي: سؤال: «لماذا نرى قوماً من الصديقين ينざعون (عند الموت) أياماً ويُحاسبون، وقوماً خطأ نراهم يقضون أجآهم بسكونٍ وهدوء؟»؟

الجواب: «إن عرفنا جميع أحكام الله فنحن إذن آلة، فجيد هو لنا ألا نفتش تفتيشاً زائداً عن مثل هذه الأحكام لأنه يتفق أن رجالاً أبراراً يُعاقبون في وقت نزعهم الأخير، لنرى نحن ذلك ونفرز ونَعْفُ، كما أنه ربما كان لأولئك القديسين - بما أفهم بشر - زلة صغيرة، فيُنظرون بذلك العقاب في وقت نزعهم تنظيفاً تماماً بلغاً، ويمضون بلا عيب أنقياء». (س: ٥ ظ: ١٦١)

٧٦٩ - قال القديس غريغوريوس: «إن هذا الترعرع يُنطفِّف النفوسَ الخارجةَ من العالمِ من الخطايا الدَّنيَّةِ الخفيفةِ، وذلك بحسب ما سمعته من رجلِ قدِيسٍ، حكى لي عن قدِيسٍ آخرٍ فقال: إنه لما حضرته الوفاةُ فرع فرعاً عظيماً، وبعد موته ظهر لـ تلاميذه بحلة بيضاء، دالاً بذلك على البهاءِ الذي حصل عليه». (س: ٥ ظ: ١٦١)

نهضة

٧٧٠ - قال القديس مكسيموس: «لا نقبل الأفكار التي تُصَغِّر لنا الخطايا إذ أن ربَّ أمرنا أن نتحفظ منها قائلاً: تحفظوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بشبابِ الخرافِ ومن داخلهم ذئابٌ خاطفةٌ. لأنَّه مادام فكرُنا متزعجاً من الخطيةِ، فلا نكون قد حظينا بالصفح عنها والغفران، لأنَّنا ما عملنا أثمارَ التوبَةِ، لأنَّ ثمرَ التوبَةِ هو عدمُ انفعالِ النفسِ، وعدمُ انفعالِ النفسِ هو تمحيصُ الذنوبِ، فإذا كنا نوجد وقتاً ما قلقين من الآلام فلنثبت إذن توبَةَ نقيةَ، كي ما إذا عُتقنا من الآلام نحظى بالصفح عن الذنوبِ». (س: ٥ ظ: ١٦١)

٧٧١ - سؤال: «كيف تتحقق النفسُ أنَّ اللَّهَ قد سامحها من خططيَاها؟»

الجواب: إذا ما نظرتْ ذاتها في طبقةِ ذاك القائل: «لقد أبغضتُ الظلمَ ورذْلُهِ وناموسكَ أحببته». والقائل أيضاً: «أنا أسبحك برحمةِ حكمِ». فلنعمل عملَ التوبةِ لُنُظْهَرَ حكمَ اللَّهِ العادلِ، وَيُتَمَّ فِينَا رَحْمَتَهُ إِذ يغفر لنا خططيَانا. (س:٥ ١٦٢ ج)

٧٧٢ - سأل أخُ الأئمَّةِ مادانا^{٨٨}: «قل لي كَلْمَةً». فقال له الشِّيخُ: «امضِ واسأْلِ اللَّهَ أَنْ يهْبَ لَكَ فِي قَلْبِكَ نُوحًا وَاتْضاعًا، واجعَلْ بِاللَّكَ مِنْ خَطَائِيكَ كُلَّ حِينٍ، وَلَا تَدْنُ أَحَدًا، بل اجعَلْ نَفْسَكَ تَحْتَ كُلَّ النَّاسِ، وَلَا تَجْعَلْ لَكَ مَرَاقِفَةً مَعَ صَبِيٍّ، وَلَا مَعْرِفَةً بِامْرَأَةٍ، وَلَا صَدَاقَةً مَعَ هِيرَاطِيقِيٍّ، وَاقْطَعْ عَنْكَ الدَّالَّةَ، وَاحْفَظْ لِسَائِكَ، وَامْسِكْ بِطَنَكَ عَنِ الْخَمْرِ قَلِيلًا، وَلَا تَكُنْ مَحْبًّا لِلْقَنْيَةِ وَلَا تَلَاجِعْ أَحَدًا وَلَا تَحَارِنْهُ، وَهَذَا هُوَ الْاتْضَاعُ». (Bu. II, 65) (س:٥ ١٦٢ ج)

٧٧٣ - قال أَنْبِيَا يُوسُفُ: «أَنَا أَعْرِفُ إِنْسَانًا لِهِ السِّيَرَةُ الْجَسْدِيَّةُ، فَكَانَ يَصُومُ إِمَامَ يَوْمَيْنِ، وَإِمَامَ أَرْبَعَةَ أَرْبَعَةَ، وَاتَّفَقَ مَرَّةٌ وَهُوَ صَائِمٌ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ أَنْ وَقَعَ فِي قَلْةِ الْقُوَّةِ فَجَاءَهُ صَوْتٌ يَقُولُ لَهُ: لَا تَحْتَرِ أَحَدًا مِنِ الْإِنْوَهِ، وَلَا تَدْنُ أَحَدًا مِنْ خَلِيقَةِ اللَّهِ، وَمَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَهُ اعْمَلْهُ، لَكَ ضَعْ ذَائِكَ فَقْطُ، وَتَحْفَظْ عَلَى قَدْرِ قُوتِكَ وَأَنْتَ تَخْلُصُ». وأَنْبِيَا يُوسُفُ هَذَا، هُوَ الَّذِي قَاتَلَهُ الشَّيْطَانُ بِالْزَّنِي وَهُوَ صَبِيٌّ، فَأَرْسَلَهُ أَبُوهُ لِيَقِيمَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَأَبْصَرَ الشَّيْطَانَ بِشَكْلِ امْرَأَةٍ سُودَاءَ. (س:٥ ١٦٢ ج)

٧٧٤ - قيل من أجل الأب ألونيس إنه كان مرةً يخدم والإخوة جالسون عنده بمدحونه، وهو لا يحييهم البتة، فقال له إنسانٌ منهم: «لماذا لا تحيي الآباء وهم يسألونك؟»؟ فقال: «لو أجبتُهُمْ لصرتُ مثلَ مَنْ يقبل المدحَ». (س:٥ ١٦٢ ج) (Bu. II, 78)

^{٨٨} يأتي الاسم في النص السرياني: Muthues

٧٧٥ - سأله شيخاً قائلاً: «كيف نتعجب نحن في النسل ولا ننال الموهب مثل الأولين»؟ قال له الشيخ: «كان في ذلك الزمان الحبُّ الكثير حيث كان كلُّ واحدٍ يجرُّ رفيقه إلى فوق، أما في هذا الزمان فقد قلَّ الحبُّ، وصار كلُّ واحدٍ يجرُّ رفيقه إلى أسفل، ومن أحلِّ ذلك لا ننال الموهب». (س: ١٦٢ ظ) (An. 349, Chaîne 165)

٧٧٦ - قال شيخ: «كما أنتا نحمل معنا ظُلْلَانا أياماً ذهبتنا، كذلك يجب أن يكون البكاء معنا في كلِّ موضعٍ، كالقول: أعمُّم كلَّ ليلةٍ سريري وبدموعي أيلُ فراشي». (س: ١٦٢ ظ) (An. 140)

٧٧٧ - سأله شيخاً قائلاً: «كيف يأتي خوفُ الله إلى النفس»؟ قال له الشيخ: «إذا وُجد في الإنسان اتضاعُ والكفرُ بكلِّ الأشياءِ وبنفسه أيضاً، وكان لا يدرين أحداً، فخوفُ الله يأتيه». (س: ١٦٢ ظ) (An. 137)

٧٧٨ - قال شيخ: «ما تكرهه لنفسك، لا تقلهُ لآخر، فأنت تغضب على من ينمُّ عليك، فلا تننمَّ أنت على أحدٍ، أنت تبغض من يشتمك، فلا تشتم أنت أحداً، فمن له أذنان تحفظان هذه الأمور فإنما تكفيه». (س: ١٦٢ ظ) (Sys. I,31)

٧٧٩ - وقال شيخ: «جيد هو أن يوجد اسمُك مكتوباً في بيوت المساكين والأرامل والضعفاءِ، ذلك أفضل من أن يوجد مكتوباً في بيوت باعة الخمر، وجيد هو أيضاً أن يوجد فمك متنناً من الصومِ، فذلك أفضل من أن يوجد فيه رائحة حمر». (س: ١٦٢ ظ)

٧٨٠ - قال شيخ: «إن أبا كاما قال لي، إن كلَّ خطيبةٍ نفعلها يغفرها لنا الله إذا دعوناه، فإذا تاب إلى أخي ولم يغفر له فلن يغفر لي الله البتة». (س: ١٦٣ ج)

٧٨١ - كما قال شيخ: إني سألت أبا شيشاكي: «هل المروء نافع للراهب»؟

يجعل إصبعه على فمه وقال: «إن حفظت نفسك من هذا يا ابنِي، فهذا هو المروبُ». (س: ٥ ج: ١٦٣)

٧٨٢ — قال شيخٌ: إن أَنْبَا بِفُنُوْتِيوس قال لي: «إن جمِيع آباءنا — الذين كانوا قبلنا — حفظوا قلوبَهم، إذن فإنَّ كَانَ أحَدٌ من جيلنا الْآن يحفظ لسانَه من النَّمِيمَة وَجَسَدَه من الزَّرْنِ، وَيَدِيهِ مِنَ السَّرْقَةِ، وَبَطْنَهُ مِنَ الشَّرْهِ، فَهُوَ طَوْبَاوِيُّ، لَأَنَّ الشَّرْهَ هُوَ الَّذِي يُولِّدُ الرَّزْنِ وَالسَّرْقَةَ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَةً جَدًا». (Eth. Coll. 13, 38) (س: ٥ ج: ١٦٣)

٧٨٣ — وهو قال: «إِنْ أَنْتَ اتَّبَعْتَ الْمَسْكَنَةَ وَالضَّيْقَةَ وَالْإِمْسَاكَ فَإِنَّكَ تَحْيَا». (س: ٥ ج: ١٦٣)

٧٨٤ — قال أَنْبَا أَبِرَّاَمْ: «إِذَا أَمْسَكَ الْإِنْسَانُ بِالضَّيْقَةِ فَهُوَ يَنْمُو وَيَنْظَرُ جَمِيعَ قَوَاتِ اللَّهِ وَجَمِيعَ حَسَنَاتِهِ». (س: ٥ ج: ١٦٣)

٧٨٥ — قال أَنْبَا بلا: «إِنْ حَفَظْنَا الإِيمَانَ الصَّحِيحَ، وَحَفَظْنَا الْجَسَدَ مِنَ الرَّزْنِ وَاللِّسَانَ مِنَ النَّمِيمَةِ، فَنَحْنُ بِنَعْمَةِ اللَّهِ مُفْلِحُونَ حَسْبُ هَذَا الزَّمَانِ». (س: ٥ ج: ١٦٣)

٧٨٦

من أقوال أَنْبَا بِرْ صُنُوفِيوس (٣)

٧٨٦ — للقديس بِرْ صُنُوفِيوس: سؤال: «من أين تعرض لنا حركةُ الجسدِ؟» الجواب: «حركةُ الجسد تكون من التهاونِ، لأنَّ التهاونَ يخطفك وأنت لا تدرِّي، لأنك تدين أخاك وتحكم عليه، فمن ههنا سُلْمٌ». (Bar. Let. 164) (س: ٥ ج: ١٦٣)

٧٨٧ — سؤال: «أخبرني يا أبي إنْ كان ينبغي أن تخبرَ المشايخَ بكلِّ الأفكارِ النابعةِ من القلبِ، وهل ينبغي للمصلحي أن يعلنَ صوته أم يصلِّي بعقلِه؟»؟ الجواب: لا ينبغي للإنسانِ أن يسألَ الآباءَ عن الأفكارِ التي تنبُّعُ من القلبِ، لأنَّها

كثيرةً جدًّا، لأنَّ الإِنْسَانَ إِذَا سمعَ كثيرينَ يفترونُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَعْتَنِي بِافْتَرائِهِمْ وَلَا يَهْتَمُ بِهِ، فَأَمَّا إِنْ انتَصَبَ لَهُ وَاحِدٌ فَقَطُّ، وَافْتَرَى عَلَيْهِ وَقَاتَلَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجِدُ السَّبِيلَ كَيْ يَسْتَعِدَ لَهُ أَمَامَ السُّلْطَانِ، كَذَلِكَ الْحَالُ فِي الْأَفْكَارِ، أَمَّا مِنْ جَهَةِ قِرَاءَةِ الْمُزَامِيرِ وَالصَّلَاةِ، فَلَا يَجِدُ أَنْ تُقَالَ بِالْعُقْلِ فَقَطُّ، بَلْ بِالشَّفَقَتِيْنِ أَيْضًا، لَأَنَّ النَّبِيَّ هَكُذا قَالَ: «يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَقَيْ لِيَخْبُرَ فَمِنِي بِتَسْبِيحِكِ»، كَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ أَيْضًا: «ثَرَةٌ شَفَاهٌ شَاكِرَةٌ لَأَسْمَهُ». وَلَا يَجِدُ أَنْ يَكُونَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ مِنَ الْأَفْكَارِ الْأَرْضِيَّةِ، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَقْرُونَةً بِالدَّمْوَعِ وَالْأَتْضَاعِ، لَأَنَّ الْآبَاءَ لَمْ يَقُومُوا شَيْئًا إِلَّا بِالْتَّعْبِ وَالدَّمْوَعِ. (س: ٥؛ ج: ١٦٣) (Bar. Let. 165).

٧٨٨ - سُؤَال: «أَخْبَرِي يَا أَبْنَاهُ كَيْفَ يَرْصُدُ الْإِنْسَانُ قَلْبَهُ، وَكَيْفَ يَقْاتَلُ تَجَاهَ الشَّيْطَانِ، وَإِنْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْدُدَ مَدْخَلَ الْكَلَامِ قَدَامَ فِكْرِ الزَّنِ، وَإِنْ هُوَ دَخْلٌ عَلَى الْعُقْلِ فَمَاذَا يَعْمَلُ، وَهُلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَعَامِي بُوزِنِ؟»

الْجَوابُ: «يَا وَلَدِي، إِذَا حَفَظَ الْإِنْسَانُ قَلْبَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَتَّبِهَاً طَاهِرًا، وَإِنَّمَا يَعْرُضُ لَهُ الْقَتَالُ إِذَا هَأَوْنُ هُوَ أَوْلًا، فَإِذَا أَبْصَرَ الْعُدُوُّ هَأَوْنَهُ عَمَلَ عَلَى قِتَالِهِ، لَأَنَّنَا لَسْنَا نَقْعُ إِلَّا مِنْ هَأَوْنَنَا وَكَوْنَنَا لَا نَقاومُهُمْ، لَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ مِنْكُمُ الْمُحَادَثَةَ كَيْ مَا يَشْغُلُوكُمْ وَلَا يَكُفُّونَ، فَتَقْدِمُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ، وَأَلْقِي ضَعْفَكُمْ أَمَامَهُ وَهُوَ يَصْرُفُهُمْ عَنْكُمْ وَيُبْطِلُ قُوَّتَهُمْ. وَأَمَّا مِنْ جَهَةِ شَيْطَانِ الزَّنِ فَجِيدٌ هُوَ أَنْ يَسْدُدَ عَلَيْهِ وَلَا يَدْعَهُ يَدْخُلُ، لَأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ بَحْسُكَ وَسَحْسُكَ، لَأَنَّهُ يَتَخَذِّدُ لَهُ مَادَّةً مِنْهَا وَبِهَا يَتَطاوِلُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ هُوَ خَطْفُكُ بَغْتَةً وَدَخْلُكُ، لَا تَتَوَانَ حَتَّى وَلَا وَقْتًا قَصِيرًا، بَلْ قَمْ وَجَاهَهُ وَأَلْقِي ذَائِكَ أَمَامَ اللَّهِ وَقَرَّ بِضَعْفِكُ وَاسْأَلَهُ أَنْ يَلْقِيَهُ خَارِجًا عَنْكُمْ، أَمَّا مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ وَوْزُنِهِ، فَلِيَكُنْ ذَلِكَ بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّحْفِظِ». (س: ٥؛ ج: ١٦٣) (Bar. Let. 166).

٧٨٩ - سُؤَال: «قُلْ لِي يَا أَبِي رَأْيَكِ فِيمَا لَوْ كَنَا نُقْرُ لِأَحَدٍ إِلَّا خُرَّ بِبعْضِ

القتالات ونلتمسَ منه صلاةً بخصوصها؟

الجواب: «جيدٌ أن تُقرَّ من له قوَّةٌ لأن يسمع، ولا تُقرَّ من هو بعد شابٌ. وأما ابتغاء الصلاةِ، فجيدٌ أن نطلبَ من كُلَّ واحدٍ». (Bar. Let. 171 ج) (س: ١٦٤)

٧٩٠ - سؤال: «إذا سَكَتَ الإنسانُ، فما هي الحالُ التي ينبغي أن يكونَ عليها في القلادةِ؟»

الجواب: «الجلوسُ في القلادةِ هو أن يتذَكَّرَ الإنسانُ خطاياه، ويُبكي وينوح من أجلها، ويتحرز ألا يُسيئ عقله، وإن سُيَّ فليجاهد أن يردهُ إليه». (Bar. Let. 171 ج) (س: ١٦٤) . (172)

٧٩١ - سؤال: «علَمْيَ كيفُ أقطعُ هوايَ وأنا في القلادةِ، وكذلك إذا كنتُ بين الناسِ، وما هي مشيئَةُ الجسدِ وما هي مشيئَةُ الشيطانِ، وما هي مشيئَةُ اللهِ؟»

الجواب: «أما قطعُ الهوى الذي يكون في القلادةِ، فذلك برفضِ كُلَّ النياحِ الجسديِّ، أما مشيئَةُ الجسدِ فهي أن تعملَ نياحَه دائمًا في كُلَّ الأمورِ، فإذا لم تعمل نياحَه، فاعلم أنك قطعتَ هواك وأنت جالسُ في القلادةِ. وأما قطعُ الهوى الذي بين الناسِ فذلك بأن تكونَ كالميتِ بينهم أو كالغريبِ عنهم. وأما مشيئَةُ اللهِ، فهي ألا يهلكَ أحدٌ من الناسِ، كما قالَ السيدُ، وأن لا يموتَ الخاطئُ، كما قالَ النبيُّ. وأما مشيئَةُ الشيطانِ فهي ألا يُزَكِّيَ الصَّدِيقُ نفسهُ ويطمئنَ إلَيْها، وعند ذلك يقعُ في الفخِّ، كما أن مشيئَةَ الشيطانَ كذلك في ألا يتوبَ الخاطئُ عن خططيته». (Bar. Let. 174). واستطردَ قائلاً: «إن أردنا أن ننجحَ بالكمالِ فلنقطعَ مشيئاتنا قليلاً قليلاً، لنبلغَ إلى عدمِ الأوحاجِ، وذلك بأن لا تتكلَّ فيما لا تدعُ إليه الضرورةُ، وأن نرضى بجميعِ ما يحدثُ لنا كأنه حسب مشيئتهِ، وألا يكونَ لنا ميلٌ إلى شيءٍ، فمن عدمِ الميلِ بالكليةِ يكونَ عدمُ الآلامِ بنعمةِ

٧٩٢ - سؤال: «إذا طلب مني إنسانٌ أن أصلّيَ عليه، أينبغي لي أن أصلّيَ عليه أم لا؟»

الجواب: «جيدٌ أن تصلي على كلٍّ من يسألك، لأن الرسولَ يعقوب يقول: صلوا على بعضكم بعضاً كي ما تعافوا. وقد صلّى أنسٌ على الرسلِ، على أن تفعل ذلك كمن هو غيرُ مستحقٍ ولا دالة له». (س٥: ١٦٤ ظ) (Bar. Let. 178)

٧٩٣ - سؤال: «أخبرني يا أبي كيف يكون الفكرُ مأكلاً للسباع؟»؟

الجواب: «يصير الفكرُ مأكلاً للسباع إذا لم يسبق الإنسانُ إلى لوم نفسه، فإن هو تغافل، جرّحه بأنيابها وأظفارها، فحسنٌ أن يحتاج إلى الالتصاق بالتوبة، ويجب عليك إلا تزكي نفسك، وألا تقول إنك شيءٌ، فتبرأ أو جاغك، ولا تدن آخرین». (س٥: ١٦٤ ظ) (Bar. Let. 179)

٧٩٤ - وقد حدثَ مرةً لأنَّ آذاه اللصوصُ، فجبنَ حدًا، وبمعونة الله خلص منهم، فأخبرَ الشيخَ عن ازعاجِه وسألَه أن يصليَ عليه، فقالَ الشيخُ: «يا ولدي، إن الله لا يتركنا إن لم نتباعد عنه نحن، لأنَّه يقول: لا تررك، لا أهملك. ولكن قلة إيماننا هي التي تجعلنا نجبن ونخاف من اللصوصِ الذين حضروا إليك، حتى ولو كانوا أكثرَ من مركباتِ فرعون وجندِه، وقد علمتَ أنهم بكلمة الله وعزته قد غرقوا في البحرِ. ألا تذكر المكتوبَ عن الذين جاءوا لأخذ أليشعَ كيف أصاهم العمى، والكتاب القائل: الربُ يحفظك من كلِّ سوءٍ، الربُ يحفظُ نفسك، الربُ يحفظُ دحولك وخروحك. وكيف ننسى القائل: إنَّ عصفوراً لا يسقطُ على الأرضِ بدون إذنِ أبيكم السماويِّ، وإنكم أفضلَ من عصافير كثيرةٍ. والجبن هو وليد قلة الإيمان، وهو متنه قلة الرجاءِ،

وهو يرخي القلب ويحذب الناس من الله إلى بلدة الملائكة. فلنفترّ منه يا ولدي، ولتنبه يسوع ربنا النائم فينا قائلين: يا عظيمانا خلصنا، وهو ينتهر الريح ويسكن الأمواج. لترى الآن القصبة المرضوضة ونلتمس عصا الصليب التي شقت البحر وأغرقت فرعون الفعلى، ونتكل ملقين أنفسنا على الذي صلب من أجلنا، لأنه يعرف كيف يرعا نحن غنمته ويطرد عننا الذئاب الرديئة (Bar. Let. 182). يا ولدي، إني لمعجبٌ منك كيف تفرّع من العيدين الوقوف خارجاً، ولا تفكّر في السادة الذين هم من داخل، لأن اللصوص المحسوسين هم عبيد الشياطين اللصوص الفعلىين، فينبغي لك أن تعرف بالنعمـة أن اللصوص أتوك ولكن المسيح لم يتركك، فأسرع أنت في طلبـه، واسأله أن يعينك لأنه مكتوب: الربُّ قريبٌ من الذين يدعونـه، والذين يرغبونـ إليه بالاستقامة، وهو يصنع مشيئة خائفيـه ويسمع طلباـهم ويخلصـهم. فاقترن بـسيدك ملتصقاً به وهو يطـرك عنك كل الأريـاء، ويبطل قوتـهم» (Bar. Let. 183) (س ٥: ١٦٤)

٧٩٥ - وحدث أيضاً أن هذا الأخ حزن، فسأل الشيخ بأن يصلـي عليه، فأجابـه قائلاً: «يا ولدي، إن الـرب قد صـير إلى الصـلب والـموت، أما تـفرح أنت بالأحزـان؟ لأنـه بـضيقـات كثـيرة يـينـي لنا أن نـدخل مـلـكـوت السـموـات، فلا تـطلب يا ولـدي النـياـح، إنـ لم يـعطـك إـيـاه الـرب، لأنـ كـلـ نـياـح جـسـدي هو مـكرـوه عندـ الله، والـرب قالـ: في العـالم يـكون لـكـم ضـيقـ، ولكن تـقوـوا، أنا قد غـلـبتـ العـالـم، والـرب يـعـينـك وإـيـاه آـمـين». (س ٥: ١٦٥)

٧٩٦ - سـؤـال: «أخـبرـني يا أبي كـيف اـفـتقـدـ الأخـ؟»

الـجـواب: «افـتقـادـ الأخـ جـيدـ، والـكـلامـ البـطـالـ رـديـءـ، وهذا الـأـمـرـ يـأتـي بـكـ إـلـى التـجـربـةـ، فـاقـتـدـ إـذـنـ أـخـاكـ، وـتـحـفـظـ مـنـ الـكـلامـ البـطـالـ، وـليـكـ حدـيـشـكـماـ فيـ أـخـبارـ الـآـباءـ

السالفين، وفيما كانوا يعملونه. وتقول له: كيف أنت؟ وكيف حالك يا أخي ويا أبي؟ ولا تلتمس منه سوى كلام الحياة فقط. وقل له: صلّ عليّ، فإن لي خطايا كثيرة، وما شاكل ذلك، وأعمل للحين مطانيةً وانصرف من عنده بسلامٍ». (س: ٥؛ ١٦٥ ظ) (Bar. Let. 189)

٧٩٧ - سؤال: «أسألك يا أبي أن تبيّن لي ما هي المشيئَةُ الجيدةُ، وما هي المشيئَةُ الرديئةُ؟»

الجواب: «قلتُ لك إن كلَّ نياح جسدي مرذولٌ عند إلها، لأنَّه قال إن الطريق المؤدية إلى الحياة حزينةٌ وضيقَةٌ، فمن يختارها لنفسِه فهي المشيئَةُ الجيدةُ، ومن أرادها فإنه يُلقي بنفسِه في كلِّ أمرٍ حزينٍ بهواه، وبقدر استطاعته. اسمع ما قاله الرسول: إني أُضْمِرُ (أي أقمعُ) جسدي واستعبدَه. فافهم أنَّ الجسدَ لا يريِد ذلك، بل مشيئَته كان يَقْسِرُه، فالذِي يريِد الخلاصَ يجب أن تكونَ مشيئَته هكذا، ومن كان كذلك، فكلُّ أمورِه يختلط فيها الحزنُ. لا تستعمل فراشاً ليناً، وتذَكَّرُ أنَّ كثيرين ينامون على الأرضِ وبين الشوكِ، وإن صادفت طعاماً لذيداً فاتركه، وكلُّ من الدون، كي ما يحرك على جسمِك حزناً، واذْكُر الذين لا يذوقون خبراً البتة، واذْكُر كذلك الألم الذي قبَلَه سيدُك من أجلِك، وأعطِ لنفسِك الويلَ. هذه هي المشيئَةُ الجيدةُ، أما المشيئَةُ الرديئةُ فهي نياحُ الجسدِ في كلِّ ما يطلبه منك، ولا سيما إذا اتفق لك طعامٌ غيرُ جيدٍ، وقلتَ: لا أَكلُ، فهذه هي المشيئَةُ الرديئةُ، فاقطعها عنك وأنت تخلص». (س: ٥؛ ١٦٥ ظ) (Bar. Let. 191a)

٧٩٨ - سؤال: «أخبرني يا أباَه ماذا أعملُ، لأنَّ الأفكارَ قد اضطربت في حَدَّاً؟»

الجواب: «يا ولدي، إنَّ كَانَ الإِنْسَانُ بَطَّالاً، فإنه يتفرَغ لقبوْلِ الأفكارِ التي تأتيه، وإذا كان له عملٌ يعمله، فلا يتفرَغ لقبوْلها. قم وقت السحرِ وأمسك الطاحونَ واطحنَ

فَمَحَكَ، فَتَعْمَلُ مِنْهُ خَبْرًا لِغَدِائِكَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَكَ الْعُدُوُّ وَيَجْعَلَ عَلَيْهَا رَمْلًا،
وَأَسْرَعُ فَاكِتَبْ لَوْحَكَ، وَاحْفَظْ الوجهَ الآخِرَ، لَأَنْ رَبِّنَا يَقُولُ لِلرَّسُولِ، أَتَنْمِ مَلْحَ الْأَرْضِ.
فَالْأَرْضُ يَا ابْنِي هِي جَسْدُكَ، فَكَنْ أَنْتَ مَلْحًا تَمْلَحُهُ، وَجَفْفُ تَقْيِحَاتِهِ^{٨٩} وَدَوْدَهُ، أَعْنِي
أَفْكَارَكَ الرَّدِيَةَ». (س:٥ ج:١٦٦ Bar. Let. 199)

٧٩٩

— من قولِ القديس سمعان العمودي: «مثُلُ إِنْسَانٍ يَتَكَلَّمُ عَنْ غَنِّيٍّ لِيُسْ لَهُ،
وَيَحْسَبُ مَالَ قَوْمٍ آخَرَيْنِ، وَهُوَ نَفْسُهُ لِيُسْ لَهُ شَيْءٌ»، بَلْ تَجْدَهُ عَرِيَانًا مَعْوَزًا فَقِيرًا، كَذَلِكَ
الَّذِي لَمْ يَقْتِنْ لِنَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ غَنِيَّ الْمَسِيحِ، وَهُوَ مَرْافِقٌ لِأَنْاسٍ قَدِيسِينَ، فَتَجْدَهُ عَرِيَانًا مِنْ
مَشَارِكِ الرُّوحِ، لَا يَرِيْعُ شَيْئًا مِنْ غَنِيَّ الْقَدِيسِينَ، لَأَنَّهُ مَشَارِكٌ لَهُمْ بِالسُّكْنَى، وَلَيْسَ
مَشَارِكٌ لَهُمْ فِي الْفَضْيَلَةِ». (س:٥ ج:١٦٦)

٨٠٠ — للقديس يوحنا ذهبي الفم عن الكلمة المكتوبة: أصلٌ بِرُوحِي وأصلٌ
بِضميري، وأرثيل بِرُوحِي وأرثيل بِضميري: «يَرِيدُ الرَّسُولُ أَلَا يَكُونَ إِنْسَانٌ مَصْلِيًّا
بِلِسَانِهِ فَقَطْ تَارِكًا عَقْلَهُ يَتَوَهُ فِي شَتَّى الْأَمْوَرِ، فَيَصِيرُ بِلَا ثَمَرٍ، بَلْ لِيَكُنْ جَهَادٌ وَاحِدٌ
لَا تَنِيمُهُمَا، اللِّسَانُ يَنْطَقُ بِكَلَامِ الصَّلَاةِ، وَالْعَقْلُ يَمْيِيزُ الْمَعْنَى الْخَفِيِّ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، وَالْفَكْرُ يَتَبَعُ
يَسْوَعَ إِلَى فَوْقِ، مَثُلَ النَّفْسِ الصَّاعِدِ مَعَ الْكَلَامِ، فَيَكُونُ مثُلُ إِنْسَانٍ يَشْتَكِي إِلَى الْمَلَكِ
وَوَجْهِهِ نَاظِرٌ إِلَيْهِ وَلِسَانُهُ يَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ اِنْشَغالٍ». (س:٥ ج:١٦٦)

٨٠١ — قال شيخ: «إِنَّ اللَّهَ يَطْبِلُ رُوحَهُ عَلَى خَطِيَّةِ الْعَالَمِ، وَلَا يَطْبِلُ رُوحَهُ عَلَى
خَطِيَّةِ الْبَرِيَّةِ». (س:٥ ج:١٦٦ ظ)

٨٠٢ — قال الأب نستاريون: «يَجْبُ عَلَى الرَّاهِبِ أَنْ يَحْاسِبَ ذَاهِهِ كُلَّ مَسَاءٍ

^{٨٩} تأتي في المخطوطات: نماصيه أو تماسوه، والمقصود الدمامل المتقيحة.

وكلَّ صباحٍ، ماذا صنعنا مما يشاءُ الله، وماذا عملنا مما لا يشاءُ الله، لأنَّه هكذا عاشَ الأبُ أرسانيوس وهكذا نفتقدُ ذواتنا كلَّ أيامِ حياتنا. احرصَ كُلُّ يومٍ على أن تقفَ قدامَ اللهِ بلا خطيبةٍ، وهكذا صلَّى اللهُ كأنك مشاهدٌ له، لأنَّه بالحقيقة حاضرٌ. لا تحسنَ لذاتك أن تدينَ أحداً، لأنَّ الدينونةَ، الكذبَ، اللعنَ، الشرَّ، الشتمَ، الضَّحكَ، كُلُّ هذه غريبةٌ عن الرَّاهبِ، وأما الذي يُكرَّمُ أكثرَ مما يستحقُ فإنه يخسرُ كثيراً». (س: ٥٦٦ ظ) (Abc. Nisteros 5)

٨٠٣ - وسأله أخُّ قائلاً: «إنْ وَجَدْتُ وقتاً مَا، وَأَكَلْتُ ثَلَاثَ خَبَزَاتٍ، فَهَلْ هَذَا كَثِيرٌ؟» فقال له: «هَلْ أَنْتَ فِي الْبَيْدِرِ يَا أَخِي؟» (Abc. Abraham 2). قال له أيضاً: «وَإِنْ أَنَا شَرَبْتُ ثَلَاثَةَ أَقْدَاحَ حَمْرٍ، فَهَلْ هَذَا كَثِيرٌ؟» أجابه وقال: «إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْطَانٌ إِلَّا مَا لَيْسَ كَثِيرٌ، أَمَا إِنْ كَانَ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ، لَأَنَّ الْحَمْرَ مَضِرٌّ جَدًا لِلرَّهَبَانِ لَا سِيمَا الشَّبَابِ فِيهِمْ» (Abc. Xoios 1) (س: ٥٦٦ ظ)

٨٠٤ - وقال أيضاً: «إِنَّ الْلَّصَّ كَانَ عَلَى الصَّلَبِ وَبِكُلِّمَةٍ وَاحِدَةٍ تَزَكَّى، وَيُوَدَّعُ كَانَ مِنْ جَمِيلَةِ الرَّسُلِ، وَفِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ضَيَّعَ كُلُّ شَيْءٍ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، لَا يَفْتَحُ أَحَدٌ مِنْ صَانِعِي الْحَسَنَاتِ، لَأَنَّ كُلَّ الْذِينَ وَثَقَوا بِذَوَاتِهِمْ سَقَطُوا». (س: ٥٦٦ ظ) (Abc. Xanthias 1)

٨٠٥ - قال القديس أكليمياس كوس: «مَنْ يُسْتَطِعُ أَنْ يُمْيِيَ نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَذَاكَ يُسْتَطِعُ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِنَفْسِهِ بِذَكْرِ الْمَوْتِ، وَمَنْ يُحِبُّ مُخَالَطَةَ النَّاسِ فَلَنْ يُسْتَطِعَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ عَاهَةٌ لِنَفْسِهِ». (س: ٥٦٧ ج) (Lad VI, 21)

٨٠٦ - وقال أيضاً: «لَا يُسْتَطِعُ إِنْسَانٌ أَنْ يَجْتَازَ يَوْمًا كَمَا يَنْبَغِي، إِنْ لَمْ يَحْسِبْهُ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا». (س: ٥٦٧ ج) (Lad VI, 24)

٨٠٧ - سأله أخُّ الأب روفس: «مَا هُوَ السَّكُوتُ؟» فأجابه الشيخُ قائلاً: «هُوَ

الجلوسُ في القلابةِ بمعرفةٍ ومخافةِ اللهِ، والامتناعُ من ذِكْرِ كُلّ شَرٍّ. والمداومةُ على حفظِ ذلك يلُدُ التواضعَ، ويحفظُ الرهبانَ من العدوّ». (س:٥ ١٦٧ ج) (Abc. Rufus 1a)

٨٠٨ - وعند نياحته اجتمع إليه تلاميذه قائلين: «كيف يجب أن نتدبرَ من بعدي؟» فأجاهم الشیخُ: «لست أعلمُ أني قلتُ لأحدٍ منكم قط أن يصنع شيئاً، قبل أن أصلحَ الفكرَ أولاً، ولم أسرط إذا هو لم يصنع بحسبِ ما قلته له، وهكذا قضينا كُلَّ زماننا بهدوءٍ». (س:٥ ١٦٧ ج) (Abc. Romanos 1)

٨٠٩ - رجلٌ موسِّرٌ، تصدقَ بمالٍ، وأمسكَ بعضَه لقلةِ إيمانه، وأتى إلى الأبَ أنطونيوسَ وسجدَ له قائلاً: «علَمْتُ كيفَ أخلصُ». قال له الشیخُ: «إنْ أردتَ أن تخلصَ فاصنعَ ما أقوله لكَ أولاً. امضِ إلى القريةِ واشتري لحمًا وانزع ثيابكَ وعلقه في رقبتكَ وتعالَ». فأطاعَ الشیخُ، واشتريَ اللحمَ، وخلعَ ثيابَه، وحملَه على رقبتهِ، فلم يبقَ طيرٌ ولا كلبٌ في تلك القريةِ إلا واجتمعوا عليه، فنهشه الطيرُ وجرحَ جسمَه. فلما بلغَ القديسَ على هذه الحالِ، قال له: «مرحباً يا ابنَ الطاعةِ، أعلمُ يا ابني إنْ قلتُ لكَ أن تصنعَ هذا، كي أعطيكَ مثلاً، فإنْ كثيرينَ من الناسِ، إذا سمعوا الوصايا لا يحفظونها، وآخرونَ ينسوها لقلةِ الحسُّ، ولذلك أمرتُكَ بهذا ليكونَ كلامي فيكَ ذا أثرٍ، لأجلِ ألمَ الوجعِ، فإنَ أصحابَ قلةِ الحسُّ لا تنفعُ فيهم الموهبةُ شيئاً، فلهذا المعنى يا ابني أَسَّستُ فيكَ آثاراً لوصيتي. فإذا قد تنقَّى حقلُكَ من شوكِ الغفلةِ، فلنبدِرُ فيكَ الزرعَ المقدسَ، أرأيتَ يا ابني كيفَ نهشتَ الطيورُ والكلابُ جسمَكَ وجرحَته، كذلك تنهشُ الشياطينُ أصحابَ القنَى، فافهمُ الآنَ هذا الكلامَ في عقلِكَ وتفكَّرْ به كلَّ أيامِ حياتكَ، وإياكَ يا ابني أن تجعلَ لكَ اتكالاً على المالِ، بل اتكلَ على المسيحِ. فاذهبَ الآنَ وفرقْ جميعَ ما أقيمتَ لكَ من المالِ، حتى تكونَ، يا حبيبي، رهبانِتُكَ صافيةً من الغشِّ، لأنَّه ضارٌ بالراهبِ أنْ يُقْيِ في

قلايته ديناراً وشيطاناً»، وبعد أن دعّمه بالكلام أخذ قليلاً من الزيت وصلى عليه ودهنه، وللوقت شُفِيَ كأنه لم تُصبه جراحٌ ولا ألمٌ قط، وذهب وهو مسروّر يسبح الله». (س: ٥)

(Abc. Anthony 20) ١٦٧

م٢٥

القديس بولس البسيط

٨١ - حدث مرةً أن أتى القديس بولس البسيط تلميذ الأب أنطونيوس إلى الإسقسط، لافتقدان الإخوة كعادته، ولما دخلوا الكنيسة ليكملوا القدس، كان يتأمل كل واحدٍ من الداخلين، ويعرف الحال التي عليها نفسه، وكان يرى مناظرهم بهجة، وملائكتهم يتبعوهم مسرورين، وعاين أحدهم أسودَ كله، وشياطين سجحة تحيط به يجرُونه، وملائكة يتبعه من بعيد عابساً، فلما رأى ذلك بكى وقرع صدره مرات، وخرج من الكنيسة باكياً، فخرج الإخوة إليه قائلين: «لماذا تبكي يا أباانا؟» وطلبوا إليه أن يدخل معهم للقدس، فامتنع وجلس على باب الكنيسة متاجباً جدًا. ولما كملت الصلاة وخرجوا، كان يتأمل إليهم أيضاً، مؤثراً أن يعرف خروجهم، فرأى ذلك الأخ الذي كان قد دخل على تلك الحال السجحة، قد خرج بهيَّ الوجه، أبيضَ الجسم، وملائكة ملائقة به مسروراً، والشياطين يتبعونه وهم مكمدين. وإن القديس بولس صفق بيديه مسروراً ووتب بفرح عظيمٍ مباركاً الله أبا الصلاح، بصوت عالٍ قائلًا: «هلموا أبصروا أعمال الله المرهوبة المستحقة كل ذهولٍ وعجبٍ، هلموا أبصروا أعمال إلينا الصالح، الذي يشاء خلاصَ كل الناس، ومحبته للبشر التي لا يُلفظ بها، هلموا نسجد ونخرُّ قائلين: أنت وحدك يا إلينا قادرٌ أن تترعَ كل خطيبة». فحضر الكل لسماع أقواله، فأخирهم بما ظهر له، وسأل ذلك الأخ أن يُعرّفه السبب الذي من أجله وهب الله له تبدلٌ تلك الحال نقيةً. فقال بمحضرِ من الكل: «إني منذ زمانٍ طويلٍ عايشٌ في النجاسة إلى أبعد غايةٍ، فلما

رأيتُ الأب باكيًا جدًّا، ابتدأ قلبي فيَ أن يتخذَ إحساساً، فأنصتُ إلى القراءاتِ، فسمعتُ إشعياء يقول: اغتصلوا، صيروا أنقياءَ، أزيلوا شرورَكم من أمامَ عيني، تعلَّموا أن تصنعوا حسناً، وتعالوا نتناظر يقول الربُّ، إنْ كانت خطاياكم كالثلج فتبغضْ كالثلج وإن أحمرت كالبَقْمٍ^(٩٠) أجعلها كالصوفِ النقى. فلما سمعتُ أنا الخطاطي هذا الكلام، ضعف قلبي وقلتُ أمامَ الله: أنت الإله المحنن الذي أتيتَ لخلاصِ الخطأةِ، يا من قلتَ إنه يكون فرحٌ في السماءِ قدام ملائكةَ الله بخاطئٍ واحدٍ يتوب، والآن يا ربِّي، ما وعدتَ به بفِ نبيك تتمَّه فيَ أنا الخطاطي، واقبني إليك تائباً، وها أنا منذَ الآن لا أصنعُ شيئاً مما كنتُ أصنعُه من الآثامِ، وسوف أخدمك بكل طهارةٍ إلى آخرِ نسمةٍ من حياتي. وعلى هذا خرجتُ من الكنيسة». فلما سمع الآباءُ ذلك صرخوا بصوتٍ واحدٍ قائلين: «لقد عَظَمتَ أعمالك يا ربُّ، كلَّها بمحكمةٍ صنعتَ». ومن ذلك الوقتِ عاش ذلك الأخُ بكلِّ نقاوةٍ وأرضى الله بسيرةٍ فاضلةٍ، فعلينا ألا نقطعَ رجائنا من مراحِمِ إلينا، لأننا إذا أتينا إليه، لا يطالبنا بسالفِ أعمالنا، لأنه كوعده الصادقِ يغسلُ الراجعينَ إليه بكلِّ قلوبِهم ويُبَيِّضُهم كالثلج. له الحمد دائمًا. (س: ١٦٨ ج) (I)

٥٤

٨١١ - كان قسيسُ القلالي^(٩١) قد أعطى نعمةً من اللهِ أن ينظرُ الأرواحَ النحسةَ عياناً، وذات يومٍ، بينما كان ذاهباً إلى الكنيسةِ ليكمل الصلاةَ الجامعةَ، وإذا به ينظرُ جماعةً من الشياطين خارج قليةً أخِيرَ، ووجد بعضَهم في شكلِ نساءٍ وهم يغنوون ويقولون ما لا يجب سماعه، ووجد البعضُ منهم في شكلِ صغارٍ يرقصون، والبعضُ الآخرُ مقبلين

^{٩٠} البَقْمُ، مُسْدَدَةُ القافِ: حَسَبَ شَجَرَةُ عِظامٍ، وَوَرَقَهُ كَوَرَقِ اللُّوزِ، وَسَاقُهُ أَحْمَرُ، يُصْبِغُ بَطَيْحَهِ (القاموسُ المحيط).

^{٩١} يبدأ النص اليوناني هكذا: قيل عن الأب مقاريوس.

على أعمال رديئة، فتنهد الشیخ قائلاً: «بلا شك إنه يوجد في داخل القلابة راهب يعيش في التوانی^{٩٢}، من أجل هذا تحيط الأرواح النجسة بقلابته هكذا بعدم أدب»، فلما أكمل القس الصلاة الجامعة، عاد ودخل قلابة ذلك الأخ، وقال له: «يا أخي، أنا في ضيقه، ولي فيك إيمان أنك إذا صلیت علي تخف الشدة المحيطة بي». فضرب الأخ مطانية قائلاً: «إني غير مستحق أن أصلی عليك يا أبي»، وكان الشیخ يداوم الطلبة إليه قائلاً: «لست أمضي حتى تعااهدني أنك تصلی عن صلاة في كل ليلة»، فأطاع الأخ أمر الشیخ، وإنما فعل الشیخ هذا حتى يعطيه سبباً ليصلی في الليل. فلما قام الأخ في الليل ليصلی على الشیخ، صار في تحسُّر وقال في نفسه: «يا شقي، إن كنت تصلی على شیخ قدیس كهذا، فلم لا تصلی على نفسك وحدك». وإنما صنع صلاة على الشیخ، وصلاة أخرى على نفسه، وهكذا أكمل الأسبوع كل ليلة يعمل صلاتين، واحدة عن الشیخ، والأخرى عن نفسه. وفي يوم السبت التالي، انطلق القس إلى الكنيسة ، فأبصر الشیاطین قياماً على باب قلابة الأخ وهم سکوت، فعلم الشیخ أنه من أجل أن الأخ صلی سكتوا، ففرح، ولما أكمل الصلاة، عاد ودخل قلابة الأخ، وقال له: «اصنعوا معی رحمة يا أخي من أجل محبة السيد المسيح، وزدني صلاة أخرى في كل ليلة، فإني قد وجدت راحة قليلة». فلما صلی عن الشیخ صلاتين، صار أيضاً في ندم قائلاً: «يا شقي، زد أيضاً صلاة أخرى على ذاتك». فصنع هكذا الأسبوع جميعه، يكمل كل ليلة أربع صلوات. ولما جاء القسیس يوم السبت إلى الكنيسة، نظر الشیاطین سکوتاً معبسين، فشكر الله، ثم أنه دخل إلى الأخ، وسأله أن يزيده صلاة أخرى، فراد له ولنفسه أيضاً. وهكذا صار الشیخ يجيء إليه و يجعله أن يزيد قليلاً قليلاً حتى رجع إلى طقسِه الأول. فحقن الشیاطین على الشیخ لأجل الخلاص الذي

^{٩٢} توانی في مخطوط س ٥: راهب يعيش في توانی، وهكذا في النص اليوناني. وفي مخطوط س ٤: راهباً وهو في آتون نار.

صار للأخ وانصرفوا عنه وهم حزان، وصار الأخ يصلّي بغير فتورٍ واقتني الغلبةَ بنعمة ربنا يسوع المسيح، الذي له المجد إلى الأبد آمين. (س٥: ١٦٨ ظ) (Sys. XVIII 14)

٨١٢ - سُؤال أخ أبا تادرس: «بأي طرِيقٍ يمكن للإنسان أن يُخرج الشياطين من ذاته؟»؟ فقال له القديس: «إذا قَبِلَ إِنْسَانٌ ضيقاً وأكرمه، فإن كان لا يقدر أن يطردَه اليوم، ففي الغد لا يقدر أن يطردَه، ذلك إذا كان متاعه داخلَ البيتِ، أما إذا أعطاه متاعه وجميع ما كان داخل بيته، فحينئذ لو أراد أن يطردَه، أغلقَ البابَ في وجهه. وهكذا الحال مع الشيطان، إذا لم تطرح متاعه خارجاً عنك، الذي هو الرزق والتحاسةُ والكذبُ وجميع آلاتِه، فلا تقدر أن تطردَه». (س٤: ١٢٥ ج)

٨١٣ - سُؤال أخ أبا آمنا مرةً قائلًا: «يا أبي ثلاثةُ أفكارٍ تضايقني. الأول، أن أسكنَ في البراري بغيرِ همٍ، والثاني، أن أمضي إلى الغربةِ حيث لا يعرفني أحدٌ، والثالث، أن أحبسَ نفسي في القلايةِ، ولا أجتمع بأحدٍ، وأصوم يومين يومين». قال له الشيخُ: «ولا واحدٌ من هذه الأفكار تستطيع أن تمارسه كما ينبغي، بل الأفضل أن تجلسَ في قلابتكِ، وكُلْ في كلّ يومٍ قليلاً، واجعلَ كلمة العشارِ في فمك دائمًا قائلًا: يا الله اغفر لي فإني خاطئ، وأنت تنتيغ». (س٥: ١٦٩ ظ) (Abc. Ammonas 4)

٨١٤ - الأَبْ صِصُوِي

قلابتهِ، ومنع خادمه من الدخول إليه عشرة شهورٍ، لم يضرُ فيها إنساناً، وفيما هو يمشي في الجبلِ ذات يومٍ، إذا به يجدُ إنساناً إعراياً يتضيّدُ وحشاً بريّةً، فقال له الشيخُ: «من أين جئتَ، وكم لك من الزمان ههنا؟»؟ فقال له الرجلُ: «صدقني يا راهب، إن لي في

هذا الجبل أحد عشر شهراً لم أر أحداً غيرك». فلما سمع الشيخ ذلك، دخل قلابته وصار يضرب صدره ويقول: «يا صيصوي، لا تظن أنك صنعت شيئاً لأنك لم تصنع بعد مثل ما صنعه هذا الإعرابي». (س: ٥١٦٩ ظ) (Abc. Sisoes 7)

٨١٥ - وسأله أخ: «أثرى، هل كان الشيطان يضطهد القدماء هكذا؟ أجابه الشيخ: «بل اليوم يضطهد أكثر لأن زمانه قد قرب، فهو لذلك قلق». (س: ٥١٧٠ ج) (Abc. Sisoes 11)

٨١٦ - ومرة زاره أباً دلفيوس أسقف نيلوبوليس^{٩٣} في جبل أنطونيوس، ولما عزم على الانصراف جعله يتغذى باكراً قبل انصرافه وكان صوم، فلما وُضعت المائدة، إذا قوم يقرعون الباب، فقال لتلميذه: «قدم لهم قليلاً من الطبيخ». فقال الأسقف: «دعهم الآن لثلا يقولوا إن أباً صيصوي يأكل باكراً». فتأمله الشيخ وقال للأخ: «امض أعطهم». فلما أبصروا الطبيخ، قالوا للأخ: «يا أثرى هل عندكم ضيوف والشيخ يأكل معهم؟» قال: «نعم». فحزنوا قائلين: «لماذا تركتم الشيخ يأكل في مثل هذا الوقت؟ أما تعلمون أن الشيخ يعذب ذاته أيام كثيرة، بسبب هذه الأكلة؟» فلما سمع الأسقف هذا الكلام، صنع مطانية قائلاً: «اغفر لي يا أبي لأنني تفكرت فكراً بشرياً، أما أنت فقد صنعت أوامر الله». فقال الشيخ: «إن لم يمجد الله الإنسان، فمجد الناس ليس شيئاً». (س: ٥١٧٠ ج) (Abc. Sisoes 15)

٨١٧ - وحدث مرة أيضاً أن زاره أباً قاسيانوس (كاسيان)، والقديس جرمانوس، شيخان من فلسطين، فاحتفل بضيافهم. فسألاه لأي سبب لا تحفظوا رسوم صومكم في وقت ضيافتكم الإخوة الغرباء على ما قد عرفناه في بلدنا فلسطين؟ فأجابهم

^{٩٣} نيلوبوليس أو دلاص القديمة من أعمال البهنسا محافظة بني سويف (Amélineau, p. 317-318)

قائلاً: «إن الصوم معي دائماً، وأما أنت فلستَ معنِي دائماً، والصوم شيءٌ نافعٌ لازمٌ وهو من نيتنا ومن إرادتنا، وأما إكمال الحبة فيطالبنا به ناموسُ اللهِ بلازم الاضطرار، فبِكُمْ أقبلُ المسيحَ، ويوجب على دينَا لازماً بأن أخدمه بكل حرصٍ، فإذا شيعتُكم أمكني استعادة صومي، وذلك أن أبناءَ العرس لا يستطيعون أن يصوموا ما دام العريسُ معهم، فمتي رفع المخنف فحينئذ يصومون بسلطانٍ» (Abc. John Cassian 1)

٨١٨ - وحدث مرأةً أن سألاً أنبا يوسف الأب صيصوبي قائلاً: «كم من الزمان يحتاجُ الإنسانُ لقطعِ الآلام؟»؟ أجابه الشيخُ: «في آيةٍ ساعةٍ تتحركُ الآلام، ففي الحالِ اقطعها». (س٥: ١٧٠ ج) (Abc. Sisoes 22)

٨١٩ - وأيضاً سأله أخٌ عن تدبيرِ ما، فأجابه الشيخُ قائلاً: «إن دانيال النبي قال: خبزٌ شهوةٌ ما أكلتُ». (س٥: ١٧٠ ج) (Abc. Sisoes 23)

٨٢٠ - وسأله أخٌ آخر قائلاً: «إذا مشينا في طريقٍ، وضلَّ مهدينا فهل ينبغي أن ننبهه؟»؟ فقال له الشيخُ: «لا». قال الأخ: «هل نتركه إذن يضلُّنا؟»؟ فأجابه الشيخُ: «وماذا نعمل إذن، أناخذ عصاً ونضربه؟ إنِي أعرف إخوةً كانوا سائرين بالليلِ، فضلَّ مرشدُهم وكانوا اثني عشرَ أخَّاً، وعلموا كُلُّهم أفهم قد ضلوا، فجاهد كُلُّ واحدٍ منهم ألا يتكلم، فلما أضاء النهارُ، علم مرشدُهم بأنه قد ضلَّ الطريقَ، فقال: اغفروا لي قد ضللَ الطريقَ. فقالوا له كُلُّهم: لقد علمنا، ولكننا سكتنا. فلما سمع ذلك تعجبَ، وقال: إن إخوتنا تمسكوا حتى الموتِ على ألا يتكلموا، وسبح اللهُ. وقد كانت مسافةُ الطريقِ التي مشوها اثني عشرَ ميلاً»». (س٥: ١٧٠ ج) (Abc. Sisoes 30)

٨٢١ - أَنْبَأَ صِصُوبِصُ الصَّعِيدِيَّ: قيل عنه إنه كان ساكناً في غَيْضَةٍ^(٩٤)، وشَيخٌ آخر كان مريضاً في الدير، فلما سمع حزن، لأنَّه كان يصوم يومين، وكان ذلك اليوم من الأيام التي لا يأكل فيها. فقال: «مَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنْ مَضِيْتُ رَبِّي أَلْرَمِي الإِخْوَةُ بِأَنَّ أَكَلَ، وَإِنْ صَبَرْتُ إِلَى الْغَدِيرِ، فَرَبِّي يَتَنَبَّعُ الشَّيْخُ، لَكِنِّي هَكُذا أَصْنَعُ، أَمْضِي وَلَا أَكَلُ». وفعلاً مضى وأتمَ وصيَّةَ اللَّهِ، ولم يحل قانونه (Abc. Sisoes 32). وقد أخبر عنه أيضاً بعض الآباء، إنه أراد وقتاً ما أن يغلب النوم، فلعلَّ ذاته في صخرة، فجاء ملاكُ اللَّهِ وأوصاه ألا يصنع مثل هذا، ولا يجعل ذلك عادةً لآخرين (Abc. Sisoes 33) (س٥: ١٧٠ ظ)

٨٢٢ - وكذلك سأله أخُّ قائلاً: «إِذَا كُنْتُ جَالِساً فِي الْبَرِّيَّةِ وَأَقْدَمْ بِرَبِّيِّ وَأَرَادْ قَتْلِيِّ، وَقَوْيَتُ عَلَيْهِ، أَفَأَقْتَلَهُ؟» فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ: «لَا، لَكَ سُلْطَانُ الْأَمْرِ اللَّهِ، لَأَنَّ أَيَّ مَحْنَةٍ تَأْتِي عَلَى الْإِنْسَانِ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا مِنْ أَجْلِ خَطَايَايِّ». (س٥: ١٧٠ ظ) (Abc. Sisoes) (34)

٨٢٣ - وسأله أخُّ آخر قائلاً: «قُلْ لِي كَلْمَةً». فَقَالَ: «أَيُّ شَيْءٍ لِي لَأَقُولُهُ لَكَ؟ إِنِّي أَقْرَأَ فِي الْعَتِيقَةِ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى الْمَحْدِيَّةِ». (س٥: ١٧٠ ظ) (Abc. Sisoes 35)

٨٢٤ - وَقَالَ أَيْضًا: «صِرْ مَهَانَا وَاطْرَحْ مُشِيْتَكْ وَرَاعِيَكْ، وَصِرْ بَلَا هُمْ تَجْدِ نِيَاحَا». (س٥: ١٧١ ج) (Sys. I,26)

٨٢٥ - كذلك سأله آخر قائلاً: «قُلْ لِي كَلْمَةً». فَأَجَابَهُ: «مَاذَا تَطْلُبُ كَلامًا؟ اصْنَعْ مُثْلِمَا تَرِي». (س٥: ١٧١ ج) (Abc. Sisoes 45)

٨٢٦ - اعتَلَّ أَنْبَأَ صِصُوبِصُ وَكَانَ الْآبَاءُ جَلُوسًا حَوْلَهُ، فَسَمِعُوهُ يَخَاطِبُ قَوْمًا،

^{٩٤} تأني في اليونانية: Καλαμῶνα τοῦ Ἀρσενοῖτου قلمون أرسينوي، وهو جبل القلمون جنوب الفيوم .(Amélineau, p. 388-389)

فقالوا له: «ماذا تعانين أيها الأب؟»؟ فقال: «ها أنذا أعاين قوماً قد جاءوا لأنخذ نفسي، وأنا أتضرع إليهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب». فقال له أحدُ الشيوخ: «وإنْ هم أمهلوك، هل تقدر الآن أن تتحجَّ في التوبة وأنت في هذا السن؟»؟ فقال: «وإنْ كنتُ لا أقدرُ أن أعملَ عملاً فإني أتهدرُ وأبكي». فقال له الشيوخ: «إنْ توبَتْك قد كملتُ أيها الأب». فقال لهم: «صدقوني إني لستُ أعرفُ من ذاتي إذا كنتُ بدأتُ إلى الآن»؟ ولما قال هذا، أشرق وجهُه كالشمس، ففزعَ الذين كانوا حوله. فقال: «انظروا، إنَّ الربَ قال: ائتوني بتائبِ البريةِ». ولو قته أسلمَ الروحَ وامتلأَ المترُّلُ من رائحةِ ذكيةٍ. (س:٥ ج) (Abc. Sisoes 14, 49)

مِنْهُمْ

الأب سلوانس

٨٢٧ - الأَبُ سلوانس: حدثَ مرَّةً أنْ أضافَه إخْرُوَّةً بديرٍ ومعه تلميذه زكريَا، وجعلوهما يتغذيان قبل انصرافهما. وفي ذهابهما عطشَ التلميذُ، فلما وجد في الطريقِ ماءً ليشربَ، منعهُ الشيَّخُ قائلاً: «لم يأتِ وقتُ الإفطارِ بعد». فقال له التلميذُ: «ألم نأكلَ قبل انصرافنا يا أبي؟»؟ فقال له الشيَّخُ: «إنه لأجلِ الحبةِ أكلنا، والآن لا نحلُّ قانونَنا». (س:٥ ج) (Abc. Silvanus 1)

٨٢٨ - وكان هذا الأَبُ جالساً مرَّةً مع إخْرُوَّة، وفجأةً أخذَ مبهوتاً وسقطَ على وجهِه، ومن بعد حينٍ قام باكيًا، فقال له الإخْرُوَّةُ: «ما الذي أبكاك يا أباًنا؟»؟ فسكتَ باكيًا، فلما أكرهوه على الكلامِ قال: «إني اختطفتُ إلى موضعِ الدينونةِ، ورأيتُ كثيرين من جنسنا يُساقون إلى العذابِ، وكثيرين من العلمانيين منطلقين إلى الملકوتِ». وناحَ الشيَّخُ ولم يشأْ أن يخرجَ من القلابةِ، وإذا أكرهَ على الخروجِ، فإنه كان يستر وجهَه بيرنس قائلاً: «لماذا أرى هذا الضوءَ؟». (س:٥ ج) (Abc. Silvanus 2)

٨٢٩ - ولما كان الأب سلوانس بطور سينا، أرسل تلميذه في خدمة وقال الشيخ في نفسه: «أقوم الآن وأستقي البستان». فخرج وكان وجهه مُغضّطٌ، وما كان ينظر سوى أثر قدميه فقط، وفي ذلك الوقت أتى إليه أخيه زائرًا له، وكان يتأمل ماذا يصنع، في حين أن الشيخ لم يكن يبصره. فلما جاء إليه الأخ، قال له: «لماذا غطيت وجهك يا أبي، وأنت تستقي البستان؟»؟ فقال له: «قلت لثلا تبصر عيني الشجر، فينشغل عقلي عن شغله». (س: ١٧١) (Abc. Silvanus 4)

٨٣٠ - كذلك سأله الإخوة عند موته قائلين: «آية سيرة صنعتها أيها الأب، حتى اقتتلت هذه الحكمة؟ فأجاب: «لم أترك قط في قلبي ذِكْرًا يُسخط الله». (س: ١٧١) (Abc. Silvanus 6)

٦٥

الأب سيمون

٨٣١ - الأب سيمون: في بعض الأوقات، سمع عنه أرخن، فقدم ليبصره، فلما سمع به الشيخ، تناول سلةً ومضى إلى خلطة ليقلّمها. فلما جاءوا صاحوا بالشيخ: «أين المتصود؟»؟ فأجابهم: «المتصود انصرف من هنا». فلما سمعوا انصرفوا. (س: ١٧١) (Abc. Simon 1)

٨٣٢ - وحدث مرّة أن أتى إليه إنسانٌ رئيسٌ لينظره، فسبق إليه قومٌ من أصحاب الكنيسة وأخبروه قائلين: «استعد فإن فلاناً الأرخن قد سمع بك، وهو هو حاضرٌ لينظرك ويبارك منك». فأجابهم الشيخ قائلًا: «نعم، إبني ساهي نفسي جيداً». فقام وليس المرفعة التي له، وأخذ خبزاً وجبنًا، وركب الحائط مفروق الرجلين كما يركب الحصان، وجعل يأكل ويهزّ رجليه. فلما قدم الأرخن مع حشمه، وأبصره هكذا، شتمه قائلًا: «هذا هو المتصود الذي سمعنا عنه؟ ليس هنا متصود». وهذا هو نفس الكلام الذي

٨٣٣ - كما أخبروا أيضاً عن الشيخ أنه كان جالساً وحده، وكان إنسانٌ علماني يخدمه دهره كله، وحدث أن مَرِضَ ابن ذلك العلماني، فطلب إلى الشيخ قائلاً: «ادخل وصلٌ على أبي». فلما أكثر عليه الطلب، خرج الشيخُ وذهب معه، فتقدمه الرجلُ ودخل قبله القريةَ وقال لأهل القرية: «اخرجوا للقاء القديس فقد جاء». فلما رأهم الشيخُ من بعيدٍ مقبلين نحوه بالشمعون والقراءة، نزع لوقته ثيابه وألقاها في النهرِ ووقف عرياناً يغسلها برجليه. فلما رأه ذلك الإنسانُ الذي كان يخدمه هكذا، حزن ورجع يطلبُ إلى أهل القريةِ قائلاً لهم: «يا إخوة، ارجعوا إلى بيوتكم، لأنَّ الشيخَ قد تاه ولا يدرى ما هو فيه». فلما رجع الناسُ إلى بلدتهم، تقدم الرجلُ إليه وقال له: «يا أبي، ما هذا الذي فعلته؟ لأنَّ الناسَ قالوا إنَّ ذلك الشيخَ مجنونٌ لا يدرى ما هو فيه». فقال له الشيخ: «هذا ما أردتُ أنْ أسمعه». (س٤: ١٢٦ ظ) (Bu. I, 274)

بـ تـ مـ

الأم سارة

٨٣٤ - قيل عن الأم سارة إنها مكثت ثلاثة عشرة سنة وهي مقابلة قتالاً شديداً من شيطانِ الزنى، وكان يصنع لها مغريات العالم، ولم تكن تحيد قط عن مخافة الله والنسلِ (Abc. Sarah 1). فصعدت مرأة إلى السطح لتصلبي، فرأيت روحَ الزنى متجمسًا وقال: «لقد غلبتني يا سارة». فأجابته: «إني لم أغلك، ولكن سيدِي يسوع المسيح». فانصرف عنها القتالُ من ذلك الوقت. (س٥: ١٧٤ ظ) (Abc. Sarah 2)

٨٣٥ - وقيل أيضاً عن هذه القديسة، إنها كانت ساكنةً فوق النهرِ ستين سنةً لم تطلع البنت لتنظرَه. (س٥: ١٧٥ ج) (Abc. Sarah 3)

٨٣٦ — وقد قالت أيضاً: «إني أضعُ رجلي على السُّلْمِ لأصعدَ فأنصورَ الموتِ قدامي قبلَ أنْ نقلَ الرِّجلَ الثانية». (س٥: ١٧٥ ج) (Abc. Sarah 6)

٨٣٧ — زار مرأةً رهبانًّا من الإسقيط الأم سارة، فقدمت لهم طعاماً، فتركوا الجيد وأكلوا من الدونِ. قالت: «بالحقيقة إنكم إسقيطيون». (س٥: ١٧٥ ج) (Abc. Sarah 8)

٨٣٨ — وقالت: «جيدٌ هو أن يصنع الإنسان رحمةً ولو من أجلِ الناسِ، فيأتي فيما بعد إلى أن يرضي الله». (س٥: ١٧٥ ج) (Abc. Sarah 7)

٤٦

الأم سفرنيكي

٨٣٩ — قالت الأم سفرنيكي^{٩٠}: «إنَّ كثيرين يسكنون الجبالَ، ويعملونَ عملَ أشرارِ الناسِ ويهلكونَ أنفسَهم». (س٥: ١٧٥ ج) (Add. Syncletique S 1)

٨٤٠ — وقالت أيضاً: «قد يمكن أن يكونَ الإنسانُ مع كثيرين وهو منفردٌ بالضميرِ والهمةِ والنيةِ، وقد يكونُ الإنسانُ وحدهُ وهو مُنصرِفٌ بالذهنِ مع الكثيرين». (س٥: ١٧٥ ج) (Add. Syncletique S 1)

٨٤١ — وقالت أيضاً: «جهادٌ عظيمٌ وتعبٌ يلقاه المتقدمون إلى الله في البداية، وبعد ذلك فرحة لا يُلْفظُ بها، كمثلِ الذين يلتمسون أن يوقدوا ناراً، ففي أولها تُدْخَنُ فتدمع عيونُهم، وفيما بعد ينالون المطلوب، وأنه قد قيل إن إلينا نارٌ آكلةٌ. فلننكب دهنَ العبراتِ لتشتعل النارُ الإلهية داخلنا». (س٥: ١٧٥ ج) (Abc. Syncletique 1)

^{٩٠} يأتي اسم القديسة سفرنيكي في البستان المطبوع عام ١٩٥١ وفي المخطوطات س٤، س٥، س٦، أما الصور اليونانية والقبطي الصعيدي فتضع بدلاً منها اسم القديسة سينكليتيني.

٨٤٢ - وقالت كذلك: «كما أنَّ الْوَحْشَ النَّافِثَةَ لِلْسُّمِّ يُطْرِدُهَا حَادُّ الْأَدْوِيَةِ هَكُذَا الْأَفْكَارُ الْخَبِيثَةُ يُطْرِدُهَا الصُّومُ مَعَ الصَّلَاةِ». (س: ٥ ج: ٣) (Abc. Syncletique 3)

٨٤٣ - وقالت أيضاً: «لَا يَخْدُنُكَ تَنَعُّمُ الْعَلَمَانِيَّنَ الْأَغْنِيَّا، كَأَنْ فِيهِ شَيْئًا نَافِعًا مِنْ أَجْلِ اللَّذَّةِ، لَأَنَّ أُولَئِكَ يُكَرِّمُونَ صَنَاعَةَ الطَّبَاخِينَ لَا غَيْرَ، فَجُزُّ أَنْتَ بِالصُّومِ فَوْقَ التَّلَذُّذِ بِالْأَطْعَمَةِ، لَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: إِنْ نَفْسًا مُتَرْفَهَةً، إِذَا اتَّهَرَتْ مِنْ أَرْبَابِهَا أَلَا تَشْبَعُ خَبِيزًا، فَلَنْ تَطْلُبْ حَمَرًا». (س: ٥ ج: ٤) (Abc. Syncletique 4)

٨٤٤ - سُئِلَتْ هَذِهِ الْمُغْبُوَّةُ مَرَّةً إِنْ كَانَ عَدْمُ الْقِيَّةِ صَلَاحًا كَامِلًا، فَأَجَابَتْ بِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ حُدُّ الصَّلَاحِ لِمَنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكُ، لَأَنَّ الَّذِينَ يَصِيرُونَ عَلَى عَدْمِ الْقِيَّةِ يَكُونُونَ لَهُمْ حَزْنٌ بِالْجَسْمِ، وَنِيَّاحٌ بِالرُّوحِ، وَهَدْوَةٌ فِي أَنْفُسِهِمْ، كَمِثْلِ الشَّيَّابِ الْجَلَدِ الَّتِي تُدَسِّسُ بِشَدَّةٍ وَتُقْلِبُ وَتُغْسِلُ فَتَنْتَظَفُ، هَكُذَا أَيْضًا النَّفْسُ الشَّدِيدَةُ بِالْفَقْرِ، فَإِنَّمَا تَتَشَدَّدُ وَتَنْتَظِفُ. (س: ٥ ج: ٥ ظ) (Abc. Syncletique 5)

٨٤٥ - وقالت أيضاً: «إِذَا كُنْتَ فِي دِيرٍ فَلَا تَسْتَبِدُهُ بَآخِرِ غَيْرِهِ، وَلَا آخِرَ بَآخِرِ لَعْلَا تَسْتَكْمِلَ زَمَانُكَ بِدُونِ ثُمَرٍ، مِثْلُ الطَّائِرِ الَّذِي يَقُومُ عَنِ الْبَيْضِ فَيَفْسُدُ وَيَصِيرُ عَدِيمَ التَّوْلِيدِ. كَذَلِكَ الرَّاهِبُ الْكَثِيرُ التَّنَقْلِ، تَرَدُّ حَرَارَةُ الرَّهْبَنَةِ وَتَمُوتُ مِنْ قَلْبِهِ». (س: ٥ ج: ٦) (Abc. Syncletique 6)

٨٤٦ - وقالت كذلك: إنَّ حِيلَ الْمُخْتَالِ كَثِيرَةٌ، فَإِذَا لَمْ يَذْلِلْ النَّفْسَ بِالْفَقْرِ، فَإِنَّهُ يَقْدِمُ لَهَا الْخَدِيعَةُ بِالْغَنِيَّ، وَإِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْرَارِهَا بِالشَّتَائِمِ وَالْتَّعِيرَاتِ، فَإِنَّهُ يَقْدِمُ لَهَا الْمَدِيَّ وَالسُّبْحَ الْبَاطِلَ، وَإِنَّهُ لَمْ يَغْلِبْ بِالصَّحَّةِ، فَإِنَّهُ يَجْلِبُ عَلَى الْجَسْمِ أَمْرَاضًا، وَإِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْدُعَ بِاللَّذَّاتِ، فَإِنَّهُ يَجْرِبُ أَنْ يُحْزِنَ بِالْأَوْجَاعِ، فَإِنَّ كُنْتَ خَاطِئًا وَحَلَّ بِكَ هَذَا، فَتَذَكَّرُ الْعَذَابُ الْعَتِيدُ، وَالنَّارُ الدَّائِمَةُ، فَلَا تَمْلَأُ مِنَ الْحَاضِرَاتِ، بَلْ افْرَحْ بِالْحَرَقِ إِذَا افْتَقَدْتَ اللَّهَ، وَلِيَكُنْ عَلَى لِسَانِكَ أَبْدًا الْفَصْلُ الْقَائِلُ: «أَدْبَا أَدْبِي الرَّبُّ، وَإِلَى الْمَوْتِ لَمْ

يُسْلَمِي». وإن كنَتْ بارَأْ، فاشكِرَ اللَّهُ واذكُرَ المكتوبَ: «إِنَّا بِتَلْمِذِنَا مَعَهُ نَتَمَجَّدُ أَيْضًا مَعَهُ». (س:٥ ظ:١٧٥) (Abc. Syncletique 7)

٨٤٧ — وقالت: «إِذَا صُمِّتَ فَلَا تَخْتَبِغُ بِمَرْضٍ، لَأَنَّ الَّذِينَ يَصُومُونَ قَدْ يَسْقُطُونَ فِي مَثْلِ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ، وَإِذَا بَدَأْتَ بِالْخَيْرِ فَلَا تَتَعَوَّقُ بِقَطْعِ الشَّيْطَانِ إِلَيْكَ، فَإِنَّهُ سَيَّطِلُ بَصِيرَكَ». (س:٥ ظ:١٧٥) (Abc. Syncletique 9a)

٨٤٨ — وقالت أيضًا: «إِذَا أَخْطَأْنَا إِلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ، أَلْسِنَا بَغْرِيْرٌ إِرَادَتِنَا تُلْقَى فِي السُّجُونِ وَتُعَاقَبُ؟ فَسَبِيلُنَا مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا أَنْ نَحْبِسَ أَنفُسَنَا، وَنَعَاقِبُهَا بِالْأَعْتَابِ، لَكِي نُطْرَدَ الذِّكْرَ الطَّوْعِي بِالْعَذَابِ الْعَتِيدِ». (س:٥ ظ:١٧٥) (Add. Syncletique S 2)

٨٤٩ — كما قالت: «كَمَا أَنَّ الْكَثَرَ إِذَا ظَهَرَ سُلْبٌ، كَذَلِكَ الْفَضْيَلَةُ إِذَا اشْتَهِرَتْ وَعُرِفَتْ تَضْمِحَلُ. وَكَمَا يَنْحُلُ الشَّمْعُ قَدَامَ النَّارِ كَذَلِكَ نَفْسُ الْإِنْسَانِ قَدَامَ الْمَدِيْحِ تَنْحُلُ قَوْتُهَا». (س:٥ ج:١٧٦) (Bu. I, 362) (Add. Syncletique S 3)

٨٥٠ — وقالت: «كَمَا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَنْ يُصْلَحَ مَرْكَبٌ بَغْرِيْرٌ مَسَامِيرٌ، كَذَلِكَ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَوْجَدَ خَلاصٌ بَغْرِيْرٌ تَوَاضِعٌ». (س:٥ ج:١٧٦) (Chaîne 121) (Add. Syncletique S 9)

٨٥١ — وقالت أيضًا: «إِذَا كَنَا فِي الْكَنْوَيْبِيُّونَ فَإِنَّا نَخْتَارُ الطَّاعَةَ عَلَى النَّسَكِ، لَأَنَّ ذَلِكَ يُعْلَمُ التَّعَاوَظُمُ، وَتَلْكَ تُعْلَمُ التَّوَاضِعُ» (Abc. Syncletique 16). فيجب علينا ألا نطلب ما هو لنا ولا نتعبد لمشيئتنا الخاصة، بل علينا أن نطيع ما يأمرنا به الأَبُ الذي بالأمانة نستودعه سِرِّنَا فيما يأمرنا (Abc. Syncletique 17) (س:٥ ج:١٧٦)

٨٥٢ — وقالت أيضًا: «إِنَّ الَّذِينَ يَجْمِعُونَ غَنِيَ الْعَالَمَ مِنَ الْعِنَاءِ فِي الْبَحَارِ وَالْأَسْفَارِ الشَّدِيدَةِ، فَكُلَّمَا رَبَحُوا وَجَمَعُوا، ازْدَادُوا فِي ذَلِكَ اشْتِغَالًا، وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ،

وما ليس في أيديهم من الغنى، فإنهم يشتهونه، ويطلبونه، ويحرصون على جمّعه، وأما نحن فقد صرنا في سيرنا الرهابانية بخلاف ذلك، لأنَّ الأمر الذي خرجنا لنطلبُه وليس في أيدينا شيءٌ منه، لا نريد أن نقتنيه من أجلِ خوفِ الله». (س: ٤١٢٨ ج) (10) (Abc. Syncletique)

٨٥٣ - وقالت كذلك: «إنَّ الحزنَ على وجهين: فالوجهُ الأول منه نافعٌ جدًّا، وأما الآخر فهو مُهلكٌ؛ فعلاماتُ الحزنِ الروحي هي أن يذكر الإنسانُ خطاياه فيحزن عليها، وأن يحزن أيضًا لخسارة أخيه، وأن يحزن كذلك إذا فاته ممارسة ما قد نوى فعله من عمل الخير. أما خصالُ أحزان العدو التي تُهلك، فهي أن يأتي على الإنسانِ منه حزنٌ بهيمي، وهو ذاك الذي يسميه بعضُ الناسِ ضجرًا، إذ يأتي منه قطعُ الرجاءِ واليأس. من أجلِ ذلك ينبغي لنا أن نطردَ هذا الحزنَ عنا بالصلابةِ والتتريل وبحسنِ الرجاءِ بالله». (س: ٤١٢٨ ج) (Add. Syncletique S 10)

٩٧

٨٥٤ - الأب دينوس: قيل عنه إنه كان يبسطُ يديه بسرعةٍ عند الصلاةِ، فكان عقلُه يُخطفُ إلى فوق، فإذا اتفق أنْ صلى معه آخرٌ، فإنه كان يحرصُ على ألا يرفعَ يديه للا يُخطفَ عقلُه (1). وحدثَ مرةً أن سأله أخٌ قائلاً: «كيف أحفظُ قلبي؟» فقال له: «إنه لا يمكنك أن تحفظَ قلبك، ما دام فمُك وبطنك مفتوحين» (3) (س: ٥١٧٦ ج) (Abc. Tithoes)

٩٨

الأب إيرينيوس

٨٥٥ - قال الأب إيرينيوس (٩٦): «كما أنَّ الأسدَ مرهوبٌ لدى الحميرِ الوحشيةِ

٩٦ يأتي في البستان عام ١٩٥١: إيراييس، وفي مخطوط س: ٤، من ٥: إيراسيوس.

هكذا الراهبُ المهدُّبُ مرهوبٌ لدى أفكارِ الشهوةِ». (س: ١٧٦ ج) (1) (Abc. Hyperechios 1)

٨٥٦ - كما قال: «من لا يقدر أن يضبطَ لسانه وقتَ الغضبِ، فلن يقدر أن

يغلبَ حقاً ولا صغيرةً من صغارِ الآلامِ». (س: ١٧٦ ج) (3) (Abc. Hyperechios 3)

٨٥٧ - وقال أيضاً: «إنه جيدٌ أن يأكلَ الإنسانُ حماً ويشربَ حمراً، ولا يأكلَ

لحومَ الإخوةِ ويشربَ دماءَهم بالحقيقةِ فيهم». (س: ١٧٦ ج) (4) (Abc. Hyperechios 4)

٨٥٨ - وقال كذلك: «كما أنَّ الحياةَ لما ساررتُ^(٩٧) حواءَ أخرجتها من الجنةِ،

كذلك بها يتشبهُ ذاك الذي يقعُ بقريبهِ، في أنه يُهلكَ نفسَ سامعيهِ، ونفسُه كذلك لن

تفلتَ، كما لم تفلتَ الحياةُ من اللعنةِ». (س: ١٧٦ ظ) (5) (Abc. Hyperechios 5)

٨٥٩ - كذلك قال: «إن الطاعةَ فخرُ الراهبِ، فمن اقتناها يسمعُ اللهُ صوتهِ،

ويقفُ أمامَ المصلوبِ ربُّ المجدِ بدالةٍ، لأنَّ إلهنا من أجيالِ طاعتهِ لأبيهِ صُلبُ عنا». (س: ٥

(Abc. Hyperechios 8) (6) (1٧٦ ظ)

٨٦٠

الأب فيليكس^(٩٨): زاره إخوةٌ ومعهم علمانيون، وطلبوهُ إلينه أن يقول لهم
كلمةً، أما الشيخُ فبقي صامتاً. فلما طلبوهُ إلينه كثيراً قال لهم: «هل تتبعونَ أن تسمعوا
للكلمةِ؟ فأجابوه: «نعم أيها الأب». فقال لهم: «لما كان الإخوةُ يسألونَ المشائخَ
ويصنعونَ ما يقال لهم، فإنَّ اللهُ كان يُلهم الآباءَ بما يقولونه، وأما الآن فإنَّهم يسألونَ ولا
يتعلمونَ بما يقال لهم، لذلك رفعَ اللهُ موهبةَ الكلامِ عن الشيوخِ، إذ لا يجدونَ ما ينطقونَ
به، لأنَّه لا يوجدُ من يعملُ، لأنَّ المزמור يقول: إنَّ الربَّ اطلعَ من السماءِ على بني البشر».

^{٩٧} ساررت أي كلمتها سرّاً، وتأتي في اليونانية: σαρώσατε، معنى هست في أذنها أو وشوشتها.

^{٩٨} يأتي في البستان عام ١٩٥١: فلكيا.

فلم يجد من يفهم». فلما سمع الإخوة هذا الكلام تنهدا قائلين: «صلٌ علينا أية الأب».
(S: ٥ ظ) (Abc. Felix 1)

٨٦١ - مضى شيخٌ من المشايخ^{٩٩} إلى مدينة الحكماء التي يُقال لها أثناس (أي أثينا)، حيث مكث ثلاثة أيام لم يناله أحدٌ فيها طعاماً، ولم يكن له شيءٌ سوى السبانية التي هو ملتفٌ بها، وفي اليوم الرابع اشتدَّ عليه الجوع، فقام وجاء بقرب الموضع الذي يجتمع فيه الحكماء، وهناك أخذ يصيح ويصفق بيديه ويقول: «ويلي، يا رجال أثناس أغثوني». فاجتمع إليه الحكماء وعليهم أزرٌ مذهبٌ، فقالوا له: «ما شئت، ومن أين أنت؟»؟ فقال لهم: «أنا إنسان راهبٌ، ومنذ خرجت من وطني وقعت في أيدي ثلاثة غرماء، اثنان منهم قد وفِيتُهما حَقَّهُما فانصرفا، أما الثالث فإنه لا يفارقني مطالباً بحقةٍ وليس لي ما أوفيه». قالوا له: «ومن هم أولئك الغرماء لتعرفهم، وأين الذي يؤذيك؟»؟ فقال لهم: «آذاني حبُّ المال والزنى والحنجرة، فاسترحت من الاثنين وهو حبُّ المال والزنى، لأنني لا أمتلك من الدنيا شيئاً، ولا أتعلق بحبٍ إنسان ما، وأما الحنجرة فلا أستطيع أن أستريح منها،ولياليوم أربعة أيام لم أذق فيها طعاماً،وها بطني مثل غريمٍ سوءٍ يطالبني مریداً أن يأخذ ماله، وإن لم أعطيه، فإنه لا يدعني أعيش». فظن بعضُ الحكماء أنه يمزح، فأعطوه ديناراً، فلما أخذه ذهب إلى بايع الخنزير وأعطاه له، وأخذ خبزة واحدة وانصرف بسرعة إلى خارج المدينة، فعلم الحكماء إنه بالحق ذو حسناً، فأعطوا الرجل ثمن خبزته، واستردوا الدينار. (S: ٥ ظ) (Pal. 37, 5-8)

٨٦٢ - الأب خوما: لما دنت وفاته، قال لתלמידه: «لا تكون لكم خلطة مع هيراطيقي، ولا معرفةٌ برئيسٍ، ولا تكون أياً دِيكَم ميسوطةً للأخذ، بل بالحربي للعطاء».

^{٩٩} هو القديس سراييون الكبير حسب التاريخ اللوزيacky.

٨٦٣ - قال شيخ: «إني أعرف إنساناً من أهل القلالي، هذا قد صام جماعة الفصح كلّها، فلما كان وقت الاجتماع في عشية السبت، لم يحضر مع الإخوة، لثلا يأكل شيئاً مما يوجد على المائدة، بل عمل في قلاليته يسيراً من السلق، وأكله بغير زيت». (س٥: ١٧٧ ج) (An. 160)

٤٥٦

الأب أور

٨٦٤ - قيل عن أبا أور وأبا تادرس إنّهما كانوا يطليان قللاً بالطين، فقال أحدّهما للآخر: «لو افتقدناا ربُّ في هذه الساعةِ فماذا نصنع؟»؟ فبكيا وتركا الطين، وانصرف كلُّ واحدٍ منهمما إلى قلاليته. (س٥: ١٧٧ ج) (Abc. Or 1)

٨٦٥ - قيل عن أبا أور إنه لم يكذب قط، ولم يخلف، ولم يلعن، ولا كان يتكلّم إلا للضرورة (Abc. Or 2)، وكان يوصي تلميذه قائلاً: «انظر يا ابني، لا تدخل هذه القلالية كلمةً غريبةً» (Abc. Or 3) (س٥: ١٧٧ ظ)

٨٦٦ - حدث مرّة أنّ مضى تلميذ أباً أور ليتاجّع خوصاً، فقال له البستاني: «إنّ إنساناً أعطاناً عربوناً من ثمن الخوص، ولم يرجع إلى الآن، فادفع الثمنَ وخذنه». فأخذده وجاء وأخبر الشيخ بما قاله البستاني، فلما سمع الشيخ بذلك، حطَّ بيديه على الأرض وقال: «إنّ أور لن يعملَ في هذا العام عملاً». وفعلاً لم يدع الخوص يدخل قلاليته، فأخذده التلميذ ورده إلى صاحبه. (س٥: ١٧٧ ظ) (Abc. Or 4)

٨٦٧ - قال الأنبا أور: «إنّ وقع بينك وبين أخي حزنٌ، وحدّ ما قاله فيك، فلا تلاججه، وإلا فمسيره أن يتوقّع ويقول: نعم، أنا قلت». (س٤: ١٢٩ ج) (An. 232)

٨٦٨ - قال أحد الشيوخ: «إنَّ لي أربعينَ سنةً أحسنُ بقتالِ الخطيئةِ في قلبي، وما خضعتُ لها قط لا بشهوةٍ ولا بغضب». (س٤: ١٢٩ ج)

٨٦٩ - قيل عن أبا كاسيان: إنه ذهب إلى شيخ له أربعون سنةً في البرية، وسألَه بdalat: «ماذا قوَّمتَ أيها الأبُ في هذه الخلوةِ التي لا تكاد تلتقي فيها إنسان؟» فأجابه قائلاً: «إني منذ أن ترَبَّتُ، لم تبصرني الشمسُ أكلَّاً». فقال له سائله: «ولَا أبصرتني الشمسُ غاضبًا قط». (Abc. John Cassian 4) (س٤: ١٢٩ ج)

٨٧٠ - قال القديس لونгинوس: «الصومُ يوضعُ الجسمَ، والسهرُ يُظهرُ العقلَ، والسكوتُ يجلبُ البكاءَ، والبكاءُ يعمَّدُ الإنسانَ ويجعله بغير خطيبة». (س٥: ١٧٨ ج)
(An. 560)

٨٧١ - وقيل إنه كان لهذا الأب تخشُّعٌ كبيرٌ في صلاته وقراءته، فقال له تلميذه مرتَّةً: «هل هذا هو القانون الإلهي يا أبي، أن يبكيَ الإنسانُ في خدمته لله؟» فأجابه: «نعم يا ولدي، هذا هو القانون، ليس لأنَّ الله قد صنعَ الإنسانَ للبكاء، بل للفرح والسرور، ولخدمته بطهارةِ قلبٍ، وعدمِ خطيبةِ كالملائكة، فلما سقطَ الإنسانُ في الخطيبة، احتاج إلى النوح والبكاء، وحيث لا توجد خطيبة، فليست هناك حاجةٌ إلى البكاء». (س٥: ١٧٨ ج)
(An. 561)

٨٧٢ - سأَلَ أخُّ أبا تادرس قائلاً: «إني أريدُ أن أتممَ الوصايا». فقال له الشَّيخُ: «حدثَ أنْ كانَ البابا ثاؤفِيلس^{١٠٠} البطريرك في البرية، فقال: إني أريدُ أن أكملَ فكري معَ اللهِ. فأخذَ دقيقاً وصنعَه خبزاً، فأتاه مساكينٌ يتطلَّبون شيئاً، فأعطَاهم الخبزَ، ثم طلب

^{١٠٠} تأتي في النص اليوناني : الأب ثيفونا.

منه آخرون فأعطاهم الزنايل، وطلب منه غيرهم، فأعطاهم الثوبَ الذين كان يلبسه، ودخل القلابة ملفوفاً في وزرٍ، ومع كل ذلك فإنه كان يلومُ ذاته قائلاً: إني ما أتمتُ وصيَّةَ اللهِ». (س: ١٧٨ ج) (Abc. Theodore of Pherme 18)

٨٧٣ - ومرةً توجَّه البابا ثاؤفليس إلى الإسقسط، فاجتمع الإخوة وقالوا لأنبا بفنتيوس: «قل للبابا كلمةً واحدةً لكي يتتفع». فقال لهم الشيَّخ: «إن لم يتتفع بسكتي، فحتى ولا بكلمي يتتفع». فسمع البطريركُ ذلك وانتفع جداً. (س: ١٧٨ ظ) (Abc. Theophilus 2)

٨٧٤ - قال أنبا بيمين عن أنبا يوحنا القصيري: «إنه طلب إلى اللهِ رفع عنه الآلامَ وصار بلا هم». فلما توجَّه إلى الشيَّخ قال له: ها أنا تراي يا أبي مستريحًا، وليس لي أشياءً تقاتلي بالجملة. فقال له الشيَّخ: امضِ أسأل اللهَ أن يُرجع إليك القتال، لأنَّه بالقتالِ تنحَّ النفسُ وتغورُ. فلما جاءه القتالُ، لم يصلْ كي يرتفع عنه، بل كان يقول: أعطني يا ربُ صرَا على الاحتمال». (س: ١٧٨ ظ) (Abc. John Colobos 13)

٨٧٥ - سأله أخي شيخاً قائلاً: «يا أبي، كيف يأتي الإنسانُ إلى الانضاع؟» فأجابه الشيَّخ: «ذلك لأن تكون فيه مخافةُ اللهِ». فقال الأخُ: «وبأي شيءٍ تأتي مخافةُ اللهِ؟» قال الشيَّخ: «بأن يجمعَ الإنسانُ ذاته من كلِّ الناسِ، ويبدلَ جسمَه للتعبِ الجسديِّ بكلِّ قوتهِ، ويدركَ خروجه من الجسدِ وديونته لللهِ له». (س: ١٧٨ ظ) (Abc. Cronios 3)

٨٧٦

القديس مقاريوس (٣)

٨٧٦ - قيل: التقى الشيطانُ مرةً بالأب مقاريوس، وهو حاملٌ خوصاً، وقال: «ويلاه منك يا مقاريوس، هو ذا ما تصنَّعه أنت أصنعه أنا كذلك، أنت تصومُ وأنا لا أكلُّ، أنت تسهرُ وأنا لا أنامُ، ولكن بشيءٍ واحدٍ تغلبني». فقال له الشيَّخ: «وما هو؟»

فأجابه الشيطانُ: «إنك بالاتضاع وحده تقهري». (س: ٥ ظ) (Abc. Macarius 11)

٨٧٧ - سأل أبا إشعياً الأنبا مقاريوس قائلاً: «قل لي كلمةً». فأجابه الشيخُ: «اهرب من الناس». فقال أبا إشعياً: «وما هو المروبُ من الناس؟»؟ فأجابه الشيخُ: «هو جلوسك في قلaitك وبكاوك على خطايak». (س: ٥ ظ) (Abc. Macarius 27)

٨٧٨ - ومرةً طلب منه أخٌ أن يقول له كلمة^(١٠١)، فقال له: «لا تصنع بأحدٍ شرًا، ولا تدن أحدًا، احفظ هذين وأنت تخلص». (س: ٥ ج) (Bu. II, 110)

٨٧٩ - قيل عن القديس مقاريوس إنه صار كملاك أرضي، فكما أنَّ الله يسُرُّ زلات العالمِ، كذلك كان مقاريوس يسُرُّ النعائص التي يراها. (س: ٥ ج) (Abc. Macarius 32)

٨٨٠ - قال الأب مقاريوس: «إن نحن ذكرنا السبيبات التي تخلُّ بنا من الناس، فإننا نقطع قوة ذِكْرِ اللهِ من قلوبنا، وإن نحن ذكرنا شرور الشياطين نبقى غير محرومين». (س: ٥ ج) (Abc. Macarius 36)

مـ+ـ

٨٨١ - قالت الأم سارة: «إن أنا طلبتُ أن أصنع إرادةَ كلِّ الناسِ، فإني سوف أوجد تائهةً على بابِ كلِّ أحدٍ، فينبعي لي أن أحفظَ قلبي نقىًّا مع كلِّ أحدٍ، وأنا مبتعدةً عن كلِّ أحدٍ». (س: ٥ ج) (Abc. Sarah 5)

٨٨٢ - أخبروا عن شيخٍ أنه كان جالساً في قلaitه، فأتاه أحدُ الإخوةِ في الليلِ وأراد الدخولَ إليه، فلما بلغ البابَ سمع صوته من داخلٍ وهو يقول: «يكفي، يكفي، حتى مت؟ اذهبوا الآن من قدامي». ثم سمعه يقول: «تعالَ تعالَ يا صديقي». فلما دخل

^{١٠١} في النص السرياني يأتي هذا القول كسؤال من أحد الإخوة للقديس بفتوبيوس تلميذ أبا مقار.

إليه قال: «مع من كنتَ تتكلّم يا أبي؟» قال له: «لحسياني الرديقة كنتُ أطربُ
وللصالحاتِ كنتُ أدعو». (س٤: ١٣٠ ج) (Bu. II, 270)

٨٨٣ - حدثَ شيخُ قائلًا: إني خرجتُ دفعةً من قلاليٍ وجزرتُ بقلاليةٍ شيخٍ قديسٍ، فسمعتُه وأنا خارجها يخاصِمُ خصومةً شديدةً، ويقول: «حتى متى؟ كيف من أجلِ كلمةٍ واحدةٍ ذهب كلُّ هذا؟» فلما سمعتُ صوتَ الخصومة، ظننتُ أنَّ عنده إنساناً يشاحنه، فقرعتُ البابَ لأصلحَ بينهم، ولما دخلتُ لم أجد أحداً سوى الشيخِ وحده، فسألته بانبساطٍ وقلتُ له: «يا أبي، مع من كنتَ تخاصِم؟» فقال لي: «كنتُ أخاصِمُ فكريِّي، لأنِّي قد استظرفتُ أربعةً عشرَ مصحفاً (أي حفظتها عن ظهرِ قلبِي)، وسمعتُ خارجاً كلمةً واحدةً قبيحةً، فلما بدأتُ أصلحُها، جاءت تلك الكلمةُ، ووقفتُ قدمامي، وأبطلتُ تلك المصاحفَ كُلُّها، فمن أجلِ ذلك كنتُ أخاصِمُ فكريِّي». (س٥: ١٧٩ ج)
(An. 227)

٨٨٤ - قال شيخٌ: «إذا أنتَ غطيتَ عيني الدابةِ، دارت الرحي، وإذا لم تغطِّ، لا تدور، كذلك الشيطانُ، إذا تركَ ليغطي عيني الإنسانِ، فهو يضئُ في كلِّ خطيبةٍ، وما دامت عيناً عقلِ الإنسانِ مكشوفتين، فإنه يهربُ من كلِّ عثراتِ الشياطينِ». (س٥: ١٧٩ ظ)
(An. 276)

٨٨٥ - قال شيخٌ: «إذا قمتَ باكرَ كلَّ يومٍ، أمسكَ لكَ أمراً يجلبُ الصلاحَ، واحفظْ وصايا اللهِ بطولِ روحِي، بمخافاةِ اللهِ، بالصبرِ على الأحزانِ، وبالحبسِ وبالصلواتِ، بالتنهدِ، بضبطِ اللسانِ، بحفظِ العينينِ، بقلةِ الغضبِ، وألا تمحسِّبَ نفسكَ شيئاً، بل تحملَ فكرَكَ تحتَ كلِّ الخلقةِ، بجهادِ الصليبِ، بالتوبَةِ والبكاءِ، بسهرِ اللياليِّ، بصيرِ صالحِيِّ، بالجوعِ والعطشِ، وذلكَ ل تستحقَ الدعوةَ السماويةَ، بنعمَةِ ربنا يسوعَ المسيحَ لهُ المجدُ». (س٥: ١٧٩ ظ)

٨٨٦ - قيل عن أبا قاسيانوس (كاسيان): إنه أخذ مرةً تليساً، ومضى إلى الأندرون الحصادين، وقال لصاحب الأندرون: «أعطي قمحاً». فقال له: «لماذا لم تأت لتحصد، فكنت تستحق أن تأخذ». فقال له الشيخ: «هل إذا لم يحصد الإنسان لا يأخذ أجرة؟» قال: «لا يأخذ». فما كان من الشيخ إلا أن انصرف، فقال له الإخوة الذين عاينوا ما حدث: «لماذا فعلت هكذا يا أباانا؟» فقال لهم: «سُنَّة صنعتها لنفسي وهي: إن لم يعمل الإنسان ويتعب، فلن يأخذ أجرة من الله». (س: ٥١٧٩) (Abc. Isaia 5 ظ)

٨٨٧ - كان لراهب ثوبٌ حيد، فتصدق به على مسكنٍ، وبعد يومٍ مر الراهب بالمدينة، فأبصر ثوبه على زانية، فحزن جداً، فتراءى له ملاكُ الربُّ وقال له: «لا تحزن لأجلِ أنْ ثوابك لبسته زانية، لأنك ساعة دفعته لذلك المسكين لبسه المسيح، وإن كان ذاك قد أعطاه لزانية، فهو يحمل إثمَه على نفسه». (س: ٥١٧٩) (An. 358) **م٤٢**

الأب يوحنا كاسيان

٨٨٨ - قال أبا قاسيانوس: إن أبا موسى أوصانا بـالآنفـة نكتـم أفكارـنا بل نكشفـها لشيخ روحـانيـن لهم معرفـة وتميـز، وليس لـمن طـال عمرـه، وشـاب شـعرـه، لأنـ كثـيرـين قـصـدوا أـهـل كـبـيرـ السنـ، وكـشـفـوا لهم عنـ أفـكارـهم، وحيـث أنه لمـ يكن عندـهم مـعـرـفةـ، فـعـوـضـ العـلـاجـ طـرـحـوـهمـ فيـ الـيـأسـ، وـهـذـا ماـ حدـثـ لـأـخـ منـ الـبـارـزـينـ فيـ الـجـهـادـ، إـذـ آتـهـ لـماـ تـأـدـيـ بالـزـنـ نـتـيـجـةـ كـثـرـةـ الـقـتـالـ الـوـاقـعـ عـلـيـهـ، ذـهـبـ إـلـىـ أـحـدـ الشـاـيخـ، وـكـشـفـ لـهـ عـنـ أفـكارـهـ، وـكـانـ الشـيـخـ عـادـمـ الـمـعـرـفـةـ، فـتـضـحـرـ مـنـهـ وـقـالـ: «أـيـهاـ الشـقـيـ، إـذـ قـدـ توـسـختـ حـوـاسـكـ بـهـذـهـ الـأـفـكـارـ، عـلـىـ أـيـ شـيـءـ تـنـكـلـ؟»؟ فـلـمـ سـمـعـ الـأـخـ قـوـلـهـ، حـزـنـ جـداـ وـيـسـ منـ خـلاـصـهـ، وـتـرـكـ قـلـائـتـهـ، وـمـضـىـ قـاصـدـاـ الـعـالـمـ، وـلـكـنـ حدـثـ بـتـدـبـيرـ مـنـ اللهـ أـنـ التـقـىـ بـهـ شـيـخـ

آخر، فلما رأه عابساً مضطرباً سأله عن حاله قائلاً: «ماذا بك يا ولدي؟»؟ فقال له الأخ: «يا أبي إبني تأذيتُ بأفكارِ الزنى، فمضيتُ إلى الشيخِ فلان، وكشفتُ له أمري، فبحسب جوابه لي، ليس لي رجاءٌ في الخلاص». فلما سمعَ الشيخُ قوله، أخذَ في تسكينِ روحِه، وابتداً يتملّقه قائلاً: «لا يغمّك هذا الكلام ولا تيأس نفسك من الخلاص، فها أنا بالرغم مما بلغته من هذا السنّ وهذه الشيبة، فكثيراً ما أتأذى بهذه الأفكار، فلا تخزن من هذا الاستغلال الذي لا يبلغ جهادُنا فيه مقدار ما يأتينا من رحمة الله ومعونته، لكن هبْ لي يومك هذا وارجع إلى قلابتك». فأطاع الأخُ كلامَ الشيخ ورجع معه إلى قلابته. أما الشيخُ الذي ردَّه إلى قلابته، فإنه أتى إلى قلابة ذلك الشيخ الذي يأسه ووقف خارجها وسأل الله بدموعٍ كثيرةٍ قائلاً: «أنا أطلبُ إليك يا ربِّي وإلهي أن تصرفَ هذا القتالَ عن هذا الأخ، وتسليطه على هذا الشيخ الذي يأسه، وذلك ليجرِّب في شيخوخته ويتعلمُ في كبير سنِّه ما لم يتعلمُه في طول زمانِه، ليشعرُ بأوجاعِ المجاهدين المقاتلين فيتورجَّع لوجعهم، وبذلك يحصلُ على منفعةٍ نفسه». فلما أتمَ الشيخُ صلاته، نظرَ رجلاً أسودَ واقفاً بقرب قلابةِ الشيخ وهو يصوّب نحوه سهاماً ويجرحه، وإذا بالشيخ يقومُ ل ساعته سكراناً، ويخرج من قلابته، فيسلك الطريقَ التي سلكها الشابُ الذي يأسه، مريداً أن يعودَ إلى العالم. فلما علمَ الشيخُ بما عزمَ عليه ذلك الشيخُ، استقبله وقال له: «إلى أين أنت ذاهبٌ أيها الأبُ، وما سبب هذا الاضطراب الذي اضطركَ للخروج من قلابتك؟»؟ أمّا هو فتوهَمَ أنَّ الشيخَ قد عرفَ بحاله، ومن الخجلِ لم يردَّ عليه جواباً. فقال له ذاك: «ارجع إلى قلابتك، ومن الآن كن عارفاً بضعفِك، واعلم بأنك إلى هذه الغاية لم تُحرَّب بعد، إما لأنَّ الشيطانَ كان غافلاً عنك، أو لاستهانته بك لم يتجرد لقتالك، ولذلك نجوت، وهذا قد ظهرَ الآن أنك غيرُ أهلٍ أن تُعدَّ من المجاهدين، لأنك لم تقدر أن تصارع يوماً واحداً، فما أصابك اليوم كان نتيجةً لتصرِّفك مع ذلك الشابِ الذي أثارك، وقد آذاه عدوُنا كلنا، فبدلاً من

أن تعينه وتشجعه، ألقىته في اليأس، ولم تفكر فيما قاله الكتاب: حلّصوا المسوّقين إلى الموت، شجعوا صغيري الأنفس. ولم تذكر أنه مكتوب عن سيدك: قصبة مرضوضة لم يكسر، وسراجاً حاملاً لم يطفئ. فمن اليوم واظب على الصلاة والدعاة، ليصرف الله عنك هذه الضربة التي أصابتك، لأنه قال: أنا أضرب وأنا أشفى، وأنا أميت وأنا أحسي، وهو الذي يُحدِّر إلى الجحيم ويُصعد». وما قال القديس هذا، صلى إلى الله فانصرف عن ذلك الشيخ ما كان قد نزل به من القتال، ووعظه قائلاً: «يحب أن تسأله في كل وقت أن يعطيك لسان أدبٍ لتعرف ماذا ينبغي أن تقوله في وقته». (س: ١٨٠ ج) (4)

٨٨٩ - سُئل أَنْبِيَا يُوحَنَّا رَئِيسَ الْكَنْوِيُّونَ عَنْ نِيَاحَتِهِ: «قُلْ لَنَا كَلْمَةً يَا أَبَانَا». فقال: «إِنِّي لَمْ أَكْمَلْ هُوَايَ قَطْ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَحَدًا شَيْءًا لَمْ يَسْبِقْ لِي عَمَلُهُ». (س: ١٨١ ج)
(Abc. John Cassian 5)

٤٥

٨٩٠ - قال شيخ: «من يغلب الأسد ليس بشجاع، كذلك من يقتل اللبوة ليس بجبار، أما من يخرج من هذا العالم وهو نقى من عيب النساء فهذا هو الغالب». (س: ٥: ١٨١ ج)

٨٩١ - أخ أغضبه أخوه، ولما دخل قلابته، استحى أن يصلى لله بسبب الوجع المتقد في قلبه، ولكنه لما تطاير قدام الله قائلاً: «يا سيدى، لقد غفرت لأخي من كل قلبي». فللوقت جاءه صوت يقول له: «قد أخذت شبهي، إذن فصل لي بدالة». (س: ٥: ١٨١ ج)

٨٩٢ - قال شيخ: «إن من لا يقبل الإخوة جميعهم مساواة بل يفرز، فلن يستطيع هذا أن يكون كاملاً». (س: ٥: ١٨١ ج) (Sys. I,33)

٨٩٣ - قال شيخ: «الشيطان فتّال حبالي، فأنت تدفع له الخيوط وهو يقتل». هذا

ما قاله من أجل مساعدتنا للأفكار». (س: ١٨١ ج) (Bu. II, 102)

٨٩٤ - سأله شيخاً قائلاً: «إذا بذر في الشياطين فكراً نجساً، أو غواية الليل بالجنابة، يمنعوني من أن أصل إلى قائلين لي: إنك نحس». أجاب الشيخ قائلاً: «إذا وضعت الأُم الصبي على الأرض متعرجاً في وسخه، فإنه عندما يرى أمّه يرفع يديه ووجهه نحوها وعيناه ممتلئة دموعاً، فتحتنن أمّه عليه وتضمّه إليها، وتُصعدُ على صدرها، وتُقبلُه، ولا تنظر إلى شيءٍ من وسخه. كذلك نحن يا أخي، إذا ما أغوتنا الشياطين فلنسرع صارخين نحو الله باكين بين يديه، فإنه يقبلنا من وسط نحاساتها ويطهرنا له دفعة أخرى». (س: ١٨١ ج)

٨٩٥ - قيل: حدث مرةً أن اتفق ثلاثةٌ شيوخٌ على أن يخرجوا معاً إلى البرية لعلهم يجدون رجلاً متبعداً لله، ولما ساروا ثلاثة أيام، وجدوا مغارةً، فأتوا إليها، فأبصروا نفساً خارجةً من جسدها، وهي تُساق إلى جهةِ الغرب، فبكوا لذلك قائلين: «يا ربُّ، كيف أنَّ متوحداً كهذا، وفي هذا المكان من القفر، تُساق نفسُه إلى الغرب؟»؟ فجاءهم صوتٌ قائلاً: «إن لهذا الشيخ في هذه المغارة أربعين سنةً، وقد فكر في قلبه قائلًا: إنه لا يوجد راهب آخر مثلي. فلهذا السبب تُساق نفسُه إلى الغرب». فقال الشيوخ: «بالحق إنَّ الكيريات تُهلك جميعَ ثُرٍ الراهب». (س: ١٨١ ظ)

٨٩٦ - سأله بعض الإخوة شيخاً قائلين: «هل الاسم يخلص أم العمل؟»؟ فقال لهم الشيخ: أحدُ الشيوخ القديسين اشتته أن يُصرِّ نفسَ بارُّ، ونفسَ خاطئٍ وقتَ خروجهما. فابتله مصلياً إلى الله زماناً، وإذا لم يشا الربُّ الصالح أن يُحزِّنه لأجلِ تعبه، فأصدر إليه صوتاً يقول له: «امض إلى المدينة وأنا أريك». فقام الشيخ بسرعةٍ وتوجهَ إلى

المدينة، وكان هناك ناسكٌ كبيرٌ له اسمٌ عظيمٌ، وكان في شدة الموت، ولعظام اسمه يَطْلُب سوقَ المدينة في ذلك اليوم، وبكى الناسُ قائلين: «إِنَّ اللَّهَ بِصَلَوةِ هَذَا الْقَدِيسِ يَصْنُعُ الرَّحْمَةَ لِلْعَالَمِ». وأعدُوا أكفانًا فاخرةً ومصابيحَ كثيرةً وأطياً للحزانة. فلما قربت ساعته، نظر الشَّيخُ فأبصرَ حازنَ جهنم قد أقبلَ وبيده خطافٌ يشبه الحديد المغلي بالنار، فوقف على رأسه، وسمع صوتَ الربِّ يقول «لا ترحم هذه النفس لأن ذلك الإنسان لم ينْجُحْني على الأرضِ ولا يوماً واحداً». وفيما الشَّيخُ يريدُ الرجوعَ إلى قلابته، عَبَرَ بعضَ أرقةِ المدينة، فرأى راهباً صغيراً مطروحاً على الأرضِ في خرقٍ باليةٍ وهو في شدةِ الموتِ، وليس أحدٌ يهتمُ به. فجلس الشَّيخُ عنده، ولما أتت ساعته، نظر الشَّيخُ وإذا بملائكة قد انحدرا لأنحدِ نفسِه، فمكثاً وقتاً طويلاً يتظاران، ولكن تلك النفس لم تشا الخروجَ من جسدها، فنظر الملائكة إلى السماءِ وقالا: «يا ربُّ، ماذا تأمر عبادك من أحلى هذه النفسِ، لأنها لا تشاء مفارقةَ جسدها؟» فأرسل إليها الربُّ داودَ وكلَّ منشدي السماءِ، فلما قالوا: «ارجعي يا نفسي إلى موضعِ راحتِكِ فإنَّ الربَّ قد أحسنَ إِلَيْكِ»، وأيضاً: «كرِيمَ أمَامَ الربِّ موتُ قدسيِّه»، فمن الفرح خرجت نفسُ ذلك الأخِ متلهلةً. (س: ٥، بـ II، ظ: ١٨١)

(11, Chaîne 212)

٨٩٧ - قيل عن شيخٍ إنه أقام سينين كثيرةً ناسكاً، لا يأكل سوى حبزٍ وملحٍ فقط، مرةً في كلّ أسبوعٍ، حتى لصق جلدُه بعظميه، وفي بعض الأيام زاره شيخٌ آخر، فلما رأه متعيناً جداً قال له: «يا أبي إنك قتلت نفسكَ وحدكَ بكثرةِ التعبِ، فكلُّ شيئاً قليلاً من الإدامِ لترجمَ إليكَ قوئكَ». فلم يشأ. فكررَ عليه قائلاً: «كُلْ ولو قليلاً من الفاكهةِ». فأجابه الشَّيخُ: «لماذا تضطرُني إلى الكلامِ، لأنَّ حتى ولو أكلت الرِّمادَ مع الطعامِ لا أستطيعُ أن أرضيَ اللهَ، لأنَّ عالمَ بما حصل لنفسي أنا شخصيّاً؛ إذ حدث مرّةً وأنا راقدٌ، إذ أخذتُ إلى موضعِ الحكمِ، وكان كثيرون قياماً من ه هنا ومن ه هنا، وكانت

وأقاماً بخوفٍ شديدٍ، فقلتُ: اذكر يا ربُّ تعني. وبقولي هذه الكلمة عوقبتُ فوراً، إذ قال للقيام: أخرجوا هذا. فدنا مني واحدٌ وأدخل يده في فمي، وقطع لسانِي، وجعله في يدي، فاستيقظتُ وأنا مرتعدٌ، فوجدتُ يدي مطبوقةً ففتحتها ظائناً أنها ممسكةً بلسانِي». فلما سمع الشيخُ هذا الكلامَ أمسك عنه. (س: ٥ ١٨٢ ج)

٨٩٨ - قالشيخ: «لو كنا حكماءً ونجعل أنفسنا جهلاً، فإننا نستريحُ وتنتبه». فقال له أخُوه: «وكيف يجعلُ الإنسانُ نفسه جاهلاً وهو حكيم؟» قال له الشيخُ: «إذا أنت قلتَ كلمةً في وسطِ الإخوةِ، وكانت تلك الكلمةُ حقاً وصواباً، ويتفقُ أن يقومَ آخر ويقولَ كلمةَ كذبٍ وغيرِ صائبةٍ، فإنك إن أبطلتَ كلمتك الصائبةَ، وأقمتَ كلمةَ أخيك الكاذبةَ، فتكونُ حكيناً وقد جعلتَ نفسك جاهلاً من أجلِ اللهِ». (س: ٥ ١٨٢ ظ)

٨٩٩ - سألهُ أخُوهُ شيئاً قائلاً: «ماذا أفعلُ يا أبي، فإنَّ الخوفَ يتبعني إذا لحقتني أفكارٌ؟» فقال له الشيخُ: «إنَّ جنديَ الملكُ إذا خرجَ للحربِ قبلةَ الأعداءِ، فكلما رموه وجرحوه ينهضُ مسرعاً لمقاتلتهم دفعاتٍ كثيرةً، فما لم يتركْ الحربَ ويهرِب فإنَّ الملكَ لن يغضِبَ لأجلِ ألمِ جرحوه، بل بالحربي يفرح له بالأكثرِ، لكونه قبلَ الجراحَ في سبيلِ مقاتلةِ أعداءِ سيدِهِ، هكذا أنت أيضاً، كلما هاجمتَ الأفكارَ، انتصبَ بالأكثرِ لمقاتلتها». (س: ٥ ١٨٢ ظ)

٩٠٠ - كان لرجلٍ شريفٍ غريئٍ، فلبثَ يطالبه عشرَ سنينَ ولم يجبه، وكان الدائن بطبيهِ يصر، وكان له صديقٌ، فقال له: «إني متعجبٌ منكَ كيف لم تتحققْ منه لأنَّ لك زماناً وأنت تطالبه وهو لا يجيبك». فقال له: «إنك تعجبُ لأنَّ أطلتُ روحِي عليه عشرَ سنينَ، وهو ذا اللهُ أكثرَ من خمسينَ سنةً، يطلبُ إليَّ أنْ أحفظَ وصياغَه، وحتى الآنَ لم أجبه، ولم أصنعْ هواه، وهو بطبيهِ يصرُّ علىَّ». فإنْ كنتُ وأنا الإنسانُ لم أجِبَ اللهَ وهو لا

يغضُّبُ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ بِعَجِيبٍ إِنْ كَانَ إِنْسَانٌ مُثْلِي لَا يَجِدُنِي، وَأَطْلِيلُ رُوحِي عَلَيْهِ». (س: ٥) (ج ١٨٣)

٩٠١ - نَهَبَ إِنْسَانٌ شَرِيرٌ مَالَ أَحَدٍ الْحَكَمَاءِ، فَلَمْ يَغْضُبْ عَلَيْهِ، فَقَيْلَ لَهُ: «لِمَاذَا لَمْ تَغْضُبْ عَلَى الَّذِي نَهَبَ مَالَكَ؟» فَقَالَ: «إِنِّي شَبَهْتُهُ بِالْمَوْتِ، لِأَنَّ الْمَوْتَ يَنْتَزِعُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ مَالِهِ وَلَا يَغْضُبُ عَلَيْهِ أَحَدٌ». (س: ٥) (ج ١٨٣)

٩٠٢ - قَالَ أَنْبَاءُ يُوحَنَّا: «تَرَكْنَا الْخَدْمَةَ الْلَّفِيفَةَ الَّتِي هِيَ أَنْ نَلُومَ أَنفُسَنَا، وَلَا زَمَانًا الْخَدْمَةَ الْثَقِيلَةَ الَّتِي هِيَ أَنْ نُحْجَدَ أَنفُسَنَا». (س: ٥) (ج ١٨٣) (Abc. John Colobos 21)

٩٠٣ - سُئِلَ شَيْخٌ: «مَا رَأَيْكَ فِي أَنَّاسٍ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُصْرُوْنَ مَلَائِكَةً؟» فَأَجَابَ الشَّيْخُ: «طَوْبِي لِمَنْ أَبْصَرَ خَطَايَاهُ كُلَّ حِينٍ». (س: ٥) (ج ١٨٣) (An. 332, Chaîne 154)

٩٠٤ - سُأَلَ أَخُّ شَيْخًا: «مَا هِيَ الْغَرْبَةُ؟» فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «إِنِّي أَعْرَفُ أَخًا، هَذَا حَرَجٌ لِي تَغَرَّبُ، فَدَخَلَ كَنِيسَةً، وَاتَّفَقَ أَنْ كَانَتْ هَنَاكَ أَغَافِي، حِيثُ كَانَ كَثِيرُونَ مُجَتَمِعِينَ، فَلَمَّا تَهَيَّأَتِ الْمَائِدَةُ جَلَسَ يَأْكُلُ مَعَ الإِخْوَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ وَقَالَ: مَنْ أَدْخَلَ هَذَا الغَرِيبَ مَعَنِّا؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ: اخْرُجْ خَارِجًا. فَقَامَ وَخَرَجَ كَمَا أَمْرَ بِدُونِ تَزَمِّرٍ. فَلَمَّا أَبْصَرَ آخْرَوْنَ ذَلِكَ حَزَنُوا وَخَرَجُوا فَادْخَلُوهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَخُّ: مَاذَا كَانَ فِي قَلْبِكَ حِينَ أَخْرَجْتُوكَ وَحِينَ أَدْخَلْتُوكَ؟ فَقَالَ: حَسْبَتُ إِنِّي كَلْبٌ، إِذَا طُرِدَ خَرَجَ، وَإِذَا دُعِيَ دَخَلَ». (س: ٥) (ج ١٨٣) (An. 306, Chaîne 139)

٩٠٥ - قَالَ أَخُّ لِأَنْبَاءِ تِيمُوتَاوْسَ: «إِنِّي أَرَى نَفْسِي بَيْنَ يَدِي اللَّهِ دَائِمًا». فَقَالَ لَهُ: «لَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ، وَلَكِنَّ الْأَعْجَبُ أَنْ يَصْرُرَ إِنْسَانٌ نَفْسَهُ تَحْتَ كُلِّ الْخَلِيقَةِ». (س: ٥) (ج ١٨٣) (Abc. Sisoës 13)

٩٠٦ - قَالَ شَيْخٌ: «فِي كُلِّ التَّحَارِبِ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْكَ، لَا تَلُمُ إِنْسَانًا، وَلَكِنْ لُمْ

نفسك قائلًا: إنه من أجل خطابي لحقني هذا». (س: ٥ ظ) (Abc. Or 12)

٩٠٧ - قال أَنْبِيَا يُوحَنَّا التَّبَաَيِّسِي: «يَنْبَغِي لِلرَّاهِبِ قَبْلِ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَقْتَنِي الْأَطْضَاعَ، لَأَنَّ هَذِهِ هِيَ وَصْيَةٌ مَخْلُصَنَا الْأُولَى، إِذَا قَالَ: طَوْبِي لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ فَإِنَّهُمْ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ، لَأَنَّ آبَاءَنَا إِذَا كَانُوا يَفْرَحُونَ بِشَتَّائِمِ كَثِيرٍ، دَخَلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ»». (س: ٥ ظ) (Abc. Or 12)

٩٠٨ - قال يُوحَنَّا ذَهِي الْفَمِ: «إِنَّ السَّكُوتَ هُوَ نُمُّ عَظِيمٌ لِلْإِنْسَانِ، وَنِيَّاحٌ لِنَفْسِهِ. السَّكُوتُ يَعْطِي الْقَلْبَ عَزْلَةً دَائِمَةً. السَّكُوتُ يَجْلِبُ الدِّعَةَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ. السَّكُوتُ يُيَدِّعُ الْغَضَبَ، السَّكُوتُ قَرِينُ النَّسْكِ. السَّكُوتُ يَوْلُدُ الْمَعْرِفَةَ، السَّكُوتُ يَجْرِسُ الْحَبَّةَ. السَّكُوتُ لَا يُوجِعُ قَلْبَ إِنْسَانٍ، وَلَا يَشْكُكُ أَحَدًا. السَّكُوتُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ بِلَا تَقْمِيمٍ. السَّكُوتُ يَحْفَظُ شَفْتِيهِ وَلِسَانَهُ، فَلَا يَقِنُ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ. السَّكُوتُ هُوَ كَمَالُ الْفَلْسَفَةِ، فَمَنْ يَعِيشُ بِالسَّكُوتِ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِعُ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِجَمِيعِ الْحَسَنَاتِ الْأُخْرَى. الْمَلَازِمُ لِلْسَّكُوتِ بِعِرْفِهِ قَدْ خَتَمَ بِخَاتَمِ الْمَسِيحِ، وَالْحَافِظُ إِيَّاهُ بِلَا شَكٍّ يَرِثُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ»». (س: ٥ ظ) (Abc. Or 12)

٩٠٩ - سَأَلَ أَخٌ شِيخًا عَنِ الْجَسِيدِ، فَقَالَ لَهُ الشِّيْخُ: «جَمِيعُ الْوَحْشَاتِ وَالْحَيَوانَاتِ إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَهَا، فَإِنَّهَا لَا تَسْيِئُ إِلَيْكَ، إِلَّا الْجَسِيدُ وَحْدَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ عَوْضَ الْإِحْسَانِ». كَمَا قَالَ هَذَا الشِّيْخُ أَيْضًا: «إِنِّي سَأَلْتُ شِيخًا آخَرَ، وَكَانَ ذَلِكَ الشِّيْخُ فِي رِبَاطَاتِ ضَيْقَةٍ، فَقَلَّتْ لَهُ: يَا أَبِي، لَعْلَكَ إِذَا جَهَتَ إِلَى وَسْطِ الْإِخْرَاجِ اسْتَرْحَتَ مِنْ هَذَا التَّعْبِ، فَقَالَ: نَعَمْ، يَا أَبِي، لَكِنِّي أَحَافِظُ مِنْ هَذَا الْفَرْسِ الَّذِي أَنَا رَاكِبُهُ، أَعْنِي حَسْدِي، لَأَنَّهُ إِذَا أَصْبَحَ فِي الرَّاحَةِ، وَعَدْمِ الضَّيْقِ، رَمَيَ إِلَيَّ أَعْدَائِي، وَجَعَلَنِي شَمَاتَةً». (س: ٥ ج) (Abc. Or 12)

٩١٠ - قيل عن راهبٍ: إن ألمَ الرزقِ أتى عليه بشدةً، فلما أزعجه جدًا، قام وخرج من قلاليته ومضى إلى حُجْرٍ ضبعةٍ ونزل إليه وهو يقول: «خيرٌ لي أن أموتَ بهذه الضبعةِ، من أن أموتَ بالخطيئة». فاقام هناك ستة أيام وهو صائمٌ لا يذوقُ شيئاً، وفي اليوم السابع أتته الضبعةُ بما كولٍ، فاستمرَّ مقيماً في ذلك الموضعِ أربعينَ يوماً، وفي كلّ أسبوعٍ كانت الضبعةُ تأتيه بما يأكله، وبعد ذلك أتاه صوتٌ يقول له: «تقور»، ومن ساعته هرب عنه روحُ الرزقِ، فشكَّرَ اللهُ ورجع إلى قلاليته. (س: ١٨٤ ج)

٩١١ - سأله شيخٌ عن وجعِ الرزقِ، فقال له الشيخُ: «إني لم أقاتل به قط»، فعمل الأخْ مطانيةً قائلاً: «لماذا لم تقائل أنت به يا أبي؟» فأجابه الشيخُ: «إني منذ ترهبتُ لم أشبعَ خبزاً ولا ماءً ولا نوماً، فالتعبُ والهمُ لا يدعان هذا القتالَ يؤذيني». (س: ١٨٤ ج) (An. 183)

٩١٢ - ثم قال له: «احذر يا ابني من كلامِ الباطلِ، ولا تفرح بكلامِ المهزءِ، ولا تدع فمك يتكلّم بكلّ كلامٍ يأتي عليه، لولا تقع في صغرِ النفسِ. لا تفرح بالضحكِ لولا يتسلط عليك النسيانُ، وإذا كنتَ في أوجاعٍ فلا تكن بغيرِ همٍ، بل أسرع لتخلاصَ منها. ولا تُدمِنَ المشيَّ في المدنِ، لولا تقع في أوجاعٍ مختلفةٍ. أغضن الاتجتامَ بكثيرينِ، لولا تكون في تعبٍ دائمٍ. اهرب من كثرةِ الكلامِ لولا تنسى ذاتكِ، وتغفلَ عن أوجاعِكِ. اهرب من كثرةِ المأكولاتِ لولا تزني بدون امرأةٍ تحضركِ. لا تأكل كثيراً لولا يظلم عقلكِ. لا تُعدُّ جسدكَ للشبعِ لولا تُهلك نفسكَ وحدكَ. ليكن لكَ هدوءٌ معرفةٌ، وقليلٌ عملٌ، وقليلٌ صلاةٌ، وقليلٌ قراءةٌ مع الصومِ إلى المساءِ كلَّ يومٍ، وخدمَ النهارِ والليلِ بخوفِ اللهِ. أظلم نفسكَ في أخذكِ وعطائكِ، لستريح في جلوسكِ. أغضن شهوةَ الأطعمةِ، فيخففَ ألم الرزقِ عنكِ. لا تقنِ ثواباً حسناً لولا تكره نفسكَ المقرفةَ، أحب الغربةَ بمعرفةٍ ولا تُعدُّ نفسكَ في شيءٍ ما. اذكر ابنَ اللهِ، إنه من أحلَّكَ عُلُقَ على خشبةِ

من أَجْلِك شُتم، وَمِنْ أَجْلِك سُقِيَ حَلَّاً، وَمِنْ أَجْلِك سُمِّرٌ بِالْمَسَامِيرِ وَقَبْلَ اللَّعْنَةِ مِنْ أَجْلِك، فَعَلَيْكَ بِالْحَتْمَالِ كُلُّ شَيْءٍ يَلْمُ بِكَ بَطِيْهَ نَفْسٍ، وَاحْذِرْ أَنْ تَعْدَّ نَفْسَكَ، حَتَّىٰ وَلَا أَحَدٌ يَعْدَكَ. وَاحْرَصْ بِكُلِّ قُوَّتِكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ جَسَدِكَ أُوجَاعَ الْمَوَانِ الْبَهِيمِيَّةِ، هَذِهِ الْتِي تَفْصِلُ إِلَيْنَا مِنَ الرُّوحِ الْقَدِيسِ. اهْرَبْ مِنْ خَلَافِ الطَّبِيعَةِ الَّذِي لِسَدُومِ كَمَا يَهْرَبُ الطَّائِرُ مِنَ الْفَخْ، لَأَنَّ مِنْ أَجْلِهِ يَتَرَلُ غَضْبُ اللَّهِ عَلَى بَنِي الْعَصِيَّانِ، وَلَا سِيمَا إِذَا أَنْتَ سَقَطْتَ فَتَبَ وَابْكِ بِحَرْقَةِ قَلْبٍ وَاسْأَلْ اللَّهَ أَلَا تَخْطُطَ أَيْضًا، لَأَنَّكَ إِنْ حَفَظْتَ نَفْسَكَ قَدَامَهُ، يَغْفِرْ لَكَ وَيَطْهُرُكَ مِثْلَ طَهَارَةِ الْقَدِيسِينِ، لَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِالسَّلَامَةِ عَلَى شَعْبِهِ، وَعَلَى قَدِيسِيهِ وَعَلَى الَّذِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ بِكُلِّ قَلْوَبِهِمْ، فَمَا أَعْظَمُ هَذِهِ الْمَرَاحِمِ، كَيْفَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمَسَاوَاهِ حَتَّىٰ أَنَّهُ يَجْعَلُ مِنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ، مَسَاوِيَاً لِلْقَدِيسِينِ».

«لِيَكُنْ مُشَيْكَ بِثَبَاتٍ، وَكَلَامُكَ بِثَبَاتٍ، وَأَكْلُكَ بِثَبَاتٍ. وَإِذَا كُنْتَ جَالِسًا فِي قَلَائِيكَ فَاحْفَظْ نَفْسَكَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالنَّسِيَانِ. وَلَا يَكُنْ لَكَ هُمُّ خَارِجًا. وَلَا تَرْكِ عَقْلَكَ يَطِيشُ فِي الْعَالَمِ. وَلَا تَلْزِمْ نَفْسَكَ بِعَمَلِ زَائِدٍ. بَلْ قَسْمُ النَّهَالَوَ: قَلِيلٌ عَمَلٌ يَدِ، قَلِيلٌ صَلَاةٌ، قَلِيلٌ دَرْسٌ، وَعَقْلُكَ يَهُدُ. إِيَّاكَ وَمَخْبَةِ الطَّوَافِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لَأَنَّ الشَّجَرَةَ الْمُتَنَقَّلَةُ دَائِمًا، تَكُونُ بِغَيْرِ ثَرَةٍ وَرِبَّما تَمُوتُ. لَتَكُنْ رَحُومًا عَلَى الْمُتَحَاجِينَ مِنْ تَعْبُكَ، لَكِي مَا يَرْحِمُ اللَّهُ وَيَعِينُكَ، وَمَهْمَا عَمِلْتَ فَاعْمَلْهُ بِإِفْرَازٍ وَمَشُورَةِ الْعَارِفِينِ، وَأَحَبَّ فَعْلَ الْخَيْرِ بِقَدْرِ قُوَّتِكَ. لَا تَتَوَانَ لِثَلَا تَقْعَ وَتُؤْخَذُ فِي سَقْطِكَ، لَا تَرْقُدْ فِي مَوْضِعٍ تَلُومُكَ فِيهِ نِيُّكَ، مِنْ دُونِ شَدَّةِ شَدِيدَةٍ وَضَرُورَةِ لَازِمَةٍ. إِذَا حَضَرَتَ لِتَأْكُلَ مَعَ شَيْوَخٍ، فَكُنْ مُثُلَ إِنْسَانٍ يَسْتَحِي أَنْ يَأْكُلَ. لِيَكُنْ كُلُّ إِلَّاخُوا عَنْدَكَ جِيَادًا، وَعُلُّ لِسَائِكَ أَنْ يُكَرِّمَ كُلُّ النَّاسِ، وَجَاهَدَ مَا اسْتَطَعَتَ فِي أَنْ تَكُونَ بِانْفَرَادٍ دَائِمٍ كَيْ تَرْكُرُ هُمُّكَ جَهَةَ خَطَايَاكَ، لِتَصِيرَ بِلَا هُمُّ مِنَ الْعَالَمِ، فَتُؤَهَّلَ لِلْعَزَاءِ مِنْ قِبْلَ اللَّهِ، لَأَنَّكَ إِنَّمَا هَرَبْتَ مِنَ الْعَالَمِ وَتَرَكْتَ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ وَمَالِكَ، لِمَشَابِرِ اللَّهِ، فَمَاذَا لَكَ بَعْدَ مَعْ هُمُّ النَّاسِ؟ فَجَاهَدَ كَيْ تَفْرَغَ اللَّهُ بِكُلِّ

قوٰتك، ولا تدع شيئاً من هموم هذا المسكنِ الزائل، أَن يفصلك من الله». (س: ١٨٤ ج)

٩١٣ - قال أَنْبَى دِيادُو خس: «مَنْ يشأْ أَنْ يُطهّر قلبه جدًا فليتَحذّلْ كُلُّ حِينَ الذِّكْر الصالحُ الَّذِي هو اسْمُ رِبِّنا يسوعُ الْمَسِيحُ، الاسمُ القدوسُ، عَمَلاً وَهَذِينَا وَكَلَامًا وَفَكْرًا بِغَيْرِ فَتُورٍ، بِحَجَّةٍ عَظِيمَةٍ وَشَوْقٍ كَثِيرٍ، وَلِيُخْرِجَ مِنْ عَقْلِهِ وَسَخَّنَ الْخَطِيبَةِ بِعَمَلِ الْوَصَايَا كُلُّ حِينٍ». (س: ١٨٥ ظ)

٩١٤ - قال شيخ: «الرَّجُلُ الَّذِي يَرَى مَوْتَهُ قَرِيبًا جدًا مِنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَإِنَّهُ يُسْتَطِيعُ أَنْ يَقاومَ الضَّجُورَ». (س: ١٨٥ ظ)

٩١٥ - سُئِلَ أَخُّ شِيَخًا: «مَا هُوَ نَمُوُّ الْإِنْسَانِ وَتَقْوِيمُهُ؟» قال الشِّيَخُ: «نَمُوُّ الْإِنْسَانِ وَتَقْوِيمُهُ هُوَ الْاتِضَاعُ، لَأَنَّهُ مَادَمَ الْإِنْسَانُ سَائِرًا نَحْوَ فَضْلَيْلِ الْاتِضَاعِ، فَإِنَّهُ سَائِرٌ إِلَى قَدَامِ وَهُوَ يَنْمُو». (س: ١٨٥ ظ) (An. 459)

٩١٦ - قيل عن شيخ إِنَّه كَانَ كَثِيرَ الرَّحْمَةِ، فَحَدَثَ غَلَاءُ عَظِيمٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَولْ عَنْ فَعْلِ الرَّحْمَةِ، حَتَّى نَفَدَ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ، وَلَمْ يَبْقَ عَنْهُ سُوَى ثَلَاثَ حَبْزَاتٍ، فَجَاءَ أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَحَبَّ اللَّهِ امْتِحَانَهُ، وَذَلِكَ بِأَنْ قَرَعَ سَائِلٌ بَابَهُ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ: «جَيِّدٌ لِي أَنْ أَكُونَ جَائِعًا، وَلَا أَرَدُ أَخَّ الْمَسِيحِ خَائِبًا فِي هَذَا الْغَلَاءِ الْعَظِيمِ». فَأَخْرَجَ حَبْزَتَيْنِ لَهُ، وَأَبْقَى لِنَفْسِهِ حَبْزَةً وَاحِدَةً، وَقَامَ وَصَلَى وَجْلَسَ لِيَأْكُلَ، وَإِذَا سَائِلٌ آخَرُ قَدْ قَرَعَ الْبَابَ، فَضَرَّا يَقْتَهُ الْأَفْكَارُ مِنْ أَجْلِ الْجَوْعِ الَّذِي كَانَ يَكَابِدُهُ دَاخِلَهُ، وَلَكِنَّهُ قَفَرَ بِشَهَامَةِ، وَأَخْذَ الْحَبْزَةَ وَأَعْطَاهَا لِلسَّائِلِ قَائِلًا: «أَنَا أُؤْمِنُ بِالْمَسِيحِ رَبِّي، إِنِّي إِذَا أَطْعَمْتُ عَبْدَهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الصَّعِبِ، فَإِنَّهُ يَطْعَمُنِي هُوَ مِنْ خَيْرَاتِهِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ، الَّتِي أَعْدَهَا لِصَانِعِي إِرَادَتِهِ». وَرَقَدَ جَائِعًا، وَبَقَيَّ هَكَذَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَذْقِ شَيْئًا، وَهُوَ يَشْكُرُ اللَّهَ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَصْنَعُ خَدْمَتَهُ بِاللَّيْلِ، جَاءَهُ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ لَهُ: «لِأَجْلِ أَنْكَ أَكْمَلْتَ وَصْبِيَّ، وَغَفَلْتَ عَنْ

نفسِكَ، وأطعْمَتَ أخاكِ الجوعَانَ، لَا يَكُونُ فِي أَيَّامِكَ غَلَاءٌ عَلَى الْأَرْضِ كُلُّهَا»، فَلَمَّا أَشْرَقَ النُّورُ، وَجَدَ عَلَى الْبَابِ جَمَالًا مُحَمَّلًا بِخَيْرَاتٍ كَثِيرَةً، فَمَحَّدَ اللَّهُ، وَشَكَرَ الرَّبَّ يَسُوْغَ الْمَسِيحَ، وَمَنْ ذَلِكَ الْيَوْمُ عَمَّ الرِّحْمَاءِ الْأَرْضَ كُلُّهَا. (س:٥:١٨٥)

٩١٧ - قَالَ أَنْبَأِ بَاخْرُومِيُوسُ: «إِذَا أَكْمَلَ إِلَّا نَسَانُ جَمِيعَ الْحَسَنَاتِ وَفِي قَلْبِهِ وَجَدْ عَلَى أَخِيهِ، فَهُوَ غَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ». (س:٥:١٨٦ ج)

٩١٨ - قَالَ أَنْبَأِ أَنْثَاسِيُوسُ: «مَنْ يَعَاتِبُكَ وَيُوبِخُكَ عَلَى زَلَاتِكَ، أَحْبَبَهُ مُثْلُ نَفْسِكَ، وَاتَّخِذْهُ لَكَ صَدِيقًا». (س:٥:١٨٦ ج)

٩١٩ - وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ يَشْتَمِ الَّذِي يَعْلَمُهُ خَلاصَهُ، فَإِنَّهُ يَشْتَمِ رَجَاءَ اللَّهِ مُخْلِصَهُ». (س:٥:١٨٦ ج)

٩٢٠ - قَالَ أَنْبَأِ تِيمُوثَاؤسُ: «الْحَبَّةُ لَا تَعْرِفُ أَنْ تَدِينَ رَفِيقَهَا، وَلَا تَكَافِئُ بِالسَّيِّئَاتِ». (س:٥:١٨٦ ج)

٩٢١ - وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ يَهْتَمُ بِجَسْدِهِ بِشَهْوَةِ أَكْلٍ وَشَرْبٍ، فَهُوَ يَقِيمُ عَلَيْهِ الْحَرَبَ، وَيَقَاتِلُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ». (س:٥:١٨٦ ج)

٩٢٢ - كَمَا قَالَ أَيْضًا: «إِنْ لَمْ تَتَسْلُطْ عَلَى أَمْعَائِكَ، وَتَقْهِرْ جَسْدَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَنْ تَسْتَطِعَ أَنْ تَقْتَنِي الطَّهَارَةَ». (س:٥:١٨٦ ج)

٩٢٣ - وَقَالَ كَذَلِكَ: «إِنْ شَتَّ أَنْ تَصَادِقَ اللَّهَ، فَلَا تُحْزِنْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، حَتَّى وَلَوْ أَكْثَرَ الإِسَاءَةِ إِلَيْكَ، بَلْ اتَّرَكَ الْأَمْرَ لِلَّهِ». وَقَالَ أَيْضًا: «إِذَا أَنْتَ صَادَقْتَ اللَّهَ، فَسُوفَ يَقُولُ الْكُلُّ عَلَيْكَ، وَيَرْفَعُونَ أَعْقَابَهُمْ عَلَى رَأْسِكَ، وَأَحْيِرًا، إِكْلِيلًا مِنْ يَاقُوتٍ يَضْعُونَهُ عَلَيْكَ، وَتَاجًا مَلُوكِيًّا يَضْعُونَهُ عَلَى رَأْسِكَ». (س:٥:١٨٦ ج)

٩٢٤ — قال الأنبا أنطونيوس: «لا تَحْزُنْ وَلَا تَتَأَلَّمْ وَلَوْ قَلِيلًا عَلَى شَيْءٍ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَا تَقْلُقْ إِذَا شَتَمْكَ جَمِيعُ النَّاسِ، فَهُمْ يُشَبِّهُونَ الْغَبَارَ الَّذِي تَحْمِلُهُ الرِّيحُ، بَلْ احْزُنْ بِالْحَرَقِيِّ، إِذَا مَا عَمِلْتَ مَا يَسْتُوجِبُ الشَّتِيمَةً». (س:٥:١٨٦ ج)

٩٢٥ — وقال أيضًا: «مَا مَنْفَعَةُ كَلَامِ الْكَرَامَةِ، إِنَّهُ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، وَمَاذَا يَجِدُ مِنْ الْخَسَارَةِ الْعَارِضَةِ مِنَ الشَّتِيمَةِ الصَّائِرَةِ مَجَانًا؟ فَهُوَذَا النَّاسُ يَمُوتُونَ، وَتَمُوتُ كَرَامَتَهُمْ، وَشَتِيمَتَهُمْ أَيْضًا تَذَهَّبُ مَعَهُمْ». (س:٥:١٨٦ ج)

٩٢٦

٩٢٦ — قال الأب برصنوفيوس: «إِذَا مَا حَرَّكَ فَكْرٌ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى إِنْسَانٍ فَقُلْ فِي نَفْسِكَ بِطْوَلِ رُوحٍ: إِنِّي قَدْ أَخْضَعْتُ ذَاتِ اللَّهِ لِكِي مَا أَخْدُمْ آخْرِينَ، فَيَكُفُّ عَنِّكَ الْفَكْرُ» (Bar. Let. 13). وَكَنْ دَائِمًا مُسْتَقْصِيًّا عَنْ أَفْكَارِكَ، وَلِتَبْكِهَا، لَأَنَّ الَّذِي يُكْتَبُ أَفْكَارَهُ، وَيَقُولُ إِنَّهُ خَاطِئٌ، وَهُوَ فِي فَعْلِهِ لَيْسَ خَاطِئًا، فَهَذَا هُوَ غَايَةُ الْاتِّضَاعِ، وَمِنْ كَانَ مُتَضَعًا، إِنَّهُ لَا يَغْضَبُ، وَلَا يَخَاصِمُ، وَلَا يَدِينُ أَحَدًا، وَلَكِنَّهُ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخْيَرَ مِنْهُ، وَمِنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ خَاطِئٌ فَلَا يَلُومُ قَرِيبَهُ، وَلَا يَعْتَلُ بِهِ». (س:٥:١٨٦ ظ)

٩٢٧ — وقال أيضًا: «لَا تَحْسِبْ نَفْسَكَ شَيْئًا وَأَنْتَ تَتَنَبَّعُ، جَاهَدْ أَنْ تَمُوتَ مِنْ كُلِّ النَّاسِ وَأَنْتَ تَخْلُصُ، قُلْ لِفَكْرِكِ إِنِّي قَدْ مُتُّ وَوَضَعْتُ فِي الْقَبْرِ، فَمَاذَا لِي مَعَ الْأَحْيَاءِ وَبِذَلِكَ لَنْ يَقْدِرَ عَلَى أَنْ يَحْزَنَكَ. إِنَّ الطَّاعَةَ مَطْفَئَةٌ لِجَمِيعِ سَهَامِ الْعُدُوِّ الْمُحَمَّةِ، وَأَمَا الْحَبَّةُ فَهِيَ الدَّرُودُ الْعَظِيمَةُ (أَيِّ الْأَرْبَطَةِ) وَالْعَصَابَ الَّتِي تَشَدَّدُ كُلُّ اسْتِرْخَاءٍ وَتَشْفِي كُلُّ الْأَمْرَاضِ». (س:٥:١٨٦ ظ)

٩٢٨ — كما قال: «شَابٌ لَا يَنْفَعُ شَابًا، حَتَّى وَلَوْ سَقَاهُ بِكَأسٍ جَمِيعِ تَعْلِيمِ الْكِتَابِ

الإلهية، فلن ينتفع منه». (س: ١٨٦ ظ)

٩٢٩ — كذلك قال: «الجلوسُ في القلادةِ، إنما هو الدخولُ إلى القلبِ وتفتيشه، وضبطُ الفكرِ من كلّ شيءٍ رديءٍ، وقطعُ الهوى وتركُ تركيَّةِ الذاتِ، والابتعادُ عن مرضاهِ الناس. الخلاصُ يحتاجُ إلى تعبٍ كثيرٍ واجتهدادٍ، فلا تسترخْ للجحودِ لثلا يصر عك». (س: ١٨٦ ظ)

٩٣٠ — وقال أيضًا: «النسوانُ هو هلاكُ النفسِ، ويتجزَّءُ من التهاونِ، فالذى يُكلَّفُ نفسهَ في كلّ شيءٍ فإنه ينحِّ، والذى لا يقيِّمُ هواه ولا يلاجِجُ بكلمةٍ فإنه يستريحُ، والذى يلومُ نفسهَ في كلّ شيءٍ فإنه يجدُ رحمةً أمامَ اللهِ إلينا». (س: ١٨٦ ظ)

٩٣١ — وقال أيضًا: «اقتنِ الاتضاعَ فإنه يكسرُ جميعَ فخاخِ العدو». (س: ٥)
(ج ١٨٧)

٩٣٢ — وقال كذلك: «إنْ غَلَبَ الإنسانُ باللهِ التجربةَ الأولى، فلن يقوى عليه العدو فيما بعد، أما إنْ غَلَبَ في التجربةِ الأولى، فإنَّ العدوَ متى أرادَ أتى به إلى عبادةِ الأصنامِ فأفضلُه عما سواها». (س: ٥ ج ١٨٧)

٩٣٣

٩٣٣ — قال أَنْبَا تيموثاوس: «إذا أَكْرَمْتَ النَّاسَ فَخَفَّ جَدًّا، وَاكْرَهَ نَفْسَكَ وحْدَكَ، ولا تستحِ أنْ تُقَرَّ بِذُنوبِكَ، واهرب من كرامةِ الكثرين، لثلا يُغرقوا مركبَكَ». (س: ٥ ج ١٨٧)

٩٣٤ — وقال أيضًا: «إذا أَنْتَ سقطَتَ فَلَا تتوانَ، ولا تكسلَ، بل قم بسرعةٍ. وإذا ضللَتَ أَسرعَ بالرجوعِ إلى خلفِ حتى تجدهُ الطريقَ المستقيمةَ، لأنَّ الطريقَ المستقيمةَ حسنةٌ جدًّا وليس فيها دوران، ولا تحتاجُ إلى طولِ الزمانِ، بل بسرعةٍ تصلُ إلى مدينةِ

٩٣٥ — كما قال: «لا توجد طریق مستقیمة، سوی طریق ربنا یسوع المسيح، لأنه هو الطریق والحق والحياة». (س: ٥: ١٨٧ ج)

مَحْمُود

من أقوال أبا باروخ ميوس

٩٣٦ — قال أبا باروخ ميوس: «جميع المواهب بطول الروح وثبات القلب يعطى، وجميع القديسين لما ثبّتوا قلوبكم نالت أيديهم الموعيد. فخُرُّ القديسين هو طول الروح في كل شيء، وهذا حُسبوا قديسين». (س: ٥: ١٨٧ ج)

٩٣٧ — وقال أيضاً: «هذه هي الأعمال الفاضلة: إن قاتلك فكر ضجر من أخيك، فعليك باحتماله بطول روح، حتى ينحيك الله فيه. صبر على صوم دائم، صلاة بغير فتور في مخادع قلبك بينك وبين الله، وصية صالحة لأخيك، بتولية محفوظة في أعضائك، طهارة وقدس في قلبك، عنق منحن، وضرب مطانية مع قولك: اغفر لي، دعة في أوان الغضب». (س: ٥: ١٨٧ ج)

٩٣٨ — كما قال: «احفظ نفسك من هذا الفكر الذي يجعلك تزكيه ذاتك، وازدراء أخيك، لأنه مبغوض جدًا قدام الله ذلك الإنسان الذي يُكرم نفسه ويرذل أخيه». (س: ٥: ١٨٧ ظ)

٩٣٩ — كذلك قال: «لن تشارك القديسين في مواهبهم، ما لم تتعجب جسدك أولاً في مشاركة أعمالهم، كذلك لن تدخل الحياة، إن لم تُضيق على نفسك أولاً حتى الموت». (س: ٥: ١٨٧ ظ)

٩٤٠ — وقال أيضاً: «ليس لنا عذر نقوله قدام الله إذا وقفنا بين يديه، هل نقول:

لم نسمع أو لم نعرف أو إنهم لم يعلّمونا؟ هو ذا الكتب موجود فيها معرفة كلّ شيء». (س: ٥ ظ: ١٨٧)

٩٤١ محبٌ

٩٤١ — قال أبا أثناسيوس: «اهتم بعمل الخير حسب قوتك من أجل الله، لا سيما مع المسيئين إليك وبغضيك، لكي تغلب الشر الذي فيهم من تحوك». (س: ٥ ظ: ١٨٧)

٩٤٢ — قال الأنبا تيموثاوس: «من احتمل عدوه عند شتمه إياه، فهو قويٌ وحكيم، أما من لا يحتمل الشتمة، فلن يحتمل الكرامة كذلك، لأن الشتمة أقل ضرراً من الكرامة». (س: ٥ ظ: ١٨٧)

٩٤٣ — قال القديس مقاريوس: «احفظوا ألسنتكم، وذلك بأن لا تقولوا على إخوتكم شرّاً، لأن الذي يقول عن أخيه شرّاً، يُغضب الله الساكن فيه، فما يفعله كل واحدٍ برفيقه، فالله يفعله». (س: ٥ ظ: ١٨٧)

٩٤٤ — وقال أيضاً: «احفظوا ذواتكم من كلام النمية والواقعية، لكي تكون قلوبكم طاهرة، لأن الأذن إذا سمعت الحديث النجس، فلا يمكن أن تحفظ طهارة القلب بدون دنس». (س: ٥ ظ: ١٨٧)

٩٤٥ — وقال أيضاً: «لا تطاؤع مشورة الشياطين الأنجاس، إذا حدثوك بخداع قائلين: إن الله لا يواحدك بخصوص هذا الأمر البسيط، أو هذه الوصية الصغيرة، إن توانيت فيها. بل اذكر أن كل معصية كبيرة كانت أم صغيرة، فإنها تُغضِّب الله». (س: ٥ ظ: ١٨٧)

٩٤٦ — قال أبا بفنتيوس: «كثيرون يجعلون نفوسهم وحدَّهم مؤمنين باللسان لا بالعمل، وبالكلام يتظاهرون بأئمَّة قائمون، وليس لهم شيءٌ من الأعمال البتة، ويفتخرون

باطلاً بما لم يصلوا إليه». (س: ١٨٨ ج)

٩٤٧ - قال أنساً أفرأى: «لأي شيء رفضتَ العالمَ إنْ كنتَ تطلبُ نياحَ العالمِ للضيقِ دعاكَ اللهُ الكلمةُ، فكيف تطلبُ نياحةً للعربي دعاكَ، فكيف تزيين باللباسِ؟ للعطشِ دعاكَ فكيف تشربُ حمراً». (س: ١٨٨ ج)

٩٤٨ - قال شيخٌ: «شابٌ يتترَّه دفعاتٌ كثيرةً، فقد صار سيفاً لنفسِه وحده». (س: ١٨٨ ج)

٩٤٩ - وقال آخرٌ: «إذا لم ينم الشابُ وهو جالسٌ، مادامت له استطاعةٌ في جسده، فإنه عاجزٌ مقصرٌ. وكلُّ شابٌ يرقدُ على ظهرِه بقلةٍ همٌ، فإنه يوْقظُ الأوجاعَ المهيأةَ في جسده، وأيُّ شابٌ يحبُ الراحةَ والنياحةَ، فإنه لا يفلت من الخطيةِ، كذلك الشابُ الكسلانُ لا يقتني شيئاً من الحسناتِ». (س: ١٨٨ ج)

٢٥٤

من أقوال مار إسحق السرياني (٣)

٩٥٠ - من كلامِ مار إسحق: «بأمرِين يصنعُ الجسدُ نياحةً بحمامةً، مسبباً للنفسِ اعتباًً ومشقةً ورواماً (أي اضطرابات) عظيمةً للتفكيرِ. أمّا هذان الأمران، فأولهما: عدمُ ضبطِ البطنِ غير المخضوعة لتجليدِ الصومِ، وثانيهما: عدمُ ترتيبِ الأعضاءِ التي تعطي دالةً للنظرِ والمحسنة العديمة التعففِ، الذي منه يحدثُ فسادٌ هيكلِ اللهِ بتوسطِ الأفكارِ الطائشةِ في الأباطيلِ». (Isaac. Ar. I,3,6) (س: ١٨٨ ج)

٩٥١ - وقال أيضاً: «تحكُّم قبالة مسبباتِ الآلامِ، فتهداً عنك الآلامِ من ذاتها». (Isaac. Ar. I,3,14) (س: ١٨٨ ج)

٩٥٢ - كما قال: «العفةُ في وسطِ النياحاتِ لا تثبتُ بغيرِ فسادٍ، كما أن الجوهرةَ

في وسط النار لا يحفظ شعاعها بغير فساد». (س: ٥، ج: ١٨٨) (Isaac. Ar. I,4,16)

٩٥٣ - وقال كذلك: «خمس فضائل بدونها جميع طبقات الناس لا يمكنهم أن يكونوا بلا لوم، وإذا حفظها الإنسان، تخلص من كلّ مضرّة، وصار محبوّاً عند الله والناس، وهي: جسد عفيف، لسان محترس، زهد في الرغبة والشّرّ، كتمان السرّ في سائر الأشياء بغرض مستقيم إلهي، وإكرام كلّ طبقات ومراتب الناس فوق ما يستحق ذلك الوجه، لأن الذي يُكرّم الناس، يُكرّم هو أيضاً منهم، كما يأخذ المجازاة من الله، لأن الكرامة توجب كرامة، والازدراء يجلب ازدراء، والذي يُكرّم الله يُكرّم هو أيضاً منه».

(س: ٥، ج: ١٨٨) (Isaac. Ar. II,41,18)

٩٥٤ - وقال أيضاً: «يسقط في الظنون الرديئة السمححة، كلّ إنسان مُستعبد للأربعة الآلام الآتية: جسد شغب (شهواني)، رغبة في أشياء جسدية، لسان قاسي، نقل الكلام من واحد إلى آخر بنوع المثلبة. كما أن الذي يتخلى الله عنه لأجل تعظيمه يسقط في واحدة من ثلاثة أنواع من الخطيئة هي: إما في فسق سمع، وإما في ضلاله شيطانية، وإما في أذية عقلية». (س: ٥، ج: ١٨٨) (Isaac. Ar. I,4,23)

٩٥٥ - كما قال: «كما أن المواد الدهنية تزيد النار اضطراماً، هكذا طراوة المأكل تبني ألم الزواج» (Isaac. Ar. I,4,39). معرفة الله لا تسكن في جسد محب للراحة، وأي إنسان يحب جسده، لا يؤهّل لمواهب الله. كما يُشفق الأب على ابنه، هكذا يُشفق المسيح على الجسد العمال، وفي كلّ وقت (يكون) قريباً من فمه». (س: ٥، ج: ١٨٨) (Isaac. Ar. I,4,40)

٩٥٦ - وقال كذلك: «من يشتهي الروحانيات، حتماً يُهمّل الجنسيات. احذر من حياة الخلطة، لأنها تعوق سائر أنواع التوبة. التخاطب مع كثيرين يعوق الحزن الذي من أجل الله» (Isaac. Ar. I,5,8).

مثل إنسانٍ يطلبُ من أجلِ زلاتِه وغفرانها (Isaac. Ar. I,5,30). الذي يحبُ الكراهة لا يستطيعُ أن ينحوَ من علَلِ الهوانِ (Isaac. I,13 Ar. II,1,13). كلُّ إنسانٍ تدبرُه رديءٌ حيَاً هذا العالم شهيةٌ عنده، ويليه بعد ذلك من هو قليلُ المعرفة، وحقاً لقد قيل إنْ مخافة الموتِ ترعبُ الرجلَ الناقصَ، أما الذي في نفسه شهادةٌ صالحةٌ فإنه يشتهي الموتَ كالمحياه».

(س٥: ١٨٨ ظ) (Isaac. I,39 Ar. II,1,39)

٩٥٧ - شيخُ مَدَحْته أفكارُه لأجلِ أعمالٍ قد صنعوا من قبل، قائلةً له بأنه قد أهَلَ للرجاءِ وعدمِ الفسادِ مثلاً، فأجابَ الشيخُ أفكارَه قائلاً: «إني لا زلتُ سائراً في الطريقِ، وباطلاً تدخوني، لأنِّي لم أصلَ بعدَ إلى نهايةِ الطريقِ». (س٥: ١٨٩ ج) (Isaac. 57, Ar.) (II,22,28)

٩٥٨ - وقالَ أيضاً: «متي داخلك شهوةً اهتمامٍ بغيرِك بنوعِ الفضيلةِ، حتى يتشتت ما في قلبك من السكونِ، فقل: إن طريقَ الحبةِ والرحمةِ لأجلِ اللهِ مقبولةٌ، ولكنَّي من أجيِلِ اللهِ كذلكَ لا أريدها». وقد حدثَ أنْ قالَ راهبٌ: «إنْ لم تقف لي من أجلِ اللهِ، أجري خلفك». فقلتُ له: «وأنا من أجيِلِ اللهِ كذلكَ أهربُ منك». (س٥: ١٨٩ ج) (Isaac. Ar. II,10,4-5)

٩٥٩ - سؤالٌ: «متي يتحققُ الإنسانُ بأنه استحقَ وأهَلَ لغفرةِ الخطايا؟»؟

الجواب: «إذا ما أحسَّ في نفسهِ بأنه قد أبغضها بالكمالِ من كُلِّ قلبهِ، وبدأ يصنع ما يضادُ تصرفَه الأولَ بالظاهرِ والخفى، فمن هو هكذا، فله ثقةٌ بغفرانِ خططياته من اللهِ، وذلك بشهادةِ الضميرِ التي قد اقتناها في نفسهِ، حسب قولِ الرسولِ: لأنَّ القلبَ الذي لا لومَ فيهِ، هو الشاهدُ على نفسهِ». (س٥: ١٨٩ ج) (Isaac. Ar. II,12,20-21)

٩٦٠

٩٦٠ - قالَ شيخُ: «إذا أردتَ أنْ تُرضيَ اللهَ، فنَقِّ قلبَك من جميعِ الناسِ، وضع

ضميرك تحت كل الخليقة، ولا تدن أحداً، واجعل فكرك في الله، وإذا أبصرت أحداً يخطئ، صل الله قائلاً: اغفر لي فإني أنا الذي فعلت هذه الخطية. فتتم فيك الكلمة المكتوبة: ما من حبٌ أعظمُ من هذا أن يضع الإنسان نفسه عن رفيقه». (س ٥: ١٨٩ ج)

٩٦١ — قال أبا يوسف: «نحن عشر إخوة هذا الزمان نأكل ونبين الجسد، من أجل هذا لا ننمو مثل آبائنا، لأن آباءنا كانوا يُغضبون جميع نياح الجسد، ويحبون كل الضيقات من أجل الله، وهذا اقتربوا إلى الله الحي». (س ٥: ١٨٩ ظ) (Eth. Coll. 13,47)

٩٦٢ — قال شيخ: «كل موضع تضي إليه، فاحرص ألا تجعل ذاتك من أهل ذلك الموضع». (س ٥: ١٨٩ ظ)

٩٦٣ — قال أبا بولا الساذج: «من هرب من الضيقة فقد هرب من الله». (س ٥: ١٨٩ ظ)

٩٦٤ — قال شيخ: «إما أن يجعل نفسك في وسط الناس هيبة، وإما أن تهرب، ولا تدعهم يلحقون بك». (س ٥: ١٨٩ ظ)

٩٦٥ — قال أبا بطرا: «الإمساك الذي هو أفضل من إمساك البطن، والذي يجب أن تغضبه نفسك إليه هو هذا: أن لا تأكل لحم إنسان ولا تشرب دمه بالواقعية». (س ٥: ١٨٩ ظ)

٩٦٦ — قال أبا إبراهيم: «إذا حملت نير المسيح، فانظر كيف تمشي فيه، لا ينبغي لك أن تخلط عمل الدنيا بعمل المسيح، لأنهما لا يجتمعان معاً، ولا يسكنان كلاهما في موضع واحد. لا تسلك في الطريق الواسعة، لأن كثيرين سلكوا فيها فضلوا وذهبوا بهم إلى الظلمة، حيث النار المعدة، ولكن اسلك طريق الحق والصواب، فإنها وإن كانت ضيقة حزينة ضاغطة، لكنها تخرج إلى السعة والحياة، والنعيم الدائم. لا تبن جسدك بالنعيم

واللباسِ، مثل البيوت المزخرفة، التي تؤول إلى الهدم والهلاكِ، ولكن ابنه بالتوبيه والأعمالِ المُرضية لله على الأساس الوثيق، الذي بنى عليه القديسون: بمشي هين، وصوت لين، ولباسٍ حقير، وطعامٍ يسرير، وحبٌّ تام، وطاعةٍ واتضاع، وحسياتٍ نقية». (س: ١٨٩ ظ)

٩٦٧ - التقى سائحٌ بسائحٍ آخر في بريهٍ سيناء، فسأله: «عماذا يكون الخلاص؟» قال له: «بالمعرفة بحقائق الأمور والعمل بحسب الحق». قال له: «إذن فمن لا يعرف لا يخلص؟» قال: «بلى». فقال: «وما هي المعرفة إذن؟» قال: «أن يعرف العبد حقيقة خالقه، ومِمَّ خلقه، وما يقول إليه أمره، فإذا عرف ذلك، فإنه لن يعصيه، بل سوف يصنع مرضاته طول حياته». فقال: «صدقت»، ثم انصرف. (س: ١٨٩ ظ)

٩٦٨ - قال ديدو خس: «لا يقدر إنسانٌ أن يقتني خوفَ الله إلا إذا أحبَّ خصالاً وأبغضَ خصالاً أخرى، وذلك إذا أراد أن يكون راهباً حقاً». قالوا له: «وما هي الخصال التي تحب؟» قال: «هي الشجاعة في غلبة الأهواء المظلمة، الحبة، العفة، العلم، الاتضاع، المسكنة، الرحمة، حسن الحديث ولينه، الصبر، السهر، التعب، الطاعة، وما أشبه ذلك مما يُرضي الله، فمن كانت له هذه الخصال رَجَوتُ له الخلاص». قالوا له: «وما هي الخصال التي تبغض؟» قال: «الشرّ، الفسق، الحقد، اللجاجة، الرياء، الكذب، النيمية، الحسد، الشر، العجز، الضجر، التوانى، الغفلة، البذخ، التيه، العظمة، العجب، الصلف، وما أشبه ذلك». (س: ١٩٠ ج)

٩٦٩ - قال شيخ: «الذى يُحقر نفسه من أجلِ ربِّه، يَهْبِه الحكمة والمعرفة. لسنا في احتياجٍ إلا إلى قلبٍ حرِيصٍ (Bu. I, 532). طوبى لمن يصرُّ على هذه الثلاثة بشكرٍ وهي: أن لا يأكل حتى يجوع، ولا ينام حتى ينعش، ولا يتكلم حتى يُسأل». (س: ١٩٠ ج) (I, 312)

٩٧٠ - من أقوالِ أَنْبَى يعقوب: «مثُلِ الْمَصْبَاحِ الَّذِي يُنِيرُ الْبَيْتَ الظَّلَمَ، كَذَلِكَ خُوفُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ يُضِيئُهُ وَيُعْلِمُهُ جَمِيعَ الْوَصَايَا». (س:٥ ج:١٩٠) (Abc. James 3)

٩٧١ - تحدَّثَ الْأَبَاءُ عَنْ شِيخٍ أَخْدَتْ رُوحُهُ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ رَجَعَتْ إِلَيْهِ، فَسَأَلُوهُ: «مَاذَا أَبْصَرْتَ يَا أَبَانَا؟» فَقَالَ وَهُوَ يَبْكِي: «سَمِعْتُ هُنَاكَ قَوْمًا يَقُولُونَ وَهُمْ بَاكِينَ: الْوَيلُ لِي، الْوَيلُ لِي». (س:٥ ج:١٩٠) (An. 141b)

٩٧٢ - قال شيخ: «من مدح راهباً بحضورته، فقد أسلمه بأيدي أعدائه». (س:٥ ج:١٩٠) (An. 498)

٩٧٣ - قال أَنْبَى يَمِينَ: «إِذَا ذَكَرَ الْإِنْسَانُ الْكَلْمَةَ الْمَكْتُوبَةَ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِكَ تَدَانُ، وَمِنْ كَلَامِكَ تَنْزَكُ». (س:٥ ج:٤٢) (Abc. Poemen 42)

٩٧٤ - وقال أيضًا: «مثُلِ الدُّخَانِ الَّذِي يَطْرُدُ النَّحْلَ حَتَّى يَقْطُفُوا الْعَسلَ، كَذَلِكَ نِيَاحُ الْجَسَدِ، يَطْرُدُ خُوفَ اللَّهِ، وَيُتَلِّفُ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ». (س:٥ ج:٥٧) (Abc. Poemen 57)

٩٧٥ - أَبْصَرَ أَنْبَى أنطونيوس فخاخ الشياطين مبسوطة على الأرض كلّها، فتنهدَّ وَقَالَ: «يَا رَبُّ، مَنْ يَفْلِتُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ؟ فَأَتَاهُ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «الْمُتَضَعُونَ يَفْلِتُونَ مِنْهَا». (س:٥ ج:٧) (Abc. Anthony 7)

٩٧٦ - كان شيخاً جالساً في البرية، وكان بينه وبين الماء الذي يستنقى منه آثنا عشر ميلاً، فذهب مرةً ليسنقى، فضجر وقال لنفسه: «لِمَذَا أَعْانَيْتَ هَذَا التَّعبَ؟ فَلَا ذَهَبَ وَأَسْكَنَ بِقَرْبِ الْمَاءِ». وفيما هو يفكّر في هذا الأمر، التفت إلى خلفه، فأبصر شيخاً يَعْدُ خُطَّابَهُ، فسألَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي مَلَكُ الْرَّبِّ، أَرْسَلْتَنِي لِأَعْدَدَ خُطَّابَ، لِكَيْ يَعْطِيكَ أَجْرَ تَعْبِكَ». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْخُ ذَلِكَ، طَابَتْ نَفْسُهُ، وَزَادَ عَلَى الْمَسَافَةِ خَمْسَةَ أمْيَالَ

٩٧٧ - قال شيخ: «إن قوّمتَ الصمتَ، فلا تظن في نفسك أنك قد قوّمت شيئاً، ولكن اعتبر ذاتك أنك لستَ أهلاً لأن تتكلّم». (س:٥ ظ:١٩٠)

٩٧٨ - قال أبا أنطونيوس: إني أبصرتُ مصابيحَ من نارٍ محيطةً بالرهبانِ، وجماعةً من الملائكةِ بآيديهم سيفٌ ملتهبةٌ يحرسونهم، وسمعتُ صوتَ اللهِ القدس يقول: «لا تتركوههم ما داموا هم مستقيمي الطريقَة». فلما أبصرتُ هذا ، تهدتُ وقلتُ: «وإليك يا أنطونيوس، إنَّ كُلَّ هذا العونِ محيطٌ بالرهبانِ، والشياطين تقوى عليهم»! فجاءني صوتُ الربِّ قائلاً: «إن الشياطين لا تقوى على أحدٍ، لأني من حين تحسّدتُ، سحقتُ قوّتهم عن البشرِين، ولكن كُلَّ إنسانٍ يميلُ إلى الشهواتِ، ويتوانَى بخلاصِه، فشهوتهُ هي التي تصرعه وتجعله يقع». فصحتُ وقلتُ: «الطوبى لجنسِ الناسِ وبخاصةِ الرهبانِ، لأن لنا سيداً هكذا رحوماً ومحباً للبشرِ». (Am. 44,3,10) (س:٥ ظ:١٩٠)

٩٧٩ - قال الشيوخُ: «إن للشيطانِ ثلثَ حصالٍ قويةٍ، وهي تقدم كلَّ خطيئةً، وهي، النسيان، التوانِي، الشهوة. ومن الشهوة يقع الإنسانُ. فإن انتبه العقلُ ولم ينسَ، فلن يحيطَ إلى التوانِي، وإن هو لم يتوانَ، فلن يأتي إلى الشهوة، وإن هو لم يشتهِ، فلن يقع بنعمةِ ربنا يسوعَ المسيح». (س:٥ ج:١٩١) (Bu. I, 248)

٩٨٠ - سألهُ الأبا بيمين قائلاً: «كيف ينبغي أن يكون الراهبُ الساكنُ في الكنوبيون؟» فأجابهُ الشيخُ قائلاً: «إن الذي يسكن في الكنوبيون، ينبغي أن يكونَ جميعَ الإخوةِ عنده واحداً في الحبةِ، وأن يحفظَ لسانَه وعينَه، وحيثُنَدْ يكونُ في راحةٍ». (س:٥ ج:١٩١) (Sys. IV,38)

٩٨١ - سألهُ شيخاً: «ماذا يصنعُ الإنسانُ في بليةٍ تأتي عليه؟» فأجابهُ: «ينبغي له

أن ييكيَ قدام اللهِ، ويطلبَ منه أن يعينه كالمكتوب: إنَّ الربَّ عوني فلَا أُخْشى، ماذا يصنعُ
في الإنسان». (س:٥ ١٩١ ج)

٩٨٢ - قال مار باسيليوس: «ماذا ينفعني إذا أقمتُ الفضيلةَ كُلُّها، ثم أقول
لأخِي: يا أحمق، فأكون قد استوجبتُ جهنَّم، هو ذا السليح يعقوب يقول: إنْ تُمْ
الإِنْسَانُ الناموسَ كُلُّهُ وأخطأ في أمرٍ واحدٍ، فهو في الكلِّ مُدانٌ. لن تستطع إدراكَ شيءٍ
من مَرْضَةِ اللهِ بغير الاتضاع، فلا تفرُّغْ أفكارَك في استقصاءِ عيوبِ الناسِ وخطاياهم،
ولكنْ تفرُّغْ لتفتيش عيوبَك وخطاياك». (س:٥ ١٩١ ج)

٩٨٣ - قال شيخ: «إنَّ كَانَ الرَّاهِبُ حَرِيصًا مُجاهِدًا بالحقيقةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يشأُ لَهُ
أَنْ يَكُونَ مَرْتَبِطًا بِشَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ هَذِهِ الدُّنْيَا، حَتَّىٰ وَلَا يَابِرَةٌ صِغِيرَةٌ، لَثَلَاثَةٌ فَكَرَهَ
مِنْ ذِكْرِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَتُشَغِّلَهُ عَنِ التَّوْبَةِ عَنِ خَطَايَاهُ. كُلُّ إِنْسَانٍ قَدْ ذَاقَ حَلاوةَ
الْمَسْكَنَةِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْنُلُ الثَّوْبَ الَّذِي يَلْبِسُهُ وَالْكَوْزَ الَّذِي يَشْرَبُ فِيهِ المَاءَ، لَأَنَّ عَقْلَهُ قَدْ
اشتَغَلَ بِأَشْيَاءَ أُخْرَى رُوْحَانِيَّةٍ. الَّذِي لَمْ يُغِضْ بَعْدَ مَتَاعَ الدُّنْيَا، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُغِضَّ
نَفْسَهُ كَمَا قَالَ السَّيِّدُ؟». (س:٥ ١٩١ ظ)

٩٨٤ - وقال أيضًا: «ويح لِنَفْسٍ قد اعتادت أن تسأَلَ عن كلامِ اللهِ وتسمعه ولا
تعمل شيئاً بما تسمع». (س:٥ ١٩١ ظ)

٩٨٥ - وقال أيضًا: «ويح لشابٍ يملاً بطنه ويصنِّعُ هواه، لأن رهبانيته وتلمذته
وكلُّ تعبِّه يكُونُ باطلًا». (س:٥ ١٩١ ظ)

٩٨٦ - قال شيخ: «إنَّ كَانَ إِنْسَانٌ يُحِرِّرُهُ إِبْلِيسُ بِأَوْجَاعِ الْخَطِيئَةِ، وَيَيْكِي وَيَنْوَحُ
لِذَلِكَ بَيْنَ يَدِيِ اللهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَشْتَاقُ إِلَيْهِ، لَأَنَّ التَّنْهَدَ قَادِرٌ أَنْ يَحْلِلَ الْخَطِيئَةَ، وَالْبَكَاءُ أَنْ
يَغْسِلَ الذَّنْبَ». (س:٥ ١٩١ ظ)

٩٨٧ — قال أَنْبَأُ زِينُونَ: «إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَقْطَعَ عِرْوَقَ شَيْطَانِ الزَّنِ، وَهُلْكَهُ عَنْكَ، فَكُفَّ فَمَكَ عَنْ دِينُونَ النَّاسِ كُلَّهُمْ، وَلَا تَقْعُدُ بِواحِدٍ مِنْ وَرَائِهِ، وَقُرْ بَخْطَاهِيكَ دَائِمًا، فَهَذَا هُوَ عَوْنَ لَكَ وَسَلَاحٌ قَوِيٌّ، أَمَّا إِنْ أَسْلَمَتَ نَفْسَكَ لِكَثْرَةِ الْكَلَامِ، فَإِنَّ الْمَلَكَ الَّذِي مَعَكَ يَتَنَحَّى عَنْكَ، وَيَلْتَقِي بِكَ الشَّيَاطِينَ أَعْدَاؤُكَ، وَيُمَرِّغُونَكَ فِي دَنَسِ الْخَطِيئَةِ. لَيْسَ شَيْءٌ يُصَيِّرُنَا مِثْلَ اللَّهِ، سَوْى عَدَمِ الْحَقْدِ، وَأَنْ نَكُونَ بِلَا شُرُّ قَبَالَةَ الَّذِينَ يَسِيئُونَ إِلَيْنَا». (س: ٥١٩١ ظ).

٩٨٨

٩٨٨ — من أقوال أَنْبَأُ نِيلُوسَ، قَالَ: «اْحْتَفِظْ بِأَبْوَابِ السَّمْعِ، وَأَفْضَلُ مِنْهَا بِأَبْوَابِ الْعَيْنِ، فَقَدْ اعْتَادَتْ سَهَامُ الشَّرِّ الدُّخُولَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ. اْحْتَفِظْ بِالْإِمْسَاكِ، كَيْ مَا تَضَعْ حَرَكَاتُ الْجَسَدِ، فَإِنْ مَرِضَ فَعُزَّهُ حَتَّى يَجْبِيَ إِلَى الصَّحَّةِ، دُونَ أَنْ تَلَازِمَ الْلَّذَّاتِ. صَلُّ أَلَا تَأْتِيكَ الْبَلَاءِ، فَإِنْ أَتَكَ، فَاصْبِرْ لَهَا. أَنْتَ تَحْبُّ أَنْ تَعْمَلَ الْفَضْلَيَةَ بِلَا تَعْبُّ، وَلَكِنْ أَعْلَمْ أَنَّ التَّعْبَ إِنَّمَا لِزَمْنٍ قَصِيرٍ، أَمَّا الْأَجْرُ فَيَدُومُ إِلَى الْأَبْدِ. لَا تَحْوُلْ وَجْهَكَ عَنْ دَمْوعِ الْمَسْكِينِ، لَعْلَةُ تُحْتَقِرَ دَمْوعُكَ فِي زَمْنِ الشَّدَّةِ، إِنْ أَمْسَكْتَ بِطَنَّكَ، اضْبَطْ أَيْضًا لِسَائِكَ، لَعْلَةُ يَكُونَ الْوَاحِدُ عَبْدًا وَالآخَرُ حَرًّا بِلَا مُنْفَعَةِ. إِنْ أَحْبَبْتَ السَّمَائِيَّاتِ، فَمَا لَكَ وَالْأَرْضِيَّاتِ الَّتِي تَمْنَعُكَ عَنْ أَنْ تَطِيرَ نَحْوَ السَّمَائِيَّاتِ. إِنْ دَنَّا أَنْفُسَنَا، رَضِيَ الْدِيَانُ عَنَّا، لَأَنَّهُ يَفْرُحُ مِثْلَ صَالِحٍ إِذَا هُوَ أَبْصَرَ الْخَاطِئَ (يَتُوبُ) فَيُطْرَحُ عَنْهُ حَرْمَتَهُ (أَيْ ثَلَلَ خَطَايَاهُ) إِنْ كَنَا قَدْ فَعَلْنَا أَمْرًا بَخْسًا، فَلَنْغَسِلْهُ بِالتَّوْبَةِ. تَهَدِّى عَلَى قَرِيبِكَ إِنْ هُوَ أَخْطَأَ، كَمَا تَتَنَهَّدُ عَلَى نَفْسِكَ، لَأَنَّنَا كُلُّنَا تَحْتَ الزَّلْلِ. لَتَكُنِ الْصَّلَاةُ بِيَقْنَظِ الْعُقْلِ، لَعْلَةُ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَمْرًا لَا يَهْوَاهَا. إِذَا صَلَيْتَ، اصْعُدْ بِأَفْكَارِكَ إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ هِيَ نَزْلَتْ وَدَارَتْ فَارْفَعُهَا أَنْتَ أَيْضًا. اصْبِرْ لِلْأَحْزَانِ، لَأَنْ هَا يَأْخُذُ الْمُجَاهِدُونَ الْأَكَالِيلَ. مَا أَلَذُّ وَأَطِيبُ حِبْزُ الْصَّرْمِ، لَأَنَّهُ

معتوقٌ من خبيث الشهوات. إن عملتَ بيديك، فليكن اللسانُ مزمراً، والعقلُ مصلياً، لأنَّ اللهَ يحبُّ أن تذكره دائمًا أبداً. ينبغي أن تتكلّم بالحسناتِ لكي ما تبدأ بالأعمالِ، حيث تستحيي من الكلام. طهر النفس بالدموع في الصلاةِ، ولكن بعدَ الصلاةِ، اذْكُر لماذا كانت الدموعُ. لا تختلط بالذِّي تراه يتبعَد عن الصالحين. أعطِ البطنَ ما يقوته، لا ما يهواه. لا تحبُّ التسعمَ، لأنَّه يجلبُ حبَّ العالمِ. أمُّ الشرِّ هي التواني بالخيراتِ. لا تبغض المسكنةَ لأنَّها تصيرُ المقاتلَ بلا همٍّ. لا تفرح بالغنى لأنَّ الاهتمامَ به يبعدُ الإنسانَ عن اللهِ كارهاً. لا تغفل عن أنَّ تصنعَ رحمةً، ولا تحبُّ أن تستغني عن طريقِ ضيافةِ الغرباءِ. داوم أبداً على تلاوةِ المزاميرِ، لأنَّ ذكرَها يطردُ الشياطينِ. اعتبر الصومَ حصناً، والصلاحةُ سلاحاً، والدموعَ غسيلًا. إن شُتمتَ تفَكِّر إذا كنتَ قد فعلتَ ما تستأهلُ بسببهِ الشتيمةَ، فإنَّ كنتَ قد فعلتَ، فاحتسب الشتيمةَ بمثابةِ المحازاةِ، وإنْ كنتَ لم تعملْ، فلتكن عندك شبةُ الدخانِ. الطريقُ التي توصلُ إلى الفضيلةِ، هي الفرارُ من العالمِ. الذي لا يُغضُّنُ الخطيئةَ، مع الحاطئينِ يُدان ولو لم يكن قد فعلها. إذا نظرنا في أمورِ أنفسنا، فلن ندين آخرين. أمورٌ كثيرةٌ هي فيينا، ونحن نلومُ بها غيرَنا. إنَّ كان لكَ غنى بددَه، وإنْ لم يكن لكَ، فلا تجتمع. اصنع الخيرَ بالمساكينِ، فإنهم يُرضونَ الديانَ عوضاً عنكِ. إن شربتَ الشرابَ فقللَ منه، لأنَّ قِلْته تنفعُ شاربهِ. أظهرِ إسكنيمِ الفضلِ، لا لكي تُخدِعَ، ولكن لكي تُنفعَ الناظرينِ. كن في الكنيسةِ مثلَ من هو في السماءِ. امشِ ولا تتكلّم، ولا تحبُّ الأرضياتِ. على من يخطئُ احزنِ، لا على من يتمسّكن، لأنَّ هذا مُكْلَلٌ، وذاك يُعذَّبُ. ويلٌ للظالمِ لأنَّ غناه يفُرُّ منه، وتلقاه نارٌ لا تُطفأ. ويلٌ للمتوانينِ، لأنَّهم يتمسّكونُ الرمانَ الذي غفلوا فيه فلا يجدونه. ويلٌ لمحبِّ الرقىِ، فإنه يخرجُ من عرشِ الملكِ وهو مهزِيٌّ. ويلٌ للمحتالِ والمسكرانِ، فإنهما يدانان مع القتلةِ والزنادِ. ويلٌ للذِّي يأخذُ بالوجوهِ، فإنَّ الراعي يبحدهُ والذئابُ تفترسهِ. طوبى للذِّي يسلكُ الطريقَ الضيقَ الحزينةَ، فإنه يفرجُ

ويدخل إلى السماء وهو مُكَلَّلٌ. طوي لمن اقتني أمراً رفيعاً وفكراً متضعاً، فإنه يتشبه بال المسيح ومعه يجلس في الملائكة. طوي لمن ألزم لسانه للناموس، فإن الله لا يفارقه في مسكنه. طوي لمن بدأ السينات التي جمعها، فإنه يقوم قدام الدين مُزَكِّي». (س: ١٩٢ ج)

٥٤

٩٨٩ - قال شيخ: «أنا قلت لنفسي يوم خروجي من العالم: إني اليوم ولدت، واليوم بدأت بعبيدية الرب. كذلك كن كل يوم بمثابة الغريب، الذي يترجح الرجوع بالغداة». (س: ١٩٣ ج)

٩٩٠ - لقي أبا جراسيموس امرأة في البرية عريانة، فلما أبصرته توارت عنه، لكنه أراد أن يكلمها، فتوارت خلف صخرة وكلمتها. فقال لها: «كم لك في هذه البرية؟» قالت: «خمسون سنة». قال لها: «ماذا كان غذاؤك؟» قالت: «إن الخالق لا يُضيع ما خلق». قال لها: «فماذا أبصرت في هذه البرية؟» قالت: «ما أبصرت غير المسيح وأعماله وصناعاته». قال لها: «ففيما الخلاص؟» قالت: «في ترك ما أنت فيه». قال لها: «وما هو؟» قالت: «شغلك بالبكاء على خطاياك، أولى من سؤالك امرأة عما لا ينفعك». قال لها: «صحيت»، وعمل مطانية، وانصرف. (س: ١٩٣ ج)

٥٥

الشيخ الروحاني (١)

٩٩١ - من أقوال الأب الروحاني المعروف بالشيخ، تعليم للمبتدئين: هذا هو الترتيب العظيم المحبوب لدى الرب: ألا تتلفت عينا الإنسان هنا وهناك، ليكن نظره إلى قدامه فقط، لا يتكلم كلاماً زائداً، بل ما هو ضروري منه فقط. يستعمل لباساً حقيراً لكمال حاجة الجسد، ويستعمل القوت لقوام الجسد، ولا يرغبه، ويأكل من جميع

الأطعمة بالنقص، ولا يرذل شيئاً. ولا يملاً بطنه مما يختاره هواء، لأن الإفراز هو أفضل من كل الفضائل. ولا يشرب حمراً، إلا إذا وجد مع قوم أخذوه لعلة مرض أو ضعف. لا يقطع كلمة ذلك الذي يتكلم ليتكلم هو مثل غير المتاذب، بل يصر مثل حكيم. وكلّ موضع يصادفه، ليكن فيه صغيراً إخوته وخديعهم. ولا يكشف عضواً من أعضائه قداماً إنساناً، ولا يدُّو من جسد إنسانٍ بغير علة، ولا يدع إنساناً يتقدم إلى جسده بغير ضرورةٍ وعلة. وليرحى من الدالة كمثل حذرٍ من الموت قاتله. ويقتني لمرقدِه ترتيباً عفيفاً لكي لا تبعد منه القوة الحارسة، وإذا نام، فإنَّ أمكنَ لا يصره إنسانٌ. ولا يطرح بصافاً قداماً إنسانٍ، وإنْ أتاها سعالٌ وهو على المائدة، فليُدرِّ وجْهه عنها، وحيثُنَدْ يسعُل. وبالعفة يأكل ويشرب، كما ينبغي لأبناء الله. ولا يمد يده قداماً رفيقه بوقاحةٍ. وإن جلسَ معه غريبٌ فليغضبه مرتين أو ثلاثة أَنْ يأكلَ، وبالهدوء يأخذ ويضع على المائدة ولا يتهاون. وإذا تناول فليُغطِّ فمه لثلا ينظره أحدٌ. ولتكن ثيابه ورجلاه مرتبة على المائدة. وإذا دخل قلية معلمٍ، أو تلميذ معلمه أو صديقه، فالحذر يمسك نفسه لثلا يصرَّ أو يميزَ الذي فيها، وإنْ كان يُغضَّب من صاحبها لينظرَ ذلك، فلا يطاوعه، فمن جسر على هذا فهو غريبٌ لشكلِ الرهبانِ وللمسيح معطيه. ولا يصر الموضع الذي فيه آنية صديقه موضوعة، وبالرفق يفتح بابه ويغلقُه وكذلك باب غيره، دون أن يسمع صوته. ولا يستعجل في مشيته بدون علةٍ ضروريةٍ، كما يكون مستعداً لكلّ عملٍ، ومطيناً. ولا يلتتصق بالمرتبط بأشياءٍ أو بدرهمٍ، أو بعلمانيين، لثلا يكون عبداً للشيطانِ.

وبالسهولة يتكلم مع كل إنسانٍ، وبالعفة ينظر في كل إنسانٍ، ولا يملاً عينيه من وجه إنسانٍ. وإذا ذهب في طريق فلا يسبق من هو أكبرُ منه، وإذا انفصل منه رفيقه لسببٍ ما، فليبعده عنه قليلاً وينتظره حتى يأتي، ومن لا يفعل هكذا فهو جاهلٌ. وإن اتفق أن يلتقي رفيقه بالناسٍ ويتكلم معهم، فليثبت متظراً إياه دون أن يستعجله. ومن هو

قويٌ يقولُ لمن هو ضعيف قبل الوقتِ هلمَّ نأكلُ. ولا يُكُنْ بشرىً على جهالته، بل يضع نفسه عندَ جميعِهم كمحظىٍ. ويختارُ كُلُّ عملٍ حقيرٍ ويصنعه باتضاعٍ. وإذا ضحكَ، فلا يكشف عن أنسانٍ. وإذا اضطربَ الأمر إلى الكلام مع النساءِ، فليُرُدَ وجهه عن نظرِهن عندَ كلامِه معهن، وليفر من لقاءِ الراهباتِ ومؤانستهن ونظرهن، كمثل الماءِ من فخ الشيطانِ، لفلا يتسع بحمةِ الأوجاعِ التحسنةِ، حتى وإن كُنَّ أخواته بالطبيعةِ، فليحفظ نفسَه منها في كُلِّ شيءٍ، كمثل الغرباءِ. وليرجع من الاختلاطِ بأقربائه وبني جنسه، لثلا يبرد قلبه من محبةِ اللهِ. وليرجع عن مرافقته الشبابِ والدالةِ معهم، كابتعاده عن محبةِ الشريرِ. ول يكن له واحدٌ يتجذبه ابنَ سرّه وابنَ أنسِه وشريكه، على أن يكونَ خائفاً من اللهِ، ومهتماً مع نفسه ومسكيناً بمسكتهِ، وغنىًّا بأسرارِ اللهِ. وليرجع أسرارَه وتداييرَه من كُلِّ بشريٍّ، ولا يكشف أعمالَه وحروهَ. ولا يرمي عنه زداءً من غيرِ ضرورةٍ في موضع براه إنسانٌ. وإذا خرج حاجةُ الجسدِ، فليكن ذلك بالعلةِ مثلَ من يستحبِي من الملائكةِ الحافظِ له. ول يكن ممارساً هذه كلُّها بمحافةِ اللهِ، غاصباً نفسه، وإنْ لم يشاُ القلبُ. والأصلح له أن يأكلَ سمَّ الموتِ، ولا يأكلَ مع امرأةٍ، ولو كانت أمه أو أخته. والأصلح له أن يسكنَ مع التينِ، ولا يتغطى مع آخر بقطاءٍ واحدٍ وينام، ولو كان آخاه. ولا يماري على شيءٍ، ولا يلاجع، ولا يكذب، ولا يخلف باسمِ اللهِ. ويهان ولا يهين، ول يظلم ولا يظلم، لأنَّه أفضَلُ أن يهلكَ ما للجسدِ مع الجسدِ، ولا تعجز واحدةٌ مما للنفسِ. ولا يتكلم بحكومةٍ مع إنسانٍ، بل يحتمل وهو مُركَيٌّ أن يدانَ مثلَ السقيمِ. ولا يحب نفسه في شيءٍ مما لهذا العالمِ، ول يطبع الرؤساءَ، ول يبعد عن محالتهم. أيها الشره محبُ البطنةِ، أخير لك أن تجعلَ في بطنك، لو كان هذا مستطاعاً، جهنَّمَ نارٍ، ولا أطبخه الرؤساءَ. ولتكن رحمته على كُلِّ إنسانٍ، وهو بعيدٌ ومترغِّبٌ من كُلِّ إنسانٍ. ومن كثرةِ الكلامِ فليحذر، لأنَّه يطفئ من القلبِ الحركاتَ النورانيةَ المتحركةَ باللهِ. وكذلك فليحذر

من المجادلة مع الخواص والغرباء، وليفر منها كفراً من سبع ضارٍ. ولا يعبر بجوار الغضوين والمتخاصمين، لثلا يمتلئ قلبه غضباً، وتملك في قلبه ظلمة الضلاله. ولا يسكن مع المفتخرین لثلا يرتفع من نفسه فعل الروح القدس، ويُصبح مسکناً لـكلّ الأوجاع الشريرة.

هذه التحذيرات كلها، إن حفظتها أيها الإنسان، وفي كلّ حين استأنست بالهدى بالله بالحقيقة، فإنك لن تعمي أبداً، بل في قليل من الزمان، تنظر نفسك نور المسيح، الذي له المجد من محبيه إلى الأبد آمين. (س: ٥١٩٣ ج) (Dal. 18, 1-47)

٩٩٢

جاء إنسان إلى أنبياء زينون، وقال له: «هل يكون غفران لـكلّ خطيئة؟»؟ أجابه الشيخ قائلاً: «إن تاب الإنسان بقدر خططيته، فإنه يحظى بالغفران». وكان السائل يعلم أن خططيته عظيمة. فقال للشيخ: «لكنني أتعجب أن لخططيتي غفراناً». قال له الشيخ: «قد قلت إن لـكلّ خططية غفراناً إن كانت التوبة بقدر الخططيّة، فأخبرني يا ابني بخططيتك ولا تخجل، ولا تكتم عني شيئاً، لأن الذي يخجل أن يقر بخططيته، لا ينال البرء منها». فقال: «يا أبي، إني لما كنت علمانياً، نمت مع أمي». قال له الشيخ: «حقاً إنك فعلت خططيّة قبيحة، ولكنك إن تبت مقابلها، فأنا أومن أن الله يغفر لك». فقال له الأخ: «مرني بما أفعله». فأخذه الشيخ إلى البستان وأراه أصل شجرة يابساً، وقال له: «اذهب إلى البرية إلى المكان الفلاي، وكن صائماً هناك، ولا تتowan في صلاتك، وبعد سنة تأتي إلى هنا، فإن رأيت هذا الأصل أخرج قلوبها، فتحقق أن الله قبل توبتك». فذهب الأخ إلى الموضع الذي رسم له، وصنع كما أمره الشيخ، ولما أكمل السنة أتى فأبصر وإذا الأصل على حاله، فأعلم الشيخ أن الأصل لم يزل يابساً، فقال له الشيخ: «اعلم أن توبتك لم تكمل بعد، فاذهب واهتم بنفسك هذه السنة أيضاً». فمضى وبعد سنة رجع إلى الشيخ،

ولكن الأصل لا زال على حاله، فقال له الشيخ: «اذهب أيضاً واهتم بحسيانتك، ولا تتوان في صلاتك». وفي السنة الثالثة، رجع وأبصر الأصل، وإذا هو قد أخرج قلوبًا. فأتى وأعلم الشيخ، فقال له الشيخ: «هو ذا قد صرت مصححًا، فلا تخطئ فيما بعد». فذهب شاكراً الله على عظيم رحمته. (س: ٥١٩٦ ج) (An. 627D)

٩٩٣ – قال مار إسحق: «ليست خطيئة بلا مغفرة إلا التي بلا توبة، وليس موهبة بلا زيادة إلا التي بلا شكر». (س: ٥١٩٦ ظ) (Isaac.2,3 Ar. II,2,3)

٩٩٤ – جماعة من الإخوة أتوا إلى أنبا إيلاريون وقالوا له: «ما علامة فضل الراهب؟» فقال لهم: «كثرة الحب والاتضاع يزينان الراهب ويشرفانه في الدنيا وفي الآخرة. ويجب أن تكون له هذه الخصال، وهي: أن يكون عاقلاً، عالماً، محتملاً، صبوراً، طاهراً، عفيفاً، سخياً، جواداً، متريشاً، رحوماً، وقوراً، كتوماً، شكوراً، مطيناً، مداوماً الصمت، متوفراً على الصلاة». قالوا: «إن اجتمعت هذه الخصال في إنسان، فهل يُسمى راهباً؟» قال: «نعم، إنه راهب إذا تعب كذلك وشقى بمقدار ما تصل إليه قوته». (س: ٥١٩٩ ظ)

٩٩٥ – سُئل أحد الشيوخ: «ما هو الباب الضيق؟» قال: «أن يضيق الإنسان على نفسه، ويزيل إرادته كلها لأجل حب الله وطاعته، بحسب ما قيل: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعدنا. لأنه لم يكن لهم غنى وتركوه، بل تركوا مشيتهم». (س: ٢٠٠ ج)

٩٩٦ – قال أنبا بيمين: «علم قلبك ما تقوله بلسانك من العلم». (Abc. Poemen 63, 164) وقال أيضاً: «إن كثيرين من الناس يتكلمون بالأشياء الفاضلة، ولكنهم يفعلون الأفعال الدنيئة». (س: ٥٢٠٠ ج) (Abc. Poemen 56)

٩٩٧ – قال أحد الشيوخ: «إن الشيطان هو العدو، وأنت صاحب البيت، والعدو

لا يزال يُلقي كُلَّ ما يجده من سائر الأوساخ، فلا تتعافى أنت ولا تتوانَ عن إخراجِها،
لثلا يمتليء بيُنكَ من الأقدارِ، ولا تستطيع تنظيفه، بل اهتم بالتنظيفِ أولاً بأول، لتبقى نقىًّا
بنعمة الله». (س٥: ٢٠٠ ج) (An. 275)

٩٩٨ — قال أبا أغرييوس: «رأسُ الحكمةِ هو ذلك الوقتِ الذي فيه تلوم نفسك
وحدك». (س٥: ٢٠٠ ج)

٩٩٩ — أبصر أبا نومين أخَا يضحك، فقال له: «لا تضحك يا أخي، لثلا يتعد
الله منك». (س٥: ٢٠٠ ج) (Bu. I, 143)

١٠٠٠ — قال شيخٌ: «اقتنِ السكوتَ بمعْرفةٍ. اهتم بالله، ولا تهتم بشيءٍ أرضيٍّ،
وافحص أمورَكَ في قيامِك وفي جلوسك. استند إلى اللهِ، ومن جهةِ المنافقين لا تفرع». (س٥: ٢٠٠ ج) (Bu. I, 32)

١٠٠١ — كان راهبٌ مسكيٌّ لا يملك شيئاً، لكنه كان رحوماً، فأناه سائلٌ يطلب
صدقةً، ولم يكن عنده سوى خبزةٍ واحدةٍ، فدفعها إليه. ولكن السائل قال له: «لستُ
محتاجاً إلى خبزٍ، بل إلى ثوب». فأراد الأخُ إقناعه، فأخذه بيدهِ، وأدخله إلى القلابية، فلما
أبصر السائلُ أنه ليس له شيءٌ غير الشوب الذي على جسدهِ، رقَّ له، وصبَّ تليسَ خبزٍ
كان معه. (س٥: ٢٠٠ ج)

١٠٠٢ — كان أحدُ الشيوخ يمشي ومعه تلميذه، فوجد في الطريقِ تفاحةً
مطروحةً، فأخذها و Mizraha، ثم طرحتها تحتَ رجليه و سحقها في الأرضِ، فقال له تلميذه:
«لم فعلتَ هكذا يا أبي؟»؟ فقال الشيخُ: «نعم يا ابني، لأن شهوةَ الثمرةِ أخرجتَ آدمَ من
الفردوس». (س٥: ٢٠٠ ظ)

١٠٠٣ — قال بعضُ الشيوخ: «ينبغي للمجاهدِ أن يُغضَّ كُلَّ مفرحاتِ العالمِ،

ويقاتل الأوحاج واللذات، ويقضى حياته أبداً بالتحفظ، ويطلب محبة الله ورضوانه، ويكون دائماً أبداً حذراً من عاداته القديمة، مبتعداً منها، لا سيما الأفعال الرديئة وكل الاهتمامات الجسدية والكلام والسمع. ولبيتعد أيضاً من الشعب، وليس من الشعب من الأطعمة اللذيذة والشراب فقط، بل ومن الخبز والماء ومن كلّ امتلاء ول يكن أكله بقدر. وفي وقت الصلاة يجمع عقله كمن هو قائم بين يدي الله، لأنّه في ذلك الوقت يحتاج إلى أن يجمع فكره لله بلا طيasha، ويتم خدمته وذبحته الروحية. ولا يغفل عن ذكر رب والترزيم دائمًا أبداً، لأنه بهذا تعتق النفس من الأفكار السوء. ول يكن مبتعدًا عن كلّ حدث، ونظر، وعمل، ليس فيه ربح، وكلّ ما يعلمه، ويتكلم به، يكون لتبسيح الله، لا لراءة الناس. ولا يفرح بفرح الناس، ولا يسر بكثره القنية». (س٥: ٢٠٠ ظ)

١٠٠٤ - قال الأنبا أنطونيوس: «إن أفضل ما يقتنيه الإنسان هو أن يُقر بخطاياه قدام الله ويلوم نفسه، وأن يكون متأيناً لكل بليه تأتيه حتى آخر نسمة». (س٥: ٢٠٠ ظ)
(Abc. Anthony 4)

١٠٠٥ - قال شيخ: «الإنسان الذي يسلّم نفسه لشدة بهواه من أجل الله، فلي إيمان أن الله يحسبه من الشهداء، وذلك البكاء الذي يأتيه في تلك الشدة يحسبه الله مثل سفك دمه». (س٥: ٢٠١ ج)

١٠٠٦ - وقال: «يجب على الراهب في كل بكرة وعشية، أن يحاسب نفسه ويقول: ماذا عملنا ما يحب الله، وماذا عملنا ما لا يحبه الله، وهكذا يجب علينا أن نفتقد حياتنا بالتوبة، وبهذه السيرة عاش أبنا أرسانيوس، لأن الإنسان إذا عمل الكثير ولم يحفظه، فقد أتلفه، أما الذي يعمل قليلاً ويحفظه، فإنه يبقى معه». (س٥: ٢٠١ ج)

١٠٠٧ - وقال آخر: «من أجل هذا لسنا نفلح لأننا لا نعرف مقدرنا، وليس لنا

صبرٌ في عملِ نبدأ به، ولكننا نريدُ أن نقتني الفضائلَ بلا تعبٍ». (س: ٥ ج: ٢٠١)

١٠٨ - قوتل أخْ بالزَّنِي، فذهب إلى شيخٍ كبيرٍ وقال له: «يا أبي ماذا أصنعُ، فإنْ قتالَ الزَّنِي قد آذاني؟» قال له الشَّيخُ: «هذا الشَّيءُ لم يقاتلني فقط». فتعربس ذلك الأخْ، وذهب إلى شيخٍ آخرَ، وقال له: «ألا تعجب؟ فإني قد شكتُ إلى فلان الشَّيخِ أذيني من قتال الزَّنِي، فأخبرني بشيءٍ يفوق الطَّبيعةِ، إذ قال لي: لم أقتل أنا بهذا الشَّيءِ فقط». فقال له ذلك الشَّيخُ: «يا حبيبي، إنَّ ذلك القديس لم يتكلم بذلك جُزاً، ولكن ارجع وتب إليه واسأله بأن يخبرك بقوة الكلمة». فرجع الأخْ إلى الشَّيخِ واستغفر منه قائلاً: «اغفر لي يا أبي، فإني خرحتُ من عندك بجهالةٍ، ولكنني أحبُّ أن تبين لي كيف لم تُعاقِلَ أنت فقط بالزنِي؟ فأصحابه الشَّيخُ قائلاً: «إني منذ ترهبت، لم أشبع قط من الخبرِ ولا من الماءِ ولا من النومِ، فشغلتني هذه الثلاثة، ولم تدعني أحس بالقتالِ الذي ذكرته». (س: ٥ ج: ٢٠١) (An. 183)

١٠٩ - قال أبا بيمين: «مقوتٌ عند اللهٍ كُلُّ نياحٍ جسدي». (س: ٥ ج: ٢٠١ ظ) (Abc. Poemen 38)

١٠١٠ - وقال شيخٌ آخر: «لا تشبع حبزاً، ولا تشته شراباً». (س: ٥ ج: ٢٠١ ظ)

١٠١١ - قال شيخٌ: «سيرةُ الراهبِ هي: الطاعةُ، المذيدُ في ناموسِ اللهِ الليل والنهار، لا يدين، لا يغضب، لا يظلم، لا يُصرِّ عينيه سراً، لا يبحث عن عيوبِ الناسِ، لا يسمع بأذنيه نقصَ آخرين، لا يختطف بيديه، لا يستكير في قلبه، لا يملأ بطنه، لا يفتكر أفكارَ سوءٍ، لا تكون له دالةٌ ولا مزاحٌ مع أحدٍ، ويعمل أعمالَه بعِرْفٍ، ويجعل باله في خططياته، ويطلب من اللهِ أن يَهَبَ له نوحاً واتضاعاً حقيقياً، ولا تكون له دالةٌ مع صبي، ولا خلطةٌ مع امرأةٍ، وإن كُلَّمه إنسانٌ فلا يلأججه، وهكذا يكون ساكناً، هادئاً، مسكنَاً للروح القدس». (س: ٥ ج: ٢٠١ ظ) (Sys. I 32)

١٠١٢ - قال شيخ: «الذى يلزم السكوت لا يحرج ولا يطعن بسهام العدو، أما من يجب الخلطة فإنه يحرج كثيراً». (س: ٥٢٠١ ظ)

١٠١٣ - قال شيخ: «إن أردت أن تنحى في إطفاء الغضب والرجز، فاقتنِ الاتضاع، ولتكن لك طاعة ورجاء في كل أحد، لأن الغضب والرجز يسوقان الإنسان إلى الهلاك، ويُعدانه عن الله، أما الاتضاع فإنه يحرق الشياطين، والطاعة هي التي أنت بابن الله وسكن في البشرية، والإيمان خلص الناس، والرجاء لا يحرز، وأما الحبة فإنما التي لا تدع الإنسان يسقط أو يبتعد عن الله، فالذي يريد أن يخلص، عليه أن يقطع هواه في كل شيء، ويقتني الاتضاع، ول يكن الموت بين عينيه». (س: ٥٢٠١ ظ)

١٠١٤ - قال أبا أنطونيوس: «من يجلس في البرية فقد أراح نفسه من ثلاثة حروب: السمع، والواقعة، والنظر إلى ما يحرج القلب». (س: ٥٢٠٢ ج) (Abc. Anthony 11)

١٠١٥ - قال أبرايم تلميذ أبا شيشاي لأبيه: «يا أبي، إنك قد كملت وأرضيت الله، فامض بنا إلى قرب العالم قليلاً». فقال الشيخ: «ابحث لنا يا أبي عن موضع لا يوجد فيه امرأة فنمضي إليه». قال له التلميذ: «وأي موضع يوجد حالياً من امرأة غير البرية؟» قال: «فاحملني يا أبي وادخل بي إلى داخل البرية». (س: ٥٢٠٢ ج) (Abc. Sisoes 3)

١٠١٦ - مضى أبا يسرين في بعض الأوقات قاصداً مصر، فنظر امرأة حالسة على قبر تبكي بكاءً مرّاً، فقال لمن كان معه: «لو جيءَ لهذه المرأة بكلّ مطربات العالم وكلّ الملاهي، لما انتقلت عما هي عليه من الحزن، وهكذا يجب على الراهب أن يكون حزنه دائماً أبداً». (س: ٥٢٠٢ ج) (Abc. Poemen 26)

١٠١٧ - قال أبا شيشاي لتلميذه: «إن لي ثلاثين سنة، لم أطلب من الله غفران حطبيتي، ولكن في طلبي وصلاتي أقول: يا رب يسوع المسيح استرني، فإني حتى الآن أزل

١٠١٨ - وقال أيضاً: «إِنَّهُ بِالنِّيمِيَّةِ أَغْوَى الْحَيَاةَ حَوَاءَ وَأَخْرَجَتْهَا مِنَ الْفَرْدَوْسِ، وَآدَمَ مَعْهَا، فَمَنْ يَقْعُدُ بِصَاحِبِهِ، فَإِنَّهُ يُهْلِكُ مَنْ يَسْمَعُهُ، وَنَفْسُهُ لَا تَنْجُو»، (س٥: ٢٠٢ ج)

١٠١٩

الراهن والنصرة في القتال

١٠١٩ - كان رجلاً علمانياً معه ابنٌ فطيم، فذهب إلى الإسقاط وطالت مدته، فلما كبر الصبي ونشأ، راهبته. وحدث بعد رهابيته بقليل أن بدأ الشياطين يُحركون فيه الشهوة الرديئة، فقال لأبيه: «إِنِّي ماضٍ مِّنْ هَذِهِ إِلَى الْعَالَمِ، لِأَنِّي لَسْتُ قَادِرًا عَلَى أَنْ أَصْبِرَ عَلَى هَذَا الْقَتَالِ الصَّعِيبِ». أما أبوه فكان يهدّئه، ويطلب إليه ألا يمضي، ولكن الشابَ كان يعود إليه ويقول: «يا أبي، لستُ قادرًا على أن أقيِّمَ هَذِهِ، اتركتني امضِي». فقال له أبوه: «أطعني يا ابني هذه المرة فقط، خذ معك ثمانين خبزةً، وخذ كذلك من الخوصِ ما يكفي لعملِك مدة أربعين يوماً، وامضِ إِلَى البريةِ الداخليَّةِ، وأقم هناك إِلَى أَنْ تفرَغَ مِنْ خبزِكَ وعِمَلِكَ، وبعد ذلك لتكن مثيَّةَ اللهِ». فأطاعه الحدثُ، ودخل إلى البريةِ الداخليَّةِ، وأقام بها يتبعُ ويُضفرُ الخوصَ ويأكلُ خبزاً يابساً، فلما أتم عشرين يوماً ظهر له الشيطانُ الذي كان يقاتله في صورةِ امرأةِ سوداءِ متتبِّعةِ الرائحةِ، كريهةً جدًا لدرجة أنه لم يستطع أن يطيقَ رائحةَ نيتها. فبدأ الشابُ أن يطردها، فقالت: «لِمَ تَطْرُدِنِي الْآنَ؟ أَلَسْتُ أَنَا الَّتِي كُنْتَ أَنْتَ تَشْتَهِي؟ أَلَسْتُ أَنَا الَّتِي أَزْرَعَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ الْأَفْكَارَ، وَأَمْلَأْهُمْ شَهْوَةً، كَمَا مَلَأْتُكَ شَهْوَةً، وَأَسْقَطْتُهُمْ فِي الرُّنْيِ؟ أَمَا أَنْتَ فَمَنْ أَجْلَ أَنْكَ أَطْعَتَ أَبَاكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَرَكْنِي أَخْدُوكَ وَأَسْقُطْكَ فِي الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ خَضْبُوكَ وَتَعْبُوكَ وَأَظْهَرَ لَكَ رَائِحَةَ نَتِينِ بَغْيَرِ هَوَىِي». فشكَرَ الشابُ اللهَ، وقام من ساعتهِ وعاد إلى أبيه،

وقال له: «لست أريد أن أمضي إلى العالم بعد يا أبي، لأنني قد رأيت العدو وتأففت من رائحته». وكان أبوه قد أعلن له ذلك، فقال له: «لو أنك صبرت يا بني لكمال الأربعين يوماً، وحفظتَ تمام وصيتي، لكنتَ رأيتَ أكثرَ من ذلك».

(An. 173) (ج ٢٠٢: س ٥)

١٠٢٠ - من سيرةِ الأب باخوميوس: كان لما مرضَ حدثَ حَسَنُ الصورةَ أن مضمواً به إلى مكانِ المرضى، وكان الأخُ الذي يخدم المرضى ناسكاً يُسمى "دويدة"، وكان يُحسن فرزَ الأفكارِ، فلما نظر ضمیره يُنشّطه لخدمةِ الصبيِّ بمحبةٍ وفرحٍ بأن يعدهُ له الطعامَ باهتمامٍ زائدٍ، صار يتنهَّدُ ممِيزاً في ذاتِه وحده قائلًا: «لماذا هذا الاهتمام من نحْوِ هذا الأخِ، هل هو مختارٌ أكثر من كلِّ الإخوةِ أو مريضٌ أكثر منهم كُلُّهم؟ لا». فلما فرغ ذلك الأخُ من خدمةِ المرضى، مضى إلى قلابتهِ وبقي صائمًا لم يأكل طعاماً، ولا شرب ماءً في ذلك المساءِ، وكان أوانُ الصيفِ، فأقام الليلَ كله مصليناً قائلًا: «يا ربِّي يسوعَ المسيح، أظهرْ لي هذا الأمرَ، حتى أعرف ما هو، لأنَّ هذا النشاطُ الذي صار في قلبي ليس بمستقيمٍ أمامي حسبَ التعاليم التي علمني إياها عبدُك أباً باخوميوس». فلما قرب الصباحُ، "دويدة" مستمرةً في صلاتهِ، إذا به ينظر روحًا قائمةً أمامه في شكلِ امرأةٍ حسنة المنظرِ واللباسِ، وقالت له: «لماذا تداوم الطلبة حتى كُلُّفتُ بغيرِ هواي أن أظهرَ لكِ، والآن اعلم أنِّي أنا روحُ الزنى، كما أني أنا الذي زرعتُ ذلك الفرحَ والنشاطَ في قلبِكِ لكي تخدم ذلك الصبيِّ بمحبةٍ واجتهادٍ، وهذه هي صناعتي وعادتي في أن أزرع في قلبِ النساءِ العظامِ أولاً الحبَّةَ إما في امرأةٍ أو في صبيٍّ، فإذا هم قبلوا الفكرَ، إذ لا يرون أن فيه خطيئةً، فحيثند أبداً في أن أزرعُ فيهم اللذةَ وأخذهم قليلاً قليلاً، حتى إذا صاروا غيرَ مفلحين، طرحتُهم في دنسِ الشهوةِ». ولما قالت كلُّ هذا، احتفت عن بصرِه، أما هو فقد تعجبَ، وبارك اللهُ الرحمنُ، الذي أظهرَ له فتحَ الشيطانِ وخلصَه منه.

(س ٥: ج ٢٠٣)

١٠٢١ - قال أبا بيمين: «إن سكن إنسانٌ مع شابٍ، فإنه فاعلٌ خطيئةٌ، لأن معاشرةَ الشبابِ مُعطبةٌ فاحذرها». (س: ٥ ظ: ٢٠٣)

١٠٢٢ - قال أبو يحنـس: «كـل من اجتمع أو تكلـم مع صبيٍ فهو زانٍ بـفكـره». (س: ٥ ظ: ٢٠٣)

١٠٢٣ - قال شـيخ: «لـأيٌّ شـيءٌ تـحزنـ الـذـي يـظـلمـكـ، وـتـبغـضـ الـذـي يـحـزـنكـ، فـاعـلـمـ أـنـ لـيـسـ هوـ الـذـي يـظـلمـكـ وـأـحـزـنكـ، وـلـكـهـ هوـ الشـيـطـانـ، فـيـحـبـ عـلـيـكـ أـنـ تـبغـضـ المـرـضـ وـلـاـ تـبغـضـ المـرـيضـ». (Abc. Syncletique 13b) (س: ٥ ظ: ٢٠٣)

١٠٢٤ - قيل عن أبا يحنـس القـصـيرـ إـنـ إـذـ أـبـصـرـ إـنـسـانـاـ أـخـطـأـ فـكـانـ يـكـيـ بـكـاءـ شـدـيدـاـ، وـيـقـولـ: «إـنـ هـذـاـ أـخـطـأـ الـيـوـمـ، وـلـكـنـهـ رـبـماـ يـتـوـبـ، أـمـاـ أـنـ إـنـيـ أـخـطـعـ غـدـاـ، وـرـبـماـ لـاـ أـعـطـىـ مـهـلـةـ كـيـ أـتـوـبـ»، هـكـذـاـ يـجـبـ أـنـ نـفـكـرـ وـلـاـ نـدـيـنـ أـحـدـاـ». (An. 327) (س: ٥ ظ: ٢٠٣)

١٠٢٥ - قال شـيخ: «يـجـبـ عـلـيـ الـإـنـسـانـ أـنـ يـلـوـمـ نـفـسـهـ فـيـ كـلـ بـلـيـةـ تـأـيـ عـلـيـهـ وـيـقـولـ: هـذـاـ جـمـيـعـهـ أـصـابـيـ مـنـ أـجـلـ خـطـايـاـيـ، وـلـاـ يـلـوـمـ إـنـسـانـاـ». (Abc. Or 12) (س: ٥ ظ: ٢٠٣)

١٠٢٦ - سـأـلـ شـيخـ أـنـبـاـ شـوـشـائـيـ قـائـلاـ: «أـيـ شـيءـ هـيـ الـغـرـبـةـ؟ـ». فـأـجـابـهـ: «هـيـ الصـمـتـ فـيـ كـلـ مـوـضـعـ يـوـجـدـ فـيـهـ إـلـيـانـ، وـيـقـولـ: مـاـ شـائـيـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ؟ـ هـذـهـ هـيـ الـغـرـبـةـ». (Abc. Pistros 1a) (س: ٥ ظ: ٢٠٣)

١٠٢٧ - سـأـلـ أـخـ شـيخـاـ قـائـلاـ: «قـلـ لـيـ شـيـئـاـ أـحـفـظـهـ». فـقـالـ لـهـ: «احـفـظـ الـمـعـيـرـةـ وـالـشـيـمـةـ، وـاصـبـرـ عـلـىـ الـحـقـرـةـ وـالـخـسـرـانـ الـجـسـديـ». (An. 324) (س: ٥ ظ: ٢٠٣)

١٠٢٨ - قـيـلـ عـنـ رـاهـبـ إـنـهـ إـذـ شـتـمـ فـكـانـ يـجـريـ نـحـوـ شـاتـمـهـ وـيـقـولـ لـهـ: «اغـفـرـ

١٠٢٩ - أَخْ حِرِيْص قَامَتْ عَلَيْهِ قَاتِلَاتْ صُعْبَةَ، سَبَّبَتْ لَهُ حَزْنًا شَدِيدًا لِدَرْجَةِ أَنَّهُ كَانَ يَخَاطِبُ نَفْسَهُ قَائِلًا: «مَا دَامَتْ هَذِهِ الْأَفْكَارُ مَعِيْ، فَلَنْ أَخْلَاصَ». وَكَانَ يَتوَاضَعُ جَدًّا. فَذَهَبَ إِلَى شِيْخٍ كَبِيرٍ وَسَأَلَهُ أَنْ يَصْلِيَ عَلَيْهِ لِكَيْ يَرْفَعَ الرَّبُّ عَنْهُ الْقَتَالَ، فَقَالَ لَهُ الشِّيْخُ: «بَلْ هَذَا خَيْرٌ لَكَ يَا بُنْيَ». وَلَكِنَّهُ لَجَّ عَلَيْهِ، فَطَلَبَ الشِّيْخُ إِلَى اللَّهِ، فَاسْتَحْاجَ طَلْبَتِهِ وَرَفَعَ الْقَتَالَ عَنِ الْأَخْ، وَإِذَا بِالْأَخِ قَدْ صَارَ يَسْبِحُ لَوْقَتِهِ فِي لُجَّةِ الْعُجَبِ وَالْعَظَمَةِ، وَلَكِنَّهُ نَدَمَ وَعَادَ إِلَى الشِّيْخِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَطْلَبَ مِنَ اللَّهِ لِيَرِدَ عَلَيْهِ الْقَتَالَ الَّذِي كَانَ يُسَبِّبُ لَهُ الْاتِضَاعَ. (س: ٥٣٠ ظ) (An. 584)

١٠٣٠ - قَالَ شِيْخٌ: «تَعْبُ الْجَسِدُ بِكُثْرَةِ الْقِرَاءَةِ يُنْقِيُ الْعُقْلَ، وَالسُّكُوتُ يُجلِبُ النَّوْحَ، وَالنَّوْحُ يُجلِبُ الْبَكَاءَ، وَالْبَكَاءُ يُنْقِيُ الْإِنْسَانَ مِنْ كُلِّ خَطِيْبَةِ». (س: ٥٤٠ ج)

١٠٣١ - طَلَبَ أَحَدُ الرَّهَبَانِ مِنْ يَسْكُنُونَ الْبَرِيَّةَ الْمُحَرَّةَ لِنَفْسِهِ، فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى دِيرٍ مِنْ أَعْمَالِ الصَّعِيدِ، وَكَانَ سَكَانُ ذَلِكَ الدِّيرِ كُلُّهُمْ قَدِيسِينَ؛ فَبَعْدَ مَا أَقَامَ عَنْهُمْ أَيَّامًا، قَالَ لِرَئِيسِ الدِّيرِ: «صَلَّ عَلَيَّ يَا أَبِي، وَأَخْلِ سَبِيلِيِّ، فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ الْبَقَاءَ هَنَهَا». فَقَالَ لَهُ: «لَأَيِّ شَيْءٍ يَا ابْنِي؟» فَأَجَابَهُ قَائِلًا: «إِنَّهُ لَا يَوْجَدُ هَنَهَا تَعْبٌ، وَالآبَاءُ كُلُّهُمْ قَدِيسُونَ، وَأَمَا أَنَا، فَإِنِّي إِنْسَانٌ خَاطِئٌ، أُرِيدُ أَنْ أَمْضِي إِلَى مَوْضِعٍ، حِيثُ أَهَانَ وَأَشْتَمَ، لَأَنَّهُ بِالْأَزْدِرَاءِ وَالْإِهَانَةِ يَخْلُصُ الْخَطَاةِ». فَتَعَجَّبَ مِنْهُ وَعْلَمَ أَنَّهُ عَمَّالٌ، فَأَخْلَى سَبِيلَهُ قَائِلًا لَهُ: «أَمْضِ وَتَقُوَّ». (س: ٥٤٠ ج)

١٠٣٢ - قَالَ شِيْخٌ: «الْاتِضَاعُ خَلُصٌ كَثِيرَيْنِ بِلَا تَعْبٍ، وَتَعْبُ الْإِنْسَانِ بِلَا اتِضَاعٍ يَذْهَبُ بِأَطْلَالِهِ، لَأَنَّ كَثِيرَيْنِ تَعْبُوا، فَاسْتَكَبَرُوا وَهَلَكُوا». (س: ٥٤٠ ج)

١٠٣٣ - قَالَ أَحَدُ الشِّيُّوخِ لِتَلَامِيْدِهِ عِنْدِ خَرْوَجِ نَفْسِهِ: «لَا تَشْتَهُوا مَتَاعَ الدُّنْيَا،

فتقذدوا متعالاً كثيراً. كونوا مجاهلين من الناسِ، فتصيروا محبوبين من اللهِ. لا تدينوا أحداً من الإنحصارِ، وأنتم تقرون على كلّ أوجاع الشياطين. تحفظوا من كلّ شيءٍ فيه لذة من لذاتِ هذا العالمِ التي تحرّك الجسدَ بالتفكيرِ، وذلك ليكونَ الجسدُ دائماً هادئاً ومحفوظاً من الحركاتِ الشيطانيةِ». (س٥: ٤٢٠٤ ج) (Eth. Pat. 424)

١٠٣٤ - قال شيخ: «لا تكتم أفكارك الشريرةَ وخطاياك القديمةَ، فإنَّ وَحدَ الشيطانُ فيك هوَ واحداً مكتوماً، فيه يطرحك، لأنَّ الشيطانَ ليست له قوَّةٌ أن يَجْرِي إنساناً إلى فعل الخطيئةِ، ولكنه إذا أبصَرَ هواه مائلاً إلى شيءٍ من الخطيئةِ، فيه يطرحه، فإنَّ رأه متحفظاً يستشير في أمورِه كلَّها، ويطبع لما يُشار به عليه، فلا يقوى عليه في شيءٍ بالحملةِ». وكان يقول: «لستُ أعرفُ للراهبِ سقطةً إلا إذا صنع هواه، فإذا نظرتَ راهباً قد سقطَ، فاعلم أنه وقع هواه، لأنَّه فعل برأي نفسهِ». (س٥: ٤٢٠٤ ظ)

١٠٣٥ - قال شيخ: «إنَّ أفضلَ شيءٍ هو السكوتُ، والرجلُ الحكيمُ هو الذي يحبُّ السكوتَ والمدوءَ». (س٥: ٤٢٠٤ ظ)

١٠٣٦ - بعضُ الإنحصارِ كانوا مجتمعين يتكلمون، وكان بينهم أحَدُ له موهبةٌ نظرُ الخفایا، فلما كانوا يتكلمون عن الروحياتِ، نظر ملائكةٌ قد اقتربوا منهم، وكانت فرحةٌ معهم، ولكنهم لما تكلموا كلاماً غيرَ نافعٍ، ابتعدت عنهم الملائكةُ، واقتربت منهم الشياطين. (س٥: ٤٢٠٤ ظ) (An. 359, Chaîne 196)

١٠٣٧ - قال أبا يوسف لأنبا نيستير: «إني لا أقدرُ أن أضبطَ لسانِي». فقال الشيخُ: «وإذا تكلمتَ فلن تستريحَ». (س٥: ٤٢٠٤ ظ) (Abc. Nisteros 3)

١٠٣٨ - قيل إنَّ أحدَ رؤساءِ أديرة البريةِ نزل في بعضِ الأيامِ، فاقصدَ المدينةَ، فوجد طفلاً مُلقىً على جانبِ الطريقِ، فأخذته إلى الديرِ ورباه على (بن) شاةٍ، حتى كبرَ

ولم يكن يعرف سوى الرهبان. وحدث أن خرجَ الرئيسُ مِرْأةً لقضاءِ أمرٍ ما، فأخذَه معه، وبينما هما يمشيان في الطريقِ، إذا بمواشٍ ترعى، فلما رآها الغلامُ قال لعلمه: «ما هذه الأشياء يا أبي؟» فقال له: «هذا بقرٌ، وتلك جمالٌ، وهذه حميرٌ، وهذا كذا...»، وهكذا استمر الغلامُ يستفهم من معلمِه عن كلّ شيءٍ يبصره، حتى لقيتهما جاريةٌ شابةٌ جميلة، فقال الغلامُ: «ما هذه يا أبي؟» فقال له: «هذه هي (ما يحابُنا بها) الشيطانُ»^{١٠٢}، فلما قضيا حاجتهما ورجعا إلى الديرِ، سألهُ الشيخُ الغلامَ قائلاً: «ماذا أعجبك يا ابني من كلّ ما رأيت؟» فقال الغلامُ: «لم يعجبني شيءٌ إلا (ما يحابُنا به) الشيطانُ وحده»، فلما سمعَ الشيخُ تعجبَ كيفَ أنَّ المرأةَ تفتن حتىَ الدينَ لا يعرفون شيئاً. (س: ٤٥٢٠)

١٠٣٩ - قال أبا بنiamين: «كما أنَّ الملائكةَ من الماءِ يخرجُ، وفي الماءِ ينحلُّ ويذوب، كذلك الرجالُ من النساءِ يخرجون، ومن النساءِ يهلكون». (س: ٥٢٠ ج) (Bu. I, 578)

١٠٤٠ - سألهُ الشيخُ: «لماذا إذا مسيتُ في البريةِ أكونُ مرعوباً خائفاً؟» فقال لهُ الشيخُ: «ذلك لأنك لا زلتَ حيّاً في أمورِ الدنيا». (س: ٥٢٠ ج)

١٠٤١ - قيلُ لشيخٍ: «لماذا لا تضجر يا أباها؟» فقال: «لأني في كلّ يومٍ أتوقع الموت». (س: ٥٢٠ ج) (Bu. II, 189)

١٠٤٢ - قالُ شيخٍ: «إنَّ حزني لكتير على راهبٍ يكون قد تركَ أهله ومقتنياته وألزمَ نفسهَ الغربةَ من أجلِ اللهِ، ثم يرجعُ يسترخي في وصاياته، فيذهبُ بعد ذلك إلى العذابِ». (س: ٥٢٠ ج) (Sys. XIX 30)

^{١٠٢} انظر قول رقم ٩٤، من أقوال البابا ثاوفيلس: فقال لها البابا البطريرك: ألا تعلمينَ أنكِ امرأة، وأنَ العدوَ يقاتلُ الرهبانَ بالنساءِ.

١٠٤٣ - قال شيخ: «كما أن عيني الخنزير تنظران إلى الأرض ولا يرفعهما، كذلك كل من أحبت نفسه اللذات العالمية، فبشيء يرفع عقله إلى الله، ويهتم بشيء مما يرضيه». (س: ٥ ج: ٢٠٥) (An. 364, Chaîne 201)

١٠٤٤ - قال شيخ: «إن كان إنسان ساكناً في موضع، وهو لا يعمل فيه ثرة، فإن الموضع نفسه يطرده». (س: ٥ ج: ٢٠٥) (An. 247)

١٠٤٥ - أبصر شيخ أخاً يضحك، فقال له: «يا ابني إننا مزمعون أن نعطي الله جواباً أمام الملائكة والسماء والأرض عن كل أمورنا وسيرتنا، وأنت تضحك!». (س: ٥ ج: ٢٠٥) (An. 139)

١٠٤٦ - سأله شيخاً قائلاً: «ماذا أصنع لأخضر؟» قال له: «يجب أن تبكي دائمًا». (س: ٥ ج: ٢٠٥)

١٠٤٧ - قال شيخ: «الصلاحة الكاملة هي أن تخاطب الله بلا طياشة ولا سجس، ولو تسجس العالم كله، لأن المصلي بالكمال قد مات من العالم وكل نياحة، وكل شيء يعمله يكون بغير طيashaة، وأما القراءة ف تكون في قصص الشيوخ، وتعليمهم، لأن بهذا يسير العقل نحو الله». (س: ٥ ج: ٢٠٥)

١٠٤٨ - وقال شيخ: «إن الراهب الذي يعرف موضعه فيه منفعة لنفسه، وكانت حوائج الجسد في ذلك الموضع عسيرة، ولهذا السبب يمتنع عن الذهاب إلى ذلك الموضع، فإن ذلك الإنسان ليس فيه إيمان بالله». (س: ٥ ج: ٢٠٥) (An. 236)

١٠٤٩ - وقال شيخ: «إن كان الإنسان متباهاً فهو يستطيع أن يحفظ الإنسان الجوانب. وإن كان، فلا بد أن نحفظ لساننا بقدر قوتنا». (س: ٥ ج: ٢٠٥) (An. 65, Chaîne 65)

١٠٥٠ - قال شيخ: «إياك أن تقول في قلبك من جهة إنسان، إنك أحرص منه، أو أكثر منه معرفة، أو أبر منه، بل اخضع لنعمة الله، ولروح الحكمة، والحب الذي ليس فيه غش، لغلا تنطئ بالعظمة، وتُضيّع تعبك، لأنه مكتوب: يا من تظن أنك قائم، احذر لثلا تسقط». (س: ٥ ظ: ٢٠٥) (Abc. Or 13)

١٠٥١ - حَدَثَنَا عَنِ الرَّهْبَانِ الْمَصْرِيِّينَ، بِأَنَّهُ إِذَا عَرَفَ النَّاسُ سَرَّ عَمَلِهِمْ، فَمَا كَانُوا يَحْسِبُونَهُ فَضْلَيْةً، بَلْ خَطِيئَةً. (س: ٥ ظ: ٢٠٥) (An. 672, Sys. VIII 28)

١٠٥٢ - سُأَلَ أَخُّ أَنْبَا يَمِينٍ: «مَاذَا أَصْنَعْ لَأَنْ نَفْسِي قَاسِيَّةُ، وَلَا تَخَافُ اللَّهَ؟» قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «اَذْهَبْ وَاجْلِسْ مَعَ إِنْسَانٍ يَخَافُ اللَّهَ، وَهُوَ يَعْلَمُ خَوْفَ اللَّهِ». وَقَالَ أَيْضًا: «نَعَمْ التَّجْرِيَةُ الَّتِي تَعْلَمُ الْإِنْسَانَ». (س: ٥ ظ: ٢٠٥) (Abc. Poemen 65, Chaîne 4)

١٠٥٣ - وَقَالَ أَيْضًا: «الشَّرُّ لَا يَغْلِبُ الشَّرَّ، وَلَكِنْ إِنَّ أَسَاءَ إِلَيْكَ إِنْسَانٌ، فَأَحْسِنْ أَنْتَ إِلَيْهِ، فَإِنْ إِحْسَانَكَ إِلَيْهِ يَسْتَأْصِلُ الشَّرُّ، لَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكَافِئَ شَرًّا بَشَرًّا». (س: ٥ ظ: ٢٠٥) (Abc. Poemen 177)

١٠٥٤ - سُأَلَ أَنْبَا يُوسُفَ أَنْبَا يَمِينٍ قَائِلًا: «قَلْ لِي كَيْفَ أَكُونُ رَاهِبًا؟» قَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَجْدَنَ نِيَاحًا هَهُنَا وَفِي الْآخِرَةِ، فَقُلْ فِي نَفْسِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ: أَنَا مَا أَنَا، وَلَا تَدْنِ إِنْسَانًا». (س: ٥ ظ: ٢٠٥) (Abc. Joseph of Panephph 2)

١٠٥٥ - وَسَأَلَهُ أَيْضًا أَخَّ آخرَ قَائِلًا: «إِنْ أَبْصَرْتُ أَخَا سَقْطَ، فَهَلْ مِنْ الْجَيْدِ أَنْ أَسْتَرَ عَلَيْهِ»، فَقَالَ لَهُ: «فِي أَيَّةٍ سَاعَةٍ سَتَرْنَا عَلَى سَقْطَاتِ أَخِينَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتُرُ سَقْطَاتَنَا، وَمِنْ أَظْهَرَنَا سَقْطَاتِ أَخِينَا، أَظْهَرَ اللَّهُ سَقْطَاتَنَا». (س: ٥ ظ: ٢٠٦) (Abc. Poemen 64)

١٠٥٦ - وَسَأَلَهُ آخرَ قَائِلًا: «مَاذَا أَصْنَعْ لَأَنْ نَفْسِي تَصْبَرُ، إِذَا كُنْتُ فِي الْقَلَابِيَّةِ؟» قَالَ لَهُ: «لَا تَدْنِ أَحَدًا، وَلَا تَقْعُ بِإِنْسَانٍ، وَاللَّهُ يَهْبُ لَكَ الْهَدْوَةَ وَالنِّيَاجَ فِي الْقَلَابِيَّةِ».

١٠٥٧ - قال شيخ: «قلادة الراهب هي أتون بابل حيث أبصروا مع الثلاثة فتية ابن الله، كما أنها عمود النار، والسحابة التي منها كلام الله موسى». (س٥: ج٢٠٦) (Bu. I, 54)

١٠٥٨ - أخبر أبا يمين عن أنبياء يخنس القصير إنه طلب من الله فارتقت عنه الأوجاع، وصار متنيحاً بلا قتال ولا هم، فذهب إلى أحد الشيوخ وقال له: «إني أرى نفسي بلا قتال ولا هم»، فقال له الشيخ: «اذهب واطلب من الله أن يردد عليك القتال، فإنك بالقتال تنمو نفس الإنسان وتفلح». ومن ذلك اليوم، لم يعد يسأل الله أن يرفع عنه القتال، ولكنه كان يقول: «يا رب، هب لي صيراً وأعني». (س٥: ج٢٠٦) (Abc. John)

(Colobos 13)

١٠٥٩ - من كلام مار إسحق: سؤال: «ما هو العالم؟» الجواب: «إن العالم هو تجربة الخطيئة. العالم هو أن تكمل إرادة الجسد. العالم هو أن يفتخر الإنسان بالأشياء التي يمضي ويتركها. فلن jihad يا إخوتي حتى نلبس لباس الفضيلة، لثلا ثلقي خارجاً، لأن رب لا يأخذ بالوجه». (Isaiah, logos 21, 14) (س٥: ج٢٠٦)

١٠٦٠ - وقال أيضاً: «افحص ذاتك باستقصاء، وانظر بأي نوع زلت، واطلب من الله أن يغفر لك، وإذا شئت أن تناول الغفران، اغفر أنت أيضاً لقريريك. إذا قمت باكرا كل يوم، اذكر أنك سوف تعطي جواباً لله على كل ما صنعت، فلن تخطئ مرة أخرى. فكر في كل يوم، أنه ليس لك في العالم سوى يومك الذي أنت فيه، فلن تخطئ أبداً. أبغض كلام العالم، لكي يعاين قلبك الله. أحب الصلاة كل حين، لكي يستثير قلبك بالله. احفظ لسانك كي ما تسكن فيك مخافة الله. لا تحب التهاون، لغلا تحزن نفسك في قيامة الصديقين. اذكر ملكوت السماوات لكي تجدبك شهوته نحوه. اذكر أيضاً نار

جهنم، لكي تبغض أعمالها. دن نفسك وحدك في أعمالك، حتى لا تخدع بالإهمال والتهاون. افحص كل يوم فيما أنت عاجز فيه، لثلا تعب وقت شدتك. لا تظن بنفسك إنك ظاهر من الخطيبة، ولا تثق بنفسك ما دمت في هذا الجسد، حتى تعبر سلطان الظلمة. إذا كنت مجاهداً قبالة وجمع ما، فلا تتخلى، بل ألق بنفسك قدام الله من كل قلبك، وقل: أعني يا رب أنا الشقي، فإنني لست قادراً أن أقف ببالتهم، والله يعينك».

(س:٥ ح٢٠٦)

مختصر

الأب يوحنا الدلياني (٢)

١٠٦١ - من كلام الأب المعروف بالشيخ: «الصياد الذي يصطاد الصيد، يذير الطعم على فخه، وحينئذ يستطيع أن يصطاده، والمتوحد، بمنحرته يصطاده المارد. فمن أريك (آدم) افهم وافحص بماذا اصطاده، لتعلم أنت كيف تحاربه. المتوحد الذي يملأ بطنه، هو راعي خنازير، وكثيرة وشريرة هي رعيته (Dal. 20, 1). الآلام مشتبك بعضها بعض أيها الإخوة، فمن يخضع لوجع ما، فحتماً يكون عبداً لرفيقه، فينبع جميع الآلام كبر البطن، فلا تملأ بطنك كثيراً، لثلا يذهبك الزنى، ولا تضعف جسدك، لثلا يفرح بك مبغضوك. أمسك برتبة معتدلة، وأنت سالك في الطريق الملوكي، وحينئذ يكون سيرك بغير خوف (Dal. 20, 2)، لأنك كما أن المصاب بمرض الحمى تنفر نيته مما يُقدم له من الأطعمة الشهية، فلا تلذ له، كذلك شهوة الطبيعة إن أضعفت بسبب نقصان الغذاء، وجلب لها الشياطين ذكر الوجه، والصور الحركية للأوحاد، فإنها تلبت بغير عيب، إذ تنفر نيتها من شهوة الزنى، لأن الوجع الطبيعي ضعيف من الأغذية الحقيرة، فبنقصان الغذاء تضعف الآلام، وبذكر الله هلك وقوت، هذا هو السيف القاتل لها (Dal. 20, 3). فمن يملأ بطنه ويطيل هذا الوجع، فإنه عبد إذا خضع، ويصبح حالياً للأوحاد. أما إذا غالب هذا

الوجع، فبسهولةٍ يغلب جميعها. هذا هو ينبعُ الرزق وحبُّ الفضيحة، وسبعين الناس، وطلب كثرة الكرامة، والحسد والقتل، وجميع الشرور بسببيها يمتليء جميعها. هذا كله تفعله الذئبة المفسدة (أي البطن)، فلنعدُها لثلا تعذينا هي، لأننا إذا ملأناها كثيراً، يكثر الزبلُ الذي هو تلك الأثمار المتتنّة التي تصدر عنها. فانظر يا أخي، فإن هذه هي نهاية جميع أعمالِ العالم، إذن مثلَ حكيمٍ دبر حيائنك فيما أنت محتاجٌ إليه» (5: ٢٠٦) (Dal. 20, 5)

١٠٦٢ - وقال أيضاً: «الويل للمتوحدِ الحرود، إنْ قلبَه مسكنٌ للأفاعي، وكلَّ يومٍ يشربُ من مراتبه. الذي ينقلُ الكلامَ، يُبعدُ ذاته من اللهِ، والنعمةُ ليست ساكنةً فيه. المخربُ متى يوجد له بيت؟ لأنَّه لذاته يقيِّمُ بلا مظلة اللهِ. الحرود مع من يصطلح؟ لأنَّه دائماً يكدرُ قلبه، ويُبعدُ منه روحَ اللهِ، وهناك تلدُ العقربُ وتربى (1). اهرب من ذي اللسانين، فإنه يرمي السهامَ المسمومةَ في قلبِ من يُنصلٍ له. ابعد عن المتعظمين، فإنهم يحاربون الله. غريباً كمن من جمِيع الأغنياءِ، لأنَّ عملَهم جميعه عبادةُ أصنام. لا تكون رفيقاً للمتخاصمين، لثلا يسكنُ بجسدهن داخلَ بيتك. احذر الحقوَد لأنَّه شيطانٌ متجرسٌ. من الذي يمدحك قدامك سُدَّ أذنيك واهرب، لثلا يُعرِيك من اللهِ، ويُلْبِسُك ثيابَه المرقعةَ الذي هو لا يُبُسُّها. في محبِّ الرئاسةِ لا يسكن اللهُ، فلا تسكن أنت أيضاً معه. الذي يقيم هواه بغير ضرورةٍ، يكون مبغضاً لمشيئةِ اللهِ. الواقع يتشبهُ بالحيةِ، وما كُوَلُهُ ترابٌ. الذي يرفع صوته، معروفاً عنه أنه ليس فيه المسيحُ (2)» (Dal. 21, 2) (5: ٢٠٧ ج) (11)

١٠٦٣ - كما قال: «كن محبَاً لكلِّ إنسانِ، بالبعد عن كلِّ إنسانِ. أغضُّ كلُّ أمرٍ رديءٍ في نفسِكِ، ولا تبغض ما في الآخرين. مرذولٌ هو قدامَ الربِّ من يبغضُ الخاطئَ. إذ لك موضع قدمٍ توبَةٌ لقلعِ خطاياكِ. اسكب دموعَك قدامَ ربِّكِ، لثلا يُرُدَّ وجهُه عنكِ في ذلك اليومِ الذي يرجوه كلُّ محبيه، لنظرتهِ المجددةِ التي بها يتنعمون إلى الأبدِ» (47: Dal.

(11) (5: ٢٠٧ ظ)

١٠٦٤ - وقال كذلك: «إنه لزمان الأحزان، وبالكدر والتعب العظيم، يقدر إنسان أن يخلص نفسه من فخاخ المكر. تسريل يا أخي بالتواضع في كل وقت، لأنه يلبس نفسك المسيح معطيه. أمسك بالورع والعفة، لأنهما ينقيان من نجاسة الأوجاع الدنسة. طقس حنجرتك ونومك بقدر، ولتنعم نفسك في النوم بالأحلام الروحانية، وفي اليقظة بالأفكار البهية. طقس لسانك من كل كلام فارغ، ليتسلط عقلك على الأوجاع والشياطين المنافقين. من الحرّ والحرودين احذر، لأنهم يعدمون النفس من النور المقدس. من لا طقس له، ولا تدبير متقن، أبعد نفسك كلما أمكنك ذلك، لئلا يجعلك عبداً للخطيئة (2). ليكن حديثك مع محب الله لتأخذ نفسك شبة طهارتهم. سبّح بقلبك في كل وقت، ليكون قلبك هيكل الله. احفظ عينيك من كل المناظر الكاذبة المنبهة للشهوة. ولا تكون محباً لصبي، لأنه يجعل الذي يلتصق به فاعل شرّ. كن مجتمعاً مع ذاتك بينك وبين الله، وكن ابن سرّ لذلك الذي يفعل كل شيء من أجل الله. عظيم هذا الرجل الذي يفرز، وأمثال عمله هي حياة أبدية. استمع لكل وصايا إخوتكم، ومثل حكيم خلص حياتك بعرفة من الوصايا التي فيها خسران. بهذه التعليمات للحكماء تكفي (3)».

(س ٥: ٢٠٧ ظ)

ممه

١٠٦٥ - من قول بعض الشيوخ: «في كل شيء تصنعه، اعلم أن الله ينظر إليك دائماً، لتكون مخافته فيك، لكي تصنع مسرته. اضبط لسانك لئلا تقول كلاماً يغضب الله. اضبط عينيك لئلا تنظر الأرضيات، وتصير غريباً من السماءيات. لتكن الكنيسة لك شبه السماء، وانظر لئلا تتفكر بالأرضيات وأنت قائم فيها. تحفظ في صلاتك بمحافاة الله، لئلا تغضبه بدلاً من أن ترضيه، فتحتاج صلواثك لصلواتٍ. احذر من الضحك لأنه يجل الحواس، ويُبطل كل فضيلة». (س ٥: ٢٠٨ ج)

١٠٦٦ - سألنا أبا أنانيا أن يقول لنا كلمة، فقال لنا: «عليكم بالمسكنة والإمساك، لأنني كنتُ في بريّة مصر في شبابي، وحدث أن اشتكي أحد الآباء بحاله، فطلب حرعة خلٌ، فلم يجد في تلك البرية كلّها، وكان فيها ثلاثة آلاف راهب، فشكّا حاله لأحد الشيوخ الذي أمر بإحضار قليل من الماء، ثم قام وصلى عليه ورسم باسم الآب والابن والروح القدس، ودهن به الطحال، فزال الوجع لوقته برحمة السيد المسيح». (س: ٥: ٢٠٨ ج)

١٠٦٧ - قيل عن أحد الرهبان إنه كان كل يوم يبكي على خطاياه، وكان له حار يسمعه، وإذا لم يأته البكاء، قال لنفسه: «لماذا لا تبكي يا شقي؟ لماذا لا تنوح يا مسكون؟ حقاً إنك إن لم تبك ه هنا طائعاً، فإنك ست بك ه هناك كارهاً»، وكان قد أصلاح له جبالاً غليظاً يضرب به ذاته ليبكي، فتعجب حار وطلب من الله أن يكشف له إن كان تعذيبه لنفسه صواباً، فأبصره وهو واقف بين جماعة الشهداء، وإنسان يقول له: «هذا هو المحاول الصالح الذي يعذّب نفسه من أجل المسيح». (س: ٥: ٢٠٨ ظ)

١٠٦٨

١٠٦٨ - قال القديس أنطونيوس: «يجب أن يكون حوف الله بين أعينا دائمًا أبداً، وكذلك ذكر الموت، وبغضنه العالم، وتحبّب كل ما فيه راحة الجسد، وأن نزدرى هذه الحياة، لنحب الله، لأنه سوف يطلب منا هذا في يوم الدينونة، ما إذا كنا قد جعلنا، أو عطشنا، أو تعرينا، أو تنهينا، أو حزننا من كل قلوبنا، أو امتحنا أنفسنا هل نحن مستحقون لله، فلنؤثّر الحزن لكي نجد الله، ولنستهن بالجسد لكي تتحو أنفسنا من العذاب». (Abc. Anthony 33) (س: ٥: ٢٠٨ ظ)

مخافة الله

١٠٦٩ - قال شيخ: «احذر الغضب لأنه يظلم العقل ويلقي من النفس بلام مخافة الله. إن الغضب أبو الجنون، فمن يقبله لا يكون وديعاً أمام الله. استعد كلَّ حين لأن تقبلَ الأتعابَ والشدائدَ مع الضيقاتِ الآتية عليك، ولا تصغر نفسك ويضعف جسسك فتهلك تعبك، بل اقتنِ صبراً، وثبتْ أفكارك قائلاً: إن هذه إنما أنت علىَ بسببِ خطاياي. فإن صنعتَ هكذا، فإن معونة الله ونعمته تدركك سريعاً. طوبى للإنسان الذي يحفظُ نفسه طاهراً في الصغرِ حتى الكبير، طوبى لمن له نصيبٌ في قيامةِ الصديقين، فإن الملائكةَ تجتمعه إلى أهراء الحياةِ، التي هي فرح ملوك السموات». (س:٥ ظ:٢٠٨)

١٠٧٠

مار إسحق السرياني (٤)

١٠٧٠ - من أقوال مار إسحق: «إن حدَّ كلَّ تدبيرِ السيرةِ يكون بهذه الثلاثة: التوبة، والنقاوة، والكمال».

ما هي التوبة؟ «هي تركُ الأمورِ المتقدمة، والحزن من أجلها».

وما هي النقاوة؟ «هي قلبٌ رحومٌ على جميع طبائع الخليقة».

وما هو الكمال؟ «هو عمقُ الاتضاع ورفضُ كلِّ ما يُرى وما لا يُرى، أي ما يُرى بالحواس، وما لا يُرى بالهذايدِ عليه». (س:٥ ظ:٢٠٩) (Isaac. 71, Ar. II,26,1-2)

١٠٧١ - وسئل في وقتٍ آخر: «ما هي التوبة؟» فقال: «قلبٌ منسحقٌ». «وما هو الاتضاع؟» فقال: «هو تركُ الهوى، والسكنون من كلِّ أحدٍ». «وما هي الصلاة؟» فقال: «هي تفرغُ العقل من جميع أمور الدنيا، ونظرُ العقل إلى شوق الرجاء المُعد». (س:٥ ظ:٢٠٩) (Isaac. 71, Ar. II,26,3-4)

١٠٧٢ - وسئل أيضاً: «كيف يقتني (الراهب) الاتضاع؟» فقال: «بتذكاري

السقطاتِ، وانتظارِ قربِ الموتِ، والتخاذلِ ببساطةٍ حقيرٍ؛ وأن يختارَ موضعًا هادئاً، ويكون له سكونٌ دائمٌ، ولا يُحبُّ ملاقةَ الجموع. ول يكن غيرَ معروفٍ وغيرَ محسوبٍ، ملازمًا أموره بقدرٍ، مبغضًا لقاء الناسِ والدالة والخلطة، غيرَ محبٍّ للأرباح، مانعًا عقله من لوم أحدٍ، أو الإيقاع بـإنسان. فلا يعامل أحدًا، ولا يعاشره، بل يكون متوحدًا في ذاته، منفردًا، ولا يجعل له همًا بأحدٍ من الخليقة غيرَ نفسه، وباقتصار الغربة والمسكينة والتصرف بـانفرادٍ. فهذه كلها تولد الاتضاع، وتُطهّر القلب. والذين قد بلغوا الكمال، هذه هي دلائلهم وعلاماتهم، ولو أنهم يُسلّمون كلَّ يومٍ عشرَ دفعٍ للحريقِ من أجلِ محبةِ الناسِ، فلا يشعرون من حُجّهم». (س: ٥ ج: ٢٠٩) (Isaac. 71, Ar. II, 26, 5-6)

١٠٧٣ - سؤال: «ما السبب في أنَّ فعلَ الرجاءِ لـذِيذِ، وتعبه خفيفٌ؟»

الجواب: «ذلك لسببِ الاشتياقِ الطبيعي، الذي يستيقظُ في النفسِ، ويستيقها كأسِ الرجاءِ ويسكرها، ومن تلك الساعة، لا يحس ذوو الرجاءِ بتعبٍ أبداً، بل يتبتون غيرَ شاعرين بالضيقـات، وفي كلِّ ما حرى في سيرـهم، يظـنون كأنـهم في الجوِ سائرون بغيرِ أقدامِ بشريةٍ، ولا تظهر لهم صعوبـاتُ الطريقِ وخشونـتها، فلا يـدرو أمامـهم أنـ هناك أوديةٌ وروابـي وتلالـاً، بل حتى الوعـر قدـامـهم يكون سهـلاً، والمـوضع الحرـجة كأرضـ لـينة، لأنـهم في كلِّ وقتٍ يـنظـرون إلى حـضـنـ أـيـهمـ، والأـمـلـ يـشـيرـ إـلـيـهمـ كـمـثـلـ الإـاصـبعـ، وـيـرـيـهمـ الأـشـيـاءـ البعـيدةـ غـيرـ المـرـئـيةـ، كما لوـ كـانـتـ قـرـيـةـ، مـلاـحظـينـ بـعـينـ الإـيمـانـ الـخـفـيـةـ، لأنـ جـمـيعـ أـحـزـاءـ النـفـسـ تسـخـنـ مـثـلـ النـارـ بـشـوقـ الأمـورـ العـتـيدـةـ، وإـلـىـ هـنـاكـ يـمـدـونـ لـواـحظـ أـفـكـارـهـمـ وـيـسـرعـونـ عـلـىـ الـبـلوـغـ. وإذاـ ماـ دـنـواـ مـنـ عـمـلـ وـاحـدـةـ مـنـ الفـضـائـلـ، فإـلـيـهمـ لاـ يـعـملـونـهاـ بـالتـدـريـجـ، بلـ بـالـتـعـامـ مـرـةـ وـاحـدـةـ، فإـلـيـهمـ فيـ الطـرـيقـ السـلـطـانـيـةـ، لاـ يـسـيرـونـ مـثـلـ باـقـيـ النـاسـ، لأنـهمـ اختـارـوـاـ سـبـلـ قـاطـعـةـ. إـلـيـهمـ أـفـرـادـ مـنـ الـجـبـابـرـةـ وـالـشـجـعـانـ، أوـلـئـكـ الـذـينـ قـدـرـواـ عـلـىـ

السِّيرِ فيها، لأنَّ سعيَهم بالتجَّيْرِ والحرصِ ينتهي، لأنَّ الرُّجَاءَ يُشعلُهم مثلَ النَّارِ، فلا يقلُّون من سرعةِ جريَّهم بسبَبِ فرحةِ هم. ويُعرِضُ لهم مثلَ ما قالَ إِرمِيا النبيُّ: إِنِّي قُلْتُ لَا أَعُودُ أَذْكُرَهُ، وَلَا أَنْطَقُ بِاسْمِهِ، وَصَارَ فِي قَلْبِي كَمِثْلِ النَّارِ المُتَقدَّةِ، وَأَشْعَلَ عَظَامِي. هَكُذا تكونُ قُلُوبُ الَّذِينَ يَحْرُونَ بِرُجَاءِ اللَّهِ حَتَّى يَدْرُكُوا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ». (س:٥ ج:٢٠٩) (Isaac. Ar. II,26,11-13)

١٠٧٤ — وقال أيضًا: «يَتَقْدِمُ الْآلَامُ جَمِيعَهَا، عَزَّةُ النَّفْسِ وَمَحْبَّةُ الذَّاتِ، وَيَتَقْدِمُ كُلُّ الْفَضَائِلِ احْتِقَارُ الْإِنْسَانِ لِلرَّاحَةِ. الَّذِي يُغْذِي جَسَدَهُ بِالرَّاحَةِ، فَإِنَّهُ فِي بَلْدِ السَّلَامِ يَنْضَغِطُ بِالضَّيقَةِ، وَالَّذِي يَتَنَعَّمُ فِي شَبَابِهِ، يَكُونُ عَبْدًا فِي شَيْخُوختِهِ، وَفِي الْآخِرِ يَتَنَاهِدُ. وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَتَمَكَّنُ مَنْ قَدْ حَبَسَ رَأْسَهُ فِي بَثِّ عُمَيقَةِ مَلْوَءَةِ مَاءٍ، مِنْ اسْتِشَاقِ هَوَاءِ هَذَا الْجَوَّ الْمُتَدَفِّقِ فِي الْفَضَاءِ، هَكُذا مِنْ غَطَّسٍ ضَمِيرُهُ بِاِهْتِمَامَاتِ الْأَمْرُورِ الْحَاضِرَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَمْكُنُ أَنْ تَقْبِلَ نَفْسُهُ اسْتِشَاقَ حُسْنِ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ. وَكَمَا أَنْ رَائِحَةَ السَّمِّ الْمَمِيتِ تُفْسِدَ مَزَاجَ الْجَسَدِ، كَذَلِكَ الْمَاظِرُ السَّمِمِيَّةُ تُخْبِطُ سَلَامَةَ الضَّمِيرِ. وَكَمَا أَنَّهُ لَا يُسْتَطِعُ أَنْ تَكُونَ الصَّحَّةُ وَالْمَرْضُ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَلَا يُفْسِدُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، هَكُذا لَا يَمْكُنُ لِلْحَبَّ وَالْبَغْضَةِ أَنْ يَسْكُنَا فِي إِنْسَانٍ وَاحِدٍ لَا يُفْسِدُ أَحَدُهُمَا قَرِيبَهُ. وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَثْبِتُ الزَّجاَجُ فِي تَقْلِيْبِهِ مَعَ الْأَحْجَارِ بَلْ يَنْكُسُ، هَكُذا لَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ طَاهِرًا، وَهُوَ مَداومُ النَّظرِ وَالْكَلَامِ مَعَ النِّسَاءِ. وَكَمَا تَنْقُلُ الأَشْجَارُ مِنْ شَدَّةِ جَرِيَانِ الْمَاءِ، كَذَلِكَ مَحْبَّةُ الْعَالَمِ تَنْقُلُ مِنَ الْقَلْبِ مِنْ حَدَّةِ التَّجَارِبِ الْحَادِثَةِ عَلَى الْجَسَدِ. وَكَمَا أَنَّ الْأَدْوِيَةَ الْمُسَهِّلَةَ تَنْقِي الْكِيمُوسَاتِ (أَيِّ الإِفْرَازَاتِ) الرَّدِيَّةَ مِنَ الْأَجْسَادِ، هَكُذا شَدَّةُ الضَّيْقَاتِ تَنْقُلُ الْآلَامَ مِنَ الْقَلْبِ. وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ بَغِيرًا أَذِيَّةً ذَاكَ الَّذِي يُشْفَقُ عَلَى عَدُوِّ الْحَارِبِ لَهُ فِي صَفَوْفِ الْقَتَالِ، هَكُذا لَا يَمْكُنُ أَنْ يُشْفَقَ الْجَاهِدُ عَلَى جَسَدِهِ، وَتَنْجُو نَفْسُهُ مِنَ الْهَلاَكِ. مِنْ اقْتِنَى دَمْوَاعًا فِي صَلَاتِهِ، فَهُوَ كَإِنْسَانٍ يُقْدِمُ قَرْبَانًا عَظِيمًا لِلْمَلَكِ، وَقَدْ اقْتِنَى عَنْهُ وَجْهًا

بَهِجَّاً، كَذلِكَ الدَّمْوَعُ قَدَامَ اللَّهِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ تَرِيلُ كُلَّ أُنْوَاعِ خَطَايَاهُ وَيَقْتَنِي عَنْهُ وَجْهًا
بَهِجَّاً. وَكَالنَّعْجَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الدَّوَارِ وَتَمْضِي لِتَقْيِيمِ فِي جَحْرِ الذَّئَابِ، هَكُذا الرَّاهِبُ
الَّذِي يَتَرَكُ موافَقَةً إِلَيْهِ، وَيَدَوِمُ الطَّبَاشَةَ وَالنَّظَرَ فِي الْخَلِيقَةِ. وَكَمَثْلٍ مِنْهُ هُوَ حَامِلُ
جَوْهِرَةً ثَمِينَةً، وَيَمْضِي بِهَا فِي طَرِيقِ، وَتُشَاعُ عَنْهَا أَفْكَارٌ سَمِحةٌ، فَيَصْبَحُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
مَرْعُوبًا مِنَ السَّالِبِ، هَكُذا الَّذِي قَدْ افْتَنَى جَوْهِرَةَ الْعَفَةِ، وَيَسِيرُ فِي الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ
الْأَعْدَاءِ، فَهَذَا لَيْسَ لَهُ رَجَاءً فِي أَنْ يَفْلَتَ مِنَ الْلَّصُوصِ السَّالِبِينَ، إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مَتَّلَقَ الْقَبْرِ
(أَيِ الْقَلَابِيَّةِ)، الَّذِي هُوَ بَلْدُ الثَّقَةِ. وَكَمَا أَنَّهُ لَا يَمْكُنُ لَذَاكَ أَنْ لَا يَخَافُ، كَذلِكَ أَيْضًا وَلَا
هَذَا، لَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِأَيِّ بَلْدٍ وَبِأَيِّ وَقْتٍ يَخْرُجُونَ عَلَيْهِ بَغْتَةً وَيُفْقَرُونَهُ مِنْ جَمِيعِ مَالِهِ، لَأَنَّهُ
هَنَاكَ مَنْ يُسْلِبُ فِي بَابِ دَارِهِ، الَّذِي هُوَ زَمَانُ الشِّيخُوخَةِ».

(Isaac. Ar. II,29,3-13)

«وَكَمَا أَنَّهُ مِنْ بَذَارِ عَرَقِ الصُّومِ يَبْنِي سَبِيلَ الْعَفَةِ، كَذلِكَ أَيْضًا يَتَولَّدُ مِنَ الشَّبَعِ
الْفَسْقِ، وَمِنَ الْأَمْتَلَاءِ النَّجَاسَةِ، أَمَّا الْأَفْكَارُ الْمَشَاغِبَةُ (الشَّهْوَانِيَّةُ) فَلَا تَجْسِرُ عَلَى الْبَطْنِ
الْجَائِعَةِ الْمَتَذَلَّةِ قَطُّ. كُلُّ مَا كُوِلَّ يَتَحَصَّلُ دَاخِلُنَا يَتَسَبَّبُ عَنْهُ زِيَادَةُ كِيمِوسِ الزَّرْعِ الْطَّبِيعِيِّ
الْمُخْتَمِعِ فِي جَسَدِنَا، وَإِذَا امْتَلَأَتِ الْأَعْضَاءُ الَّتِي هِيَ أَوَانِي الرَّزْعِ مِنَ السَّائلِ الَّذِي مِنْ جَمِيعِ
الْجَسَدِ، فَإِنَّهُ يَسْبِيلُ إِلَى هَنَاكَ، إِذَا عَرَضَ لَهُ أَنْ يَنْظُرَ جَسْداً مَا، أَوْ تَحْرُكَ فِيهِ ذِكْرُ شَيءٍ مِنْ
غَيْرِ الإِرَادَةِ مَعَ مَا يَتَحْرُكُ بِالْفَكْرِ فِي سَاعَتِهِ مِنْ مَادَةِ بَلْذَةِ، تَتَحْرُكُ مِنْ هَنَاكَ وَتَنْتَلِقُ فِي
جَمِيعِ الْجَسَدِ، حَتَّى وَلَوْ أَنَّ الْفَكْرَ يَكُونُ شَجَاعَّاً جَدَّاً وَعَفِيفَّاً وَنَقِيَّاً بَحْرَ كَاتِهِ، وَلَكِنْ بِسَبِيلِ
ذَلِكَ الْإِحساسِ فِي الْأَعْضَاءِ، فَلَوْقَتِهِ يَضْطَرِبُ إِفْرَازُهِ، وَعَفَةُ أَفْكَارِهِ النَّقِيقَةِ تَتَسَعُ وَطَهَارَتِهِ
تَتَنَجِسُ، لِأَجْلِ اضْطَرَابِ تَلَكَ الْآلَامِ الَّتِي تَتَحْرُكُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَوْقِدِ الْأَعْضَاءِ، وَفِي الْحَالِ
تَذَهَّبُ نَصْفُ قُوَّتِهِ، وَيَوْجَدُ مَغْلُوبًا مُخْصُومًا بِغَيْرِ قَتَالٍ. وَلَنْ يَتَعَبَّ عَدُوُهُ فِي الْجَهَادِ مَعَهُ
لَأَنَّهُ غُلْبٌ تَحْتَ إِرَادَةِ الْجَسَدِ الْمَشَاغِبِ، وَهَكُذا يَجْمِعُ أَفْكَارًا مُتَلَبِّسَةً بِأَشْكَالٍ مَشَاغِبَةٍ
حَيْطَةٌ بِهِ، أَثْنَاءَ رِقَادِهِ وَحْدَهُ، وَيَقِيِّ سَرِيرِهِ الطَّاهِرِ فَنْدَقًا لِلْزَوَانِيِّ، وَتَتَدَنَّسُ أَعْضَاؤُهُ

الطاهرة من غير أن تدنو منه امرأة. أي بحر يضطرب هكذا، ويتسجس من الراموز، مثل اضطراب العقل المتقن السديد، بقوة الأمواج الثائرة عليه في جسمه، من امتلاء البطن؟»
(Isaac. Ar. II,32,5)

أيتها العفة، ما أنقى حسنك بالرقاد على الأرض، وألم الجوع الذي يشتت النوم عنه لأجل نشوف الجسد، وخلو البطن! من كل مأكول، تصدر داخلنا أشكال مرذولة، وصور مشاغبة تتشكل منه، فتخرج وتظهر لنا في بلد عقلنا الخفي، جاذبة إيانا إلى مشاركتها بأفعال الفسق، أما خلو البطن فإنما تكون كمثل برية مقفرة للضمير، هادئة من سجس الحسيات؛ وأما البطن الملآن، فهو بلد الفرجات والمناظر، حتى نحن الذين في البرية والقفر، وجَدْنَا الشبع يسبب الكثير من أمثال ذلك». (س:٥ ظ:٢٠٩) (Isaac. Ar. II,32,6-7)

١٠٧٥ - قال شيخ: «إذا جلست في قلaitك، فلا تكن مثل قبر مملوء من النجاسات، ولكن كن مثل إماء مملوء ذهبًا كريماً، ولك حافظك، حافظ النهار والليل، التي هي قوة الرب، التي تحفظ عقلك». (س:٥ ج:٢١١)

١٠٧٦ - وقال أيضاً: «الذي يريد الاختصاص بالملك، لا يفعل أمور السوقه والعوام، ومن يختار المقام في معركة الأبطال، لا يفعل أمور الصبيان والأطفال». (س:٥ ج:٢١١)

١٠٧٧ - وقال أيضاً: إذا مدحك الفكر، قل له: «لماذا تمدحني؟ إن السائرين في البحر، حتى ولو هدا عنهم هيحانه، فما داموا بعد في اللجة، فإنهم يتوقعون رجفاتاته وغرقه. كما لا يتعمدون بذلك المدوء الذي كان له أولاً، لأنهم لا يطمئنون جملة، حتى يصلوا إلى الميناء»، نعم لأن كثريين كانوا على فم الميناء، ولكنهم عطبوها. (س:٥ ظ:٢١١)
(Isaac. Ar. II,22,28)

١٠٧٨ - وقال أيضاً: «إذا نال إنسان طلبته، فلا يُعجب بنفسه، بل يتضاع

بِالْأَكْثَرِ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ». (س: ٥ ظ ٢١١)

١٠٧٩ - وقال كذلك: «إِنَّ الَّذِي يَلْتَقِي بِالنَّاسِ، أَمَا بِوْجَهِهِ فَيَجِدُ أَنْ يَكُونَ
بَاشَّاً، وَأَمَا بِقَلْبِهِ، فَلَيَتَهَدِّ». (س: ٥ ظ ٢١١)

١٠٨٠

١٠٨٠ - قال شيخُ بخصوصِ قولِ الغرابِ: «إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا وَصَدِيقًا، وَلَا تَقْبِلُ مِنْ
يَأْتِيكَ مِثْلَ نَبِيٍّ وَصَدِيقٍ، فَلَيْسَ لَكَ أَجْرٌ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا وَلَا صَدِيقًا، وَلَكُنْكَ قَبْلَتَ مِنْ
أَنَّاكَ مِثْلَ نَبِيٍّ وَصَدِيقٍ، فَأَجْرٌ نَبِيٌّ وَصَدِيقٍ تَأْخُذُ». (س: ٥ ظ ٢١١)

١٠٨١ - وقال أيضًا: «إِذَا تَقْدَمْتَ لِأَخْذِ الْقُرْبَانِ لَا تَفْكِرْ أَنْكَ أَهْلُ لِذَلِكَ، وَلَكِنْ
اعْتَبِرْ أَنْكَ خَاطِئٌ، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِكَ أَنَّ الْخَاطِئَ إِذَا تَقْدَمَ إِلَى الْمَحْلُصِ بِإِيمَانٍ، وَتَحْفَظَ
كَنْهُو قَوْنَتِهِ، اسْتَحْقَقَ أَنْ يَنْالَ مَغْفِرَةً خَطَايَاهُ، فَتَقْدَمْ بِتَوْبَةٍ، وَاعْتَقَدْ فِي نَفْسِكَ أَنْكَ مَرِيضٌ
وَغَيْرُ مَسْتَحِقٍ، بَلْ مِثْلَ مَجْرُوحٍ وَمَحْتَاجٍ إِلَى الشَّفَاءِ، وَآمِنْ أَنْكَ تَقْدَسْ بِأَخْذِ الْقُرْبَانِ، إِذَا
كُنْتَ عَلَى تَوْبَةٍ، لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ تَقْدَمُوا إِلَيْهِ بِإِيمَانٍ شُفِّوَا». (س: ٥ ظ ٢١١)

١٠٨٢ - قال القديس غريغوريوس: «إِنْ كُنْتَ غَيْرَ مَذْنُوبٍ عِنْدَ إِلَهٍ، فَلَا تَغْرِي
لِلْمَذْنُوبِينَ إِلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمْ أَنْكَ مَذْنُوبٌ، فَسَلِّفْ الرَّحْمَةَ وَقَدِّمْهَا قَدَامَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ
يَضَعِفُ الرَّحْمَةَ لِلرَّحْوَمِينَ». (س: ٥ ظ ٢١١)

١٠٨٣ - قال القديسُ فِيمَ الذهَبُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ لَا يَتَأْتِي لَكَ حَزْنٌ فَلَا تُحْزِنْ
إِنْسَانًا مَا». (س: ٥ ظ ٢١١)

١٠٨٤ - قال مار أفرآم: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ قَدْرًا مِنْ لَا يَبْلِي بِالدُّنْيَا، فِي يَدِ مِنْ
كَانَتْ؟». (س: ٥ ج ٢١٢)

١٠٨٥ — وقال أيضاً: «ازهد في الدنيا فيحبك الله، وازهد فيما بين أيدي الناس، فيحبك الناس». (س:٥ ج:٢١٢)

١٠٨٦ — كما قال: «حبزٌ ولحٌ مع سكوتٍ وراحةٍ، أفضل من أطعمةٍ شريفةٍ مع همومٍ وأحزانٍ». (س:٥ ج:٢١٢)

١٠٨٧

من أقوال مار إسحق (٥)

١٠٨٧ — من أقوال مار إسحق بخصوص التوبة: «التوبة هي أم الحياة، تفتح لنا بابها بواسطة الفرار من الكل. نعمة المعمودية التي ضيعناها بالخلال سيرتنا، تجدها فيما التوبة بواسطة إفراز العقل. من الماء والروح لبسنا المسيح ولم نحس بمحده، وبالتبوية ندخل نعيمه، بنعمة الإفراز التي بنا تظهر. العادم من التوبية، خائبٌ من النعيم المزمع أن يكون. القريبُ من الكلٌ بعيدٌ من التعزيرية، أما المبعُدُ من الكلٌ بإفرازٍ، فهو تائبٌ بحقٍ. بدء التوبية هو الاتضاع الذي بلا تكليفٍ^(١٠٣) ولا زيٍ كاذب مسجّس. التوبة هي لباس الثياب الحسنة الضوئية. طريق الحكمَة هي ترتيب الأعضاء. طموح الجسد هو تحبط الحكمَة. الحكمَة الحقيقة هي النظرُ بالله، والنظر بالله هو صمتُ الأفكارِ. الإحساس بالله هو عمقُ الاتضاع. ثأورية تصور الحق، هي ميتوتة القلب. القلبُ الذي بالحقيقة مات عن العالمِ فالله يتحركُ جميعه. الذي يبني نفسه أخير له من أن ينفع المسكونةَ جميعها. أحير له أن يأخذُ هو الحياةَ، من أن يقسمَ الحياةَ لآخرين. من قد ماتت أعضاؤه الخارجية، فقد عاشت أعضاؤه الداخلية. التواضع بإفرازٍ هو بمعرفة الحق، ومعرفة الحق هي ينبوع الاتضاع. المتضلع بقلبه متضلع بمسدهِ أيضاً، المتوقع بمسدهِ متوقع كذلك بقلبه.

^{١٠٣} تائب في مخطوط س٤، س:٥: بلا تزوّك، والمقصود بلا تكلف أو تزييف، حسب النص السرياني.

والمضطرب بجسده، مضطربٌ أيضاً بقلبه، والمضطرب بقلبه جاهلٌ بعقله، ومن هو جاهلٌ بعقله رديئة هي طرفة، ومن كانت طرفة رديئة فهو مائتُ بالحياة.

إن كنتَ محبًا للتواضع فلا تكن محبًا للزينة، لأن الإنسان الذي يحبُ الزينة، لا يقدر أن يتحملُ الازدراء، ولا يسرع إلى ممارسة الأعمال الحقيرة، ويصعب عليه جدًا أن يخضع لمن هو دونه، ويتجاهل من ذلك، أما المتعبدُ لله، فإنه لا يزِين حسده. واعلم أن كلَّ من يحبُ زينة الجسد فهو ضعيفٌ بفكرته، ولا ترى له حسناتٍ. وكلَّ من يحبُ الرياح المنظورَ، لا يقدر أن يقتني محبةً حقيقةً مع أحدٍ. وكلَّ من يُسرع إلى الكرامة، فإنه متعبدٌ لهذا العالم. فإنْ كنتَ تكره فاعلي هذا، فابعد عن فعلهم.

الاتضاع والعفة يتعاوضان بالمحقرة، والذي يحبُ الزينة والكرامة لا تسأله عن حقيقتهما. إن كنتَ محبًا للعفة فلا تكن محبًا للطياشة، لأن الملاقة التي تعرض لك بواسطة الطياشة، لا تتركك أن تمسك العفة في نفسك باحتراسٍ، لأن كلَّ من يحبُ الطياشة، لا يكون عفيفاً، وكلَّ من يشتبك بالعلمانيين، لا تصدق بأنه متواضعٌ، وكلَّ من هو محبٌ لله، فهو يحبُ الحبس والجلوس في القلادة، إنسانٌ طياشٌ لا يمكنه أن يحفظَ الحقَّ في نفسه من غير دنسٍ.

التوبةُ كثيرون يعذون ويتظاهرُون بها، وليس من يقتنيها بتحقيقٍ إلا المخزون. وكثيرون يُسرعون نحو الحزن، فلا يجده في الحقيقة، إلا الذي قد اقتني الصمتَ على الدوام. كلُّ من هو كثيرُ الكلام، ويختبر بأمورٍ عجيبةٍ، اعلم أنه فارغٌ من الداخلي. الحزن الجوانِي هو بلا جامٍ للحواسِ.

إن كنتَ محبًا للحقٍّ، فلن يكن محبًا للصمتِ، لأنَّه كمثلِ الشمسِ، يجعلك الصمتُ تثير باللهِ، ويخلصك من تخابيل المعرفةِ، والسكوت يجعلك في عشرةٍ مع اللهِ. الذي يحبُ

الحاديَّثَ مِعَ الْمُسِيحِ، يَحْبُّ أَنْ يَكُونَ وَحْدَهُ، وَالَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَعَ كَثِيرِينَ فَهُوَ مَحْبُّ هَذَا الْعَالَمِ. إِنْ كُنْتَ تَحْبُّ التَّوْبَةَ، فَأَحَبُّ السُّكُوتَ لِأَنَّهُ بِدُونِهِ لَنْ تَكُمِلَ التَّوْبَةُ، وَمَنْ يَقاوِمُكَ عَلَى هَذَا فَلَا تَلْاجِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَاذَا يَقُولُ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَعْرِفُ مَا هِيَ التَّوْبَةُ، لَكَانَ يَعْرِفُ أَيْضًا مَوْضِعَهَا، إِنَّمَا لَا تَكُمِلُ فِي السُّجُسِ. إِنَّمَا قَدْ أَحْسَنَ بِخَطَايَاهُ، لِأَخِيرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَنْفَعَ الْخَلِيقَةَ بِمُنْظَرِهِ، وَالَّذِي يَتَهَدَّدُ عَلَى نَفْسِهِ كُلُّ يَوْمٍ، أَخِيرُ لَهُ مِنْ أَنْ يَقِيمَ الْمَوْتَى بِصَلَاتِهِ، وَالَّذِي أَهْلَ لَأَنْ يَنْظَرَ خَطَايَاهُ، أَخِيرُ مَنْ يَنْظَرُ الْمَلَائِكَةَ، وَالَّذِي بِالنُّورِ يَطْلَبُ كُلُّ يَوْمٍ الْمُسِيحَ بِالْوَحْدَةِ، أَخِيرُ مَنْ الَّذِي يَمْدُحُونَهُ فِي الْجَامِعِ». (س: ٥؛ ٢١٢ ج)

(مشورات مفيدة في أنواع التدابير ج ٢: ١٤)

١٠٨٨ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِذَا مَا أَفْرَزْتَ نَفْسَكَ لِلتَّوْبَةِ، فَكُلُّ يَوْمٍ لَا تَصَادِفُكَ فِيهِ مُحْرَقَةٌ لَا يَكُونُ لَهُ حِسَابٌ عِنْدَكَ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا تَجْلِسُ فِيهِ سَاعَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ، مُتَفَكِّرًا بِأَيِّ الْأَشْيَاءِ أَخْطَأْتَ، وَبِأَيِّ أَمْرٍ سَقَطْتَ، لِتَقُومُ ذَاتَكَ فِيهِ، فَلَا تَحْسُبْهُ مِنْ عَدَادِ أَيَّامِ حَيَاةِكَ. الْوَيْلُ لِمَنْ لَا يَسْكُنُ، وَلَا يَتَضَاعِقُ، وَلَا يَنْقِي عِيوبَ نَفْسِهِ، مَادَامْ هَنَاكَ وَقْتٌ لِلتَّوْبَةِ، لِأَنَّهُ هَنَاكَ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ، بِأَمْوَالِ النَّارِ يَنْقِيَهَا، حَتَّى يَوْمَ آخرَ فَلْسٍ عَلَيْهِ، الَّذِي هُوَ

الزلة الصغيرة (Isaac. Ar. II, 39, 11-12)

الَّذِي يَتَهَاوِنُ بِالصَّلَاةِ وَيَظْنُ أَنْ هَنَاكَ بَابًا آخَرَ لِلتَّوْبَةِ، فَهُوَ مَحْلٌ لِلشَّيَاطِينِ، وَالَّذِي لَا يَدَوِمُ قِرَاءَةُ الْكِتَبِ، فَفِي أَيِّهِ سَائِرٌ، لِأَنَّهُ إِذَا أَخْطَأَ لَا يَحْسُنُ. وَمَنْ هُوَ مُتَنَسِّلٌ مِنَ الْمَاَكِلِ وَفِي قَلْبِهِ حَقْدٌ وَأَفْكَارٌ رَدِيَّةٌ عَلَى أَخْيَهِ، فَإِنَّهُ أَلَّهُ وَأَرْغَنُ لِلشَّيْطَانِ. احذَرْ مِنْ هَذِهِ الْخَلَّةِ أَنْ تَكُونَ جَالِسًا وَأَنْتَ تَدِينُ أَخْحَكَ، لِأَنَّ هَذَا يَقْلِعُ جَمِيعَ بُنْيَانِ بَرْجِ الْفَضْيَلَةِ الْعَظِيمِ (Isaac. Ar. II, 39, 13)

مَنْ اقْتَنَى الْفَضَائِلَ الْعَظِيمَةَ، مُثْلَ الصَّوْمِ وَالسَّهْرِ وَخَلَافَهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَنِ حِرَاسَةَ الْقَلْبِ وَاللُّسُانِ، فَإِنَّهُ فِي الْبَاطِلِ يَتَعَبُ وَيَعْمَلُ. إِذَا وَضَعْتَ كُلَّ أَعْمَالِ التَّوْبَةِ فِي نَاحِيَةِ

والحفظ في ناحية أخرى، فإن الحفظ يرجح، فإن المسيح وضع فأس الوصايا على أصل الأفكار القلبية، وموسى على الأعمال المحسوسة. (Isaac. Ar. II, 39,15) الويل لمن له وقت واستطاعة، ويساعده جسده، ويتهان ب أعمال التوبة، لأنه يبكي ويتحب عندما يتبه، ويطلب زمان الراحة فلا يجد. سعادٌ وماء التوبة هما الضيقات والمحفرات والتجارب، وموتها حب الأرباح والكرامة والراحة، لأنه من الضيقات الخارجية تتولد الراحة الداخلية، ومن المحن والكآبة اللذين من أجل الله، يتولد الفرح وعزاء النفس، وبإيجاز فإن السلامة التي لم تتولد من هذه الأعمال، فهي ضلاله (Isaac. Ar. II, 39,16-17)

أساس تدبير الوحدة، هو الصبر والاحتمال بالتعصب، وبها يبلغ الإنسان إلى كمالٍ تامٍ، وهي تصلح قدامه سلماً، يصعد به إلى السماء. رباطات النفس هي العوائد، التي بها يعتاد الإنسان، إن كانت بالجيد أو بالرديء» (Isaac. Ar. II, 39,19) (س ٥ : ٢١٣ ج)

١٠٨٩ - سُئلُ شِيْخَ: «عِمَّا ذَرَّتْ رَهْبَنَةَ الْقَدْمَاءِ، وَرَهْبَنَةَ زَمَانِنَا هَذَا؟»؟ فَأَجَابَ قَائِلاً: «كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيًّا وَحَكِيمًا، وَكَانَ يَطْلُبُ الْمِسْكَ الْخَالِصَ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ الْمِسْكَ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَرِيدُهُ، قَطَعَ الْمَسَافَاتِ بِرًّا وَبَحْرًًا حَتَّى وَصَلَّ إِلَى الْصِّينِ، حَيْثُ قَدِمَ هَدِيَا لِلْمَلِكِ الَّذِي هُنَاكَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْطِيهِ مِسْكًا، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْطَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِسْكَ وَرَجَعَ، أَعْطَاهُ لِأَوْلَادِهِ، وَأَوْلَادُهُ بِدُورِهِمْ أَعْطُوهُ بَعْضَهُمْ لَبَعْضٍ، وَقَلِيلًا قَلِيلًا غَشْوَهُ وَخَلْطَوْهُ بِمَا يُشَبِّهُ الْمِسْكَ الْحَقِيقِيِّ فِي الْلَّوْنِ، وَيَخْتَلِفُ عَنْهُ فِي الرَّاهِنَةِ، وَمَعَ تَمَادِي الْزَّمِنِ بَقِيَ الزَّاغُلُ (أَيِّ الْمَغْشُوشِ) مَوْضِعُ الْمِسْكِ الْحَقِيقِيِّ، وَعَدَمَتْ رَائِحَتُهُ، وَبَقِيَ الشَّكْلُ وَالاسْمُ فَقْطُ.

كذلك الآباء القدماء، فإنهم حسروا على الحياة والموت، وذاقوا كل التجارب، واحتملوا الضيقات، وقدموا ذاتهم ذبيحة حية روحانية، وُهُبِت لهم المعرفة الروحانية،

وصاروا مسكنًا لله، وأحسُوا بالأسرارِ. واتصل السرُّ شيئاً فشيئاً، حتى انتهى إلينا نحن الذين بالاسم والشكلِ فقط. إنَّ أمورَ سيدنا ماراراتٌ تعقبها حلاوات، مظلماتٌ تعقبها نيرات، محناتٌ تعقبها مبهجات، أما أمورُ العالمِ فهي حلاواتٌ تعقبها مارارات، نيراتٌ تعقبها مظلمات، مبهجاتٌ تعقبها محنات. يعرفُ الحقُّ، ذاك الذي ذاق تجربةَ هولاءِ، لا من سماعِ الآذان فقط». (س: ٥ ٢١٣) (Isaac. Ar. II, 39, 21-23)

٦٦

من أقوال القديس برصوفيوس (٥)

١٠٩٠ - قال القديس برصوفيوس: غرباءُ نحن، فلنكن غرباءً بالكمالِ، ولا نحسب أنفسنا شيئاً، ولا نشاء أن يحسبنا أحدٌ فتنتيغ. جامد أن تموتَ في القبرِ من كلِّ إنسانِ، وقل لفكركِ: «لقد متُّ ووضعتُ في القبر»، وأنْتَ تخلص (Bar. Let. 55). وليس غلق الباب هو الموت، بل غلق الفم. والطاعة هي أيضاً مُطفئةً لجميع سهام العدو الخماة. أما الذرُورُ^(١٠٤) العظيمة والأعصاب التي تشتدّ كلُّ الأعضاءِ، وتشفي كلُّ مرضٍ واسترخاء، فهي المحبةُ التي أعطانا الآبُ وأحياناً بها. (س: ٥ ٢١٤ ج)

١٠٩١ - وقال أيضاً: «هذا هو الوقت الذي فيه نفترشُ عن أوجاعنا وننوحُ ونبكي ونلومُ أنفسنا في كلِّ شيءٍ، وتلقي ضعفنا قدام الله، وهو يعيننا ويقوينا». (س: ٥ ٢١٤ ج)

١٠٩٢ - وقال كذلك: «إنْ كنتَ تحب أن تخلصَ من الأوجاع النجسةِ، اقطعْ منك الخلطةَ والدالةَ مع كلِّ إنسانِ، ولا سيما من ترى قلبك مائلاً إليه بشيءٍ من الأوجاعِ، وهكذا يُعنق من السبع الباطلِ، لأنَّ السُّبْحَ الباطل ملتتصقُ بالرياءِ، والرياء يلدُ

^(١٠٤) الذرُورُ، بالفتح: ما يُدَرُّ في العين وعلى القرح من دواء يابس (لسان العرب).

كلّ الأوجاع، لأنَّ المجاهدين، إنْ لم يحرصوا فلن يُكُلُّوا، والفرسان إنْ لم يجاهدوا في معركةِ الحربِ، فلا يُمدحون من الملكِ». (س:٥ ظ٢١٤)

١٠٩٣ - وقال أيضًا: «لا تأخذ ولا تُعطِ مع إنسانٍ يُقاتلك به العدو، بل انظر لنفسِك، واعلم أنَّ مصيرَك أنْ تموتَ وتلقى الدياناً». (س:٥ ظ٢١٤)

١٠٩٤ - كان شيخٌ لا يأوي تحت سقفٍ، بل كان يقيمُ في حرّ الشمسِ وبردِ الليل، فقال له أحدُ الإخوةِ: «لماذا يا أبي لا تأوي تحت سقفِ بيتٍ، فتستريح قليلاً من هذا التعبِ؟» فأجابه الشيفُ: «إنَّ لصوصاً أخذوا مالي وسلبوني سُترِي، ولهذا لا آوي تحتَ ظلالِ بيتٍ، بل تائهاً، أبىتُ تحتَ الحرِّ والبردِ، وأصرخُ إلى إلهي ليلاً ونهاراً، ولا أهدأ حتى يتحنن علَيَّ وينتقم لي من أعدائي، ويردّ لي ما قد سلبوه مني». (س:٥ ظ٢١٤)

١٠٩٥ - قال أبا سراييون: «كما أنَّ أحناَدَ الملكَ وقوفٌ بين يديه، ولا يقدرُ واحدٌ منهم أن يلتفتَ يميناً أو شمالاً، كذلك الإنسانُ، إذا كان واقفاً قدامَ اللهِ في الصلاةِ، يجبُ عليه أن يكونَ عقلُه جموعاً بخوفٍ، وإذا كان كذلك، فلا يستطيعُ العدو أن يضره أو يُرهبه». (س:٥ ظ٢١٤) (Abc. Serapion 3)

١٠٩٦ - قال شيفُ: «لتكن هُمُوكَ في ملوكِ السماواتِ، وأنت سريعاً تخلصُ، وترثها». (س:٥ ظ٢١٤) (Abc. Hyperechios 7)

١٠٩٧ - وقال أيضًا: «إنَّ لم يحفظَ الإنسانُ التعليمَ الروحي، ولم يُنقِّ قلبه من الأفكارِ القدرةِ، فكلُّ تعليمٍ ينساه ويذهب عنه. وعند ذلك يجدُ العدو فيه مطمعاً فيُسقطه، لأنَّ النفسَ تشبه مصباحاً مضيئاً، إنْ توانيتْ عنه ولم تتعهده بالرزيت انطفأ». (س:٥ ظ٢١٤) (Chaîne 67)

١٠٩٨ - قال شيفُ: كما أنَّ الإنسانَ لا يستطيعُ أن يؤذى رفيقه وهو واقفٌ معه

قادم السلطانِ، كذلك العدو لا يقدر أن يؤلمنا بشيءٍ من الشرّ، ما دامت نفوسُنا قريبةٌ من اللهِ، كما هو مكتوبٌ: «اقربوا من اللهِ، يقترب اللهُ منكم»، ولكننا إذا كنا في كلِّ حينٍ نتترهُ، ونشتغل بما لا ينبغي، فإنَّ العدوَ يتمكّن منا، ويُلقي بنا في أوجاع الخطيئةِ. (س: ٥)

(An. 268 ج) ٢١٥

١٠٩٩ - قال دوروثاؤس: «من يضجر من شدائِدِ هذا الدهرِ، فهو جاهلٌ بشدائِ الدهرِ العتيقِ، وافتراقِ النفسِ من الجسمِ، والصعوباتِ التي تناهلاها. وكيف ننسى تصرفِ ذاك الدهرِ (العتيق)، ونستمر في تذكر الأعمالِ التي نُدان عليها، بلا نسيانٍ». (س: ٥)

(ج) ٢١٥

٦٥

من أقوال مار إسحق (٦)

١١٠٠ - من أقوال مار إسحق: الراهب الذي في زمانِ الطاعةِ والحضورِ، يختار لنفسِه الراحةَ والحريةَ، فإنه في زمانِ الراحةِ الحقيقةِ، بالعدلِ يُكثي ويُجوع ويُشقي بالندامةِ. الراهب الذي في وقتِ الحصادِ والفرحِ، يملُك عليه الندمُ والكآبةُ، فهو شاهدٌ على ذاتِه أنه في أوانِ الزرعِ والحضورِ والعملِ، لم يُغصب نفسه على أن يصيرَ ويتحملَ حدةَ البردِ والخليدِ، ليشقَّ بالمحراتِ خطوطًا عميقةً في بابِ قلبهِ، ويطمر فيها زرعَ خبرِ الحياةِ، لذلك فهو الآن يشقي بالجوعِ في وقتِ الحصادِ. أعمالُ التوبةِ والصلواتِ والدموعِ باتضاعِ وكسرِ القلبِ، لا تغلب الآلامِ من النفسِ فقط، بل ومن الموتِ تقييمها. حفظُ الحواسِ يقلِّعُ الخطايا، وحفظُ القلبِ يقطعُ الآلامِ التي تلدُ الخطايا. الراهبُ الذي يحاربُ قبلةَ الآلامِ، يحفظُ الوصايا لكي تقطع الآلامِ من القلبِ، ولا تهدأ النعمَةُ، بل تساعده خفيةً. بالقراءةِ المفروزةِ اجمعَ قلبك من الكلّ، وقم للصلوةِ، وفي وقتِ الصلاةِ أَلْفت نظرَك إلى البشارَةِ، وانظرَ الصليبَ والمساميرَ والحربةَ، واحزن وتنهد، وابكِ وأنصت إلى الجموعِ

الصارخة: «اصلبه»، واعجب من مخلص الكلُّ كيف يصرخُ بنوع الصلاة: «يا أبِتِ، لا تحسب عليهم هذه الخطية»، وتشبه به بأكثِر قوتكِ، وابداً بالصلاحة والدموع. (س:٥) (Isaac. Ar. II,41,36-38) ج ٢١٥

١١٠١ - وقال أيضاً: الاتكالُ على البشرِ، يمنع كليةَ الاتكالَ على المسيحِ، والعزاءُ الظاهرُ يمنع العزاءَ الخفيِ، وهكذا بقدر ما يكون الراهبُ منفراً، وفي وحشةٍ، بقدر ما يُخدم من العناية الإلهية. كن حقيراً ومزدرىً في عيني نفسِكِ، فيكون رجاؤكَ عظيماً باللهِ. محسن الصلاة هي: التغصُّبُ والصبرُ والاحتمالُ وطولُ الروحُ والتجلدُ، والصلاحة هي صرخ العقل الذي يصرخ من حرقةِ القلبِ. يا ابني إن أسلمتَ ذاتكَ لجميع التجاربِ، فاصلبْ ضميرَكِ وأفكارَكِ مقابل الآلامِ بواسطةِ عملِ الوصايا بتعصبٍ وقسرٍ. بدء تدبير سيرةِ الصليبِ هو الصبرُ بتعصبٍ والانقطاعُ من كلِّ محادثاتِ الوجهِ، على أن يكون بغير اهتمامٍ، وعدم ذكرِ كلِّ جيدٍ ورديٍّ، وبغضبةِ الكراهةِ، والصبرُ بشجاعةٍ على الظلمِ والعارِ والهزءِ، ممثلاً بذلك الذي هزعوا به بالصلبِ، وهو الذي يعطي الحياةَ للعالمِ. إن كنتَ مشتاقاً لسلامةِ القلبِ، ونياحِ الضميرِ الذي هو أثمار شجرةِ الحياةِ، فانخلع من قلبك شجرةَ تمييزِ الجيدِ والرديِّ، تلك الشجرة التي أمرَ مبدأً جنسنا (آدم) ألا يتذوق منها لثلا يموت، لأنها تولّد سجساً في النفسِ وتقلع السلامَةَ من القلبِ. (س:٥) ٢١٥

١١٠٢ - وقال كذلك: الإنسانُ الذي قد عرفَ ضعفَهُ وعجزَهُ، فقد حصل إلى حدّ الاتضاع. مرشد أنعام الله إلى الإنسان، هو الشكر المتحرك في القلبِ على الدوام، ومرشد التجارب إلى النفسِ هو التذمر. إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يحتمل كلَّ ضعفٍ من الإنسانِ، ولا يحتمل إنساناً يتذمر دائماً، إنْ أديبه. فمَّا يشكِّر دائماً، إنما يقبلُ البركةَ من اللهِ تعالى؛ وقلبٌ يلازمُ الحمدَ والشكرَ، تحلُّ فيه النعمَةُ.

الاتضاع يتقدم النعمة، والعظمة تتقدم الأدب. إن المتعظم بالمعروفة بضميره، يسقط بالتجديف، والمبتهج بفضيلة العمل، يسقط في الزنى، والمترفع بالحكمة يسقط في فخاخ الجهل المظلمة. إن الإنسان البعيد عن ذكر الله، لا هم له إلا في قول السوء على قريبه. الذي يُكرِّم كل إنسان، من أجل الله تعالى، يجد معونةً من كل إنسان بإشارة الله الخفية. المعذَرُ عن المظلوم، يجد الله تعالى مناضلاً عنه. من عاصد قريبه يعاصره الله سبحانه بذراعه، ومن سب أخاه بربذلة، كان له الله ساباً ومبكتاً (Isaac. Ar. III, 29, 1-2). التاجر إذا أكمل وأتم ما يخصه، فإنه يجهل في أن يمضي إلى منزله، والراهب يقدر ما يعزه من زمان العمل، على ذلك الحد يجزئ أن يفارق نفسه. وإذا أحسن في نفسه، أنه حصل على الوقت وأخذ العروبون، فإنه يستيقظ إلى العالم الجديد. إن التاجر ما دام في البحر، فالخوف منبت في أعضائه، لثلا تتعالى عليه الأمواج فيغرق ويختبأ أمهأ من عمله، والراهب ما دام في بحر هذا العالم، فالخوف يستولي على سيرته لثلا تكتب عليه أذية وراموز (أي اضطراب)، فتهلك عمله منذ الشباب حتى الشيخوخة. التاجر عينه نحو البحر، والراهب يرمي ساعة الموت (Isaac. Ar. III, 29, 6). إن السائح يغوص غائراً في البحر، إلى أن يجد اللولو، والراهب الحكيم يسير في الدنيا عارياً، إلى أن يصادف فيها الدرة الحقانية، التي هي يسوع المسيح، وإذا ما وفاه، فلن يقتني معه شيئاً من الموجودات.

إن الجوهر يُصان في الخزانة، ونعم الراهب يُصان في السكون والمدوء. إن العذراء تستأنى بالجامع والمحافل، كذلك فكر الراهب، تضره المحادثة مع الكثيرين، والنظر إليهم. إن الطائر يُسارع إلى وكره، بعيداً عن كل مكان، وذلك ليفرخ، كذلك الراهب ذو الإفراز، يبادر إلى قلاليته، ليصنع فيها ثمرة الحياة. إن السحاب يحجب نور الشمس، والأقوال الكثيرة تبليل النفس (Isaac. Ar. III, 29, 8). إن الشجرة إن لم ترم أولًا الورق العتيق، فلن تأتي بأغصان جديدة، كذلك الراهب، إن لم يرم من قلبه ذكر الأمور

والأعمال السالفة، ويبعد عن ملاقاًة الكلّ، فلن يقدّم ليسوع المسيح أثماً جديدةً. إن الهواء يُسمّن الأثماً، والاهتمام بأمور الله عز وجل، يُسمّن أثماً النفس. إن أثماً الشجرة فجّةٌ ومرةً، ولن تصلح للأكل حتى تقع فيها الحلاوة من الشمس، كذلك أعمال التوبة الأولى فجّةٌ ومرةً جدًا، ولا تفيد الراهب حتى تقع فيها حلاوة التأوريya، فتنقل القلب من الأرضيات (Isaac. Ar. III, 29,10). حلاوة الكلام من غير أعمال لا تنفع، لأنّه إذا ما انتقل عنها الإنسان، يخزى بالأكثر. كما أنه لا يمكن أن يشرب الشاب الخمر، ولا تفوح رائحته من فمه، هكذا لا يستطيع الإنسان أن يؤهل للنهاي الروحاني بتذليل سيرته، ولا تظهر مغایرات أمرور لحكماء القلب. إن الذي قبل الزرع السمائي مغايّر بكلامه، ومغايّر بضميره، ومغايّر بسيرته، ومغايّر بحواسه، ومغايّر في كل شيء لبقية الناس. وهو كإنسان كان نائماً وانتبه من نومه (Isaac. Ar. III,29, 11). إن الراحة والبطالة هلاك للنفس، وهذا يؤذيان أكثر من الشياطين (Isaac. Ar. III, 29, 21) (س: ٢١٦ ج)

١١٠٣ - وقال أيضاً: إنسان محاكي لا يظفر بسلامة الفكر، والعادم من السلامة، هو العادم من الفرح. الإنسان الذي يطلق لسانه على الناس بكلّ جيد ورديء، لن يؤهل للنعمـة من الله (Isaac. Ar. III, 33,1). توبـة مع أحـاديث تشـبه خـايـة مـثـقـوبـةـ. عـفـةـ وـمحـادـثـةـ مع امرـأـةـ، كـلـبـةـ وـخـرـوفـ في بـيـتـ وـاحـدـ. أـعـمـالـ مع قـساـوةـ قدـامـ اللهـ تعـالـىـ، كـإـنـسـانـ يـضـحـيـ ولـدـاـ (أـيـ يـذـبـحـ ولـدـاـ) قـدـامـ أـيـهـ. المـرـيضـ الـذـيـ يـقـوـمـ رـفـاقـهـ، يـشـبـهـ إـنـسـانـاـ أـعـمـىـ يـرـيـ آخـرـينـ الطـرـيقـ (Isaac. Ar. III, 33, 2). إن الحـقـودـ يـسـتـشـمـرـ من صـلاتـهـ ما يـسـتـشـمـرـ الزـارـعـ في الـبـحـرـ من الـحـصـادـ، وـكـمـاـ أـنـ شـعـاعـ النـارـ لاـ يـمـكـنـ إـمسـاكـهـ عنـ الطـلـوعـ إـلـىـ فـوـقـ، هـكـذاـ صـلاـةـ الرـحـومـينـ لاـ يـمـكـنـ إـلـاـ أـنـ تـرـقـيـ إـلـىـ السـمـاءـ. وـكـمـاـ أـنـ جـريـانـ المـاءـ يـتـجـهـ إـلـىـ أـسـفـلـ، هـكـذاـ قـوـةـ الغـضـبـ إـذـاـ مـاـ أـلـفـتـ مـوـضـعـاـ فـيـ فـكـرـنـاـ. مـنـ وـاضـعـ قـلـبـهـ، فـإـنـهـ قـدـ مـاتـ عـنـ الـعـالـمـ، وـمـنـ مـاتـ عـنـ الـعـالـمـ، فـقـدـ مـاتـ عـنـ الـآـلـامـ، وـمـنـ مـاتـ بـقـلـبـهـ عـنـ أـصـحـابـهـ، فـقـدـ مـاتـ الـخـتـالـ

عنه. ومن وجد الحسد، فقد وجد معه الشياطين الذين أوجدوه منذ القدم (Isaac. Ar. III, 33,4). إنَّ جمَّعَ المتواضعين لمحبوب عند الله تعالى كجماعة السارافيم. إنَّ الجسم العفيف ل الكريم عند الله تقدس اسمه أكثر من الصحبة الطاهرة، وذلك أن هذين، أعني الاتضاع والغفة، ضامنان للنفس بخلول الثالوث المقدس فيها (Isaac. Ar. III, 33,6).

تُخوَّفُ من العادات أكثرَ من الأعداء. إنَّ من يربِّي عنده عادةً، هو كإنسان يربِّي أيَّ يُشعِّل) ناراً بكثرة الوقود، وذلك لأنَّ قوَّةَ الآثرين تتفقَّم بال المادة، أما العادة فإنها إذا ما طالبت دفعَة، ولم تُجْبِها إلى طلبها، فإنك تجدها في وقتٍ آخر ضعيفةً، أما إن صنعت مرسومها دفعَةً، فإنها تقوى عليك في الثانية أكثرَ مما سلف (Isaac. Ar. III, 33,7). لا تكن صديقاً لحبِّ الضحك والمؤثر أن يهتك الناس، لأنَّه يقودك إلى اعتياد الاسترخاء. لا تُظْهِر بشاشةً في وجهِ المنحَلِّ في سيرته، وتحفَّظ من أن تبغضه. عبُّس وجهك لدى من يبدأ في أن يقع بأخيه قدامك، فإنك إن فعلتَ هكذا، تكون متحفظاً لدى الله تعالى ولديه (Isaac. Ar. III, 33,8). صَدِيقٌ ليس بحكيمٍ يشبه سراجاً في شمسٍ. صلاة الحقد كبذارٍ على صخرة. ناسكٌ غيرُ رحيمٍ كشجرةٍ لا ثمرٌ فيها. ورغُّ صادرٌ عن حسد كسمومٍ مشيرٌ أحمقٌ كضريرٍ مرشدٍ. تفتت القلب في مجالسة غيرِ الحكماء. فتحٌ مخفِّي هو مدخل الغاش. ينبوعٌ عذبٌ، محادثةُ الفضلاءِ. والمشيرُ الحكيمُ كسورٌ رجاءٌ. صَدِيقٌ جاهلٌ، ذخيرةٌ خسرانٌ. مشاهدة النادبات في منزلِ البكاءِ، أفضلُ من رؤية حكيمٍ تابعٍ لأحمقٍ. جالس الضياع ولا تجالس الشره الذي لا يكتفي. التحدث مع الخنازير ذاتِ الحمأة، أفضل من فم الأكولين. جالس المخذومين ولا تجالس المتعظمين. كن مطروداً لا طارداً. وكن مظلوماً لا ظالماً (Isaac. Ar. III, 33,11). أبسط سر بالك على المذنبِ، واستره إن كنت لا تقدر أن تحتملَ وتضعَ على نفسِك أوزاره، وتقْبَلَ الأدبَ وتحجِّشمَ الاتهامَ من جراءه. لا تماحك ولا تخاصل من أجلِ البطنِ، ولا تبغض من أجلِ أن تُكرَّم، ولا تحبِّ الرئاسةَ.

التمس فهماً لا ذهباً، البس الاتضاع ولا تلبس الأرجوان. اقتنِ سلامَةً لا مُلْكًاً. (Isaac)

(Ar. III, 33,12) (س: ٥ ج: ٢١٧)

١١٠٤ - كما قال: «إن أردتَ أن تعرفَ رجُلَ اللَّهِ، فاستدلْ عليه من سُكُونِهِ ومن بِكَائِهِ ومن انْقِبَاضِ نفْسِهِ عَلَى ذَاتِهِ، وإن أردتَ أن تعرِفَ الرَّجُلَ السَّائِبَ القَلْبِ، فاستدلْ عليه من كثرةِ كلامِهِ ومن تَخْبِطِ حواسِهِ ومن مقاومَتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ»، يقول ويريد أن يغلبَ». (س: ٥ ج: ٢١٨) (Isaac. Ar. IV) - مقالات المعرفة (١) في التَّحْرُدِ والسُّكُونِ: (٢)

١١٠٥

١١٠٥ - سأَلَ أَخَّ شِيخًا: «لَمَذَا أَضَجَرَ فِي قَلَابِي؟»، فَقَالَ لَهُ: «ذَلِكَ لِأَنِّكَ لَمْ تَحْسِ بَعْدِ بَنْعِيمِ الْقَدِيسِينَ وَعَذَابِ الْخَطَاةِ، وَلَوْ عَرَفْتَ ذَلِكَ لَصَرَتْ بِلَا ضَجَرٍ حَتَّى وَلَوْ كُنْتَ مُنْغَمِسًا فِي الدَّوْدِ وَالنَّنْتِ فِي قَلَابِتِكَ حَتَّى حَلْقَكَ، لَأَنَّ قَوْمًا بِسَبِّ ضَجَرِهِمْ يَتَمْنَوْنَ الْمَوْتَ، وَلَا يَعْلَمُونَ شَدَّةَ الصَّعْوَدِيَّةِ عَنْدَ مَلَاقَةِ اللَّهِ مَعَ خَرْوَجِ الْقَضِيَّةِ الْلَّازِمَةِ عَلَيْهِمْ، وَشَدَّةَ الْعَقُوبَةِ الْحَالَةِ بِالْخَطَاةِ». (س: ٥ ج: ٢١٨) (Dor. Discourses 12, Chaîne 6)

١١٠٦ - قال راهبٌ لشِيخٍ^(١٠٥): «لي ثلاثونَ سَنَةً لَمْ أَكُلْ لَحْمًاً». فأحابه الشِّيخُ: «وَهَلْ لَكَ ثلاثونَ سَنَةً لَمْ تَخْرُجْ مِنْ فَمِكَ لَعْنَةً، تَلَكَ الَّتِي هَانَ اللَّهُ عَنْهَا؟». فَلَمَّا سَمِعَ الْأَخْ ذَلِكَ قَالَ: «بِالْحَقِيقَةِ هَذِهِ هِيَ الْعِبَادَةُ الْمُرْضِيَّةُ لِلَّهِ». (س: ٥ ج: ٢١٨) (J 746)

١١٠٧ - قال القديس مكسيموس: «منْ غَلَبَ الْخَنْجَرَةَ فَقَدْ غَلَبَ كُلُّ الْأُوْجَاعِ، وَمِنْ أَحْكَمَ الْاتِضَاعِ، فَقَدْ أَحْكَمَ كُلُّ الْفَضَائِلِ». (س: ٥ ج: ٢١٨)

١١٠٨ - قال أَنْبَا إِشْعَيَا: «يَنْبَغِي لِلراهبِ أَنْ يَقْتِنِ لِهِ مُخَافَةَ اللَّهِ، وَمَا دَامَتْ لَيْسَ

^(١٠٥) هو القديس أَنْبَا مقار حسب المخطوط السينائي.

فيه مخافةُ اللهِ، فهو بعيدٌ عن رحمةِ اللهِ، فإذا كان يميلُ إلى الخطيةِ ويستأنس بها، فليعلم أن مخافةَ اللهِ ليست فيه». (س: ٥: ٢١٨ ج) (Sys. III 7)

١١٩ - قال أبا يمين: «الإنسانُ يحتاج إلى خوفِ اللهِ كمثلِ احتياجه إلى نسمته ليتنفسَ بها». (س: ٥: ٢١٨ ظ) (Abc. Poemen 49)

١١٠ - قال إقليميس: «من لا يجد في نفسه خوفَ اللهِ، فليعلم أن نفسه ميتةً». (س: ٥: ٢١٨ ظ)

١١١ - قال مكسيموس: «الخوفُ الإلهي هو غايةُ اهتمامِ الإنسانِ بأن لا يقع في عقوبةِ الآخرةِ بسببِ خططيته». (س: ٥: ٢١٨ ظ)

١١٢ - سألهُ شيخًا: «يا أبي إني أشتاهي أن أحفظَ قلبي». فقال لهُ الشيخُ: «كيف يمكنك أن تحفظَ قلبكَ، وفمكَ، الذي هو بابُ القلبِ، مفتوحٌ سائبٌ». (س: ٥: ٢١٨ ظ) (Bu. II, 92)

١١٣ - كذلك سألهُ شيخًا: «كيف يخلصُ الإنسانُ؟»، فقال لهُ: «يخلصُ الإنسانُ بالاتضاعِ، لأنه كلما وضعَ الإنسانُ نفسهَ إلى أسفلٍ، ارتفعَ إلى فوقٍ ومشى إلى قدام». (س: ٥: ٢١٨ ظ)

١١٤ - قال شيخٌ: «لا يوجد أنتن من الإنسانِ الخاطئِ، لا الختير ولا الكلب ولا الضبع، لأن هذه بحائمٌ وقد حفظَتْ رتبتها، أما الإنسانُ الذي خلقَ على صورةِ اللهِ ومثالِهِ، فإنه لم يحفظْ طقْسَهِ. فالويل للنفسِ التي اعتادت الخطيةَ، فإنها مثل الكلبِ الذي اعتاد زهوماتِ الجزارينِ، وقادوراهم، فهو يُضربُ ويُطردُ، فإذا تخلى قليلاً، عاد ثانيةً إلى الزهوماتِ، ولا يزال كذلك حتى يُقتل». (س: ٥: ٢١٨ ظ) (Sys. XV, 125,126)

١١٥ - قال القديس إيفانيوس عند خروجِ نفسهِ: «لا تحبوا متعَ الدنيا

فتسريحاً وتفرحاً في الآخرة. تحفظوا من لذات العالم، فلا يقوى عليكم وجعُ الشيطان. تحفظوا بأفكارِكم، لأنَّه ربِّما يكون الجسدُ هادئاً ولكن الأفكارَ تقتم بالأمورِ الباطلةِ. أيقظوا قلوبَكم بذكرِ الله، فتحفظْ قتالاتُ الأعداءِ عنكم». (س: ٥٢١٨ ظ) (Eth. Pat. 424)

١١٦ - قال شيخ: «ليست الحاجةُ إلى كثرةِ الكلامِ، لأنَّ كثرةَ الكلامِ غريزةٌ في الناسِ، وإنما الحاجةُ ماسةٌ إلى العملِ». (س: ٥٢١٨ ظ)

١١٧ - وقال آخر: «إذا كان للراهبِ كلامٌ بغيرِ عملٍ، فإنه يشبه شجرةً مورقةً لا ثمرَ فيها، أما من له كلامٌ وعملٌ، فهو مثلُ شجرةٍ مورقةٍ مشمرةً». (س: ٥٢١٩ ج) (An. 219) (252)

١١٨ - أبصر شيخُ أحدَ الإخوةِ يضحكُ، فقال له: «لا تصاحك يا أخي، وإلا بعدت عنك الطوبى التي أعطاها الربُّ للحزانِ». (س: ٥٢١٩ ج) (Chaîne 7)

١١٩ - سألهُ شيخاً: «كيفُ أخلص؟»، فقال لهُ الشيفُ: «هو ذا أنا مصورٌ لك دينونةَ اللهِ، وأريكُ إياها: أنت تقول ارحمي، فيقول لك ارحمْ أخاك وأنا أرحمك؛ وإنْ قلتَ لهُ اغفرْ لي، يقول لك اغفرْ لأخيك وأنا أغفرُ لك؛ ألسْتَ ترى أنَّ العلةَ هي منا؟». (س: ٥٢١٩ ج) (An. 226)

١١٢٠ - قال شيخ: «سجحُ هو بالراهبِ إنْ شتمهُ أخوه أو أهانهُ ألا يكون تاماً في محنتهِ له قبل أن يلقاه». (س: ٥٢١٩ ج)

١١٢١ - سألهُ الأنبا مقاريوس الكبيرَ قائلاً: «قل لي كلمةً للمنفعة»، قال لهُ: «اجلس في قلابتك، ولا تكن بينك وبين أحدٍ خلطةً، وابكِ على خطاياك، وأنت تخلص». (س: ٥٢١٩ ج) (Abc. Macarius 41)

١١٢٢ - قال شيخ: «أرفعُ الصلاحَ كلهُ أنْ يمسكَ الإنسانُ بطنه ولسانه». (س: ٥:

١١٢٣ — وقال آخر: «احرص أن تقلع هذا العشب الذي هو التوانى، قبل أن

يصير غابة». (س: ٥ ج) (Bu. I, 293)

١١٢٤ — في أثناء جهاد الأسقف أنساً كيرادوس لما كان يُعذب على اسم المسيح، قال مثلاً: «إن الأرض التي تشقق بالسكة، وتقلع بالمحراث، تمر ثمراً مضاعفاً، كذلك الجسد إذا انكسر والخل بالشعب، حينئذ ينبت للنفس أحنة، وتعالى إلى المسيح الذي قُتل من أجلها، وهي حاملة ثرةً مائة ضعف». (س: ٥ ج ٢١٩)

١١٢٥ — قال أحد القديسين: «النفس تشتهي أن تخلص، إلا أنها مشتبكة بالأشياء الباطلة، وعند اشتغالها بالأمور الدنياوية، يصعب عليها تعب الآخرة، حتى أنها لا تقدر حتى على أن تصلب على وجهها بغير طياشة. فصلاة كهذه، ليست لها قوّة فعالة، ولكنها قد صارت عادة». (س: ٥ ج ٢١٩)

١١٢٦ — قال أنساً أوغريس: «مهما أراده الإنسان، بلا شك يشتهيه، وما يشتهيه يجهد نفسه حتى يقتنيه. فإذا اقتناه، فقد أكمل الشهوة، وإذا أكمل الشهوة فقد أرضى جميع حواسه ولذتها، وكل من ليست فيه شهوة حسنة، فهو جرن للأوجاع». (س: ٥ ج ٢١٩ ظ)

١١٢٧ — قيل عن تلميذٍ كان مع أبيه في زمان قتل المؤمنين، فأراد أبوه هذا أن يحرّب فكره، فقال له: «يا ابني لعلك تشاء أن تصير شهيداً فاذهب». وكان الأخ يهوى ذلك، ولكنه لم يُطع هواه فيذهب، بل قال للشيخ: «يا أبي، حتى ولو صرت فوق رتبة الشهداء، لكن بركتك لي كل يوم أفضل». فلما نظر الله إيمانه في شيخه، جعل صوتاً يقول له: «لأجل إيمانك في أبيك، ها أنا أحسّيك في مجمع الشهداء وطقس القديسين».

١١٢٨ - سأله أخ شيخاً: «يا أبي، إن لي خمساً وعشرين سنةً أخدم فيها شيخاً، ولكنه قد ثقل عليّ الآن، لذلك فإنني أريد أن أتركه». فقال له الشيخ: «هوذا قد صار لك خمسٌ وعشرون سنةً تحت شجرة الحياة، وأنت تأكل من ثمرها، وتريد الآن أن تأكل من الزوان، إذا كنتَ تريده ترك الشيّخ؟ لأن شجرة الحياة التي بها تعيش، هي كلامُ الله التي تسمعها من أبيك، والزوان هو أفكار إبليس، تلك التي إذا قبلتها، يجعلك غريباً من شجرة الحياة». (س:٥ ظ٢١٩)

١١٢٩ - قيل عن أخي: إنه كان تحت طاعة شيخ، فأقام ثمانى وعشرين سنةً يخدمه ولم يغضبه يوماً واحداً ولا عصي له أمراً. وأخيراً، تدبر له إبليس في ضمير رديء وقال له: «إن أباك خاطئٌ، ولن تخلص على يديه». فلما أقنعه، مضى وسكن في قلايةٍ وحده. وفي كمال ثلاثة أيام مات وأخذوه إلى العذاب، فسأل الشيّخ الله من أحله، إن كان قد وجد رحمةً أم لا، فعرف بواسطةِ ملاكٍ أنه قد ألقى في العذاب، فسأل الشيّخ الله قائلاً: «يا سيدِي، لا تضيعْ فيِه من أجلِ هذه الثلاثة أيامٍ». فقال له الملاك: «إن هذه الشهرين والعشرين سنة التي خدمك فيها، كان يؤمن بك فيها، ولكنه الآن أطاع الشيطان وافتلق منك وأقام هذه الثلاثة أيام معادياً لك في قلبِه، فلما أخذه الله، أصاب العداوة فيه، من أجلِ هذا، ألقاه في العذاب». (س:٥ ظ٢١٩)

١١٣٠ - قال أبا مقاريوس: «نفسُ الإنسان غير الكامل في الفضائلِ بمحاجتها نقية كالشمسِ من قبل أن تلحقه كلمةُ رديةٌ، فإذا سمعَ كلمةً رديةً أو نميمةً، للوقيت تغطي الشياطين على عقلِه، وتحجب عنه النور، وتصيره شقيّاً، بسببِ أن نفسه متزرعةً، وفضائله ناقصةً». (س:٥ ج٢٢٠)

١١٣١ - قال أباً أبراًم: ساعة الموت مرهوبة، وهي تأتي على الإنسان مثل الفخّ، حيثند يلحق النفس ندم عظيم، وتقول: «كيف جُزِتُ أيامِي وأنا مشغولة بالأعمالِ الفارغة التي لا منفعة فيها؟». (س٥: ٢٢٠ ج)

١١٣٢ - قال أباً بيمين: «إذا أخذَ الإنسان حيّةً ووضعها في قارورة، وغطى فمهَا، فإنَّها تموتُ، هكذا الأفكارُ الرديئة، إذا قامت على الإنسان فالصبرُ والجهادُ بهلْكانها». (Abc. Poemen 21) (س٥: ٢٢٠ ج)

١١٣٣ - أخّان ذهبا إلى مدينة ليبيعا شغلَ أيديهما، فلما دخلوا المدينة، افترقا بعضُهما عن بعضٍ بحيلةٍ من إبليس، فوقع أحدُهما في الخطيئةِ، ولما فرغَ من شغلهما، التقى، فقال الذي لم يختطى للآخر: «هيا بنا نمضِ إلى الديرِ»، فقال ذاك: «لستُ أريدُ المضي الآن». فلما سمعَ أخوه ذلك انزعج وقال له: «لماذا لا تزيد المضي الآن؟»، فأجابه: «إني لما افترقت عنك وقعتُ في الخطيئةِ». فأراد أخوه أن يربحَ نفسهَ، فقال له: «أما أنتَ فلم تبقَ عليك خطيئةٌ لأنك اعترفت بخطيئتك، وأما أنا، فإني وقعتُ في الخطيئةِ، ومن عظم الكرياءِ، امتنعتُ عن أن أقول لك، ولكن امضِ بنا إلى الدير لطلبَ التوبةَ». فأتيا إلى الديرِ ومضيا إلى الشيوخِ، وأعلماهم بما أصابهما، وطلبا التوبةَ، فوضع عليهما قانونٌ متعبٌ، وكان الأخُ الذي لم يختطى، يصنع القانونَ ويقول: «هذا التعب ليس لي فيه شيءٌ، بل أحسبه يا ربُّ بدلاً من خطيئةِ أخي». فلما نظرَ اللهُ محبته، وما يقاربه من التعبِ عنه، كشفَ لأحدِ الشيوخِ أمرَهما، وقيل له في الرؤيا: «من أجلِ محبةِ الأخِ الذي لم يختطى، غفرَ اللهُ للذى أخطأ». (An. 179) (س٥: ٢٢٠ ج)

١١٣٤ - عملت في بعض القلالي أغاني، وتفسيرُها المحبة، وتقال بلغة القبط

إفراشي^(١٠٦) وتفسيراً لها الفرح، وجلسوا يأكلونَ، وكان بينهم أخْ لا يأكلُ طبيخاً، فقال أحدُ الإخوةِ للخادِم: «إنَّ ههنا أخَا لا يأكلُ طبيخاً فقط، وهو يريده قليلاً من الماءِ والملح». فرفعَ الخادِمُ صوتهِ وناديَ خادِماً آخرَ وقال له: «إنَ الأخَ فلاناً لا يأكلُ طبيخاً، فأحضر له قليلاً من الماءِ والملح». فقامَ أحدُ الشيوخِ عن المائدةِ وقال له: «لقدْ كانَ خيراً لكَ لو جلستَ في قلابيكَ وأكلتَ لحماً، منْ أن تَصدرَ عنكَ هذه القضيةَ هكذا على رؤوسِ الملائِ». (س: ٥٢٢٠ ظ) (An. 256)

١١٣٥ - قالَ أحدُ الإخوةِ لقومٍ من الرهبانِ: «هل رأيتمْ قطْ أكذبَ من شقوتي؟»، قالُوا: «وما السبب؟»، قالَ لهم: «إذا أنا وقفتُ أصلِي فإني أرفعُ يدي ونظري إلى فوقِ وأبكي وأقولُ إنه يسمعُ الطلبةَ ويرحمُ البكاءَ؛ وفي الوقتِ الذي أخطئُ فيه، أقولُ: إنه لا يراني، وبهذا السببِ تَبَتَّ عندي كذبٌ نفسي». (س: ٥٢٢٠ ظ)

١١٣٦ - كانَ لأحدِ التوحَّدينِ في البرية^(١٠٧) خديمٌ علمانيٌ يبيعُ له عملَ يديه، ويُحضرُ له ما يحتاجُه، وكانَ في المدينةِ بالقربِ منه رجلٌ غنيٌ جداً، ولكنه كانَ مذموماً الطريقَ، قليلُ الرحمةِ. وفي أحدِ الأيامِ، سارَ العَلمانيُ إلى المدينةِ كعادتهِ ليبيعَ شغلَ التوحَّدِ، فوجَدَ جنازَةً عظيمةً، والأسقفُ يتقدَّمُها، وجماعةُ الكهنةِ وكلُّ أهلِ المدينةِ، فاستخيرَ عن ميتِ تلكِ الجنازَةِ، فقيلَ له إنَّه فلانُ الغنيُ كبيرُ المدينةِ، فمشى مع الجنازةِ إلى القبرِ، وكانَ معهم شموعٌ وبخورٌ بكمياتٍ كبيرةٍ، فعجبَ لذلكُ. وبعدَ أن رجعَ، أخذَ حاجةَ التوحَّدِ ومضى إليهِ، فوجده ملقىً على وجهِهِ ميتاً، والضبعةُ تحرُّهُ من رجلِهِ، فبكى بكاءً مرَاً،

^{١٠٦} أغابي ἀγάπη، وإفراشي اغپاش.

^{١٠٧} تأتي في النص القبطي الصعيدي: برية ٤٨٥٢ جـ (أي برية دلاص) وهي برية نيلوبوليس، كانت في منطقة البهنسا محافظة بني سويف (Amélineau, p. 317-318) (انظر قول ٨١٦).

وألقى بنفسه على الأرضِ وقال: «إني لن أقوم حتى تعرّفني هذا الحكم، فذلك الغني القليل الرحمة، كان له كل ذلك المجد والكرامة في موته، وهذا المتّوحُ الذي لم يزل متعبداً لك ليلاً ونهاراً، تخرجه هذه الصبغة هكذا وتجره من رجلِه»؟! وفيما هو يقولُ ذلك، ظهر له ملاكٌ قائلًا: «ومن أنت حتى تعارضَ الربَّ وتعيّبَ حكمَه، ولكن لأجلِ تعبك مع هذا المتّوحِ القدس، وخدمتك له، ها أنا أعرفك السببَ. إنَّ ذلك الغني مع قلةِ خيرِه، وقلةِ رحمته، فقد عملَ في عمرِه كله حسنةً واحدةً مع الأسقفِ، والربُّ ليس بظالمٍ، فأراد أن يعوّضه عنها في هذه الدنيا، حتى لا يكون له عنده شيءٌ؛ أما هذا المتّوحِ القدس، فقد كانت له زَلَّةٌ صغيرةٌ، صنعها في كلِّ عمرِه، فجُوزِيَّ عنها هنا بهذه الميّة، حتى يكون قد قدمَ اللهُ نقيّاً»، فنهضَ الرجلُ شاكراً اللهَ، قائلًا: «عادلة هي أحكامك». (س: ٢٢١ ج)

(An. 368, Chaîne 206)

مـا رأـيـتـه

مار أفرآم (٢)

١١٣٧ - من أقوالِ مار أفرآم: يا أخي تفكّر بأنْ ربواتَ الأقوالِ نهايتها السكوتِ، حبُّ السكوتِ لا يتألم بشيءٍ من أمورِ الدنيا. أحبُّ الناسَ يا من لا يحبُ شيئاً مما هو للناسِ. أيها الحبيب اتخذِ الصمتَ، فإنه يريحك من أدناسٍ كثيرةً. اقطع بمحكمةِ الأحاديثِ الضارةَ، ليكون الإنسانُ الباطنُ حسناً. إذا رأيتَ نفسَك منصدةً عن الأقوالِ الإلهيةِ، متهاونَةً بالمواعظِ الروحانيةِ، وتحبُّ الخلطةَ ومحادثةَ الناسِ، فاعلم أن نفسَك قد سقطتَ في مرضٍ رديءٍ، فاحرص أن تجعلَ حديثَك مع الربِّ وحده. اسقِ نفسَك المياهَ الإلهيةَ فتزهُرَ، وتشمرَ ثغرَ العدلِ.

بدءُ الصالحاتِ وكماها هو حدُّ الاتضاعِ بمعرفةٍ حقيقةٍ، لأنَّ المعرفةَ مقتنةٌ بالمتواضعِ، الإنسانُ مصنفٌ من نفسِ وجسدِه، إنَّ لم يستعمل الجسدُ خبراً فلن يعيشَ،

كذلك النفس إن لم تتغذ بالصلوة والمعونة الروحانية، فهي مائة.

إذا ضربَ البوّاق يستعدُ الجيشُ للحربِ، ولكن في أوانِ الجهادِ، لا يكونُ الكلُّ محاربين، كثيرون رهبانٌ بزيمهم، وقليلون هم المجاهدون. في وقتِ التجربة يظهرُ تدريرُ الراهبِ وخبرته. الطبيبُ الحاذقُ، من تجربةِ الآلام صار مدرّباً. يا أخي في كافةِ أعمالِك تذكرُ أواخرَك فلن تخطئ أبداً. (PE III 33,5)

من يُكثرُ أقواله، يُكثرُ لنفسِه الخصوماتِ والبغضاءِ، ومن يحفظُ فمهُ يُحبُّ. إن أحببتَ الصمتَ، ستقطعُ سفينَةَ حياتك مسيراًها بسكتوتٍ. إن تهاونتَ بالأشياءِ الباليةِ، تناولَ الأشياءَ التي لا تبلى. ليكن عقلُنا إلى فوقِ، لأننا بعدَ مدةٍ يسيرةً نصرفُ من ههنا، فالأشياءُ التي جمعناها، ملءَ تكون؟ بغير طينٍ لا يُبني البرجُ، وبغيرِ معرفةٍ لا تقومُ فضيلةُ. مسْكُ البطنِ، وصيانتُ اللسانِ، وجلامُ العينينِ، هي طهارةُ للجسدِ. فإنْ أمسكتَ بطَنكَ، وصُنْتَ لسانَكَ، ولم تحفظَ ناظريَّكَ ألا يطمحَا، فلستَ مسْكًا بالطهارةِ بالكاملِ. بمقدارِ ما للتوايِّ من مضارٍ، بمقدارِ ما للتيقظِ من منافعٍ تسببُ كلُّ صلاحٍ، لأنَّ المتيقظُ في كلِّ حينٍ، ذِكرُ اللهِ حاضرٌ عندهِ، وحيثما يتلو ذِكرَ اللهِ، تكُفُّ كلُّ أفعالِ الخبيثِ.

مثلُ الماءِ للسمكِ، هكذا السكتوتُ للراهبِ، بتواضعِ لبٍ ومحبةٍ. ومن يشاءُ أن يعيشَ في كلِّ موضعٍ عيشَةَ سلاميةَ، فلا يطلبُ نياحةَ، بل نياحَ رفيقهِ بالربِّ، فيحدِّدُ النياحَ. إن شئتَ ألا تخطئَ، احفظْ مخافةَ اللهِ. ليحضرَ بيالكَ أنَّ القديسينَ كلُّهم بمكابدةِ الآلامِ، أرضوا اللهَ. لأنَّ الأحزانَ والمحنَ هي موافقةُ للإنسانِ، لأنَّها تجعلُ النفسَ مختبرَةً ووصلبةً متطرفةً بإيمانٍ لا ارتيابٍ فيهِ، الفداءَ من لدنِ المسيحِ ورحمتهِ. الراهبُ العاجزُ لا ينفعُ لذاتهِ، ولا لغيرِهِ، وغيرُ العاجزِ يستنهضُ التوانينَ جداً إلى الفضيلةِ.

تفهَّمْ يا أخي أنَّ من أجلِكَ أقبلَ من السماءِ الإلهُ الأعلى والأقدس، ليرفعكَ من

الأرض إلى السماءِ مغبوطٌ في ذلك اليومِ، ذاك الذي قد حرص من هنـا، كـي يوجدَ
مستحـقاً لـتلك السـعادـة - وإذا أنه لا يمكن أن يـُبـاع الأدوـية السـماوـية والقـدسيـة، لأنـ ما لها
ثـمن، فإـنـها بالدمـوع تـوـهـبـ لـلـكـلـ. ثـرـى مـنـ لا يـعـجـبـ وـمـنـ لا يـُـذـهـلـ، مـنـ لا يـيـارـكـ كـثـرةـ
تـحـتـكـ أـيـهـا المـخلـصـ لـنـفـوسـنـاـ، لأنـكـ اـرـتـضـيـتـ أـنـ تـأـخـذـ الدـمـوعـ عـوـضـ أـشـفـيـتـكـ، فـيـا لـقـوـتـكـ
أـيـهـا الدـمـوعـ! إـلـى أـيـنـ بـلـغـتـ؟! حـتـىـ إـنـكـ تـدـخـلـينـ إـلـىـ السـمـاءـ بـمـجاـهـرـةـ كـثـيرـةـ بلاـ مـانـعـ،
وـتـأـخـذـينـ طـلـباتـكـ مـنـ إـلـهـ الـأـقـدـسـ.

يا أـخـيـ، أـحـضـرـ إـلـىـ ذـهـنـكـ النـارـ الـيـ لاـ تـُـطـفـأـ وـالـدـوـدـ الـذـيـ لاـ يـمـوتـ، فـيـ الـحـالـ
يـخـمـدـ التـهـابـ الـأـعـضـاءـ، لـثـلاـ تـسـتـرـخـيـ وـتـُـعـلـبـ، وـتـدـرـكـ نـارـ حـزـنـ النـدـامـةـ، وـتـعـاتـدـ أـنـ
تـخـطـئـ فـتـنـدـمـ. اـقـتـنـ صـرـامـةـ مـنـذـ الـابـتـادـ مـقـابـلـ كـلـ شـهـوـةـ، لـثـلاـ تـُـغـلـبـ لهاـ، وـلـاـ تـتـعـودـ الـهـزـيمـةـ
فيـ الـحـرـبـ، لأنـ الـعـادـةـ طـبـيـعـةـ ثـانـيـةـ، لأنـ اـعـتـيـادـ الـهـزـيمـةـ لـاـ يـُـبـيـّـنـ أـنـ هـنـاكـ صـرـامـةـ وـشـهـامـةـ، بلـ
كـلـ حـيـنـ يـبـيـّـنـ وـيـنـقـضـ، وـفـيـ كـلـ وـقـتـ يـُـخـطـئـ وـيـنـدـمـ. أـيـهـا الـحـبـبـ، إـنـ اـعـتـدـتـ أـنـ تـتـرـاحـىـ
إـنـ قـوـتـلـتـ، فـسـوـفـ يـكـوـنـ تـسـطـيـرـ كـتـابـةـ نـدـامـتـكـ لـاـ يـمـحـىـ إـلـىـ الـأـبـدـ. مـنـ اـعـتـادـ أـنـ يـُـغـلـبـ
لـبعـضـ الـشـهـوـاتـ، فـذـاكـ يـصـبـرـ مـوـبـحـاـ كـلـ وـقـتـ مـنـ ضـمـيرـهـ، فـتـحـرـزـ بـكـلـ نـفـسـكـ مـنـ
الـخـطـرـ، حـاوـيـاـ فـيـ ذـاـتـكـ الـمـسـيـحـ فـيـ كـلـ وـقـتـ، لأنـ الـمـسـيـحـ هوـ لـلـنـفـسـ حـلـوـةـ لـاـ تـمـوتـ، فـلـهـ
الـمـحـدـ إـلـىـ الـأـبـدـ آـمـيـنـ. (سـ ٥: ٢٢١)

٤٥٦

من أقوال مار إسحق (٧)

١١٣٨ - من أقوال مار إسحق: «بـُـرـ الـمـسـيـحـ عـتـقـنـاـ مـنـ بـُـرـ الـعـدـالـةـ، وـبـالـإـيمـانـ باـسـعـهـ
خـلـصـنـاـ بـالـنـعـمـةـ جـمـانـاـ بـالـتـوـبـةـ. لـاـ تـبـتـعـتـ مـعـ أـيـ فـكـرـ كـانـ، حـتـىـ وـلـوـ كـانـ حـقـيرـاـ، لـثـلاـ تـتـأـسـسـ
فـيـكـ عـادـاتـهـ، وـاضـطـرـارـ الـعـادـةـ يـجـعـلـكـ عـبـدـ لـذـاكـ الـأـلـمـ. الـمـوـحـدـ الـذـيـ يـخـدـمـ الـأـلـامـ، هوـ

للمُؤمِّن لِلآلامِ، وَاضطُرَارِ عادَةِ معلمهِ، تغصبه ليكونَ كمثلِ معلمِهِ بغيرِ إرادتهِ، حسب الكلمةِ السَّيِّدية. كُلُّ ملْكٍ ولو أنهُ حَقِيرٌ، لكنه فاتكَ في بلدِهِ وقويٌّ، وكلُّ أَمٍ ولو أنهُ حَقِيرٌ، ولكن في بلدِهِ يُظْهِر سلطانَهُ. العاداتُ تُشجعُ الآلامَ، والأعمالُ تُؤسِّسُ الفضيلةَ. سلاحُ الآلامِ والفضائلِ هو تغييرُ العوائدِ والخاصياتِ، فالعوائدُ تطلبُ ما يُقدمُ لها، وهي رباطاتُ النَّفْسِ، وبالسهولةِ تقتنيها وبصعوبةٍ تُخلُّ منها. (Isaac. Ar. II, 42,10-13)

إنَّ الآلامِ والفضائلَ التي لم تُؤسِّس بالاعتياضِ مدةً من الزَّمنِ، فهي كالشجاع العاري من سلاحِهِ. لا تترك عادةً تأسِّس فيكَ، وتزيدُ الأفكارَ بغيرِ قيامِ، لئلا تتجددُ فيكَ الآلامُ التي قد هدأتَ قليلاً. الأنواعُ والعوايدُ التي قد عَتَّقت في الإنسانِ، تُكَمِّلُ لهُ موضعَ الطبيعِ. كلُّ عادةٍ إذا سلَّمتَ لها باختيارِكَ، تجدها في الآخرِ سيداً، تسيرُ قدامهِ مضطراً بغيرِ اختيارِكَ. المذيدُ بأمورٍ كثيرة، غذاءً للنفسِ، سواءً كان صالحاً أم طالحاً أم خليطاً منهما. المذيدُ بالواحدِ هو الانحلالُ من الكلِّ، والانحلالُ من الكلِّ هو الارتباطُ بالواحدِ (Isaac. Ar. II, 42,13). الطبعُ المخلوقُ الميالُ، إذا بَطَّلَ من العملِ اليمينيِّ، لا يثبتُ هادئاً، بل يرجع إلى الأمورِ اليساريةِ. البطلُ من الاهتمامِ بالفضيلةِ، والسيرُ بها، بتخييلِ الخطيةِ يهذى. ذاك الذي لا يريدُ أن يعملَ البرَّ، يضطرُ أن يفعلَ أفعالَ الإثمِ». (س: ٥٢٢٢) (Isaac. Ar. (II,37,1

١١٣٩ - وقال أيضاً: «الإنسانُ الذي يُغضِّبُ ذاتَهِ دائمًا، ليتَدَبَّرَ بمحنةِ حكمِ النَّيةِ، لن يخطئَ بلا توبَةٍ. من كان ضميرُه دائمًا يهذى بالصالحاتِ، لا ينظرُ إلى نفائصِ قريبهِ. الذي يُعَوَّدُ لسانَه ليقولَ الصالحاتَ على الأخيارِ والأشرارِ، يملِكُ السلامَ في قلبهِ سريعاً. الذي فَرَشَ مراحِمهِ بلا تمييزٍ على الصالحينِ والأشرارِ، بالشفقةِ، فقد تشبَّهَ باللهِ. الذي يُغضِّنُ صورةَ اللهِ، لا يمكنُ أن يكونَ محبوباً من اللهِ.

من يغلبُ دائمًا خلقَ مشيَّتهِ، فهو مجاهدٌ نشيطةٌ، والنعمةُ تفعُّلُ به بزيادةٍ. الذي

يُحکمُ عليه مرةً ويُلام من نيته، ولا يُقوم نوع عوائده، ترتفع منه النعمةُ ويُترك في التجاربِ ويتبهَّل. الذي قد أحسَ بالراحة التي من مُحقرةِ الذاتِ، أخيرٌ من الذي وجدَ تكريماً من تاجِ المملكةِ. الذي قد ضُربَ بحبِ المديحِ والكرامةِ من الناسِ، ليس بجُرحٍ شفاءً، حتى ولو كان بأعمالِ سيرته يقومُ كثيرين، ففي العالمِ المزمعِ، يكون تدبيرُ سيرته مبكّتاً له بعذابِ الجحيمِ. من كانت في كلِّ وقتٍ طرقُ سيرته منحلةً، فإنْ ضميره بعيدٌ من الإلهِ، ومن كان قلبه غيرَ منسحقٍ، وغيرَ محزونٍ، فلن يُعتَقَ من الطياشةِ. من زلَ وأخطأ، وعرف سببَ مرضيه، فإنه بسهولةٍ يُشفى بالتوبيخِ.

الذي يُصومُ فمهَ من الغدائِ، ولا يُصومُ قلبه من الحقِّ والحقَّ، ولسانُه في الأباطيلِ، فصومُه باطلٌ، لأنَ صومَ اللسانِ أخيرٌ من صومِ الفمِ، وصومُ القلبِ أخيرٌ من صومِ الاثنينِ. من لا ينشقُ قلبه بالتحسُرِ والتنهدِ، وهو فارغٌ من صلاةِ الدموعِ، وعادِمٌ من القراءةِ، فهو سائرٌ في التيهِ، لأنه إذا أخطأ فلن يحسنَ. إنَّ الذي يمزجُ قراءته بالتدابيرِ والصلادةِ، يُعتَقَ من الطياشةِ.

قوتُ الجسدِ الماكلُ، وغذاءُ النفسِ الكلامُ والحكاياتِ. وكما أنَ شرَهَ كثرةِ الحكايات هو رغبةُ النفسِ، هكذا السكوتُ هو ثرةُ الحكمَةِ المزمعةِ. من يزيل من ضميرِ هفواتِ قريبهِ، يزرع السلامَ في قلبهِ. الساذجُ الحكيمُ باللهِ، أخيرٌ من الفهيمِ الغاشِ بضميرِهِ. الذي استبعدَ بطنهِ ولسانَهِ، أخيرٌ من الذي استبعدَ الأسدَ. والذي قَمَعَ الكلمةَ في قلبهِ، أخيرٌ من الذي طمرَ وزنتهَ في الأرضِ. الإنسانُ العادُمُ من الصلاةِ، ويجادلُ على الفضائلِ، لا فرقَ بينه وبين الأعمى العادمِ النورِ، ويجادلُ على حُسنِ الفصوصِ الكريمةِ والألوانِ الكثيرةِ. الذي يمحاكِنُ قبلةَ التأديبِ تبعده عنِ المراحمِ الأبويَّةِ. الذي يتذمَّرُ مقابلِ التجاربِ، تتضاعفُ عليهِ. الذي لا يتَّدبُ هنا ويُمْقتُ التجاربَ، يتَّدبُ هناكَ بلا

رحمةٍ. العادم من الأصدقاء المغوروين، عادمٌ من الضنكِ. من يصالح نفسه، أخيرٌ من يصالح شعوبًا وهو مُغضَّبٌ منقسمٌ على ذاته.

كما أنه لا يمكن أن نتعلم الصنائع من حكمة الكلام، هكذا لا يمكن أن نتعلم الفضائل التي للسيرة من قراءة الكتب وحدَّة الحركات ودقة الفهم، من دون تجربة طويلة بذواتنا، نستطيع بهما احتمال فلاحة الأعمال. أبله يصنع صناعة البحريَّة من ذاته، أخيرٌ من عارفٍ يتعلم سيرة الروح من أسطرِ الكتب، وبالتسليم من آخرين، من غير تجربةٍ محكمةٍ بذاته. الذي يعمل التوبة ويفلح في النسكِ بل وفي ممارسةِ الأعمالِ والفضائلِ، ولكنه يتكلَّ على بُرُّه، لا على النعمةِ، فهذا لا فرقَ بينه وبين من يجمع حجارةً لتعوشه (عن السير). هناك مَنْ صومُهُ أبعَدَه عن الحقِّ، وآخر بنسكه، وآخر بتجرده، وآخر بسهره، وآخر بعمله، وآخر بصدقته، وآخر باحتماله، وآخر بكمال أعماله الإلهية، وكم نريد أن نقول، لأن رينا حزم: بأنه من دوني لا تقدرون أن تعلموا شيئاً، أي بالهدوء وتواضع القلبِ اللذين بهما أنا قد غلبتُ العالمَ». (س: ٥٢٢٣ ج) Isaac. Ar. IV — مشورات نافعة في سيرة معرفة الحق ١-٢٥

٤٦

١١٤٠ — قال شيخٌ: «لا تطلب حوائجَ كثيرةً، لأنك عاهدت المسيحَ أن تعيشَ معه بالفقرِ، لأنَّ المسيحَ هو حيَاةُ النفسِ، وكلُّ من اقتناه في قلبه وفي فكره وكلُّ تصرُّفاته بامتدادِ عقله إليه، ينجحُ في سيرةِ هذا العمرِ، وينال الحياةَ التي لا تزول». (س: ٥٢٤ ج)

١١٤١ — وقال أيضاً: «من يخافُ من مرضِ الجسدِ، فهو عادمُ الفضيلةِ، وإذا عُتقَ بالكمالِ من الآلامِ، فحينئذ يسيرُ بغيرِ مانعٍ. القلبُ النقى ينظرُ كلَّ الناسِ أطهاراً، وهو وحده النحسُ. كن ملازمًا للمشايخ الروحانيين، وتعلَّم سيرتهم وابعدُ عن الأحداثِ والصبيانِ. أحبَّ السهر فإنه ينقى العقلَ، ولا تظنُّ في نفسِكِ، أنك تناولَ سيرةً فاضلةً، أو

خلاصةً لنفسِكَ بغير تعبٍ. لا تضعف عن مقاومة التجارب التي توافقك، بل اطلب من الله المعونة. قد سمعنا الله يقول: أنا معكم فلا تخذلُونا، ومن ذلك تحققنا أنه ليس بقوتنا نقاتلُ، بل بقوَّةِ اللهِ الذي ألبسنا سلاحَ الظُّفرِ وأعطانا الروحَ القدس.

الضجرُ إنما يعرض لنا من أن خوفَ اللهِ لم ينغرِس بعدُ في فكرنا، ولم ننسَ إلى الآن أكلَ حبزنا من صوتِ تنهذنا. فحبُّ الجسد، لا يدع عقولنا تسيرُ إلى فوق. إذا لم تتحرك الأوجاعُ على الإنسانِ، فلن يكونَ مجرّباً. النسيانُ هو هلاكُ النفوسِ، وقد يكون من التهاونِ. تحفظُ من النظرِ والحديثِ، لأنَّهما أسبابُ الخطيةِ. النوحُ يغسلُ الخطايا، ويتعبُ كثيرٌ يصلُّ الإنسانُ إليه، إذ لا يأتي البكاءُ إلا بكترةِ المذيد، وبذكرِ الموت، والدينونةِ المرهوبة، والعذابِ الدهري، وأنَّ تكفرَ بنفسِكَ وتقطعَ هواكَ وتحملَ الصليبَ». (س: ٥)

(٢٢٤ ظ)

مهم

القديس برصنوفيوس (٦)

١١٤٢ - من أقوالِ أبنا برصنوفيوس: «كُلُّ شيءٍ من أمورِ العالمِ هو فانٌ وليس بشيءٍ، فاسبقْ وصوّرَ اللهَ بين عينيكِ، وكنْ حريصاً في أنْ تتوبَ، لأنَّ زمانَكِ في هذا العالمِ قليلٌ. كنْ وديعاً بقلبكِ واذْكُر الخروفَ الوديعَ وكم صبر، ورغمَ أنه لم تكن له خطيةٌ، لكنه احتملَ الشتمَ والضربَ وسائرَ الأوجاعِ حتى الموت. اتعبْ وجاحدْ ليبعدَ عنكَ الغضبُ والجردُ بمعونةِ اللهِ الحقِّ، إلهكَ المسيحُ الذي أحبكَ له المجد دائمًا إلى الأبدِ آمين». (س: ٥ ظ ٢٢٤)

١١٤٣ - وقال أيضًا: لا تنمِّ يا أخي، لعنة يفوتكِ القائل: «هو ذا الختن قد أقبلَ، اخرجْ جنَّ للقاءِه». وكيف تستطيع أن تقولَ في ذلك الوقتِ إني مشغولٌ، وهو قد صيركَ

بلا همٌ، ولكنك تلقى بنفسك في الهموم، فلن ينتظرك الزمان لتنوح على خطاياك. انتقل بفكِّرِك من هذا العالم البطل إلى العتيد. اترك الأرضيات واطلب السماويات. مت بالكمال لكي تحيا بال تمام بال المسيح يسوع ربنا (Bar. Let. 37). كل من لا يتحمل المخرة والتبكّيت والإهانة، فإن الإنسان العتيق لا زال حيًّا فيه بعد. إن أردت أن تتلذذ بنعم الله، احرص بكل جهدك على أن تُبعد عنك كل لذة جسدية. إنسان ساكت، يجب عليه ألا يحسب نفسه شيئاً. إن زل الجاهل في كلامه فهو معذورٌ من الكل، وإن زل الراهب فلن يقدر أحد أن يعذرَه. (س: ٢٢٥ ج)

٥٤٦

الأب أوغريس (٢)

١١٤٤ - من أقوال الأنبا أوغريس: «من يقول إنه قد اقتني فضيلةً بغير جهاد، فهو إلى الآن ممسوك في الآلام، لأن شر الأعداء هو قبالة أتعابِ الفضيلة، والقلب الذي ليس به قتال، ليست فيه فضيلة ولا شجاعة. وكما أن الإنسان البراني يعمل شغل اليدي كي لا يحتاج، هكذا الجوانين يعمل لثلا يشغل العقل، لأن الأفكار إذا وجدت النفس بطاله من تذكرة الله، حينئذ يذكرونها بالأفعال الرديئة. الوديع ولو صنعوا به الشر، فلن يتخللى من المحبة، الذي ليس فيه قنية، له حياة بلا اهتمام، أما الحبُّ القنية، فله تنعيسٌ في قلبه، الذي هو الاهتمام.

لا تنس أنك أخطأت، حتى ولو أنك قد ثبتَ، بل اجعل النوح وتذكرة الخطيئة اتضاعاً لك، لكي بالاتضاع تتقى الكربلاء. اختم باب أتعابك بالصمت، لثلا يقلعه اللسان، فيفتح الحدُّ الفارغ الذي يترعها. كما أنك تخفي خطاياك عن الناس، كذلك أخفِّ أتعابك أيضاً، فإن كنت لله وحده ظهر نفائصك، فلماذا ظهر للناس تلك

الاتعاب التي تصنعها لأجله، بقلة رأيٍ. ممدوحٌ هو الإنسان الذي يربطُ النسك بالفهمِ، لكي تُروي النفس من هذين النوعين، وَتُظْهِرُ النسك بقتلِ الأعضاء التي على الأرضِ، أعني: الرزق والنجاسة والأغراض الشريرة. إنَّ من كان هُمَّه في تذكاري الموتِ، فذلك يهديه بخوفِ اللهِ. الذي يجمعُ كلامَ الكتبِ المقدسة إلى قلبه، يُلقي الأفكارَ براحةٍ، لأننا نحتاجُ إلى أتعابٍ كثيرةٍ لكي نقطعَ كمالَ الأفكارِ». (س: ٥ ج: ٢٢٥)

٤٦

الأب يحنّس

١١٤٥ - قيل عن أبا يحنّس^(١٠٨) الذي كان من أسيوط، إنه أقام ثلاثين سنةً في مغارةٍ، ضابطاً السكوتَ، والبابُ مختومٌ عليه، وكانوا يعطونه حاجته من طاقة، والذين كانوا يأتون إليه، كان يكتب لهم ويعزيهم. فحدث مرةً أنَّ أربعةً لصوصٍ نظروا كثرة الجموع التي كانت تأتي إليه، لأنَّ الله قد منحه موهبة الشفاء، فظنوا أنَّ عنده أموالاً في مغارته، فأتوه بالليل لينقبوها بباب المغارة، فضرموا بالعمى جميعاً، وبقوا هكذا واقفين خارج المغارة إلى الصباحِ، حيث أتى الناسُ وأمسكوا بهم، وأرادوا أن يسلموهم للوالى فيقتلهم، فتكلم معهم القديس قائلاً: «إن لم تتركوا هؤلاء الناس، فنعمَّ الشفاء تذهب عني»، فتركوه، وهذه هي الكلمة الوحيدة التي خرجت من فمهِ خلال مدةِ الثلاثين سنةً. (س: ٥ ظ) (Hist. gr. VI, 1-2).

٤٧

١١٤٦ - قال أخٌ لشيخٍ: «أجيدُ هو أنْ أَمَجِّدَ أخي؟»، فقال له الشيخُ: «إنَّ السكوتَ أفضل» (Abc. Poemen 47). ثم قال له: «لو أنك ملأتَ جرةً بخشراتٍ ضارٍ،

^{١٠٨} يأْتِي اسم هذا القديس «ثيُون» في كتاب *Historia Monachorum*، وهو غير القديس يوحنا الأسيوطي المذكور سيرته في نفس هذا الكتاب.

وسدّدتْ فُوهَتَهَا، ألا تموت جمِيعُهَا؟ ولكنك لو تركتَ فُوهَتَهَا مفتوحةً، فإن الحشرات سوف تخرجُ وتضرُّ من تصادفه، هكذا الذي يسكتُ، فجمِيعُ الأفكارِ الرديئةِ التي داخل قلبه تموتُ» (Eth. coll. 13,84). (س ٥: ٢٢٦ ج)

١١٤٧ - قال شيخ: «إن اللسان مملوء ناراً، وهو يُدنس جميعَ الجسدِ، فالذى يحبُ حياته، فليشفق على لسانه. احرس شفتيك يا رجل الله، وألزم لسانك كي تنتفع بجميع أتعابك، فالذى يحفظ لسانه، له كرامات كثيرة، فطوبى لمن يسود على لسانه، فإن أهراة مقتلئ من الخيرات». (س ٥: ٢٢٦ ج)

١١٤٨

العذاري العفيقات

١١٤٨ - حدثوا عن عذراء حرة عفيفة هادئة في منزلها، فأحبها شابٌ رديء، ولم يكن يكف عن التردد على منزلها، فلما شعرت العذراء بتردد وقتاله، شق ذلك عليها حداً وحزنت. فحدث في يوم من الأيام أنه جاء كعادته يدق الباب، وكانت العذراء حينئذ جالسة على المنسج، فلما علمت أنه هو الذي يدق على الباب، خرجت إليه ومعها كر��دها (أي مخرازها)، وقالت له: «ما الذي يأتي بك إلى هنا يا إنسان؟». فقال لها: «هواك يا سيدتي». فقالت: «وما الذي تهواه مني؟»، فقال لها: «عيناك فتنتاني، وإذا أبصرتك يلتهب قلبي»، فجعلت مخرازها^{١٠٩} في إحدى عينيها، وقلعتها بصramaة ورمتها له، وشرعت في قلع الأخرى، فأسرع الشاب وأمسك بيدها، فدخلت إلى منزلها وأغلقت بابها. فلما رأى الشاب أن عينها قد قلعت حزن جداً، وندم على ما كان منه، وخرج إلى البرية من ساعته وترهب. (س ٥: ٢٢٦ ج)

^{١٠٩} تأتي في المخطوطات: كركدهما.

١١٤٩ - قيل إنه لما نهَبَ بيتُ المقدس^(١١٠)، وقعتْ عذراءُ راهبةُ شابةٍ جميلةٍ في قسمِ أحدِ الفرسانِ، الذي أراد إفسادها. فقالت له: «تهَلْ قليلاً لأن بيدي مهنةً تعلمتُها من العذاريِّ، ولا تصلح لعملها إلا عذراء، وإلا فلا نفع لها». فقال لها: «وما هي؟»، فقالت له: «هي دهنٌ، إذا دهنَ به إنسانٌ، فلن يؤثرَ فيه لا سيفٌ ولا أي نوعٍ من الأسلحةِ البتة، وأنت تحتاجُ إلى ذلك، لأنك في كلّ وقتٍ تخْرُجُ للحربِ». فقال لها: «وكيف أتحقق ذلك؟»، فأخذت زيتاً ووجهت إليه الكلامَ قائلةً: «ادهن رقبتكِ، وأعطيكِ السيفَ كي أضربَكَ به». فقال لها: «لا، بل ادھنِي أنتِ رقبتكِ أولاً، وأنا أضربُ بالسيفِ»، فأجابتَه إلى ذلك ب بشاشةٍ، وأسرعت فدهنت رقبتها وقالت: «أضرب بكلّ قوتِكِ». فاستلَ سيفَه، وكان ماضياً جداً، ومدَّت القديسةُ رقبتها، وضربَ بكلّ قوَّةٍ، فتدحرجَ رأسُها على الأرضِ، ورضيَت عروسُ المسيح أن تموتَ بالسيفِ، ولا تدنس بтолيتها. فحزنَ الفارسُ جداً، وبكيَ بكاءً عظيمًا، إذ قتلَ مثلَ هذه الصورةَ الحسنةَ، وعرفَ أنها خدعته لتفلتَ من الدنسِ و فعل الخطيبةِ. (س: ٢٢٦ ظ) (Patr. III, p. 163-164)

١١٥-

١١٥ - قيل عن شيخٍ إنه كان جالساً في البريةِ سنينَ كثيرةً، وكان يتعبُ نفسهُ بأتّعابٍ كثيرةً، فلما رأه الإخوةُ هكذا، قالوا له: «لماذا تعاني هذه الأتعابَ الكثيرةَ، في هذا الموضعِ القفر؟» قال لهم الشَّيخُ: «هلرأيتم عذابَ جهنم؟»، قالوا له: «لا»، فقال لهم: «اغفروا لي، فإنَّ هذا التعبَ جمِيعَه الذي نكابده هنا، لا يعادلُ عذابَ يومٍ واحدٍ في جهنم».

(Sys. VII 32) (س: ١٨١ ظ)

^(١١٠) ترد هذه القصة في تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية في أحد أديرة الصعيد شرق النيل في منطقة أحшим في حرية البابا حائيل الأول البابا ٤٦ (٧٤٣-٧٦٥م).

١١٥١ - قال شيخ: «الدلالُ والمزاحُ والضحكُ، هذه ثُهلك، إذ تُشبه ناراً تشتعلُ

في قصبٍ». (س٤: ١٦٥ ج) (Bu. I, 283)

١١٥٢ - وقال شيخ: «إن السيرة اليابسة المقرونة بالحبة، تدخل الراهب إلى ميناءِ

غلبة الآلام بسرعةٍ». (س٤: ١٦٥ ج) (Sys. I,4)

١١٥٣ - قال أبا يمين: «من أدلة الرهبانية الشدةُ والمسكنةُ والمعرفةُ، لأنَّه

مكتوبٌ عن هؤلاء الثلاثة رجال: نوح وأيوب وDaniyal، إن نوحاً يشبه المسكنة، وأيوب يشبه الشدة، وDaniyal يشبه المعرفة، فإن كانت هذه الخصال الثلاثة موجودة في إنسانٍ،

فالله ساكنٌ فيه». (س٤: ١٦٥ ج) (Abc. Poemen 60)

١١٥٤ - وقال أيضاً: «بدء الشر هو السجس بالأخذ والعطاء» (Abc. Poemen 43).

وقال أيضاً: «إنه لأخير للراهب أن يفر من الجسدانيات، لأنَّه ما دام الإنسانُ قريباً من الجسدانيات، فإنه يشبه إنساناً جالساً عند فوهة حبٌ عميق، ففي أيٍّ ساعةٍ أراد العدو دفعه فيه، هان عليه طرحة فيه، أما إذا كان الراهب بعيداً عن الجسدانيات، فإنه يشبه رجلاً بعيداً عن الحب، ففي الوقت الذي يعملُ العدو على حره إليه، يكون الله قد بعث إليه من يخلصه». (س٤: ١٦٥ ج) (Abc. Poemen 59)

١١٥٥ - سأَلَ أخَ شيخاً: «هل تحبُّ يا أبي أن أحبسَ لنفسي دنانيرَ فتكونَ عندي

لولا يصيبني مرضٌ». فلما رأى الشيخُ أن فكرَه قد هوَى إمساكَ الدنانير، قال له: «نعم». فلما مضى، أزعجهاته أفكارُه قائلةً له: «أترى بحقِّ قال لكَ الشيخُ أم لا؟» ثم قام أيضاً، ورجع إلى الشيخ وطلب إليه قائلاً: «من أجلِ اللهِ، قل لي الحقُّ، لأنَّ أفكارِي تحزنني جداً من أجلِ الدنانير». فقال له الشيخُ: «إني لما أبصرتُ أنك تحبُّ إمساكَ الدنانير، قلتُ لكَ أمسك أكثرَ من حاجتكَ، أما إنْ أمسكتَ بالدنانير، فسوف يكون رجاوكَ عليها، فإن

هي نفدت، فإن الله لن يهتم بك ولن يعينك». (س٤: ١٦٥ ظ) (An. 262)

١١٥٦ - قال أبا ماطويس: «إني أحب العمل الخفيف الدائم، أكثر من عملٍ شديد في بدئه، لا يلبث أن ينقطع سريعاً». (س٤: ١٦٥ ظ) (Abc. Matoes 1)

١١٥٧ - قال أبا بيمين: «علامة الراهب إنما تُعرف من البلايا». (س٤: ١٦٥ ظ) (Abc. Poemen 13)

١١٥٨ - سأله شيخاً قائلاً: «أي شيء أصنع، فإن أفكاراً كثيرة تقاتلني، ولست أدرى كيف أقاتلها؟» فقال له الشيخ: «لا تقاتل مقابل الكل دفعه واحدة، ولكن قاتل واحداً، لأن أفكار الراهب إنما لها رئيس، فاجعل بالك إلى رئيسها، ونحوه اجعل قاتلك، فإذا هزمت ذلك الفكر، فقد أهزمت البقية». (س٤: ٣٠٢) (Bu. I, 302)

١١٥٩ - قال شيخ: «كما أن الفارس إذا خرج للقتال لا يهتم بأحد من الناس، ولا يفكّر إن كان هذا قد طعن أم ذاك، أو إن كان هذا قد خلص أو ذاك، وإنما همه كلّه يكون في نفسه كيف يخلص، هكذا ينبغي أن يكون الراهب». (س٤: ١٦٥ ظ) (An. 267)

١١٦٠ - عَبَرَ راهبٌ براهِب، فقال له: «ما هو تمامُ الحكمة؟»، فأجابه: «ليس الحكيمُ التامُ هو ذاك الذي يفرح بشيءٍ من لذات هذه الدنيا، أو يحزن بشيءٍ من مصائبها أو يغتم به، وإنما الحكيمُ التامُ هو ذلك الذي لا تُفرجه السرّاء، ولا تحرنه الضرّاء، بل يكون عارفاً الابتداء، وما يقول إليه الانتهاء». (س٤: ١٦٥ ظ)

١١٦١ - حدثنا أحد الآباء قائلاً: إني في بعض الأوقات كلمت الإحوة كلاماً نافعاً، فغرقوا في النوم غرقاً، انتهوا فيه إلى أنهم ما استطاعوا أن يجرّكوا جفوئهم، فأردت أنا أن أبين فعل الشيطان، فأوردت حديثاً باطلأ، فانتبهوا للوقت وفرحوا، فتحسرت وقلت: «إلى هذا الوقت كنا نتكلّم في أشياء سماوية، فكانت أعينكم كُلُّكم غارقة في

النوم، فلما أوردنا أقوالاً باطلة، قمتم كُلّكم بنشاطٍ، فلهذا أسألكم يا إخوتي، أن تعرفوا فعل الشيطان الخبيث، وتصغوا إلى أنفسكم، مخترسين من النعاس، متى عُلمتم وسمعتم شيئاً روحانياً». (س: ٤٦ ج) (Abc. John Cassian 6)

١١٦٢ - أخبروا عن راهبين قديسين، كانوا أخوين وسكنوا البرية، فحرص الشيطان على أن يُفرقَ بينهما، ففي بعض الأيام أوقاد الصغيرُ منها سراجاً ووضعه على منارة، وبجحيلة من الشيطان وقع السراجُ وانطفأ، فحيينذ حرد الكبيرُ وضربه، فصنع الصغيرُ له مطانية، وقال له: «لا تصحر يا أخي، أطِلْ روحك علىيَّ، وأنا أوقدها مرةً أخرى»، فلما أبصر الربُّ صيرَ الأخِ، عذبَ ذلك الشيطانَ إلى الصباحِ، ثم ذهب ذلك الشيطانُ فأخبرَ رئيسَ الجنِ بما كان، وكان كاهنُ الأواثانِ، الذي يخدمهم موجوداً، فلما سمع هذا الكلامَ ترك كلّ شيءٍ وآمن وترهب؛ ومن بدء رهباته، كان يستعملُ الاتضاعَ الكاملَ، وكان يقولُ: «إنَّ الاتضاعَ يقدرُ أن يقهرَ ويميلُ ويُبطلَ كلَّ قوةِ العدو، وقد سمعتهم يقولون بعضُهم لبعضٍ: إنه كلما ألقينا السجينَ بين الرهبانِ، نجدهم يتلقونه بالاتضاعِ، ويعمل بعضُهم لبعضٍ مطانيات، فكانوا بذلك يُبطلونَ قوتنا». (س: ٣٤ ج) (Bu. I, 234)

١١٦٣ - أحَّ من الإخوة سأَلَ شِيخاً وقال: «يا أبَتِ أعني فقد أهلكتني أفكارُ الزنى؟»، فقال له الشيخُ: «يا ابني، إن كنتَ تستطيعُ، فلا تترك الفكرَ يسكنُ عندك»، قال: «وكيف أستطيعُ ذلك يا أبَتِ؟»، قال: «كلما بدأ الفكرُ، فلا تدعه يصعدُ إلى دماغك، بل ألحقه بذكر الموتِ، وخوفِ اللهِ، واذكر تَنَكَّ، وكيف تصيرُ في القبرِ، لأنَّ هذا الفكرَ الرديءِ، إنَّ غَلَبَ الإنسانَ يقوده إلى قطعِ الرجاءِ واليأسِ من الخلاصِ، وكمثل السفينةِ التي تصدمها الأمواجُ، والعواصفُ الشديدةُ، وأهوالُ البحرِ، فإنَّ أُنزلَ عنها قدرُ من الرملِ أو ما تحملُ ليخفَّ حملها، فإذاً لن تعطبَ سريعاً، بل تسبح، وإن انكسرت

قربُها أو شيءٍ منها، فلا زال لها أملٌ صالحٌ في السلامَةِ. أما إن أصيَّت بثقبٍ من أسفلِها، وامتلأت ماءً، فقد عطبت. هكذا تكون حالُ الراهب، فإنه إن توانَ قليلاً في بعضِ الأشياءِ، فهو يُؤمِّل أن يغلبَ بالتوبيهِ، أما إن سقطَ دفعَةً واحدةً في الزَّنِي، فقد عَطَّبَ ويُوشِّكُ أن يُقادَ إلى اليأسِ في هذا الغرقِ». (س٤: ١٦٦ ج)

١١٦٤ - قال أحدُ الآباءِ: «إن لم تهزِّ الريحُ الشجرَةَ، فلن تنشأَ لها أغصانٌ، ولن تنمو فروعُها، هكذا الراهبُ إن لم تنهِ محنَّ، فيصير شاكراً، فلن يصيرَ متجلداً ولا شجاعاً». (س٤: ١٦٦ ظ) (PE III 33,7,4)

١١٦٥ - سأَلَ أحدُ الإخوةِ شيخاً وقال: «ما هي فلاحَةُ النَّفْسِ؟»، فقال الشيخُ: «إنَّ فلاحَةَ النَّفْسِ هي السُّكُوتُ، وضيْبطُ الْهُوَى، وشقاءُ الجسدِ، والصلادةُ الكثيرةُ، والامتناعُ عن معاتبةِ زلاتِ النَّاسِ، وتأمُّلُ الإِنْسَانَ في هفواتِهِ وحدهِ، فمَنْ ثَبَّتَ الإِنْسَانُ في هذهِ الفضائلِ، فَإِنَّ نَفْسَهُ لَا تَبْطِئُ فِي التَّجَاحِ وَالنَّمْو حَتَّى تَثْمِرُ». ثم سأَلَهُ الأخُ: «وَمَا هُوَ نَجَاحُ الرَّاهِبِ؟» فَقَالَ: «هُوَ التَّوَاضُعُ، لَأَنَّهُ بِمَقْدَارِ تواضعِهِ كَذَلِكَ يَكُونُ صَعُودَهُ إِلَى عَلُوِّ الْفَضْيَلَةِ». وَسَأَلَهُ كَذَلِكَ: «كَيْفَ تَقْتَنِي النَّفْسُ الْفَضْيَلَةَ؟» فَقَالَ: «إِذَا هِيَ اهْتَمَتْ بِزَلَاتِهَا وَحْدَهَا». (س٤: ١٦٦ ظ)

١١٦٦ - قال أَنْبَا ماطويِس: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَعْرُفُ فِي أَيِّ الْأَوْجَاعِ تَنْهَزُمُ النَّفْسُ، وَلَكِنَّهُ يَزْرُعُ، وَلَا يَعْلَمُ هَلْ سِيَحْصُدُ أَمْ لَا؛ إِنَّهُ يَزْرُعُ زَنِيَّ، وَدِينُونَةَ، وَوَقِيعَةَ، وَقَتْلَةَ، وَجَمِيعَ الْأَوْجَاعِ وَالشَّرُورِ، فَأَيُّ وَجْهٍ يَرَى النَّفْسَ مَائِلَةً إِلَيْهِ، فَفِيهِ يَشْغُلُهَا». (س٤: ١٦٦ ظ) (Abc. Matoes 4)

١١٦٧ - قال قائلٌ من الإخوةِ الرَّهَبَانَ لشَيْخٍ مِّنَ الشَّيْوَخِ: «يَا أَبِي، لَسْتُ أَحَدُ فِي قَبْلِي قَتَالاً»، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تُشَبِّهُ الْقَبَّةَ الْمَرْتَفَعَةَ فِي وَسْطِ السَّوقِ، فَكُلُّ مِنْ أَرَادَ حَازَّ تَحْتَهَا،

كذلك قلبك؛ أما إن أغلقتَ بابَ قلبك، ولم تدخله الأفكارُ الرديئةُ، فإنك ستنظرُ الأعداءَ
يقاتلونك قتالاً شديداً» (Bu. I, 361)

١١٦٨ - سُئل شيخ من الرهبان: «ما هو الاتضاع؟»، فقال: «إنه عملٌ كبيرٌ
إلهي، وطريقةٌ متتبعةٌ للجسدِ، وأن تَعْدُ نفسَك خاططاً، وأقلُّ الناسِ كُلَّهم»، فقال له الأخُ:
«وكيف أكونُ أقلُّ الناسِ؟»، أجابه الشيخُ: «ذلك بأن لا تنظرَ إلى خطايا غيرك، بل
تنظرَ إلى خطاياك، كما تسأل الله دائمًا أن يرحمك». (س: ٤٦٦ ظ) (An. 323)

١١٦٩ - قال أحدُ الإخوةِ لشيخِ مجرَّبٍ: «قل لي يا أباَه أمراً واحداً لأحفظه
وأخلصَ به»، فقال له الشيخُ: «إن شُتمتَ فلو أمكنكَ أن تتحملَ، فذلك من أشرفِ ما
يكون» (An. 324, Chaîne 150)، وقال الشيخُ أيضاً: «كُلُّ من استطاعَ أن يتحملَ محقرةً، أو
شتمةً، أو خسراناً جسدياً، فإنه يخلص» (An. 325, Chaîne 151) (س: ٤٦٦ ظ)

١١٧٠ - سألهُ الأخُ شيخاً: «كيف أعلمُ وأنا في القلادةِ، إن كنتُ قاطعاً لمشيئتي،
وكذلك إذا كنتُ بين الناسِ، وما هي مشيئَةُ اللهِ، وما هي مشيئَةُ الشيطان؟»، فأجابه:
«أما قطعُ الراهبِ لمشيئته في قلادته، فذلك بتهاونه بالنیاح الجسداني في جميع الأحوالِ
والأمورِ، أما إذا كان بين الناسِ، فليكنْ كالميتِ بينهم، أو كالغائبِ عنهم. أما مشيئَةُ اللهِ،
فهي ألا يهلكَ أحداً، كما كُتبَ في الإنجيل؛ وأن يُقبلَ الكلُّ إلى معرفةِ الحقِّ، كما قالَ
الرسول بولس؛ وألا يموتَ الإنسانُ وهو خاطئٌ، بل أن يتوبَ ويحيا، كما قالَ النبيُّ
حزميَّ، وأما مشيئَةُ الشيطان فهي: ثقةُ البارِ بنفسهِ، وعدُمُ توبَةِ الخاطئِ عن خططيئته».
(س: ٤٦٧ ج)

من تعاليم أبا إشعيا (٣)

١١٧١ - قال أبا إشعيا: «اكتفوا من القوتِ باليسيرِ الحقيرِ، ولا تطعوا العدوَ في مشورتهِ في الضيافةِ باللذيدِ الكثيرِ، فقدْ هُنَّ الربُّ (مرثا) تلك التي أضافتهِ، عن الاهتمامِ والقلقِ. ولما أضافَ الذين تبعوهُ، لم يُحضرْ لهم أصنافاً كثيرةً، وإنما أحضرْ لهم ما كان حاضراً عند أحدِ التلاميذِ. تشبهوا أيضاً بالأرمدةِ التي أضافت النبيَّ بما وُجِدَ عندها من الخبزِ والماءِ، ولا تشتتوا الإكثارَ من القنيةِ، من أجلِ ضيافةِ الغرباءِ ورحمةِ المساكينِ، فإنَّ هذا أيضاً من خداعِ الشياطينِ، الذي يقود إلى الاشتغالِ بالاهتمامِ، وإلى السُّبح الباطلِ، فاليسيرُ الحاضرُ ممدوحٌ كفلسي الأرمدةِ». (س٤: ١٦٧ ج)

١١٧٢ - سؤال: «بأيِّ فكرٍ يُخرجُ إبليسُ المحتالُ الراهبَ من قلاتهِ».

الجواب: «إنَّ إبليسَ مثلَ الرافيِّ، فعلى مثالِ الرافيِّ الذي يُخرجُ الحياةَ من عُشَّها بكلامٍ لطيفٍ، فإذا أخذها فإنه يطوفُ بها ويطرحها في شوارعِ المدينةِ يلاهي بها الناسَ، حتى إذا شاحتَ معه، فإما أن يحرقها بالنارِ، أو يغرقها في الماءِ، وعلى هذا المثال يكونُ الراهبُ، إذا سحبتهِ الأفكارُ وتركَ قلاتهِ». (س٤: ١٦٧ ج) (PE IV 5,2,44)

١١٧٣ - سؤال: «كيف ينبغي للراهبِ أن يمارسَ خدمتهِ في الترتيلِ وتقديرِ الصوم».

الجواب: «سيلُّهُ أن لا يعملَ شيئاً يزيدُ على المرسومِ، وذلك لأنَّ كثيرينَ أرادوا أن يزيدوا على ما رُسِّمَ لهم، فما استطاعوا فيما بعد أن يعملا حتى ولو أقلُّ منه». (Guy, 7, p.410)

١١٧٤ - سؤال: «إن ارتابَ فيَ أَخْ من الرهبانِ، أتؤثِّرُ أن أسجدَ له سجدةً؟».

الجواب: «اسجدَ له سجدةً واقطعْ ذاتكَ منه، فإنَّ أباً أرسانيوسَ قالَ: أحبُ الكلَّ

وأنت بعيد عن الكل». (س٤: ١٦٧) (Guy, 10, p.411)

١١٧٥ - سؤال: «ما هي خطيئة الواقعة؟»

الجواب: «إن خطيئة الواقعة من شأنها أن لا تترك صاحبها يحضر قدام الله، لأنه مكتوب: إن كنت أطربَ مَنْ كان يعاتِبُ صديقه سرًّا». (Guy, 12, p.411)

١١٧٦ - سؤال: «إن أرزمي أخٌ أشربَ معه قدحًا من النبيذ في قلابته، فهل جيدٌ لي أن أذهب معه؟»

الجواب: «أهربْ من شرب الخمر، تسلّم سلامة الغزال من الأوهاف^(١١١) (أي من حبل الصياد)، وذلك لأن كثيرين بسبب هذا الأمر، اندفعوا إلى السقوط بالأفكار». (س٤: ١٦٧) (Guy, 8, p.410)

١١٧٧ - سؤال: «إن أريد أن أستشهد من أجل الله».

الجواب: «من احتمل رفيقه في وقت الشدة فذاك قد أصبح داخل أتون الثلاثة فتية». (س٤: ١٦٧) (Guy, 13, p.411)

١١٧٨ - سؤال: «ما بال زنى يؤذى الإنسان، ويلح عليه كثيراً؟»

الجواب: «لأن الشيطان قد عرف أن الزنى من شأنه أن يجعلنا عراةً من الروح القدس، واسمع ربنا قائلاً: لا ثبت روحى في هؤلاء الناس بسبب كونهم زناة». (س٤: ١٦٧) (Guy, 16, p.412)

١١٧٩ - أخٌ من القلالي بل خوصاً، فلما جلس يعمل، قال له فكره: «اذهب إلى

^(١١١) الوَهَقُ: الحبل السُّمْغَارُ يُرمى فيه أنشطة فتوخذ فيه الدابة والإنسان، والجمع أَوْهَاق (لسان العرب).

فَلَانُ الشِّيخِ»، فَقَالَ هُوَ لِفَكْرِهِ: «اَصْبِرْ، سُوفَ تَذَهَّبْ بَعْدَ أَيَّامٍ»، فَقَالَ لَهُ فَكْرِهِ: «فَإِنْ مَتَّ، فَكَيْفَ تَذَهَّبْ؟ اَذْهَبْ لِتَسْأَلَهُ عَنِ الْحَصَادِ»، فَرَدَ عَلَى فَكْرِهِ: «لَا يَأْتِي زَمَانٌ الْحَصَادِ»، كَمَا رَدَّ عَلَى فَكْرِهِ قَائِلًا: «لَا أَفْرَغَ مِنْ هَذَا الْخَوْصِ الْمُبْلُولِ، سُوفَ أَذَهَبْ».

ثُمَّ عَادَ فَكْرِهِ وَقَالَ لَهُ: «الْمَوَاء طَيْبُ الْيَوْمَ»، وَإِنَّهُ مِنْ سَاعَتِهِ نَفْسُهُ، وَذَهَبَ إِلَى الشِّيخِ، وَكَانَ هَذَا الْأَخُ حَارٌ قَدِيسٌ يَرَى الْغَيْبَ، فَلَمَّا رَأَاهُ ذَاهِبًا، صَاحَ بِهِ قَائِلًا: «يَا مُسِيَّ، ارْجِعْ وَتَعَالِ»، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ: «اَرْجِعْ إِلَى قَلَائِيلِكَ»، فَحَدَّثَهُ بِقَاتِلِهِ كُلُّهُ، وَصَنَعَ لَهُ مَطَانِيَّةً، وَرَجَعَ إِلَى قَلَائِيلِهِ، فَصَاحَتِ الشَّيَاطِينُ بِصَوْتٍ عَالٍ: «غَلَبْتَمُونَا يَا رَهْبَانِ»، وَصَارَتِ الْحَصِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ تَلْتَهَبْ كُلُّهَا نَارًا، ثُمَّ بَادُوا مُثْلَ الدَّخَانِ. وَهَكُذَا تَعْلَمُ

ذَلِكَ الْأَخُ خُبْثُ الشَّيَاطِينِ وَحِيلَهُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ (Chaîne 92, An. 278)

١١٨٠ - قَالَ شِيْخُ أَنْبَا بِيمِينٍ: «إِنْ رَأَيْنَا أَحَدَ الْإِخْرَوَةِ يَخْطُطُ، فَهُلْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَبْكِيْهُ؟» فَقَالَ أَنْبَا بِيمِينٍ: «إِنِّي إِذَا كَنْتُ ذَاهِبًا لِقَضَاءِ مَصْلَحَةٍ مَا وَعَرَتْ عَلَيَّهِ وَرَأَيْتُهُ يَخْطُطُ، حَتَّى وَلَوْ جَزَتْ بِجَانِبِهِ، فَمَا كَنْتُ أَبْكِتُهُ (Abc. Poemen 113). لَأَنَّهُ، وَلَوْ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ: اشْهَدْ بِمَا تَرَاهُ عَيْنَاكَ، وَلَكِنِي أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَجْسُسُوا بِأَيْدِيكُمْ، فَلَا تَشَهِّدُوا. لَأَنَّهُ حَدَثَ مَرَّةً أَنْ لَعَبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِ الْإِخْرَوَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَنَظَرَ وَإِذَا أَخْرَوَهُ مَعَ امْرَأَةٍ فِي خَطِيْطَةٍ، فَلَمَّا قَامَ عَلَيْهِ الْقَتَالُ جَدًّا، لَمْ يَصِرْ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: كَفِيْ، حَتَّى مَتِّ؟ فَبَعْتَهُمْ تَلَالِيْسَ قَمْحٍ. فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَكْرَرُ لَكُمْ وَأَقُولُ: إِنْ لَمْ تَجْسُسُوا بِأَيْدِيكُمْ، فَلَا تَبْكِتُوْهُ أَحَدًا» (Abc. Poemen 114) (س٢: ٤٧٠)

١١٨١ - ذَهَبَ أَخٌ إِلَى أَنْبَا بِيمِينٍ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تَأْمِنِي أَنْ أَفْعَلَهُ؟»، قَالَ لَهُ الشِّيْخُ: «كَنْ صَدِيقًا لِمَنْ يَحْكِي عَنْكَ بِالشَّرِّ، وَهَكُذَا تَحْيِزُ أَيَامَكَ بِنِيَاجٍ». (س٤: ١٦٧ ظ) (Abc. Poemen 163)

١١٨٢ — قال أنبا زوسيمما: إني بينما كنتُ في الدير بمدينة صور، جاءنا رجلٌ شيخٌ فاضلٌ. وبينما كنا نقرأ فصولاً مما قاله الشيوخُ، لأن الطوباوي كان يحبُ قراءتها دائمًا، ولذلك استمر منها الفضيلة. فاتفق أننا وصلنا في قراءتنا إلى خبرِ ذلك الشيخ الذي طرقه اللصوصُ وقالوا له: «جئنا لأخذ جميعَ ما في قلابتك»، فقال لهم: «خذوا ما شئتمُ أيها الأولاد»، فلما أخذوا جميعَ ما وجدهوا مضواً بعد أن نسوا مخلةً، فأخذها الشيخُ وجرى وراءهم صارخًا قائلًا: «أيها البنونخذوا مني ما قد نسيتُوه في القلابة».

فتعجبوا من سذاجةِ الشيخِ، وأعادوا إليه سائرَ ما أخذوه، وندموا قائلين بعضُهم لبعضٍ: «بالحقيقة إن هذا الإنسانَ رجلُ اللهِ» (Abc. Euprepios 2). ففي قراءتنا لهذا الفصل، قال لي الشيخُ: «هل علمتَ يا أبنا أن هذا الفصل قد نفعني منفعةً كبيرةً؟» فقلتُ: «وكيف نفعك أيها الأب؟» فقال لي: «لما كنتُ في نواحي الأردن قرأته وعجبتُ من الشيخِ، وقلتُ في نفسي: يا ربُ أهلكي لأن أسلكَ في سبيله، يا من أهلكني لأن أليسَ زَيْه. ولما كان هذا بشوقٍ مِنِّي، فقد حدثَ بعد يومين أن طرقَ باي لصوصُ، فلما قرعوا البابَ، وعلمتُ أنهم لصوصُ، قلتُ في نفسي: المجدُ للربِ والمنة منه. ها قد جاعني الوقتُ لأظهرَ ثرَّةَ شوقي. ففتحتُ لهم واستقبلتهم بشاشة. وأوقدت السراجَ وبدأتُ أقولُ لهم: لا تُقلقاً ثقتي باللهِ، إني سوف لا أخفِي عنكم شيئاً، فقالوا لي: ألك ذهب؟ قلتُ نعم، لدى ثلاثة دنانير. وفتحت القفةَ قدامهم، فأخذوا وانصرفوا بسلامٍ».

أما أنا فقد تباحثتُ مع الشيخِ وقلتُ له: «ألم يعودوا كأولئك الذين طرقوا ذلك الشيخ؟» فقال بسرعةً: «لا يغفل اللهُ عن ذلك. لأنَّ ولا هذا اشتهرتُ، أعني رجوعهم»، وقال: «ها شوقُ الشيخِ. فماذا منحه وماذا أعطاه؟ إنه ليس فقط لم يحزن، ولكنه يفرح بالحربي كمن استحق هذه الموهبة». وقال دفعاتٍ كثيرةً: «إننا في أمس الحاجةِ إلى

استيقاظٍ كثيرٍ، وعقلٍ غزيرٍ، نلقى به فنون الشيطان، لأنه يسبب لنا الانزعاج من لا شيء، ودفعات بسبب حجة واجبة، كمن قد حَرَدَ بسببِ واجبٍ في موضعه، فهذا الأمرُ غريبٌ جدًا، وأجنبٌ عن المشتاقين إلى سلوك طريق الله، حسينا يقول القديس مقاريوس، إذ قال: الحَرَدُ غريبٌ عن طبقة الرهبان، كما أن حزنَ الأخ أيضًا، غريبٌ عن طريقة الرهبان». (س: ٥ ظ: ٢٢٦)

١١٨٣ - وقال: «إنني في وقتٍ ما، استحسنتُ مصحفًا (أي إنجليلًا) عند أحد النساخِ، الذي كان ماهراً (في النسخ)، وبعد أن فرغ من نسخه، أرسل إليّ يقول لي: هنا قد فرغتُ من نسخه، متى تشاء أن أرسله لتأخذنه؟ فلما سمع أحدُ الإخوة ذلك، مضى باسمي إلى النساخِ، ودفع له دنانير عن نسخه وأخذنه، ولم أكن أنا عارفاً بذلك، فأرسلتُ أخاً من إخوتي ومعه دنانير، وكتبتُ إلى النساخِ ليسْلمَه المصحف، فلما تحقق النساخُ أنه قد لعب به وخدعه، ذاك الذي سبق فأخذنه، انزعج لذلك، وقال: ها أنا ماضٍ إليه لأوجهه أولاً، لأنه غرّ بي، وأنخذ ما ليس له. فلما سمعتُ بذلك، أرسلتُ إليه أقولُ له: أنت تعلم يا أخي أننا نقتني المصاحفَ كي نتعلم منها المسكنة، والحبة، والوداعة، فإذا كانت فاتحة اقتناءِ المصاحف ب مجردِ وخصوصة، فلستُ أريد اقتناءَه، ولن أحاربَ أحدًا، ولن أخاصمه بسبب ذلك، لأن الخصومة والمنازعة لا تليقُ بعيدَ اللهِ، وهو أنا قد طرحتُ عني أمرَ هذا المصحف، فلا تُقلق الأخَ بسببه بالكلية. ولما تذكرتُ حالَ الشيخِ الذي كان الأخُ حارثُ يسرقُ ما يجده له، وأنه علم ذلك ولم يوبّخه، بل صار يعمل أزيدَ من رسمِه الأول قائلاً: ربما يكون الأخُ محتاجاً، تعجبتُ من تحننِ القدисين، وتذكرتُ الشيخَ الذي سُرقت آنيته، ولما وجدتها في قلابةِ الأخِ، احتشمَ الشيخُ، واحتفضَ إلى أن خبأها الأخُ وسترها. ولما ضُبطَ الأخُ من الوالي، مضى الشيخُ ولاطفَ الوالي، حتى أخرجَه من الحبس». (س: ٥ ظ: ٢٢٧)

١١٨٤ - وقيل عن هذا الشيخ أيضاً، إنه مضى وقتاً ما إلى السوق ليتاجَّ له ثوباً، فدفع ثمنه ديناراً واحداً، وأخذه ووضعه تحته، إلى أن يتم عدد الدرهم الباقي من ثمنه، ثم بعد السداد يلبسه، فعبر به من أرادأخذ الثوب، وأحسنَّ الشيخ بذلك، فتحنن على أخيه، وتتحنّ في حلسته قليلاً عن الثوب الذي تحته، حتى أخذ الثوبَ ومضى، وما وبّخه الشيخ على ذلك. (س: ٥: ٢٢٨ ج)

١١٨٥ - وقال الطوحاوي: «كم كانت تضحيته بالأوعية التي تضيع أو الثوب؟ ولكن مروءته كانت عظيمة، لأنَّه أظهر بما فعله، أنها في حال كونها له، كانت كأنَّها ليست له، وكذلك لما أخذت منه، بقي غير مغمومٍ عليها، ولم يتزعج لضياعها، لذلك أقول: ليس امتلاكنا الشيء مؤذياً، ولكن ميلنا وانصبابنا إلى امتلاكه، هو المؤذى، فمثل هذا، لو كان له كُلُّ العالم، لكان حَالُه كحالٍ من لم يمتلكه، لأنَّه أظهر بتصرفه، أنه معتوقٌ من كُلِّ الأشياء». (س: ٥: ٢٢٨ ج)

١١٨٦ - وقال: «إن الشياطين متى رأوا إنساناً غير مائلٍ، ولا منصبًا إلى الأمور، فلا يحزن لفقدتها، حيثند يعلمون أنَّ هذا الإنسان الذي صفتُه هكذا، يمشي على الأرض، وليس له هوئيَّة أرضيَّة، وذلك يرجع إلى الميل والحركات الخاصة بالنيات والإرادات، لأنَّه يمكن لإرادة وحركة صادرة عن نية واحدة، إذا كانت شديدة الحرارة، أن تقدَّم الله في ساعة واحدة، ما لا تقدمه حركة نية أخرى في خمسين سنة». (س: ٥: ٢٢٨ ج)

١١٨٧ - وقال الطوحاوي أيضاً: إن إنساناً أحيره بأنه كان له معلمٌ وديع جداً، وقال إنه لعظيم فضيلته، والآيات التي كان يعملها، اعتقادتْ فيه تلك الكورة إنه ملاكُ الله، فدخل عدُونا في وقت ما في أحد الناس، وجاء إليه وشتمه شتيمةً كثيرةً في غاية القبح، بمُشهَدٍ من الكل، والشيخ ناظرٌ إلى فم شاته لا غير، وقال له: «إن نعمة الله على

فِمِكْ يَا أَخِي»، فَأَجَابَهُ ذَاكُ: «يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الرَّدِيءُ، يَا مَنْ كُلُّ شَيْمَتِهِ تَقُولُ هَكُذَا، حَتَّىٰ
مَتَّ تَتَصْنَعُ بِذَلِكَ أَمَامَ النَّاسِ؟»؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «بِالْحَقِيقَةِ يَا أَخِي، مَا تَقُولُهُ هُوَ حَقٌّ».
وَبَعْدَ ذَلِكَ سَأَلَهُ سَائِلٌ: «الآن، أَمَا ازْرَعْجَتْ يَا رَاهِب؟»؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ كَنْتُ أَحْسَنُ فِي
نَفْسِي أَنَّ اللَّهَ يَسْتَرُهَا». وَكَانَ هَذَا الطَّوْبَاوِي يَقُولُ مَرَارًا كَثِيرًا: «مَا قَدْ عَرَفْنَا نَحْنُ
الْبَشَرَيْنَ لَا الْحَبَّةَ وَلَا الْإِكْرَامَ، بَلْ قَدْ ضَيَعْنَا عَقْوَلَنَا، لَأَنَّهُ لَوْ احْتَمَلَ الْإِنْسَانُ أَخَاهَ قَلِيلًا
وَقَتْ حَرْدَهُ وَغَضْبَهُ، ثُمَّ عَادَ (ذَاكُهُ) بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى نَفْسِهِ، وَعَرَفَ كَيْفَ احْتَمَلَهُ أَخَوهُ، فَإِنَّهُ
يَضْعُفُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِهِ». (س: ٥ ظ: ٢٢٨)

١١٨٨ - وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَشْكُرَ هُؤُلَاءِ، وَيَعْتَقِدُ فِيهِمْ، إِنَّ
كَانَ ذَا أَلْمٍ وَانْفَعَالٍ، إِنَّهُمْ أَطْبَاءٌ يَدْاُونَ جَرَاحَ نَفْسِهِ؛ وَإِنْ كَانَ عَدِيمَ الْانْفَعَالِ وَالْأَلْمِ، إِنَّهُمْ
مُحْسِنُونَ يَسْبِيُونَ لَهُ مُلْكَ السَّمَاوَاتِ». (س: ٥ ظ: ٢٢٨)

١١٨٩ - وَسُئِلَ أَيْضًا: «كَيْفَ السَّبِيلُ لِلْإِنْسَانِ كَيْ لَا يَجِدْ وَقْتَ شَتِيمَهُ وَتَعِيرِهِ
مِنْ بَعْضِ النَّاسِ؟»؟ فَقَالَ: «إِنَّ ازْدَرِي الْإِنْسَانَ بِنَفْسِهِ وَحَقْرُهَا فَلَنْ يَقْلُقَ وَلَنْ يَضْطَرِبَ
وَذَلِكَ حَسْبَمَا قَالَ الْقَدِيسُ يَسْعِيْنِ: إِنَّ ازْدَرِيَتَ بِنَفْسِكَ وَحَقَرَهَا، فَقَدْ أَرْحَتَ نَفْسَكَ
وَنَيَحْتَهَا». (س: ٥ ظ: ٢٢٨) (Abc. Poemen 81)

١١٩٠ - وَقَالَ أَيْضًا: فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ جَاعِنِي أَحَدُ الْإِلَاحِوَةِ الْآخَذِينَ مِنِي
الْإِسْكِيمَ، وَكَنْتُ أَلَاطِفَهُ، لَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الشَّبَانَ الْمُتَرْفِينَ، فَقَالَ لِي: «يَا مَعْلِمَ، إِنِّي أَحْبَبُكَ»،
فَقَلَّتُ لَهُ: «إِنِّي لَمْ أَجِدْ بَعْدَ مِنْ يَحْبِي كَمَا أَحْبَبْتَكَ، أَنْتَ قَلَّتَ إِنَّكَ تَحْبِبِي، وَصَدَقَتُ قَوْلَكَ،
وَلَكِنَّكَ إِنْ عَرَضَ لَكَ مِنِي أَمْرٌ لَا تَرِيدُهُ، فَإِنَّكَ سُوفَ لَا تَثْبِتُ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ الْآنَ،
أَمَا أَنَا فَلَا يَغْيِرُنِي عَنِ الْحَبَّةِ عَارِضٌ مَا». وَحَدَّثَ، بَعْدَ أَنْ عَبَرَ زَمَانًا يَسِيرًا، أَنَّ انْفَصَلَ مِنِي
وَصَارَ يَسْبِيًّا كَثِيرًا، وَيَقُولُ عَلَيَّ أَقْوَالًا قَبِيحةً، وَكَانَتْ تَبَلَّغُنِي، فَكَنْتُ أَقُولُ لِمَنْ يَخْبِرُنِي هَذَا

الكلام: «إنه إنما يقول بما رأى من شروري التي كانت ظاهرة له، أما قبائح الخفية فلا يُحصى عددها».

وبعد زمان، التقى بي في قيصرية، وسلم عليّ كعادته، أما أنا فقبلته بشاشة، كأنه لم يصدر منه أمرٌ قبيحٌ، أما هو فسجد لي وقال: «يا معلم، من أجلِّ الربِّ أغفر لِي، فقد تقولتُ عليك بمثاب رديئة كثيرة»، فقلت له بطلاقة وجه: «هل تذكر محبتك عندما قلتَ لي إنني أحبك كثيراً؟ وقلتَ لك وقتيذ: إن ما وجدتَ من يحبني كما أحبه، ولتحقق قلبك أنه ما حفي عني ما قلته، ولمن قلته، وفي أيّ وقت قلته، وإن أردتَ قلته لك، ولم تقل شيئاً إلا وسمعته، كما هو، كما قيل، ولم يقنعني أيّ مقتنع أن أقولَ فيك قولًا رديئاً، ولم أترك ذكرك في صلواتي، ولكي تعلم صحة محبني لك، فقد حدث لي في بعض الأوقاتِ، أن أوجعني عيناي وجعاً شديداً، فصليتُ وأنا منكبٌ على وجهي وقلتُ: يا ربِّ يسوع المسيح اشفني بصلواتِ الأخ فلان، وفي الحال شفيت»، هذا هو جميع ما قلته للأخر. (س: ٥٢٩ ج)

١١٩١ - وقال أيضاً: علامه طرح العالم هي عدم اضطراب الإنسان بشيءٍ من أمره، وقد يوجد إنسانٌ يتهاون بهالٍ كثيرٍ، ولكن بسببٍ إبرةٍ ومحبته لها، يتزعج بما لا يزعجه ضياع جملة أموالٍ كثيرةٍ، وتقوم له تلك الإبرة مقامَ بَدْرَةٍ^(١١٢) فيبعد لها بأكثر مما يبعد للإسكنيم الكبير، فمن هذه صورته، ليس عبداً لله، وأنعم بما قاله أحدُ الفلاسفة: «إذا كان عددُ مواليك كعددِ أسلقامِ نفسك، فكفى بذلك شقاءً لها وبؤساً». وقد قال بطرس الرسول: «فما انصرَّ له الإنسان، فله يكون عبداً». وقال أيضاً: «إن النفسَ تريد الخلاص، لكن محبتها الأشياء الباطلة وانشغالها بها، تُهرب من الأتعاب، أما الوصايا

^(١١٢) البَدْرَةُ: جُلْدُ السَّعْخَلَةِ (ولد الشاة) إذا فُطِّمَ، والبَدْرَةُ: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف (لسان العرب).

الحقيقة فإنها تحفظها متشائلة بخلاف السينات التي هي ردية وخبثة». (س: ٢٢٩ ظ)

١١٩٢ - وقال أيضاً: إنْ قائلاً قال لي: «يا معلم، إن الوصايا التي أُمرنا بها كثيرة، وربما يظلم عقلي، فلا أدرى أيها أحفظ؟» فقلت له: «لا يزعجك هذا، لكن اعلم أنك متى كان لك عدم تأسف على الأشياء، فقد سهل عليك إحكام الفضيلة، فلا تعنى بالأمور البشرية، لتعتقد من العالم». (س: ٢٢٩ ظ)

٤٥٥

من كلام الشيخ الروحاني عن التوبة (٣)

١١٩٣ - فمُ العفيف يتكلّم بالطبيات، ويلذّ صاحبَه، ويُفرّح ساميّه. من كان كلامُه مرتبأً وعفيفاً، وهو ظاهرٌ بقلبه، فهو ابنُ ميراثِ المسيح، ومن كان كلامُه بقلبيٍ ومعكّر بالحردِ، فهو شيطانٌ ثانٌ. فمُ الطاهرِ النفس يتكلّم كلّ ساعةٍ على حالّه، ومن يسمعه يفرّح ويقتدي به. فمُ الجاهلِ يفيضُ مراارةً، ويقتلُ صاحبَه، ويُسکرُ الذين ينصتون له، وما أوفق ذلك اللقب الذي أعطاه له سليمان، إذ لقبه بالخنزير. يا ربُ خلصني من لقائه.

من يترحم على إنسانٍ، فإنَّ بابَ الربِّ مفتوحٌ لطلباتِه في كلّ ساعةٍ. ذو الإفراز، بكسرةٍ خبيثٍ يشتري لنفسِه الملوكَ، ومن يفرق مالَه بغيرِ إفرازٍ، فإطلاقُه هو عمله. من يُكثِر كلامَه، ويرفع صوته، فهو ناقصُ الرأي. الذي يلطفُ كلامَه ويتماكرُ ليضرُّ فهو شيطانٌ ثانٌ. من يصنع صلحًا بين الحرودين، ابن الله يُدعى، ومن يسجّس ويُعكّر ويوصلُ كلامًا شريراً من واحدٍ إلى واحدٍ، فهو رسولُ الشيطانِ، وهذا تبيده النار.

من يفرح بحسناتِ كلّ الناسِ، تفيضُ عليه الحسناتُ من الربِّ، ومن يحزن بصلاحِ الآخرين، فليس بعد ذلك من شرٍّ، وبسرعةٍ يكون انكساره. الذي يتوب عن

سيّاته، ولا يعود إليها أيضًا، حتى ولو كانت قبيحة سمعة، أكثر من خطايا السذومين، ويُظهر من أجلها وجع قلب وندامةً ودموعاً، وبالجملة يقطع منه كلُّ الشرور، فمن ساعته يُولدُ من الروح القدس، ويكون من أحباء الله الخصوصين، وبدالة يأخذُ طهارةً معتوقةً من خزي المجرمين، وتعادُ إليه بتولية لم تتدنس البة، ويُدعى زرعاً إلهياً لم يخالطُ قط، ويقبل في قلبه عربوناً بثبات رجائه، وعطيه الرحمة الأبوية ثقةً واتكالاً ونساناً للخطيئة بالكمال من قلبه كأنها لم تكن.

أيتها الرحمة الفائضة، ما أوفرك يا من أعطيت لنا نحن الموتى بالخطايا رحمةً مقدساً الذي هو التوبة، يلد بنين حدداً من عتقِ، أطهاراً من أنجاسِ، منيرين من مظلمين. من لا يعجب من رحمتك يا ربنا؟ ومن لا يعترف لنعمتك؟ يا من أتيت إلى الميلاد لتلدنا من بطن التوبة على شbek كشبه مريم والدتك. السُّبْحَانَ لِكَ يَا آبَ الْكُلِّ، يَا مِنْ أَعْطَيْتَنَا أُمّاً حديدة بـالميلاد الجديد، وإن كنا بصبوبتنا قد تنحسنا بكل نتنٍ، لكنها تُحلّي وتطهّر، وتحسّن، وتغطي تحت أطرافها مثل المريء، أولئك الذين ولدوا منها حتى يصلوا إلى عندك محبوبين وأحباء، ليكونوا آلةً وملوكاً، بنين لربوبيتك.

وإن كنت يا أخني تقول: «كيف تقدر التوبة أن تحمد الإنسان الذي قد تدنس وفسد بالخطيئة؟» فأقول لك: «اذكر تكوينه الأول، ومن أي شيء صار، يعني من شيءٍ حقير وسمجي في البطن الضيق المظلم، وكما رَكِبتْ نعمة إلينا المادّة المتنبّة في البطن المظلمة مكملةً تكوينه، وأخرجه إلى نور هذا العالم. كذلك الذي أفسد طهارته بعد المعمودية بفعل الشيطان، واتسخ بجميع جراحات الخطيبة النجسة، بـالميلاد من حضن التوبة الكثيب المظلم، يخرج لنور عالم الروح، الذي أخذ سره بالمعمودية المقدسة» (Dal. 43, 1)

«وكما أن ذلك المني السمجي، إن رُمي في أرضٍ واسعةٍ مضيئةٍ، ولم يدخل البطن

الضيق المظلوم، يكون بلا منفعة ولا يتشبه بالذي ولده، هكذا الذي تسمج بالخطيئة، إذا لم يدخل البطن الضيق المظلوم (أي التوبة)، فإنه يكون بلا منفعة، وغير متشبه بمن ولده في العمودية المقدسة. وكما أن آدم الجسدي، من حواء يولد له بنون بشبئه لعالمه الجسدي، كذلك المسيح، أبو العالم الروحاني، من العمودية والتوبة، يولد له بنون بشبئه للعالم الروحاني، كما ينادي لهم رأس حياهم قائلاً: «توبوا، فقد اقترب ملوكوت السماوات» (Dal. 43, 2)

«فكيف نجدها إن كانت قرية؟ يا أبانا أرنا إياها». «إنما على الباب اللطيف الضيق، وكل من يصير لصعبته المظلمة، وينخرج منه، لوقته يلقى ملوكوت النور ويتنعم، وذلك الباب الذي لمدخل الحياة، فإنه في أي بلد يوجد داخلكم، وبابها هذا، هو التوبة» (Dal. 43, 3). إن التوبة تعيد حياة العمودية التي للغفران، وكما أن المني الحقير بالبطن المظلمة يقتني شبه أقوام آدم، كذلك الإنسان السمعج بالخطيئة، إن كان يدخل لكور غليان التوبة، يحلّ ويظهر ويقتني بالنعمنة المجددة، شبه حُسن المسيح شعاع الآب».

«التوبة هي أم الحياة، وطوبى لمن يولد منها، فإنه لا يموت» (Dal. 43, 4). وكما ينادي المسيح لخواصه بالتوبة، كذلك يُبعد الشيطان الناس عن سماع هذا النداء، وبالشطارة واللهو يغطي قلوبهم».

«التوبة هي ترياق لأوجاع الخطيئة القاتلة، وعذاب عظيم للشيطان مضادها. إنما تخلص وتعتق المسيسين الذين سُبوا بشرة، وأتعابه التي تعها في سنين كثيرة، تُضيّعها التوبة في ساعة واحدة، والعبيد الذين يمشيّتهم أحضروا حرثتهم له، تعيدهم إلى ميراثهم، وتُعذّب من خدعهم. زرع الشوك الذي زرع بأرضنا، ورُبّي بمحرص في سنين كثيرة، في يوم واحد تحرقه، وتظهر أرضاً، حتى تعطي أثار زرع فلاح المسيح ثلاثين وستين ومائة. الحصون التي بناها في زمان طويل، ليسجّن فيها أسراه، الذين سُبوا في» (Dal. 43, 5)

الظلمة، بقمرٍ صغيرٍ يشعُ فيها فُتهَمَ، ويشرق النورُ في وجوهِ الحالسين في الظلمة، ورباطاهم تقطعُ، وأحزانهم تُستبدل بالسرور، ودموعهم بالفرح، أما رابطهم، فإنه يُربط بسيورِ الظلمة، ويُسلّم بأيديهم للعذاب. كلُّ فلاحٍ تفسدُ، وكلُّ الأوجاع التي صنعها غير عبيده، تطيبُ وُشفى، وكلُّ قتلاه يقونون، وكلُّ فخاخه تنكسر، وكلُّ أشراكه تقطع (6). وهي الطريق قدام محبيه، حتى يمشوا بلا عشرة في طريق المسيح واهبها».

«إنا (التوبة) يجعل الزناة بتولين، كما تُجلي النوراني الذي علاه الصدأ. إنا من الماخور إلى البرية تجتذب لعمل الملائكة، والمضيون الذين حقرُوها تركتهم، فتلوا إلى الجحيم السفلى. هي تدخل إلى مخادع الزانيات، وتجتذب الزناة، وتلدهم من حضنها بتولين للمسيح. تردد الكافرين إلى الرسولية، والرسل الذين نزعوها لبسوا الظلمة. إنا لباسُ العالى، وللباسيه ثلبيس مجداً يسوع رداء (7). هي تجتذب من الطرق إلى الملوكوت، ومن بين السياجات تدخل إلى العرس. إنا من السوء تصونُ المضيئين، وتجعل العميان مبصرين. هي تقلع الشجرة التي أثارها سُم الموت، وشجرة الحياة تُغرس بفردوسنا. هي حاملة براحتها طيّبات النعمة، والذين أنتنوا بالنجاسة، إن قبلوها يُطئيرون. إنا قائمة بباب الختن السماوي، وكلُّ من عبر بها استقبل وجهه بيدها، ووضع له إكليل العرس، وكلُّ من تطامن قدامها، جعلته متكتعاً في الحجلة، بيدها وضعوا مفاتيح ملوكوت السماوات، فكلُّ من أحبها وعشقها جعلته أميناً» (8).

«هي هي أمُ النور، وكلُّ من ولد منها، أنيت له أحجحة من نار، ومع الروحانيين يطير إلى العلا، وكلُّ من تَنَفَ الصيادون ريشه، واستتر تحت أحضانها أياماً قلائل، أخذ منها ريشاً طياراً نارياً، أفضل وأخف من الأول» (9).

هي هي ملحمةُ الطَّبِ السماوي، ومن وضعها على وجهه بَرَئَ لوقته، لا تقطع

موسى ولا تصعب الأوجاع بالكي. بالرحمة مخلوطةً أدويتها، وباللين تجبر الانكسار. سُم الموتِ واللهُ والشغب، هذه بيدي الشيطان، أما التوبة فهي طريقُ الحياة بيد الله، وكل من سبق وشرب من كأس القاتل، يتقدم ويشرب من كأسِ الحبي للكل، فيعيش بلا نهاية (Dal. 43, 10). إنها تزور الأموات، وكل من بلعه الموت، ودنا من أحضانها، شقت الموت وأخرجته من جوفه. ترى العمى كل يومٍ يكون على باهها، فتحتذهم وترיהם نور الفرح. ترى القتلى الذين قتلهم الشيطان، وتستدعيمهم لتقيمهم قيمةً متقدمةً. هي خزانةٌ بني مخلصنا، وفيها يحفظُ جميعَ غنى أعمالهم (Dal. 43, 11). هي بحرٌ لغسل جميع النجسات، وكورة، غليانه يحلي كل من علاه الصداً. هي نارٌ حرقَة للزوان، ومياهٌ تربى الزروع المقدسة. هي فردوسٌ يُطيبُ الخواص، وتخربُ وتمدم جميع العصاة. إنها أرضٌ تربى بني النور، والمطهرةُ بيدها الذي يتنحس. هي مولدة لأجنحةٍ بني العلي، ومربيّةٌ لتابعِي المسيح. إنها حصنٌ يحفظُ كل ما بداخله، وجبارٌ يردد كل ما سُي (Dal. 43, 12). هي هيكل للأمم الظاهرة، ومنها يأخذون قدساً لقدسهم. هي بيتٌ وملجأً للأشقياء، فتجعلهم وارثين للملائكة. هي حرانةٌ لجميع الكنوز، فكل من قرع باهها، أخذ منها حاجته (Dal. 43, 13). هي والدة لم يجف حضنها، وكل من كان عاقراً وقرب منها، أخذ له منها أولاداً محبوين. هي بوابةٌ قائمةٌ ببابِ الخالق، وكل من وجب عليه الحكمُ وتقرّب سائلاً إليها، دخلت وحلّته. بيدها موضوع رشاش الماء، وبلوغ إدرار المطر، فمن دخل والتوجه بها، فتحت وروتها (Dal. 43, 14). إنها تقوم ببابِ الله، وكلُّ الخيرات التي تخرج من عنده، تجذبها خواصها. هي شفيقةُ المسيسين، فإذا تقدموها وسائلوها تقوم لحمايتهم وتعذر عنهم» (Dal. 43, 15).

«فمن ذا الذي لا يحبك أيتها التوبة، يا حاملة جميع التطبيقات، إلا الشيطان، لأنك غنمْت غناه، وأضعت قنایاه، وجعلته فقيراً معدباً من كسبه، وفارغاً من الإرثِ الذي

سباه بغير حقٍّ. ذاك هو مبغضُك بالحقِّ، لأنك دائمًا تضاديه، فما من إنسانٍ وقع بين يديه، ولحقت به، وصار فريسة لغذائه؛ وما من إنسانٍ دعاك وهو بين أسنانه، إلا وتكسرت أسنانه، وتخلصتِنه. كما أنه ما من أحدٍ بلعه، فصرخ خوفاً، إلا وشققت بطنه وأخرجه (Dal. 43, 16)، وما من شخصٍ ربطة، إلا وعاجلًا قطعتِ أغلاله وحللتِه. وما من إنسانٍ صاده وأنت بعيدة، ودعاك، إلا وبسرعة لحقت به وخلصته. من أجل هذا، هو يغضُّك، لأنك بالأكثر أبغضته، يبغضُك لأنك كلَّ حين تقفين ضده. يبغضُك لأنه مبغضٌ لمعطيكِ، وأنت أيضاً ضده كما أن صاحبَك ضده كذلك» (Dal. 43, 17).

«ليس من تمسّك برجائك، ونزل إلى الجحيم، ولا من صعد إلى السماء بدونك. من يرى الله بغيرك؟ من تمسّك برجائك ووقع في يد الشيطان؟ ومن تطهر ولم تكوني أنت التي غسلته؟ من تقدم لمطهرتك، ووُجدَ فيه نجاسة؟ من الذي سقى زرعه من مطرك، ولم يقصد منه أثمارَ الفرج؟ من ذا الذي تقدّم لطبك، ولم يكن بعيداً من كل العاهات؟ (Dal. 43, 18). ومن صبغَ كلَّ ساعة وجهه بقطراتك، ولم يصر الله في قلبه؟ من ذا الذي عدَّ تذوق مشروبك ولم يصر قلبه ينبوع الظلام؟ من نال طلباته ولم تكوني أنت التي رفعت من شأنه؟ من اتخذك شفيعة ولم تفتحي أمامه أبوابَ خزائن الله؟ (Dal. 43, 19). ليس من أخذك معه في القتال، إلا وأسلمت أعداءَ تحت حرنته. ليس من ليسك مقابل مضاديه، إلا وأهزم قدامه مبغضوه».

«أنت خلصت داودَ من الخطية، وأنت التي وقفت في وجه أخاب الكافر. صعد الحكم على أهل نيتوي بالملائكة، ولكنك تجبرت وقمت وخلصتهم (Dal. 43, 20). مباركة أنت يا أمَّ الغفران، يا من أعطانا إليك الآبُ الملوءُ رحمةً لا يغضبك إذا طلبت إليه، لأنه أعطاك أن تكوني شفيعة للخطأة، لا يغلق بابه إن سأله، لأنه سلم لك مفاتيح الملوك».

«لقد اقترب الملوكُوت، فتوبوا فها هو الخاتم الذي يأخذه معه الوارثون للملوكِ توبوا فقد قرُبَ الملوكُوت (Dal. 43, 21). الجيلُ القديم الذي لم يشرب مشروبكِ خنقه سخطُ الطوفانِ، سادوم التي لم تُرد أن تَقبلَكِ، أحرقتها النارُ السماوية. فرعون الذي طردك من عنده، تعذّب في الأمواجُ الخانقة».

«إِنَّمَا تَرُدُّ الْأَتَعَابَ الَّتِي ضَيَّعَهَا الشَّيْطَانُ، وَتَعْطِي الْعَطَايَا السَّمَاوِيَّةَ. هِيَ الَّتِي تَجُدُّ الْبَتُولِيَّةَ الَّتِي اتَسْخَتَ، وَتَحْفَظُ بِلَا عِيبٍ تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَفْسِدْ بَعْدَ (Dal. 43, 22). الْمَسِيحُ جَاءَ وَخَلَصَنَا، وَبِصُوْتِهِ نَادَانَا قَائِلًا: تَوْبَوْا فَقَدْ اقْتَرَبَ الْمَلَكُوتُ. لَهُ الْمَحْدُ إِلَى الأَبَدِ آمِين» (Dal. 43, 23) (س: ٥ ظ: ١٩٦)

١١٩٤ - وقال أيضاً: «من يَحْذَرُ بِلِسَانِهِ، فلن يُسلِّبَ كُتُرُهُ مِنْهُ إِلَى الأَبَدِ. فُمُّ الساكنَ يُتَرْجِمُ أَسْرَارَ اللَّهِ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِسُرْعَةِ، يُيَعِدُ عَنْهُ خَالِقَهُ. مَنْ يَسْتَهِينُ بِذَاتِهِ وَيَرْذُلُهَا، يَتَحْكُمُ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ يَحْسُبُ نَفْسَهُ حَكِيمًا، تَرْتَقِعُ مِنْهُ حَكْمَةُ الْخَالِقِ. الْمُسْكِنُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، يَسْتَغْنِي بِاللَّهِ. وَصَدِيقُ الْأَغْنِيَاءِ يَتَمَسَّكُ مَمْلَكَةَ الرَّبِّ. مَنْ اعْتَادَ كَلَامَ الْلَّعِبِ مفْرِجًا عَنْ جَسَدِهِ وَنَفْسِهِ، فَذَاكَ زَانِ، وَمَنْ يَسْتَأْنِسُ بِهِ فَهُوَ فَاسِقٌ. الْحَبَّةُ الْمُفَرِّزَةُ لِلصَّبِيَانِ، هِيَ زَنِيْ سَعْيٌ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَا يَوْجَدُ جِبْرٌ لِانْكَسَارِهِ. شَابٌ يَصَاحِبُ شَابًا، فَلَيْكَ عَلَيْهِمَا ذُوو الْإِفْرَازِ. الشَّيْخُ الَّذِي يَحْبُّ صُحْبَةَ الصَّبِيَانِ، اعْلَمُ أَنْ أَوْجَاعَهُ أَنْجَسَ مِنَ الصَّبِيَانِ النَّحْسِينِ؛ وَإِنْ كَانَ يَكْلِمُهُمْ بِالْأَعْجَيبِ، لَكِنْ قَلْبَهُ بِالْحَمَاءِ غَارِقٌ. يَا أَخِي، إِنْ عَشْتَ لِلْعَالَمِ، فَسُوفَ تَصْبِحُ حَيًّا لِلْعَالَمِ. وَاحِدٌ بِوَاحِدٍ، فَإِنْ اثْنَيْنِ لَا يَوْجِدُانِ مِثْلَ الْكَلْمَةِ الْوَحِيدِ الَّذِي لَهُ الْمَحْدُ إِلَى الأَبَدِ آمِين» (س: ٥ ج: ١٩٥)

١١٩٥ - وقال كذلك مما سَمِعَ مِنَ الشَّيْوخِ، أَنْ وَاحِدًا مِنْهُمْ قَالَ لَهُ: «فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَظْهَرُ لِي أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْأَطْعَمَةِ زِيَادَةً وَفَضْلُولٍ، لَأَنْ حَبَّ رَبِّي يُكَمِّلُ لِي حاجتيِ،

وينسيي الاهتمام بها». (س: ١٩٥ ج)

١١٩٦ - كما قال أيضاً: «حبة المسيح غرّتني عن البشر والبشريات». (س: ٥)

(ج ١٩٥)

١١٩٧

١١٩٧ - وقال آخر: «في خدمتي وصلاتي لست أعرفُ تعاباً، لأنه ليست فيها حركة من هواي، بل أظل منصتاً للروح الساكن في وأتلذذ، وهذا هو المقصود بما قيل: إن الروح يصلني بدلاً عنا». (س: ١٩٥ ج)

١١٩٨ - وقال شيخ آخر: «إن كان لسائلك غزيراً بحركاته، فقد انطفأت من قلبك الحركات الطاهرة، أما إن كان لسائلك ساكتاً، وقلبك يغلي بالحركات الطاهرة، فطوباك، لأن حركته بالروح ترفعك إلى هدوء الحياة. سكت لسائلك ليسكت قلبك، وسكت قلبك ليتكلم فيه الروح». (س: ١٩٥ ج)

١١٩٩ - وقال آخر: «جاهل، ذاك الذي يوجد في ذكره شيء من العالم، ما خلا الميراث الذي يأخذ، أعني القبر فقط»، كما قال أيضاً: «إن كنتَ بال المسيح ولدتَ، فكذلك أخوك، وعلى ذلك فأكثر من أخيك لا تحب نفسك في شيء ما». (س: ٥ ظ ١٩٥)

١٢٠٠ - وقال أيضاً: «إن كانت شهوتك عالمية، فهذه أيضاً كالكلاب والخنازير، أعني بذلك (شهوة) البطن والزواج. أما إن كانت شهوتك بالله، فهذه هي شهوة الملائكة». (س: ٥ ظ ١٩٥)

١٢٠١ - كذلك قال: «إنه هوَ شيطانٌ بالراهب، الذي يحتفظُ لديه بقوت غير قليل، ذلك لأنه يدخل ما لا حاجة به إليه، أما الصديق فإنَّه يُلقي على الربِّ همه، وبغير هم يفرقُ، من أجل ذلك فَيَدُّ الربِّ مفتوحةٌ قدامه وهي ممتلئة، فيأخذُ ويعطي بسذاجةٍ

بغيرِ فكرٍ. من يحفظ شيئاً زائداً لينبعُ به المحتاجين فهو حكيمٌ بحقٍّ. من أجلِ هذا، إذ تفرُغ يده، تجدها تمتلئُ كُلَّ ساعةٍ، لأنَّه إذ أعطى، فله أَنْ يأخذَ أيضاً. من ينبع آخر في ضيقته، فله هو أيضاً من يهبَه نياحَ الحياة». (س: ١٩٥ ظ)

١٢٠٢ - كما قال أيضاً: «الاتضاعُ هو أرضٌ حاملةٌ للفضائلِ، فإنَّ هي عدَت الفضائلِ، فالكمالُ قد هلكَت». (س: ١٩٥ ظ)

١٢٠٣ - ثم قال أيضاً: «وَكَمَا أَنْ حَمَارَ الْمُسْكِنِ، لِكُونِهِ لَا يَجِدُ قَوْتًا لِيَشْبَعَ بِهِ، يُصْبِحُ هَرِيلًا ضَعِيفًا فَتَنْطَفِعُ مِنْهُ شَهْوَةُ الْجَمَاعِ، وَإِذَا رَكَبَهُ صَاحِبُهُ، سَارَ بِهِ ذَلِيلًا سَهْلًا الْأَنْقِيادِ بِسَبِّبِ خَسَاسَةِ مَرْكُوبِهِ، هَكَذَا الرَّاهِبُ الَّذِي يَقْمَعُ جَسَدَهُ بِنَفْصِ الْقُوَّتِ وَخَسَاسَةِ الْمَلْبِسِ، فَإِنَّ الشَّهْوَةَ الْعَالَمِيَّةَ تَنْطَفِعُ مِنْ جَسَدِهِ، وَنَفْسُهُ تَتَضَعُّ بِلَا افْتِحَارٍ. لَيْسَ هُنْكَ شَفَاءٌ لَوْجَعَ الْمُفْتَحِرِ، لَأَنَّهُ بِقَدْرِ مَا يَتَعَالَى بِأَفْكَارِهِ بِقَدْرِ مَا تَرْتَفَعُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِلَى عَمَقِ الظَّلْمَةِ يَهْبِطُ». (س: ١٩٥ ظ)

١٢٠٤

مقارنة الكاتب

١٢٠٤ - قال مقارنة الكاتب: أردتُ الدخولَ إلى مدينة الإسكندريةِ لقضاءِ بعضِ حوائجيِّ، ولما دخلتُ إلى المدينةِ قابليَّ رجلٌ لا أعرفُه خارجاً من المدينةِ، وعلى كتفِهِ وعائقهِ آلةُ صناعةِ البستانِ ومعهُ من ثمارِهِ، فقال لي: «من أين أتيتَ يا أبي، وإلى أين تذهبُ؟» فقلت له: «أنا من الوادي المقدسِ، وأنا طالبُ هذهِ المدينةِ». فقال: «أنا أسألكَ أَنْ تبيَّنَ عَنِّي اللَّيْلَةَ فِي مَتْرِيٍّ، وَعَنِ الصَّبَاحِ تَمْضِيَ حِيثُ تَرِيدُ». .

وكان ذلكَ الوقتُ مسائِ، وسألني باسمِ يسوعِ المسيحِ، فأجحثَهُ إلى ما سأَلَ، وكتُّ لا أعلمُ معبودَهِ، ولا مذهبَهِ، إلا أَنَّهُ يعرُفُ كلامَ أهْلِ الجَبَالِ، وهي اللغةُ القبطيةُ، فمضيتُ

معه إلى متربٍ، فأخرجَ مفتاحاً، وفتحَ البابَ، ودخلنا، فنظرتُ يميناً وشمالاً، فلم أجد شيئاً سوى حصيرة قد مضى عليها مدة من الزمن، ووعاءً فيه ماء، وحبلًا مشدوداً في سقفِ البيتِ، وكتاباً موضوعاً على كرسي، وسراجاً فيه زيت، ومنديلاً فيه رغيف من الخبزِ اليابسِ لا غير. فقدم لي ماءً أولاً، فغسلتُ وجهي ورجلِي، ثم بعد ذلك انتصب إلى الصلاة، فوقفتُ وصليتُ معه إلى حين أتم صلاته، وأنا معه، فأحضر ذلك الرغيف اليابس وقليلًا من الملح، وسألني أن أكلَّ، فأخذتُ وأخذ معي، وأكلنا جميعاً.

أما أنا، فلما وقع ذلك الطعام في فمي، وإذا طعمه مثل شهد العسل، وأحلى منه، والملح أيضاً كان كأنه مثل ذلك، فتدخلني العجبُ، وأكلنا من رغيف الخبرِ هذا، نحن الاثنين، ولم يذهب منه شيءٌ، فقلت: «يا ليت شعرِي، ما هذا الرجل؟»؟

وبعد أكلِ الطعام بدأ يسألني عن الكتب المقدسة، وما فيها من آلام المسيح، ويشرحُ تفسيرها، ورغم أنـي كاتبُ جمـيع أيامـي كلـها، ومـطلع في الكـتب المـقدـسة، إلا أنـي لمـأكـن عـارـفاً بما أـوضـحـه ليـ. فـقـلـتـ: «هـذـا مـن اللـهـ، هـذـا الرـجـلـ هو مـلـاـكـ، وـإـن اللـهـ سـهـلـ طـرـيقـيـ، إـذ جـمـعـ بـيـنـ وـبـيـنـهـ». وـكـنـتـ أـسـمـعـ مـنـهـ، وـلـا أـقـدـرـ أـجـيـبـهـ، لـأـجـلـ مـا فـيـهـ مـنـ الروحـ النـاطـقةـ.

ولما كان الصباـحـ، وـهـوـ لـمـ يـنـنـ، أـخـذـ آلـتـهـ، وـأـرـادـ الخـرـوجـ إـلـىـ المـكـانـ الـذـيـ فـيـهـ الـكـرـمـ الـذـيـ كـانـ لـهـ، وـأـنـاـ لـاـ أـعـلـمـ بـذـلـكـ، وـقـالـ لـيـ: «أـنـاـ أـرـيدـ أـنـ أـخـرـجـ إـلـىـ عـمـلـيـ بـاكـراـ حـتـىـ أـنـصـرـفـ بـاكـراـ»؛ وـإـنـماـ كـانـ يـشـيرـ بـذـلـكـ إـلـىـ الـآخـرـةـ، وـأـنـاـ لـاـ أـعـلـمـ. وـدـفـعـ لـيـ مـفـتـاحـ مـتـربـ، وـقـالـ لـيـ: «اـخـرـجـ أـنـتـ وـاقـضـ مـاـ تـرـيـدـهـ مـنـ حـوـائـجـكـ، وـعـدـ إـلـىـ مـتـربـ، فـإـنـكـ تـكـونـ عـنـدـيـ إـلـىـ عـشـرـةـ أـيـامـ»، فـأـخـذـتـ مـفـتـاحـ، وـتـوـجـهـ هـوـ إـلـىـ عـمـلـهـ.

أما أنا فقد مضيتُ إلى البيعةِ والصلاحةِ وتناول الأسرارِ، فوجدتُ فيها رهباناً

قديسين كنتُ أعرفهم، فلما رأوي، فرحا بي وقالوا لي: «يا مقارة، متى أتيتَ إلى هنا؟» فقلتُ: «بالأمس». فقالوا: «أين أنت نازل؟» فقلت لهم عن صفة ذلك الرجل، فتعجبوا ولم يعرفوه، فسألوا عنه الرجل الذي كان قيّماً بالبيعة، وهو خبيرٌ بجميع سكان المدينة، فلم يعرفه، وكان ذلك عجباً.

ولما فرغت من الصلاة والقدس، عدتُ أريده المترجل، فلم أجده، وتعبتُ متحيراً، لا أدرى كيف أذهب، فتفكرتُ وقلتُ: «لعل الذيرأيته كله كان مناماً، أمضي وأجلس على الطريق في المكان الذي اجتمعت به فيه أولاً، لعلي أراه».

وكلتُ قد وضعتُ في المترجل قبل خروجي منه بعض حوائحي، فخرجتُ إلى خارج المدينة، وجلستُ على الطريق في المكان الذي اجتمعت به فيه أولاً، فلم أجلس إلا قليلاً، وإذا بذلك الرجل قد أقبلَ علىيَّ، على تلك الحالة الأولى، فطلع وأبصرني، وقال لي: «لِمَ خرجتَ إلى ها هنا؟ فأعلمته بجميع ما نالني في ذلك اليوم. فقال لي: «أسأتَ إلى اليوم لمَا فعلتَ هذا، إني رجلٌ مُطالبٌ بما قدمته يدائي، وكنتُ لا أريده أن يعرفَ موضعِي أحد»، وهذا كان تعليماً حسناً.

ثم إنه مشى، وأنا أتبعه، حتى دخلنا إلى المترجل، وفعل مثل المرة الأولى، وأقمتُ عنده ثلاثة أيام، وذلك الرغيف لم يذهب منه شيءٌ، وقضيتُ بعض حوائحي في هذه المدة، وأردتُ الانصراف، فقال لي: «لم أقل لك إنك ستقيم عندي عشرة أيام؟»

وأخذ آلة، وأراد الخروج إلى كرمي، فقلتُ له: «أنا أمضي معك اليوم إلى كرمك لأبصره، وأنظرَ عملَك». فقال لي: «قم وامشِ»، وأخذ بيدي، وخرج أمامي، وأنا أتبعه حتى خرجنا من باب المدينة. وإذا بثلاثة رجالٍ لا يلبسون لباسه، ومعهم أدآة مثل أداته، وقالوا له: «قد أبطلت علينا، أهض»، فنهض وهو يقول لي: «يا مقارة، امشِ خلفنا».

فمشيتُ وأنا أريد أن أكلّهم، وهو وإياهم لا يلتفتون إلَيْ، وهم مجذون في المسيرِ، وأنا لا أعلم إلى أين يريدون إلى وقت صلاة الثالثة من النهارِ؛ وإذا نحن قد أشرفنا على عينِ حاريةٍ وفِرِ ماءٍ لا يعرفُ أحدٌ آخرَه، وحوله شجرٌ من النخيل والعنب والزيتون والتين والرمان؛ فصلوا، وأخذوا الأداة التي معهم، وجعلوا يعملون في تلك الأشجار، ولا يأكلون من ثمارها، وأنا كنتُ متفكراً.

فدنوتُ إلى الرجل الذي كنتُ نازلاً عنده، وقلتُ له: «هؤلاء القوم شركاؤك في هذه الروضة، لم يكلموني»، فقال لي: «هم يعرفونك، لكنهم يقولون إنك لا تزيدُ أن تكونَ معهم مقیماً». قلتُ: «إنهم يعملون أعمالاً لا أعرفها، وأنا مشغولُ بما أنت عارفُ، فإني أكتبُ كتبَ البيعةِ، وأريد بذلك عمارتها، فأجدد ما قدم منها».

وأقمتُ ذلك النهارَ كله معهم، وعند صلاة التاسعة أكلتُ من ثمرة ذلك الشجرِ وكنتُ أكثرُ من الأكلِ منه ولا أملُ، وهي لا تُشبّعني، فقلتُ لذلك الرجل: «إن ثرات هذا الشجر لا تُشبّع الجائعَ». فقال كلاماً، وهو تعليم روحاني: «إن اهتمامك هو ب الطعامِ العالمِ، وتركتَ الاهتمامَ بالعملِ الصالحِ، والطعام الروحاني»؛ وللوقتِ علمتُ أن القوم صالحون، فدنوتُ إليهم أريدُ أن أتباركَ منهم، وطلبُهم فلم أجدهم.

وبقيتُ في الروضةِ وحدي، أطوفُ فيها يميناً وشمالاً، ولا أدرِي أين أذهبُ، وأقمتُ على هذه الحال عاماً كاملاً، أكلُ من ثمر الشجرِ، ولا أدرِي من يجاوبني، ولا القوم الذينرأيُهم، وقلتُ: «لقد فعل الله معِي، مثل قدسيه، وأسكنني هذا الجنان، وهو الذي بعث لي بهؤلاء القوم الذين رأيُهم».

وبينما أنا في آخرِ العامِ، إذا بِ أرى رُكاباً يريدون المسيرِ إلى حاجتهم، فتقدمتُ إليهم، وقلتُ لهم: «إلى أين تقصدون؟»؟ فقالوا: «مدينة الإسكندرية». قلتُ لهم: «هل

لكم أن تأخذوني معكم؟ فإنـي هنا في هذه البرية لا أعلم أين أذهب»، حدث هذا لما داخليـي الفكر بحبـ العالم بينـهمـ، فظهرـ لي الشـيطـان وجـنـوـهـ في هـذـهـ الـهـيـةـ، ليـخـرـجـونـيـ منـ المـوـضـيـعـ الرـحـبـ إـلـىـ الضـيـقـ وـالـتـعبـ. وـحـلـوـنـيـ وـأـنـاـ لـاـ أـعـلـمـ أـهـمـ الشـيـاطـيـنـ؛ وـفـيـ أـسـرـعـ وـقـتـ مـضـيـتـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ إـلـاسـكـنـدـرـيـةـ، وـكـانـ رـجـلـ مـنـ الرـكـابـ يـقـولـ: «قـدـ رـجـنـاـ هـذـاـ، وـأـخـرـجـنـاهـ مـنـ النـعـيمـ إـلـىـ التـعبـ».

وفيـماـ أناـ متـفـكـرـ فيـ كـلامـهـ، إـذـاـ بـالـرـجـلـ الـذـيـ كـنـتـ نـازـلاـ فيـ مـتـرـلـهـ، وـكـنـتـ قدـ جـعـتـ، فـمـشـىـ أـمـامـيـ وـأـنـاـ أـتـبعـهـ إـلـىـ مـتـرـلـهـ، فـأـحـضـرـ لـيـ ذـلـكـ الرـغـيفـ بـعـيـهـ، وـأـكـلـ مـعـيـ كـالـعـادـةـ، وـقـالـ: «يـاـ مـقـارـةـ، أـيـنـ كـنـتـ فيـ هـذـهـ المـدـةـ؟» فـقـلـتـ لـهـ: «إـنـيـ فيـ الرـوـضـةـ، وـمـنـذـ فـارـقـتـكـ اـنـظـرـتـكـ عـسـاكـ تـعـودـ إـلـىـ، فـلـمـ أـنـظـرـكـ إـلـاـ فيـ هـذـهـ السـاعـةـ؟»؛ ثـمـ أـقـبـلـ عـلـيـهـ، وـقـالـ لـيـ: «يـاـ مـقـارـةـ، اـخـتـرـتـ لـكـ مـكـانـاـ تـكـونـ فـيـهـ، وـلـكـنـ لـمـ تـرـغـبـ فـيـهـ؛ لـكـنـ الشـيـطـانـ الـعـدـوـ، هوـ الـذـيـ أـخـرـجـكـ مـنـهـ وـلـمـ تـعـلـمـ». فـقـلـتـ لـهـ: «يـاـ أـبـيـ، مـنـ هـؤـلـاءـ الـقـومـ الـذـينـ كـانـوـنـ مـعـكـ؟» فـأـخـبـرـيـ بـأـنـهـ قـدـيـسـونـ عـظـامـ، يـسـكـنـوـنـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ، وـمـنـازـلـهـمـ مـثـلـ مـتـرـلـيـ هـذـاـ، وـنـحـنـ كـلـ يـوـمـ غـضـيـ معـ بـعـضـنـاـ سـرـاـ إـلـىـ هـذـهـ الرـوـضـةـ، نـصـلـيـ فـيـهـ، وـتـصـلـحـ أـشـجـارـهـ، وـنـعـودـ إـلـىـ مـنـازـلـنـاـ، وـأـهـلـ هـذـهـ الـبـلـادـ لـاـ يـشـعـرـونـ بـنـاـ، فـلـوـ صـبـرـتـ قـلـيلـاـ، لـكـنـتـ لـنـاـ رـفـيقـاـ. هـلـ تـعـرـفـ هـذـهـ الـبـرـيـةـ وـالـرـوـضـةـ؟ فـقـلـتـ: «لـاـ». فـقـالـ لـيـ إـلـهـاـ مـنـ الـجـنـانـ الـتـيـ وـعـدـ اللـهـ بـهـ أـقـيـاءـ وـأـصـفـيـاءـ، وـلـاـ يـعـرـفـ أـحـدـ مـنـ النـاسـ بـعـدـ الـمـسـافـةـ بـيـنـ الـعـالـمـ الـكـوـنـيـ وـبـيـنـهـاـ.

ولـلـوقـتـ صـرـتـ نـادـمـاـ، وـكـلـحـ وـجـهـيـ، وـأـطـرـقـتـ وـجـهـيـ إـلـىـ الـأـرـضـ، وـلـمـ أـسـتـطـعـ رـفعـ رـأـسيـ، ثـمـ رـفـعـتـ صـوـتـيـ وـبـكـيـتـ نـادـمـاـ، فـقـالـ لـيـ: «قـمـ اـرـجـعـ إـلـىـ مـكـانـكـ، فـإـنـ اللـهـ جـعـلـكـ لـتـمـحـيـدـ اـسـمـهـ فـيـمـاـ تـكـتـبـهـ، وـسـتـصـبـرـ رـاعـيـاـ، وـأـخـبـرـيـ بـأـشـيـاءـ كـثـيرـةـ، وـأـقـمـتـ عـنـدـهـ بـقـيـةـ الـعـشـرـةـ أـيـامـ الـتـيـ ذـكـرـهـاـ، وـلـمـ تـكـنـ المـدـةـ الـتـيـ كـانـتـ، وـكـنـتـ فـيـهـاـ فيـ الرـوـضـةـ، إـلـاـ مـثـلـ مـنـاـمـ

رأيته، وإن سأله في عدة مسائل وأبوابٍ، فأخبرني بها، وقد كتبتها في كتابٍ آخر.

ولما أردتُ المسيرَ، أخرج لي ذلك الرغيفَ، وأعطاه لي، وقال لي: «استعمل منه وقت حاجتك، فإنه يغنيك عن كثيرٍ من الطعامِ، واحذر أن تعلم أحداً بما رأيتَ، وسلطه في كتابٍ، ولا يقرأه أحدٌ إلا بعد وفاتك، وإن أعلمتَ أنك ستكونَ رئيساً، وتذوم رئاستك اثنين وعشرين سنةً، وتكتب كتاباً كثيرةً، فيها عجائبٍ وبراهين، وهي تكون بعده ذِكرًا لك».

ولما خرج يريدُ أن يودعني عند مسيري، قال لي: «يا ولدي أوصيك إذا انتقلت إليك الرياسةُ، فلا تكُبُر نفسك على أخيك، بل كن متواضعاً، رحوماً جداً، عفيفاً، وطوباك لأنك تقدس قرایین كثيرةً، وتصبغ شعباً كبيراً بالمعموديةِ. وفي العام التالي، تأتي إلى هذا المترى، وتطلبي، ويهديك الله إلَيْهِ».

ثم إنني انطلقتُ، وفي تلك الساعة وصلتُ إلى مسكنِ بدير برموس، ولم يمض إلا خمسة وعشرون يوماً، وإذا بالأب البطريريك البابا ديمتريوس يدخل إلى الدير، ويأخذني ويرسمني أسفقاً على كرسي نقيوس، وسلم إلى رعاية شعبٍ كثيرٍ، كما ذكر لي الأب القديس؛ ولما كان في العام الثاني، أتيتُ إلى مدينة الإسكندرية، واجتمعتُ بذلك الأب القديس، فوجدته على حاله، وعندما رأيَ، قبلني وقبلته، ونزلتُ بمنزله، ووجدتُ عنده القومَ رفقاءَ، فسلموا عليَّ، وسلمتُ عليهم، وقالوا: «يا مقارة، اليوم تحصنتَ من الشيطانِ، احفظ هذه، فهي حصنٌ عظيمٌ»، وتباركتُ منهم، وودعني، فلما أرادوا المسيرَ، سألتهم هل لي وصولٌ إلى تلك الروضة؟ فقالوا: «لا، فهو ذا أنت ترعى شعباً كثيراً، إياك أن تتحيفَ في الحكمِ أو تحابي».

وأما أنا، فإن ذلك الرغيفَ الذي أعطاني إيه القديس، فقد كنتُ أكل منه في اليوم

ما يغبني عن ثلاثة أيام، وسألتُ القديس عنه، فلم يخبرني ما هو.

وأنا مقارة، كتبتُ هذا جميعه، و كنتُ قد سألتُ الله أن يجعل هؤلاء القوم في متولي ويصلوا في بيعي بنقيوس، فرأيتُ أحدهما قائماً أمامي، وقال لي: «يا مقارة، إنك لن ترانا إلى اليوم الذي تمضي فيه إلى ربك، فنكون حاضرين الصلاة عليك».

فنسأله أن يجعلنا من العاملين بطاعته، ويكتفينا شر الشياطين، آمين.

٤٧

١٢٠٥ - كان شاباً اسمه مقارة، اتفق له وهو يرعى ويلعب مع صديقه له، فقتله بغير تعمد، ولم يعلم به أحد. فمضى لوقته إلى البرية وترهب، وأقام ثلاث سنين في البرد والحر، في أرض ليس فيها ماء. وبعد ذلك بين كنيسة داخل البرية، وأقام فيها خمساً وعشرين سنة، واستحق نعمة من الله، حتى إنه قوي على الشياطين، وفرح في نسك الرهبة. وأقمت بالقرب منه زماناً، ولما صار لي عليه دلائل، فتشتت عن فكره بسبب خطيبة القتل، فقال: «أقمت أياماً كثيرة متابعاً لأجل هذا الفكر، وهو يلازمني ليلاً ونهاراً، ويقلقني جداً، وآخر الأمر أراحي الرب من حزن القلب بسببه، حتى لقد شكرت القتل الذي فعلته بغير اختياري، لكونه كان سبباً لخلاصي، وبنعمه الرب صرت، إذا تعرضت إلى الشياطين، بفكر تعظيم القلب، ويقولون لي: قد صرتَ رجلاً عظيماً أكثر من الرهبان كلهم، فأجيئهم قائلاً: «والقتل الذي فعلته، ما أشد عذابي في الجحيم بسببه». فيمضون عني. ومرة أخرى يقولون لي: «أيها القاتل، لماذا تتعذر في هذه البرية، وليس لك توبة، فتتعب في الباطل، امض إلى العالم واصنع إرادتك لئلا يفوتك الأمان»، فأقول لهم: «الرب الذي صنع الرحمة مع عبده موسى، يرحمني أنا أيضاً»، وكتبتُ أعزى نفسي وحدني بأن موسى لم يستحق أن يرى الله، إلا بعد أن هرب من

مصر، ودخل البرية، لأجل الذي قتله بغير اختياره.

وما قلتُ هذا ليطيبَ قلبُ أحدٍ بالقتلِ، بل ليعرفوا أن أسباباً كثيرةً مختلفةً تجذبُ الناسَ إلى الفردوس؛ فواحدٌ يهربُ لأجل الفقرِ والاستدامةِ، وآخرٌ يهربُ من حورِ المسلمين، وآخرٌ بسببِ زنِ زوجته، وآخرٌ من شرِّ أسيادهِ، وبالجملةِ فإنَّ قوماً يهربون من الخوفِ الدنيويِّ، وقوماً يحبون اللهَ، ويؤثرون خلاصهم، فيصيرون رهاناً يارادهم .(Pal. 15, 1-3)

١٢٠٦ - قال دوروثاوس: «إنَّ الأوجاعَ هي غيرُ الخطايا، فالخطايا هي عملُ الأوجاعِ بالفعلِ، والأوجاعُ هي أسبابُ الخطايا، فقد يوجدُ إنسانٌ فيه الأوجاع كالغضبِ الضارِّ، وشهوةِ الشرِّ، ولا يستعملها.

والقديسون ما اكتفوا بأن لا يفعلوا الشرورَ فقط، بل واجتهدوا في أن يقلعوا من نفوسِهم الأوجاعَ التي هي أصولُها، ولما صعبَ عليهم ذلك وهم بين العلمانيين، تغربُوا في البريةِ، ولازموا الصومَ والصلوةَ والشهرَ، فقاموا بما قُرِرُ عليهم من الوصايا، من عفةٍ، ومسكينةٍ، ونافلةٍ، وغرابةٍ، لتمكيلِ وصاياِ الربِّ. وزيادة العفةِ، وهي عدمُ الجماعِ البتةِ. والمسكينةِ، وهي عدمُ القناعةِ بالكمالِ. والنافلةِ، وهي ما زادَ على الفريضةِ، وهي الرهبنةِ. وفرزوا للرهبنةِ شكلاً (أي زِيّاً) فيه رموزٌ على غرضها. أما القلونيةِ التي ليس لها كُمْ، فإذا أردنا أن نعملَ بأيدينا شرًا، إما بالسرقةِ، أو الضربِ، أو غيرِه، فإنَّ ذلك يُقصَّرُ أيدينا كقصيرِ كُمنا. وأما الاشتدادُ بالمنطقةِ، فلتتشمرُ والاجتهدَ في خدمةِ اللهِ، وكوئها من جلدِ ميتِ، لسميتَ أوجاعَنا. وأما الأbillيون بشبهِ الصليبِ، فإشارةٌ إلى حملِ الصليبِ واتباعِ سيدنا. وأما القوفاليةِ، فهو شبهُ الحنقِ، وهو لباسُ الأطفالِ، والأطفالُ لا مكرٌ عندهم، ولا حقدٌ ولا نحسُ، ولا إقامةٌ هوى، وذلك هو أكبرُ أغراضِ الرهبنةِ» (Dor. Discourses 1).

١٢٠٧ - قال شيخ: «الرهبنة هي غربة، وفقر، وصبر على البلايا والظلم» (Abc.)

.(Andrew 1

١٢٠٨ - وقال أيضاً: «إن لم تبغض الإثم، فلن تستطيع أن تحبَّ البرَّ، كما كتب: حِدُّ عن الشرِّ واصنع الخير».

١٢٠٩ - كذلك قال: «النية هي المطلوبة في كلّ موضع، لا الموضع، فإنَّ آدم كان جالساً في الفردوسِ، وأطاع مشورة الشيطانِ، وتبعَ هواه وعصى وصيَّةَ اللهِ، وأيوب كان جالساً على المزبلةِ، وقاوم الشيطانَ، وضبطَ هواه، وحفظَ وصيَّةَ الإله».

١٢١٠ - كما قال: «إنَّ المسيحيين الحقيقين، هم أفضَلُ الأممِ، والرهبان (الحقيقيين) أفضَلُ المسيحيين».

١٢١١ - كان رئيسُ ديرِ أبي لمايتي راهبَ، هذا زاره السيد المسيح ب بصورةٍ شيخ مسكينٍ، فسألَ البوابَ أن يقولَ للمعلمِ عنه، فدخلَ، فوجده يخاطبَ آخرينَ، فصبرَ، ثم عرَفَه، فقالَ له: «دعنا في هذا الوقتِ»، فتأخرَ البوابُ. وعند الساعة الخامسةِ زارهم رجلٌ مُؤْسِرٌ، فتلقاءَه رئيسُ الديرِ بسرعةٍ، فتقدَّمَ ربهَا سائلاً قائلاً: «أريدُ يا معلمَ أن أكلَّ شَيْئَه إلى البابِ، ونسِيَ المسكينَ إلى المساءِ، ولم يَقْبِلَ الغَرِيبُ المسكينَ. ثم انصرفَ الربُّ، بعدَ أن راسله على لسانِ البوابِ قائلاً: «قل للمعلم إن كنتَ ترى كرامةَ وتشريفاً، فذلك لأجلِ سالفِ تعبكِ، إني مرسلٌ لكَ أقواماً يزورونكَ من أربعِ جهاتِ الدنيا، وأما خيراتِ ملكوتِي، فلا تذوقها». فعرفَ حينئذَ أنَّ الشَّيخَ المسكينَ، هو الربُّ، وتندَّمَ وتَأَلَّمَ .(PE III, 27,3,6-9)

من سيرة القديسين الحكماء

١٢١٢ - اتفق اثنا عشر من القديسين الحكماء، واجتمعوا على رأيٍ واحدٍ ورغم بعضهم إلى بعض في أن يذكر لهم طريقة نسكه، لينتفعوا:

فقال الأول: «أنا منذ بدأت بالانفراد، صلبت ذاتي عما هو خارج عنِّي، وجعلت فيما بين نفسي وبين الأشياء الجسمانية سوراً، وصرت في بيتي، كمن هو داخل السور، فلا ينظر إلى ما هو خارج عنه، فكنت أتأمل ذاتي فقط، متظراً الرجاءَ كلَّ وقتٍ من الله، وصوَّرتُ الأفكار الخبيثة بصورة العقارب والحيات، فمئاً أحسست بها متحركة فيَّ، طردتها وأبعدها بالغيط والتهويل، وما كففت في وقتٍ من الأوقات من الغضب على نفسي وجسمي، لكي لا يعملا عملاً شريراً».

وقال الثاني: «أنا منذ زهدت في العالم، قلت في نفسي، اليوم ولدت، فاترك ما مضى وابتدىء بالعبادة لله. وأنزلت نفسي متزلة الغريب في المكان، الذي من شأنه أن ينصرف غداً».

وقال الثالث: «أنا من باكر النهار أطرح ذاتي على وجهي أمامَ ربِّي، وأقر بجرائمِي، ثم أتضرع للملائكة أن يسألوا الله العفو عنِّي، وعن الناس جميعاً، ثم أطوف أماكن العذاب بعقلِي، وأبكي وأنوح إذ أرى أعضائي مع الذين يُعاقبون ويُ يكون».

وقال الرابع: «أنا أتصور نفسي جالساً في جبل الزيتون مع ربنا وملائكته، وأقول لنفسي، منذ الآن لا تعرف أحداً بالجسد، بل كن مع هؤلاء دائماً، بمنزلة مريم الحالسة عند قدمي السيد، لتسمع أقواله سمعاً مطيناً، كقول ربنا: كونوا أطهاراً لأنَّ طاهراً، كونوا كاملين مثل أبيكم الذي في السماء، فإنه كامل، تعلموا مني فإني وديع ومتواضع بقلبي».

وقال الخامس: «وأنا أتصورُ الملائكةَ صاعدين ونازلين، في استدعاءِ النفوسِ، وأتوقعُ وفاتي كُلُّ يومٍ، وأقولُ: مستعدٌ قلبي يا إلهي».

وقال السادس: «أنا أستشعرُ كُلُّ يومٍ أنني أسمعُ من ربنا هذه الأقوال: اتبعوا من أ洁لي فأني حكمكم، إن كنتم أولادي فاستحروا مني كأبِ محبٍ، وإن كنتم إخوتي فوقروني، إن كنتم أحبابي فاحفظوا وصايني، إن كنتم رعبي فاتبعوني».

وقال السابع: «أنا أذكُرُ نفسي بهذه: وهي الإيمان والرجاء والمحبة، حتى أنجح بالإيمان، وأفرح بالرجاء، وأكمل المحبة لله والعبادة».

وقال الثامن: «أنا أرى المحال طائراً طالباً واحداً يتطلعه، وأرفع نظري العقلي إلى إلهي واستنجذبه عليه في أن لا يدعه يقوى على أحدٍ، وخاصةً على الخائفين منهم».

وقال التاسع: «إني أرى كُلُّ يومٍ كنيسةَ القواتِ المعقولة^(١١٣)، وأعاينُ ربَّ الجدِّ في وسطِها، لاماً جداً، وأسمعُ نغماتهم في تسابيحهم التي يرفعونها إلى الله، بمترلة من قد فهمَ ما هو مكتوبٌ: إن السماواتِ تخير بمحَدِّ الله، فأحسبُ كُلُّ ما على الأرضِ رماداً وكُنasaً، ويزولُ عنِ الضجرِ والتعبِ والغمِّ».

وقال العاشرُ: «أنا أرى الملائكةَ الذي معِي قريباً مني، وصادعاً بأعمالي وأقوالي، فأحفظُ ذاتي، وأتذكُرُ قولَ النبي: سبقتُ فرأيتُ الربَّ أمامي في كُلِّ حينٍ، لأنَّه عن يميني لكي لا أتززع».

وقال الحادي عشر: «أنا أضعُ وجهي على ضبطِ الهوى، والعفةِ، وطولِ الروحِ، والمحبةِ، وأقولُ لنفسي: لا نعم».

^{١١٣} «كنيسة القديسين» حسب النص اليوناني.

وقال الثاني عشر: «أما أنتم فلكم أجنحةٌ من السماءِ، طالبين ما في العلا، فقد انقلتم بالنيةِ من الأرضِ، وتعربتم من هذا العالمِ، فأنتم أناسٌ سمائيون أو ملائكةُ أرضيون. وأما أنا، فإذا قايسْتُ نفسي بكم، أكونُ غيرَ مستحقٍ الحياةَ، لأنَّ أُعانيَ خطاياي أمامي في كلِّ حين، وأينما توجهتْ تتقديمي، وقد حكمتْ على ذاتي أني في جملةِ الذين تحت الأرضِ قائلًا: سأكون معهم، إذا كنتُ مستوجبًا أن أكونَ قريهم، وأبصرُ هناك الدود والحسراتِ والعياراتِ المتصلةَ المرةَ، أقواماً تقعقُ أسنانُهم، ويقفزون بحملةِ جسمِهم مرتعشين، من رؤوسهم إلى أرجلهم، وأطرحُ ذاتي على الأرضِ، وأنثرُ الرمادَ علىَّ، متضرعاً إلى اللهِ، في أن لا أباشرَ تلك العقوباتِ، وأنظرُ أيضًا بحرَ نارٍ يغلي، ويعجُّ، يتوهُّم من يُبصرُهُ، أنَّ أمواجَهَ تبلغُ إلى السماءِ، وملائكةً متنمرين يطرونَّ أنساً لا يُحصَّونَ في ذلك البحيرِ المريع، وكلهم يعجُّون بولولةٍ عظيمةٍ، ويخترقون كالقشةِ، وقد ارتدىَ عنهم رفاتُ اللهِ، لأجلِّ آثامِهم، وأنتحبُّ على جنسِ البشرِ، وأنعجبَ كيف يجسُّرُ أحدُّ أن يتكلَّمَ كلمةً أو ينظرَ نظرةً بمحالفةِ، وقد أعدَّتْ هذه العقوباتِ، لكلِّ من لا يؤمن بالإلهِ وبطريقِ وصايِّاهِ، وهذا أضيَّطُ النوحَ في نفسيِّ، والدموعَ في عينيِّ، وأحكُمُ على ذاتي بأنِّي لستُ أهلاً للسماءِ، ولا للأرضِ، متشبهاً بالنبيِّ القائل: صارت دموعي لي خبراً هماراً وليلًاً».

فهذه أقوالُ وسيرةُ الآباءِ المغبوطينِ، فطوبى لمن اهتدى بأقوالِهم، واقتدى بأفعالِهم، ومن ربنا نسألُ العفوَ والعونَ، وله نقدمُ التسبيحَ والشكراً، ولأبيه الصالحِ، وروحِ قدسهِ، الآنِ ودائماً، آمين. (PE IV 5,2,48-53)

٥٤

١٢١٣ - كان شيخُ قديس، إذا قام بخدمةِ القدسِ، يرى ملائكةَ وافقينَ، واحداً عن يمينِهِ، والآخرَ عن يسارِهِ، هذا كان قد أخذَ نسخةَ القدسِ، من واحدٍ من ذوي

البدع في الإيمان، وإذا كان ساذجاً، لا يعرف تحرير الآراء الإلهية في تقديسه بسذاجة، فقد كان يقول كما في النسخة، ولا يعلم أنه يغلط. وبتديير من الله، زاره شناس، راهب، عالم، فلما خدم الشيخ القدس بحضرته، قال له: «هذا ليس قول أصحاب الأمانة الصحيحة»، وإذا كان الشيخ يصر الملاكين في قداسه، فإنه لم يلتفت إلى قول الشمس. أما الشمس، فإنه لبث يقول له: «غلطت يا أبي، والكنيسة الأرثوذكسية، لا تقبل هذا القول». ولما رأه الشيخ لا يكتف عن توبيخه، التفت إلى الملاكين، وقال لهم: «ما معنى قول الشمس»؟ فقالوا له: «اقبل منه»، فقد قال لك الصواب». فقال لهم الشيخ: «وأنتما، ما بالكم لم تقولا لي»، فقالوا: «إن الله رسم هذا التدبير، أن يصلح لإنسان، إنسان مثله». فانصلح رأيُ الشيخ من ذلك اليوم، وشكر الله تعالى، والشمس.

١٢٤ - قال القديس يوحنا ذهبي الفم: «إذا ما أحطأنا، فإن الله قد ينهض علينا أعداءنا ليؤدبونا، وعلى هذا فلا ينبغي أن نحاربهم، بل يجب أن نحاسب نفوسنا ونتقفها، ولكونه أطلقهم علينا لأجل خطايانا، فمتى حاربناهم، نصرهم علينا، وهذا أمرنا أن لا نكافئ أعداءنا، فلنقبل الامتحانات، كقبول الأدوية من الحكيم لنخلص، وكقبول التأديب من الأب لتشرف، فلهذا قال الحكيم ابن سيراخ: أيها الولد، إن تقدمت لخدمة ربك، فهبي نفسك للتجارب».

٦٥

القديس باسيليوس (٢)

١٢٥ - قال القديس باسيليوس: «إن النصارى قد مُنعوا من محبة المجد الباطل، ومن إرضاء الناس، ومن المباهاة، أما العلمانيون فإنهم يخزون من المسكنة، ويهينون أنواع المأكولات للضيوف، وأما نحن، فلا نرذل المسكنة التي طوئها ربُّنا. وكما لا يليق بنا

إعداد الآلات الكريمة الشفينة في الضيافات، وإحضار البسط فيها، كذلك لا يحسن بنا الاحتفال بالماكولات اللذيدة الشفينة، الخارجة عن مأكولاتنا.

فإن قصداك أيها الأخ غريب، فإن كان حالك كحالك، قدم له الخبر، فإنه يعرف فائدته ويجد عندك ما تركه في قلابته، فإن كان قد أتعبه، فقدم له ما يزيل تعبه.

وإن قصداك علماني، فإنه يأخذ من عندك رسمًا للقناعة في الماكولات، وتذكاراً لموائد النصارى، ونموذجاً للمسكينة المسيحية.

إذا كنا نغير ملابسنا لمن يتلقانا، فلا نغير أيضاً موائدنا للذي يطرق بابنا. والرسول يقول: إن أكلتم وشربتم، أو مهما عملتم، فاعملوه لتمجيد الله (أكور ١٠: ٣١). وما يُعمل للمباهاة، ليس هو لتمجيد الله. ويعقوب اكتفى في مطلوبه من الله، بخنزير أكله، وثوب يلبسه (تك ٢٨: ٢٠). والرسول قال: يكفينا القوت والكسوة (أقي ٦: ٨). وسليمان سأله الله قائلاً: رب لي الكفاف، الذي يقوم بالأؤد. والكافاف هو عدم الفضلة، وعدم الحاجة الضرورية معاً، والغذاء الضروري هو اليسير الثمن، والسهل الموجود، فبهذا يجب الاهتمام، وتقديمه لكلّ محتاج إليه.

ولما كان قوتنا إنما نحصل عليه من شغل أيدينا، يوماً بيوم، فلا نصرفه في تعيم غير المحتاجين، لئلا نضيق على نفوسنا، ونُسبب لهم المضرة الحادثة من التبذير حيث يجب التقشف».

١٢١٦ - وقال أيضاً: «لما شاهدت قوماً أماتوا أجسادهم بالنسك، مدحthem، لأنني رأيت ضبط الهوى قاهراً للشياطين، إذا كان مبنياً على ناموسِ ربّ. ولما رأيتم بعد ذلك كذابين حلافين، سألكم قائلاً: إذا كنتم عاملين بوصايا الناس، فاهتموا أولاً بوصايا ربّ، وتجنبوا الكذب، واليمين الحق، وبافي ما نهى عنه، وتوعّد بالعقاب عليه. فلما لم

يقبلوا مشوري، بان لي أنَّ الذي يعملونه، إنما هو من أجيال تمجيد الناس، لأنَّ ضبطَ
الهوى، يحتاجُ إلى تعبٍ كثيرٍ، أما تركُ الكذبِ واليمين، فلا يحتاجُ إلا إلى تأملٍ فقط».

٤٧٧

أنبا يوساب وملك إنجاكية

١٢١٧ — كان شيخُ ببرية الإسقسط اسمه يوساب، وكان شيخاً كبيراً، متقدماً في
الأيام، هذا قد فرغ (أي ضمر) جسمه وبقي يُظْنُ أنه حيالٌ، من كثرة الصوم، والصلوة،
والسهر، والتعب، والصبر على حرّ الصيف وبرد الشتاء، وكان طعامه من عقاقير البرية،
ولباسه الليفَ الخشن، وكان لا يفتر من التسابيح والقداديس، وتناهى في العبادة حتى بقى
يركبُ على السحاب، ويغتذى من طعامٍ يأتيه من السماء، في أوقات معلومة، وحصل له
من العبادةِ الربانيةِ قوَّةٌ تمنع عنه البرد والحرّ، وكان يزداد في فضائله، مزدرياً بنفسه متيناً
بأنه غيرُ مستحقٍ لما صار إليه.

ومع هذا، اشتهى من اللهِ فكراً طلعاً على قلبه، وهو أن يريه إنساناً يماثله في نعيمِ
الآخرة، وطلب من اللهِ بخشوعٍ وتضرعٍ كثيرٍ، فجاء إليه صوتٌ يقول له: «يا يوساب، يا
يوساب، الملكُ الذي في إنجاكية». واستحبابَ الربِّ طلبته واحتطفته سحابة، وأنزلته
خارج مدينة إنجاكية، وأخذ جريده بيده، وقصد باب المدينة، فلما انتهى إلى البابِ
وجد الملكَ قد ركبَ في ذلك اليوم، وهو خارجٌ من المدينة، وحوله عسکرٌ كبيرٌ بالتجليلِ
العظيم، فبعضهم يمشي في ركابه، وبعضهم على خيلهم. فاستند الراهبُ إلى باب المدينةِ
حتى يشاهدَ الملكَ وجهاً لوجه، وإذا الملكُ قد أقبلَ راكباً، وفرسهُ مثلثٌ بالحليِّ
والمحورات التي عليه، وكان شعاعُ الجوادر المختلفة الألوان التي في التاج الذي على رأسِ
الملكِ يضيءُ.

فحيثند ندم الشيخ وحزن لما أبصر هذه العظمة التي للملك، وقال: «من يكون هذا الملك العظيم، كيف يكون له إرثٌ في ملوكوت السموات؟»؟ وصار حزيناً باكياً، ووقع الازدحام في البابِ وصار الشيخُ من الازدحام في بليلةٍ وتعبٍ عظيم، ولما وصل الملكُ إلى البابِ خفَّ الازدحام. حيثند التفت الملكُ إلى الشيخِ وقال له: «يا أبا يوساب، لقد اشتهرت لنفسك تعباً ما كان إليه حاجة»، وأمر بأن يمضي به إلى القصر، حتى يعود.

فلما سمع الشيخُ قول الملكِ فرح جداً، وقال: «لو لا أن الله ساكنٌ في ذلك الإنسانِ، لما عرفني، ولا عرف قصدي». فلما وصل الشيخُ إلى الدارِ، جلس في الدهلizin حتى نزل الملكُ من الركوبةِ، فأخذ بيدهِ الشيخُ ودخل إلى مجلسِ عظيمٍ، وقد هبَّ فيه طعامٌ للعسكرِ، فجلس في ناحيةٍ من العسكرِ، ودخل العسكرُ جميعهم، فلما أكلوا وشعروا من ذلك الطعامِ، انصرفاً.

حيثند قام الملكُ والشيخُ، ودخلوا إلى ذلك القصر، وإذا بالملكة زوجة الملك، تلتقي بهما وعليها من الخلوي والجواهري، ما يفوق الوصف، وحولها من الجواري جمْعٌ كبيرٌ، يفوق الوصف في حسن الصورةِ وجمال اللباسِ، والخلوي. فلم يزالوا في خدمةِ الملكِ حتى جلس على سريرهِ، وحيثند انعزلت الملكةُ وجواريها عنهم، وبعد ساعةٍ عادت إليهما، وهي لابسةٌ مسحٌ شعيرٌ، وعند ذلك انعزل الملكُ أيضاً، ولبس مسحٌ شعيرٌ وعاد، ثم نهضَا، وخرجَا من ذلك الموضعِ، والسائحُ معهما، وأنوأا إلى مكانٍ في القصرِ، فيه راهبٌ جالسٌ، يعمل في شغلهِ.

فلما رأهم الراهبُ، وقف وقبل السائحَ، وسلمَ بعضُهما على بعضِ، وصلوا جميعهم، وقالوا البركةَ، وجلسوا، وإذا خادمٌ صغيرٌ قد جاء إلى الملكِ والملكةِ بشغلٍ أيديهما، فتناول كلُّ واحدٍ فواحدٍ صنعتهِ، ليعملَ فيها.

فقال الراهبُ للسائحِ، من حيث لا يعرفه: «يا يوساب، إنَّ الرَّبَّ أَرَادَ بِكَ خَيْرًا عظيمًا، لأنَّ أَوْفَقَكَ عَلَى سِيرَةِ الْمَلَكِ وَالْمَلَكَةِ»، وَبَدَعُوا يَتَحَدَّثُونَ بِعَظَائِمِ اللَّهِ إِلَى وَقْتِ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ، حَيْثُ أَتَى خَادِمٌ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا خَبْزٌ وَطَعَامٌ يَوْافِقُ الرَّهْبَانَ، فَصَلَّوَا، وَأَكَلُوا، وَرُفِعَتِ الْمَائِدَةُ.

فَلَمَّا عَزِمَ السَّائِحُ عَلَى الْاِنْصِرَافِ، تَبَارَكُوا مِنْهُ، وَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: «امْضِ بِسَلامٍ الرَّبُّ، وَعَظِيزُهُ هَذِهِ السِّيرَةُ، فَإِنَّمَا عَظِيمَةٌ جَدًّا، لَأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ عَظَمَةَ الْمَلَكِ وَزَوْجِهِ، وَهَا أَنْتَ تَرَى عِيشَتَهُمَا الْآنُ، وَالتَّوَاضُعُ الَّذِي هُمَا فِيهِ، حَتَّى إِنَّمَا لَا يَتَنَاوِلَانَ شَيْئًا مِنْ طَعَامِ الْمَلَكَةِ الْبَتَّةِ، إِلَّا مِنْ شَغْلِ أَيْدِيهِمَا، وَفِي هَذَا كَفَافِيَّةً»، ثُمَّ إِنَّ السَّائِحَ وَدَعَهُمْ وَرَكَبَ عَلَى السَّحَابَةِ، وَعَادَ إِلَى بُرْيَةِ الْإِسْقِيطِ، وَهُوَ مُتَعَجِّبٌ مَا رَأَى مِنْ مَجْدِ اللَّهِ، الَّذِي لَهُ التَّسْبِيحُ وَالْعَظَمَةُ وَالْإِكْرَامُ إِلَى الأَبَدِ، آمِينٌ. (س: ٣٧٣ ظ)

٦٥٤

١٢١٨ - أَخْبَرُوا إِنَّهُ كَانَ فِي الْبَرِّيَّةِ بِالْدِيَارَاتِ، رَاهِبٌ كَبِيرُ السِّنِّ، طَالَتْ أَيَّامُهُ، وَكَانَ لَهُ تَلْمِيذَانِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا غَافِلًا عَنْ نَفْسِهِ، عَنِ الصَّلَاةِ فِي أُوقَافِهَا، عَاجِزًا مُتَوَانِيًّا فِيمَا يُقْرَبُهُ إِلَى اللَّهِ سَبَحَانَهُ، وَكَانَ الشَّيْخُ مُعَلِّمُهُ يَعَايِهُ كَثِيرًا وَيَعْظِهُ، وَيُوصِيهُ أَنْ لَا يَتَرَكَ الصَّلَاةَ، قَائِلًا لَهُ: «يَا ابْنِي، لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ بِالرَّاهِبِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُحِبِّهُ الْحَرَبُ مِثْلُ تَرْكِ الصَّلَاةِ، فَاحْذِرْ يَا ابْنِي أَنْ تُقْوِيَ الشَّيْطَانُ عَلَى هَلَاكِكَ».

بَهْذَا الْكَلَامِ وَمِثْلِهِ، كَانَ الشَّيْخُ يَعْظِهُ، وَيُؤَدِّبُهُ، وَهُوَ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يَرْجِعُ عَنِ التَّوَانِيِّ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ مَدَةً.

ثُمَّ إِنَّ الرَّاهِبَ تَنَيَّعَ، فَأَحَبَّ الشَّيْخَ أَنْ يَعْلَمَ مَصِيرَ التَّلَمِيدِ، فَقَامَ وَأَغْلَقَ بَابَ قَلَّاِيَّةِ، وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّهْرِ الدَّائِمِ، وَلَا طَالَ تَعْبُهُ، أَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يُظْهِرَهُ لَهُ،

فطرح عليه سباتاً، فنام، وبينما هو نائم، رأى ملاكَ الربِّ أخذ بيده، يدور به ويريه مواطنَ الأبرارِ، ومساكنَ الصديقين، وهو متعجبٌ من الراحةِ التي هم فيها، وكان الملاكُ يقول له: «هؤلاء هم الذين أرضوا المسيح»، كما أراه الملاكُ مواضعَ أصنافِ العذاب، وأهوالاً عظيمةً، ففرع مما رأى، فقال له الملاكُ: «لا تخف، حتى تعلمَ ما أتعبتَ نفسك بسببي»، فقويَ قلبه، وبقيَ متفرساً.

وبينما هو كذلك، إذ رأى بركةً عظيمةً شبه الموضع الواسع، وفيها نيرانٌ متقدة، ولهبها يصعدُ، وإذا بجماعةٍ قيام فيها، بعضُهم في النارِ إلى عنقه، وبعضُهم إلى صدرِه، وبعضُهم إلى بطنهِ، وبعضُهم إلى ركبتيه، فلما رأهم، جعل يتغرس فيهم، وبينما هو كذلك، إذا به يرى تلميذه المتواتي قائماً في وسطِ النارِ، إلى سرته، فقال له: «أليس هذا ما كنتُ أخشى عليك منه؟ وقد كنتُ أحذرُك يا ابني»، وصار الشيخُ يبكي عليه، فقال له تلميذه: «من شأنِ الله يا أبي، ارفع عني القربانَ، واطلب من اللهِ بسيي. يا أبي، إنَّ تحتَ رجليَ أقواماً آخرينَ، وأنا واقفٌ على رؤوسِهم».

وبينما الشيخُ كذلك، اتبه من نومه وهو مرعوبٌ، فصنع الشيخُ عن تلميذه قرائينَ كثيرةً، وسألَ الربَّ أن يريه حال التلميذِ، فخطفَ عقلُه في نصفِ النهارِ بسهوٍ، فرأى تلك البركةَ المنتنةَ، ورأى تلميذهَ وقد تركته النارَ، وبقيت فقطَ على أمشاطِ رجليه، وهو يصرخُ، فناداه الشيخُ قائلاً: «يا ابني، ويا نور عيني، ها قد صنعتُ عنك القربانَ، فكيف حالي الآن؟» فقال له: «يا أبي، قد زالت النارُ عني، ووجدتُ راحَةً ما خلا رجليَّ، فلا زالتا في الأتونِ، فتصدقَ علىَ بقربانِ آخر».

فلما اتبه الشيخُ، صنع عنه القربانَ، وأكثرَ الطلبَ بسببيِّ، وسألَ أن ينظرَه دفعَةً أخرى، فرأى في الرؤيا، وقد زالت النارُ عنه، فسألَه قائلاً: «يا ولدي، كيف حالي

اليوم؟»، فقال: «يا أبي، قد زالت عن النار، ولست أريد شيئاً سوى أن أنظر لأنّي أعمى».

وعندئذ انبه الشيخ من نومه، وسبّح الله قائلاً: «يا رب، ما أكثر تحننك على جنس البشر»، وهو الشيخُ أن يطلبَ من الربِ بسببِ التلميذِ كي ينظر، ولكن في أثناء ذلك، تنيحُ الشيخُ بشيخوخةٍ حسنةٍ مرضيةٍ. (س: ٣: ٨٤ ج)

م٦ +

الجواهري الحكيم

١٢١٩ — قيل إن إنساناً تاجراً، خبيراً بالقصوص والخرز، عارفاً بجوهر اللؤلؤ؛ هذا ركب في سفينة مع غلمانه، وكانت معه جواهر جزيلة الثمن، وأشياء أخرى ثمينة، وكان في السفينة عدة نواتية. وكان بين النواتية صبي، حسن، هادئ الحركة، هذا شكاً لذلك التاجر بأنه يغضّ صناعة البحر، كما يغضّ معاشرة رفقة، لما هم عليه من العوائد الذميمة. ثم إن التاجر قال له: «لا يضيق عليك الأمر، فإذا سهلت طرقتنا بمعونة الربّ، وصعدت من هذه السفينة، أخذتك معي، واعتنيت بمصالحك». فطاب قلب الصبي بالكلام.

وحدث في بعض الأيام، أن تشاور النواتية فيما بينهم على أن يقذفوا بالتاجر وبغلمانه إلى البحر، من أجل ما معه من المال، فلما أعلموا بذلك الصبي الذي كان صديقاً لذلك التاجر، أسرع وأخبره بما تشاورا عليه، فقال له التاجر: «هل أنت متحقق من ذلك؟؟ قال له: «نعم».

حينئذ قام الجواهري بسرعة واستدعي غلمانه، وقال لهم: «كل ما أمركم به، افعلوه بسرعة، لأنّه إن هاونتم، فسوف تموتون أنتم أيضاً». ثم بسط

إزاراً في وسط المركب، وقال لهم: «هاتوا ربوات الجوادر كلّها»، فقدموها إليه، ففتحها وأفرغها قدام كلّ من في المركب، وببدأ يقول: «هذا عدوّي، وأنا أشفقُ عليه، هذا قاتلي، وأنا أحّبه، هذا مبعدي من الحياتين، فما انتفاعي به؟ أحملوا معي»، فحملوا معه، وبسرعةٍ طرح جميع الجوادر في البحر، فلما رأى الملاحون ذلك تحرروا في أمرهم، والخلت مشورتهم، ثم أصبح يتصدق منهم الخبز، فالملاحون لما أبصروه على تلك الحال، رجموه، وببدأ هو يقول: «أشكرك يا ربُّ، لأنك أخصتنِي خلاصِي نفسي وجسدي، اليوم زالت عني قساوةُ القلبِ، وربحتُ تلك النفوسَ الهالكة، أولئك الذين بعمى قلوبهم تشاوروا، وبسيسي طلبو أن يسكنوا الجحيمَ المخلدَ». (س: ٣٢٣) (١١٤)

مختصر

قوة إشارة الصليب

١٢٢٠ - قال شيخٌ: «حدث أني كنتُ دفعَةً سائراً في الصعيدِ مع رجلٍ إسماعيليٍ، وأمسى علينا الوقتُ، ولم نستطع أن نصلَ إلى مسكنٍ لنلتخيَ فيه إلى باكرٍ، وفيما نحن محظوظون، خائفون من الوحوشِ، صادقتنا بربا عتيقةً، فدخلناها لنستريحَ إلى باكر. وإنني وقفتُ ورشمتُ علامَةَ الصليبِ المقدسةَ من ناحيتي هذه، وهذه، ثم رشتها أيضاً تحتي وفوق رأسي، ورقدتُ.

وفي نصف الليلِ، إذا بنا نسمعُ صهيلاً خيلٍ، وصياحاً، وخياراً عظيماً، وقلقاً من الجنونِ، ورأيتُ واحداً يجلسه على كرسي مثلِ والٍ، وأمرَ القيامَ بين يديه، وهم كالرقصين، أن يدخلوا البربا حيثْ كنا راقدين، وأخرجوا الرائقَ معي، وضربوه حتى شارف الموتَ، وكانوا يقولون له: «أين هو الرائقُ معك؟»؟ فيقول لهم: «إنه في الموضع

^{١١٤} تأتي هذه القصة في مخطوط س ٣ أنها مثل قاله الأنبا باخوميوس لأولاده.

الذى كنتُ راقداً فيه».

أما أنا فصرتُ كالميتِ من الخوفِ الذي لحقني، وهم كلما اقتربوا مِنِي ونظروا علامَةَ الصليبِ، يهربون إلى خلفِ، ويقعون على وجوهِهم. وكان الحالُ على الكرسي يقول لهم: «ما بالكم لا تحضرُونه؟»؟ فكأنوا يقولون له: «إذا نحن دوننا منه، نظرُ علامَةَ الصليبِ، فلا نقدر أن نقفَ، بل نهرب إلى خلفِ، ونسقطُ على الأرضِ». فيقول لهم: «اصعدوا إلى الهواءِ، وانزلوا عليه من فوقِ، وائتوني به». فكأنوا لما يأتون إلىِّ، ينظرون العلامَةَ على رأسِي، فيهربون إلى خلفِ. ومكثتُ هكذا في هذا الانزعاجِ العظيمِ، حتى أشرقَ النورُ، حيث ذهبوا خائبين، تاركين ذلك الرجلَ قريباً من الموتِ. وقد عجبتُ إذ لم يقدروا الدنو مني وقلتُ: «سبحانَ السيدَ المسيحَ صاحبَ العلامَةِ».

أما ذلك الرجل الذي ضربوه، فقد تعجبَ مِنِي لما رأى، وقال: «لماذا لم يقدروا أن يضربوك، وقتلوني أنا (ضربياً)؟، فأعلمه بعلامَةَ الصليبِ المخلصِ الذي لسيدهنا يسوعَ المسيحِ، فعندما سمعَ مِنِي هذا، مضى وتعمَّدَ، وصارَ مسيحيَاً مختاراً، وأكملَ عمرَه وهو لابسِ السلاحِ، والمثالُ الذي لإهلانا يسوعُ المسيحِ».

م٤٢٦

البستاني الرحوم

١٢٢١ - أخير بعضُ الشيوخِ عن رجلٍ كان يعملُ فاعلاً في البستانين، ويتصدقُ بجميعِ أجرتهِ، خلا قوتهاً، هذا خطر له فكرٌ من العدوِ قائلًا له: «ها قد قضيتَ عمرَكَ جميـعـهـ وأنـتـ تتصـدقـ بأـجـرـتـكـ، فـهـلـ ضـمـنـتـ لـنـفـسـكـ عـوـارـضـ الزـمـانـ؟ـ اـجـمـعـ أـجـرـتـكـ وـاحـفـظـهـاـ تـفـعـلـكـ». فـجـمـعـ ماـ اـسـطـاعـ جـمـعـهـ مـنـ أـجـرـتـهـ.

وحدثَ بعد قليل، وهو في البستانِ يعملُ، أن ضربتْ شوكةً في رجلِهِ، وعملَتْ

عليه، فأنفق جميعَ ما كان معه، ولم ينتفع بشيءٍ منه، وبعد ذلك ابتدأ يسألُ ويتصدقُ من الذين كان يتصدق عليهم، وأخيراً... أتت رجُلٌ جدًا، فأشار عليه الأطباء بقطعها، لثلا يسْوَدَ الجلدُ جمِيعُه ويسُوّسُ، وأوصوا بسرعة قطعها سَحراً.

وفي تلك الليلة، بينما كان يكفي ويتنهد، رجع إلى نفسه وندم، لأنَّه أخطأ بجمعه الصدقة التي كان يتصدق بها، وكان يقول: «أخطأتُ يا ربُّ، أغفر لي من أجلِ محبتك لجنسِ البشرِ». فظهر له ملاكُ الربِّ قائلاً له: «أين هي الفضةُ التي ادخرتها، وتوكلتَ عليها، لتعينك في مرضك، لقد راح ما جمعته باطلًا، والصدقةُ التي كنتَ تصرفها، قد رجعتَ وأخذتها؟ فبدأ يكفي ويقول: «أخطأتُ إليك، أغفر لي، وإن رجعتُ معاف قويًا، عُدتُ إلى ما كنتُ عليه أولاً». ففي ساعتها مسَّ الملاكُ رجله، وشفيتَ للوقتِ وقام من ساعته، ومضى إلى البستانِ الذي كان يعمل فيه.

وباكراً حضر إليه الطيبُ، ومعه المشار ليقطع رجله، فقالوا له: «لقد مضى إلى البستانِ يعمل فيه»، فمضى إليه الطيبُ، فوجده واقفاً يحفرُ في الأرضِ، وهو صحيحٌ، فتعجبَ وسيَّح اللهُ، وحييند عرفة سببَ مرضِ رجله وعافيته، فمَحَّد اللهُ، وانصرف عنه

.(An. 261)

٤٥٤

أنبا لونجينوس

١٢٢٢ - قيل عن أنبا لونجينوس، إنَّ أفكارَه قاتلتَه بالخروج إلى البريةِ الداخليةِ لكي يستريح، فجاء صوتٌ سمعه سِياعاً بليناً وهو يقول: «قلاتيك أعظم من خروج البريةِ، وهي صحراء أكثر من البريةِ».

فنهض بسرعةٍ، وأخذ بيده عصاً، وبدأ يمشي في القلاية ويقول: «من هذه الجهةِ

الشرقية، يمضي الناس إلى القدس. والقدس هذه، هي المدينة المقدسة وفيها صليبَ الربُّ، وأيضاً قُتلَ فيها الأنبياء، وذُبحَ فيها زكريا بن بريخيا بين الهيكلِ والمذبح، فما أعظم ما في هذا المشرقِ، الذي منه المحسوسُ أقبلوا كذلك». وانتقل إلى غربِ قلاليته، وهو يقول: «وأما هذا الغربُ، فهو الجبلُ المقدس، وهو المعروف بالإسقسط، وأسماه أبا بلاطِي جبل شيهات، الذي هو ميزان القلوب، فما أعظمَه من جبلٍ، فالربُّ وعد بالغفرةِ لجميع من يسكنونه، ويموتون فيه، وبالراحةِ لهم يوم الدين. وأما الجهةِ القبلية، فما أعظمَها، فقد كان يسكن فيها رأسُ الآباءِ البطاركة إبراهيم أبو الأممِ، وعلى رأس هذه الجهةِ القبليةِ، تكلم الله مع إبراهيم، واستضافه وملائكته، وفي هذه الجهةِ القبليةِ، صعد إبراهيم على رأسِها، وربط ولده إسحاق بيديه ورجليه، فقال له ولده إسحق: يا أباَه، هؤلاً الرباط، وهذا هي النارُ والخطبُ والسكنِ، فأين هو الحمل، أعلَى أنا هو الضحيةِ اليوم؟ فنادى الربُّ إبراهيم قائلاً: لا تمد يدك إلى الغلامِ، قد قبلتُ ضحيتك». ثم صار يمشي في القلايةِ إلى الجهةِ البحريةِ، وفَكَرْ قليلاً: «هذا شرخٌ يطولُ، هذه القلايةُ أعظمُ وأوسعُ من البريةِ».

ولما أعيى من الفكرِ والمشي، جلس، ثم أدرَّ كه المساءِ، وبدأ يقول لأفكارِه: «لقد دخلنا في البريةِ، ووصلنا إلى المشرقِ والمغربِ»، ثم قال لنفسِه: «إنَّ الذين يبتغون سكنى البريةِ، خبراً لا يأكلون، وماءً لا يشربون، فافعل أنت هكذا».

وخرج على بابِ قلاليته، وأكل قليلاً من نباتِ الأرضِ، ثم قال لنفسِه: «والذين في البريةِ، لا ينامون تحت سقفِ، بل تحت السماءِ»، وفعل كذلك، بأنَّ ألقى بنفسِه على الصخرةِ ونام متعباً.

وأقام على هذه الحال ثلاثةَ أيام، يمشي من باكر إلى عشيةِ في جوانبِ قلاليته، ويأكل البقل الأخضرِ، ويضطجعُ قليلاً تحت السماءِ، حتى أعيى وضهر، وبدأ يخاضُ

نفسه بحرب، ولطم على خديه قائلاً: «ادخل بعد إلى قلائك، وابك على خطاياك، ولا يطيش عقلك بقولك: البرية، قد دخلت البرية. أما سمعتَ داود يقول: عينُ الرب على خائفيه، وأذناه ينصتان إلى تضرعهم، ولا يخفى عنه شيءٌ من أفكارِنا»، فلما نظره المحرّب هكذا، خاف منه، وانصرف عنه. (س:٣٨٢ ظ)

١٢٢٣

١٢٢٣ - أخبروا عن شيخ قديسٍ، إنه كان داخلاً إلى مدينة لها أميرٌ كبير، وكانت له ابنة، قد قاربت الموت، فلما رأى القديس، أمسكه وأعاقه من السفر قائلاً له: «لن أطلقك حتى تصلي على ابتي فتعافي»، فتبعد الشيَخ إلى موضع الصبية، ووقف فوق رأسها، وبسطَ يديه قائلاً: «أيها ربُّ العارف بخيرة النفوس، يا علام الغيوب، يا من لا يشاء أن يهلك أحداً من جنس البشر، أنت تعلم خيرة هذه الصبية، إرادتك أفعلاها معها». وللوقت أسلمت الصبية روحها، فصاح أبوها على الشيَخ قائلاً: «واويله منك يا شيخ، فإن كنتَ لم تقدر أن تقييمها، فلا أقل من أن تعطيها لي كما كانت، وإلا فلن أطلق سبيلك»، فطلب الشيَخ من الله، فعادت نفسها فيها بطلبة الشيَخ دفعةً أخرى.

ولما عوفيت، لم تلبث أن سارت سيرةً رديئةً، فأفسدت جلالَ أبيها، فمضى إلى موضع الشيَخ، وطلب منه قائلاً: «أريدُ أن تموتَ، فقد عاشت عيشةً رديئةً، وأنا أحترمُ أن أمشي بسببها»، فقال له الشيَخ: «أنا قد طلبتُ من اللهِ الخيرَ فيما يريد، وقد علم اللهُ أن موتها أصلح، لكنك لم تُردد، والآن لا شأن لي معك»، ومضى الشيَخ وتركه.

١٢٤ - وقال هذا القديس^(١١٥): «إني أعرفُ امرأةً بأورشليم اسمها ستروتين، هذه كانت خاطئةً، وتابت بحرقة قلبٍ، ورجعت إلى الله، وتنسّكت، وعملت فضائلَ

^(١١٥) يأتي اسم القديس زيون في هذا القول في مجموعة أقوال الآباء بالأئيوبيه.

كثيرةً، حتى إنها من كثرة الفضائل التي عملتها، ونعمَّةُ الرب يسوع المسيح التي معها، صارت مدبرةً لدير عذاري.

ولما صارت مدبرةً للدير، زادت على نسكيها وصبرِها، حتى إنها من كثرة نسكيها وصبرِها، ضعفت قوتها، فسألتها العذاري قائلات: يا أمنا كلي قليلاً من الطعام، كي يكون في جسدك غذاءً قليل، وتستطيعين أن تمشي إلى داخل الموضع المقدس. فقالت لهن: يا بناتي، لا تتعيني لأجل طعام قليل، بأكله أرجع إلى عادتي القديمة، فلأجل هذا أنا أخافُ من الأكل» (Eth. Asc 46).

٤٨٦

القديس أنبا دانيال والهبيلة

١٢٢٥ — كان أنبا دانيال، سائراً مرةً مع تلميذه في طريقِ، فلما قربا من موضع يقال له أرمون المدينة، قال لتميذه: «امض إلى هذا الدير الذي هو لواء العذاري، وعرف الأم، أني ه هنا». وكان الدير يُعرف بدير أنبا أرميوس، وكان فيه ثلاثة عذراء.

فلما قرع التلميذ الباب، قالت له البوابة بصوتٍ خافت: «من هذا، ماذا تريده يا أبا؟» قال لها الأب: «أريد أن أتكلم مع الأم». فقالت له: «إن الأم لا تتكلم مع أحدٍ، فعرفي بما تريده، وأنا أعرفها»، فقال لها: «قولي لها، هو ذا راهبٌ، يريد أن يتكلم معك»، فمضت ودعت الأم، فجاءت إلى عند الباب، وتكلمت معه على لسان البوابة، فقال لها الأخ: «اصنعي مجدةً، واقبلينا إليك هذه الليلة، أنا وأبي، لئلا تأكلنا الوحوش». فأجابت قائلةً: «ليست لنا عادةً أن يبيت عندنا رجلٌ، والأصلح لكم أن تأكلكم وحوش البرية، ولا تأكلكم السياع الجوانية، الذين هم الأعداء الشياطين»، فقال لها الأخ: «إنه أبونا دانيال، أرسلني إليك».

فلما سمعتْ أنه أَبُوا دانيال، خرجت مسرعةً إلى البابِ الثاني، والعذاري يجرين خلفها، وهن يفرشن بلالينهن في الطريقِ إلى موضع الشِّيخِ، فما أن دخلَ الدِّيرَ حتى قدمتْ له لقَانًا فيه ماءً، وغسلتْ رجليه، ولما فرغتْ من غسلهما، جعلتْ العذاري يأخذن الماء ويغسلن وجوهَهن، ما خلا أختَها واحدةً، كن يقلن له الهبَلة، مطروحةً عند البابِ، بخرقِ زريةٍ جدًّا، فلما فرغوا من الغسلِ، خرجَ الأبُ أَبُوا دانيال عند البابِ، فنظرَ إلى تلك الأختِ، فلم تسلمْ عليه، ولا التفتَ إلى كلامِه، فصرختْ عليها الأخواتُ، أن تقبلَ يديِ أَبِينا أَبُوا دانيال، فلم تقفْ، فقالتْ الأمُ للأبِ أَبُوا دانيال: «يا أَبَانَا إِنَّمَا مجنونَةٌ، وطلبتُ مرارًا كثيرةً أن أُطْرِحَها خارجَ بَابِ الدِّيرِ، ولكني خشيتُ من الخطيبةِ».

ثم إنَّهن قدمنَ للأبِ أَبُوا دانيال طعامًا ليأكلَ، وبعد ذلك أكلَن، ثم قالَ لِلْتلميذهِ: «اسهر معِي الليلةَ، لِتُنْظَرَ عِظَمُ فضائلِ هذهِ الْقَدِيسَةِ الَّتِي يَدْعُونَهَا مجنونَةً».

ولم تصِّي هجعةً من الليلِ، وإذا بالمجنونَةِ قد قامَتْ، وانتصَبَتْ، ورفعتْ يديها نحو السَّمَاءِ، وفتحتْ فاهَا وباركَتِ اللهُ، وصنعتْ مطانِياتَ كثيرةً، وكانتْ دموَعُها تجري مثلَ ينبوغِ يجري، من أجلِ حُرقةِ قلبِها في اللهِ، وكانَ هذا عملَها في كلِّ ليلةٍ، وإذا سمعتْ حسَّاً نحوها، طرحتْ نفسها على الأرضِ، وتظاهرتْ بأنَّها نائمةً، وهذا كانَ تدبِيرُها جميعَ أيامِ حياتِها. فقالَ لِلْتلميذهِ: «استدِعْ الأمَّ بِسرعَةٍ». فلما أتتْ ونظرتْ الأختَ عبدةَ المسيحِ، والنورَ بين يديها، والملائكةَ تسجدُ معها، بكَتْ وقالَتْ: «الويلَ لِي أَنَا الْخاطئَةُ، فكم صنعتُ بِهَا مِن الشَّتمِ والإهانَةِ والتعييرِ».

فلما ضُربَ الناقوسُ، واجتمعتِ الأخواتُ للصلوةِ، عرفنهُنَّ الأمَّ بما عاينَتْ. فلما علمتْ (الْقَدِيسَة) أَنَّهنَ علمُنَّ بِخبارِها، كتَبَتْ ورقةً وعلقتها على قصبةٍ عند بَابِ الدِّيرِ، وخرجتْ من الدِّيرِ، وكانَ مكتوبًا في الورقةِ: «أَنَا الشَّقِيقُ، لشقوتي، ومعاندةُ العدوِّ

آخر جنٍ من يبنكن، وأبعدني من وجوهكن الملوءة حيَاةً. إهانتكَن لي كانت قرة نفسيٍ، وضجركم علىٰ كان ثُمَّةً تُجْمِعُ كُلُّ يومٍ، استقلالكَن لي كان ربحيٍ، ورأس المال يزداد كل يوم وساعة، فمباركةٌ تلك الساعة التي قيل لي فيها: يا هبْلَة، يا بْحَنْوَة، وأنتن محاللات من جهتي، بارئات من الخطية، وإن قدامكَن، قدام المنير، سوف أجاوب عنكَن لأجلِي؛ ليس فيكَن مستهزئٌ، ولا من هي محبةٌ للحجرة، ولا للباس، ولا للشهوة، بل كلَّكَن نقيات».

وهذه هي آخر رسالَةٍ لها، فلما قرأها أبا دانيال قال: «ما كان بيأني البارحة هنا، إلا لهذا السبب».

وإن جميع الأخوات، أقررن له بما كنَّ يهينونها، ويفترهن به عليها، فحينئذ حاللهن الأب أبا دانيال وعرفهن بأن لا يستهزئن بخليقَةِ الله، وهذه أعظم الخطايا، حتى ولو كان هبيلاً، لأن توراة موسى النبي تقول: «خَلَقَ الإِنْسَانُ عَلَى صُورَةِ اللهِ وَمِثْلِهِ بِالوَقَارِ، وَالْإِكْرَامِ، وَطُولِ الرُّوحِ، وَالثَّانِي»، ثم إنَّ الأب صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّخَذَ دِيرَهُ. (س: ٣٧٢ ظ)

بِهِ مَهْ

القديس أبا دانيال واللص التائب

١٢٢٦ - كان بالقربِ من جبلِ شيهات، الذي تفسيره ميزانُ القلوب، ديرٌ فيه كثيرٌ من العذاري، وكان لهن رزقٌ قليل، وكن يفرقون منه على المساكين والغرباء، وإن مبغضَ الخير، لم يتحمل البرَّ الذي يصنعنـه، فدخل في قلبِ مقدمٍ قبيلةٍ بالقربِ منهـنـ، وأغرـاه بسرقةِ الدـيرـ، وكم كان فرـحـ رجالـه لما عـرـفـهم بـعـزمـهـ.

فلما جاءـوا إـلـى الدـيرـ، تحـاـيلـوا كـيـفـ يـجـدـونـ السـبـيلـ لـأـخـذـهـ، لـكـنـهـمـ لمـ يـقـدـرـواـ، لأنـ

حصن الدير كان منيغاً، فقال لهم مقدمهم: «ما أقوله لكم افعلوه، امضوا وأحضروا لي ثياب راهب، وبليناً أسود، وقلونية منقوشة كلها صليب، مثل شكل آبنا دانيال، الذي من شيهات، فإذا أمسى الوقت، ليست كل ذلك، وأخذ بيدي جريدة، وأقرع الباب، فإذا نظرن إلي يفتحن لي من أجله، وبذلك أهيئ لكم الموضع لتهبوا براحة». فلما سمعوا فرحاً، وأحضروا الثياب الذي طلبه.

ولما أمسى الوقت، قام المقدم، لابساً الثياب، وأخذ في يده جريدة، وقرع الباب، فجاوبته البوابة: «من أنت يا سيدي وأبي؟»، فقال لها: «امض وعرّي الأم بأن المسكين دانيال القسيس، الذي من شيهات، قائم على الباب، ويقول: أقبلني عندك إلى الغداة لكي أستريح». فأبلغت البوابة الأم بالكلام، وما أن سمعت الأم أن آبنا دانيال قائم على الباب، حتى قامت مسرعةً، والأخوات يتبعنها، وقبلن رجلي ذلك الإنسان. ولأن الوقت كان مساءً، فإنهن لم يتحققن شخصه، بل أسرعن، وأحضرن ماءً في لقان، وغسلن رجليه، ولما أردن أن يفرشن له في علو الدير، منعهن قائلاً: «لن أفارق هذا الموضع».

وإن الأم والأخوات أخذن الماء الذي غسل فيه رجليه، ووضعوه قدامه، وبدأت كل واحدة تغسل وجهها منه، وهو يُصلب عليها. وكانت بين الأخوات بنتٌ عذراء عمياً من بطن أمها، فحدث لما أمسكن بيديها، وأحضرها إلى ذلك الإنسان، أن آب آبنا دانيال قد حضر عندهن بالروح في تلك الساعة، وأمسك ييد العذراء وأحضرها إلى ذلك الإنسان، وقلن له: «يا أبا، نطلب من قدسك أن تصلب على عينيها»، فقال لهن: «قدمن لها فضلة الماء الذي في اللقان». وكان قوله هذا استهزاءً بالماء، واستقلالاً (أي استخفافاً) لعقولهم، فلما أخذت الأنحت الماء، ورشت عليه باسم المسيح قائلة: «بصلاً القديس آبنا دانيال»، فللحوق افتتحت عيناهما، وذلك الإنسان ينظر.

فيما للخوف الذي لقاه ويا للرعدة، وما أعظم الصراخ الذي صرخ به في تلك الساعةِ وبدأن يقبلُن رجلي ذلك اللص، قائلات له: «يا أبنا، مباركة الساعةُ التي دخلت فيها إلينا».

أما اللصُّ، فقال: «يا ويلي، ويا غربي من اللهِ، إذا كان باسمِ أبنا دانيال، ثُفتح أعينُ العميان، فكم تكون عظمةً ذلك الذي يعمل عملَ الربِّ، ويلي، كيف ضيَعْت زمامي في عملِ النحاسات، وحق صلاة أبنا دانيال، من الآن، لن أرجعُ أسلك الطريقَ التي كنتُ أسلكها»، وكان يقول هذا، وهو يبكي، ويتفش شعرَ لحيته.

أما العذاري، فكن يكرر عليه القول: «مباركة الساعةُ التي حضرتَ فيها إلى هنا»، وأما هو فكان يقول: «بالحقيقة إنها ساعةٌ مباركة».

وأما الرجالُ الذين كانوا يتظرونَه، ليفتح لهم البابَ، فقد كانوا قياماً، وسيوفهم بآيديهم، وهم قلقون على فتح البابِ، وقد سمعهم، وهو في الداخلِ، يقولون: «لقد أزفَ الليلُ، لعله يريدهُ أن يترهب ويسكن عندهن»، وآخرُ منهم يقول: «لعل راهبةً منهن جعلته نصرانياً»، وكانوا يقولون هذا الكلامَ باستهزاءٍ، فكان يسمع ذلك ويقول: «حقاً، لقد نطقَ نبيُ الله على أفواهِهم، بأني أترهب، وأن راهبةً منهن جعلتني نصرانياً».

ولما أتار النورُ، وانقطعَ رجاؤهم فيه، خافوا وانصرفوا إلى مكانِهم محزونين، وأسنانُهم تصرُّ على مقدمِهم. ولما كان الصباحُ سحراً، بسطَ ذلك اللصُّ يديه نحو المشرقِ قائلًا: «يا ربُّ، إنك لم تأت لتدعونَ الصديقين، لكن الخطاةَ، فاقبلني إليك بصلوةِ الذين تبعوا على اسمِك». ثم إنه ودعهن، وخرج وهن متحققاتٍ من أنه أبنا دانيال.

فلما توسطَ الطريقَ، خرج عليه رفقاؤه، وقالوا له: «ما الذي أصابك؟ إنما قعودك كان لأنك وجدتَ جواهرَ حسنةً، وأنت تقصد أن تبدّي نفسك علينا. أرنا ما معك».

فلما فتشوه، وجدوه بأسوا حال، وقد تغير وجهه، وتورمت عيناه، من عظم البكاء، وقد تغير كله، وخرجت منه النفس السبعية، وعند ذلك خافوا وارتعدوا، وبدعوا يسألونه بخوف وحشمة، أن يُعرّفُهم ما السبب في تغيير جميع حياته.

وعند ذلك بدأ يعرّفُهم من وقت دخوله عندهن، وأمر العذراء العمياء، حتى الساعة التي هو فيها. أما هم فلما سمعوا، دخلهم الخوف وسكتوا.

ثم إنه توجه نحو البرية، إلى عند الأب دانيال، وتبعه بعض رفقاءه، وقص عليه ما جرى بدير العذارى، فقال له أبا دانيال: «أنا الذي أحضرت إليك العذراء العمياء، ومن وقت دخولك إليهن، أنا كنت حاضراً بينكم بالروح». ومن بعد ذلك رهبه، وأقام عنده بالعبادة الحسنة، والزهد الزائد، إلى يوم وفاته، وعمل هذا اللص معجزات عظيمة، وبصلاته سرق فردوس النعيم، بركة صلاته تكون معنا آمين. (س ٧: ٨١ ظ)

فهرس الأشخاص

- أغاثيون ١٥٧-١٣٤
 أغريبيوس ٩٩٨
 إفاغرييوس (انظر أوغريس)
 أفراط ٧٦٠
 أفرام (السرياني) ١٩٠، ٢٨٤، ٣٠٠، ٤٣١، ٤٠٨٤، ١١٣٧
 إقليمس ١١١٠
 إكليماكوس (انظر يوحنا الدرج)
 إلاديوس ٤٣٦
 إلييانوس ٧٦٦
 إلكسندروس ١١٣
 إلوجيوس ٥٧٢، ٣٣١، ٤٣٢، ٤٣٢
 إلוניوس (اللوني) ٧٧٤، ٧٠٧، ٤١٠-٤٠٨
 إلشع (النبي) ٧٩٤، ٥٨٨، ٥٨٣
 أموس ٦٩٥
 أمون ٦٥٩، ١٤٦
 أموناس ٤٠٧، ٢٧٧
 أمنونيوس (الأسقف) ٢٧٤-٢٧١
 أناانيا ١٠٦٦
 أنديراس ١٢٠٧
 أنسطاسيوس ٧٦٢، ٤٠١، ٤٠٠
 أنطونيوس -١، ٣٢٤، ٣٥، ٣٨، ١٦١، ٢٠٣، ٢٧٢، ٢٨٣، ٥٨٣، ٥٠٩، ٤٨٧، ٤٨٦، ٤٧٩، ٣١١
 أورانيوس (أوبربيوس) ٧٠٩، ٤٣٥-٤٣٣
 أوريسيوس ٣٣٠
 أوريغانوس ٧٥٩
 أبرآم (أنبا) ٤٩، ١٩٣، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٤٤، ٤٥٩، ٧٨٤، ١١٣١، ٩٤٧
 إبرآم (تلמיד شيشايني) ١٠١٥
 إبراهيم ٩٦٦، ٨٠٣، ٧٤٦
 إبراهيم (أب الآباء) ١٥، ٥٤، ٣٩٣، ٦٤٦، ٧٠٧، ٧٣٦، ١٢٢
 إبلطاما ٧٤٤
 إيليناتيوس (أيلفي) ٤١١
 أبو بلو ٤١٢، ٣٣٧
 إيفانيوس ١١١٥، ٤٣٠-٤٢٥
 إثناةيسوس (الرسولي) ٧١١، ٧٦٣، ٧٦٨، ٩١٨، ٩٤١
 آخاذ ١١٩٣
 أخيلا ٢٧٧-٢٧٥
 إدفليوس ٨١٦
 آدم ٥٤، ١٦٨، ١٦٩، ٢٨٠، ٦٢٧، ١٠١٨، ١٠٠٢، ١٠٦١
 ١٢٠٩، ١١٩٣، ١١٠١
 إرسانيوس ١١٧٤، ١٠٠٦، ٨٠٢، ٨٣١، ٣٣٠، ١٣٠-٩٤
 إرميا (النبي) ١٠٧٣، ١١٣١
 إسبيانوس ٧٥٨
 إسحق (السرياني) ٩٢، ٩٣، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ٣١٩، ٧٥٦، ٩٥٠، ٩٩٣
 ١٠٨٧، ١٠٧٤-١٠٧٠، ١٠٥٩
 ١١٣٩، ١١٣٨، ١١٤٠-١١٠٠، ١٠٨٨
 إسحق (ابن إبراهيم) ١٢٢٢، ٧٦
 إسحق (قس القلاي) ٣٣١، ٣٥٥، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤
 إسحق (تباعيسي) ٤٨٤
 إشعاء ٩٦، ١٠٨، ١٢٥، ٢١١، ٢٢٢، ٢٩٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٣٦-٣٣٤، ٤٤٨، ٤٤٧، ٦٦٠، ٨٧٧، ٨٨٦
 ١١٧١، ١٠٥٩
 إشعاء (النبي) ٤٩٢، ٥١٩، ٥٠٨، ٨١٠
 اصطفان ٧٦٧

- بيمين ،٦٠ ،١٧٣ ،١٩١ ،١٨٨ ،٢٥٨ ،٢٨٩ ،٣٦٦
 ،٣٧٦ ،٣٧٦ ،٣٨٤ ،٣٩٩ ،٤٠٣ ،٥٥٥ ،٦٠٧-٦٠٤
 ،٦٩٣ ،٦٦١-٦٥٩ ،٧٢٣ ،٧٢٤ ،٧٢٤ ،٨٧٤
 -١٠٥٢ ،١٠١٦ ،١٠٠٩ ،٩٩٦ ،٩٨٠ ،٩٧٤
 ،١١٥٤ ،١٠٥٨ ،١٠٥٦ ،١١٣٢ ،١١١٩ ،١١٤٦ ،١١٥٣ ،١١٥٤
 ،١١٥٧ ،١١٩٠ ،١١٨٩ ،١١٨١ ،١١٨٠ ،١١٩٠
 بيبلور ،٣٩٥ ،٦٦٨ ،٦٦٧ ،٦٦٨
 تادرس (الرهاوي) ،٤٥٩ ،٣٩٣
 تادرس (الفرماني) ،١١٨ ،٢٨٨ ،٤٥٨-٤٥١ ،٨١٢ ،٨٧٢
 تادرس (رفيق اور) ،٨٦٤
 تادرس (تلמיד ياخوميوس) ،٨٧
 تاذورس ،٣٢١
 تاذوره ،٤٦٧-٤٦٢
 تودري ،٦٦٩
 تيثنوي ،٨٥٤
 تيموثاوس ،٩٠٥ ،٩٢٣-٩٢٠ ،٩٣٥-٩٣٣ ،٩٤٢
 تيموثاوس (البطيريك) ،١٢٠
 تاذيليس (البطيريك) ،٩٤ ،١٦٣ ،١٣٠ ،١٠٤ ،١٠٣ ،٤٦٠
 تاذيليس ،٨٧٣ ،٨٧٢ ،٦٤١ ،٤٦٢
 ثينون (ثينونا) ،١١٤٥ ،٨٧٢
 جراسيميوس ،٩٩٠
 جرماتوس ،٨١٧
 جسريانوس ،١١٥
 جلاسيوس ،٤١٩-٤١٧
 جيجزي (تلמיד أليشع) ،٥٨٣
 جبرونديوس ،٤٢٠
 خاليل (الأول) ،١١٤٩
 خوما ،٨٦٢
 حام (ابن نوح) ،٥٨٨
 حواء ،٧٩ ،٨١ ،١٠١٨ ،٨٥٨ ،١١٩٣
 دانيال ،٤٢٢-٤٢١ ،١٢٢٦ ،١٢٢٥ ،٨١٩ ،٦٤٥
 دانيال (النبي) ،١١٥٣ ،١٣١
 دانيال (تلמיד أرسانيوس) ،١٢٩ ،١٠٠
 داود (النبي) ،١٥ ،١٦ ،٥٦٥ ،٥٦٤ ،٥٨٤ ،٨٩٦
 داود ،٦٦٢ ،٦٦٢ ،٧٥٠ ،٦٦٢ ،٧٥٠ ،٦٦٢
 إيلينا (إيليا) ،٤٤٩ ،٤٥٠ ،٧٠٠ ،٧١٤
 إيلينا (النبي) ،١٥ ،٨١ ،٥٨٣ ،٥٨٨ ،٧٣٣ ،٧٥٨ ،٧٦٧
 إيلوب (الصديق) ،١٢٠٩ ،١١٥٣
 باخوميوس ،٩٠-٧٤ ،٩٠٧ ،٣٠٧ ،٤٨٩ ،٧٣٠ ،٧٦٤ ،٩١٧
 ٩٤٠-٩٣٦ ،١٢٢٠ ،١٠٢٠ ،٩٤٠
 باستيليوس ،٣٤٦ ،٩٨٢ ،٦١٢-٦٠٨ ،٣٥٤ ،١٢١٥
 باستيليوس (الملاك) ،٧٦٠
 برصونوفيوس ،٢٧٠-٢٥٩ ،٣٠٥ ،٣١٦ ،٣١٧ ،٣٥٩
 ،١٠٩٣-١٠٩١ ،٦٠١-٥٩١ ،٧٩٨-٧٨٦ ،٩٣٢-٩٢٦ ،١١٤٣ ،١١٤٢
 برنابا (الرسول) ،٧٩
 بطرأ ،٩٦٥
 بطرس (الرسول) ،١٩ ،٥٤ ،٥٣ ،١٣١ ،٧٩ ،٦١ ،٤٠٣ ،١١٩١
 بقتوبيوس ،٢٥ ،٥٠١ ،٥٩-٥٨٣ ،٧٣٥ ،٧٦٦ ،٧٨٢ ،٨٧٣
 بلا (بولا) ،٤٨٣ ،٥٨٣ ،٧٨٥
 بلا ملائي ،١٢٢٢
 بلامون ،٤٨٩ ،٧٤
 بموا ،٢٢ ،١٦١ ،٢٩١ ،٢٩٢ ،٣٥٧
 بنينيين ،٤١٤ ،٤١٤ ،١٠٣٩
 بولس (بولا البسيط) ،٩٦٣ ،٨١٠
 بولس (الرسول) ،٥٤ ،٥٤ ،٧٩ ،٨٧ ،٩١ ،١٣١ ،٤٦٢ ،٣١٨ ،٣١٨
 ١١٧٠
 بيتميوس ،٢٧٧
 بيستوس ،١٠٢٦
 بيصاريون ،٦٥٨ ،٤١٣ ،٣٩٤ ،٢٥٧

غريغوريوس (الثانولوغوس)	٤١٦	غريغوريوس (الصلبي)	٧٩
عيسو	٥٨٣	عوج	٥٨٣
مقاريوس (الصلبي)	٣٤٠	مقاريوس (الصلبي)	١١٨٢، ١١٣٠
مقاريوس (الكبير)	٦٠-٣٣	مقاريوس (الكبير)	٥٨٣، ٣٧٨، ٣١٨، ٣١٢، ٢٥٥
مقدونيل (النبي)	٣٢	صموئيل (انظر شيشوي)	١٠١٨، ١٠١٧، ١٠١٥
شيشوي (شيشاوي)	٧٦٢	سيمون (الساحر)	٧٦٢
سينكلينيكي	٨٣٩-٨٣٩	سيمون (الملك)	٨٣٢، ٨٣١
مرقس (مرقص)	١٠٨	سيمون	٨٣٠
مريم (الغزراء)	١١٩٣	سيحون	٧٩
مرثا	١١٧١	شاول (الملك)	٣٢
مارقس (مرقص)	٥٨٢، ٥٠٢، ٤٩٤-٤٩٢	سلوقيان	٢٧٨، ٢٧٩، ٦٧٠، ٥٠٢، ٨٢٧-٨٣٠
ماريا	١٢٢٢	سريعون	٦٠٢، ٦٣٤، ٧٥٢، ٧٩٩
ماريا	٥٤٣، ٤٩٣-٤٩٢	سرابيون	٢٤٩-٢٤٥، ٢٥٧، ٢٥٥، ٨٦١، ١٠٩٥
ماريا	٤٩٢، ٣٠٤، ٢٩٨	ستروتين	١٢٢٤
ماريا	٥٥٠	سارة	٨٨١، ٨٣٨-٨٣٤
ماريا	١٢٢٢	ساريمون	٧٦٦
ماريا	١٢٢٢	ساماتوس	٤٠٤
ماريا	١٢٢٢	زكريا	١٢٢٢
ماريا	١٢٢٢	زكريا (النبي)	١١٨٢
ماريا	١٢٢٢	زكريا (تلמיד سلوانس)	٨٢٧
ماريا	١٢٢٢	زكريا (النبي)	١٨٩
ماريا	١٢٢٢	رومانتوس	٨٠٨
ماريا	١٢٢٢	زكريا (النبي)	١٩٨، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤
ماريا	١٢٢٢	ديادوكوس	٩٦٨، ٩١٣، ٣٦٨
ماريا	١٢٢٢	ديميتيروس (البطيريك)	١٢٠٤
ماريا	١٢٢٢	ديميتيروس (البطيريك)	٥٥٣، ٥١٤، ٥١٣، ٤٢٤
ماريا	١٢٢٢	دوروثاوس	١٢٠٦، ١٠٩٩، ١١٠٥، ٥٦٦، ٣٨٩
ماريا	١٢٢٢	دكتيراس	٧٥١
ماريا	١٢٢٢	نيفينوس	٨٥٤

يوحنا (الدرجي)	٩١، ٣٨٣، ٦٦٧، ٦٦٨، ٧٣٨، ٧٦٧	٣٤١ مقاريوس (الوسطاني)
	٨٠٦، ٨٠٥	٧١٧، ٥٠٧، ١٠٠ مقاريوس (إسكندراني)
يوحنا (القصير)	٩٠٢، ٢٤٥-٢٢٣، ٤٨٢، ٥٨٣، ٨٧٤	٧٦٤ مقدنوس
	١٠٥٨، ١٠٢٤، ١٠٢٢	١١١، ١١٠٧، ٧٧٠ مكسيموس
يوحنا (التباعي)	٩٠٧، ٤٨١، ٢٤٦	٥٠٥ موتبيوس
	٢٨٨ يوحنا (الخاص)	١٢٣، ١٨٥-١٧٤، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٧ موسى (الأسود)
يوحنا (السرياني)	٤٨٠، ٤٧٨	٨٨٨، ٥٦١
	٣٩٢ يوحنا (السينائي)	٦٢٢، ٦٢٧، ٧٣٧، ٧٦٢، ٢٠٣، ٥٨٨ موسى (النبي)
يوحنا (الدلياني، الشیخ الروحانی)	٩٩١، ١٠٦١-١٠٦٤	١٢٢٥، ١٢٠٥، ١٠٥٧
	١١٩٣	٣٢٣ موسى (بن تادرس)
يوحنا (الفارسي)	٤٧٨، ٤٨٠	٥٠٤ ميليسيوس
يوحنا (تلمنيد بولا / بلا)	٥٨٣، ٤٨٣	١٠٣٧، ١٠٠٦، ٨٠٢، ١٥ نستاريون (نيستير)
يوحنا (تلمنيد مقاريوس)	٥٨٣	١١٥٣ نوح
يوحنا (ذهبى اللم)	٣٥٨، ٣٥٣، ٥٢٤، ٥٢٣، ٥٩٦، ٨٠٠، ٩٠٨	٩٩٩ نومين
	١٢١٤، ١٠٨٣	٧٣٧ نومينوس
يوحنا (رئيس الكنوبيون)	٨٨٩	٩٨٨، ٦٧٢، ٢٨٣، ٢٨٢ نيلوس
يوحنا (الآسيوطى)	٤٩٠، ٦٨٧	٧٦٢ هاروت وماروت
يوحنا (انظر كاسيان)		٤٧٧ هيراكوس
يوداوس (يهودا الإسترريوطى)	٢١٧، ٣١٨، ٤٠٠، ٥٨٨	٧٤٢ والاس
	٨٠٤	٥٨٨ ياث
يوساب	١٢١٧	١١٤٥ يحنن (من أسيوط)
يوسف	١٥١، ٢٨٥، ٤٣٢، ٤٣٢، ٤٨٥، ٤٤، ٦٦١، ٧٧٣، ٧٧٣، ٨١٨	٥٨٨ يشوع (بن نون)
	٩٦١، ٩٦١	١٢١٤، ٥٦٦ يشوع (بن سيراخ)
يوسف (بن يعقوب)	٧٢٩، ٣٣١، ١٣١، ٧٦، ١٥، ٢٤٠، ٣٣٠	٩٧٠، ٤٧٥، ٢٥٨، ٧٧٢ يعقوب
يونس (الصغرى)	٣٠٦	١٢١٥، ٢٧٦، ١٣١ يعقوب (أب الآباء)
		٩٨٢، ٧٩٢، ٣٩١ يعقوب (الرسول)

فهرس الأماكن

- أثينا ٨٦١، ٢٣٨
 أخميم ١١٤٩
 أردن ١١٨٢
 أرسينوي ٨٢١
 أرمون المدينة ١٢٢٥
 إسقسط ٩٤، ٩، ٣٣، ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٤٤، ٤٦، ٤١، ٣٩، ١٢١، ١١٢، ١١٠، ٩٧-٩٥
 جبل المقدس ١١٤٩
 ترنيتيس ٢٥٨
 حبشه ٧٥٠
 جبل ابسوتريون ٧٥٨
 جبل الريتون ١٢١٢
 جبل السلوى ٤٥٢
 جبل العربة ٢
 جبل (الكرمل) ٧٦٧
 جبل النطرون ٣٣
 جبل أنطونيوس ٢٨، ٣٨، ٨١٤، ٨١٦
 جبل طره ١٢٠
 جيوجون (نهر) ٨٢
 دلاص (نيلوبوليس) ١١٣٦، ٨١٦
 دير الزجاج ٣٣١
 دير تاسا ٣٠٧
 ديلوفن ٦٩٩
 ديوناسة (طبائيسى) ٣٠٧
 الرها ٣٩٣
 روما (رومية) ٩٤، ١١٢، ٢٥٠، ٧١٧
 سدوم ٩١٢، ٥٥٠
 سوريا ٤٤٣
 سيناء ٢٧٨، ٢٧٨، ٣٢٣، ٧٥١، ٨٢٩، ٧٥٤
 شيهيت (شيهات) ١٢٢٦، ١٢٢٢، ٣٢٨
 الصعيد ٢، ٧٤، ٥١٩، ١٠٣١، ١١٤٩
 صور ١١٨٢
 الصين ١٠٨٩
 الطرانة ٤١
 الفرما ١٦٤
- إسنا ٧٤
 أسيوط ١١٤٥
 أنطاكية ١٢١٧
 أورشليم ٧٣٤، ٧٤٥، ٧٥١، ١٢٢٤، ٧٤٥
 بابل ٣٩٣، ١٠٥٧
 بابليون مصر ٤٢٣
 بافوس ٧٥٩
 باتوس ٤٨٩
 البحيرة (محافظة) ٤١
 البراموس ٣٤
 البرية الجوانية ٢، ٥، ٣٧، ٣٣١، ٣٩٢، ٤٧٦
 بلاد الأكراد ٤٠٦
 بنى سويف (محافظة) ١١٣٦، ٨١٦
 بهلس ٥٠
 بهنسا ١١٣٦، ٨١٦

فرمسي	٤٥٦، ٤٥١
فلسطين	٨١٧، ٤٤٥
قبرص	٧٥٩
القسطنطينية	٣٤٠، ٩٧، ٩٤
القلالي (كيليا)	٢٧٧، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٥٥، ٦٣٢
نيرس	١١٧٩، ٨٦٣، ٨١١، ٦٦٩
قلعون	٨٢١
قيصرية	١١٩٠
مصر	٣٣، ٣٣، ٨٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٢٤٩، ٢٤٠، ٢٥١، ٥٨٨، ٥٨٣، ٤٢٣، ٤١٥، ٣٠٢، ٢٧٧، ٢٥٥
الهند	٤٦
نيقوس	١٢٠٤
نابلس	٥١٧
نقريا	٤٦٠، ٢٧٧
نيلوبيوس	١١٣٦، ٨١٦
نينوى	١١٩٣
لقدونية	٧٦٠
لارنaca	٦٣٢
لارسا	٣٢٨
لارسا	٣٣١
لارسا	٣٥٥
لارسا	٤٢٣
لارسا	٤١٥
لارسا	٣٠٢
لارسا	٢٧٧
لارسا	٢٥٥

فهرس الكلمات اليونانية

ἀγάπη	(محبة، أغابي) 234	μέγας	(عظيم) 340
Ἄρσενοῖτον	(أرسينوي) 821	μετάνοια	(مطانية، توبة) 25
ἄρχων	(رئيس) 91	ναός	(معبد، ضريح) 41
ἄσκησις	(نسك) 33	νάρθηξ	(أمام الكنيسة) 231
βαρβάρων	(البربر) 120	Πηλούσιον	(بيلوزيوم) 164
βιός	(حياة) 37	πηλουσιώτης	(بيلوزي) 164
διακονία	(خدمة) 480	πολιτικός	(مدني) 507
διακονικόν	(حجرة حفظ أواني المذبح) 418	σάλος	(مهروز، موسوس) 273
γαστριμαργία	(النهم أو الشره) 90	σεβένιον	(لين نخيل، سبانية) 249
ἔλος	(وادي، بهلس) 50	Σκητής	(أسقط) 33
ἔννατον	(دير الزجاج) 331	σπυρίς	(فقة أو زنبل) 42
Θεωρία	(ثاوريا) 757	στοῖχος	(استيخون، جملة) 33
Θηβαῖον	(تباسي) 223	συγκλητική	(عضوة مجلس الشيوخ) 94
Καλαμῶνα	(القلمون) 821	σχῆμα	(شكل، إسكنيم) 5
κελλίον	(قلالية) 3	τερενοῦθιν	(الطرانة) 41
κλῆρος	(إكليروس) 123	Φαντασία	(الخيالية) 762
κοινόβιον	(كينوبيون) 37	χειροτονία	(شرطنية) 751
κοινός	(مشترك) 37	ψαλτήριον	(سفر المزامير) 251
Κοκούλιον	(كوكلس، كاكولية، قلسوزة) 3, 458	ψιθυρίσας	(همس، وشوش) 858

فهرس الكلمات القبطية

Περεμοτη	(الفرما) 164	Ταβεννησι	(طبانيسى) 307
Πιαρχωη	(رئيس) 254	Φερμη	(جبل فرمى) 451
πιχελος	(وادي، بهلس) 50	‘ηρδηι	(الفرح) 222
Схима	(إسكنيم) 4	πιχενατοн	(دير الزجاج) 331
Стрхос	(جملة) 44	¶λοχ	(دلاص) 1136

مقابلة أقوال الآباء في النص العربي مع النصوص والترجمات القديمة

(انظر الاختصارات في مقدمة الكتاب)

شرح رموز هذا الجدول: الماء الأول Arabic به رقم القرول في الكتاب الثاني Solesmes به رقم القرول في جدول المقابلات المنشورة آخر الكتاب التالي:

L. Regnault, *Les Sentences des Pères du désert*: Troisième recueil et tables, Solesmes, 1976.

لبقية الأسمدة ما عدا العمود الأخير انظر جدول الاختصارات في أول الكتاب ص ٩ وما يليها.

العمود الأخير حينما تجد فيه رقمًا يسبقه حرف R انظر اختصار Eth. coll

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Am.	Am	Chainé	Eth.
1	397	Abc. James 3	I 14,2	III 17		II 146	3,21			P 6
3	1	Abc. Anthony 1	III 13,7,1	VII 1/1	32,1/R 105	I 131	2,29(1R)	30,14		P 51
8	10	Abc. Anthony 10		II 1/1	32,7/R 109b	II 20, II 472	2,30(2R)	18,10		P 1
9	18	Abc. Anthony 18	II 47,2,1	IV 1/1	88,8	I 10	4,1			P 11
10	19	Abc. Anthony 19	III 44,1,7-8	XVI 1(IV 11)	21,1/Pa 6,2	I 202	7,46(1R)	26,13		P 94
11	22	Abc. Anthony 22	II 25,1,1	V 1/1			5,1	25,14		P 33
12	35	Abc. Anthony 35	III 31,1,8	XI 3			11,24			
13	36	Abc. Anthony 36	I 19,2	XIV 1			14,18 (1R)			
14	33	Abc. Anthony 33		III 1		II 208	3,1			P 3
15	557	Abc. Nisteros 2(3)	III 31,1,14	I 18/11		II 21a	1,3			16,8
21	3	Abc. Anthony 3		II 1/1	32,8/R 108 202	II 35, II 1,1	38,10			16,1 P 103
22	6	Abc. Anthony 6		I 2/2	MS4	II 196	1,47(IR)	15,6		
23	32	Abc. Anthony 32	IV 4,5,3	XVII 1/1		II 402b	17,26(IR)			37,11
24		Isaiah 9/ V, 2-12	V 53				5,119(38 R)			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	SJS./PJ	PA-CSPVP	Bu.	Am.	Am	Châne	Eth.
25	29	Abc. Anthony 29	IV 48,1,1-4		41,9/R 138	I 406	5,68	17,9		
27	8	Abc.. Anthony 8	III 31,1,1	X 1/1		I 296	10,1			P 447
28	21	Abc. Anthony 21	IV 48,3,12-15	IX 1/1	41,8	I 606	9,1	18,16		
29	27	Abc. Anthony 27	I 18,8	XVII 5		II 160	15,74 (2 R)	19,9		
31,1	38	Abc. Anthony 38	I 20,8a	XI 2	73,1a/R 176	II 11	11,1b			P 310
31,2	37	Abc. Anthony 37	I 20,7	XI 1	73,1b	I 296	11,1a			
32		Cass. Conf. II 2								
33	454	Abc. Macarius I	II 46,4	XV 39/25		30,1/R 99	15,97(25R)	203,1	101	P 92
34		Vit Mac XIX , XX								
35	1490A	Add. Macarius S 1	139,9			15,10(29R)				
37	455	Abc. Macarius 2	I 45,82	XX 4/4		I 926	218,12	242		
38	457	Abc. Macarius 4	II 3,17	VII 14/9		II 220	7,65(18R)		38	
39	460	Abc. Macarius 7		XIX 12/8	b: 35,5	I 614	18,117(25R)	215,4	225	
40	463	Abc. Macarius 10	II 16,12	IV 29/26	5,2/R 53	I 67	4,57	206,5		P 18
41	466	Abc. Macarius 13	IV 19,5,4-6	VII 15/10		II 206	7,6	213,6	39	P 54
42	467	Abc. Macarius 14		XIX 10/6	68,1/R 213	II 48	18,118(26R)	200,1	223	
43	476	Abc. Macarius 23	III 25,1,1-3	b: X 47	CSP IV 19/Rdgj	I 446	10,106	126,1, 214,3	b: P 126	
44	486	Abc. Macarius 33	IV 10,2,37-47	XX 3/2	93,11/R 195		19,22	207,14	239	
45	469	Abc. Macarius 16	II 11,5	IV 30/27		I 30	2,18	216,13		P 207
46	1191	An. 191	I 32,18	V 44/39		I 632	18,18			35,5, P 42
47	456	Abc. Macarius 3a	I 20,12	XVIII 13/9	10,4/Pa 1,8	18,60	230,14	181		
49	140	Abc. Abraham 1	IV 22,1,1-4	X 19/15	33,9/R 117	II 115	10,142		A; P 72	
50	488	Abc. Macarius 35				I 452	15,100 (28R)			
52	487	Abc. Macarius 34		III 20/9		I 150	3,57(R)	218,3	P 201	
53	472	Abc. Macarius 19	IV 9,3,11	XII 11/10	58,1/R 207		12,18(7R)	220,12		P 389

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Ss&PJ	PA-CSPVP	Bu.	Am.	Am	Chanc	Eth.
63	1228	An. 228	IV 15,1,1	X 19/I/14		I 250				
67	742	Abc. Poemen 168		X 93/64	M 21	I 546		37,12		P 132
72										13,43
74										
76		Pach. boh I, 7-10								
77		Pach. inst I, 16-20								
79		Pach. inst I, 21-24								
80		Pach. bo 103								
81		Pach. inst I, 25-26a								
82		Pach. inst I, 26b-31								
84		Pach. inst I, 33-54								
86		Pach. inst I, 55-57								
87		Pach. bo 36								
88		Pach. inst I, 58-61								
92		Isaac Ar. I 6,16-18								
93		Isaac Ar. I 2,3-5								
94,1	39	Abc. Arsenius 1	IV 5,2,1	II 3/3a	93,3/R 190a	I 1	2,12a			
94,2	66	Abc. Arsenius 28		II 10/7	I 2,1/R 65	I 253	2,6			
96	126	Abc. Achilas 3	II 16,3	IV 10/10		II 259	4,43		P 15	
97	40	Abc. Arsenius 2	IV 5,2,2	II 4/3b	93,3/R 190 b	I 2	2,12b			
98	41	Abc. Arsenius 3	I 45,3	XV 5,5		I 547	15,5			
99	42	Abc. Arsenius 4		XV 6/6	19,2/CSP VI I/R37b	I 165a	15,33a			
100,1	55	Abc. Arsenius 17	II 16,1	IV 4/4			4,59(I/R)			
100,2	56	Abc. Arsenius 18	I 3,6	IV 5/5	CSP VI/4/R39	I 203	4,28		P 14	
101	79	Abc. Arsenius 41	II 32,13a	III 3/1	52,5/R 163	I 152	3,31			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Am.	Am	Châine	Eth.
102	44	Abc. Arsenius 6		XV 7/7	381/CSP VI 3ab	II 233	15,59		P 88	
103	45	Abc. Arsenius 7			II 6/4a	93,8/R 19 1a	152	2,31 (3R)		
104	46	Abc. Arsenius 8			II 7/4b	93,9/R 19 1b	II 234	2,32 (4R)		
105	47	Abc. Arsenius 9		IV 7,3,5	XI 4/1a		II 235	11,35 (1R)a		
106,1	49	Abc. Arsenius 11=An. 195a	III 13,7,2	VII 34	32,3	17	2,2 B			
106,2	1195	An. 195		VII 34/27		17	2,2 7,86(4IR)			
107	1196	An.196	III 13,7,3	VII 35/28	32,4/R 107	II 302	7,19a	6	13,51b	
108	51	Abc. Arsenius 13		II 5, XVII 6/5	93,4/Pa 34,1	I 153a	2,13			
109,1	52	Abc. Arsenius 14	II 17,11	IV 2/2	64,2/R 211b	I 133	4,26		P 12	
109,2	53	Abc. Arsenius 15	II 17,12	IV 3/3		I 134	4,27		P 13	
110	54	Abc. Arsenius 16	II 2,8	XV 8/8	38,1	1463	15,42			
111	58	Abc. Arsenius 20	IV 1,15,1	VII 3/3	14,8	I 158	6,5		P 45	
112	59	Abc. Arsenius 21 *		II 9/6		I 207	2,9			
113	62	Abc. Arsenius 24	I 33,4	XIV 2/1		I 1305	14,3			
114	63	Abc. Arsenius 25		II 8/5	94,1	16	2,5			
115	67	Abc. Arsenius 29	IV 5,2,18	VI 2/2	14,3	II 5/16	6,6		P 44	
116	1015	Add. Arsenius S1, An 15		XV 9/9a		I 105a	139a			
117	68	Abc. Arsenius 30	IV 8,1,5	XII 1/1	64,2/R 211a	I 105	1,39b		P 230	
118	69	Abc. Arsenius 31	III 26,8,1	VIII 3/3		I 29	8,8			
119	71	Abc. Arsenius 33		XVIII 3/2	99,2/Ra 36,3 CSP VII 2/R 38	II 23	18,2		I 74	4
120	72	Abc. Arsenius 34				I 317	15,38			
121	74	Abc. Arsenius 36	IV 46,1,17-21			I 450				
122	75	Abc. Arsenius 37				93,6/R 193a	I 13	2,20/8,12		
123	76	Abc. Arsenius 38				46,6/Pa 18,2	I 21	2,21a		

Arabic	Solemes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Arm.	Am	Chaine	Eth.
124	82	Abc. Arsenius 44	IV 5,2,3	II 11				2,21b-2,33(SR)		
125		Isayah 7/XIII,11-24								
126	78	Abc. Arsenius 40a	IV 37,4,2	XV 10b/9c	52,5/R 163b	I 548,549a	15,75			
127	78	Abc. Arsenius 40b				I 549b				
128	78	Abc. Arsenius 40c	I 5,7			I 151				
129	80	Abc. Arsenius 42	IV 17,1,15	XV 11/10 a	84,1					
130	308	Abc. Theophilos 5	II 32,1,3b	III 15/5		I 146	3,56 (SR)b		P 5	
131		Isaac 1 &2 &3								
132		Isaac 4,46								
133		Isaac 8								
134	87	Abc. Agathon 5	II 2,6	X 12/10	25,2(CSP) IV 7/R 21	I 183	10,26		P 71	
135	83	Abc. Agathon 1	II 34,1	X 11/8	96,1-2(Pa) 42,1/R 198	I 280an, II 524			P 124	
136	1118	An. 118	II 34,3	X XI 37/31	96,2c	I 283	10,210(50R)			
137	84	Abc. Agathon 2	III 8,1,1	XI 8/2a			11,36(2R)a			
138	85	Abc. Agathon 3		XI 10/2c			11,36(2R)b			
139	86	Abc. Agathon 4	III 38,1,21	XVII 8/6	28,3/R 95	I 347	17,27(2R)a			
139	199	Abc. Epiphanius 4		IV 15/15		4,18				
140	88	Abc. Agathon 6	IV 1,15,3-4	VI 4/4		I 481	6,21(1R)a		P 16	
141	89	Abc. Agathon 7	IV 1,15,5	V 15			6,21(1R)b			
142	90	Abc. Agathon 8		X 13/11a			10,65		P 125	
143	91	Abc. Agathon 9	IV 9,3,7	XII 2/2	61,1		12,4		P 387	
144,1	92	Abc. Agathon 10		X 14/11b			10,65b			
144,2	93	Abc. Agathon 11	III 50,1,1	IV 8/8		II 531	4,61(3R)			
145	94	Abc. Agathon 12	III 50,1,4		/M 6		6,22(2R)			15,11a
146	98	Abc. Agathon 16	III 40,2,6		18,3/Ra 5,3a		4,62(4R)			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys/JPI	PA-CSP/NP	Bu.	Am.	Am	Chaîne	Eh.
147	97	Abc. Agathon 15	II 47,22a	IV 7/7	88,1	I 61	4,42			
148	101	Abc. Agathon 19	II 35,1	X 16/13		I 484	10,164(4R)			
149	99	Abc. Agathon 17	III 38,1,1				17,27(2R)b			
150	103	Abc. Agathon 21	II 26,7				I 573	5,82(IR)		
151	107	Abc. Agathon 25	III 36,4,17	XVII 7		I 425	17,28(3R)			
152,1	109	Abc. Agathon 27	III 36,4,8		50,4/R 156	I 422	17,30(5R)			
152,2	108	Abc. Agathon 26	III 36,4,7			I 426	17,29(4R)			
153	111a	Abc. Agathon 29a	III 36,4,11				17,6			
154	112	Abc. Agathon 30	III 36,4,9,10				17,16			
155	100	Abc. Agathon 18	III 2,8,2			I 356	9,29(2R)			14,45
156	105	Abc. Agathon 23	I 23,1							15,11b
157	111b	Abc. Agathon 29b	III 9,2,7	XI 9/2b	52,3/R 161		15,77(5R)			
158	357	Abc. Isidorus 1	II 37,1	XVI 6/5		I 221				
159	358	Abc. Isidorus 2	II 22,12a	IV 24/22	26,1/R 89	I 493	4,70(12R)		14,38 P	
160	359	Abc. Isidorus 3	II 22,13	IV 25/23			5,67		356	
161	362	Abc. Isidorus 5	I 45,23		31,4Pa 11,3/R 101	II 34/7	15,93(2IR)b			
162	365	Abc. Isidorus 9	I 43,7				7,60(15R)			
163	364	Abc. Isidorus 8	III 45,2,1-2	IV 66/55		II 7	4,6 B		19	
164	366	Abc. Isidorus the Pelosi,1								
165	369	Abc. Isidorus the Pelosi, 4								
166	370	Abc. Isidorus the Pelosi, 5	I 17,3				15,93 (2IR)c			
167	371	Abc. Isidorus the Pelosi, 6	I 17,3				6,26(6R)			
168	409	Abc. Isidore the Priest 1a		IV 23			4,7,(13R)			
169	409	Abc. Isidore the Priest 1b		IV 23			4,7,(13R)			
170	410	Abc. Isidore the Priest 2		VI 12			6,19a			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PI	PA-CSP/VP	Bu.	Anm.	An	Chainé	Eh.
171	411	Abc. Isidore the Priest 3		V 12 Poem.		6,19b				
172	415	Abc. Isidore the Priest 7	IV 5,2,7	II 18		2,22				
173	361	Abc. Isidorus 5		I 45,22		II 250	15,93(21R)a			
174	495	Abc. Moses 1		I 30,6	XVIII 17/12		I 562	5,45		184
175	498	Abc. Moses 4a		II 2,16 a	XV 43/29	26,3	I 477a	15,102 (30R)		
176	498	Abc. Moses 4b		II 2,16 b	XV 43/29	26,3/R 10	I 477b	15,102 (30R)		
177	500	Abc. Moses 6		IV 5,2,54	II 199	32,7a/R 109a	I 62	2,14		
178	496	Abc. Moses 2		III 2,8,11	IX 7/4		I 542	9,32(5R)		35,8
179	497	Abc. Moses 3		II 2,22	XVI 9/7	25,4	I 55			
180	499	Abc. Moses 5		III 42,1,5,6	XIII 4/4		I 440	13,2(4R)		35,1
181	507	Abc. Moses 13		III 21,7,3-5	VI 27		I 619	6,12		
182	505	Abc. Moses 11		IV 24,1,9						
183	512f	Abc. Moses 18,6		III 2,8,12c	(IV 7c)		II 126	9,11b		15,8c
184,1	1119	An. 119		I 28,4	XXI 38/323	M 93	II 83			
184,2	1120	An. 120	I 20,5	XIX 39/33		I 532	10,210(50R)			
185		Isaiah 16								
186		Isaiah 7, 15-24			II 600					
188	641	Abc. Poemen 67	I 30,2	X 91/62	71,3/Ra 25,3	II 307	10,16			
189	441	Abc. Caenon 2	I 16,12				15,96(24R)			
191	750	Abc. Poemen 176				5,43				
192	965	Add. Caenon S 1	II 29,24			I 295	5,41			
193,1	1456	An. 456	II 29,27			I 569	5,112(31R)			
194	440	Abc. Caenon 1	I 45,6	XV 17/16		II 522	15,55		P 448	
195	243	Abc. Zacharias 1	I 38,11	I 6/6	II 82	1,63(17R)			14,34	
196,1	244	Abc. Zacharias 2	IV 10,2,12	XII 7	I 624	12,14(3R)			14,34	

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/NP	Bu.	Arm.	An	Chainé	Eh.
196.2	245	Abc. Zacharias 3	I 45,82	XV 19/17	24,4Pa 9,2	I 40,543	15,82(IOR)			14,34
197	247a	Abc. Zacharias 5a	I 45,9	XV 20/18		I 31a	15,3			14,34
198	247b	Abc. Zacharias 5b	I 45,9	XV 20/18		I 31b	15,3			
199										
202										
203.1										
203.2	25	Abc. Anthony 25	III 25,1,7							
204		Macarius								
210	492	Abc. Macarius 39	II 44,1-2	X 181	37,1R 127	I 186	10,108	15,3 & 184	188,15	
211.1		Isaiah 9, 1-34							211,213	
211.2		Isaiah 20, 1-4								
212		Isaiah 3, 1-41								
213.1		Isaiah 3, 42-80	III 41,4							
213.2		Isaiah 4, 1-2								
214		Isaiah 4, 3-42								
215		Isaiah 4, 43-69								
216		Isaiah 4, 70-75								
217.1		Isaiah 22, 8b								
218		Isaiah		II 17, IV 18						
219.1		Isaiah 7, 11-14								
221		Isaiah 16, 22-62								
222		Isaiah 16, 63-99								
223	316	Abc. John Colobos 1	I 33,6	XIV 4/3		II 270	14,16	347	P 390	
224	317	Abc. John Colobos 2	II 3,13	X 36/27	7,2R 56	II 70	15,68			
225	318	Abc. John Colobos 3	II 15,7	IV 20/19	13,1a/R 66a/CSp 13c	I 75	4,31			

Arabic	Solemses	Main Collections	PE	Sys/PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Am.	Am	Chaine	Eth.
226	319	Abc. John Colobos 4	II 29,23	V 3/2a		I 584	5,53			
227	320	Abc. John Colobos 5	II 35,16	IV 21/20	Pa 37,2, M 12	I 495	4,68(10R)			
228	321	Abc. John Colobos 6	I 22,5		M 13	I 496				
229	340	Abc. John Colobos 25	IV 5,2,25			I 319	11,47(13R)			
230	959	Add John Colobos S 4	IV 5,2,63			II 342	2,38			
231	323	Abc. John Colobos 8	II 2,21	XIV 4/3	27,1AC/R 92AC	I 556	16,12(3R)			
231.2		Isaiah 4, 1-2								
232	960	Add John Colobos S 6	II 2,13		R 92a	I 507	15,43			
234	324	Abc. John Colobos 9	II 23,8	III 16/6	65,2	I 139	3,33a			
235	325	Abc. John Colobos 10	III 4,2,2	XI 37/13	M 50	I 56	11,43(9R)			83
236	327	Abc. John Colobos 12	IV 6,1,3	XI 40/14a	58,3/R 208	II 210	11,451(11R)			85
237	329	Abc. John Colobos 14	I 25,5	XVIII 10/8		II 37	18,85			180
238	956	Add. John Colobos S1	II 2,11	IV 12	24,1/R 84	I 510	5,17,15,89			P 395
239	332	Abc. John Colobos 17	III 38,1,23-24	XVII 10/7		II 532	17,37(9R)			
240	335	Abc. John Colobos 20	I 45,18		CSPTV 5	I 553	11,89917R/c			
241	343	Abc. John Colobos 28	II 15,8	IV 61 an	13,1b/R 66b	II 266	4,3-4an			P 27
242	326	Abc. John Colobos 11	IV 26,1,1	XI 38/14		I 132	11,44(10R)			84
243	345	Abc. John Colobos 30	IV 26,1,2-4			I 57	11,48(14R)			
244	346	Abc. John Colobos 31	IV 26,1,5-7	XI 39			11,49(15R)			
246	408	Abc. John of Thebes 2	I 45,21	XV 36/23		I 509	15,92(20R)			
249		Pal. 37, 1	III 36,1,1							
250		Pal. 37, 8-16								
251	875	Abc. Serapion 1		XVII 34						
252	876	Abc. Serapion 2	IV 1,17,5	VII 16/12		I 160	6,34(14R)	5,24	240	
253	878	Abc. Serapion 4	VIII 12/9					28		

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys/PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Arm.	Am	Chaine	Eth.
254	1392	An. 392		VI/6/5	14,6/R 70					
255	468	Abc. Macarius 15		XIX 1/17	35,4/R 122		18,119(27R)		224	
256	821	Abc. Sisoës 18		III 35,2.22-23	XIX 17/13	35,1/R 120	1616	18,70		232
257	160	Abc. Bessarion 5		III 35,2.21	XIX 4/4	35,3/R/Pa 14,2/R/121	1630	18,111(19R)		219
258	138	Abc. Anoub 1	I42,5	XV 12/11	96,4/R 199a/R/42,4			15,80(8R)		15,9
259		Bar. Let. 23								
260		Bar. Let. 25, 26								
261		Bar. Let. 28								
262		Bar. Let. 31,37								
264		Bar. Let. 68								
265		Bar. Let. 69								
266		Bar. Let. 70								
267		Bar. Let. 70								
268		Bar. Let. 86								
269		Bar. Let. 87								
270		Bar. Let. 88								
271	113	Abc. Ammonas 1	II 32,1-4	III 4/2		II 136	3,23			
272.1	119	Abc. Ammonas 7	IV 10,2.33			1449	18,84a			
272.2	120	Abc. Ammonas 8	III 2,8,3		24,5/R/Pa 9,3	1449	9,28(1R)			
273	121	Abc. Ammonas 9	II 2,9	XV 13/12	91,1	II 281	15,54			
274	123	Abc. Ammonas 11	I 42,4	X 116/81an		II 208	15,78(6R)		14,23an	
275	124	Abc. Achilas 1	IV 47,1,1-5	X 18/14		1415	10,165(SR)			
276	127	Abc. Achilas 4	I 28,14	IV 9/9	26,2/R 90	1257	4,3			
277	128	Abc. Achilas 5	II 3,7		60,1	II 156	10,7 Ammon			
278	860	Abc. Silvanus 5	II 3,8	X 99/69	7,1/R 55	II 15	10,35			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	B.u.	Arm.	Am	Chaine	Eth.
279		Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	B.u.	Arm.	Am	Chaine	Eth.
285.1	387	Abc. Joseph of Panepho 4	III 2,2,2	X 40/31		II 488a				
288	401	Abc. John the Eunuch 1	II 4,2			1373	10,175(15R)			
288.1	277	Abc. Theodore of Pher 10	III 36,4,1	X 33/24			10,71			
288.2	278	Abc. Theodore of Pher 11	III 36,4,2-3	X 177			II 147			
289							II 148			
291	724	Abc. Poem en 150					II 362			
292	769	Abc. Pambo 8		I 25/16	52,2/R 160			1,22b		P 143
293	1269	An. 269	II 3,12	XI 99/42d			I 182	11,73(39R)		
294	1091	An. 91		XXI 6/3			II 197	10,99		36,3
296	1424		II 3,11	II 32				10,8		
297							I 332			
298	864	Abc. Silvanus 9	III 21,7,6	VI 28				6,33(13R)		37, 16
299	819	Abc. Sisoës 16		XV 64/46			II 370	15,26		119
304	446	Abc. Lucius	IV 8,1,9-11	XII 10/9	66,1/R212			12,6		
305		Bar. Let. 151								
307		Pach. boh. I, 97b								
311		Evag. Prat. 92								
312		Evag. Prat. 94								
313		Evag. Prat. 95	15	PA 49,7				195		
314		Evag. Prat. 99a								
315		Evag. Prat. 99b					II 467			
316		Bar. Let. 237								
317		Bar. Let. 240								
318		An. 764	I, 22,12; III,44,1-6							

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CS/PVP	Bu.	Am.	Am	Chaîne	Eth.
319		Isaac 37								
320				III 38,1,17						
321	297	Abc. Theodorus of Emmataon 1		III 36,4,13-14			I 407	17,15		
322	1180	An. 180		III 38,1,17-20	V 32/28			5,36		
323		An. 519								
324	1520	An. 520		IV 37,4,3	XV 129b			3,43b		
325		An. 523								
327	1440	An. 440		IV 10,2,1			I 130	18,64		
328		An. 451								
329	800	Abc. Romaios 2			XVI 26/17an	CSP IV 15an				
330	573	Abc. Orosios 1a		IV 38,3,10-12	XV 69/51 a	31,1/Pa 11,1	I 220	15,111(39R)		124- 125
331	1541	An. 541						3,50		
336							II. 250			
338				IV 5,2,21-22						
340	1259	An. 259		IV 1,17,7	VI 23/19	II 411	6,4		P 47	
341.1		Hist. gr. XXI, 13-14					186			
341.2							I 635			
342	1326	An. 326		III 27,2,5	XV 107/85		I 277b,346		152	
347	930	Abc. Phortas 1a		III 49,1,8	III 49,1,8	II 71	15,48a			
348	930	Abc. Phortas 1b		III 49,1,8	III 49,1,8	II 71	15,48b			
350	1570	An. 570								
351				III 49,1,1-2						
352				IV 1,17,12-16						
353							I 290			
356	378	Abc. Isaac the Presbyter 7	I 49,6	VII 10/9		I 176	6,11		23-	

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Am.	An	Chafne	Eth.
357	383	Abc. Isaac the Pre. 12	I 49,7	VII 11		I 118	6,18		24	25
359		Bar. Let. 139								
360	1233	An. 233		X 156/101	49,6					
364	1286	An. 286	I 15,10	XIII 14/13		II 260			94	
366	579	Abc. Poemten 5	I 24,12	VIII 16/13	49,4	I 265	8,24(6R)		P 65	
370	726	Abc. Poemten 152	II 6,2	X 69		I 629	10,197(37R)e			
372						I 307				
374	717	Abc. Poemten 143	I 42,9							
375	235	Abc. Zenon 1		VIII 5/5		II 489	1,16			
376	692	Abc. Poemten 118	II 38,8	X 67/47		I 233	10,75			
377	980	Add. Poemten S 16	II 35,6		M 17					
378	470	Abc. Macarius 17	IV 43,3,4	IV 31/28	24,6/R 87		4,79	217,8		
379	803	Abc. Romanos 1	IV 43,1,8,9				19,32(4R)			
380	1318	An. 318	IV 42,1,10-12	XV 96/76	M 105			15,151(80R)		
383		Ladder, X, 4								
384	601	Abc. Poemten 27	II 47,2an	X 75/51		I 28,298	9,17			
388	122	Abc. Ammonas 10	III 2,8,4			I 400	9,30(3R)			
389		Dor. Discoure 6								
391	1011	Add. Theodosius S1	III 2,8,25	IX 15/10an			9,40(13R)an			
392			III, 2B, 36							
394	162	Abc. Bessarion 7	III 2,8,5	IX 2/2		1500a	10,140		37,31	
395	779	' Abc. Pitor 3	III 2,8,23	IX 13/9	41,3/R 136		9,24			
397	1255	An. 255	III 2,8,31	IX 18/12		I 27	9,4		P 70	
399	644	Abc. Poemten 70a	III 2,8,16	XVII 27/23a	46,7	I 436b	9,33(6R)b		169	

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Ss./PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Am.	Am	Châne	Eth.
401		An. 530								
402	541	Abc. Mios 3	I,1,4	X 176(IV 30)	55,5 an	I 599	10,51		P 80	
403	660	Abc. Poemen 86	I,1,6	X 62			10,191(31R)		P 213	
404	871	Abc. Sarmatos 1	I 44,7			I 610	15,47		P 445	
405	1271	An. 271	I 2,4	XI 102/44	55,2/R 165	I 612	11,74(40R)			
407	133	Abc. Amnoes 4	I 45,4			II 224	15,19(TR)			13,83
408	144	Abc. Alonios 1	I 24,3/IV 5,2,32	XI 13/5	M71	I 47	11,3	75		
409	145	Abc. Alonios 2	I 42,6			II 225				
410	146	Abc. Alonios 3	I 1,16	XI 14/6	56,1			76	13,92	
411	148	Abc. Apphy 1	III 15,1,1	XV 14/13		I 24	15,40			
412	149	Abc. Apollos 1	III 36,4/12		45,3/Pa 17,3	I 412	17,32(TR)			
413	167	Abc. Bessarion 12	II 17,14b			I 630	7,48(3R)			
414,1	169	Abc. Benjamin 2	II 16,5	IV 12/12	CSP 19/Pd 6c	I 101	4,64			
414,2	170	Abc. Benjamin 3	II 16,6		CSP 110/Pd 6d	I 101				
415				IV 104			4, 55			
416,1	174	Abc. Gregory 1	II 45,8	I 3/3		II 29	1,11		P 347	
416,2	175	Abc. Gregory 2								
417	176	Abc. Gelasios 1	II 38,10	XVI 2/1	CSP IV 17/R30	I 184	7,36 an			
418	178	Abc. Gelasios 3					18,112(20R)			
419	181	Abc. Gelasios 6	IV 6,10,2-4	VII 13				P 53		
420	182			V 2/2			5,2			
421	183	Abc. Daniel 1	III 28,3	X 21			II 108	10,168(8R)	55	
422	184	Abc. Daniel 2	II 29,22				I 568	5,84(3R)		
423	185	Abc. Daniel 3	I 45,5	XV 15/14			I 448	15,66	127	9
424,1	191	Abc. Dioscorus 1	II 16,7	IV 13/13		I 76	4,39			

Arabic	Solemes	Main Collections	PE	Sys/PJ	PA-CSPV/P	Bu.	Arm.	Am	Chaine	Eth.
424.2	193	Abc. Dioscorus 3	I 31,7				1,55(9R)			
425	204	Abc. Epiphanius 9					1,56(10R)c			
426	205	Abc. Epiphanius 10					1,56(10R)d			
427	206	Abc. Epiphanius 11					1,56(10R)e			
428	207	Abc. Epiphanius 12					1,57(11R)			
429	210	Abc. Epiphanius 15	III 12,1,9				1,58(12R)			
430	211	Abc. Epiphanius 16								
431	215	Abc. Ephraem 3	X 26/12				5,10			
432	217	Abc. Eulogius 1	III 26,8,2-8	VIII 4/4	5,1	1322	8,11			
433	222	Abc. Evagrios 5	I 14,1	I 29			1,60(14R)a			
434	223	Abc. Evagrios 6		I 30/20an	Pa21,3an		1,60(14R)b			16,14
435	224	Abc. Evagrios 7	II 47,4	X 24/19	88,3a	I 58	1,61(15R)			57
436.1	225	Abc. Helladius 1	IV 16/16		I 254	4,15a				
436.2	226	Abc. Helladius 2	II 19,2			4,15b				
437	227	Abc. Evagrios 1	I 5,11	III 5/3		3,52			P 355	
438	398	Abc. Jacob 4	X 111/77an		II 52	10,178(18R)B.				
439	228	Abc. Evagrios 2	IV 5,2,54	II 14/8		2,23				
440	229	Abc. Evagrios 3	II 12,3	XI 17/9				79		
441	232	Abc. Evagrios 6	XVII 35						16,2	
442	233	Abc. Evagrios 7	II 2,10	XVI 3/2	88,4	I 59				
443	237	Abc. Zenon 3			33,3/Pa 12,4/R 111	I 465	15,52			
444	238	Abc. Zenon 4	IV 17,1,1-2	X 27/22			10,69		P 73	
445	240	Abc. Zenon 6	III 50,1,2	IV 17/17	3,3/CSP I 14/R 7	I 272	4,65			
446	241	Abc. Zenon 7	IV 14,2,5				16,6			
447	233	Abc. Isaia 6	II 16,8			165	4,11			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	SysJPJ	PA-CSP/VP	Bu.	Am.	An	Chainé	Eth.
449	259	Abc. Elijah 1	I 5,12	III 6/4	/M 97	II 214	3,2			P 4
450	265	Abc. Elijah 7	IV 19,5,1-3				7,12			
451	268	Abc. Theodore of Pherm 1	IV 5,2,19	VII/6	14,5	I 161	6,2			
452	269	Abc. Theodore of Pherm 2	I 41,10	VII 9/5		I 217	7,1			34 P 52
453	270	Abc. Theodore of Pherm 3	VIII 9/6	85,2			8,20(2R)			
454	275	Abc. Theodore of Pherm 8	I 25,1	X 34/25	41,5	II 96	10,173(13R)			
455	276	Abc. Theodore of Pherm 9	IV 17,1,18	VIII 11/8		II 34	1,10			
456	289	Abc. Theod of Pher 22, 2,6			47,3	I 432	1,18c			
457	294	Abc. Theodore of Pher 27				II 276	18,125(33R)an			
458	295	Abc. Theodore of Pher 28	III 26,8,9,11			I 470	8,9			
459	301	Abc. Theodosius of Eleut. 1	X 153			II 19	10,114			
460	304	Abc. Theophilos 1	I 45,14	XV 31/19		I 451	15,86(14R)			P 394
461	307	Abc. Theophilos 4	I 10,5				3,56(5R)a			
462,1	309	Abc. Theodora 1					1,72(26R)			
462,2	310	Abc. Theodora 2					1,73(27R)			
463	311	Abc. Theodora 3					2,37(9R)			
464	312	Abc. Theodora 4					7,17 an			
465	314	Abc. Theodora 6	I 45,16				15,88(16R)			
466	315	Abc. Theodora 7	I 40,8				11,42(8R)an			
467	954	Add. Theodora S2					7,59(14R)			
468	1446	Ab. 446	I 40,7	X 118	32,5c					
469	1251	An. 251		X 119- 120/83			10,223(63R)b			
470	1200	An. 200,201	I 40,30	VII 39/32		I 377	7,21a	47, 48		
471	1210	An. 210	I 29,11	VII 51/42	31,7/R 104		7,26			
472	375	Abc. Isaac the Presbyter 4	III 50,1,3	IV 22,21	47,2	I 301	4,72(14R)			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Arm.	An	Chaine	Eth.
473	381	Abc. Isaac the Presbyter 10	III 14,5,2	IV 78/65		I 66	4,25			P 26
474	382	Abc. Isaac the Presbyter 11				I 13				
475	395	Abc. Jacob 1	I 13,1				10,178(18R)a			
476	963	Add. Jacques S 1	IV 10,2,13			I 629	12,5a			
477	399	Abc. Hierax 1					1,79(33R)			
478	418	Abc. John the Persian 3	II 38,13			I 192				
479	1202	An.202		VII 41/34	32,2/R 106	I 9	7,44 (43R)		49	
480	417	Abc. John the Persian 2	III 50,1,5-11	VII 8/7	44,3/R 148	I 316	6,13			P 48
481	420	Abc. John the Thebian	I 33,16	XVI 5/4	50,3/Ra 19,2/R	I 199	7,44			
482	354	Abc. John Colobos 39	III 36,4,5		155		17,35(10R)			
483	421	Abc. John disc. of Paul	I 34,5	XVII 5/4	43,2	I 238	14,15			
484	422	Abc. Isaac the Thebian 1	III 2,8,9	IX 5/3	41,6/R 137			9,9		
485	424	Abc. Joseph the Thebian	I 19,16	I 14/9		I 239	1,2 Antoine			16,6
485,2	1209	An. 209	III 18,7,1	VII 50/41	51,2/Ra 20,2		7,91 (46R)			
486	37	Abc. Anthony 37	I 20,7	XI 1	73,1b	I 296	11,1a			
488	14	Abc. Anthony 14	III 9,4,2	VIII 1/1		II 414,415				
489		Pach. bo 14	III 35,2,4-8							
490		Hist. gr. I, 32-36								
491	433	Abc. Cassian 7		VII 14/10		II 417 an	6,28(8R)		26	
492	449	Abc. Longinus 1	III 31,1,6	X 45/33		II 264	10,50		59	P 74
493	453	Abc. Longinus 5	IV 22,1,7				10,260(100R)			
494	450	Abc. Longinus 2	III 14,5,3	IV 28			4,78(20R)		P 208	
495	1214	An. 214	III 13,7,5	VII 56/46		II 300	7,33			
496	137	Abc. Amoun 3	I 39,4				14,9			
497	523	Abc. Matoës 11, An. 330	I 45,29	I 34/23 an	87,1/Ra 31,1/R	II 65	1,41			16,17

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Arm.	Am	Chainé	Eth.
498	524	Abc. Matoës 12		X 179		I 142	3,61(IOR)			
499	525	Abc. Matoës 13a	II 47,8	XI 79an		II 512	15,108(36R)b			
500	525	Abc. Matoës 13b	II 47,8	XI 79an		II 512	15,108(36R)b			
501	522	Abc. Matoës 10					1,85(39R)			
502	526	Abc. Mark 1	I 35,6	XIV 11/5	42,5/R 143	I 240	14,4a			
503	527	Abc. Mark 2	I 35,7		42,6		14,14a			
504	531	Abc. Melisios 1		IV 10,2,34-36	XIX 13/9		1615	18,120(28R)		228
505	533	Abc. Mattoës 1		III 26,8,13-14	VIII 14/11		I 464	8,7		
506	542	An. 254		IV 28,3,5-7	IX 16/11	41,1		9,14		P 69
506	1254	Abc. Mark the Egyptian		IV 28,3,1-4	IX 6			9,12		P 68
507	545	Abc. Macarius the Alex. 3						12,7		P 420
508	514	Abc. Matoës 2		I 45,25	XV 41/28	34,4/R 123	I 552	15,104(32R)		
509	15	Abc. Anthony 15			VIII 2/2	25,1/R 88	I 229	8,19(1R)		
510		Anonymous				I 523				
511		Dor. Discoure 8								
513		Dor. Discoure 7								
514		Dor. Discoure 7								
518	556	Abc. Nistetos 1	III 26,8,15	VIII 15/12	35,2/Ra 12,3	I 263	8,23(5R)			
519			III 29,3,5-19							
522						I 335				
523						I 360a				
524						I 360b				
530	1169	An. 169	I 21,10	V 23/19	CSP II 7/R 13	I 575	5,5			
538		Vie Ant. 20								
541			III 29,3,3			I 249				

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Am.	Am	Châne	Eth.
598		Bar. Let. 151								
599		Bar. Let. 153								
600		Bar. Let. 154								
601		Bar. Let. 154								
603.2						I 222				
604	742	Abc. Poemēn 168	X 93/64	M 21	I 546		37,12		P 132	
605									13,84	
606	721	Abc. Poemēn 147				II 193	10,197(37R)b			
616	1134	An. 134	I 13,15	II 29/16		I 3	2,4		P 354	
617	778	Abc. Pior 2	II 22,15	IV 42/34	CSP V2/R 31c		4,86		P 20	
621	1223	An. 223	I 18,2	X 136/92	73,7/R 178	II 41	10,215(55R)			
626	1588	An. 588	I 13,4	XV 121			10,228(68R)		P 415	
630	4	Abc. Anthony 4	I 45,2	XV 2/2		II 368	15,2a	27,10		
631.2	1297	An. 297	I 28,17	VII 30/23			7,74 (29R)		37,32	
632	1192	An. 192	III 34,7,2-3				II 297		45	P 55
643.2	1121	An. 121	I 5,5b	XXI 40/34	M 98	II 85	11,70(36R)b		P 343	
645	186	Abc. Daniel 4	I 15,17	X 22/17		I 99	10,169(9R)		54	
646	1197	An. 197	I 6,4	VII 36/29			7,19b		37,28	
647	1198	An. 198	III 13,7,4	VII 37/30		I 38	7,32		P 57	
648	1204	An. 204	I 40,31	VII 43/36	97,1b		7,90(45R)		51	P 60
649	1205	An. 205	I 40,32	VII 45/37	32,6					
650	1374	An. 374		VII 44			1,112 (66R)b		37,34	
651	765	Abc. Pambō 4	III 4,2,3	III 32/14	54,4/R 164 ac		3,64(12R)		P 9	
652	1376	An. 376	III 34,7,5	VII 47	16,1/Pa.4,1	I 231	7,72 (27R)		P 61	
653	1208	An. 208	I 4	VII 49/40	I 600	7,3			P 62	

Arabic	Solemes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/VVP	Bu.	Arm.	Am	Châne	Eth.
656	816	Abc. Sisoës 13	I 45,48	XV 65/47	39,4-5	I 485			120	
657	1305	An. 305	III 38,1-43	XV 81/63	M 56	I 32	15,72(71R)		137	P 186
658	1309	Abc. Bessation 9	I 45,68	XV 86/67		I 519	15,146(75R)		142	28,3
659	589	Abc. Poemien 15	II 28,8	X 58/41		I 255	5,38			
660	594	Abc. Poemien 20	IV 6,1,1	X 59/42		I 161	10,36			14,47
661	595	Abc. Poemien 21	IV 6,1,2	X 60/43		I 162	10,37			13,84
662	1230	An. 230		X 152/98			10,28			P 372
663	1231	An. 231	II 18,9	X 154/99	2,4/Pa 1,3		10,217(57R)			
664	1244	An. 244	III 29,3,2	X 173/111		I 503	10,100		71	P 373
666	802	Abc. Rufus 2b	I 19,7-8	XIV 29/19a	42,2/R 141 an		14,6			P 391
667		Ladder, I, 15a								P 417
668		Ladder, I, 15b								
670	408	Abc. Sisoës 1	II 37,3	XVI 13/10		I 198				
671	1360	An. 360		XVIII 30/24		I 183	1,111(65R)		197	
672	554	Abc. Nilos 9	II 23/11				2,44(I6R)a			P 353
673	1135	An. 135	I 8,10	III 38/20	57,3/R 216		3,37		1	P 10
674						I 390				
675						I 362				
676	1255	An. 255b	III 2,8,31	IX 18/12	I 28	9,4				P 70
678	1531	An. 531	I 5,16		3,11a					
679	1632	An. 632					19,48(20R)			
683		Hist. gr. I, 37-43	IV 1,17,10							
687										
688									122	
689	902	Abc. Syncletique 11		XV 68/50		I 513b			123	

Arabic	Sølesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Am.	Am	Chaîne	Eth.
690	1186	An. 186	I 3,8	V 39/34		I 598	5,103			
691	1164	An. 164	I 20,23	V 16/13a	73,4	I 560	a: 5,71			
693	694	Abc. Poemten 120	I 1,7		55,1a/Pa 22,1a	II 475	10,82			
694	819	Abc. Sisoes 16		XV 64/46		II 370	15,26		119	
694	841	Abc. Sisoes 38	I 1,8		31,6/Pa 11,5	I 605	10,56			
696			IV 8,2,3							
697	1365	An. 365	I 31,4	XVIII 36/29		I 631	18,69		202	
698	1208	An. 208	I 4	VII 49/40		I 600	7,3		P 62	
704						I 510				
707	624	Abc. Poemten 50	II 32/21	III 28/13	M 34	I 154	3,33b		P 8	
708						I 216				
709	219	Abc. Eupreprios 2	II 38,11			I 187				
710	1339	An. 339	II 40,8	XVI 28/19	15,2/Pa 3,2	I 529			13,80	
711	1600	An. 600					1,50(4R)			
712	1638	An. 638		XVIII 52						
714	261	Abc. Elijah 3				II 163	3,24,10,116			
716			III, 13, 8							
717		Pal. 18, 23-24								
718	1302	An. 302	I 45,64	XV 76/58	71,1/Pa 25,1	I 518	15,142(71R)a		132	P 403
719						I 519				
720						I 520				
721	1320	An. 320	II 1,12	VIII 31/24		I 522				
722						I 515			128	
725						I 533				
726						I 534				

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys/PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Am.	Am	Chaine	Eth.
727						I 1544				
728	1316	An. 316	I 44,9	xv 94/74		I 1514	15,149(78R)			
730		Pach. bo 110								
731	1310	An. 310	III 35,2,17	XV 87/68		II 28	15,11		143	37,29
732	1312	An. 312	IV 19,3,11-12	XV 89/70		II 36	15,12		145	
733		Hist. gr. II, 9-10								
735			III 30,3,17-20							
736			III 30,3,25							
739									144	
740	1224	An. 224	IV 19,3,4-6	X 138/93		I 1300	10,216(56R)			
742		Pal. 25, 1-6	III 29,11,6							
743		Pal. 26, 1-4								
744		Pal. 27, 1-2								
745		Pal. 28								
746		Pal. 53								
748	12	Abc. Anthony 12	IV 19,3,1-3	X 2/2 a	70,2	II 56	10,48			
749		Vie Ant. 31,35								
750		Vie Ant. 31,33								
764		Pach. para 33	III 35,2,9-13							
766		Pal. 47, 3-7	III 29,1,7-11							
767		Ladder, VII 50								
772						II 65				
774						II 78				
775	1349	An. 349	III 36,4,6	XVIII 23/19	79,1/Pa 23,4	II 275	17,47(22R)		165	
776	1140	An. 140	II 32,29	III 42/24	54,2b		3,5			P 202b

Arabic	Sōtēsmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Amn.	Am	Chaine	Eth.
777		An. 137								
778	1253	An. 253		I 31	47,1Pa 16,2/R153	II 53			16,15	
782									13, 38	
786		Bar. Let. 164								
787		Bar. Let. 165								
788		Bar. Let. 166								
789		Bar. Let. 171								
790		Bar. Let. 172								
791		Bar. Let. 174								
792		Bar. Let. 178								
793		Bar. Let. 179								
794		Bar. Let. 182,183								
795		Bar. Let. 186								
796		Bar. Let. 189								
797		Bar. Let. 191a								
798		Bar. Let. 199								
802	560	Abc. Nisteros 5	III 10,2,1							
803.1	141	Abc. Abraham 2								
803.2	566	Abc. Xoitos 1	IV 45							
804	568	Abc. Xanthias 1			II 348b an	11,4				
805		Ladder, VI, 21								
806		Ladder, VI, 24								
807	801	Abc. Rufus 1	IV 5,2,12	II 35			2,16			
808	803	Abc. Romanos, 1	IV 43,1,8-9				19,32(4R)			
809	20	Abc. Anthony 20	I 17,2	VI 1/1	14,2R 68	I 178	6,1		P 43	

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys/PJ	PA-CSP/V/P	Bu.	Am.	An	Chaîne	Eh.
810	797	Abc. Paul the Simple, 1	I 1,20	XVIII 26/20	56,3Pa 23/2R	167			191	38
811	1066	An. 66	II 10,5	XVIII 14			18,61			
813	116	Abc. Ammonas 4	I 44,3	X 20/16			1447	10,22		
814	810	Abc. Sisoes 7		XX 5/5			18	19,33(5R)		265
815	814	Abc. Sisoes 11		XV 63/45	71,2Pa 25,2a/R17/4A	II 69		15,44b		118
816	818	Abc. Sisoes 15	III 26,8,17-19	VIII 20/15			1421	8,14		
817	427	Abc. Cassian 1	III 42,1,11-12	XIII 2/2				13,14		
818	825	Abc. Sisoes 22	IV 6,1,6		72,6Pa 39,1/M 26	I 262		10,57a		
819	826	Abc. Sisoes 23	II 22,16		1,2Pa 1,1b/CSP 1,3a		1374	4,92(34R)b		
820	833	Abc. Sisoes 30	III 38,1,36-37		48,1	I 201	4,46			
821,1	835	Abc. Sisoes 32					II 408	4,8		
821,2	836	Abc. Sisoes 33					I 116	4,21		
822	837	Abc. Sisoes 34	III 33,7,3		23,1Pa 8,1/R 82	I 382		7,78(33R)		
823	838	Abc. Sisoes 35					I 489	15,129(57R)		
824	846	Abc. Sisoes 43	I 26,17	/M 40b				1102/56R)		
825	848	Abc. Sisoes 45	II 3,10am			I 260		15,137(65R)		
826	817	Abc. Sisoes 14	I 7,12	XX 7/6b	52,4/R 162	II 109		18,90		
826	852	Abc. Sisoes 49					I 140	15,133(61R)		
827	856	Abc. Silvans 1	III 42,2,4	IV 48/40	2,1/R 46	I 95		4,48		
828	857	Abc. Silvans 2	I 9,10	III 33/15	R 205/M 48	II 218		3,3		
829	859	Abc. Silvans 4	IV 24,14-5	XI 68/28			II 269		88	
830	861	Abc. Silvans 6	IV 24,1,7	XI 70/30	72,7/R 175	II 489a		1,24		
831	868	Abc. Simon 1	III 27,3,4	VIII 22/17	33,14	I 459		8,28(10R)		35,2

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Am.	An	Chaîne	Eh.
832	869	Abc. Simon 2	III 27,3,5	VIII 23/18	33,15Pa 12,8	I 472	8,2			35,3
833							1274			
834.1	884	Abc. Sarrah 1	II 26,8a	V 13/10			1566	5,92(11R)a		
834.2	885	Abc. Sarrah 2	II 26,8b	V 14/11			1566	5,92(11R)b		
835	886	Abc. Sarrah 3	IV 5,2,59	VII 26/19			1203	7,83 (38R)		42
836	889	Abc. Sarrah 6		XI 127			1268			
837	891	Abc. Sarrah 8	III 42,2,7					4,94(36R)		
838	890	Abc. Sarrah 7	IV 44,1,12	XIII 9			1428			
839	992	Add. Syncletique S 1		II 27/14				2,51(23R)a		
840	992	Add. Syncletique S 1		II 27/14				2,51(23R)b		
841	892	Abc. Syncletique 1		III 34/16				3,66 (15R) an		
842	894	Abc. Syncletique 3		IV 50/42				4,96 (38R)a		
843	895	Abc. Syncletique 4		IV 51/43				4,96 (38R)b		
844	896	Abc. Syncletique 5		VI 17/13a	14,7			6,35 (15R)		29
845	897	Abc. Syncletique 6		VII 22/15	97,1a			7,79 (34R)a		
846	898	Abc. Syncletique 7		VII 23/16				7,79 (34R)b		
847	900	Abc. Syncletique 9		VII 25/18				7,81b-82		
848	993	Add. Syncletique S 2		VII 25/18a				7,3 (36R)a		
849	994	Add. Syncletique S 3		VII 24/19	33,6	I 362		8,26(8R)		P 66
850	1000	Add. Syncletique S 9		XV 66/48				15,135 (63R)		121
851.1	907	Abc. Syncletique 16		XIV 17/9				14,26(9R)		
851.2	908	Abc. Syncletique 17		XIV 18/10				14,26(9R)b		
852	901	Abc. Syncletique 10		X 101/70						
853	1001	Add. Syncletique 10		X 102/71						
854.1	910	Abc. Tithoes 1	IV 10,2,16	XII 13/11	33,11bPa 12,6b	I 111		12,23(12R)		

Arabic	Solemes	Main Collections	PE	Sys/PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Am.	Am	Chaine	Eth.
854.2	912	Abc. Tithoes 3	IV 24,1,6	XI 67/27	88,7/Pa 32,2	II 92	4,98(40R)			
855	918	Abc. Hyperechios 1	II 15,14	IV 53/45			4,99(41R)a		8	
856	920	Abc. Hyperechios 3	II 35,17	IV 57/49			4,33a		12	P 361
857	921	Abc. Hyperechios 4	II 49,11	IV 58/50			4,33b		14	P 362
858	922	Abc. Hyperechios 5	II 49,12	IV 60/52			4,33c		15	P 25
859	925	Abc. Hyperechios 8	I 19,9	XIV 19/11	42,1					
860	928	Abc. Felix 1	I 18,15	III 36/18			3,35, 10,44			
861		Pal. 37, 5-8								
862	931	Abc. Chloma 1		I 27/18		II 23/2	1,104,(58R)			
863	1160	An. 160	II 19,3	IV 84/69		1103	4,17			P 32
864	934	Abc. Or 1		III 37/19	M 47	1145	3,36			
865,1	935	Abc. Or 2	II 47,12	XX 8/7			1351	19,39(1IR)		264 P 325
865,2	936	Abc. Or 3	II 47,13	XX 9/8			1353	9,26		
866	937	Abc. Or 4	47,4			1320	10,153			
867	1232	An. 232	II 37,9	X 15/100			1,17a			
869	430	Abc. Cassian 4	I 16,10	IV 26/24			4,76(18R)			
870	1560	An. 560	II 32,15a				3,51a			
871	1561	An. 561	II 32,15b				3,51b			
872	285	Abc. Theodore of Phem 18	I 45,12				15,85(13R)			
873	305	Abc. Theophilos 2	I 45,15	XV 59/42		II 181	15,87(15R)	114		
874	328	Abc. John Colobos 13	I 29,9	VII 12/8		1215	7,61(16R)	37		
875	437	Abc. Cronios 3	I 45,53	XV 37		II 178	15,94(22R)			
876	464	Abc. Macarius 11	I 45,54	XV 40/26		1451	15,69	119,12		
877	480	Abc. Macarius 27	IV 5,2,9		93,2R 189	1156	2,41(13R)			P 442
878						II, 110				

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Ann.	Am	Chainé	Eth.
955		Isaac Ar. I,4,39-40								
956		Isaac Ar. I,5,8; I,5,30; II,1,13; II,1,39								
957		Isaac 57, Ar II,22,28								
958		Isaac Ar. II,10,4-5								
959		Isaac Ar. II,12,20-21								
961										13,47
969.1						I 532				
969.2				IV 95		I 312				
970	397	Abc. Jacob 3		I 14,2	III 17/7	II 145	3,21			P 6
971	1141	An. 141b		II 32,30b	III 44/26	I 157	3,70			
972	1498	An. 498		II 2,7	XI 54		1,44c			P 311
973	616	Abc. Poemten 42		II 47,23	IV 36/31c	I 44	4,82(24R)			P 358
974	631	Abc. Poemten 57		IV 39/32		I 95	4,32b			P 359
975	7	Abc. Anthony 7		I 45,18	XV 3/3	39,2/R 129	1453	15,2b	38,4	109
976	1199	An. 199		I 30,11	VII 38/31	I 203	7,20			46
978							44			
979					I 243					
980	983	Poemen S 19		I 42,17	IV 38/31e		17,2			
991		Dal. 18, 1-47								
992		An. 627D								
993		Isaac 2,3								
995	738	Abc. Poemten 164					8,8ab(B)			
996.1	637	Abc. Poemten 63		VIII 18		I 297	8,8ab(B)			
996.2	630	Abc. Poemten 56		VIII 19/14b		II 138				
997	1275	An. 275	IV 6,1,14	XI 107/48		I 328	11,19			

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/V/P	Bn.	Arm.	Am	Chainé	Eth.
999	1054	An. 54	II 34,6	III 51		1143	11,27			
1000						132				
1004	4	Abc. Anthony 4	145,2	XV 2/2		II 368	15,2a	27,10		
1008	1183	An. 183	II 25,21	V 36/31	II,LR 62		5,101		P 211	
1009	612	Abc. Poemn 38	IV 31a	M 69		198			P 397	
1011	1225	An. 225		I 32/22		I 296b, II 436			16,16 39,11	
1014	11	Abc. Anthony 11		II 2/2	93,1	146	2,11	36,10	P 2	
1015	806	Abc. Sisoes 3	II 29,18a	II 26,13		1375	2,15			
1016	600	Abc. Poemn 26	II 32,20	III 24/10		1137	3,25		P 7	
1017	808	Abc. Sisoes 5	II 47,25	IV 47/39			4,91(33R)		P 24	
1019	1173	An. 173	II 25,18	V 27/23		1580	5,49			14,27
1023	904	Abc. Syncletique 13 b		X 103/71a						
1024	1327	An. 327	III 2,2,8	IX 17/13a		1540b				37,24
1025	945	Abc. Or 12		XV 79/61	21,3b/Pa 7,2b/R 78b	1506	15,72		P 405	
1026	776	Abc. Pistor 1a	113,5	XV 60/43c		II 1332			116b	15,14
1027	1324	An. 324	ii 2,18	XV 105/83	24,2R 85	I 211	15,155(84R)		150	P 412
1028	1336	An. 336a	II 2,24	XVI 16/12	22,2/Pa 7,4	II 223	16,21(12R)			
1029	1548	An. 584	IV 11,1,1				15,168(97R)		P 424	
1033										
1036	1359	An. 359	II 47,11	XVIII 29/23	CSP V9/R36	II 8	18,5	196	P 345	
1037	558	Abc. Nisteros 3	II 47,19			I 16	2,45(17R)			
1039						I 578				
1040	1247	An. 247		X 113/79			10,38		P 366	
1041				XXI 7		II 189				
1042	1110	An. 110	132,4	XXI 30/24					P 340	

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSP/VP	Bu.	Arm.	Am	Chaine	Eth.
1088		Isaac Ar. II,39,11-19								.
1089		Isaac Ar. II,39,21-23								
1090		Bar. Let. 55								
1095	877	Abc. Serapion 3	I 48,1	XI 71/31			11,67(33R)		P 379	
1096	924	Abc. Hyperechios 7	I 6,3	XI 76/35					P 123	
1097									67	
1098	1268	An. 268	IV 7,3,7	XI 95/42	55,3b		11,72(38R)ib			
1100		Isaac Ar. II,41,36-38								
1102		Isaac Ar. III,29,6-21								
1103		Isaac Ar. III,33,1-12								
1104		Ar IV, (١) ميلات المطرة والسمك و السكرن؛ ٢ في العجرد								
1105		Dor. Discoure 12				II 303		6		
1108			III 7							
1109	623	Abc. Poemen 49	I 45,40	XV 48/32	M 101	II 398	3,55 (4R)		P 396	
1112						II 92				
1114			XV 125,126						P 416	
1115									P 424	
1117	1252	An. 252	IV 38,3,5	X 121/84		10,46			P 214	
1118								7		
1119	1226	An. 226	II 37,2	X 148/95		II 11,157	10,110		P 79, P370	
1121	494	Abc. Macarius 41	IV 5,2,9		93,2R 189		2,42(14R)		P 442	
1123			XXI 45			I 223				
1132	595	Abc. Poemen 21	IV 6,1,2	X 60/43		II 162	10,37		13,84	
1133	1179	An. 179	III 38,1,15-16	V 31/27	CSP II6/R 12	I 394	5,33		P 38	

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PJ	PA-CSPN/P	Bn.	Am.	Am	Chaîne	Eth.
1134	1256	An. 256	III 45/2-3-4	VIII 26/21	CSP 17amR54	I 323	8,6		P 67	
1136	1368	An. 368	IV 37,4-4-8	XVII 41/33		II 10	18,72		206	P 98
1137			III 33,5							
1138		Isaac Ar. II,42,10-13; II,37,1								
1139		Isaac Ar. IV, ٢٥-١ مشهورات: نافعة في سيرة معاذ المازن								
1143		Bar. Let. 37								
1145		Hist. gr. VI, 1-2								
1146.1	621	Abc. Poemen 47	II 47,24	IV 37/31d	87,2	I 49	4,32a			
1146.2										
1149		Patr. III, p. 163-164								13,84
1150	1193	An. 193	VII 32/25			7,31				
1151				I 283						
1152				14						
1153	634	Abc. Poemen 60	I 23/14	M 8	II 192	1,4				16,11
1154.1	617	Abc. Poemen 43	II 24/12a		I 370					
1154.2	633	Abc. Poemen 59	I 13, 14	II 25/12b	92,1	I 364b	2,46(18R)			
1155	1262	An. 262	IV 1,17,8	VI 26/22	14,4/R 69	I 169	6,40		P 444	
1156	513	Abc. Matoës 1	III 31,1,16	VII 16/11	77,2	II 147				
1157	587	Abc. Poemen 13	VII 18/13			I 197	5,46			
1158						I 302				
1159	1267	An. 267	IV 5,2,29	XI 94/41		I 333	1,122(76R)			
1161	432	Abc. Cassian 6	I 18,6	XI 48/18			11,52(18R)			
1162						I 234				
1164			III 33,7,4							

Arabic	Solesmes	Main Collections	PE	Sys./PI	PA-CSP/V/P	Bu.	Arm.	An	Châne	Bth.
1166	516	Abc. Mattoes 4	IV 21,1	X 49/35		II 247	10,184(24R)		61	
1167	1270	An. 270	IV 6,1,8	XI 101/43	72,2	I 361	10,209(49R)			
1168	1323	An. 323		I 45,72	XV 103/82		15,154(83R)		P 411	
1169.1	1324	An. 324	II 2,18	XV 105/83	24,2/R 85	I 211	15,155(84R)		150	P 412
1169.2	1325	An. 325		XV 106/84			10,124		151	37,15
1172			IV 52,44							
1179	1278	An. 278		XI 111/51		I 25	2,1		92	
1180.1	687	Abc. Poemen 113	III 2,8,19	IX 21(IV36a)		I 285	9,36(9R)			
1180.2	688	Abc. Poemen 114	III 1,4,2	IX 22(IV36b)		I 286	5,124(43R)			
1181	737	Abc. Poemen 163		M 5		I 475	1,96(50R)			
1182	219	Abc. Euprepios 2	II 38,11			I 187				
1189	655	Abc. Poemen 81	II 1,9		Pa 12,I/R 110	I 42				
1193		Dal. 43, 1-23								
1206		Dor. Discoure 1								
1207	152	Abc. Andrew		XII 120 an			1,49(3R)			
1211			III 27, 3-6-9							
1212			IV 5,2,48-53							
1221	1261	An. 261	III 21,7,8-12	VI 25/21		I 170	6,17			P 50

فهرس مقابله بين كتابات مار إسحق في اللغات المختلفة

Concordance of the Writings of S. Isaac of Nineveh

شرح رموز هذا الجدول: أول عمودين من اليسار هما ترقيم ميامِر مار إسحق بحسب النسختين السريانيتين (Syriac) والشرقية (Or.) والغربية (Oc.). والعمودان التاليان هما الترقيم بحسب النسختين اليونانيتين (Greek) القديمة (Ant.) والمطبوعة سنة ١٧٧٠ بواسطة Nicephorus Theotokis. الأربعه أعمدة التالية بها الترقيم بحسب أربع نسخ عربية، الأولى (Vat. Syr.) مخطوط الفاتيكان الكوشوي (لغة عربية مكتوبة بحروف سريانية)، والثانى (Majority Text=Anba Mina) به الترقيم المُتَّبع في معظم المخطوطات العربية وأيضاً في النسخة المطبوعة بواسطة أنبا مينا مطران جرجا سنة ١٩٩٢ تحت عنوان ”ميامِر مار إسحق المترجَد“ وُشير في هذا العمود بين قوسين إلى أرقام الصفحات في طبعة أنبا مينا، بالإضافة إلى رقم المير، والعمود الثالث (Ms Deir Es Suryan) به ترقيم أحد مخطوطات دير السريان يختلف عن غالبية المخطوطات، وقد نسخه القمص مينا المقاري لما كان بدير السريان في حسبيات القرن العشرين، ونسخه عنه عدد غير قليل من الرهبان. والعمود الرابع (St Macarius Digital Edition) به الترقيم المُتَّبع في نسخة رقمية من ميامِر مار إسحق تم إعدادها بدير أنبا مقار، وهذا الترقيم هو الذي تُشير إليه في الكتاب الحالي كلما ذكرنا ميامِر مار إسحق، واختصاره Isaac Ar. والعمود الأخير به ترقيم الترجمة الإنجليزية المنورة بدير التحلّي بأمريكا وهي التي تُشير إليها في الكتاب الحالي باختصار Isaac.

Syriac		Greek		Arabic				English
Or.	Oc.	Ant.	Nicephorus Theotokis	Vat. Syr. 148	MajorityText =AnbaMina	Ms DeirEsSuryan	StMacarius DigitalEdition Isaac Ar.	Isaac
1	1	1	1	II,1	II,1a (133-140)	II,1	II,1	1
2	2	2	30	II,2	II,1b (140-148)	II,2	II,2	2
3	3	3-4	82, 83, 44, 45	II,3-7	II,2 (148-164)	II,3	II,3	3
4	4	5	23	III,1-4	III,1 (7-23)	III,1	III,1	4
5	5	6	5	III,2	III,2 (24-40)	III,2	III,2	5
6	6	7	56	III,3	III,3 (40-54)	III,3	III,3	6
7	7	15	22	III,15	III,12 (116-120)	III,12	III,13	7
8	8	8	21	III,8	III,7a (98-102)	III,7a	III,7	8
9	9	9	41	III,9	III,7b (102-106)	III,7b	III,8	9
10	10	10	70	III,10	III,8 (106-108)	III,8	III,9	10
11	11	11	10	III,11	III,9 (109-110)	III,9	III,10	11
12	12	14	11	III,12	III,10 (111-112)	III,11	III,11	12
13	13	12	14	III,13	III,11a (113-114)	III,10a	III,12a	13
14	14	3	15	III,14	III,11b (114-115)	III,10b	III,12b	14
15	15	19	9	III,6	III,5 (86-88)	III,5	III,5	18
16	16	20	13	III,16	III,13 (120-122)	III,14	III,14	19
17	17	21	29	III,17	III,14 (123-127)	III,15	III,15	20
18	18	22	75	III,14,16,17	II,9f (238-240)	II,9a	II,10:12-15	21a
18	18	22	76	II,14,16,17	II,9e (237-238)	II,9a	II,10:6-11	21b
18	18	22	77	II,14,16,17	II,9d (236,240)	II,9a	II,10:1-3,16	21c
18	18	22	78	II,14,16,17	II,9g (240-242)	II,9a	II,10:17-19	21d

Syriac		Greek		Arabic				English
Or.	Oc.	Ant.	Nicephoros Theotokis	Vat. Syr. 148	MajorityText =AnbaMina	Ms DeirEsSurya n	StMacarius DigitalEdition Isaac Ar.	Isaac
18	18	22	79a	II,14,16,17	II,9h (242)	II,9a	II,10:20-21	21e
18	18	22	79b	II,14,16,17	II,9I (246-250)	II,9a	II,10:22-37	21f
19	19a							
20	19b			II,20	II,5b (195-196)		II,16	22
21								
22	20	23	31-32	II,21	II,6a (196-205)	II,9c	II,17	23
23	21			II,22	II,6b (205-207)	IIbis,1a	II,18	24
24	22			II,18	II,9m (250-254)		II,14	25
25	23	26	67	II,23	II,7 (207-212)	IIbis,1b	II,19	26
26	24				II,9i (242-243)		II,11:1-4	27
27	25	27	84		II,9j (243)		II,12:20-21	28
28	26	28	74	II,15	II,9k (243-246)	II,9b	II,13	29
29	27							30
30	28	24	42, 55	III,18	III,15 (127-133)	III,16	III,16	32
31	29							33
32	30	30	68	III,19	III,16 (133-136)	III,17	III,17	34
33	31	31	24	III,20	III,17 (136-138)	III,18	III,18	35
34	32	32	16	III,21	III,18 (138-141)	III,19	III,19	36
35a	33 ^a	33	85	III,5a	III,4 (54-84)	III,4a	III,4:1-33a	37
35b	33 ^b	34	47	III,5b	III,4 (85-86)	III,4b	III,4:33b	38
36	34	25	51-54	III,7	III,6 (88-98)	III,6	III,6	39
37	35	35a	26a	III,22	III,19 (141-149)	III,20	III,20	40a
38a	36a	35b	26b	III,23	III,20a (150)	III,21a	III,21:1-2	40b
38b	36b	36	27	III,24	III,20b (150-153)	III,21b	III,21:3-6	41
39a	37a	37a	46a	III,25	III,21 (154-158)	III,22	III,22	42a
39b	37b	37b	46b	III,26	III,21 (158-161)	III,23	III,23	42b
40a	38a	38a	17a	III,27	III,22 (161-164)	III,24	III,24	43a
40b	38b	38b	17b	III,28	III,23 (164)	III,25	III,25	43b
41	39	39	Let. 1	III,40	II,13a (297-301)	III,fin.	III, Letter 1	44
42	40	40	Let. 2	II,19	II,12f (295-297)	II, Letter to his brother	II,15	45
43a	41a	41a	72a	III,29a	III,24 (165)	III,26	III,26	46a
43b	41b	41b	72b	III,29b	III,25 (165-168)	III,27	III,27	46b
44	42	42	18	III,30	III,26 (168-171)	III,28	III,28	47
45	43	43a	73a	III,31a	III,27 (171-179)	III,29a	III,29a	48a
46	44	43b	73b	III,31b	III,27 (179-183)	III,29b	III,29b	48b
47a	45a	44a	39	III,32a	III,28 (183-185)	III,30	III,30	49a
47b	45b	44b	40	III,32b	III,29 (185-186)	III,31	III,31	49b
48	46	46	57	III,33	III,30 (186-188)	III,32	III,32	50
49				IV,4				
50a	47a	47	58	III,34-37	III,31 (189-198)	III,33	III,33	51a
50b	47b	48	60	III,34-37	III,32 (198-203)	III,34	III,34	51b
51	48	49	62-65	II,24	II,8a (212-226)	IIbis,3	II,20	52
52	49	53	66	II,25	II,8b (226-227)	IIbis,4	II,21	53
53	50	54	33	II,26	II,9a (227-232)	IIbis,5	II,22:1-17	54a

Syriac		Greek		Arabic				English
Or.	Oc.	Ant.	Nicephoros Theotokis	Vat. Syr. 148	MajorityText =AnbaMina	Ms DeirEssurya n	StMacarius DigitalEdition Isaac Ar.	Isaac
53	50	55	3	II,26	II,9b (232-235)	IIbis,5	II,22:18-26	54b
54								
55	51	56	61	II,27	II,9n (254-257)	IIbis,6	II,23	55
56								
57	52	58	25	III,38	III,33 (203-206)	III,35	III,35	56
58a	53a	59a	37a		II,9c (235-236)	IIbis,7	II,22:27-28	57a
58b	53b	59b	37b		II,4c (184-186) = II,9o (257-259)	II,7 IIbis,7	II,7:6-16 = II,24	57b
59	55	60	4					59
60	56	61	36	II,10	II,4b (179-183)	II,6	II,6	60
61	57	62	48	II,9	II,4a (176-179)	II,5	II,5	61
62	58	63	38					62
63	59	64	35	II,8	II,3a (164-167)	II,4a	II,4:1-9	63
64	54	57	59	II,12 II,29	II,4d(186-189) = II,9p (259-260)	II,8 IIbis,8	II,8 = II,25	58
65	60	65	34	III,42	II,14a (308) II,3b (167-176)	II,4b	II,4:10-54	64a 64b
66	61	66	Let. 3	II,34	II,12c (285-290)	IIbis,12b	II,30	65
67	62	67a	69a	II,35	II,12d (290-291)	IIbis,12c	II,31	66a
68	63	67b	69b		II,12e (291-295)		II,32	66b
69	64	68	12	II,36	II,14b (318-321)	IIbis,13	II,33	67
70	65	69	8	II,37	II,15a (321-326)	IIbis,14	II,34	68
71								
72	66	70	49	II,38	II,15b (326-333)	IIbis,15	II,35	69
73	67	71	50	II,39	II,16a (333-336)	IIbis,16a	II,36	70
74	68	72	81	II,30	II,10 (260-269)	IIbis,9	II,26	71
75								
76								
77a	69a	73a	19a	II,31	II,11 (269-278)	IIbis,10a	II,27	72a
77b	69b	73b	19b	II,31	II,4 (181-184)	II,7	II,7:1-5	72b
78	70	74	6	II,32	II,12a (279-280)	IIbis,11	II,28	73
79	71	75	71	II,33	II,12b (281-285)	IIbis,12a	II,29	74
80	72	76	28	II,13	II,5a (189-194)	II,9	II,9	75
81	74	78-79	Let.4b	III,41	II,13b (301-308)		III, Letter 2	76
82	73	77	20	II,43	II,19 (353-358)	IIbis,fin.	II,40	77
					II,14b(314-318)		III, Letter 3	
					II,16b (336-341)	IIbis,16b	II,37	
					II,17 (341-343)	IIbis,16c	II,38	
					II,18 (343-353)	IIbis,16d	II,39	
					II,20 (348-368)		II,41:1-34	
					II,21 (368-369)		II,41:35-42	
					II,22 (370-375)		II,42	
		17	2				III,13bis	16
				II,Letter(376-380)			III,36	

